



دراسات في الحالة الإسلامية (٩)



داعش والجماعات القتالية

دراسات عربية وغربية

مجموعة من الباحثين

nama-center.com

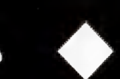
سلسلة دراسات
في الحالة الإسلامية:

يسعى هذا المشروع إلى الاجتهاد في تقديم معرفة علمية بالإسلاميين باعتبارهم فاعلين في المشهد الثقافي والسياسي العربي، واستثمار التراكم الذي حصل في الدراسات المقاربة للحالة الإسلامية ومحاولة الانتقال بها من مستواها الوصفي إلى المستوى التفسيري والاستشرافي.

ويهتم هذا المشروع برصد أدبيات الإسلاميين وأنساق تفكيرهم وبرامجهم واختياراتهم الفكرية والسياسية ومواقفهم وسلوكهم السياسي، وتتبع علاقاتهم البينية، وأنماط تفاعلاتهم مع مكونات البيئة السياسية، ومحاولة التوقف عند تطور كسبهم الفكري والسياسي ورصد مراجعاتهم وتحولاتهم وتغير تموقعاتهم، والفروق والتباينات التي تميز أطيافهم الفكرية والسياسية، والصورة التي يتم حملها عنهم في التعبيرات البحثية (مراكز أبحاث) والسياسية (الفاعلين السياسيين الآخرين) والإعلامية (وسائل الإعلام) والفنية (السينما مثلاً).

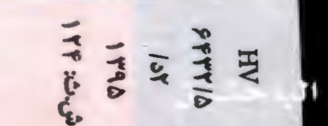
ويندرج ضمن هذا المشروع الرؤى الاستشرافية التي تحاول أن تقرأ موقع الإسلاميين في الخارطة الاستراتيجية، وأثرهم في صناعة مستقبلها أو التأثير على اتجاهها، كما يندرج ضمنها أيضا استشراف أثر الإسلاميين في النظم السياسية وفي قواعد البيئة السياسية، وأثر هذه النظم وهذه القواعد في التحولات الممكنة في مواقف وسلوك الإسلاميين.

ولأن مركز نماء للبحوث والدراسات جعل الهم العلمي هدفا له، فقد حرص من خلال تبنيه لمشروع دراسات الحالة الإسلامية إعطاء مسافة عن التنظيمات الحركية والسياسية، والتعامل معها بمنظار بحثي موضوعي غير متحيز، يحاول أن يعتمد الأدوات النظرية والمنهجية التي توفرها العلوم الاجتماعية وعلوم السياسة المقارنة، ويستثمر إمكاناتها التفسيرية للمساهمة في تطوير المعرفة العلمية بهذا الحقل من الدراسة.



داعش والجماعات القتالية

مجموعة من ال...



لماذا هذا الكتـاب ؟



لأن الصعود السريع والمفاجيء لتنظيم الدولة الإسلامية، ووحشيته المفرطة، وخطابه الإعلامي التخويفي المعتمد على عمق تأثير الصورة، كلها كانت عوامل قفزت بظاهرة هذا التنظيم إلى أعلى درجات الاهتمامات البحثية والفكرية والشرعية والأمنية، وزادت درجات التعقيد والتركيب المصاحب لبنيته وتفاصيله واستراتيجياته وأصول أفراده، مما جعل الأمر في حاجة ملحة ومستمرة للتحليل المنهجي الدقيق والمتخصص ثم متداخل الاختصاصات، مع التنبه لسيولة في الأحداث والأخبار والمعلومات تتطلب قدرًا من الحس البحثي الدقيق لتصفيتها وتمييزها والاستفادة من تصنيفها.



دراسات في الحالة الإسلامية (٩)

حرص مركز نماء في هذا الإصدار على جمع جملة من الأوراق البحثية المهمة، على مستوى الأدوات والإجراءات والمنهجيات، والتي تسعى لتفكيك مفردات ظاهرة تنظيم الدولة والجماعات القتالية الأخرى، نشأة واستمدادًا ومرجعية وممارسة، تفكيكا فاحصًا رصديًا بدرجة كبيرة، وبالتالي فتح الآفاق التحليلية للظاهرة.

وحرصًا من مركز نماء على المساهمة بشكل فعال ومؤثر في مسارات البحوث والدراسات والترجمات المتعلقة بملف العنف والتيارات القتالية؛ فقد حرص على تجويد انتقاء الأوراق والبحوث المتضمنة في الكتاب، متنوعة بين الدراسات العربية المعمقة والتاريخية، والتي بشكل كبير تبحث في الظاهرة مرتبطة بصلاتها بالفكر الإسلامي القديم والمعاصر، إذ ثمة استمدادات وتطورات عقدية وفقهية وسوسيولوجية ارتبطت بتطور واقع العنف الإسلامي المعاصر. كما خصص محور للدراسات الغربية المهمة التي عنيت بظاهرة صعود تنظيم الدولة الإسلامية، وتناولتها بشكل جيد ومفيد لإكمال تصور أقرب للحقيقي لواقع التنظيم وتطورات الحالة الجهادية الراهنة.

الثمن: ٢١ دولار
أو ما يعادلها
ISBN 9786144318171





info@nama-center.com

مركز نماء للبحوث والدراسات

مركز بحثي، يُعنى بتنمية العقل الشرعي والفكري، وتطوير خطابه وأدواته المعرفية بما يُمكّنه من حُسن التعامل مع تراثه الإسلامي، والانفتاح الواعي على المعارف والتجارب العالمية المعاصرة.

ويسعى إلى بناء خطاب إسلامي معتدل، متصل بحركة التنمية، حسن الفهم لمحكمات الشريعة، قوي الانتماء لها، قادر على الإقناع بها، ويمتلك في المساحات الاجتهادية: المرونة والمهارة والآداب الكافية، خطاب حسن الفهم للأطروحات الفكرية المعاصرة، قادر على فهمها وفحصها ونقدها.

ويُشارك المركز في صناعة القيادات الشرعية والفكرية التي تمتلك إلى جانب رصيدها الشرعي؛ أدوات المعرفة المعاصرة، ومهارات التواصل التي تُمكنها من القدرة على إيصال رسالتها على أكمل وجه ممكن.

يستهدف الباحثين وطلبة الدراسات العليا، والنخب والشباب المثقف وصناع القرار في المجال الشرعي والفكري.

يشتغل لتوصيل رسالته عبر إصدار البحوث والدراسات، والنشر الإلكتروني، وإقامة الندوات وحلقات النقاش، والتدريب، والاستشارات، والبرامج الإعلامية والإعلام الجديد.

داعش

والجماعات القتالية

دراسات عربية وغربية



دراسات في الحالة الإسلامية (٩)

داعش
والجماعات القتالية

دراسات عربية وغربية

مجموعة من الباحثين



مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies



داعش والجماعات القتالية
(دراسات عربية وغربية)
مجموعة من الباحثين

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٦م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز نماء».

مركز نماء للبحوث والدراسات
Nama Center for Research and Studies

بيروت - لبنان
هاتف: ٩٦١٧١٢٤٧٩٤٧

المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٩٦٦٥٤٥٠٣٣٣٧٦
فاكس: ٩٦٦١٤٧٠٩١٨٩
ص.ب: ٢٣٠٨٢٥ الرياض ١١٣٢١

E-mail: info@nama-center.com

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز نماء للبحوث والدراسات

مجموعة مؤلفين
داعش والجماعات القتالية (دراسات عربية وغربية)، مجموعة مؤلفين
٨٩٦ ص، (دراسات في الحالة الإسلامية؛ ٩)
٢٤×١٧ سم
١. الحركات الإسلامية. ٢. الجماعات القتالية. ٣. داعش. أ. العنوان. ب. السلسلة.

ISBN: 978-614-431-817-1

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الأنظمة المجرمة لم ينشئها أناس مجرمون، وإنما أناس متحمسون ومقتنعون بأنهم وجدوا الطريق الوحيد الذي يؤدي إلىٰ الجنة.

ميلان كونديرا



جدول الباحثين والمترجمين الذين تضمن الكتاب مساهماتهم

الباحثون العرب	الباحثون الغربيون	المترجمون
محمد توفيق	كول بونزل Cole Bunzel	فهد حسنين
نواف القديمي	جريم وورد Graeme Wood	هيثم سمير
هيثم سمير	جيسيكا لويس Jessica Lewis	خالد بن مهدي
طارق عثمان	كارلا حمود Carla E. Humud	أحمد شاكر
أحمد أبا زيد	كريستوفر بلانشارد Christopher M.Blanchard	هند مسعد
	ميري نيكيتين Mary Beth D. Nikitin	مروة سامي
	ريشارد باريت Richard Barrett	أحمد البهنسي
	محمد محمود ولد محمدو	
	براين مايكل جنكينز Brian Michael Jenkins	
	جوليا هارت Julia Harte	
	جيفري سميث R. Jeffrey Smith	
	يعقوب عميدرور	
	بورام شفايتسر وأنيف اورج	

يُحَوِّلُ النَّاسُ صِدْقَ الْفِكْرَةِ وَنُورَهَا، إِلَىٰ زَيْفِ الْأَيْدِيُولُوجيَا وَظَلَامِهَا

علي عزت بيجوفيتش



مُقَدِّمَة

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلىٰ عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، **ومن خرج علىٰ أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشىٰ من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**».

(١)

مثلتْ حقبةُ تمدد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) تحوُّلًا حادًّا في مسار التغيُّرات التي تعتمل في المنطقة العربية منذ موجات الربيع العربي، وصولًا إلىٰ انتكاس الأحلام التي عاشتها شعوب طمحت يومًا ما للتغيير، ولأنَّ الأمر لم يستتبْ بعد، ولازالت منطقة الشام تلتهب وتُلهب ما حولها، في أقسىٰ صورة لمأساة بشرية وحشية نعيشها في الراهن؛ فلم يزل سؤال التغيير هو السؤال المركزي في أفق العقل العربي الراهن، وباتت أجوبته تنحصر وتتضايق قسرًا في عقول الطبقات الشبابية الفاعلة في المنطقة نحو اختيار العنف المقابل لعنف النظم الشمولية السلطوية، والتي بدورها تتفنن في تضييق آفاق التغيير لوأدها في المهد؛ إذ تمثل هذه المعادلة عنصر الجذب الأساسي لتيارات العنف المسلح في الإقليم، بل قد تكون هي المُلهمة لاختيار النموذج القتالي في صورته التسويقية دونما ارتباط مركزي بالتنظيم الأم، وبذلك يكون النموذج القتالي قد تجاوز عقبة كؤود في سبيل العولمة المثالية للمشروع الجهادي في المنطقة، ونقل ديناميكيات الأفكار التطبيقية خارج سياج العقبات التنظيمية = سياسات السوق الجهادي المفتوح!!

ممارسات وسياسات داعش التي يتم انتقاؤها وتصديرها إعلاميًا من قبل جهاز

إعلامي متطور أنشأته داعش= أضافت لعنصر انغلاق آفاق التغيير السياسي والسلمي، عنصرًا آخر يعد من أعظم عناصر الجذب لها، وهو دغدغتها لحلم الخلافة، فالشاب الإسلامي الذي يحيط به وحل الهزيمة والاستضعاف صار يسمع عن انتصارات ونكايات، ويرىٰ لحية تعلوها عمامة سوداء تتكلم باسم أمير المؤمنين، وتطبع دينارًا ذهبيًا، وتريه صورًا لصكوك جمع الزكاة، وتقيم من الحدود وتفاصيل العقوبات ما يتخطىٰ حتىٰ سقف طموحاته القديمة في إقامة الشريعة.

(٢)

ولأنَّ العالم الغربي يمارس بشكل نموذجي عمليات الفحص والتحليل الدقيق لكل ظاهرة علمية؛ طبيعية وإنسانية، ولا يدع في الغالب شاردة ولا واردة دونما دراسة؛ فقد انشغلت مراكز الأبحاث والتفكير الغربية بصعود منحنىٰ العنف في منطقة الشرق الأوسط، خاصة فيما يتعلق بتنظيم الدولة الإسلامية= فقد وجب تتبع معالم رؤية المؤسسات البحثية الغربية لهذه الظاهرة، ومحاولة تقديم نماذج من الدراسات البحثية الغربية حولها، بالإضافة لتقديم نماذج من دراسات عربية أخرىٰ تحاول قراءة الظاهرة والتعامل معها من منطلقات مختلفة، وهذا هو ما نقدمه في هذا الكتاب.

وقد اعتبرنا أن من المهم عند النظر في الحالة الجهادية أن نستقصي مراحل التطور والتغير التي تطرأ عليها، بدءًا من منابع نشأة الظاهرة القتالية، ورؤيتها التغييرية للواقع العربي والإسلامي، وكذا أدواتها وآلياتها ومساحات تمددها العددي والديموغرافي، والتي يمكن اعتبار أولىٰ مراحلها المكتملة هي مرحلة المجاهدين العرب في أفغانستان والصورة النهائية التي اكتملت لهم وتمثلت في تنظيم قاعدة الجهاد، حيث كان اجتماع جهاديي مصر، ومن أبرزهم أيمن الظواهري، بأسامة بن لادن؛ وكانت أشد ثمرات هذا الاندماج وهذا التنظيم هي تفجير برجي مركز التجارة العالمي بنيويورك في (١١ سبتمبر ٢٠٠١م)، وأُعقِبت هذه المرحلة بمرحلة أشد عنفًا؛ وهي مرحلة القتال العراقي بعد الاحتلال الأمريكي، حيث برز اسم أبي مصعب الزرقاوي، وهو الاسم

الذي يبتدئ مسارًا طويلًا قادنا لبروز داعش ويمكن اعتباره بضرب من التجوز الأب المؤسس لها، رغم أنه ظل علىٰ ارتباط رسمي بالقاعدة حتىٰ وفاته، مهما شاب هذا الارتباط من مد وجزر.

ثم كانت المرحلة الأحدث والأكثر دموية وعنفًا وراديكالية من النُسخ الجهادية/ القتالية المعاصرة متمثلة في بزوغ نموذج داعش، حيث اتخذ التنظيم الجديد منتهىٰ صور العنف والترويع والتخويف، موسعًا مساحات سيطرته علىٰ الأرض، وكان للعاملين المتشابكين: عسكرة الثورة السورية وتجذر التمييز الطائفي/ الصراع الشيعي السني في العراق= أكبر أثر في تدشين اللحظة التاريخية التي اتسم التنظيم فيها بروح الحياة والتمدد.

والحقيقة إنَّ الصعود السريع والمفاجئ لتنظيم الدولة الإسلامية، ووحشيته المفرطة، وخطابه الإعلامي التخويفي المعتمد علىٰ عمق تأثير الصورة = كلها كانت عوامل قفزت بظاهرة هذا التنظيم إلىٰ أعلىٰ درجات الاهتمامات البحثية والفكرية والشرعية والأمنية، وزادت درجات التعقيد والتركيب المصاحب لبنيته وتفاصيله واستراتيجياته وأصول أفراده، ممَّا جعل الأمر في حاجة مُلحَّة ومستمرة للتحليل المنهجي الدقيق والمتخصص، ثم متداخل الاختصاصات، مع التنبُّه لسيولة في الأحداث والأخبار والمعلومات تتطلب قدرًا من الحس البحثي الدقيق؛ لتصفيتها وتمييزها والاستفادة من تصنيفها.

نتناول في كتابنا هذا جملة من الأوراق البحثية المهمة، علىٰ مستوىٰ الأدوات والإجراءات والمنهجيات، تسعىٰ لتفكيك مفردات ظاهرة تنظيم الدولة، نشأة واستمدادًا ومرجعية وممارسة، تفكيكًا فاحصًا رصديًّا بدرجة كبيرة، لا ينشغل بطرح تخرصات تحليلية غير منهجية، بل يطرح القدر الكافي من إتاحة المعلومات الدقيقة نسبيًّا، مع حسن ترتيب وتقسيم وتسكين لتلك المعلومات، وبالتالي؛ فتح الآفاق التحليلية في خطوات تالية.

وحرصًا من مركز نماء علىٰ المساهمة بشكل فعَّال ومؤثر في مسارات البحوث والدراسات والترجمات المتعلقة بملف العنف والتيارات القتالية؛ فقد حرص علىٰ تجويد انتقاء الأوراق والبحوث المتضمنة في الكتاب، وتنويعها بين الدراسات العربية

المعمقة والتاريخية، والتي تركز بشكل كبير علىٰ قراءة الظاهرة في سياق ارتباطها بتراثها القديم والمعاصر؛ إذ ثمة استمدادات وتطورات عقدية وفقهية وسوسيولوجية ارتبطت بتطور واقع التيار القتالي الإسلامي المعاصر. كما خصص المركز محورًا لترجمة الدراسات الغربية المهمة التي عنيت بظاهرة صعود تنظيم الدولة الإسلامية، وتناولتها بشكل جيد ومفيد؛ لإكمال تصور أقرب للحقيقي لواقع التنظيم وتطورات الحالة الجهادية الراهنة.

(٣)

في محور الدراسات العربية؛ تأتينا دراسة الباحث محمد توفيق، والمعنونة بـ«**الْجَمَاعَاتُ الْقِتَالِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ: الْأَفْكَارُ، الرُّمُوزُ، الْمَرْجِعِيَّاتُ، وَالْمُرْتَكَزَاتُ**»، والتي سعىٰ من خلالها الباحث لتقديم موجز تاريخي مكثف للتيارات القتالية، يشتمل علىٰ تأريخات النشأة وسياقاتها، وعوامل تطورها وانتكاسها، وأسباب عنفها، والنخب المحركة لأتباعها، ونوعية مناهج التدريس التي تتداول في محاضنها التربوية؛ إذ كل ذلك يُمثِّلُ خطوة منهجية أولية وأصيلة في تصحيح مسار البحث في شأن هذه الجماعات.

انشغل الباحث في دراسته بتجويد رسم البنية والمسار التاريخي لهذه الجماعات، فسعىٰ لبيان لحظة تشكُّل بذور الفكر العنيف داخل الواقع العربي والإسلامي، ثم عرض عرضًا كرونولوجيًّا لتاريخ الجماعات والتنظيمات القتالية المختلفة، خاصة تلك التي تأسست في مصر، مع بيان أهم رموزها وأدبياتها. وختم هذا العرض التاريخي بمساحة وافرة نسبيًّا لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، موضحًا أبنيتها التنظيمية، ومسار نشأتها المنبثق من رحم القاعدة، بالإضافة لإشارات إلىٰ سبل التمويل ومساحات السيطرة والتواجد.

ونظرًا لمركزية دور الحركة الإسلامية في مصر وفاعليتها في العالم الإسلامي ككل، فقد عرَّج البحث بعد ذلك لتسليط الضوء علىٰ ديموغرافيا التنظيمات القتالية في

مصر، خاصة في مرحلة التأسيس للعنف المجتمعي في أعقاب صعود الإخوان للحكم، وكذلك حضور قطاعات من الجهاديين السابقين في المشهد السياسي الديمقراطي.

ومن خلال بيان تحليلي؛ عرض الباحث للمرجعيات التي تستمد منها التيارات القتالية ومُنظِّرُوها مصادر تشكيل استراتيجياتها وأدبياتها العنيفة، وذلك من خلال الاعتماد علىٰ معيارين أساسيين؛ الأول هو معيار كثافة العزو للفتاوىٰ أو المذاهب أو الشخصيات، والثاني هو معيار انتقائية الارتكاز من ذات الحقل المعزو والمرتكز عليه، ومن خلال هذين المعيارين يمكن اعتبار أنماط المرجعيات التي تعتمدها التيارات القتالية متمثلة في أربعة أنماط أساسية:

الأول: التراث الفقهي التقليدي.

الثاني: الأدبيات الوهابية.

الثالث: تراث شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم.

رابعًا: بعض فتاوىٰ المعاصرين.

ثم مرَّ الباحث بشكل مختصر علىٰ أهم رموز التنظير لتيارات العنف المعاصر، مع بيان مختصر لأهم القضايا المركزية التي تشغلها.

وقد ختم الباحث دراسته ببيان الفروق والتمايزات الأساسية بين ثلاث نسخ مختلفة ومتباينة للمشورع الجهادي/ القتالي المعاصر، تنظيم القاعدة، وتنظيم الدولة الإسلامية، وجماعة أحرار الشام، ولأنَّ الباحث يرىٰ أنَّ الثورة السورية مثَّلت بنسختها المسلحة مرحلة تاريخية مهمة في تاريخ تحولات ديموغرافيا فكر وممارسة التيار الجهادي المعاصر؛ فقد ركز النظر في تحديد الفروق والتمايزات بين النسخ الثلاث علىٰ الأمور المركزية التي تمايز بينها بنيويًّا ونسقيًّا، والتي بحثها علىٰ النحو التالي:

* طبيعة الصراع في العقل القتالي = عالمي أم محلي؟
* درجات المفاصلة مع الآخر وأثره في بنية المشروع التغييري.
* النزعة الاحتكارية والميل لحيازة القيادة والزعامة.

* مصادر التمويل.
* بنية التنظيم وطبيعة أفراده.
* استراتيجيات القتال.

تأتينا بعد ذلك ورقتان للباحث نواف القديمي، بعنوان: «**كيف تشكَّلت داعش؟ سؤالٌ كبير**»، و«**عودةٌ لسؤال: من يقف خلف داعش؟**»، والورقتان تتعلقان بالحفر حول مكامن نشأة التنظيم، ودواعي تمدده وحضوره التاريخي، ثم عوامل توسعه وتنامي قدراته غير المفهوم.

وقام القديمي باختبار فرضيات متعددة شائعة تتعلق بتفسير نشأة التنظيم واكتسابه لسماته الحالية، فبحث في أوجه اعتبار الاختراقات المخابراتية، وكذا تحولات البعثيين واختبائهم تحت عباءته. كما طرح نموذجًا تفسيريًّا ثلاثي المصالح؛ المصلحة الإيرانية، ومصلحة النظام السوري، ومصلحة التنظيم الغامض، وهو ما ساعده في إنتاج جواب حول مستقبل التنظيم في المنطقة، وهنا يرىٰ القديمي أنَّ الساحة العراقية تبدو أكثر وضوحًا فيما يخص مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية، فبمجرد أن تنجح الضغوط الدولية والإقليمية، المتزامنة مع شعور القوىٰ السياسية المحلية باقتراب الخطر، في تكوين نظام سياسي تُشارك فيها جميع المكونات العراقية، ولا يشعر فيه السُّنَّة بالتهميش، ويُعيد التحالف مع العشائر السُّنية، وهو ما تنتظر الولايات المتحدة إنجازه = حتىٰ تبدأ بعده بتنفيذ ضربات جوية مكثفة لمواقع ومعسكرات تنظيم الدولة الإسلامية، بالتوازي مع تحرك قوات الحكومة العراقية ومقاتلي العشائر علىٰ الأرض. في مشهدٍ ربما لا يختلف كثيرًا عما جرىٰ في العراق (عام ٢٠٠٦م). عندها سيضطر تنظيم الدولة الإسلامية إلىٰ التراجع، وسيخرج من المدن الكبرىٰ، عائدًا إلىٰ الهوامش والصحاري الخارجة عن السيطرة.

في المقابل، يبدو مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا أكثر تعقيدًا، ومحاطًا بهالة من الغموض الكثيف، بسبب تشابك الحالة السورية، وعدم وجود طرف سياسي لا النظام، ولا الفصائل الجهادية يُمكن للقوىٰ الدولية تسليحه والتحالف معه، من ثَم توجيه ضربات جوية مكثفة متزامنة مع التقدم الميداني للقوات المحلية (بطريقة تُشبه ما حصل في مواجهة النظام الليبي، ونظام طالبان بأفغانستان)، لذا؛ يبدو أنَّ عمْر وتمدد

تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا سيكون أكثر طُولًا ممَّا هو في العراق، وتقلص جغرافيته مرهونٌ بوجود قوات عسكرية كبيرة علىٰ الأرض، يمكن التحالف معها دوليًّا. وحتىٰ ذلك الحين، لا يبدو أن تنظيم الدولة الإسلامية -الذي يحسب خطواته جيدًا- سيُقدم علىٰ مغامرة اجتياح الحدود السعودية أو الأردنية، وإن فعل؛ فلن يعدو الأمر مجرد مناوشات تحمل رسائل سياسية، ولا تهدف للسيطرة علىٰ مناطق داخل حدود هاتين الدولتين.

لكن الباحث يرىٰ أنَّ القضاء الكامل علىٰ تنظيم الدولة الإسلامية يبدو أنه سيكون أمرًا متعذرًا في المدىٰ المنظور، فكل ما تستطيعه القوىٰ الإقليمية والدولية، في حال توافرت الظروف المناسبة، هو الحد من تمدده، ودفعه للتراجع، ونزع سيطرته علىٰ المدن الكبرىٰ.

تأتي بعد ذلك ورقة الباحث هيثم سمير المعنونة بـ«**داعش: قراءة تحليلية للخطاب**»، استهلها سمير بعرض تاريخي موجز للجماعات والتيارات القتالية المعاصرة، ثم اشتغل بعد ذلك بتفكيك وتحليل بنىٰ خطاب تنظيم داعش، من حيث المضمون الدعائي الإعلامي، وجودة التصوير، والانتقائية في اختيار عناوين الإصدارات، والقدرات الإخراجية المؤثرة والفاعلة في عمليات التعبئة والتجنيد والحشد. كما أفرد البحث مساحة لتأثير «**مجلة دابق**» التي تصدر باللغة الإنجليزية، وبين الغرض من هذا الإصدار بصورته تلك. كما لم يفُتِ البحث بيان أهمية وأثر الفضاء الاجتماعي في التسويق الدعائي، وتوصيل رسائل التجنيد، وبعث رسائل التخويف والترهيب، حيث تبيَّن له القدرات الكبيرة لمعرفات التابعين للتنظيم علىٰ تويتر وفيسبوك علىٰ الانتشار والدعاية.

ثم تأتي ورقة الباحث طارق عثمان الموسومة بـ«**مُفارقات داعش، أو تشخيص لخيبات أمل سياسية**»، والتي عرض فيها عثمان لجملةِ مفارقات داعش المتعلقة بسياق ظهورها في زمن الربيع العربي، وبطبيعة كُنهِها السياسي، وبإرباكه لسياسات الدول الإقليمية والولايات المتحدة، فطارق يرىٰ أن داعش مثلت، كونها فاعلًا من غير الدول، تحديًّا حقيقيًّا للدولتين التي تنشط في إطارهما الجغرافي، العراق وسوريا؛ ففي العراق تسببت في الإطاحة بحكومة المالكي ومجيء حكومة جديدة، وسوغت

التدخل الخارجي في العراق مرة ثانية، وفي سوريا أثرت سلبًا علىٰ مسار الثورة السورية؛ إذ دعمت موقف الأسد الذي لم يكل عن ترويج روايته الخاصة عن الثورة السورية بوصفها تخريبًا يتزعمه متطرفون ظلاميون ومأجورون.

كذلك يرىٰ طارق أنَّ داعش قد أربكت طبيعة السياسات الخارجية لباقي الدول الفاعلة في الإقليم؛ فها هي الولايات المتحدة تجد نفسها في نهاية المطاف ترسخ بعملياتها العسكرية ضد داعش أقدام الأسد مزيدًا في سوريا، ومن ثَمَّ تزيد من نفوذ إيران في المنطقة بطريقة أو بأخرىٰ، وقد تجد نفسها مضطرة لعقد صفقات سياسية مع الملالي في طهران، وكأن واقع الحال إذن أن واشنطن تقف مع طهران والأسد في الخندق نفسه.

أيضًا علاقة واشنطن بأنقرة معرضة للتوتر بسبب تباطؤ الأخيرة في الانضمام للتحالف ضد داعش بصورة جذرية، حيث إنَّ أنقرة لا ترىٰ في عملياته ضد داعش وحدها دونما استراتيجية شاملة تتضمن الإطاحة بالأسد، جدوىٰ حقيقية.

مفارقات داعش التي عرضها الباحث في ورقته هذه؛ تعبير عن خيبات أمل معممة، بتعبير عثمان؛ إذ إنَّ دول الخليج بعد ثلاثة أعوام من الاستثمار في المعارضة السورية، جاءت داعش لتقضي علىٰ آمالها دفعة واحدة، وتركيا لا ترىٰ أي ضوء في آخر النفق يبشرها بقرب رحيل الأسد، والولايات المتحدة انجرت لتدخل عسكري في المنطقة مرة ثانية، وهي التي كانت عازمة علىٰ عدم التورط فيه أبدًا. والحال كما تصفه الورقة، أنَّ خيبة الأمل الأشد وطأة والتي عبر عنها بزوغ داعش، هي خيبة الأمل في الربيع العربي، كحركة تحررية كان يرجىٰ منها أن تغير وجه المنطقة العربية إلىٰ الأبد.

في الورقة الأخيرة والتي هي بعنوان: «**سياسةُ الدِّينِ المُخبَّأ: كيفَ فشلَ الإسلاميون السُّوريُّون في حربِ الأفكارِ؟**»، للباحث أحمد أبا زيد.

يرصد الباحث بشكل معمق إشكالية حضور الدين في بعده الأيديولوجي كمحدد هوياتي مركزي في الصراع السوري، تسبب في حضوره بهذا الشكل طرفان؛ نظام الأسد الذي اعتمد على سلاح التطييف، والإسلاميون، وبالأخص منهم التيار السلفي الجهادي، الذي اعتمدوا تصدير المسألة الهوياتية كوقود تشغيلي للمعركة. ومع توسع

الثورة المسلحة ميدانيا وأيديولوجيا، يشير أبا زيد إلى ظهور فصائل انفصلت عن الطابع الشعبي للصراع، وذات منحى سلفي وجهادي، فضلًا عن الفصائل السلفية الجهادية، وتزايد الطلب على الأيديولوجية والخطابات الأكثر تصلُّبًا وعولمة وإقصائية، ما تتوَّج بظهور تنظيم داعش، وهيمنته لا على مناطق شاسعة من أراضي سيطرة الثوار فحسب، وإنَّما على سوق الخطابات والمزايدات التي أثرت على شعبية وشرعية الفصائل الأخرى لدى عدد كبير من العناصر الذين خضعوا لهيمنة الخطاب الأقصى، ولم يقدم هؤلاء الإسلاميون الجدد -الذين مثَّلتهم الفصائل التي حاولت تقديم نفسها كصاحبة مشروع سياسي وفكري لا محض عسكري أو شعبي- موقفًا حاسمًا وجذريًّا من تنظيم داعش لا نظريًّا ولا عمليًّا، خوفًا من ظهور هذا الموقف كـ(تنازل) وشرعية أقل في نظر عناصرهم، وبسبب عدم تلبيتهم للشرط الأول المطلوب للتوسع والظهور كنخب سياسية وفكرية لا كمحض حالة شعبية حاولوا التعالي عليها وفكَّكوها، وهو امتلاك خطاب وأيديولوجيا متماسكة ومتمايزة قادرة على المنافسة، وتشكيل حاضن لاختلافات الثوار والإسلاميين لتمثيلهم كمشروع وهوية.

يرى أبا زيد أن ما أسماه بـ«سياسة الدين المخبأ» ساهمت بشكل كبير إلى خسارة الثورة السُّوريَّة القسم الأكبر من المناطق التي سيطر عليها الثوار المحليون قبل دخول المزايدات والتقسيمات والثنائيات (السلفية الجهادية) عليها، وإلى خسارة قسم كبير لا من الحواضن الشعبية فقط، وإنما من المقاتلين والفاعلين في الحراك الثوري نفسه، إما قتلًا أو إعاقةً أو انشقاقًا أو انسحابًا لاعتزال (الفتنة)، أو للفشل في إدارة الصراع، وعدم توفير خطاب ومشروع إسلامي ثوري مركزي يحقق التجانس للمجال الثوري العام وحاضن قادر على التعبئة في مقابل مشاريع الدولة والإمارة والمصالحة والانفصال والاحتلال.

(٤)

أما في **محور الدراسات الغربية**؛ فتأتينا الورقة الأولىٰ في هذا الملف للباحث كول بونزل بعنوان: «**أيديولوجية الدولة الإسلامية: من مجرد دولة افتراضية إلىٰ الجهر بالخلافة**»[١]، وهي ضمن مشروع مركز بروكينجز عن علاقات الولايات المتحدة مع العالم الإسلامي. تدور هذه الورقة حول جملة من المكونات الفكرية والتاريخية للتنظيم، حيث استهل بونزل ورقته بمحاولة رسم حدود وروافد معتقدات التنظيم، وذلك ببيان الروافد المساهمة في تشكل مجمل فكر التنظيم -من وجهة نظره-؛ إذ يرىٰ أنَّ الرافد القطبي القادم من الإخوان المسلمين، ونمط التدين السلفي الوهابي، بالإضافة لفضل الحالة الجهادية الأولىٰ في مصر المتمثلة في جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية، كل ذلك ساهم بشكل أو بآخر في إنتاج هذا الفكر، ومن ثَمَّ تشكل الوعي والإطار الاعتقادي لقيادات وقواعد التنظيم، ثم انتقل بونزل ليرصد مراحل تطور التنظيم بتتبع حقيقة تلقي أبي مصعب الزرقاوي استمداده الفكري من أبي محمد المقدسي، ثم فترة النضوج الحركي بلقاء أسامة بن لادن، مع بقاء الرافد السلفي الوهابي كمكون رئيس في تكوينه التديني.

تتبع بعد ذلك الباحث نشأة فرع تنظيم القاعدة العراقي بقيادة الزرقاوي، إلَّا أنَّه تنبه لنقطة التمايز الفكري بين التنظيم الفرعي والتنظيم الأم؛ إذ إنَّه ثمة خلافًا في استراتيجية المواجهة مع الشيعة في العراق كونها معجلة أم مؤجلة، وهو ما خالف فيه الزرقاوي الظواهري بشكل كبير، وكان بمثابة إرهاصات الانفصال الأولىٰ.

ومن خلال سرد تتابعي مكثف؛ يتتبع الباحث مراحل تشكل تنظيم الدولة الإسلامية منذ تأسيس مجلس شورىٰ المجاهدين في (يناير ٢٠٠٦م)، ثم إعلان إمارة العراق الإسلامية ووفاة الزرقاوي، ثم حقبة ما أسماها «الدولة الافتراضية» منذ (٢٠٠٦م)

---

(١) *"From Paper State to Caliphate: The Ideology of the Islamic State", By Cole Bunzel, The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, ANALYSIS PAPER, No. 19, March 2015.*

وحتىٰ (٢٠١٣م)، وهي الفترة التي تضمنت مراحل عدة قبيل تبلور مشروع الخلافة وتدشين نواته في (نوفمبر ٢٠٠٦م)، وفي أعقاب إعلان الدولة الإسلامية في العراق في (أكتوبر ٢٠٠٦م)، تتابعت حالة من الصخب والجدال في أوساط الجهاديين حول شرعية تأسيس الدولة الإسلامية، خاصة وأن قيادات القاعدة لم تستشر في ذلك، وهو ما تعاملت به قياداته بمناورة تكتيكية حتىٰ لا تخسر الزعامة الرمزية للتيار الجهادي؛ فأبدت موافقة مبدأية للفكرة ولم تعارضها بشكل كبير. كما رصد الباحث عوامل أفول هذه الدولة خلال الحقبة التي أسماها افتراضية، بينما برزت من خلال رصده إشارات بزوغه الأبرز باشتعال الثورة السورية وإرسال قائد التنظيم أبي بكر البغدادي لأبي محمد الجولاني في (يناير ٢٠١٢م) لسوريا بما سمي «جبهة النصرة»، وهي الخطوة الأولىٰ والأبرز لتمدد وإحياء تنظيم الدولة مجددًا، ثم كانت اللحظة الأبرز في القطيعة بين تنظيم الدولة وتنظيم القاعدة باتساع هوة الخلاف بين تنظيم العراق وجبهة النصرة وهو الذي تبلور في صورة طلاق بائن بين داعش والقاعدة في (فبراير ٢٠١٤م)، وحسم بإعلان الخلافة في (يونيو ٢٠١٤م).

تميزت الورقة بميزة منهجية رئيسة، وهي اعتمادها علىٰ مصادر وبيانات تنظيم الدولة ذاتها، وهي ميزة مهمة كأحد أهم مرتكزات البحث العلمي الجيد.

الورقة الثانية كانت مقالًا تحليليًا بعنوان: «**ماذا تريد داعش حقًا؟**»، للباحث جريم وورد[١]، وهي أقرب لمقالات الرأي منها إلىٰ الأوراق العلمية الأكاديمية؛ إذ إنَّها تتسم بعدم الترابط المعلوماتي، ولا التقسيم المنهجي المفضي للنتائج، كما أنها تخلو تمامًا من العزو لمصادر المعلومات أو الأخبار، بالإضافة لنَفَسٍ تحاملي ضد الإسلام يتضح من خلال تعميمات الكاتب بشأن أصالة العنف في الإسلام والحديث عن بعض الشعائر بشكل غير دقيق أو علمي، **وقد حرصنا علىٰ ترجمتها؛ لأن الرأي الذي تحمله له تأثير كبير، وأنصار كثر في الدوائر السياسية الغربية.**

استهل الكاتب مقاله ببيان الخطأ الذي وقع فيه قطاع من المحللين والعسكريين الأمريكيين في تقييمهم لصعود تنظيم الدولة الإسلامية؛ إذ بدا له أن تسطيح الظاهرة

---

(١) "***What ISIS Really Wants?***", by Graeme Wood, March 2015 issue, The Atlantic.

والتهاون في تحليلها وفهمها أدىٰ لأخطاء استراتيجية فادحة في خطط التعامل مع هذا الخطر، خاصة فيما يتعلَّق بالفوارق الأساسية والمؤثرة بين الدولة الإسلامية والقاعدة، ثم أشار الكاتب بعد ذلك إلىٰ لحظة التأسيس الأساسي للتنظيم = من عند أبي مصعب الزرقاوي، ورصد تتلمذه عند أبي محمد المقدسي، كما رصد الميول التشديدية لديه ومخالفته لشيخه المقدسي من خلال رسالة المقدسي له التي حذره فيها من النزوع للتكفير والعنف خاصة ضد الشيعة.

راح الكاتب، عبر خمس نقاط غير مترابطة، يذكر جملة من خصائص التنظيم وفروقه عن تنظيم القاعدة، بدأها بالإخلاص، والذي يبدو أنه قصد به قدر القناعة الذاتية لدىٰ أفراد التنظيم بأفكار المواجهة والقتال والعنف، وهنا اعتبر الكاتب أن صور العنف والقتل الحالي هي بطبيعتها مستمدة من غزوات النبي محمد ﷺ، وبالتالي؛ فهؤلاء مخلصون للدين الحقيقي الطبيعي وليسوا مغالين أو محدثين.

وقد أسهب الكاتب في ذكر بعض الشعائر ومظاهر التدين التي اهتم بها التنظيم في مناطق سيطرته، خاصة تلك المتعلقة بالحدود والجزية والرق والجواري وغير ذلك، تدليلًا منه علىٰ التماهي التام بين التنظيم والإسلام حسب فرضيته. والكاتب اعتمد كثيرًا حسبما ذكر علىٰ تحليلات وأطروحات الأكاديمي برنارد هيكل التي تدعم هذا التفسير.

تميز المقال بعدد من اللقاءات التي أجراها الكاتب مع بعض الداعمين والمتعاطفين مع تنظيم الدولة، وأجرىٰ معهم حوارات تشير بشكل ما لطبيعة قواعد وجماهير التنظيم خارج نطاق سيطرته الحدودية، وهي أحد أهم عوامل الجذب والتأثير التي يعتمد عليها التنظيم في ضم عناصر وداعمين جدد له. ومن خلال هذه اللقاءات تبيَّن له تركيز البعض علىٰ قضيتي الخلافة والبيعة في فكر المتعاطفين مع التنظيم؛ إذ يمكن اعتبارها قضايا مركزية جاذبة للكثير من المولين قبلتهم للخلافة.

أشار الكاتب أيضًا لخصيصة أساسية لدىٰ التنظيم واستراتيجياته وهي التي يعتمدها كأسلوب لفرض رؤيته وواقعه، تتمثل هذه الخصيصة في «القتال» والمواجهة والعنف كإجابة علىٰ سؤال التغيير الذي بات مبهمًا في الواقع الإسلامي المعاصر، ولذا؛ فاختيار التنظيم لخيار القتل والذبح والحرق كخيار أساسي لفرض مطالبه

واستراتيجياته هي دليل على كونه اختار القتال والعنف كخصيصة ملازمة لآليات التغيير وفرض الواقع عنده، وهنا يشير الكاتب لخطوة إدخال المقدسي في التفاوض معهم لحل أزمة الأسرى الغربيين لديهم، والتي توجس منها الكاتب خشية حصول تصالح بين التيارين، وبالتالي؛ خسارة واقع الخلاف بين المقدسي ومُنظِّر التنظيم تركي البنعلي.

وفي سياق اعتبار القتال والردع كاختيارات أساسية للتنظيم؛ عرض الكاتب جملة من الحلول التي يمكن للإدارة الأمريكية انتهاجها لمواجهة خطر التنظيم عليها؛ إذ عرض توجهات اليمينيين التي تميل نحو المواجهة العسكرية التي يمكن أن تدفع بعناصر التنظيم وقياداته للفرار أو الاختفاء، ومن ثَمَّ تنكسر رمزية الخلافة، إلَّا أنَّ هذا التوجه يعيبه كما يبرز الكاتب الفشل المستمر الذي تعاني منه الخيارات العسكرية الأمريكية خاصة في أفغانستان والعراق، وارتفاع الكلفة البشرية في مقابل مصالح مظنونة قد لا تحسم الصراع مع التنظيم، وهو ما دعاه للميل للتوجه الثاني الداعي لخوض استراتيجية استنزاف للتنظيم وموارده، إلَّا أنه لم يسُق مزيدًا من التفاصيل حول هذا التوجه.

التقرير الثالث بعنوان «**الدولة الإسلامية: استراتيجية مضادة لدولة مضادة**»، للباحثة جيسيكا لويس[1]، وهو تقرير يسعى لاستكناه إجابة حول ما ينبغي فعله حيال الدولة الإسلامية في العراق والشام؛ إذ ترى الباحثة أنَّ هذه الأسئلة مهمة وجديرة بالتفكير، وقد جاءت في الوقت الذي تبدو فيه قوة داعش آخذة في التزايد.

ترى الباحثة أنَّ التنظيم يستلهم قوته من الظروف المعقدة التي تسبب، وبشكل مستقل، فشل كل من سياسات الدولة في العراق وسوريا، ومنها التشققات الطائفية والمدنية المحلية والسلطة المستبدة وعوامل الضغط الإقليمية الاستقطابية، وعليه؛ فإنَّها ترى أنَّ أية استراتيجية مضادة لهزيمة التنظيم تتطلب استراتيجية مختلفة للمحافظة على كل أغراض السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، والتي تأثرت بشدة بتمدد التنظيم وسيطرته على المدن الكبرى في العراق، وهو ما ينذر بتنامي خطره ليبلغ

(١) *"The Islamic State: A Counter-Strategy for a Counter-State", by Jessica D. Lewis, Institute for the Study of War, July 2014.*

تهديد المصالح الأمريكية في خارجها، وذلك بتصعيد العنف بين دول الشرق الأوسط التي كانت تقوم بحرب وكالة في سوريا لبضعة سنوات، وبالتالي؛ من الممكن أن تؤدي العمليات العسكرية لتنظيم الدولة بشكل تتابعي إلىٰ اندلاع صراع إقليمي أكثر اتساعًا.

ترصد الكاتبة ضغطًا متناميًّا في واشنطن للقيام برد علىٰ الأزمة التي احتوت المنطقة، وترىٰ أنه يجب علىٰ صانعي السياسة أن ينتقلوا إلىٰ ما وراء مرحلة التقييم ويبدؤوا في بناء استراتيجية شاملة، ويجب لهذا الجهد أن يبدأ بفحص دقيق لمصادر القوة والنوايا ومواطن الضعف في الخلافة الإسلامية التي أنتجتها داعش، حينها فقط يمكن الخروج باستراتيجية مضادة متماسكة، بمعنًىٰ أكثر وضوحًا = يجب علينا أن نفهم التهديد؛ لكي نستطيع التعامل معه.

يُقدِّم هذا التقرير تحليلًا استراتيجيًّا لمصادر القوة ونقاط الضعف لدىٰ داعش، كما يُكيِّف هذا التقرير أيضًا أطر العمل العسكري الموجودة بالفعل لدعم تطوير استراتيجيات أمن قومي جادة لمواجهة داعش، ولا يهدف هذا التقرير إلىٰ صياغة استراتيجية مضادة شاملة، لكنَّه يقدم بدلًا من ذلك طريقة لتصور مثل تلك الاستراتيجيات المضادة في ضوء كيفية قيام داعش بتكوين استراتيجيتها لتحقيق المكاسب العسكرية والسياسية.

تشتمل أطر العمل المدرجة في هذه الدراسة علىٰ تقييم لاستراتيجية داعش الكبرىٰ وأهدافها العسكرية في العراق وسوريا، وعلىٰ تحليل مركز جاذبية التنظيم؛ بغية التعرف علىٰ المصادر الرئيسة لقوة داعش، وقائمة ضوابط لفهم إمكانية الدمج بين الجهود الأساسية والجهود الفرعية؛ لتحقيق الهزيمة الاستراتيجية لداعش.

إن هذا التقرير يقرر أنَّ هزيمة داعش يجب أن تتعامل مع مركزين أساسيين للجاذبية، **الأول**: هو مركز جاذبية عسكري تقليدي تستخدمه داعش لانتزاع السيطرة المادية من الدول الحديثة والمحافظة علىٰ ما حصلت عليه.

والمركز الثاني للجاذبية لدىٰ داعش: هو قدرتها السياسية علىٰ القيام بوظائف الدولة داخل الأراضي التي تسيطر عليها داعش.

الورقة البحثية الرابعة المتناولة في ملفنا هذا بعنوان «**الصراع المسلح في سوريا**:

نظرة عامة وردة الفعل الأمريكي»[1]، اشترك فيها ثلاثة باحثين، ويرىٰ فيها الباحثون أن الصعود المدوي لتنظيم الدولة الإسلامية في (عام ٢٠١٤م) أعاد صياغة المناقشات القديمة حول سياسة الولايات المتحدة تجاه الصراع الذي بلغ من العمر ثلاث سنوات في سوريا؛ إذ إنَّ التنظيم يسيطر علىٰ مناطق واسعة في شمال شرق سوريا، ومستمر في الصدام مع قوات الأسد، وكذا الفصائل السورية المعارضة.

تشير الورقة إلىٰ أن الولايات المتحدة خصصت ما مجمُوعُه (٢٨٧ مليون دولار) حتىٰ الآن لتوفير الدعم والأسلحة غير الفتاكة لمجموعات مختارة من المعارضة، وقبل التقدمات التي أحرزها تنظيم الدولة الإسلامية في أواسط (٢٠١٤م) كانت الإدارة الأمريكية قد طلبت تمويلًا قدره (٢,٧٥ مليار دولار) للأزمة السورية للعام المالي (٢٠١٥م)، ويرىٰ الباحثون أنه لا يبدو أنَّ أيًّا من القوات المؤيدة لنظام الأسد أو خصومها قادرون علىٰ تحقيق نصر تام علىٰ المدىٰ القريب، غير أنَّ احتمال حدوث تدخل دولي لإضعاف قدرات الدولة الإسلامية يبدو مثيرًا للتساؤل بين عدة أطراف للصراع، لدرجة أنَّ حدوث تغيرات مثيرة في ديناميكيات ما ظل لزمن حرب استنزاف؛ سرعان ما قد يصبح أمرًا ممكنًا، حيث تسعىٰ بعض قوات المعارضة إلىٰ إظهار نفسها في صورة الحلفاء المحتملين للأطراف الخارجية المعارضة لكل من الدولة الإسلامية والحكومة السورية، بينما يرفض الآخرون فكرة التدخل الأجنبي صراحة، أو يطالبون بأن يركز الأجانب فقط علىٰ الإطاحة بالأسد. كما عبَّر المسؤولون السوريون عن استعدادهم المشروط للعمل كشركاء مع المجتمع الدولي في عمليات مكافحة الإرهاب في سوريا، وهو موقف يعكس رغبتهم في صنع صورة ودور لحكومة الأسد كحصن ضد التطرف الإسلامي السني.

بالنسبة إلىٰ الولايات المتحدة والآخرين الذين يدرسون خياراتهم لإضعاف الدولة الإسلامية؛ تثير هذه الظروف أسئلة حول أفضل كيفية للسعي لتحقيق أهداف مكافحة إرهاب وأمن إقليمي جديدة دون تقوية الحكومة السورية مقابل مجموعات المعارضة

---

(١) *"Armed Conflict in Syria: Overview and U.S. Response", Christopher M. Blanchard (Coordinator), Carla E. Humud, Mary Beth D. Nikitin, September 2014, Congressional Research Service.*

والمدنيين الذين فتكت بهم أثناء هذا الصراع، كما تنشأ أسئلة أخرىٰ فيما يتعلق بخيارات مواجهة الدولة الإسلامية دون تدعيم الجماعات الإسلامية الأخرىٰ المعادية للولايات المتحدة، وفي الوقت الحالي؛ تبقىٰ القوات المسلحة المضادة للأسد ونظراؤها من النشطاء منقسمين حول التكتيكات والاستراتيجية وأهدافهم السياسية طويلة المدىٰ، مع سعي بعض القوىٰ الإسلامية الفاعلة إلىٰ تحقيق نتائج مناقضة بصور كبيرة لتفضيلات الولايات المتحدة المعلنة فيما يتعلَّق بالمستقبل السياسي السوري، ويسعىٰ مجلس الأمن بالأمم المتحدة أيضًا إلىٰ الحصول علىٰ تعاون متواصل من الحكومة السورية مع الجهود المبذولة للتأكد من القضاء علىٰ برنامج الأسلحة الكيميائية السورية.

تقول الورقة: إنَّ الكونجرس الأمريكي يدرس حاليًّا طلبًا من الرئيس لسلطة تدريب وتجهيز للسوريين الذين تم فحصهم والموافقة عليهم تبعًا للقرار المستمر المعلق للتمويل (القرار المشترك ١٢٤)، كما صادقت لجان مجلس الشيوخ علىٰ تشريع مخصصات الدفاع والتصريح للعام المالي (٢٠١٥م) التي ستدعم أيضًا تسليح وتدريب قوات مختارة من المقاومة لأغراض محددة.

تأتي بعد ذلك ورقة خامسة بعنوان «**المقاتلون الأجانب في سوريا**» للباحث ريشارد باريت. طرح باريت هذه الورقة علىٰ خلفية تزايد القلق الدولي إزاء تدفق المقاتلين الأجانب إلىٰ سوريا والإجراءات التي يمكن اتخاذها حيال ذلك. يخلص باريت من خلال ورقته لجملة أمور من أبرزها:

خطر تَكَوُّن حاضنة في البيئة السورية لجيل جديد من الإرهابيين من جراء الصراع هناك؛ إذ إن أكثر من ١٢٠٠٠ من المقاتلين غير السوريين ذهبوا إلىٰ سوريا منذ بداية النزاع، يتوزعون علىٰ ٨١ جنسية، منهم ما يقرب من ٣٠٠٠ شخص من دول غربية.

ونتيجة لهذا الخطر؛ فإن تدفق المقاتلين للانضمام إلىٰ الجماعات المرتبطة بالقاعدة في سوريا يثير تساؤلات كثيرة حول فاعلية ما تم عمله لتقويض جاذبية «الإرهاب» منذ (٢٠٠١م)، ومدىٰ جودة فهم أسبابه بشكل عام.

يبحث باريت في تأثير وسائل الإعلام الاجتماعية علىٰ المقاتلين الأجانب في سوريا والأيديولوجيا المتطرفة، حيث يرىٰ أن وسائل التواصل الاجتماعية فعالة للغاية

في نشر الأيديولوجيا المتطرفة العنيفة، وتلعب دورًا مهمًّا في التجنيد وجهود جمع الأموال للجماعات القتالية، وقد أشار الكاتب لثلاث ملاحظات مهمة في الوعي بالفروق الممارساتية لهذه التيارات علىٰ مستوىٰ وسائل التواصل؛ فقيادة القاعدة والنصرة يميلون إلىٰ التحدث باللغة العربية في تويتر وفيس بوك، في حين تستخدم داعش لغات متعددة في تقديم خدماتهم الإرشادية لأتباعها. كما يختلف استخدام وسائل التواصل الاجتماعي باختلاف المناطق؛ فالجمهور المستهدف للشباب في الشام موجود بأغلبية ساحقة من خلال فيس بوك، بينما في الخليج غالبًا ما يتم التواصل من خلال تويتر. كما أن الجمهور المستهدف شبابي وذو حماسة، ولا يتحصل علىٰ الأخبار والمعلومات عن الحرب من المصادر التقليدية، بل غالبهم مرتبط بمواقع ومنتديات وبيئات خاصة، وهو الأمر الذي يجعلهم معزولين عن غالب المصادر الأخرىٰ.

ولذا؛ فإنَّ الكاتب يرىٰ أن صُنَّاع القرار في كثير من الأحيان يُقلِّلون من تأثير ما يحدث في هذه الدوائر المغلقة، ويُبالغون أيضًا في تقدير تأثيرهم الخاص.

ولذا؛ فإنّ ثمة قلقًا دوليًا كبيرًا حول ما يمكن أن يفعله هؤلاء الشباب، وبعض النساء، عندما يغادرون سوريا؟

يرىٰ الكاتب أنَّ ردود الفعل السياسية حتىٰ الآن ركزت بشكل أكبر علىٰ المنع والعقاب بدلًا من النصح بالعدول وإعادة الاندماج، ولأنَّ عدد العائدين في ازدياد، والموارد اللازمة لمراقبة أنشطتهم وصلت لحافة الانهيار = فإنَّ البحث في أسباب السفر لسوريا والعودة منها ينبغي أن يتم فحصه وتحليله بشكل أكثر عمقًا وتركيزًا، وهو ما حاول باريت تجليته من خلال الورقة.

في الدراسة السادسة الصادرة عن مؤسسة راند الأمريكية، كتب براين مايكل جنكيز ورقة بعنوان «**دِينَامِيكِيَّةُ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ السُّورِيَّةِ**»[١]، استهل براين الورقة بسرد جملة من الملاحظات المتعلقة ببنية وطبيعة ومستقبل الصراع في سوريا، حيث يذكر جملة من المعطيات التي تتعلق بنظام الأسد؛ تسليح قواته، ومساحات سيطرته، وعوامل

(١) "The Dynamics of Syria's Civil War", by Brian Michael Jenkins, September. RAND Corporation.

تفوقه علىٰ المعارضة، ومصادر إمداداته السياسية والعسكرية، وفيها ما يتعلق بالمعارضة المسلحة؛ قدراتها التسليحية، ومصادر تمويلها، وارتباط أكثرها بداعمين خارجيين، وعدم احتمال حصول تدخل غربي علىٰ المدىٰ القريب، بالإضافة للعامل الطائفي المتحكم بشكل كبير في صيرورة الصراع.

بدأ الكاتب في مستهل التقدمة للورقة بتفكيك بنية القوات الحكومية والميليشيات التابعة للأسد، حيث اعتمد من خلال مصادره البحثية والخاصة علىٰ تقرير حجم القوة العسكرية لقوات الأسد قبل بدء الثورة، ثم تتبع مسار المجموعات التابعة له، وحجم تأثيرها في المعادلة العنفية، وقدرات التعبئة والحشد والإمداد، كما أشار إلىٰ دور الدعم الخارجي، الإيراني والروسي بالتحديد، في بقاء النظام مستقرًا نسبيًّا حتىٰ هذه اللحظة، كما أشار سريعًا لحجم وقدرات ودور حزب الله اللبناني كذلك في دعم الأسد.

انتقل بعد ذلك براين إلىٰ بيان تفاصيل المعارضة المسلحة، حيث أوضح، بناءً علىٰ تواصله مع بعض المعنيين والمتخصصين، أعداد قوات المعارضة، وأسماء أبرزها، ونوعية تسليحهم وحشدهم وتعبئتهم، كما أوضح سبل تمويلهم، ومساحات سيطرتهم.

اعتمد براين في أجزاء من ورقته علىٰ حدسه الخاص المبني علىٰ معطيات ومعلومات حصلها من أكثر من جهة وفرد، وطرح جملة من التصورات والفرضيات التي أسس عليها لبناء تحليله. جادل براين كثيرًا في إثبات بعض أوجه القصور التي تنتاب المعارضة المسلحة، خاصة فيما يتعلق بالأسلحة النوعية وتفوق قوات الأسد فيها نسبيًا، وكذلك الاعتماد علىٰ التمويل الخارجي، وهو ما يجعل المعارضة دومًا رهن الفاعل الإقليمي والدولي، كما ركز براين علىٰ تمدد وتزايد نفوذ الإسلاميين الجهاديين، وهو ما يراه عامل تعقيد للحلول السياسية في الصراع.

سبر براين جل التصورات المحتملة للصراع، وعرض لإمكان التدخل الغربي، ولزوم نزع السلاح الكيميائي من يد النظام، كما لم يستبعد إمكانية وجود حل التقسيم الهوياتي الطائفي، بالإضافة لديمومة بقاء الصراع بارتباطاته الإقليمية والدولية، ويبدو من مسار الورقة أن الباحث يميل إلىٰ ترجيح كون الصراع أقرب للاستمرار لفترة قد

تطول، وعليها بنىٰ بعض المعطيات التي تتعلق بلزوم التعامل مع سوريا الآنية كونها أجزاءً لا كدولة واحدة، ومنها مشكلة تزايد أعداد اللاجئين بشكل كبير، وتجذر وجود الجماعات والكتائب المسلحة لمدىٰ طويل، ويرىٰ براين أن الحرب الأهلية السورية تقوم بطحن المؤسسات الوطنية للبلاد، وتهيِّئ الظروف لصراع محلي مستمرٍّ، كما أن الممارسات الوحشية لنظام الأسد لمواجهة المعارضة، وانتشار الانفلات الأمني الذي يأتي مع انهيار السلطة، وفرض حكم إسلامي قاسٍ في بعض المناطق الخاضعة لسيطرة المتمردين، تسبب كل ذلك في تشريد جزء كبير من السكان، وليس من الواضح إلىٰ الآن أيُّ طرفٍ في المنافسة سوف يكون قادرًا علىٰ توفير الحماية لأولئك الذين يرغبون في الهروب من النموذج المتطرف للحكم الإسلامي، ومن النظام الطائفي الوحشي، وبالنسبة إلى كثيرٍ من السُّوريين؛ فالهروب واللجوء إلىٰ دول أخرىٰ مهما كان الثمن هو الحل الأقل خسارة. بينما يرىٰ براين أن علىٰ العالم أن يفكر كيف سوف يتعامل مع النفايات السائلة للصراع السوري لسنوات قادمة؟

في المقال التحليلي السابع المعنون بـ«**من أين تأتي الدولة الإسلامية بأسلحتها؟**»[١]، يرصد الكاتبان بالأرقام الحجم التقريبي لعمليات الشراء والاستحواذ علىٰ الأسلحة والذخائر المصنعة في ٢١ بلدًا مختلفًا من قبل مقاتلي تنظيم الدولة، ومن ضمنها وأبرزها الصين وروسيا والولايات المتحدة؛ إذ تتنوع مصادر الحصول علىٰ الأسلحة والذخائر، وإن كان المشهور منها هي عمليات الغنم من المواجهات مع الجيشين العراقي والسوري؛ إلَّا أنَّ تقارير استخباراتية أخرىٰ ترصد التحصل عليها من ريع مبيعات النفط والمصادر الأخرىٰ، وهي كافية لتمويل شراء الأسلحة الإضافية مباشرة من الشركات والتجار المستفيدين بشكل روتيني من صراعات الشرق الأوسط. وأشار الكاتبان إلىٰ أنَّه تم جمع البيانات الحديثة من قِبل مجموعة مقرها لندن تُدعىٰ (Conflict Armament Research) تعمل منذ ثلاث سنوات، وترسل محققين إلىٰ مناطق النزاع لتحديد أنواع وأصول الأسلحة.

---

(١) *"Where does The Islamic State Get Its Weapons?", By Julia Harte and R. Jeffrey Smith, 6th of October 2014, The Foreign Policy.*

من خلال إجراءات قانونية وجهود استخباراتية رقابية صارمة تسعىٰ واشنطن لضبط مسار عمليات إمداد الجيش العراقي المتهالك بالأسلحة والذخيرة، وهو الأمر الذي حاول المقال رصده وتتبع مساره، بالإضافة لبيان فرص تنظيم الدولة في المناورة والسعي لبلوغ هذه الإمدادات.

وفي الورقة التي بعنوان: «**استخدام الذبح في الإسلام الأصولي**»، تتبع الباحثة ليزا ج. كامبل بدايات وتاريخ استخدام أسلوب قطع الرؤوس في التاريخ بشكل عام، وفي تاريخ المسلمين القديم والحديث بطبيعة الحال، إذ أنها ترى أن الفعل في حد ذاته، في المجال الإسلامي، له استمدادات نصوصية من القرآن والحديث وفق تفسير التيار الأصولي/ المتشدد، لكنها فيما يبدو انتقت أحداث غير دقيقة لتبرهن على وجود أصول هذا الفعل في تاريخ المسلمين. كما سردت الباحثة بعض الأحداث التاريخية الأخرى والتي تكرر في فعل «قطع الرؤوس»، في مختلف دول العالم.

بينما تركز الغرض من سردية تاريخ «قطع الرؤوس» في الحفر في ما وراء الفعل عند المتشددين الإسلاميين المعاصرين، إذ تتنوع أغراض هذا الفعل عندهم ما بين الرغبة في الانتقام، والحصول على فدية، وللتخويف، أو لكسب مصداقية الممولين، أو على سبيل الدعاية. كما أشارت كامبل إلى نماذج لهذا الفعل لبعض عصابات أمريكا اللاتينية، وكذا بعض العصابات المسيحية في نيجيريا والتي مارست «قطع الرؤوس» ضد بعض المسلمين هناك.

وتشير كامبل في نهاية ورقتها إلى ترجيحها تمدد عمليات «قطع الرؤوس» إلى الغرب، باعتبارها تكتيكًا حركيًا للجماعات والعصابات الساعية لتفريغ شحنات غضبها بشكل قاسي.

في ورقتنا التي بعنوان: «**داعش وإعادة التشغيل المخادعة للقاعدة**»، للدكتور محمد محمود ولد محمدو. استهل محمدو ورقته بإشارات ذكية حول مستوى التشابهات والاختلافات بين النموذجين، داعش والقاعدة، مرتبطًا بتركيب عنوان الورقة المشير إلى تكتيك خداعي من الأولى (داعش) مبني على مكتسبات ومنجزات الثانية (القاعدة)، مع إضافة البعد الإبداعي العنيف لدى داعش، وبمنطق ممارساتي يقتات على المساحات التي تفقدها القاعدة مع مرور الوقت.

ثم يستطرد الباحث في عرض تاريخ تنظيم الدولة وموارد التقاطعات بينه وبين القاعدة، وشكل الخلافات بين قيادات التنظيمين، مع بعد تحليلي لهذه الظاهرة، وبيان مواطن التناقض لدى داعش، على مستوى الهياكل التنظيمية وديناميكياتها، ونمط ارتباط المركز بالأطراف.

ويرى محمدو في النهاية أن داعش هي الذروة الطبيعية للتدخل الأمريكي في العراق، وللتسلط الطائفي لدى المالكي والأسد، بالإضافة للترهلات التي أصابن بنية القاعدة فيما بعد بن لادن.

بينما يرى الباحث في تحليله النهائي أن داعش أقل حظًا في البقاء والتمدد العولمي، بخلاف القاعدة التي قررت ذلك تنظيميًا من قبل، بالإضافة لتباين المستهدفات الحالية بينهما؛ إذ القاعدة كانت تستهدف العدو البعيد، بينما تشتغل عمليات التعبئة الداعشية صوب المركز السورياقي (سوريا والعراق).

واستمرارًا لعناية المركز بالحالة البحثية داخل الكيان الصهيوني أحببنا أن نضيف ورقتين بحثيتين تمثلان إلى حدٍّ كبير الهواجس الإسرائيلية حول التيارات القتالية خاصة مع اقترابها من نقاط التماس الحدودية.

ثم اخترنا للنشر هاهنا مقالين نشرا في مجلة دابق التي يصدرها تنظيم الدولة، وذلك لأهمية هذين المقالين في توضيح أيديولوجيا داعش وعلاقتها بالسلفية الجهادية عمومًا والقاعدة بشكل خاص.

ففي مقال منشور بالعدد الأول لمجلة (DABIQ) الصادرة عن تنظيم الدولة الإسلامية والتي تصدر باللغة الإنجليزية، كان عنوان المقال: «**من الهجرة إلىٰ الخلافة**»[1]؛ بين كاتبه استراتيجية مقاتلي تنظيم الدولة منذ التأسيس الأول في حقبة الزرقاوي لتحقيق الخلافة وإعلانها، والتي اعتمدت بشكل أساسي علىٰ خطوة أولىٰ تدعو للهجرة والنفير إلىٰ أرض ضمن دولة ضعيفة الإدارة مركزيًا، ويمكن للمقاتلين حينها فرض السيطرة علىٰ ما يمكن السيطرة عليه، وثم توسيع دائرة التجنيد والتدريب والإعداد، والخطوة الثانية تقصد إلىٰ فرض منطق الفوضىٰ المانعة من الاستقرار حتىٰ

(١) *"From Hijrah to Khilāfah", DABIQ Magazine, Issue 1, Ramadan 1435.*

تتهاوىٰ سيطرة الحكومة المركزية لأدنىٰ الدرجات، ثم بسط السيطرة علىٰ ما يخرج من نطاقها، وهي أمور يرونها ممهدة لتحقيق الدولة والخلافة واقعًا علىٰ الأرض.

ولم يغفل الكاتب بالقطع بيان مراحل البعد والشقاق بين القاعدة والتنظيم، خاصة مع وفاة بن لادن، كل ذلك مصحوبًا بعدد من النصوص النبوية الداعمة لهذا التصور في نظري.

وجاء المقال الآخر المنشور في العدد السادس من المجلة ذاتها بعنوان «**قاعدة الظواهري والهراري والنظاري والحكمة اليمانية المفقودة**»[1]، يُبرز فيه كاتبه موضوعات ومناطق خلاف فاصلة زادت في تجذرها بين أبناء التيار الواحد حتىٰ وصلت لدرجة الرمي بالإرجاء والرضا بالكفر وغير ذلك من الأوصاف المشرعنة للقطيعة والإسقاط الرمزي. فقد أصابت سهام الكاتب عددًا من المخالفين للتنظيم من داخل التيار الجهادي، ومن أبرزهم أيمن الظواهري وحارث النظاري، وكعادة الكتابة في هذه الأوساط؛ يستدعي الكاتب جملة من الآراء الفقهية المنتقاة والمتسلحة ببعض النصوص الشرعية، ثم يرصعها بعدد من قوالب التهم والانتقاص المشرعن والمتقصد لسلب الرمزية الفكرية، أو الحركية، أو التنظيرية التي كان يحملها المخالف.

وكلا المقالين يمثلان نماذج لإعلام تنظيم الدولة المتوجه بالأساس لقراء الإنجليزية، وهي شرائح يمكن التأثير عليها بتراكيب حماسية شعاراتية لم يعد من الممكن أن تعمل بنفس التأثير في الوسط العربي، وهي استراتيجية خطيرة يستخدمها التنظيم للاشتغال علىٰ فئات جديدة من الذين يسهل تجنيدهم أو التأثير عليهم لجلب الدعم.

(٥)

من خلال النظر في حزمة الأوراق البحثية والمقالات التحليلية ومقالات الرأي التي استعرضناها يمكن ملاحظة مدىٰ الاهتمام المعرفي والاستراتيجي بظاهرة تنظيم الدولة الإسلامية، خاصة في الأوساط الغربية، ويبدو أن هذا الاهتمام لا يقتصر فقط

---

(١) DABIQ Magazine, Issue 6, Rabea' Al Awal 1436.

علىٰ تتبع المعلومات وترتيبها؛ بل إنَّ الأمر كما بينا يتناول ظواهر جزئية داخل الظاهرة الكلية، كظاهرة مصادر التسليح، والأسس الأيديولوجية التي يعتمدها التنظيم، والخلافات بينه وبين تنظيم القاعدة، وغير ذلك من الأمور التي تعنىٰ بالتناول المنهجي لظواهر اجتماعية وسياسية معقدة ومركبة. لا يمكن اعتبار هذا التناول مجردًا من التحيزات والأخطاء والتعميمات المخلة؛ إلَّا أنَّنا في لحظة كتلك التي نعيشها في حاجة ملحة للوعي بمستويات الرصد والتحليل وصناعة القرار في الغرب، وخاصة في الولايات المتحدة؛ إذ إنَّ التقدم التقني والعلمي لديهم له أسبابه وأدواته، وسيطرة تفسيرات المؤامرة علىٰ العقل العربي باتت بمثابة المخدر الذي نتعاطاه لتسكين وهمي لأسئلتنا العالقة = وهو ما أنتج تكلسًا وصدأ معرفيًّا، وبالتالي سياسيًّا واجتماعيًّا، ملازمًا لقطاعات ممَّن يسمون بالنخب والمثقفين.

يحضرني هنا قطيعة معرفية كانت بعض الحكومات العربية قد اتخذتها قبيل النكسة في (١٩٦٧م)، حيث منعت أي ترجمات أو نقل للمعلومات الصحفية والأكاديمية والإعلامية لدىٰ إسرائيل، وهو ما أثمر لـ(فضيحة ونكسة ٦٧)، وما كانت تعيشه الشعوب العربية وقتها من تماهٍ تام مع أوهام القوة العربية والاستعداد التام للمواجهة مع العدو، وأكاذيب الانتصارات الوهمية التي كان يروجها الإعلام المخدر. قد لا تتطابق كلتا الحقبتين، السابقة والحالية، إلَّا أنَّ فلسفة التخدير والتوهيم تبدو متقاربة جدًّا علىٰ مستوىٰ الأدوات والنتائج، وهو ما يدعونا لفتح آفاق النظر والتتبع والإفادة من كل المنتج المعرفي المطروح، رغبة في الوعي باللحظة التي نعيشها، وسعيًا لتطوير الأدوات والمنهجيات الرصدية والتحليلية.

ومع تطور خطاب الجماعات الجهادية في نسختها الأخيرة = داعش؛ كان لا بد من النظر أيضًا في هذا التطور ومتابعته ورصده، ثم وضعه في أنساق تحليلية مناسبة. تضمن الملف مقالين مترجمين من مجلة تنظيم الدولة التي تصدر بالإنجليزية «دابق»، وهي خطوة مهمة اتخذها التنظيم ضمن استراتيجيات توسيع مجالات التجنيد والدعم بشكل ذكي وبخطاب حماسي عاطفي، بعيدًا عن المساحة التي يشتغل عليها غالب التيار الجهادي. فتأثير الإعلام، والصورة متقنة الإخراج بالتحديد، فعَّال وناجح إلىٰ حدٍّ كبير في الغرب، بل إن لوبيات إعلامية ضخمة تتحكم في توجهات الرأي العام

الغربي بشكل كبير، وهي بالتالي تحرك مشاهد الحرب والسلم بشكل تابع لمصالح سياسية واقتصادية معقدة ومتداخلة. هذا ما تنبَّه له التنظيم وجوَّد من استغلاله لتحقيق درجات أكبر من التأثير، تمثل ذلك في مشاهد الذبح والحرق والتقتيل بارعة الإخراج، فضلًا عن تحسين أدوات تسويق الواقع الاجتماعي والاقتصادي لمناطق سيطرة التنظيم، وهو ما يلزم منه ضرورة رصد وتحليل هذه الاستراتيجية المهمة التي يجيدها نسبيًا هذه التنظيم.

(٦)

يأمل المركز بنشره لهذا الكتاب أن يكون قد قدم محتوىٰ بحثيًا رصينًا، يعين القارئ علىٰ فهم هذه الظاهرة، وتجويد أدوات التعامل معها، وأن تكون الأوراق والدراسات المنشورة في هذا الكتاب سواء العربية أو التي ترجمها المركز= قد غطت جوانب مختلفة ومتنوعة من هذه الظاهرة، تساهم في الإنتاج البحثي المتراكم حول التيارات القتالية عمومًا، والآخذ في التراكم حول داعش علىٰ وجه الخصوص.

وفي الختام: يتوجه المركز بالشكر لفريق الباحثين العرب المساهم في الكتاب، ولفريق الباحثين الغربيين الذين تم نشر أوراقهم، ولفريق الترجمة الذي بذل وسعه لتقديم ترجمات دقيقة لهذه الأوراق البحثية المهمة.

وينوه المركز علىٰ أمرين:

الأول: أنه قد نشر علىٰ موقعه ما يربو علىٰ خمسين مادة بحثية تتعلق بالموضوع نفسه، يمكن مراجعتها علىٰ موقع المركز.

الثاني: أنه سينشر هذا العام كتابًا آخر لأحد الباحثين المتعاونين مع المركز، يرصد فيه الظاهرة من جهة أكثر خصوصية وبتركيز أكثر عمقًا.

والحمد لله رب العالمين.

داعش والجماعات القتالية

دراسات عربية

محمد توفيق | نواف القديمي
هيثم سمير | طارق عثمان
أحمد أبا زيد



الجماعات القتالية المعاصرة

الأفكار، الرموز، المرجعيات، والمُرتكزات

محمد توفيق



فهرس

الموضوع	رقم الصفحة

باتت ظاهرة الجماعات القتالية المعاصرة الواقعة داخل الحيز «الإسلامي» من أبرز الظواهر الدافعة للبحث والنظر والتدقيق الميكروتحليلي؛ إذ إنَّ التعاطي مع فاعلية الظاهرة وتأثيراتها وتمدداتها بقدر من التعميم والارتجال غالبًا ما يكون منتجًا لتصورات وأحكام ومسارات غير منهجية ولا ناجحة.

ولأنَّ التحقيق التاريخي المشتمل علىٰ تأريخات النشأة وسياقاتها، وعوامل تطورها وانتكاسها، وأسباب عنفها، والنخب المحركة لأتباعها، ونوعية مناهج التدريس التي تُتداول في محاضنها التربوية؛ كل ذلك يُمثِّلُ خطوة منهجية أولية وأصيلة في تصحيح مسار البحث في شأن هذه الجماعات.

ولأنَّنا سننشغل هنا بتجويد البنية والمسار التاريخي لهذه الجماعات؛ فسنعتمد في الإطار النظري والمنهجي للدراسة علىٰ المنهج الوصفي التأريخي، مصحوبًا بقدر من التحليل فيما يتعلَّق بطرح المرجعيات التاريخية أو الحركية/ الميدانية.

★ لحظة التشكل:

ثمة لحظتان تأسيسيتان تشكلت في أعقابهما البداية العنيفة الفكرية والتنظيمية؛ **اللحظة الأولىٰ**: والتي تمثل الإرهاص الأولي لشرارة المجموعات القتالية المنظمة خارج حدود دول ما بعد الخلافة، هي انشقاق مجموعة من عناصر جماعة الإخوان المسلمين في (يناير ١٩٤٠م)، والتي تسمت بـ«جماعة شباب محمد»، وذلك كردة فعل لجملة من التجاوزات والتساهلات الشرعية، وفق رؤيتهم، التي وجدوها في جماعة الإخوان، وبالتحديد مسألة النهج السياسي المتصالح مع الأنظمة التي تحكم بغير ما أنزل الله، وهي المسألة الأساسية في فكر ومنهج الحركات القتالية الإسلامية، وهذه اللحظة الأولىٰ علىٰ المستوىٰ الفكري، أمَّا **اللحظة الثانية**: فهي لحظة تأسيس التنظيم السري الخاص بجماعة الإخوان المسلمين في العام (١٩٤٢م)، والذي تأسس من امتدادات المجموعات الكشفية داخل الجماعة، وكان يهدف لحماية الجماعة من بطش السلطة الحاكمة، ثم تطور هذا التنظيم ليكون ذا فاعلية في معارك مواجهة الاحتلال، ثم المشاركة في الجهاد الفلسطيني في (١٩٤٨م).

وممَّا ينبغي الإشارة إليه أنَّنا هنا لسنا بصدد اعتبار هذه اللحظات التأسيسية هي السبب المباشر للتنظيمات القتالية المعتدلة أو المغالية بعد ذلك؛ بل إنَّنا نسعىٰ لتحديد الإلهام التاريخي للفكرة، وعزو نبتتها للحظة زمنية أولية.

★ إخوان من طاع الله وترفيد العنف:

تتشكل في الأساس هذه المجموعات من البدو الذين هجروا حياة البادية واستقروا فيما كان يسمىٰ «الهُجر»، وتأسست عام (١٩١١م) في شمال الرياض، ثم تزايدت أعداد الهُجر بعد ذلك حتىٰ بلغت أكثر من مائتي هجرة موزعة في كافة مناطق شبه الجزيرة العربية، وسميت بالهُجر نسبة لهجر الإخوان حياة البادية، ومثلوا الجيش الأساسي لقوات الملك عبد العزيز آل سعود خلال حروب توحيد السعودية، فقد سارع الملك عبد العزيز آل سعود إلىٰ تجديد التحالف التاريخي، الذي ربط أسلافه من الأسرة بعلماء الدعوة الوهابية وأتباعها، وقد تم التعبير عن هذه الرابطة عبر إحياء الصفقة التاريخية التوافقية بين السلطة السياسية والسلطة الدينية بلغة المصاهرة؛ إذ تزوج الملك عبد العزيز من ابنة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، شيخ علماء المذهب الوهابي حينها.

كان الملك بحاجة إلىٰ قوة عسكرية، تتصف بخفة الحركة، وبالشجاعة الباسلة، وبالزهد والإيمان العميق بالمشروع، كان البدو، هم المصدر البشري الوحيد والمتاح أمامه، وتم ما بين عامي (١٩١٢، و١٩٢٦م) إنشاء المئات من الهجر، وتوطين نحو مائة وخمسين ألفًا من البدو فيها، وقد ترافق مع هذا التوطين -وبدعم غير مشروط من الملك عبد العزيز- قيام علماء الوهابية بالانخراط في عملية جادة وكثيفة لغرس الأفكار الدينية، حيث تم إرسال دعاة دينيين يسمون بـ(المطاوعة)، مكلفين بتعليم أبناء القبائل قواعد الدين (الحق)، وتبني الحنبلية الوهابية واستبطان رؤيتها للعالم؛ كما قام العلماء بإجراء زيارات عديدة وكثيرة لمختلف أماكن التوطين بغية الإشراف والتأكد من عملية التعليم والتهيئة الدينية[1].

---

(١) للمزيد انظر: **«مملكة الكراهية»**، دور غولد، و**«الإخوان السعوديون»**، جون حبيب، وتقرير **«الوهابية وإخوان من طاع الله وداعش .. هل أعاد التاريخ نفسه؟»**، صحيفة التقرير الإلكترونية.

حوىٰ خطاب هؤلاء مضمونًا عنيفًا وتكفيريًا إلىٰ حد كبير، فقد اعتبر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ أن آل الرشيد وأنصارهم كفّار مرتدون؛ لأنهم طلبوا العون العسكري والمالي من (المشركين العثمانيين)، ولا يكفي الحكم بتكفيرهم فحسب، بل يجب قتالهم أيضًا في إطار الجهاد في سبيل الله: «**ومن يعرف كفر الدولة (العثمانية) ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين، لم يعرف معنىٰ لا إله إلا الله، فإن اعتقد مع ذلك أنَّ الدولة (العثمانية) مسلمون، فهو أشدُّ وأعظم، وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله أو أشرك به، ومن جرّهم أو أعانهم علىٰ المسلمين بأي إعانة، فهي ردّة صريحة**» . . . «**هؤلاء الذين قاموا في عداوة أهل التوحيد، واستنصروا بالكفار عليكم، وأدخلوهم إلىٰ بلاد نجد، وعادوا أهل التوحيد وأهله أشدَّ العداوة، وهم (الرشيد) ومن انضمَّ إليهم من أعوانهم = لا يشك في كفرهم، ووجوب قتالهم علىٰ المسلمين، إلَّا مَن لم يشمْ روائح الدين، أو صاحب نفاق، أو شك في هذه الدعوة الإسلامية**»، كما أصدر مجموعة من علماء الوهابية، فتوىٰ بتكفير الأشخاص الذين يدعون إلىٰ ولاية الشريف علىٰ الحجاز، وجاء فيها: «**فهؤلاء لا شكَّ في ردتهم والحال ما ذكر؛ لأنَّهم دعاة إلىٰ الدخول تحت ولاية المشركين، فيجب علىٰ جميع المسلمين جهادهم، وقتالهم، وكذلك من آواهم ونصرهم، فحكمه حكمهم**».

مثلت هذه الأدبيات العقائدية، وقبلها بعض الأدبيات السابقة لعلماء الدعوة الوهابية، في مرحلة الدولة السعودية الأولىٰ والثانية؛ مصدر ترفيد لبنية عقلية إخوان من طاع الله المقاتلة؛ إذ أنتجت هذه التهيئة التثقيفية والتعبئة العقائدية الجهادية، بالإضافة إلىٰ الاستعداد الطبعي، إطارًا منظوميًّا جامعًا لحالة عنيفة، تأسس بإنشاء جيش عقائدي من البدو الموطّنين، متزاوج مع السلطة السياسية المتمثلة في الملك عبد العزيز قبل أن يخمد جذوتها لاحقًا[1]، وحقبة الإخوان السعوديين يمكن اعتبارها لبنة في تشكيل معمار العنف الإسلامي المعاصر.

---

(١) السابق.

⋆ مُوجز انطلاقة التنظيمات العنيفة:

من المهم عند الحديث عن بذور تشكل التنظيمات القتالية المعاصرة النظر في روافده الفكرية والشرعية، فقد تمد بعض الأدبيات الفكرية والشرعية المجتزأة من سياقها الكلي، الزماني والمكاني، المنظومة التأصيلية والتعبوية لهذه التنظيمات، فضلًا عن افتقادها لإطار استدلالي وإنتاجي لفتاويه ونظرياته التي تمد قواعده وقيادات صفوفه التالية للقيادات العليا.

تبدو في بعض الأحيان بعض الكتابات الناقدة لمجمل مكتسبات وسلبيات المشروع الجهادي المعاصر مشوبة بقدر من التحيزات والمواقف الفكرية والاعتقادية المسبقة والمانعة في كثير من الأحيان من بلوغ خطاب لساني ومنهجي منضبط ومقبول علىٰ المستوىٰ النقدي، فضلًا عن حاجز المنطق المفاصلاتي عند قطاعات غالبة من الجهاديين المعاصرين، قد يستثنىٰ منهم القليل ممن بلغوا درجة مقبولة جدًّا من النقد الذاتي وقبول النقد الخارجي.

تمثل أدبيات المفكر الإسلامي أبو الأعلىٰ المودودي، الباكستاني الأصل، ومن بعده الأستاذ سيد قطب؛ مرتكزًا مُهمًّا وفعَّالًا في بلورة المعمار الجهادي في صورته المعاصرة، وكذا المنظور السياسي الذي ارتكزت عليه قطاعات من الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي، وبالتحديد في مصر، خاصَّة بعد الضربات التي تلقتها هذه الحركات من النظام السياسي الناصري في أوائل الخمسينيات، وقد أفرزت الرؤية السياسية والفكرية للأستاذين خلال حقبة القمع الناصري عددًا من المخرجات الحركية المختلفة، كان منها البذور الأولىٰ للحركات القتالية والمجموعات التكفيرية = كردة فعل للمكتوب والمفعول.

ففي عام (١٩٥٨م)، ظهر الشاب «نبيل البرعي» الذي خرج من السجن وطالب بالعنف المسلح، واتخذ من تأويلاته لبعض فتاوىٰ ابن تيمية منهاجًا للحركة، وانضم إليه فيما بعد كلٌّ من: إسماعيل الطنطاوي، ومحمد عبد العزيز الشرقاوي، وأيمن الظواهري، وحسن الهلاوي، ومصطفىٰ علوي، وأصبح إسماعيل الطنطاوي قائدًا لهذه المجموعة، وفي عام (١٩٧٣م) انشق مصطفىٰ علوي، ومعه بعض أعضاء التنظيم

الذي سمي بـ«تنظيم الجهاد»، وقرروا الدخول في حرب اليهود علىٰ حدود القناة، وانضم إليهم الملازم عصام القمري، الذي أصبح فيما بعد أبرز وأخطر عناصر تنظيم الجهاد الإسلامي الذي قاد عملية اغتيال السادات عام (١٩٨١م)، وفي العام نفسه تقريبًا أنشأ الدكتور صالح سرية ما سُمي بـ«تنظيم الفنية العسكرية»، وانضم إليه من العناصر القديمة حسن الهلاوي الذي كان يقود مجموعة الجيزة في التنظيم القديم، وأعدم الدكتور سرية عام (١٩٧٥م)، وفي عام (١٩٧٥م) أنشأ وكيل النيابة يحيىٰ هاشم تنظيمًا ضم حوالي (٣٠٠ عضو) من الإسكندرية، حاول بهم اقتحام السجن الموجود به الدكتور صالح سرية ومجموعته لإخراجهم من السجن بالقوة، إلَّا أنَّه فشل، وقُتل في الاشتباك آنذاك يحيىٰ هاشم نفسه، وفي عام (١٩٧٧م) ظهر للوجود تنظيم «جماعة المسلمين»، أو ما سمي إعلاميًا بجماعة «التكفير والهجرة» بقيادة شكري أحمد مصطفىٰ الذي أعدم عام (١٩٧٨م)، وبين عامي(١٩٧٧-١٩٧٩م) أنشأ شاب يدعىٰ «مصطفىٰ يسري» تنظيمًا مسلحًا في القاهرة، وتم اعتقاله وضرب تنظيمه عام (١٩٧٩م)، وفي العام نفسه تكون تنظيم «الجهاد الإسلامي» بقيادة محمد عبد السلام فرج وعبود الزمر، ومجموعة الصعيد بقيادة ناجح إبراهيم وكرم زهدي وفؤاد الدواليبي، ومن مجموعة سالم الرحال الأردنىٰ الجنسية، وتولىٰ كمال السعيد حبيب القيادة خلفًا له بعد ترحيله إلىٰ الأردن[1].

★ تنظيم الجهاد الأول (جماعة الجهاد المصرية):

- **التأسيس**: تجلت إرهاصات نشأة التنظيم عام (١٩٦٠م) علىٰ يد نبيل البرعي؛ إذ تأول جملة من فتاوىٰ ابن تيمية المتعلقة بالجهاد ونشرها في وسط جملة من أقرانه، منهم إسماعيل الطنطاوي ومحمد الشرقاوي، إلَّا أنَّ التأسيس الفعلي العملي كان عام (١٩٦٨م)، وذلك في أعقاب الحملة الأمنية القمعية لجماعة الإخوان وشباب الحركة الإسلامية بعامَّة من قبل النظام المصري آنذاك، وهو ما أنتج خطابًا وفكريًّا عنيفًا تبنَّاه

---

(١) بتصرف من: «وثائق تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات: عرض، نقد، دراسة»، رفعت سيد أحمد، (ص/ ٣٨، ٣٩)، مكتبة مدبولي.

شباب التنظيم الجهادي الناشئ؛ إذ نشط في بلورة هذا الفكر كلٌّ من إسماعيل الطنطاوي، وحسن الهلاوي، وعلوي محمد، وأيمن الظواهري بالإضافة لنبيل البرعي، ثم انضم إليهم عدد من العسكريين كان من أبرزهم الملازم عصام القمري في عام (١٩٧٣م). شارك أعضاء التنظيم في حرب اليهود علىٰ حدود القناة في عام (١٩٧٣م).

- **الرموز والمرجعيات والأدبيات**: يمثل جل أعضاء التنظيم السالف ذكرهم رمزية شخوصه، بينما تمثلت المرجعيات في نصوص وأدبيات جهادية لابن تيمية وغيره، يجمعها الخطأ والخلل الشرعي المنهجي من قبل أعضاء التنظيم في تنزيل وتأويل هذه النصوص علىٰ الواقع، نظرًا لحداثة أعمار المنتسبين، بالإضافة للواقع القمعي الذي كانت تحياه الحركة الإسلامية في مصر وقتئذٍ، وكذا بدايات الاهتمام الوهابي بقضايا التكفير والعذر بالجهل، ونشر أدبيات أئمة الدعوة الوهابية وتراث ابن تيمية وابن القيم، كما أنَّه لم يكن للتنظيم منتج علمي أو دعوي مرجعي يؤطر النسق الفكري والشرعي له، إلَّا أنَّه ثمة احتمالًا لتأثير بعض أدبيات سيد قطب علىٰ قطاعات من شباب الحركة الإسلامية في الستينيات، ومنهم شباب هذا التنظيم.

⋆ جماعة التحرير الإسلامي/ شباب محمد (تنظيم صالح سرية/ الفنية العسكرية):

- **التأسيس**: المؤسس الأبرز للتنظيم هو صالح عبد الله سرية، أردني من أصل فلسطيني، ولد في حيفا، وأكمل دراسته الابتدائية بها، وبعد نكبة (١٩٤٨م) هاجر مع أسرته إلىٰ العراق، وأكمل دراسته الثانوية هناك، ودخل كلية الشريعة بجامعة بغداد بوساطة مباشرة من مرشد جماعة الإخوان المسلمين في العراق، والتي كان قد انتمىٰ إليها، وكان من العناصر النشطة فيها. أسس مجموعة فلسطينية بالعراق أسماها «جبهة التحرير الفلسطينية»، واستمر نشاطه متصاعدًا حتىٰ قيام ثورة (١٩٥٨م) بقيادة عبد الكريم قاسم، وبعد حدوث خلاف بين قاسم والإخوان لجأ إلىٰ العمل السري، وقام بعدة عمليات ضد اليهود، وبعد أن اتهم بالاشتراك في محاولة اغتيال أحمد

حسن البكر فرَّ إلىٰ سوريا، فالأردن، وارتبط بحزب التحرير الإسلامي بعض الوقت، ثم جاء إلىٰ مصر عام (١٩٧١م)، وحصل علىٰ درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس عام (١٩٧٢م)، وعمل بمنظمة التربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية بالقاهرة. تعرف علىٰ الحاجة زينب الغزالي، غير أنَّه سرعان ما أدرك أنَّ الإخوان المسلمين في مصر غير راغبين أو قادرين علىٰ المواجهة مع نظام السادات، وذلك بعد لقائه ببعض قادتهم، ثم عمل علىٰ تأسيس تنظيم مستقل يهدف للخروج علىٰ السادات. نجح صالح سرّية في تكوين تنظيم واسع ومتنوع جغرافيًا من مجموعة متحمسة من الشباب قسمهم إلىٰ مجموعات صغيرة. لم يكتب لهذا التنظيم عمرًا طويلًا، فمع حماسة واندفاع جرت مواجهات لبعض أعضاء التنظيم داخل الكلية الفنية العسكرية، حيث قاد صالح سرية ثمانية عشر رجلًا من أنصاره في محاولة للسيطرة علىٰ الفنية العسكرية، وذلك في يوم الخميس (١٨ أبريل ١٩٧٤م)، وفشلت هذه المحاولة، وقُبض بعدها علىٰ صالح سرية وبعض رفاقه وقُدِّموا للمحاكمة، وأُعدِموا عام (١٩٧٥م)[١].

- **الرموز والمرجعيات**: يُمثِّل الدكتور صالح سرية الإلهام والتنظير الفكري والشرعي والحركي بشكل بارز لهذا التنظيم قصير العمر، كما يبرز في التنظيم مسئول مجموعة الكلية الفنية العسكرية كارم الأناضولي، ومسئول مجموعة الإسكندرية طلال الأنصاري، ومسئول مجموعة الجيزة حسن الهلاوي.

- **أهم الأفكار**: الفكرة المركزية التي يحملها التنظيم وأفراده تُعنىٰ بتغيير نظام الحكم المخالف للشريعة الإسلامية، وَفق رؤيتهم، وهذا التغيير يلزم منه المواجهة المسلحة، والتي تساوي عندهم: الجهاد، إلَّا أنَّه ثمة مراحل إعداد سابقة لهذه

(١) للمزيد انظر: «**دراسة حالة بعض المحكوم عليهم في قضيتي الفنية العسكرية والتكفير والهجرة**»، سهير لطفي، ضمن كتاب: «**المتشددون المحدثون: دراسة لحركات إسلامية معاصرة**»، إشراف: أحمد خليفة، وتحرير: سهير لطفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، و«**الإسلام السياسي: الحركات الإسلامية**»، د. محمد مورو، مكتبة جزيرة الورد. و«**وثائق تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات**». و«**النبي المسلح: الرافضون**»، رفعت سيد أحمد، مكتبة رياض الريس.

المواجهة ينبغي فيها إعداد الأفراد إيمانيًّا وسلوكيًّا وفكريًّا وعسكريًّا، والأمر مرتبط برؤية سرية لغلبة السمة الكفرية علىٰ النظم السياسية المعاصرة، دون إطلاق التكفير علىٰ أفراد الحكومات والنظام والعاملين، لكن بنَفَسٍ قُطبيٍّ واضح في تعميم أوصاف الجاهلية، وانتشار الكفريات علىٰ المجتمعات المسلمة، وقد خط صالح سرية رؤيته تلك بقدر من التفصيل في «**رسالة الإيمان**» التي كتبها عام (١٩٧٣م)[١].

⋆ تنظيم الجهاد الثاني (تنظيم محمد عبد السلام فرج):

- **التأسيس**: يُمكن اعتبار أنَّه ثمة فترة زمنية وسيطة بين مرحلة انحسار تنظيم الفنية العسكرية، وبين نشأة تنظيم الجهاد الثاني، تضمنت هذه الفترة محاولات متعجلة للملمة شتات الجهاديين بعد سقوط عملية الكلية الفنية العسكرية، فقد تكوَّن جناحان أساسيان كامتداد لمرحلة ما بعد الفنية العسكرية؛ **الأول**: جناح الإسكندرية، بقيادة محمد السيد إسماعيل، **والثاني**: جناح الجيزة، بقيادة حسن الهلاوي، كما تبقَّىٰ بعض من تنظيم يحيىٰ هاشم الذي قُتل في اشتباكات مع قوات الشرطة في أعقاب ما عُرف بـ(قضية ١٩٧٧)، ثم تشكَّل تنظيم قاهري وسيط أيضًا لم يلبث أن اختُرق وتفكك عام (١٩٨٠م)؛ وهو تنظيم «مصطفىٰ يسري»[٢].

مثلت معاهدة «كامب ديفيد» خطوة استثارت جذوة المواجهة المسلحة مع النظام المصري، وتجمعت روافد الرغبة في توحيد الجهود التنظيمية لمواجهة نظام السادات، كان من أبرز الدعاة لها محمد عبد السلام فرج، وسالم الرحال، ومجموعة الجماعة الإسلامية بالصعيد. ألَّف فرج كتابه المشهور «**الفريضة الغائبة**» عام (١٩٧٩م)، وبدأ نشاطه الدعوي والتنظيمي يزداد بعدما ترك الإسكندرية وتوجه إلىٰ القاهرة وتركزت جهوده فيها، وتعرَّف فرج علىٰ طارق الزمر، والمقدم بالمخابرات الحربية حينها عبود الزمر، وتمدَّد التنظيم في كلٍّ من القاهرة والجيزة، ثم تلاقت مجموعة فرج بمجموعة سالم الرحال، والتي ضمت كمال حبيب الذي قاد المجموعة فيما بعد، وضابط القوات المسلحة عصام القمري، وغيرهم. لعب فرج دورًا محوريًّا

---

(١) انظر نص الرسالة في: «**النبي المسلح: الرافضون**»، رفعت سيد أحمد، مكتبة رياض الريس.

(٢) بتصرف من: «**الإسلام السياسي: الحركات الإسلامية**»، (ص/ ١٩٣-١٩٦).

في توحيد الجماعات الجهادية، آنذاك ظهر في تلك الفترة دخول أيمن الظواهري ومجموعته، وتقابل الظواهري مع عبود الزمر، وناقشه في بعض الأمور التنظيمية، وبذلك تكون قد تبلورت صورة لاصطفاف جل المجموعات الجهادية في مصر قُبيل قتل السادات. وفي العام (١٩٨١م) ضُم خالد الإسلامبولي للتنظيم، ثم وقع الاختيار عليه لاحقًا لتنفيذ العملية الأشهر للتنظيم وهي قتل السادات[1].

- **الرموز والمرجعيات**: تتمثل مرجعيات التنظيم المعاصرة لنشأته في كل من محمد عبد السلام فرج صاحب رسالة «**الفريضة الغائبة**»، أيمن الظواهري وبعض رسائله، والدكتور عمر عبد الرحمن كمرجعية شرعية كُبرىٰ، وسيد إمام كمرجعية تنظيرية، وعلىٰ مستوىٰ الرموز الملهمة؛ كانت بعض تأويلاتهم لفتاوىٰ ابن تيمية، وبعض تفسيرات ابن كثير أحد أبرز مصادر استلهام المسار الحركي والفكري والشرعي للتنظيم، وكذلك كانت كتابات سيد قطب ضمن معمار الفكر الجهادي في ذلك الوقت.

- **أهم الأفكار والأدبيات**: تُعد الفكرة المركزية لدىٰ تنظيم الجهاد هي فكرة لزوم سيادة شريعة الله في كل مناحي الحياة؛ إذ إنَّهم يرون غيابها سياسيًّا واجتماعيًّا بشكل ما، فآلت بهم منظومتهم الاستدلالية لنتائج مفادها وجوب الإعداد الفكري والبدني والعسكري لمواجهة ممانعة قوىٰ الدولة لإقامة دولة الإسلام، ومن ثَمَّ الإقدام علىٰ خطوة المواجهة وقتما تقرر مجالس شوراهم ذلك.

من أهم أدبياتهم: «**الفريضة الغائبة**»، لمحمد عبد السلام، فتاوىٰ وكتابات الدكتور عمر عبد الرحمن، «**منهج جماعة الجهاد**»، لعبود الزمر، «**الإحياء الإسلامي من منظور جماعة الجهاد**»، لكمال حبيب، و«**العمدة في إعداد العدة**»، لسيد إمام.

⋆ الجماعة الإسلامية في مصر:

- **التأسيس**: ظهرت الجماعة الإسلامية في بداية السبعينيات في مناخ من الصراع

---

(١) انظر: «**الإسلام السياسي: الحركات الإسلامية**»، و«**التكفير عند جماعات العنف المعاصرة: نقد المقولات التأسيسية**»، إبراهيم العايد، مركز نماء للبحوث والدراسات، و«**دليل الحركات الإسلامية في العالم**»، و«**الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر**»، و«**قصة جماعة الجهاد**»، لهاني السباعي.

السياسي بين السادات ومختلف فصائل اليسار المصري. كان أكثر الممارسات تأثيرًا في نمو الجماعة وبلورة صورتها معسكرات كانت تنظم في الصيف تحت إشراف الجامعة، وفي معسكر عام (١٩٧٥م) بدأ يتبلور كيان الجماعة، ففي هذا العام الدراسي انضم للجماعة معظم قادتها المشهورين؛ كرم زهدي، وحمدي عبد الرحمن، وأسامة حافظ، وأحمد عبده سليم، ومحمد شوقي الإسلامبولي، ومع حلول عام (١٩٧٧م) كان للجماعة كلمة قوية مسموعة داخل جامعة أسيوط، وبتخرج المؤسس صلاح هاشم من الجامعة حلَّ مكانه ناجح إبراهيم الذي انضم للجماعة في العام نفسه، واستطاع أن يُوسِّع دائرة نشاط الجماعة؛ لتخرج من أسوار الجامعة لأول مرة، وفي عام (١٩٧٨م) خاضت الجماعة الانتخابات الطلابية، وفازت بجميع المقاعد، وفي هذه الانتخابات فاز المهندس أبو العلا ماضي (وكيل مؤسسي حزب الوسط) بمنصب أمين عام اتحاد طلاب جامعة المنيا، ومع تعاظم نفوذ الجماعة الإسلامية الطلابية تقدمت الخطىٰ نحو السعي إلىٰ تغيير المنكر في أروقة الجامعات والمدن الجامعية، وارتضىٰ رؤساء الجامعات قرارات الجماعة الإسلامية؛ فصل الطلبة عن الطالبات في المدرجات، وقاعات المحاضرات، وحظر اختلاطهم حتىٰ في الأماكن العامة بالجامعات، وأقيمت المعسكرات الإسلامية في العطلات والإجازات الموسمية التي يحاضر فيها نخبة من الدعاة والعلماء تفد من خارج الجامعة، وأصبح شائعًا ومسموحًا حظر إقامة الحفلات الغنائية، أو الموسيقية، أو عرض الأفلام السينمائية داخل الحرم الجامعي في جميع جامعات الوجه القبلي تحديدًا، وألهبت خطب كرم زهدي التي كان يلقيها في مساجد المنيا أو زوايا الكليات هناك حماسة الطلاب، والتف من حوله قيادات الجماعة الإسلامية، وتأثروا به تأثرا بالغًا. حصل بعد ذلك تلاقٍ بقيادات الحراك الجهادي كان في صدارتهم محمد عبد السلام فرج، وعبود الزمر، وأفرزت تلك الخلطة أهم ملامح ذلك الفكر الذي قامت عليه «الجماعة الإسلامية» في صعيد مصر، والتحامها بقيادات الجهاد، وفي ضوء تصاعد وتيرة الخلاف بين السادات والتيار الإسلامي في عمومه وإصداره قرارات التحفظ علىٰ العديد من قيادات وأعضاء هذا التنظيم جاءت عملية اغتيال السادات في (السادس من أكتوبر ١٩٨١م)، وفي منتصف عام (١٩٨٠م) تبلور الاتجاه نحو التغيير بالقوة، وتزعمه كرم زهدي أمير الجماعة، وناصره كل من ناجح إبراهيم،

وعاصم عبد الماجد، وأسامة حافظ، وعصام دربالة، وفؤاد الدواليبي، وطلعت فؤاد قاسم، وحمدي عبد الرحمن وآخرين، وقد كانوا متلهفين إلىٰ تكوين التنظيم وتأطيره وتدريب كوادره علىٰ السلاح، وكان ممَّا دفع تصاعد العنف لقاء كرم زهدي مع القيادي الجهادي محمد عبد السلام فرج، في منتصف عام (١٩٨١م)، واتفاقهما علىٰ توحيد التنظيمين، وبعد اغتيال الرئيس السادات قرَّر كرم زهدي منفردًا القيام بعمل عسكري كبير في مدينة أسيوط عرف باسم «**أحداث أسيوط**»؛ إذ اقتحم المنشآت التابعة للشرطة، وقتل أكثر من ثمانين ضابطًا وجنديًّا، ولم تنتهِ إلَّا بتدخل مباشر من القوات المسلحة التي أنهت سيطرة الجماعة الإسلامية علىٰ مدينة أسيوط، وبعد المحاكمات التي أعقبت مقتل السادات عاد التنظيمان للانفصال عام (١٩٨٣م)، وإن كانت فترة وحدتهما القصيرة قد تركت بصمات واضحة عليهما. أصبحت مجموعة الوجه البحري تعرف باسم جماعة الجهاد ويرأسها عبود الزمر، وإن كان هو نفسه قد انتقل للجماعة الإسلامية وأصبح عضوًا بمجلس شورىٰ الجماعة[١].

- **الرموز والمرجعيات**: أهم رموز الجماعة الإسلامية؛ الدكتور عمر عبد الرحمن، وعبود الزمر، والشيخ عبد الآخر حماد، وناجح إبراهيم، وعاصم عبد الماجد، وصفوت عبد الغني، وعصام دربالة؛ إذ تمثل هذه الرموز مرجعيات فكرية وحركية وشرعية.

- **الأدبيات**: للجماعة مرحلتان من مراحل التأليف والكتابة الفكرية الشرعية؛ **الأولىٰ**: هي مرحلة ما قبل المراجعات وحتىٰ فترة الضغوط الأمنية القاسية في السجون، والتي أنتجت **المرحلة الثانية**: متمثلة في عدد من المؤلفات تتعلَّق بمراجعات الجماعة الفكرية والشرعية والقتالية. المرحلة الأولىٰ كان من أبرزها: «**ميثاق العمل الإسلامي**»، لعدد من قيادات الجماعة، و«**كلمة حق**»، للدكتور عمر عبد الرحمن، «**أإله مع الله: إعلان الحرب علىٰ مجلس الشعب**»، و«**فلسفة المواجهة**»، و«**العذر بالجهل**»، وغيرها من المؤلفات والرسائل التي كانت توزع بين قطاعات الطلاب في الجامعات أو ضمن المناهج التربوية لأعضاء الجماعة.

---

(١) انظر: «**الإسلام السياسي: الحركات الإسلامية**»، و«**دليل الحركات الإسلامية في العالم**»، و«**الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر**».

★ جماعة المسلمين (التكفير والهجرة):

- **التأسيس**: كانت النشأة الأولية لأفكار جماعة شكري مصطفىٰ في السجون المصرية، وبالتحديد بعد اعتقالات سنة (١٩٦٥م) التي أعدم علىٰ إثرها سيد قطب وإخوانه بأمر من جمال عبد الناصر، وفي ظروف سلطوية زائدة وُلد الغُلُو، ونبتت فكرة التكفير المقابل لعنف السلطة، بل ووجدت الاستجابة لها، وفي سنة (١٩٦٧م) طلب رجال الأمن من جميع الدعاة المعتقلين تأييد رئيس الدولة جمال عبد الناصر، فانقسم المعتقلون إلىٰ فئات، كان منها فئة رفضت موقف السلطة وأعلنت كفر رئيس الدولة ونظامه، بل اعتبروا الذين أيدوا السلطة من إخوانهم مرتدين عن الإسلام، ومن لم يكفرهم فهو كافر، والمجتمع بأفراده كفار؛ لأنَّهم موالون للحكام، وكان قائد هذه الفئة ومهندس أفكارها الشيخ علي إسماعيل.

- **الرموز والمرجعيات**: أبرزهم الشيخ علي إسماعيل، شكري أحمد مصطفىٰ، الذي تولىٰ قيادة الجماعة داخل السجن بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ علي إسماعيل. في عام (١٩٧١م)، أفرج عنه بعد أن حصل علىٰ بكالوريوس الزراعة، ومن ثَم بدأ التحرك في مجال تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته، وتمت مبايعته أميرًا للمؤمنين، وقائدًا لجماعة المسلمين، وفي (سبتمبر ١٩٧٣م) أمر بخروج أعضاء الجماعة إلىٰ المناطق الجبلية واللجوء إلىٰ المغارات الواقعة بدائرة أبي قرقاص بمحافظة المنيا بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض، تطبيقًا لمفاهيمهم الفكرية حول الهجرة، وفي (٢٦ أكتوبر ١٩٧٣م) اشتبه في أمرهم رجال الأمن المصري، فتم إلقاء القبض عليهم، وتقديمهم للمحاكمة في قضية رقم (٦١٨) لسنة (١٩٧٣م) أمن دولة عُليا، وفي (٢١ أبريل ١٩٧٤م) عقب حرب (أكتوبر ١٩٧٣م) صدر قرار جمهوري بالعفو عن مصطفىٰ شكري وجماعته. جُوبهت الجماعة بقوة من قبل السلطات المصرية، وبخاصة بعد مقتل الشيخ حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري السابق، وبعد مواجهات شديدة بين أعضاء الجماعة والسلطات المصرية تم القبض علىٰ المئات من أفراد الجماعة وتقديمهم للمحاكمة في القضية رقم (٦) لسنة (١٩٧٧م)، والتي حكمت بإعدام خمسة من قادات الجماعة علىٰ رأسهم

شكري مصطفىٰ، وماهر عبد العزيز بكري، وأحكام بالسجن متفاوتة علىٰ باقي أفراد الجماعة.

- **الأدبيات**: «**وثيقة الخلافة**»، و«**وثيقة الهجرة**»، و«**التوسمات**»، و«**الحجيات**»، وكلها لشكري مصطفىٰ.

⭑ الجهاد الأفغاني وتنظيم القاعدة (الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين)[1]:

- **التأسيس**: سبق الإعلان الرسمي للتنظيم حقبة من الحراك الجهادي المتوهج في أفغانستان، خاصة بعد قدوم قيادات تنظيم الجهاد المصري لأفغانستان، وانضمامهم للأفغان العرب، وزيادة توافد الشباب العربي للأراضي الأفغانية والباكستانية، وبعد مقتل الشيخ عبد الله عزام، وبروز نجم أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، أتىٰ تأسيس التنظيم في (فبراير ١٩٩٨م)؛ لتبدأ حقبة جديدة في المسار الجهادي، اتسمت بكونها عابرة للدول؛ إذ أثمرت تنقلات أسامة بن لادن عن تكون شبكات تنظيمية واقتصادية في عدة دول، أبرزها السودان وباكستان، ثم بلغ أوج مواجهته العالمية في أعقاب هجمات (١١ سبتمبر ٢٠٠١م)، ومن حينها والتنظيم يكتسب تمددات جغرافية لا مركزية، أو ليست بارتباط مباشر بالقيادة الرئيسة في أفغانستان، وأصبح للتنظيم أذرع منتشرة في عدة أماكن: تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وتنظيم القاعدة في الصومال (حركة شباب المجاهدين)، وتنظيم القاعدة في المغرب العربي، وتنظيم القاعدة في نيجيريا (جماعة بوكو حرام)، وجبهة النصرة بسوريا. يبدأ التاريخ للجهاد العربي في أفغانستان عمليًّا في (١٩٨٤م) عندما تفرغ الشيخ عبد الله عزام للجهاد الأفغاني ميدانيًّا، بعد أن عمل مدة مدرسًا بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد، وقد عمل الشيخ عبد الله عزام علىٰ عدة محاور

---

(١) انظر: «**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**»، أبو مصعب السوري. و«**الإسلاميون**»، بشير موسىٰ نافع، مركز الجزيرة للدراسات، و«**دليل الحركات الإسلامية في العالم**»، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - الأهرام، العدد الأول، و«**الحركات الإسلامية في الوطن العربي**»، إشراف عبد الغني عماد، مركز درسات الوحدة العربية، و«**القاعدة: التنظيم السري**»، عبد الباري عطوان، دار الساقي.

لنصرة الجهاد الأفغاني كان من أهمها: تأسيس مكتب الخدمات الذي تولىٰ تقديم ونقل المعونات والتبرعات للمجاهدين والمهاجرين الأفغان، وتأسيس مجلة «**الجهاد**» التي كانت منبره الرئيس للدعاية للجهاد الأفغاني، وتأسيس معسكر «صدىٰ» قرب الحدود الأفغانية، والقيام بأسفار ورحلات دعائية ألقىٰ خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجهاد الأفغاني، وكان باكورة كتبه «**آيات الرحمن في جهاد الأفغان**» الذي لاقىٰ شهرة واسعة، وجدلًا واسعًا كذلك، ثم كتاب «**الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان**»، وقد أفتىٰ فيه بالفرض العين علىٰ جميع المسلمين من غير ذوي الأعذار للذهاب للجهاد في أفغانستان، واستطاع الحصول علىٰ أكثر من (٨٠ توقيعًا) من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي وعلىٰ رأسهم كبار العلماء في السعودية ومنهم الشيخ ابن باز، وكذلك من بعض مشايخ الأزهر، وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المسلمين من أقطار عديدة، وكذلك من بعض علماء باكستان وغيرهم، وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوىٰ دورًا مهمًا، بالإضافة لمجلة «**الجهاد**»، دورًا بارزًا في عملية الحشد والدعم المادي، وفي نهاية (١٩٨٥م) حضر أسامة بن لادن ليشارك ميدانيًّا بنفسه في الجهاد بعد أن كانت زياراته السابقة لتقديم الدعم المادي، وبالتعاون مع بعض الكوادر من تنظيم «الجهاد» المصري. كان الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد المصري بارزًا ونوعيًّا في الساحة العربية، وكذلك كان حضور الجماعة الإسلامية بمصر، وبصرف النظر عن الفوارق المعروفة في منهج الجماعتين إلَّا أنَّهما لعبتا -ولاسيما في القاسم المشترك من أفكارهما الجهادية- دورًا مؤثرًا، كما كان لحضور بعض طلاب العلم وبعض الدعاة السلفيين، وبعض السروريين من السعودية وغيرها دورٌ في ترويج فكر الحاكمية والولاء والبراء وعموميات الفكر الجهادي في الأوساط العربية والأعجمية، كما أدىٰ حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا في الساحة دورًا فكريًّا ساهم في المواجهة الفكرية للتيار الجهادي، التي بدأت تترك بصماتها علىٰ الجمع العربي، وكان حضور مدارس الصحوة الإسلامية الأخرىٰ قويًّا أيضًا في الساحة عبر سيطرتها علىٰ المؤسسات الطبية والتعليمية وعملها في المجالات الإغاثية الأخرىٰ، ولاسيما من السلفيين التقليديين، والإخوان المسلمين والمنظمات الشبيهة بهم، وكذلك التبليغ وغيرهم، بالإضافة للحضور الكبير للمؤسسات الإسلامية السعودية الحكومية وشبه الحكومية، وما حملته

معها من بصمات، وأصدرت جماعة الجهاد المصرية عددًا من الأبحاث، كان أبرزها كتاب «**العمدة في إعداد العدة**»، لعبد القادر بن عبد العزيز أو سيد إمام؛ إذ اعتبر هذا الكتاب من أهم كتب «**الأفغان العرب**»، وبقي واحدًا من أهم كتب التيار الجهادي، وفي سياق نشاط الجهاديين في التأليف والنشر؛ طبع في بيشاور سنة (١٩٩٠م) كتاب أبي مصعب السوري «**الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا - آلام وآمال**»، وافتتح الشيخ أبو حذيفة المصري، أحد كوادر جماعة الجهاد، «مركز النور للإعلام» في بيشاور، حيث تولىٰ عدد من الخطباء والمحاضرين من الجهاديين تنظيم سلسلة من الدروس والمحاضرات وخطب الجمعة، وبدأت بعض التجمعات الجهادية الناشئة تدخل علىٰ خط العطاء، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية، واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة، ثم استقلت بكوادرها وبدأت تتبلور وتنتج، وأقام ابن لادن فترة في السودان (١٩٩٢-١٩٩٦م)، كانت له خلالها مشاريع واستثمارات، خرج أسامة بن لادن من السودان وعاد إلىٰ أفغانستان في عهد طالبان (١٩٩٦م) كان حوله مجموعة من الذين يحملون فكر المواجهة الأممية مع أمريكا وحلفائها، وانطلقت طالبان من ولاية قندهار، جنوب شرق أفغانستان أواخر عام (١٩٩٣م)، واستطاعت التقدم والسيطرة علىٰ وسط وجنوب وشرق أفغانستان بسرعة، ومن ثَم دخول كابل عام (١٩٩٦م) وإعلان الإمارة الإسلامية في أفغانستان.

- **الرموز والمرجعيات: عبد الله عزام، وسيد إمام، وأيمن الظواهري، وأبو محمد المقدسي، أبو قتادة الفلسطيني، يوسف العييري، عبد العزيز المقرن، أبو مصعب السوري.**

★ الجماعة السلفية المحتسبة (جماعة جهيمان):

أسسها جهيمان العتيبي قبلسنة ١٩٦٥م، وكان متذبذبًا بين جماعة التبليغ وجماعات تكاد تكون شبه بدوية من أواخر «الإخوان» القدماء، فبداياته كانت قبل سنة (١٩٦٥م)، وبعدها اجتمع ستة أشخاص أبرزهم: ناصر بن حسين، سليمان بن شتيوي، سعد التميمي، جهيمان العتيبي واثنان آخران؛ اتفقوا علىٰ تأسيس الجماعة السلفية؛ إذ ذهبت هذه المجموعة إلىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز، وكان وقتها في المدينة

المنورة، والتقوا به وقالوا له نحن نريد أن نؤسس جماعة ونقوم بالدعوة وهذه الجماعة تهتم بمنهج السلف وتحارب البدع وتكون علىٰ الكتاب والسنة وتحكّم القرآن والسنة، فسألهم الشيخ بن باز عن اسم هذه الجماعة؟ فقالوا إنها الجماعة السلفية، فقال لهم بما أنكم تدعون الحسبة إلىٰ الله، سموها «**الجماعة السلفية المحتسبة**»، وسميت كذلك، وانطلقت الجماعة بصفتها العلنية الدعوية، وكان أول بيت للجماعة أجره الشيخ ابن باز في الحرة الشرقية، وكان بيتًا كبيرًا يضم مكانًا للمحاضرات والدروس، وغرفًا كثيرة، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز، وبعض مشايخ المدينة المنورة يحضرون هذه الدروس مثل الشيخ أبو بكر الجزائري، وصارت الجماعة محتسبة سلفية ولا تحتج إلا بالحديث الصحيح ولا تأخذ إلا بمنهج السلف وتدعو إلىٰ التوحيد الصحيح وتحارب البدع وتحارب القبوريين وما شابه ذلك، وكان للجماعة مجلس شورىٰ يجتمع ويناقش الأمور سرًّا دون معرفة الشيخ ابن باز وغيره من المشايخ[1].

لم يكن للجماعة تنظيمٌ عنقودي، وإنما كان من الكافي توفر بعض المظاهر الدالة علىٰ الاهتمام بالعلم والهدي الظاهر، ثم ارتضاء الطاعة للقائد، وهو جهيمان في تلك الفترة، لكن بعد أن أصبح جهيمان مطلوبًا أمنيًا أصبحت الجماعة متحفظة تجاه العناصر التي تنضم لها، فكان من الممكن أن ينضم لها واحد من الخارج، لكن لا يمكن أن يطلع علىٰ كثير من أسرار الجماعة، مثل المنشورات التي كانت تطبع في الكويت، وكيفية الاتصال بجهيمان.

وحصل أول صدام ما بين الجماعة السلفية المحتسبة والجهات الأمنية عام (١٣٩٨هـ)؛ إذ حصلت مجموعة اعتقالات شملت رموز الجماعة، ثم كانت قضية دخول الحرم المكي المرتبطة نصيًّا بقضية المهدي المنتظر، والتي بدأت أحداثها فجر يوم (١ محرم ١٤٠٠هـ) الموافق (٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م)، حين استولىٰ ٦١ مسلحًا علىٰ الحرم المكي في محاولة لقلب نظام الحكم في المملكة العربية السعودية إبان عهد الملك خالد بن عبد العزيز، والسبب في دخولهم للحرم أنه يوجد لديهم سيناريو لخط

---

(١) للمزيد انظر شهادة ناصر الحزيمي في: «**أيام مع جهيمان .. كنت مع الجماعة السلفية المحتسبة**»، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

سير الجماعة، بعد مبايعة محمد عبد الله المهدي (محمد عبد الله القحطاني)، فقد اعتمدوا السيناريو من خلال كتب الفتن وأشراط الساعة، يقول هذا السيناريو: «يبايع الرجل بين الركن والمقام ويعتصم هذا الرجل في الحرم ثم يأتي جيش من تبوك ويخسف بهذا الجيش ثم يخرج هذا الرجل من الحرم ويذهب إلىٰ المدينة ويحارب المسيح الدجال ثم يخرج من المدينة ويذهب إلىٰ فلسطين ويحارب هناك اليهود ويقتلهم ثم يأتي عيسىٰ بن مريم فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويذهبون إلىٰ الشام فيصلون في مسجد بني أمية وبعد ذلك تقوم القيامة الكبرىٰ»[1].

تم تداول فكرة محمد عبد الله القحطاني قبل اقتحام الحرم بنحو سنة، وطرحت علىٰ أساس أنه هناك من يرىٰ أن محمد عبد الله القحطاني هو المهدي المنتظر، وبما أن محمد عبد الله القحطاني اسمه محمد عبد الله؛ فهو تنطبق عليه الصفات التي جاءت في النصوص الشرعية، وقبل ستة أشهر من دخولهم للحرم حصل انشقاق حول حقيقة مهدية القحطاني.

وفي يوم الثلاثاء (١٤ محرم ١٤٠٠هـ) الموافق (٤ ديسمبر ١٩٧٩م)، وبعد انقضاء أسبوعين علىٰ حصار الحرم؛ بدأ هجوم قوات الأمن السعودية علىٰ مقتحمي الحرم في معركة تركت وراءها نحو ٢٨ قتيلًا من جماعة جهيمان، وقرابة ١٧ جريحًا من قوات الأمن والمصلين المحتجزين، وتم إخراج الباقين أحياء ومنهم جهيمان العتيبي الذي أُعدم فيما بعد، في حين كان محمد بن عبد الله القحطاني بين القتلىٰ، ونفذ في الناجين من الجماعة حكم الإعدام في (٩ يناير ١٩٨٠م) بعد أن قسموا إلىٰ أربع مجموعات أعدم أفرادها في ساحات أربع مدن رئيسة في البلاد.

★ من مؤلفات جهيمان العتيبي:

- رفع الالتباس عن ملة من جعله الله إماما للناس.
- الفتن وأخبار المهدىٰ ونزول عيسىٰ وأشراط الساعة.
- أوثق عرىٰ الإيمان؛ الحب في الله والبغض في الله.

---

(١) السابق.

- البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل
- رسالة الإمارة والبيعة والطاعة وحكم تلبيس الحكام علىٰ طلبة العلم والعامة.

★ الطليعة المقاتلة (جماعة مروان حديد):

- **التأسيس والانكفاء**: في مطلع العام (١٩٨٢م) اكتشف النظام السوري وجود تنظيم عسكري لجماعة الإخوان داخل الجيش، فوجهت إليه ضربة أمنية شديدة، حيث أُعدم خلالها العشرات من الضباط، واعتقل المئات منهم، وفي الثاني من (فبراير ١٩٨٢م) حدثت «مجزرة حماة الكبرىٰ» التي اشتركت فيها سرايا الدفاع والجيش، والقوات الخاصة والمخابرات وفصائل حزبية مسلحة، حيث أعمل هؤلاء بالمدينة قصفًا وهدمًا وحرقًا وإبادة جماعية، فقُتل آلاف السوريين، وهُدمت أحياء بكاملها علىٰ رؤوس أصحابها، وبعد مجزرة حماة ومجازر أخرىٰ شهدتها المدن والقرىٰ السورية، خفت وتيرة العمليات العسكرية، وضعف تأثيرها، إلىٰ أن توقفت تماما[1]، وفي منتصف الستينيات بدأت تتعالىٰ في صفوف جماعة الإخوان المسلمين في سوريا أطروحات المواجهة مع النظام عبر العنف، لاسيما خارج دمشق، وعلىٰ الرغم من أجواء الجماعة الحانقة بشدة علىٰ النظام، إلَّا أنَّ قرارها كان عدم الانجرار في مواجهة عسكرية مع النظام، الأمر الذي لم يرُق لعدد من الإخوان، فانفصل بعضهم، وفُصل البعض الآخر، ومن هؤلاء تشكلت نواة ما عُرف لاحقًا باسم «**الطليعة المقاتلة**» بقيادة مروان حديد، والتي أصبحت تنظيما سريًّا عام (١٩٧٥م). بدأ مروان حديد يتصرف من نفسه بعد أن انشق عن جماعة الإخوان، التي وزعت تعميمًا علىٰ أبنائها تطلب منهم عدم مساعدة مروان، وتطلب منهم الابتعاد عن جماعة مروان، وبدأ هو بتدريب بعض الشباب[2]. اتسمت علاقة تنظيم الطليعة المقاتلة بنظام البعث القائم في سوريا بكثير من الحدة والعنف. فقد قامت الطليعة المقاتلة أساسًا كرد علىٰ

---

(١) بتصرف من: دراسة فادي شامية «**الإخوان المسلمون والطليعة المقاتلة والعلاقة مع السلطة**»، ضمن الكتاب الثاني والثلاثين (أغسطس ٢٠١١) «**الإخوان المسلمون في سوريا**»، مركز المسبار للدراسات والبحوث - دبي.

(٢) السابق، ومقال: «**حقيقة ما جرىٰ في الثمانينات**»، خالد الأحمد، منشور علىٰ موقع (رابطة أدباء الشام).

النظام، ووجهت ضربات كثيرة له، لا سيما في المناطق التي تمتلك فيها تأييدًا شعبيًّا كحلب وحماة، حيث كان مقاتلو الطليعة يوزعون مجلتهم «النذير» علنًا، ورغم أن النظام كان يخوض المواجهة مع عناصر الطليعة مستخدمًا الجيش والمخابرات؛ إلَّا أنَّ تعاطف الناس كان يحول دون القضاء عليهم، وفي أواخر عام (١٩٧٩م) حاول القيادي السابق في جماعة الإخوان المسلمين في سوريا «أمين يكن» التفاوض مع السلطة لإنهاء الاشتباك معها، وقد نجح في ذلك، لكن التهدئة لم تستمر أكثر من أربعة أشهر تقريبًا، وفي (مارس ١٩٨٠م) قام النظام بحملة تمشيط واسعة علىٰ مدينة حماة، فعزلها كليًّا عن العالم، وفتش بيوتها بيتًا بيتًا، علىٰ مدىٰ أسبوع تقريبًا، بحثًا عن السلاح، وعن أسماء أعضاء من الطليعة المقاتلة، لكن ذلك لم يقضِ علىٰ التنظيم؛ إذ كان مقاتلو الطليعة يخرجون من بيوتهم، ويدخلون بيوت الناس الآخرين للاختباء، فيُقابَلون بالترحاب، ثم لجأت السلطات بعد ذلك إلىٰ عقوبات جماعية للناس في حماة وحلب، فارتكبوا خلالها مذابح، ما اضطر الأهالي للابتعاد عن عناصر الطليعة المقاتلة، وتاليًا تمكنت السلطة من الفتك بهم[١].

- **الرموز والمرجعيات**: لم تتبلور رموز ومرجعيات بارزة خلال الفترة القصيرة من عمر التنظيم؛ إذ كان الانشغال الحركي والتنظيمي ذا أولوية.

★ التجربة العنفية في الجزائر[٢]:

- **التأسيس والسياقات**: في مطلع السبعينيات نهض الشيخ مصطفىٰ بويعلي يطالب حكومة الشاذلي بوقف زحف الفساد، وبالعودة بالبلاد إلىٰ أصالتها الإسلامية، ويذكرهم بمبادئ ثورة (١٩٥٤م) التي رفعت شعار الإسلام والجهاد، حيث كان الشيخ

---

(١) انظر: **«الحركات الإسلامية في العالم العربي»**، و**«دعوة المقاومة الإسلامية العالمية»**.

(٢) انظر: **«مختصر شهادتي علىٰ تجربة الجهاد في الجزائر ١٩٨٨ - ١٩٩٦»**، أبو مصعب السوري، مؤسسة التحايا للإعلام. و**«التجربة الجزائرية»**، عطية الله الليبي، مؤسسة التحايا للإعلام. و**«الإسلاميون والعسكر.. سنوات الدم في الجزائر»**، محمد سمراوي، تنوير للنشر والإعلام، و**«الجزائر والمؤامرة علىٰ الإسلام والديموقراطية»**، أحمد السيوفي، و**«الحركة الإسلامية في الجزائر»**، د. فاتن المعاضيدي، مؤسسة الانتشار العربي، و**«التحدي الإسلامي في الجزائر»**، مايكل ويليس، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

أحد المجاهدين الذين شاركوا فيها، ثم ما لبث الشيخ بويعلي أن أعلن الجهاد وأسس «حركة الدولة الإسلامية»، وحمل السلاح وصعد الجبال في ثلة من أنصاره يواجهون النظام الجزائري، ثم تمكنت الحكومة في سنة (١٩٧٦م) من قتله، واعتقلت العديد من أنصاره وساقتهم إلىٰ السجون، وفي أواخر الثمانينيات بلغت الأزمة الاقتصادية في الجزائر مداها، وانفجر الشعب الجزائري في ثورة تظاهرات عامة عرفت بمظاهرات الخبز، وأدرك النظام الجزائري ورئيسه الشاذلي أنه لابد من إحداث تغير جذري في الأوضاع، فأعلن الشاذلي سنة (١٩٨٨م) سلسلة من الإصلاحات الشاملة، كان من أهمها: إنهاء سياسة الحزب الواحد، وإطلاق المسار الديمقراطي، وحرية تشكيل الأحزاب السياسية، وأقبل الجزائريون بحماس علىٰ تشكيل الأحزاب وإنشاء الصحف، وازدهرت الحركة السياسية، وكان في طليعة الذين تحركوا بحماس في هذه الفسحة من الحرية، مختلف مكونات الصحوة الإسلامية في الجزائر، وأعلن الشاذلي عن إجراء انتخابات بلدية عام (١٩٨٨م)، تبعتها انتخابات برلمانية في (١٩٨٩م)، ومع إعطاء الضوء الأخضر لتشكيل الأحزاب، تحرك الشيخ عباسي مدني يدعو إلىٰ تشكيل جبهة إسلامية عريضة تضم كافة الطيف الإسلامي؛ ليخوض الإسلاميون السباق بصف شعبي موحد وقوي، وأسس الرجل «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» من مجموعة من التيارات والكتل والشخصيات الإسلامية المستقلة المعروفة. ولم يبقَ بعد ذلك خارجها من مكونات الصحوة إلا جماعة الإخوان المسلمين (الدوليين) بزعامة محفوظ النحناح، وجماعة إسلامية أخرىٰ تحمل فكر الإخوان عمومًا، ولكنها مستقلة تعمل في الإطار الجزائري، وهي «جماعة النهضة الإسلامية» التي تزعمها الشيخ عبد الله جاب الله، ومع انصرام الانتخابات البلدية، تبيَّن أنَّ الجهة الإسلامية للإنقاذ قد سحقت أقوىٰ الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر، وهو حزب السلطة «حزب جبهة التحرير الوطني»، وتولَّت بذلك جبهة الإنقاذ معظم بلديات الجزائر، استفادت جبهة الإنقاذ من حضورها في البلديات، وقامت بخدمات دعائية كبيرة، ومع ذلك تمخض الدور الأول في الانتخابات البرلمانية عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة، وبدا أنَّ ذلك سيمكنها خلال الشوط الثاني من الدورة الإكمالية من الأغلبية الساحقة، إلىٰ تأهلها لتشكيل الحكومة منفردة، والترشح بذلك لرئاسة الدولة. في أعقاب ذلك؛ صرح «فرانسوا ميتران» الرئيس الفرنسي في حينها، أنَّ فرنسا علىٰ استعداد للتدخل

العسكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة، وكان الحلُّ الوحيد أمامهم هو إحداث انقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب، ولاسيما فرنسا، لقطع الطريق علىٰ الإسلاميين، وحصل الانقلاب، واعتقلت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ وأودعت السجون، وقمعت المظاهرات بالعنف، وفتح النظام العسكري الذي استولىٰ علىٰ السلطة، وسحق الديمقراطية العديد من السجون الصحراوية لعشرات الآلاف من المعتقلين الإسلاميين.

★ نشأة الجماعة الإسلامية المسلحة والجيش الإسلامي للإنقاذ:

بعد الانقلاب العسكري لاذ عشرات من الشباب للجبال، وبدؤوا يبحثون عن السلاح، ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية، ثم ما لبثوا وبسرعة كبيرة، أن بدؤوا الصدام المسلح مع الحكومة. أدت حركة الاعتصام الكبير في الجزائر العاصمة، والذي دعت له جبهة الإنقاذ، إلىٰ مفاجأة الجميع باعتقال زعيمي الجبهة عباسي مدني وعلي بلحاج. برز الشيوخ عبد القادر شبوطي، وعبد الرزاق رجام، وسعيد مخلوفي، ومحمد السعيد كرؤوس لكتل مقاومة مسلحة للحكومة في العاصمة والجبال من حولها، وعمت الفوضىٰ السياسية والأعمال المسلحة في البلاد، وبدت نذر حرب أهلية طاحنة ما لبثت أن اشتعلت بضراوة، وأحس الأفغان العرب الجزائريون في أفغانستان بأنَّ دورهم قد حان، ونزل قاري سعيد إلىٰ الجزائر بعد الانقلاب، ومكث فيها زهاء شهر؛ إذ قام بجهود مضنية لجمع الأفغان العرب، مع بقايا فرع من جماعة مصطفىٰ بويعلي ببعض الخلايا ذات الفكر السلفي هناك في جماعة جهادية واحدة، ورتب قاري سعيد أمور إخوانه في أفغانستان علىٰ عجل، ثم عاد إلىٰ الجزائر، وهاتف نائبه في بيشاور؛ ليخبره بقيام ذلك الجمع الذي سعوا له، وأنَّهم أسموه «الجماعة الإسلامية المسلحة». انشق جزء كبير من مجلس شورىٰ جبهة الإنقاذ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة العسكرية، ورفض آخرون من قيادات الجبهة ذلك، وبدؤوا المواجهة باسم «جبهة الإنقاذ»، وسرعان ما أسفر اجتماعهم عن إعلان تشكيل ما عرف باسم «الجيش الإسلامي للإنقاذ» الذي برز علىٰ رأسه «مدني مرزاق» أحد كوادر الجبهة، ومع استمرار القمع العسكري للمعارضة تصاعدت حدة العمليات العسكرية، اعتقل القاري سعيد في إحدىٰ الهجمات الكبرىٰ علىٰ قيادة القوات البحرية

في الجزائر العاصمة، ثم فر مع أكثر من (٧٠٠ سجين) من سجن الجزائر العاصمة بعد عدة أشهر، والتحقوا بالجبال، وروىٰ بعضهم أنَّ الاستخبارات الجزائرية سهلت عملية الهروب تلك لزرع عشرات الجواسيس وسط المجاهدين باعتبارهم فروا معهم، وتابع القاري سعيد جهوده في توحيد الفصائل المقاتلة من جميع الفرقاء، ثم قتل في ظروف غامضة أواخر (١٩٩٤م). مع تولي أبي عبد الرحمن أمين قيادة الجماعة؛ بدأت بوادر تغير في منحىٰ السياسات والبيانات والعمليات في الجماعة الإسلامية المسلحة؛ إذ كثرت البيانات الصادرة عن الجماعة، وفيها لغة تصعيد للمواجهة مع الشرائح المدنية والاجتماعية ذات العلاقة مع هيكل الدولة أو السلطة، وتوعدتها بالقتل، كما زاد التجرؤ علىٰ إصدار الفتاوىٰ باستحلال قتل النساء والأطفال من أسر العاملين في أجهزة الدولة، كما تم تصعيد المواجهة مع المليشيات المدنية المرتبطة بالحكومة، واتخاذها هدفًا أساسيًا، كما ارتفعت لهجة التكفير في الخطاب العام.

أصدر أبو عبد الرحمن أمين كتابًا بعنوان: «**هداية رب العالمين**»، بوصفه منهج الجماعة الإسلامية المسلحة، وقد حمل الكتاب الكثير من تأصيلات التكفير، والتساهل في دماء الناس. استغلت أجهزة الاستخبارات الجزائرية هذه الأجواء ودسَّت العملاء في قيادة الجماعة، وفي أواخر (١٩٩٦م) قتلت مجموعة من «جماعة جبل الأربعاء»، كما كانوا يسمون، أبا عبد الرحمن الأمين، وهم من جماعة الشيخ محمد السعيد؛ ليتولي بعده قيادة الجماعة الإسلامية المسلحة «عنتر الزوابري»، الذي تابع مسلسل الدماء والتكفير، وقتل في (٢٠٠٣م) فيما بعد في العاصمة الجزائر، ثم قامت الغالبية الساحقة من المسلحين بالنزول من الجبال بفعل ما سمي بمشروع الوئام الوطني، وبقيت مجموعات هنا وهناك في الجزائر تريد متابعة المواجهة مع النظام، ثم ظهرت إلىٰ العلن جماعة أطلقت علىٰ نفسها اسم «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» بزعامة أميرها «حسن حطاب»، بدا من خلال بياناتها أنَّها وعت بعض عبر ذلك الدرس القاسي، فركزت في بياناتها علىٰ نفي أفكار التكفير والغلو، وعلىٰ تركيز المواجهة مع أجهزة السلطة العسكرية والأمنية، وإبراز الأهداف العامة من أجل إقامة الدولة الشرعية، إلَّا أنَّ معظم الأوساط الجهادية بدت حذرة من تأييدها نتيجة الصدمة التي عاشتها، ولأنَّ حسن حطاب كان عضوًا في الجماعة المسلحة تحت قيادة أبي عبد الرحمن أمين.

★ الجهاد في البوسنة والشيشان:

سارت عجلة الحراك الجهادي في كل من البوسنة والشيشان بشكل طبيعي وعادي؛ إذ لم تكن المواجهة فيها مع القطب الأمريكي الأوروبي، بل كانت تستهدف بالأساس المعسكر الروسي الشرقي، وهو ما قد يفسر تخفف وطئة التضييق عليه، بل وتمدد المنظمات الإغاثية الداعمة من كل وجه، خاصة السعودية منها؛ إذ تعتبر هي الأبرز من حيث التمثيل داخل التيارات الجهادية في البوسنة والشيشان، وتتمثل المرجعيات الرمزية للجهاد البوسنوي في عبد الرحمن الدوسري الشهير بـ«برباروس»، والمصري أنور شعبان، وأبي الزبير الحائلي. بينما برز في الجهاد الشيشاني أسماء القائد البارز وذائع الصيت سامر السويلم المعروف بـ«خطّاب»، ومحمد التميمي المعروف بـ«أبي عمر السيف»، وعبد العزيز الغامدي المعروف بـ«أبي الوليد الغامدي»، وشامل باسييف القائد الشيشاني المعروف.

★ تنظيم الدولة الإسلامية[1]:

بدأت النسخة العراقية للتنظيم بقيادة أبي مصعب الزرقاوي الذي ارتبط بعد زيارات لأسامة بن لادن في أفغانستان بالخط الفكري والمنهجي لتنظيم قاعدة الجهاد، وعليه

---

(١) لكون ظاهرة داعش مازالت قيد الدراسة والبحث والفحص؛ فإنَّنا سنشير لجملة من البحوث والدراسات التي أفدنا منها، ويمكن للقارئ الاطلاع عليها لتكوين صورة أقرب للتنظيم تبعًا لآخر المستجدات الإقليمية والدولية:
- داعش .. عودة الجهاديين، باتريك كوكبيرن.
- عالم داعش، هشام الهاشمي.
- الدولة الإسلامية، عبد الباري عطوان.
- تنظيم الدولة الإسلامية .. الأزمة السنية والصراع علىٰ الجهادية العالمية، حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان.
- تنظيم «الدولة الإسلامية»: النشأة، التأثير، المستقبل، مركز الجزيرة للدراسات.
- تحديد معالم الدولة الإسلامية، وتعريف القيادة العليا للدولة الإسلامية، ورقة تحليلية جديدة صادرة عن مركز بروكنجز الدوحة، تشارلز ليستر.
- تنظيم الدولة .. النشأة والأفكار، وحدة الدراسات والأبحاث بمركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث.

أسَّس الزرقاوي تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين في العام (٢٠٠٤م)، إلَّا أنَّ خلافات استراتيجية أنبتت بذور الشقاق بين الفرع العراقي والأصل في أفغانستان، حيث تبنَّىٰ الزرقاوي لزوم مواجهة العدو الشيعي بالتوازي مع مواجهة الاحتلال الأمريكي وحلفائه، وهو الأمر الذي كان يراه الظواهري تشتيتًا للجهود من الناحية المرحلية، وفي العام (٢٠٠٦م) تم تأسيس «مجلس شورىٰ المجاهدين» الذي ضم عددًا من الكتائب الأخرىٰ بجانب تنظيم القاعدة، ثم أعلن تنظيم «دولة العراق الإسلامية» في أكتوبر من العام ذاته، وبعد أن قتل الزرقاوي في (يونيو ٢٠٠٦م)، وعقب مقتل الزرقاوي تولىٰ المصري أبو حمزة المهاجر قائد كتيبة «عائشة أم المؤمنين» المتنفذة في قيادة قاعدة العراق قيادة التنظيم، وبعد توليه سعىٰ لإنشاء دولة أو إمارة إسلامية تجمع شتات الفصائل السنية، لكن سياسته كانت أكثر حدة من سلفه، فبعد إنشاء دولة العراق الإسلامية بإمرة أبي عمر البغدادي؛ عمد المهاجر الذي كان القائد الفعلي للدولة -بحسب رسالة قاضي الدولة أبي سليمان العتيبي لقيادة القاعدة في أفغانستان- إلىٰ إجبار الرافضين لمشروع الدولة من الفصائل الأخرىٰ علىٰ بيعة البغدادي، حتىٰ وصل إلىٰ قتال المنشقين عنه من تنظيم القاعدة ومن الجماعات الأخرىٰ.

تسبب نهج المهاجر إلىٰ نشوء ما يُعرف بمجالس الصحوات بمساعدة أمريكية وإقليمية عربية -وهو خليط من العشائر السنية والفصائل التي كانت تقاتل الاحتلال الأمريكي- لطرد تنظيم دولة العراق الإسلامية من مناطق الوسط والشمال السنية خاصة محافظة الأنبار، وهو ما نجح بسرعة رهيبة بعد أن فقد التنظيم حاضنته الشعبية ولجأ إلىٰ الصحاري والمناطق النائية، وقلَّت عملياته بنسبة كبيرة في مواجهة المحتل والقوات العراقية المساندة له، واستمر علىٰ هذا الحال، إلَّا أنَّ أواخر فترة المهاجر شهدت تصاعدًا في العمليات ضد الحكومة العراقية لم يلبث حتىٰ قتل المهاجر والبغدادي في غارة أمريكية علىٰ محافظة صلاح الدين. تولىٰ بعدها قيادة الدولة الأمير الحالي لداعش «أبو بكر البغدادي»، وفي عهده حصلت الثورة السورية التي كانت متنفسًا لتنظيمه، فتدخلت الدولة تحت مسمىٰ «جبهة النصرة»، حتىٰ حصل الخلاف بينها وبين قيادة الدولة في العراق بعد إعلان البغدادي عن حلِّ جبهة النصرة وإعلان

«الدولة الإسلامية في العراق والشام» = داعش.

من خلال وثيقة سميت بـ«خطة استراتجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية»[1]، يُمكن تتبع نمط التخطيط الاستراتيجي الذي يتبناه تنظيم الدولة، حيث تذكر الوثيقة: «فمشروع دولة العراق الإسلامية هو مشروع الأمة كلها، وهو هدف كل المجاهدين الصادقين في العراق بلا شك، وما سنقدمه من رسم لاستراتيجية هذه المرحلة لها، والتي نعتبرها مرحلة تخطيط وإعداد مهمة، بل ومحورية خطيرة، هو بلا ريب يصب في صالح بقية المجاهدين الصادقين ممن لهم وجهة نظر مخالفة من حيث الأسلوب والطريقة، سائلين المولىٰ ﷻ أن يُمكِّن لدولة الإسلام في العراق، وأن يجمع المسلمين حول رايتها؛ لتكون عزًّا ونصرًا وفخرًا للمسلمين في كل مكان، وسيكون ذلك وَفق خمسة فصول:

الأول: السعي الجاد لتوحيد الجهود.

الثاني: التخطيط العسكري المتوازن.

الثالث: مجالس الصحوة الجهادية.

الرابع: العناية بالرمز السياسي.

الخامس: طمأنة المخالفين».

وتذكر الوثيقة أيضًا: «. . . ولذلك؛ فهذه المرحلة الحالية تحتاج إلىٰ خطة متوازنة في المواجهة؛ لكي يكون لها ثمرة واضحة في المستقبل المنظور، بحيث يُقلل من هامش الاجتهاد الميداني لدىٰ أمراء الكتائب والولايات؛ لأنَّ تحويل التخطيط ورسم الاستراتيجية للأمراء سيجعل هناك تباينًا وتفاوتًا في الآراء والاجتهادات، ممَّا يُقلِّل من أثر العمل الجهادي الإيجابي لاسيما مع تعدد الجبهات والأعداء والأهداف المراد استهدافها، ولهذا لمَّا كانت الاستراتيجية موحدة في مرحلة ظهور مجالس الصحوة كان الأثر واضحًا وظاهرًا وملموسًا، وعلىٰ ضوء هذا نعتقد بأنَّه من الواجب أن تكون الخطة العسكرية في هذه المرحلة متشكلة من خلال ثلاث سياسات أو خطوط عريضة مهمة وهي كالتالي: تسع رصاصات علىٰ المرتدين ورصاصة علىٰ الصليبيين،

---

(١) نشرت عام (٢٠٠٩م) علىٰ منتديات «شبكة حنين».

التطهير، الاستهداف . . . ولهذا فمن الأهمية بمكان تدمير البناء الصليبي = الجيش والشرطة العراقية، بحيث تبقىٰ القوات الصليبية بين إرادة انتشال نفسها من هذا المأزق بأسرع وقت وبين البقاء فيه عاجزة عن إتمام البناء الذي أزمعت علىٰ بنائه بشكل جيد، فتواجه بذلك الموت البطيء، والمقصود بهذه السياسة: أن نرفع معدل الخوف من إمكانية الإصابة والموت عند الانتساب لهذه الأجهزة علىٰ معدل إمكانية السلامة والاستمتاع بالوظيفة والمرتب، حتىٰ يقلل من معدلات الانضمام لتلك الأجهزة، ويزيد من معدلات الهروب من الخدمة والابتعاد عن هذه الوظيفة، وهذا لا يكون خلال شهر أو شهرين، بل يحتاج إلىٰ عمل متواصل ومستمرٍ حتىٰ نحقق هذه المعادلة المهمة، ولأجل الوصول لهذا لا بد أن يكون استهداف المنتسبين للجيش والشرطة علىٰ نطاق واسع بحيث لا يتوفر في أي منطقة يتواجدون فيها أمانٌ مطلقًا يشجع غيرهم علىٰ الالتحاق بتلك الأجهزة، وحتىٰ يكون انتشار القتلىٰ والمصابين كبيرًا بحيث يكون هذا مانعًا لمعارفهم وأقاربهم من الدخول في دائرة استهداف المجاهدين والتعرض لمثل هذه المصائب التي يرونها تلحق بكل منتسب بالجيش والشرطة، ومن الضروري أن يترافق هذا مع سياسة إعلامية دعائية تجرِّم الانضمام لتلك الأجهزة، وتجعله عارًا يلحق بالمنتسبين إليها، بالإضافة إلىٰ تعزيز الخوف من خطورة استهدافهم من قبل المجاهدين كرسائل التهديد العلنية، والتي يعقبها التنفيذ الصادق لها؛ لأنَّ هذا أوسع انتشارًا وأكثر مصداقية في تعزيز هذه الأمور، مع تنويع الخطاب الموجه لهم بما يناسب مختلف التوجهات والأفكار، متأسين في ذلك بكتاب الله ﷻ الذي جمع بين الترهيب والترغيب، فيجدر الاهتمام مع الجانب العسكري الصارم بالجانب التوعوي ذي الخطاب اللين المشفق المعزز بالحكم الشرعي لهذه الأجهزة في الدنيا والآخرة»[1].

من الواضح من خلال الوثيقة السابقة أن الدولة تولي اهتمامًا كبيرًا لعملاء الداخل العراقي، وهو ما قد لُوحظ أيضًا في ممارسات التنظيم في سوريا.

قد يكون الخلاف المنهجي والفكري الذي بدأت تتضح معالمه بين القاعدة وداعش هو من أبرز مظاهر فراغ الظهير الفكري والتنظيمي الذي يمكن أن يحتمي به تنظيم

---

(١) وثيقة «خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية».

الدولة، فلاشك أن تنظيم القاعدة قد اكتسب خبرة تنظيمية وعسكرية جيدة عبر فترات الحرب مع الروس، ثم إبان الدولة الطالبانية وما أعقبها من الحرب مع الولايات المتحدة، ولم يكن من الأنجح للمشروع الجهادي القاعدي تفكك مكوناته، بل كان من الأجدىٰ أن تتقوىٰ فصائله وكتائبه بعضها ببعض، وهو ما كان الظواهري يسعىٰ لتحقيقه من خلال تجاوز المخالفات التنظيمية التي ارتكبها تنظيم الدولة، تكمن الإشكالية الاستمدادية لداعش في ضبابية تاريخ قياداته الحاليين -حتىٰ بالنسبة إلىٰ لظواهري- وهو ما يضع علامات استفهام حول الإصرار علىٰ مفاصلتهم لقيادات تنظيم القاعدة الأوائل، بل والاستعلان بمخالفتهم، كما يضع الكثير من التساؤلات حول كم وكيف التمويل الذي يتحصلون عليه من دون دعم من تنظيم القاعدة الأصل.

واللافت أنَّ قيادات ورموز الجيل الثاني التاريخية، خاصة الظواهري والمقدسي، أجمعت علىٰ رفض «اختطاف» داعش لقيادة الحالة الجهادية الحالية، في الوقت نفسه الذي يصر فيه خطاب داعش علىٰ المفاصلة الحركية والمرجعية لهذه القيادات، بل وقتال من يبقي علىٰ بيعته وتبعيته لهم «جبهة النصرة»، وهو ما جابهه الظواهري بمحاولة «بائسة» لإنقاذ التشظي الأخطر للتيار الجهادي، وذلك بفصل دولة العراق الإسلامية عن تلك التي في سوريا، والإبقاء علىٰ زعامة أبي محمد الجولاني (مسئول النصرة) علىٰ الجزء السوري، وهو الأمر الذي وُوجِه من قبل أمير تنظيم الدولة أبي بكر البغدادي بفرض منطق الأمر الواقع والقوة، وواجه تمرد القاعدة في سوريا (النصرة) عليه بالقتال.

قسمت داعش مناطق سيطرتها إلىٰ عدة مناطق سميت بالولايات وتشمل:

- القسم السوري:

(١) ولاية الرقة (الرقة، الطبقة).

(٢) ولاية الخير (دير الزور، الميادين).

(٣) ولاية حلب (منبج، الباب).

(٤) ولاية دمشق (حي الحجر الأسود، ٣٥ ٪ من مخيم اليرموك).

(٥) ولاية حمص.

(٦) ولاية حماة.

(٧) ولاية البادية.

(٨) ولاية الفرات (مشتركة تشمل البوكمال السورية والقائم العراقية).

- **القسم العراقي:**

(١) ولاية نينوىٰ (الموصل، حمام العليل).

(٢) ولاية كركوك (الحويجة، الرياض، الرشاد).

(٣) ولاية الأنبار (الرطبة، هيت، القائم، كبيسة).

(٤) ولاية الفلوجة (الفلوجة، كرمة الفلوجة).

(٥) ولاية صلاح الدين (بيجي).

(٦) ولاية الجنوب (زوبع).

(٧) ولاية الجزيرة (البعاج، تلعفر، المحلبية).

(٨) ولاية دجلة (الشرقاط).

- **القسم المصري:** ولاية سيناء (مناطق سيطرة محدودة شرق محافظة شمال سيناء).

- **القسم اليمني:** ولاية صنعاء.

- **القسم الليبي:**

(١) ولاية برقة (درنة، بنغازي).

(٢) ولاية طرابلس.

(٣) ولاية فزان.

بالإضافة لتنظيم «بوكو حرام» النيجيري الذي أعلن بيعته للبغدادي.

يجمع بين جل الولايات التابعة للتنظيم خارج الشام التبعية الفكرية الاستمدادية دون الارتباط التنظيمي المباشر بالمركز، وهو ما يجعله أكثر انتشارًا وأعسر علىٰ التتبع والملاحقة الأمنية.

يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية من أكثر الحركات الجهادية العالمية تطورًا علىٰ

المستوىٰ الهيكلي التنظيمي والفعالية الإدارية؛ فقد تطورت أبنيته التنظيمية بالاستناد إلىٰ المزاوجة بين الأشكال التنظيمية الإسلامية التقليدية، التي تكونت مع مؤسسة الخلافة، وتنظيرات الفقه السلطاني الذي يؤسس لمفهوم الدولة السلطانية؛ إذ يقوم علىٰ مبدأ الغلبة والشوكة والإمارة، إلىٰ جانب الأشكال التنظيمية الحداثية لمفهوم الدولة الذي يستند إلىٰ جهاز عسكري أمني وآخر أيديولوجي بيروقراطي، ومنذ السيطرة علىٰ الموصل تضاعف عدد أعضائه ليصل إلىٰ أكثر من ٣٥ ألف مقاتل، من العراقيين والسوريين، ويضم في صفوفه أكثر من ٩ آلاف مقاتل عربي ومسلم أجنبي، إلَّا أنَّ البنية الأساسية لقوات النخبة تصل إلىٰ حدود ١٥ ألف مقاتل.

أولًا: الخليفة:

يتعامل التنظيم في إدارة شئونه وتدبير حكمه باعتباره دولة إسلامية مكتملة الأركان والشروط، وكان الأمير السابق للتنظيم أبو عمر البغدادي هو من أرسىٰ الهيكلية العامة لـ«الدولة الإسلامية»، وقد عمل الزعيم الحالي «أبو بكر البغدادي»، علىٰ تطوير البناء الهيكلي من خلال ترسيخ مبدأ البيعة والطاعة؛ الأمر الذي يضمن مركزية التنظيم وسيطرة الخليفة علىٰ كافة مفاصل التنظيم.

وتعتمد البنية التنظيمية لـ«الدولة» علىٰ هيكلية هرمية يعتبر «الخليفة» رأسها، ويُشرف إشرافًا مباشرًا علىٰ «المجالس»، وهي تسمية استخدمها أبو بكر البغدادي عوضًا عن تسمية الوزارات التي اعتمدها سلفه أبو عمر البغدادي، وتعتبر «المجالس» المفاصل الأساسية لتنظيم الدولة التي تشكِّل «القيادة المركزية»، ويتمتع البغدادي بصلاحيات واسعة في تعيين وعزل رؤساء المجالس بعد أخذ رأي «مجلس الشورىٰ»، الذي تبدو استشارته مُعلِمة وغير ملزمة؛ فالقرار الأخير والفصل النهائي بعد التداول للبغدادي، إبراهيم عواد إبراهيم البدري السامرائي، وهو عراقي الأصل، وبفضل سلطاته «الدينية» الواسعة يتحكم في سائر القضايا الاستراتيجية؛ فهو صاحب «الأمر والنهي» في معظم القرارات الحاسمة.

وفي الوقت نفسه استثمر البغدادي الجهاديين العرب والأجانب في الأجهزة الشرعية، وخصوصًا أبناء دول الخليج العربي، أمثال: أبي بكر القحطاني (عمر القحطاني)، وأبي همام الأثري، المعروف بتركي البنعلي (تركي بن مبارك بن

عبد الله) من البحرين، والسعودي عثمان آل نازح العسيري، وغيرهم، فيما اعتمد البغدادي علىٰ «حلقة تلعفر التركمانية» في المواقع الأمنية الأساسية، وفي مقدمتهم أبو علي الأنباري، واعتمد علىٰ العرب والأجانب في المؤسسة الإعلامية، وفي مقدمتهم السوري أبو محمد العدناني الناطق باسم الدولة الإسلامية، ومع توسع التنظيم وإعلان الخلافة عقب السيطرة علىٰ الموصل في (حزيران/ يونيو ٢٠١٤م)، بدأ البغدادي يدمج العرب والأجانب بصورة أكبر، إلَّا أنَّ المكون العراقي لا يزال يتمتع بأرفع المناصب وأخطرها.

ثانيًا: مجلس الشورىٰ:

وهو من أهم المؤسسات التابعة للتنظيم، وعلىٰ الرغم من التطورات التي شهدها المجلس منذ إمارة الزرقاوي مرورًا بأبي عمر البغدادي وصولًا إلىٰ الزعيم الحالي أبي بكر البغدادي، إلَّا أنَّ مؤسسة الشورىٰ كانت حاضرة دومًا، ويترأس مجلس شورىٰ الدولة حاليًّا أبو أركان العامري، ويتسع المجلس ويضيق بحسب الظروف والحاجة، كما يجتمع للنظر في القضايا المستجدة واتخاذ القرارات المهمة ورسم السياسات العامة، ويضم في عضويته عددًا من القيادات التاريخية وخصوصًا الشرعية، ولا يوجد ثبات في عدد أعضائه، وغالبًا ما كان يضم من ٩ إلىٰ ١١ عضوًا يختارهم البغدادي بتزكية من الأمراء والولاة.

ثالثًا: أهل الحل والعقد:

تم اختيار البغدادي خليفةً للمسلمين بعد أن: اجتمع مجلس شورىٰ الدولة الإسلامية، وتباحث هذا الأمر، بعد أن باتت الدولة الإسلامية بفضل الله تمتلك كل مقومات الخلافة، والتي يأثم المسلمون بعدم قيامهم بها، وأنه لا يوجد مانع أو عذر شرعي لدىٰ الدولة الإسلامية؛ يرفع عنها الإثم في حال تأخرها أو عدم قيامها بالخلافة؛ فقررت الدولة الإسلامية، ممثلة بأهل الحل والعقد فيها؛ مِن الأعيان والقادة والأمراء ومجلس الشورىٰ: «إعلان قيام الخلافة الإسلامية»، وتنصيب خليفة للمسلمين، ومبايعة الشيخ المجاهد، العالم العامل العابد، الإمام الهُمام المجدد، سليل بيت النبوة، عبد الله: إبراهيم بن عواد بن إبراهيم بن علي بن محمد، البدري القرشي الهاشمي الحسيني.

رابعًا: الهيئة الشرعية:

تعتبر أحد أهم مفاصل تنظيم الدولة الإسلامية نظرًا لطبيعته الدينية، وكان أبو علي الأنباري يتولىٰ مسؤولية الملف الأمني والشرعي، ويتولىٰ منصب رئيس الهيئة حاليًّا أبو محمد العاني، وقد كان أبو أنس الشامي أول من تولىٰ هذا المنصب في عهد الزرقاوي، وتأسيس جماعة «التوحيد والجهاد»، وفي عهد أبي عمر البغدادي تولىٰ المنصب عثمان بن عبدالرحمن التميمي، تقوم الهيئة بإصدار الكتب والرسائل وصياغة خطابات البغدادي والبيانات والتعليق علىٰ الأفلام والأناشيد والمواد الإعلامية الخاصة بالتنظيم، وتنقسم الهيئة الشرعية إلىٰ قسمين رئيسين، الأول: يتعلق بتنظيم المحاكم الشرعية ومؤسسة القضاء للفصل في الخصومات وفض النزاعات وإقامة الحدود، والقيام بوظيفة الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثاني: يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد والتجنيد والدعوة ومتابعة الإعلام.

ويعتمد التنظيم علىٰ العرب والأجانب بشكل كبير في عضوية الهيئة الشرعية، وخصوصًا المكوِّن العربي الخليجي، كما ذكرنا سابقًا.

خامسًا: الهيئة الإعلامية:

يتمتع الإعلام بأهمية كبيرة داخل هيكلية تنظيم الدولة الإسلامية، وهو من أكثر التنظيمات الجهادية اهتمامًا بشبكة الإنترنت والمسألة الإعلامية؛ فقد أدرك منذ فترة مبكرة من تأسيسه الأهمية الاستثنائية للوسائط الاتصالية في إيصال رسالته السياسية ونشر أيديولوجيته السلفية الجهادية، فأصبح مفهوم «الجهاد الإلكتروني» أحد الأركان الرئيسة في فترة مبكرة منذ تأسيس جماعة «التوحيد والجهاد»، ثم القاعدة في بلاد الرافدين، كان أبو ميسرة العراقي يتولىٰ رئاسة القسم الإعلامي، وفي حقبة «دولة العراق الإسلامية» عام (٢٠٠٦م) تولىٰ المنصب أبو محمد المشهداني تحت اسم وزير الإعلام، وكان أبو عبدالله محارب عبداللطيف الجبوري ناطقًا باسم تنظيم الدولة، وفي عام (٢٠٠٩م) أصبح أحمد الطائي وزيرًا للإعلام، ويقود المؤسسة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية اليوم هيئة موسعة بقيادة أبي الأثير عمرو العبسي.

شهدت الهيئة الإعلامية لتنظيم الدولة تطورًا كبيرًا بالشكل والمحتوىٰ، وتتمتع بدعم

وإسناد كبيرين، وتعتبر «مؤسسة الفرقان» الإعلامية الأقدم والأهم، وقد ظهرت مؤخرًا مؤسسات إعلامية عديدة تتبع التنظيم، مثل: «مؤسسة الاعتصام»، و«مركز الحياة»، و«مؤسسة أعماق»، و«مؤسسة البتار»، و«مؤسسة دابق الإعلامية»، و«مؤسسة الخلافة»، و«مؤسسة أجناد للإنتاج الإعلامي»، و«مؤسسة الغرباء للإعلام»، و«مؤسسة الإسراء للإنتاج الإعلامي»، و«مؤسسة الصقيل»، و«مؤسسة الوفاء»، و«مؤسسة نسائم للإنتاج الصوتي»، ومجموعة من الوكالات التي تتبع الولايات والمناطق التي تسيطر عليها، كوكالة أنباء «البركة»، و«الخير»، وغيرها.

كما صدر عدد من المجلات بالعربية والإنجليزية أمثال: «دابق» و«الشامخة»، وأنشأت الهيئة إذاعات محلية، مثل: إذاعة «البيان» في مدينة الموصل في العراق، وإذاعة أخرىٰ في مدينة الرقة في سوريا، ويواصل التنظيم نشاطه الإعلامي من خلال العمل في المدونات، ومن أهمها مدونات باللغتين الروسية والإنجليزية؛ إذ تقوم الهيئة بترجمة الإصدارات الإعلامية إلىٰ لغات أجنبية عديدة، كالإنجليزية والفرنسية، والألمانية، والإسبانية، والأوردو، وغيرها.

تُؤكد الأشرطة والمواد الدعائية التي تصدرها المؤسسات الإعلامية التابعة للتنظيم كمؤسستي «الفرقان» و«الاعتصام»، علىٰ التحول الكبير في بنيته وقدراته الفائقة، وتكتيكاته العنيفة، واستراتيجيته القتالية المرعبة؛ فقد أصدر سلسلة من الأفلام المتقنة، أطلق عليها: «صليل الصوارم»، بدءًا من صليل الصوارم (١ تموز/ يوليو ٢٠١٢م)، وصليل الصوارم (٢ آب/ أغسطس ٢٠١٢م)، وصليل الصوارم (٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢م)، ثم صليل الصوارم (٤ مايو/ أيار ٢٠١٤م).

ومن أهم الإصدارات التي كان لها وقْع كبير علىٰ موقع «يوتيوب»: إصدار «كسر الحدود» بتاريخ (٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤م)، و«خطبة البغدادي في الموصل» بتاريخ (٥ تموز/ يوليو ٢٠١٤م)، وسلسلة إصدارات بعنوان: «**رسائل من أرض الملاحم**»، وهي سلسلة توثق إنجازات وعمليات التنظيم تصدر تباعًا بلغت حتىٰ الآن ٥٠ إصدارًا، وكذلك سلسلة إصدارات بعنوان: «**فشَرِّد بهم مَنْ خَلْفَهم**»، ويغطي الجزء الأول معركة تحرير اللواء ٩٣ في ولاية الرقة السورية بتاريخ (٢٣ آب/ أغسطس ٢٠١٤م)، والجزء الثاني يغطي معركة تحرير مطار الطبقة في ولاية الرقة السورية بتاريخ (٧ أيلول/

سبتمبر ٢٠١٤م)، وهنالك إصدار «**علىٰ منهاج النبوة**»، بتاريخ (٢٨ تموز/ يوليو ٢٠١٤م)، ويعتبر فيلم «**لهيب الحرب**»، من أضخم الإصدارات والأكثر دقة ورعبًا، ويتضمن تغطية لمعارك عديدة لتنظيم الدولة ورسالة موجهة لدول التحالف المشاركة في الحملة علىٰ التنظيم، وقد أصدره الجناح الإعلامي التابع للتنظيم الخاص باللغة الإنجليزية «**مركز الحياة**»، بتاريخ (١٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤م).

سادسًا: بيت المال:

يُعد تنظيم الدولة الإسلامية الأغنىٰ في تاريخ الحركات الجهادية، وقد تفوق علىٰ تنظيم القاعدة المركزي والفروع الإقليمية للقاعدة، فتمكن منذ عهد الزرقاوي من بناء شبكات تمويل ممتدة، ونوَّع في مصادره التمويلية؛ فقد أنشأ لجنة مالية فعَّالة منذ تأسيس جماعة «التوحيد والجهاد»، تقوم بجمع الأموال اللازمة لتمويل الأنشطة المختلفة، تعتمد علىٰ شبكة من الناشطين المتخصصين في مجال جمع التبرعات من خلال التجار والمساجد، وخصوصًا الدول الخليجية الغنية وأوروبا، فضلًا عن عمليات جمع الأموال داخل العراق، ومصادر التمويل الخاصة بالغنائم التي يحصل عليها من خلال الاستيلاء علىٰ المناطق المحررة، وفرض الضرائب المختلفة.

ومع تنامي نفوذ التنظيم والإعلان عن تأسيس «دولة العراق الإسلامية» أعلن في تشكيلته الوزارية الأولىٰ عام (٢٠٠٦م)، عن وزارات عديدة تختص بالموارد النفطية والثروات الطبيعية، وفي عام (٢٠٠٩م)، سمَّىٰ في تشكيلته الوزارية الثانية يونس الحمداني وزيرًا للمالية.

يشرف البغدادي اليوم علىٰ إدارة «بيت المال»، وهي التسمية الإسلامية التاريخية للمؤسسة المالية، ويتولىٰ المسؤولية الرئيسة فيها موفق مصطفىٰ الكرموش، ومن أهم المصادر:

(١) **التبرعات والهبات**: تحدثت تقارير صحفية عديدة عن وجود عدد كبير من الأثرياء والشخصيات الخليجية التي دعمت وموَّلت التنظيم في كل من العراق وسوريا.

(٢) **أموال الصدقات والتبرعات والزكاة**: حيث عملت المنابر والقنوات

الإسلامية خلال عامي (٢٠١١/ ٢٠١٢م) علىٰ تشجيع المسلمين علىٰ توجيه أموال الزكاة والتبرعات والصدقات لتأييد الجهاد والمقاومة في سوريا، وهي الأموال التي وجدت طريقها بصورة مباشرة إلىٰ كل من تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة وغيرها.

(٣) **عوائد تحرير الأجانب المختطفين**: فقد دأب التنظيم علىٰ اختطاف المواطنين الأجانب، والموظفين الدوليين، والصحفيين الغربيين، ومساومة ذويهم ودولهم علىٰ الإفراج عنهم مقابل ملايين الدولارات كفدية.

(٤) **الاستيلاء علىٰ الموارد والسلع من الأماكن التي يسيطر عليها**: من مستشفيات، ومراكز تسوق، ومطاعم، ومرافق الكهرباء والمياه في هذه المناطق، وهي المرافق التي توفر لها عوائد تُقدر بالملايين شهريًّا.

(٥) **عوائد الثروات الطبيعية والمعادن**: من النفط والغاز، التي استولىٰ عليها التنظيم في العراق وسوريا؛ إذ يسيطر التنظيم علىٰ أكثر من (٨٠ حقلًا نفطيًّا صغيرًا)، ويقوم ببيعها محليًّا، أو خارجيًّا عن طريق التجار، وتقدر بنحو ٢ مليون شهريًّا، فضلًا عن سيطرته علىٰ مناجم الذهب في الموصل.

(٦) **فرض الضرائب والرسوم**: وهي أحد المصادر المهمة التي تُفرَض علىٰ التجار والمزارعين والصناعيين، وعلىٰ المواطنين الأثرياء في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم، وكذلك فرض الجزية علىٰ غير المسلمين، وهناك ضرائب شهرية علىٰ الشركات والمؤسسات المحلية تُقدَّر بحوالي ٦ ملايين دولار شهريًّا.

(٧) **الأموال الحكومية**: فقد تمكن التنظيم من الاستيلاء علىٰ كميات من الأموال التي كانت موجودة في المصارف والمؤسسات الحكومية، بعد سيطرته علىٰ الموصل، تُقدَّر بعشرات الملايين من الدولارات.

(٨) **عائدات الزراعة والغلال والحبوب**: حيث يسيطر التنظيم علىٰ حقول واسعة في العراق وسوريا؛ إذ يستحوذ علىٰ حوالي ثلث إنتاج العراق من القمح.

سابعًا: المجلس العسكري:

يعتبر المجلس العسكري الأهم داخل تنظيم الدولة الإسلامية، نظرًا لطبيعة التنظيم العسكرية، ولا يوجد عدد محدد لأعضائه بحسب قوته وتوسعه وقوته وضعفه ومساحة

نفوذه وسيطرته، ويتكون تاريخيًّا من ٩ أعضاء إلىٰ ١٣ عضوًا، وقد بدأ استخدام تسمية الجهاز بالمجلس العسكري عقب مقتل نعمان منصور الزيدي، المعروف بأبي سليمان الناصر لدين الله، الذي شغل منصب وزير الحرب في (مايو/ أيار ٢٠١١م)، ويشغل قائد المجلس العسكري منصب نائب البغدادي، وكان الزرقاوي يحتفظ بالمنصبين، ثم تولىٰ منصب القائد العسكري أبو حمزة المهاجر كوزير للحرب في حقبة دولة العراق الإسلامية وإمارة أبي عمر البغدادي، وفي ولاية الأمير الحالي أبي بكر البغدادي تولىٰ منصب القائد العسكري حجي بكر، وهو سمير عبد محمد الخليفاوي، ثم شغل المنصب بعد مقتله في سوريا في (كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤م) أبو عبد الرحمن البيلاوي، وهو عدنان إسماعيل البيلاوي، الذي قُتل في (حزيران/ يونيو ٢٠١٤م)؛ حيث تولىٰ رئاسة المجلس العسكري الحالي أبو مسلم التركماني، وهو فاضل الحيالي، وينقسم المجلس إلىٰ هيئة أركان وقوات الاقتحام، والاستشهاديين، وقوات الدعم اللوجستي، وقوات القنص، وقوات التفخيخ، ومن قيادات المجلس العسكري أبو أحمد العلواني وليد جاسم، وكذلك عمر الشيشاني، ويقوم المجلس بكافة الوظائف والمهمات العسكرية، كالتخطيط الاستراتيجي، وإدارة المعارك، وتجهيز الغزوات، وعمليات الإشراف والمراقبة والتقويم لعمل الأمراء العسكريين، بالإضافة إلىٰ تولي وإدارة شؤون التسليح والغنائم العسكرية.

ثامنًا: المجلس الأمني:

وهو أحد أهم المجالس في تنظيم الدولة الإسلامية وأخطرها؛ إذ يقوم بوظيفة الأمن والاستخبارات، ويتولىٰ رئاسته أبو علي الأنباري، وهو ضابط استخبارات سابق في الجيش العراقي، ولديه مجموعة من النواب والمساعدين، ويتولىٰ المجلس الشؤون الأمنية للتنظيم، وكل ما يتعلق بالأمن الشخصي لـ«الخليفة»، وتأمين أماكن إقامة البغدادي ومواعيده وتنقلاته، ومتابعة القرارات التي يقرها البغدادي ومدىٰ جدية الولاة في تنفيذها، ويقوم بمراقبة عمل الأمراء الأمنيين في الولايات والقواطع والمدن، كما يشرف علىٰ تنفيذ أحكام القضاء وإقامة الحدود، واختراق التنظيمات المعادية، وحماية التنظيم من الاختراق، كما يقوم بالإشراف علىٰ الوحدات الخاصة كوحدة الاستشهاديين والانغماسيين بالتنسيق مع المجلس العسكري، ويشرف

المجلس علىٰ صيانة التنظيم من الاختراق، ولديه مفارز في كل ولاية تقوم بنقل البريد وتنسيق التواصل بين مفاصل التنظيم في جميع قواطع الولاية، كما أن لديه مفارز خاصة للاغتيالات السياسية النوعية والخطف وجمع الأموال.

تاسعًا: التقسيم الإداري:

يقسِّم تنظيم الدولة مناطق نفوذه إلىٰ وحداتٍ إدارية يطلق عليها اسم «ولايات»، وهي التسمية الإسلامية التاريخية للجغرافيا السكانية، ويتولىٰ مسؤولية «الولايات» مجموعة من الأمراء، وهي التسمية المتداولة في التراث السياسي الإسلامي التاريخي.

علىٰ صعيد الأسماء البارزة في التنظيم، في إطار الهيكل العام، نجد عددًا من القيادات، في مقدمتهم: قائد التنظيم بصفة الخليفة، أبو بكر البغدادي، إبراهيم عواد إبراهيم البدري السامرائي، ونائب أمير الدولة الإسلامية، منسق شئون ولايات إمارة العراق، فاضل أحمد عبد الله الحيالي، المعروف باسم «أبو معتز»، و«أبو مسلم التركماني العفري»، الذي يتواجد في ولاية نينوىٰ، وهو رئيس المجلس العسكري العام، ثم والي الأنبار، وعضو المجلس العسكري للتنظيم، عدنان لطيف حميد السويداوي، المعروف بـ«أبي مهند السويداوي»، أو «أبي عبد السلام».

ثم يأتي والي ولاية الجنوب والفرات الأوسط، أحمد محسن خلف الجحيشي، المعروف بـ«أبي فاطمة»، ثم مسئول المالية العام موفق مصطفىٰ محمد الكرموش، وكنيته «أبو صلاح»، والمنسق العام لبريد الولايات محمد حميد الدليمي، وكنيته «أبو هاجر العسافي»، ثم المنسق العام لشئون الكفالات ومتابعة شؤون الأرامل وعوائل الشهداء والأسرىٰ عوف عبد الرحمن العفري، وكنيته «أبو سجىٰ».

ومن الشخصيات التنظيمية: منسق البريد الخاص، ومسئول المخازن فارس رياض النعيمي، وكنيته «أبو شيماء»، وكذلك مسئول العبوات والتفخيخ، خيري عبد محمود الطائي، وكنيته «أبو كفاح»، ومسئول الإدارة العام شوكت حازم كلاش الفرحات، وكنيته «أبو عبد القادر».

وهناك مسئول المضيَّفات الخاصة بالمهاجرين العرب، وناقل الاستشهاديين

عبد الله أحمد المشهداني، وكنيته «أبو قاسم»، والمسئول عن متابعة الأسرىٰ في السجون، بشار إسماعيل الحمداني، وكنيته «أبو محمد»، ثم المسئول الأمني العام عبد الواحد خضير أحمد، وكنيته «أبو لؤي»، و«أبو علي». ومن هذه الشخصيات؛ والي ولاية كركوك، نعمة عبد نايف الجبوري، وكنيته «أبو فاطمة»، ووالي ولاية الحدود، رضوان طالب حسين إسماعيل الحمدوني، وكنيته «أبو جرناس»، ووالي ولاية صلاح الدين، وسام عبد زيد الزبيدي، وكنيته «أبو نبيل»، ووالي ولاية بغداد، أحمد عبد القادر الجزاع، وكنيته «أبو ميسرة»، و«أبو عبد الحميد».

خريطة التيارات القتالية في مصر بعد الثالث من (يوليو ٢٠١٣م):

نظرًا لمركزية دور الحركة الإسلامية في مصر وفاعليتها في العالم الإسلامي ككل، فمن المهم تسليط الضوء علىٰ ديموغرافيا التنظيمات القتالية في مصر، خاصة في مرحلة التأسيس للعنف المجتمعي في أعقاب صعود الإخوان للحكم، وكذلك حضور قطاعات من الجهاديين السابقين في المشهد السياسي الديمقراطي.

أثمرت مرحلة ما بعد الخامس وعشرين من يناير وحتىٰ انقلاب الثالث من (يوليو ٢٠١٣م) أمرين مهمين؛ الأول هو دخول غالب الجماعات والتيارات الإسلامية السلمية والعنيفة داخل المجال السياسي السلمي الذي فتح علىٰ مصراعيه عقب سقوط مبارك؛ إذ راحت كلها تسعىٰ سعيًا حثيثًا لتأسيس الأحزاب السياسية التي كانت بعض هذه الجماعات تحرمها أو تكفرها في السابق، بل ودفعت بشكل ملحوظ تنظيم القاعدة لتبني خطاب أقل حدة وممانعة لمنجزات هذا السبيل حينها، الأمر الثاني كان متمثلًا في تفلت أمني، قد يكون شبه متعمد، للحدود المصرية، وهو ما دفع بعض الجماعات القتالية لتأمين احتياجاتها من السلاح النوعي، خاصة مع استشراف البعض مرحلة سقوط الإخوان من الحكم.

تمثلت مرحلة البروز الفاعل نسبيًا للتيارات القتالية في مصر مجددًا في أعقاب العنف الذي واجهته التيارات الإسلامية التي ساندت الرئيس المعزول محمد مرسي بعد أحداث الحرس الجمهوري بالتحديد، ثم المنصة وفض اعتصامي رابعة والنهضة؛ إذ صعد نجم كل من تنظيم أنصار بيت المقدس وتنظيم أجناد مصر، ثم مع تصاعد وتيرة الضغط علىٰ الإسلاميين بشكل عام ظهرت مجموعات عنيفة صغيرة كالعقاب

الثوري والمقاومة الشعبية، إلَّا أنَّ جماعة أنصار بيت المقدس يتلوها أجناد مصر هما من برزت أعمالها العنيفة وكانت أكثر ظهورًا وتأثيرًا.

مثلت اتفاقية كامب ديفيد، التي اعتبرها القيادي في الجماعة الإسلامية في مصر طارق الزمر صورة صارخة لضرب الوطنية المصرية والتسليم للمشروع الإمبراطوري الإسرائيلي في المنطقة، منحنىٰ الصعود التأسيسي للعمل العنيف، وفي أواخر التسعينيات نشأ تنظيم «التوحيد والجهاد»، وبحسب هاني السباعي، أحد الشخصيات الجهادية المعروفة في لندن، فإن تنظيم التوحيد كان البداية الحقيقية للجهاد بقيادة الدكتور خالد مساعد[١].

لم يكن الجيش المصري مكفَّرا لدىٰ الجهاديين في سيناء، فقد كان تنظيم «التوحيد والجهاد» يضع إسرائيل في عين المواجهة، وكان مساء (الخميس السادس من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤م) -في الذكرىٰ الحادية والثلاثين لحرب أكتوبر- الموعد الذي نفذ فيه التنظيم أولىٰ عملياته في طابا، فقتل أكثر من ثلاثين بينهم ١٣ إسرائيليًا، ويصف رئيس لجنة فض المنازعات في سيناء حسام فوزي السنوات من (٢٠٠٤م) حتىٰ (٢٠٠٦م) بالكارثية والأشد ظلمًا علىٰ أبنائها، الذين مورست ضدهم أشكال من التعذيب لم يعرفوها حتىٰ تحت احتلال الصهاينة، إلا أن (انقلاب الثالث من يوليو) دفع السيناويين إلىٰ منحدر أكثر بطشا، ويقول البرلماني السابق عن محافظة سيناء يحيىٰ عقيل إن الانقلاب مثل عودة إلىٰ حكم أمن الدولة والاعتقال العشوائي والسياسي والتهميش، وخروج الشباب إلىٰ الجبل وحمل السلاح.

ويذكر الباحث الميداني إسماعيل الإسكندراني أن «أنصار بيت المقدس» لم يستهدفوا الجيش قبل أن يستهدفهم بمذبحة يوم (٨ تموز/ يوليو ٢٠١٣م) علىٰ يد الحرس الجمهوري، أما تخوين الجيش وتكفيره فوقع عقب مذبحة رابعة.

وبتنفيذ إسرائيل غارة جوية في (٩ آب/ أغسطس ٢٠١٣م) حيث قتلت عددًا من كوادر أنصار بيت المقدس، وهو في الغالب بتنسيق أو إشارة موافقة من الجانب المصري؛ أخذ منحنىٰ العنف ومساحاته في الازدياد، خاصة ضد الأمن المصري

---

(١) انظر الفيلم الوثائقي الذي أعدته قناة الجزيرة: «سيناء .. من يزرع الشوك؟».

هناك، ولم يمض إلا وقت قليل حتىٰ غرقت سيناء في تعتيم إعلامي منذ (أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣م)، تخلله -بحسب أحمد مفرح من المرصد المصري للحقوق والحريات- تسجيل ٥٤٩ حالة قتل خارج القانون، و٧٠٦٥ اعتقالًا عشوائيًّا، و٤٩٣ حالة تهجير وهدم بيوت، و٣١٤ إخفاء قسريا، ثبت أن الكثير منها كان مصيره الموت وإلقاء الجثث في العراء وفي الآبار(١).

⋆ جماعة أنصار بيت المقدس (ولاية سيناء حاليًا):

لا يخرج التنظيم في بداياته الأولىٰ عن خط تنظيم القاعدة ونسخة من جماعة التوحيد والجهاد المرتبطة مرجعيًا بأبي محمد المقدسي، إلَّا أنَّ التطور الأبرز في رحلة التنظيم هو الشرخ المرجعي الذي أصابه، ولم تظهر مؤشراته بشكل مؤثر في بنيته التنظيمية وحركيته؛ إذ مثل صعود تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ثم إعلانه الخلافة حالة ارتباك عامة داخل المنظومة الجهادية، ومنها تنظيم بيت المقدس؛ إذ تسبب الخلاف العلني الزعاماتي بين البغدادي والظواهري في ارتباك مرجعي ورمزي في الوسط الجهادي بعامة، حيث تشير معلومات إلىٰ حصول خلاف داخل تنظيم أنصار بيت المقدس حول بيعة البغدادي من عدمها؛ إذ حصل خلاف كاد يشق التنظيم لولا تدارك الإشكال بتجاوز الأزمة عملياتيًّا فيما يبدو(٢).

استمد التنظيم زخمًا كبيرًا إثر عدد من العمليات النوعية الموجهة لقوات الجيش المصري في سيناء، بينما أعلن عن تمدده القاهري في عدة عمليات في القاهرة، كان من أبرزها محاولة اغتيال وزير الداخلية الأسبق محمد إبراهيم، وتفجير مديرية أمن القاهرة، ثم أعلن عن نسخته الداعشية بعمليتين نوعيتين؛ الهجوم علىٰ كمين كرم القواديس، ثم المعركة الكبيرة التي استمرت لأيام في الشيخ زويد وطالت عددًا كبيرًا من الكمائن العسكرية ومراكز الشرطة.

---

(١) انظر مزيد تفاصيل في السابق.

(٢) تشير معلومات هاني السباعي الذي ذكرها في الفيلم الوثائقي السابق إلىٰ ذلك.

★ ومن بين أهم العمليات التي تبناها التنظيم داخل مصر:

- تفجير خط أنبوب تصدير الغاز المصري إلىٰ إسرائيل والأردن، وعمليات أخرىٰ استهدفت خط الغاز.

- محاولة اغتيال وزير الداخلية المصري في الخامس من (أيلول/ سبتمبر عام ٢٠١٣م)، التي أسفرت عن إصابات عديدة بينها عدد من أفراد الشرطة.

- مقتل ٢٥ من مجندي الأمن المركزي في كمين نصبه لهم أفراد التنظيم في (١٩ آب/ أغسطس ٢٠١٣م)، وهو الذي عرف إعلاميًّا باسم «مذبحة رفح الثانية».

- الهجوم بسيارة مفخخة علىٰ مديرية أمن جنوب سيناء في (السابع من تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠١٣م).

- تفجير مبنىٰ المخابرات العسكرية في الإسماعيلية في (١٩ تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠١٣م).

- مقتل أكثر من ٣٠ جنديًّا وضابطًا مصريًّا في هجوم علىٰ نقطة تفتيش تابعة للجيش في كرم القواديس بمدينة الشيخ زويد في شمال سيناء في (٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٤م).

- مقتل ١٤ عسكريًّا مصريًّا في ٣ هجمات في شمال سيناء في (نيسان/ أبريل ٢٠١٥م).

- إطلاق صورايخ باتجاه مطار «الجورة» في سيناء وهو مطار تستخدمه قوات حفظ السلام الدولية في (١٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٥م).

- عملية الهجوم علىٰ كمين «كرم القواديس» في (أبريل ٢٠١٥م).

- الهجوم علىٰ كمين الفرافرة في (يوليو ٢٠١٤م).

- هجوم ضخم علىٰ عدد كبير من كمائن الجيش والشرطة في الشيخ زويد استمر لأيام منذ (الثاني من يوليو الجاري).

لا يزال التنظيم عصيًا علىٰ الكشف الكامل لأساليب ومصادر تسليحه النوعية، وكذا علىٰ مستوىٰ الهياكل التنظيمية الخاصة بطبيعة الأراضي السيناوية، إلَّا أنَّ بعض التقارير تشير لوجود قيادات عسكرية سابقة ضمن أعضائه، منوط بهم التدريب والتوعية العسكرية داخل التنظيم، وهو ما قد يفسر هذا القدر من النكاية التي يحققها

التنظيم في صفوف جيش وشرطة بحجم الجيش والشرطة المصرية، فقد أفادت بعض المصادر أن ضابط قوات الصاعقة المصري هشام عشماوي هو المسئول الأهم في التنظيم علىٰ مستوىٰ التدريب والتكتيك، كما أفاد تسجيل ضابط القوات المسلحة السابق الرائد وليد بدر ضلوعه في تفجير موكب وزير الداخلية محمد إبراهيم.

وبخلاف المؤسس الرمزي الدكتور خالد مساعد؛ فليس ثمة رموز مرجعية محلية بارزة للتنظيم، ويبدو أن إعلان البيعة والتبعية لتنظيم الدولة ارتبط بحاجة التنظيم السيناوي للتمويل البشري والمادي من التنظيم المركزي في الموصل، وهو ما قد يفسر تجاوز الجناح الموالي للقاعدة في سيناء لأزمة مبايعة البغدادي.

أظهر التنظيم ارتباطه المرجعي الشرعي بالتراث الوهابي المرتبط بقضايا التكفير والولاء والبراء في أحد تسجيلاته التي أعلن فيها تجديد بيعته للبغدادي، ويظهر التسجيل سردًا لعدد من آراء الشيخ محمد عبد الوهاب.

★ تنظيم أجناد مصر والمقاومة الشعبية والعقاب الثوري:

تمثل هذه المجموعات والتنظيمات شكلًا من أشكال استراتيجية ما يسمىٰ «الذئاب المنفردة»، أو نمطًا من أنماط العمل العنفي المحدود والمركز البعيد عن العمليات الضخمة، وليس لهذه المجموعات مرجعيات رمزية أو اتجاهية واضحة، وإن كانت تعبر عن ردة فعل عنيفة لمرحلة ما بعد (الثالث من يوليو)، وما صاحبتها من أحداث عنف، وتطورت مع انسداد الأفق السياسي في الحالة المصرية إلىٰ هذه الصورة من العنف المحدود.

★ المرجعيات والاستمدادات التاريخية للتيارات القتالية المعاصرة:

من الممكن رسم جغرافيا مرجعية تستمد منها التيارات القتالية ومنظروها مصادر تشكيل استراتيجياتها وأدبياتها العنيفة وذلك من خلال الاعتماد علىٰ معيارين أساسيين؛ الأول هو معيار كثافة الغزو للفتاوىٰ أو المذاهب أو الشخصيات، والثاني هو معيار انتقائية الارتكاز من ذات الحقل المعزو والمرتكز عليه.

من خلال هذين المعيارين يمكن اعتبار أنماط المرجعيات التي تعتمدها التيارات القتالية متمثلة في أربعة أنماط أساسية:

★ **الأول: التراث الفقهي التقليدي:**

وتلاحظ سمة كثافة العزو والانتقائية لعدد من الآراء الفقهية والفتاوىٰ المذهبية القديمة، ومن نماذجها: كلام ناصر الفهد في كتابه «التبيان في كفر من أعان الأمريكان»، حيث نقل جملة من كلام المذاهب الفقهية كالتالي:

أولًا؛ من أقوال علماء الحنفية: قال أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص [ت: ٣٧٠] في [«**أحكام القرآن**»، (٣/ ١٣٠)]: «قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [التوبة: ٢٣]، فيه نهي للمؤمنين عن موالاة الكفار ونصرتهم، موالاة استنصار بهم وتفويض أمورهم إليهم وإيجاب التبري منهم وترك تعظيمهم وإكرامهم، وسواء بين الآباء والإخوان في ذلك . . . وإنما أمر المؤمنين بذلك ليتميزوا من المنافقين، إذ كان المنافقون يتولون الكفار، ويظهرون إكرامهم وتعظيمهم إذا لقوهم، ويظهرون لهم الولاية والحياطة، فجعل الله تعالىٰ ما أمر به المؤمن في هذه الآية علما يتميز به المؤمن من المنافق، وأخبر أن من لم يفعل ذلك؛ فهو ظالم لنفسه مستحق للعقوبة من ربه»، وقال أيضًا [١/ ١٦] -في سياق النهي عن موالاة غير المؤمنين-: «وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، يعني أن تخافوا تلف النفس وبعض الأعضاء فتتقوهم بإظهار الموالاة من غير اعتقاد لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ وعليه الجمهور من أهل العلم، وقد حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي قال: حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال: لا يحلل مؤمن أن يتخذ كافرًا وليًّا في دينه، وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾؛ إلا أن تكون بينهم وبينه قرابة فيصله لذلك، فجعل التقية صلة لقرابة الكافر، وقد اقتضت الآية جواز إظهار الكفر عند التقية، وقال عبد الله بن أحمد أبو البركات النسفي [ت: ٧١٠] في تفسيره [١/ ٢٨٧]: «ونزل نهيًا عن موالاة أعداء الدين؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، أي لا تتخذوهم أولياء؛ تنصرونهم، وتستنصرونهم، وتؤاخونهم، وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين، ثم علل النهىٰ بقوله: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾، وكلهم أعداء المؤمنين، وفيه دليل علىٰ أن الكفر

كله ملة واحدة، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾؛ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة».

ثانيًا؛ من أقوال علماء المالكية: قال أبو عبد الله القرطبي في [«تفسيره»، (٦/ ٢١٧)]: «**قوله تعالىٰ**: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾، أي يعضدهم علىٰ المسلمين، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾؛ بيّن تعالىٰ أن حكمه كحكمهم، وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد، وكان الذي تولاهم ابن أبي، ثم هذا الحكم باقٍ إلىٰ يوم القيامة في قطع الموالاة، وفي كتاب «القضاء» من «نوازل» الإمام البرزلي رحمه الله؛ أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله استفتىٰ علماء زمانه -وهم من المالكية- في استنصار ابن عباد الأندلسي «حاكم أشبيلية» بالكتابة إلىٰ الإفرنج علىٰ أن يعينوه علىٰ المسلمين، فأجابه جلهم بردته وكفره، وهذا في حدود عام (٤٨٠هـ) تقريبًا، كما في «**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ**» [٢/ ٧٥]، وتكرّرت نحو هذه الحادثة عام [٩٨٤] من «محمد بن عبد الله السعدي» حاكم «مراكش» الذي استعان بملك «البرتغال» ضد عمه «أبي مروان المعتصم بالله»، فأفتىٰ علماء المالكية بكفره وردته، كما في «**الاستقصا**» [٢/ ٧٠]».

ثالثًا؛ من أقوال علماء الشافعية: قال عبد الله بن عمر أبو سعيد البيضاوي [ت: ٦٨٥] في [«تفسيره» (٢/ ٣٣٤)]: «﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، أي ومن والاهم منكم؛ فإنه من جملتهم، وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم، كما قال ﷺ «لا تتراءىٰ ناراهما»، أو لأن الموالين لهم كانوا منافقين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار، أو المؤمنين بموالاة أعدائهم»، وقال الحافظ ابن كثير [ت: ٧٧٤] في [«تفسيره» (١/ ٣٥٨)]: «نهىٰ -تبارك وتعالىٰ- عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد علىٰ ذلك فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله»، وقال الحافظ ابن حجر [ت: ٨٥٢] في [«الفتح»: (١٣/ ٦١)] في شرح حديث ابن عمر مرفوعًا: «إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا علىٰ أعمالهم»: «ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة؛ لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلىٰ التهلكة، هذا إذا

لم يُعِنْهم ولم يرضَ بأفعالهم، فإن أعان أو رضي فهو منهم».

★ الثاني: الأدبيات الوهابية:

من أبرز مرجعيات العزو المعتمدة عند التيارت الجهادية هي فتاوىٰ ورسائل رموز الدعوة الوهابية؛ إذ يكثر الاعتماد عليها في قضايا التكفير والعذر بالجهل والولاء والبراء، ومن نماذج ذلك «علىٰ سبيل التمثيل لا الحصر، وإلَّا فهي منتشرة في الرسائل والفتاوىٰ»:

يقول ناصر الفهد: كلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [ت: ١٢٠٦] في نواقض الإسلام [«الدرر»: ١٠/ ٩٢]: «الناقض الثامن؛ مظاهرة المشركين ومعونتهم علىٰ المسلمين، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال أيضًا [٨/ ١١٣]: «إن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام، ولو وحّد الله وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ . . . [المجادلة: ٢٢]»، وقال أيضًا [«الدرر»: ١٠/ ٨]: «واعلموا أن الأدلة علىٰ تكفير المسلم الصالح: إذا أشرك بالله، أو صار مع المشركين علىٰ الموحدين -ولو لم يشرك- أكثر من أن تحصر، من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام أهل العلم كلهم»[(١)].

وكلام الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [ت: ١٢٣٣] في أول كتاب «الدلائل» [«الدرر»: (٨/ ١٢١)]: «اعلم رحمك الله؛ أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة علىٰ دينهم خوفًا منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم؛ فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستدعىٰ بهم ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة علىٰ دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها، بعدما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله، فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله

---

(١) «التبيان في كفر من أعان الأمريكان»، ناصر الفهد، منشور علىٰ موقع «التوحيد والجهاد».

ولرسوله ﷺ، ولا يُستثنىٰ من ذلك إلا المكره، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له: اكفر أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتىٰ يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، وقد أجمع العلماء علىٰ أن من تكلم بالكفر هازلًا؛ أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفًا وطمعًا في الدنيا؟ وأنا أذكر بعض الأدلة علىٰ ذلك بعون الله وتأييده»- ثم ذكر واحدًا وعشرين دليلًا، وقال أيضًا [«الدرر»: (٨/ ١٢٧)]: «فنهىٰ -سبحانه- المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارىٰ أولياء، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم، وهكذا حكم من تولىٰ الكفار من المجوس وعباد الأوثان، فهو منهم»، وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ [ت: ١٢٨٥] [المورد العذب الزلال، ضمن القول الفصل النفيس: ص ٢٣٧-٢٣٨]: «فمن أعظمها -يعني نواقض التوحيد- أمور ثلاثة»، ثم قال: «الأمر الثالث؛ موالاة المشرك والركون إليه ونصرته وإعانته باليد أو اللسان أو المال، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، وهذا خطاب الله تعالىٰ للمؤمنين من هذه الأمة، فانظر أيها السامع أين تقع من هذا الخطاب وحكم هذه الآيات»[(١)].

ويقول أبو المنذر الشنقيطي: يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ رحمه الله عند قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ . . . : «وذلك أن التحاكم إلىٰ الطاغوت إيمان به». [«فتح المجيد»، (ص/ ٢٤٥)]، ويقول الشيخ سليمان بن سمحان: «إذا كان هذا التحاكم كفرًا والنزاع إنما يكون لأجل الدنيا، فكيف يجوز لك أن تكفر لأجل ذلك؟ فإنه لا يؤمن الإنسان حتىٰ يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وحتىٰ يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، فلو ذهبت دنياك كلها لما جاز لك المحاكمة إلىٰ الطاغوت لأجلها، ولو اضطرك مضطر وخيّرك بين أن تحاكم إلىٰ الطاغوت أو تبذل دنياك لوجب عليك البذل ولم يجز لك المحاكمة إلىٰ الطاغوت» اهـ.

---

(١) السابق.

[«الدرر السنية»: (١٠/ ٥١٠)][1].

★ **الثالث: تراث شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم:**

ويعتبر تراث ابن تيمية الاستمداد الأبرز لمنظومة الإفتاء والتشكيل العقدي والفكري والحركي للتيارات القتالية المعاصرة؛ إذ تكثر النقولات عن فتاوىٰ ورسائل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومن نماذجها:

كلام محمد عبد السلام فرج في كتابه «**الجهاد: الفريضة الغائبة**»: (يقول شيخ الإسلام بن تيمية في كتاب «**الفتاوىٰ الكبرىٰ**» باب الجهاد، (ص/ ٢٨٨)، الجزء الرابع): «ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾»، وفي كلام فرج عن حكام المسلمين يقول: «فحكام هذا العصر في ردة عن الإسلام تربوا علىٰ موائد الاستعمار، سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء وإن صلىٰ وصام وادعىٰ أنه مسلم»، ويقول ابن تيمية (ص/٢٩٣): «وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة منها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزًا عن القتال بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال؛ فإنَّه لا يقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أنَّ المرتد يقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد ومنها أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته بخلاف الكافر الأصلي إلىٰ غير ذلك من الأحكام، وإذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين، فالردة عن شرائعه أعظم من خروج الخارج الأصلي عن شرائعه»، إذًا فما موقف المسلمين من هؤلاء؟!

---

(١) جواب سؤال: «**هل يجوز التحاكم إلي القوانين الوضعية في حال الظلم؟**»، رقم السؤال: (٤٠٦٢)، لأبي المنذر الشنقيطي، علىٰ منبر التوحيد والجهاد.

يقول ابن تيمية أيضًا في الباب نفسه، (ص/ ٢٨١): «كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة؛ فإنَّها يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين، وإن تكلمت بالشهادتين فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتىٰ يصلوا، وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتىٰ يؤدوا الزكاة كذلك، وإن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق، وكذلك إن امتنعوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة، وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة، وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار إلىٰ أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

وتحت عنوان: «مجموعة فتاوىٰ لابن تيمية تفيد في هذا العصر»، يقول محمد عبد السلام: «ومن هنا يجدر بنا أن ننقل بعض فتاوىٰ ابن تيمية في حكم هؤلاء ... وكنا قد ذكرنا فتواه في حكم بلدة (ماردين) التي كان يحكمها التتار بقوانين تجمع ما بين شريعة اليهود والنصارىٰ وجزء من الإسلام وجزء من العقل اليهودي، فقال: «أما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار السلم التي تسري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم بما يستحقه ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه»، ثم استطرد فرج في سائر رسالته في تنزيل فتاوىٰ ابن تيمية علىٰ الواقع بما يتناسب مع نسقه القتالي».

ويقول **ناصر الفهد** في كتابه «**التبيان في كفر من أعان الأمريكان**»: «**وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرًا في هذه المسألة ... وممَّا قاله في [«مجموع الفتاوىٰ»، (٢٨/ ٥٣٠)]**: «كل من قفز إليهم -يعني إلىٰ التتار- من أمراء العسكر وغير الأمراء؛ فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام، وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين -مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين- فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلًا للمسلمين؟»، وممَّا قاله أيضًا [**«اقتضاء الصراط المستقيم»**، (١/ ٢٢١)]: «وقال -تعالىٰ- فيما يذم به أهل الكتاب: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ

لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١]، فبيّن ﷻ أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولا يتهم، فثبوت ولا يتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم»، وقال أيضًا [«الفتاوىٰ»: (٧/ ١٧)]: «ومثله قوله تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١]، فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف «لو»، التي تقتضي مع انتفاء الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، فدل علىٰ أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ودل ذلك علىٰ أن من اتخذهم أولياء؛ ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾؛ فإنَّه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمنًا، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضًا».

وقال ابن القيم في [«أحكام أهل الذمة»، (١/ ٢٣٣، ٢٣٤)] -نقلًا عن كتاب الآمر بالله العباسي-: «وقطع الموالاة بين اليهود والنصارىٰ وبين المؤمنين، وأخبر أنه من تولاهم فإنه منهم، في حكمه المبين، فقال تعالىٰ وهو أصدق القائلين سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وأخبر عن حال متوليهم بما في قلبه من المرض المؤدي إلىٰ فساد العقل والدين، فقال: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]، ثم أخبر عن حبوط أعمال متوليهم ليكون المؤمن

لذلك من الحذرين، فقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾».

وقال أيضًا في [«**أحكام أهل الذمة**»، (١/ ٢٤٢)]: «وقد حكم تعالىٰ بأن من تولاهم فإنَّه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبدًا، والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدًا، والولاية صلة، فلا تجامع معاداة الكافر أبدًا».

وفي فتوىٰ لأبي المنذر الشنقيطي حول المشاركة في الانتخابات: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتىٰ تُقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة» [«**مجموع الفتاوىٰ**»، (١٢/ ٤٦٦)]. وقال أيضًا: «**وكذلك تناول نصوص الوعيد للشخص مشروط بألا يكون متأولًا ولا مجتهدًا مخطئًا؛ فإنَّ الله عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان**». [«مجموع الفتاوىٰ»، (٢٧/ ٤٧٤)].

وقال أيضًا: «فإن هؤلاء لا يكفرون حتىٰ تقوم عليهم الحجة بالرسالة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾، وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان» [«**مجموع الفتاوىٰ**»، (ص/ ١٦٥، ج/ ٣٥)][1].

★ الرابع: بعض فتاوى المعاصرين:

في كتابه «**التبيان**» يقول ناصر الفهد:

«ثامنًا؛ من أقوال أهل العلم المعاصرين لهذه الفتنة العظيمة: أفتىٰ مجموعة من أهل العلم المعاصرين لهذه الفتنة العظيمة بأن مظاهرة ومناصرة أمريكا في عدوانها علىٰ الأفغان كفر وردة عن دين الإسلام، ومن هذه الفتاوىٰ:

- فتوىٰ الشيخ حمود بن عبد الله الشعيبي بتاريخ (٢١/ ٧/ ١٤٢٢هـ)، وممَّا قاله فيها: «أما مظاهرة الكفار علىٰ المسلمين ومعاونتهم عليهم؛ فهي كفر ناقل عن ملة

---

(١) جواب فتوىٰ: «**هل نكفر المشائخ الذين أفتوا بالمشاركة في الانتخابات؟**»، رقم السؤال: (٦١١٠)، لأبي المنذر الشنقيطي، علىٰ موقع منبر التوحيد والجهاد.

الإسلام عند كل من يعتد بقوله من علماء الأمة قديمًا وحديثًا، قال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ «الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعونتهم علىٰ المسلمين، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]».

- وقد سئل العلامة عبد الله بن عبد اللطيف رَحِمَهُ اللهُ عن الفرق بين الموالاة والتولي؟ فأجاب «بأن التولي: كفر يخرج من الملة وهو كالذب عنهم ومعاونتهم بالمال والبدن والرأي».

- وقال الشيخ العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في بيان حكم مقاومة الكفار ومحاربتهم «يجب علىٰ كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقاتلهم حيثما وجدوا مدنيين كانوا أو عسكريين . . .»، إلىٰ قوله «وأما التعاون مع الإنجليز بأي نوع من أنواع التعاون قل أو كثر؛ فهو الردة الجامحة والكفر الصراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأويل ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء ولا سياسة خرقاء ولا مجاملة هي النفاق سواء كان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء كلهم في الردة سواء إلا من جهل . . .»، إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللهُ «ألا فليعلم كل مسلم ومسلمة أن هؤلاء الذين يخرجون علىٰ دينهم ويناصرون أعداءهم مَن يتزوج منهم؛ فزواجه باطل بطلانًا أصليًا، لا يلحقه تصحيح ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك، وأن من كان منهم متزوجا؛ بطل زواجه» (اهـ).

- فتوىٰ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك بتاريخ (٢٠/ ٧/ ١٤٢٢ هـ)، وممَّا قاله فيها: «فإنَّه ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ إعلان أمريكا الحرب علىٰ حكومة «طالبان» في أفغانستان ظلم وعدوان وحرب صليبية علىٰ الإسلام، كما ذُكر ذلك عن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وأن تخلي الدول في العالم الإسلامي عن نصرتهم في هذا الموقف الحرج مصيبة عظيمة، فكيف بمناصرة الكفار عليهم؛ فإنَّ ذلك من تولي الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقد عدّ العلماء مظاهرة الكفار علىٰ المسلمين من نواقض الإسلام لهذه الآية».

- فتوىٰ الشيخ علي بن خضير الخضير بتاريخ (٣/ ٧/ ١٤٢٢هـ)، ومما قال فيها:

«أما مسألة مظاهرة الكفار فأعظم من بحثها هم أئمة الدعوة النجدية رحمهم الله، واعتبروا ذلك من الكفر والنفاق والردة والخروج عن الملة، وهذا هو الحق، ويدل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع» -ثم ذكر الأدلة-.

- فتوىٰ الشيخ سليمان بن ناصر العلوان بتاريخ (٣/ ٧/ ١٤٢٢هـ)، ومما قال فيها: «يجب الوقوف مع المسلمين وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، ولا يجوز التخلف عن مناصرة المسلمين في مثل هذه الظروف فقد تواصت دول الكفر علىٰ حرب الإسلام وأهله، ولا عجب في هذا، ولكن الغريب أن يتحالف بعض المنسوبين إلىٰ الإسلام مع دول الكفر علىٰ ضرب أفغانستان، وهذا ضرب من النفاق، قال تعالىٰ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١]».

- وقد حكىٰ غير واحد من العلماء الإجماع علىٰ أن مظاهرة الكفار علىٰ المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال والذب عنهم بالسنان والبيان؛ كفر وردة عن الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وأي تولٍ أعظم من مناصرة أعداء الله ومعاونتهم وتهيئة الوسائل والإمكانيات لضرب الديار الإسلامية وقتل القادة المخلصين. قال الحافظ ابن جرير رحمه الله تعالىٰ «ومن تولاهم ونصرهم علىٰ المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم؛ فإنَّه لا يتولَّىٰ متولٍ أحدًا إلَّا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادىٰ ما خالفه وسخطه، وصار حكمُه حكمَه».

- فتوىٰ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد بتاريخ (٢٤/ ٧/ ١٤٢٢هـ)، وممَّا قاله فيها: «وليعلم كل مسلم؛ أن التعاون مع أعداء الله ضد أولياء الله -بأي نوع من أنواع التعاون والدعم والمظاهرة- يعد ناقضًا من نواقض الإسلام، دلّ علىٰ ذلك كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، ونص عليه أهل العلم رحمهم الله، فليحذر العبد أن يسلب دينه وهو لا يشعر، وفي صحيح مسلم [١١٨] من حديث أبي العلا عن أبيه عن

أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»، وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

- فتوىٰ الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان بتاريخ (٢٩/ ٧/ ١٤٢٢ هـ)، وممَّا قاله فيها: «وأمَّا الوقوف مع دول الكفر علىٰ المسلمين ومعاونتهم عليهم؛ فإنَّه يجعل فاعل ذلك منهم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١]، والآيات في هذا كثيرة».

- فتوىٰ الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي بتاريخ (٢٨/ ٧/ ١٤٢٢ هـ)، وممَّا قال فيها: «إن نصرة الكفار علىٰ المسلمين -بأي نوع من أنواع النصرة أو المعاونة ولو كانت بالكلام المجرد- هي كفر بواح، ونفاق صُراح، وفاعلها مرتكب لناقض من نواقض الإسلام -كما نص عليه أئمة الدعوة وغيرهم- غير مؤمن بعقيدة الولاء والبراء».

- فتوىٰ الشيخ بشر بن فهد البشر بتاريخ (١/ ٨/ ١٤٢٢هـ)، ومما قال فيها: «حذر الله تعالىٰ في آيات كثيرة من كتابه الكريم من موالاة الكفار والركون إليهم، وأبدىٰ في ذلك وأعاد، وبين تعالىٰ أن الكفرة بعضهم أولياء بعض، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وأن من صفات المنافقين وعلاماتهم الظاهرة موالاتهم للكفرة دون المؤمنين، والموالاة تعني المحبة والمودة والميل، كما تعني النصرة والعون والتأييد» -ثم ذكر أدلة كثيرة ومجموعة من كلام أهل العلم- ثم قال: «ومما سبق يتبين أن التعاون مع أمريكا في العدوان علىٰ أفغانستان -سواء كان بالرجال أو المال أو السلاح أو الرأي- هو من قبيل مظاهرة الكفار علىٰ المسلمين، وهو كفر وردة عن الإسلام، وهذا الحكم يشمل الأفراد والجماعات وغيرهم».

- فتوىٰ الشيخ نظام الدين شامزي -مفتي باكستان- بتاريخ (٨ أكتوبر ٢٠٠١م)، وممَّا قال فيها: «لا يجوز لمسلم في أي بلد كان، سواء كان موظفًا حكوميًّا أو غير ذلك أن يقدم أي مساعدة كانت ومن أي نوع كان للعدوان الأمريكي علىٰ أفغانستان،

خاصة وأن الهجوم يشكل حملة صليبية علىٰ أفغانستان المسلمة، وأي مسلم يقدم المساعدة في هذا العدوان؛ يعتبر مرتدًا عن الدين».

- وقد أفتىٰ ستة عشر من علماء المغرب بأن الدخول في التحالف الأمريكي لضرب أفغانستان أو غيرها من أراضي الإسلام؛ كفر وردة عن دين الإسلام.

★ أهم رموز التيارات القتالية المعاصرة:

(١) محمد عبد السلام فرج:

المهندس محمد عبد السلام فرج ملهم التيار الجهادي المصري، خاصة فيما يتعلَّق بعملية قتل السادات، ويُمثِّل مُؤلّفه الوحيد المشهور «الجهاد: الفريضة الغائبة» أهم وثيقة جهادية مؤسسة للعنف في الحالة الجهادية المصرية الأولىٰ. حُوكم فرج محاكمة عسكرية عقب عملية قتل السادات، وأُعدم في (أبريل عام ١٩٨٢م).

(٢) صالح سرية:

مُؤسس تنظيم الفنية العسكرية، فلسطيني الأصل، حصل علىٰ درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس عام ١٩٧٢م، وعمل بمنظمة التربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية بالقاهرة، قاد الهجوم علىٰ الكلية الفنية العسكرية عام (١٩٧٤م)، والذي فشل في تحقيق مراده من السيطرة عليها، وتم إعدامه في أعقابها.
لسرية مُؤلَّفٌ مشهور مبين لنسقه الفكري وهي «رسالة الإيمان» التي ألفها عام (١٩٧٣م)، وحوت الرسالة مجمل رؤيته الاعتقادية في المسائل العامة للاعتقاد، بالإضافة إلىٰ قضايا الولاء والبراء وبعض الإشارات لمسائل التكفير والنظم الحاكمة.

(٣) ناصر الفهد:

ناصر بن حمد الفهد من أبرز منظري التيار الجهادي المعاصر، درس بكلية الهندسة بجامعة الملك سعود، ثم تركها وهو في السنة الثالثة، والتحق بجامعة الإمام محمد سعود الإسلامية وتخرج منها عام (١٤١٢هـ)، وعُيِّنَ مُعِيدًا في كلية أصول الدين إلىٰ أن اعتقل في عام (١٤١٥هـ)، تم الإفراج عنه عام (١٤١٨هـ)، وفصل من الجامعة.

أَلَّف عددًا من الكتب والرسائل منها: «**اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتقريراته في النحو والصرف**»، «**الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام**»، «**إقامة البرهان**

علىٰ وجوب كسر الأوثان»، «التبيان في كفر من أعان الأمريكان»، «التبيين لمخاطر التطبيع علىٰ المسلمين»، «التحقيق في مسألة التصفيق»، «تنبيهات علىٰ كتب تخريج كتاب التوحيد». «التنكيل بما في بيان المثقفين من الأباطيل»، «الجرح والتعديل عند ابن حزم الظاهري»، «رسالة في الرد علىٰ شبهة للمرجئة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية».

(٤) سيد إمام:

يشتهر بعدة أسماء؛ سيد إمام الشريف، وعبد القادر بن عبد العزيز، والدكتور فضل، وكان للرجل منزلة مرجعية فائقة في الداخل الجهادي إلىٰ وقت قريب وقبل موجة المراجعات ووثائق الترشيد التي أطلقها. يمثل مرجعية كبرىٰ للتيار الجهادي، خاصة مُؤَلَّفَيه: **«العمدة في إعداد العدة»**، و**«الجامع في طلب العلم الشريف»**. بينما ثارت بينه وبين أيمن الظواهري سجالات وتراشقات حادة خفتت علىٰ إثرها رمزيته المعهودة، خاصة بعد ثورات الربيع العربي وترنح الأطروحة الجهادية بشكل عام.

(٥) يوسف العييري:

يوسف العييري سعودي الجنسية، وممَّن طاف خريطة التواجد الجهادي في مختلف البلدان، ونشط جدًّا فترة تواجده مع أسامة بن لادن. لم يكمل العييري دراسته الثانوية؛ إذ قطعها وسافر إلىٰ أفغانستان، وبرز في جمع التبرعات وكتابة رسائل التحفيز للجهاد، بينما برزت نقطة تميزه في مؤلفاته المتعلقة بمهارات الاستعداد القتالي، البدني والتكتيكي والعسكري، ومن أبرزها: **«حرب العصابات»**، **«حرب المدن»**، **«الإشارة»**، **«الرياضة البدنية»**، **«القتال»**، **«الملاحة»**، قتل في مواجهة مع رجال الأمن السعوديين.

(٦) أبو محمد المقدسي:

هو أبو محمد عاصم بن محمد بن طاهر البرقاوي، درس العلوم في جامعة الموصل بشمال العراق استجابة لرغبة والده، أما أمنيته هو فقد كانت دراسة الشريعة في المدينة المنورة للدراسة علىٰ المشايخ في المسجد النبوي وراسل بعض المشايخ لتحقيق هذه الأمنية فبعث له الشيخ ابن باز ببرقية يعده فيها بدخول الجامعة في الحجاز فقطع دراسته في العراق بعد ثلاث سنين وسافر إلىٰ المدينة لأجل ذلك، لكنَّه لم يتيسر له

دخول الجامعة الإسلامية، فسافر إلىٰ باكستان وأفغانستان مرارًا، وتعرَّف خلالها علىٰ مشايخ كثيرين وجماعات من أنحاء العالم الإسلامي، وشارك ببعض الأنشطة التدريسيَّةِ والدعويَّةِ هناك فدرس في المعهد الشرعي للقاعدة بتزكية من سيد إمام، وتعاون معه في القضاء الشرعي بين الإخوة في معسكر القاعدة، وكان علىٰ علاقة طيبة مع أيمن الظواهري وأبي عبيدة البانشيري وأبي حفص المصري وأبي مصعب السوري وغيرهم، وأخيرًا؛ استقرَّ به المقام في الأردن عام (١٩٩٢م) وبدأ بإعطاء عدد من الدروس، وتقوم السلطات الأردنية باعتقاله من حين لآخر.

من أبرز مؤلفاته؛ ملة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين، الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية، الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير، إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس، وغيرها من عشرات الكتب والرسائل ومئات الفتاوىٰ المرتبطة بواقع التيار الجهادي ومواقفه، والتي اتخذت موقفًا مخالفًا لأبرز تموجات الحالة القتالية المعاصرة المتمثلة في تنظيم الدولة الإسلامية؛ إذ اتخذ المقدسي موقفًا مخالفًا وصارمًا تجاه توجهات التنظيم السياسية والشرعية والعملية.

(٧) أبو مصعب الزرقاوي:

من الممكن اعتبار القيادي الأردني أحمد فاضل نزال الخلايلة هو الأب المؤسس لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)؛ إذ بدأت عنده إرهاصات التمايز بين خطه الجهادي في العراق وبين خط تنظيم القاعدة، علىٰ الرغم من اكتسابه جزءًا من خبرته القتالية من احتكاكه بقيادات القاعدة في أفغانستان وهناك التقىٰ بأسامة بن لادن، ثم رجع بعدها إلىٰ الأردن واعتقل عام (١٩٩٠م)، وقضىٰ ست سنوات في سجن أردني حيث التقىٰ بأبي محمد المقدسي، بقي في السجن حتىٰ عام (١٩٩٩م) عندما أصدر العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني عفوًا عامًا عن جميع السجناء في الأردن بعد توليه مقاليد الحكم، وذهب الزرقاوي إلىٰ العراق في أعقاب الغزو الأمريكي، وبدأ هناك التأسيس لامتداد القاعدة هناك، إلَّا أنَّه من خلال خلافات في نمط واستراتيجية المواجهة في العراق أخبأ وراءه جذوة التأسيس الأولىٰ لنسق الجيل الجديد للتيار الجهادي وهو داعش؛ إذ تطورت خلافات الفرع العراقي مع المركز في أفغانستان بعد مقتل الزرقاوي في (يونيو ٢٠٠٦م)، وتحقق النموذج الجديد في (٢٠١٣م) بإعلان

الدولة الإسلامية في العراق والشام، وفصل الامتداد الباقي بالقاعدة وهو جبهة النصرة عن المركز الجديد في الموصل وهو داعش.

(٨) أبو مصعب السوري:

هو مصطفي بن عبد القادر بن مصطفي بن حسين بن الشيخ أحمد المُزَيِّكْ الجاكيري الرفاعي، ولد في مدينة حلب عام (١٣٧٨هـ)، درس في كلية الهندسة الميكانيكية. التحق بتنظيم «الطليعة المقاتلة» الذي أسَّسه مروان حديد ﷺ في سوريا، كما تلقىٰ عددًا من الدورات العسكرية بإشراف ضباط فارين من الجيش السوري في الأردن، وضباط من الجيش العراقي والمصري في بغداد والقاهرة، وكانت هذه الدورات ضمن دعم النظامين العراقي والمصري لتنظيم الإخوان المسلمين ضد النظام في سوريا، لخلافات وجدت بين تلك الأنظمة في حينها. تخصص في علم هندسة المتفجرات وحرب عصابات المدن والعمليات الخاصة، وعمل مدربًا في قواعد الجهاز العسكري لتنظيم الإخوان المسلمين في الأردن وفي معسكراته ببغداد. عمل بشكل دؤوب علىٰ إحياء العمل الجهادي في بلاد الشام، وقد قادته تلك المحاولات إلىٰ أفغانستان، حيث تعرف في بيشاور بباكستان علىٰ الشيخ الشهيد عبد الله عزام ﷺ، الذي أقنعه بالانضمام إلىٰ تجمع المجاهدين العرب ليضع خبراته العسكرية في تدريب الوافدين الجدد إلىٰ أفغانستان. التحق بتنظيم القاعدة في بداية تأسيسه، تعرف أبو مصعب خلال الجهاد الأفغاني علىٰ المنظر الجهادي المعروف عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام)، صاحب كتابي: «**العمدة**»، و«**الجامع**»، وكان يتردد عليه دائمًا ويعرض عليه كتاباته. انكب أبو مصعب خلال فترة الجهاد الأفغاني علىٰ دراسة الكتب الشرعية، وخاصة كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، واهتم بتراث علماء السلف وكتب أئمة الدعوة النجدية، واهتم بمطالعة كتابات الشيخين الشهيدين سيد قطب وعبد الله عزام، وتأثر بهما تأثرًا بالغًا في منهجه وكتاباته، وأثناء وجوده في باكستان وأفغانستان درس في جامعة بيروت العربية، في قسم التاريخ -بالمراسلة- وحصل علىٰ شهادة «ليسانس» في التاريخ، من فرع الجامعة في عمان بالأردن. سافر إلىٰ بريطانيا بناءً علىٰ دعوة الشيخ قاري سعيد الجزائري الذي عاد من أفغانستان إلىٰ الجزائر ليشارك في تأسيس «الجماعة الإسلامية المسلحة»، فمكث أبو مصعب في لندن وعمل مع الخلية

الإعلامية الداعمة للجهاد الجزائري، وكتب في نشرة «الأنصار» الجزائرية وغيرها من نشرات الجماعات الجهادية التي كانت تصدر من أوروبا خلال تلك الفترة، وخاصة «الفجر» الليبية و«المجاهدون» المصرية. أسس في لندن «مكتب دراسات صراعات العالم الإسلامي»، وقام المكتب بتنفيذ مشروع مقابلتين صحفيتين مع الشيخ أسامة بن لادن ﷺ؛ الأولىٰ لصالح القناة التلفزيونية الرابعة في «BBC»، والثانية مع شبكة «CNN»، وعلىٰ إثر إعلان حركة طالبان إقامة الإمارة الإسلامية، هاجر السوري إلىٰ أفغانستان، وبايع الملا محمد عمر في قندهار، وشكل مجموعة مجاهدة عملت ميدانيًا مع طالبان، كما عمل مع وزارة الإعلام، وكتب في جريدة «الشريعة» الناطقة الرسمية باسم الإمارة، وشارك في إعداد برامج إذاعة كابل العربية، كما أسس أبو مصعب في أفغانستان «معسكر الغرباء» في قاعدة «قرغة» العسكرية الشهيرة في كابل بالتعاون مع وزارة دفاع طالبان. أسس أيضًا في أفغانستان: «**مركز الغرباء للدراسات الإسلامية والإعلام**»، وأصدر مجلة: «**قضايا الظاهرين علىٰ الحق**».

اعتقلته السلطات الأمريكية في باكستان في عام (٢٠٠٥م) ورحلته إلىٰ سوريا ضمن برنامج الترحيل السري لوكالة المخابرات الأمريكية، ويقال إن السلطات السورية أطلقت سراحه من سجنه بحلب في شباط عام (٢٠١٢م)، ومازالت الأنباء متضاربة حول مصيره.

(٩) عمر عبد الرحمن:

مفتي الجماعة الإسلامية في مصر وزعيمها الروحي، ولد الشيخ عمر عبد الرحمن بالجمالية بمصر في (مايو ١٩٣٨م)، وفقد البصر بعد عشرة أشهر من ولادته وقد أكمل حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، ثم التحق بالمعهد الديني بدمياط ومكث به أربع سنوات حصل بعدها علىٰ الشهادة الابتدائية الأزهرية، ثم التحق بمعهد المنصورة الديني ومكث فيه حتىٰ حصل علىٰ الثانوية الأزهرية عام (١٩٦٠م)، ثم التحق بكلية أصول الدين بالقاهرة ودرس فيها حتىٰ تخرج منها في (١٩٦٥م) بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، حتىٰ أوقف عن العمل في الكلية عام (١٩٦٩م)، وفي أواخر تلك السنة رفعت عنه عقوبة الاستيداع، لكن تم نقله من الجامعة من معيدٍ بها إلىٰ إدارة الأزهر من دون عمل، واستمرت المضايقات علىٰ هذا

الحال، حتىٰ تم اعتقاله في (١٣/ ١٠/ ١٩٧٠م) بعد وفاة جمال عبد الناصر، حيث وقف الشيخ علىٰ المنبر وقال بعدم جواز الصلاة عليه، فتم اعتقاله بسجن القلعة لمدة ٨ أشهر وأفرج عنه في (١٠/٦/ ١٩٧١م)، وبعد الإفراج عنه، وعلىٰ رغم التضييق الشديد الذي تعرض له بعد خروجه من السجن، إلَّا أنَّ ذلك لم يمنعه من مواصلة طلب العلم، فتمكن من الحصول علىٰ شهادة الدكتوراه، وكان موضوعها؛ «موقف القرآن من خصومه كما تصوره سورة التوبة»، وحصل عليها بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، إلا أنه مُنع من التعيين.

واستمر المنع حتىٰ صيف (١٩٧٣م)، حيث استدعته الجامعة وأخبرته عن وجود وظائف شاغرة بكلية البنات وأصول الدين بأسيوط، واختار أسيوط، ومكث بالكلية أربع سنوات حتىٰ (١٩٧٧م)، ثم أعير إلىٰ كلية البنات بالرياض حتىٰ سنة (١٩٨٠م)، ثم عاد إلىٰ مصر، وفي (سبتمبر ١٩٨١م) تم اعتقاله ضمن قرارات التحفظ، فتمكن من الهرب، حتىٰ تم القبض عليه في (أكتوبر ١٩٨١م) وتمت محاكمته في قضية اغتيال السادات أمام المحكمة العسكرية ومحكمة أمن الدولة العُليا، وحصل علىٰ البراءة في القضيتين وخرج من المعتقل في (٢/ ١٠/ ١٩٨٤م)، واستمر الشيخ علىٰ هذا المنوال، بين التضييق والمطاردة والسجون، وهو صابر علىٰ طريق البذل والعطاء والدعوة والتعليم والجهاد، ناصحًا الأمة، ومحمسًا شبابها لسلوك درب التوحيد والحديد، حتىٰ استقر به المطاف في سجون أمريكا، منذ عام (١٩٩٣م).

من أبرز كتبه؛ كلمة حق وهو في الأساس مرافعاته في محاكمات أمن الدولة.

(١٠) **أبو قتادة الفلسطيني**:

أردني من أصل فلسطيني، حكم مؤخرا عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة في الأردن، وهو مسجون ببريطانيا الآن، وللرجل حضور في الوسط الجهادي خاصة في فترة المواجهات المسلحة في الجزائر، وخلال فترة الجهاد الأفغاني، وهو حاصل علىٰ ماجستير في أصول الفقه.

⋆ الموضوعات المركزية التي تشغل العقل القتالي المعاصر:

تمثل عدد من القضايا والموضوعات الفقهية والاعتقادية بؤرة تركيز واهتمام العقل

القتالي/ الجهادي المعاصر، يمكن إجمالها في الآتي:

- تحكيم الشريعة الإسلامية.
- الخلافة.
- مواجهة الأنظمة السياسية الاستبدادية.
- المؤامرة الغربية علىٰ الإسلام والمسلمين.
- الجهاد/ القتال كوسيلة أساسية وأولية لتغيير واقع المسلمين التبعي والمتردي.
- غالبًا ما تصطبغ جل التيارات القتالية المعاصرة بالصبغة السلفية، وهو ما يجعل عددًا من المسائل السلفية ضمن منظومة الموضوعات المتداولة في الوسط الجهادي، ومن ذلك قضايا التكفير والعذر بالجهل، ونبذ مظاهر الشرك القبوري، والموقف من الشيعة.

⋆ القاعدة وداعش وأحرار الشام ... الفروق والتمايزات:

من الممكن أن نعتبر حقبة تسليح الثورة السورية وتحولها للمواجهة المسلحة تاريخًا مفصليًا مشهودًا لتغيرات جذرية في بنىٰ التيار الجهادي المعاصر؛ إذ تعاضدت انتكاسات الربيع العربي مع سوء الأوضاع في العراق، وفشل سياسات الغرب تجاه تنامي العنف في الشرق الأوسط، بالإضافة إلىٰ المواقف العربية والغربية المتخاذلة إزاء القضية الفلسطينية وانتهاكات الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين في غزة؛ كل ذلك أفرز سيولة حركية وفكرية خارج إطار الدولة الحديثة، خاصة في منطقة الشام، وباتت مساحات سيطرة وحضور الدولة في صيرورة اختزالية يومًا بعد يوم، مع تنامٍ متسارع لحضور المنطق المليشياتي بمختلف تنوعاته وأنماطه.

كما لا يمكن بحال إغفال دور الإدارة الأمريكية في تفكيك الدولة العراقية في حقبة ما بعد صدام حسين، مستصحبة هوىٰ مائلًا جهة الحليف المرحلي في «طهران»، وهو ما أنتج مزاجًا طائفيًا/ مذهبيًا حادًا يتحكم في خريطة الصراع في كل أرض الشام.

مثّلت الثورة السورية بنسختها المسلحة مرحلة تاريخية مهمة في تاريخ تحولات ديموغرافيا فكر وممارسة التيار الجهادي المعاصر؛ إذ إنّنا بتنا بصدد ثلاث نسخ متمايزة من تحققات المشروع الجهادي/ القتالي المعاصر؛ النسخة الأولىٰ هي نسخة

تنظيم القاعدة بتحديثات ما بعد الربيع العربي، والنسخة الثانية هي نسخة تنظيم الدولة الإسلامية الخارج من رحم القاعدة مصحوبًا بأقصىٰ درجات العنف الممارساتي والفكري، والنسخة الثالثة هي النسخة الأكثر هدوءًا والأقل صخبًا وعنفًا وهي حركة أحرار الشام ذات البعد المحلي.

سيتركز النظر في تحديد الفروق والتمايزات بين النسخ الثلاث علىٰ الأمور المركزية التي تمايز بينها بنيويًّا ونسقيًّا، وستكون علىٰ النحو التالي:

- طبيعة الصراع في العقل القتالي = عالمي أم محلي؟
- درجات المفاصلة مع الآخر وأثرها في بنية المشروع التغييري.
- النزعة الاحتكارية والميل لحيازة القيادة والزعامة.
- مصادر التمويل.
- بنية التنظيم وطبيعة أفراده.
- استراتيجيات القتال.

أولًا: طبيعة الصراع في العقل القتالي = عالمي أم محلي؟

تمثل هذه النقطة تمييزًا مهمًا بين كل من حركة أحرار الشام من جانب، وبين تنظيم الدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة/ جبهة النصرة من جانب آخر.

تتمثل رؤية أحرار الشام في محلية الصراع مع نظام الأسد والسعي لتأسيس دولة إسلامية في سوريا، حيث تقول الحركة في التعريف بنفسها: «حركة أحرار الشام الإسلامية حركة إسلامية إصلاحية تجديدية شاملة، أحد الفصائل المنضوية والمندمجة ضمن الجبهة الإسلامية وهي تكوين عسكري، سياسي، اجتماعي، إسلامي شامل، يهدف إلىٰ إسقاط النظام الأسد في سورية إسقاطًا كاملًا، وبناء دولة إسلامية، تكون السيادة فيها لشرع الله ﷻ وحده مرجعًا وحاكمًا وموجهًا وناظمًا لتصرفات الفرد والمجتمع والدولة . . . حركة إسلامية شاملة تعمل علىٰ تحرير الأرض والإنسان وبناء مجتمع إسلامي في سوريا من خلال العمل المؤسسي»[1]، كما تذكر الحركة ضمن

---

(١) انظر الموقع الرسمي للحركة علىٰ الإنترنت: ahraralsham.net.

أهدافها: «إسقاط النظام القائم في سورية إسقاطًا كاملًا، وجميع مخلفاته ورواسبه الجاهلية».

كما يذكر تقرير جامعة ستانفورد الأمريكية حول الحركة، أنَّها من الحركات الإسلامية المسلحة التي ليست لها أهداف خارج سوريا، وأنَّها أكثر اعتدالًا بالمقارنة بالنصرة وداعش(١).

إذن؛ تباين حركة أحرار الشام داعش والقاعدة في كونها آثرت التركيز علىٰ الصراع مع النظام السوري المستبد، وجعلت منه منطلقًا لبلورة إجابات أسئلة الثورة السورية، حيث تصبح الحركة أكثر دعمًا من المجتمع السوري، وأكثر اتساقًا مع مطالب الثورة، وأقل مواجهة مع جبهات التأثير والتوجيه الخارجي، الإقليمي والدولي.

علىٰ الجانب الآخر؛ بدت استراتيجية تنظيم القاعدة/ جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية مرتكزة بشكل أساسي علىٰ فكرة «**عولمة الصراع**» و«**عالمية المواجهة**» مع الغرب والنظم العربية التابعة له؛ إذ تبرز في نسق الخطاب التعبوي لديهم هذه العقد الخطابية، حسب فوكو، بل وتعتمد عليها في خطاب التجنيد والحشد والمواجهة، وتتبع أدبيات التنظيمين يدلل علىٰ ذلك بشكل مباشر وواضح.

ففي أشهر أدبيات تنظيم القاعدة، والتي ظلت مصدر استمداد غير مباشر لتنظيم الدولة؛ نجد ضمن الأهداف الاستراتيجية المعنية بالنكاية وتوسيع دائرة المواجهة الإقليمية والعالمية مستهدفات عملياتية تدلل علىٰ المعنىٰ الذي نقصده، فمن ضمن استراتيجيات التنظيم: «أنَّ التأمين الاستراتيجي للمنطقة العربية التي تضم دولة الخلافة التي سيكون قلبها ممتدًا من الشام إلىٰ اليمن وهو الشريط الاستراتيجي للدولة والذي يربط المخازن البشرية الأهم في المنطقة وهم أهل الشام وأهل مصر وأهل اليمن . . . وأنَّه لتأمين هذا الشريط ومجاله الحيوي يجب أن نضع في أولوياتنا وأمام أعيننا ثلاث خطوات تأتي مباشرة بعد إعلان وتمدد دولة الخلافة وهي كالآتي:

أ- إغلاق قناة السويس وتضييق باب المندب.

---

(١) *"Mapping Militant Organizations: Ahrar al-Sham", Stanford University 2014-2015: web.stanford.edu/group/mappingmilitants/cgi-bin/groups/view/523.*

ب- تدمير صناعة النفط.

ج- تهجير الأقليات المعادية»[1].

وتحت عنوان: «**دراسة استراتيجية خاصة بالصراع العالم يوم كان التيار الجهادي منه**»؛ أُشير إلىٰ ما سمي «الجهاد الإقليمي»، والتي اعتبرت كناقل رئيس لجميع الحركات الجهادية من مسرح عملياتهم المحدود إلىٰ خارج حدود بلدانهم، حيث مثلت المعركة مع السوفييت في أفغانستان الباعث لتشكل هذه المرحلة، حسب رؤيتهم، والتي امتدت بعد ذلك لحروب البوسنة والهرسك والشيشان والصومال والفلبين، بينما أُشير لـ«الجهاد العالمي» الذي أعقب تمددات مرحلة الجهاد الإقليمي، ثم النقطة المفصلية التي عولمت الجهاد/ القتال ضد المعسكر الغربي وحلفائه؛ وهي حرب الخليج الثانية في (١٩٩٠م)، يقول صاحب المذكرة: «... وقد كانت ضخامة قوات التحالف التي قدرت بمليون جندي منهم (٤٠٠ ألف) جندي أمريكي مدعومين بمئات الطائرات والغواصات النووية والبارجات العملاقة وحاملات الطائرات، وربط ذلك بالقواعد العسكرية الكبيرة التي أعدت مسبقًا لاستقبال هذه الجيوش بطلب من الرئيس الأمريكي كارتر كافية لأن يدرك المجاهدون أن هناك مؤامرة عالمية ضد المسلمين، وتحاك بالتعاون مع الأنظمة العميلة في المنطقة مدعومة بالمؤسسات الدينية والإعلامية والثقافية، وعليه؛ فإن الانشغال بقتال الأنظمة المرتدة أو الاكتفاء بتقديم النصرة لقضايا المسلمين المختلفة سيشتت جهود المجاهدين دون جدوىٰ وسيجعلهم يدورون في حلقة مفرغة ما إن تنتهي قضية حتىٰ تبدأ أخرىٰ، وهنا انتبه الشيخ أسامة بن لادن إلىٰ ضرورة البحث عن هدف استراتيجي لجمع جهود المجاهدين المتناثرة هنا وهناك وتوجيهها ضد هذا الهدف واستثمار ذلك كله في إدخال الأمة الإسلامية بكاملها كخصم في معركة ضد القوىٰ المتآمرة عليها، وبدأ الشيخ أسامة بن لادن أولىٰ الخطوات العملية بإعلان الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين عام (١٩٩٨م) ولم يكتب لها النجاح ... واندمجت القدرات التنظيمية لجماعة الجهاد المصري بقيادة الدكتور أيمن الظواهري -حفظه الله- مع

---

(١) بتصرف من: «**المذكرة الاستراتيجية: المنهج الأساس لعمل القاعدة**»، عبد الله بن محمد، (ص/ ٨٥-٩٥)، دار التمرد، سوريا.

القدرات القيادية للشيخ أسامة بن لادن لتكوين تنظيم قاعدة الجهاد التي تبنت الدعوة إلىٰ قتال الرأس المدبر لجميع مآسي المسلمين والركن الركين للأنظمة الحاكمة الجاثمة فوق صدور المسلمين أمريكا، وذلك باستهداف جميع المصالح الأمريكية السياسية والاقتصادية والعسكرية والمدنية في أي بقعة كانت من الكرة الأرضية»[١].

كما تشير مضامين وتطبيقات كتاب «**إدارة التوحش**» لأبي بكر ناجي؛ لنمط المواجهة العالمية الشاملة الذي تتبناه القاعدة وطورته داعش بوحشية أكبر.

ويذكر تقرير «خرائط الجماعات والمنظمات المسلحة» الذي تصدره جامعة ستانفورد أن من ضمن أهداف القاعدة ما أسمته (الجهاد العالمي Global Jihad)، واستهداف المصالح والأهداف الغربية[٢].

وتمثل ديموغرافيا تنظيم الدولة نقطة تمييزية واضحة عن الباقين، ففكرة «النكاية» واسعة الأبعاد والأهداف، مع تصدير «رعب الصورة» و«التخويف السينمائي» الذي يمارسه التنظيم؛ هي من الأمور التي يعتمد التنظيم فيها علىٰ اللامركزية في نقل المعركة إلىٰ خارج الأراضي الشامية، وبشكل أكثر تأثيرًا ممَّا كانت عليه القاعدة في السابق، فالولايات التي تُعلن من حين لآخر ليست بالضرورة تابعة لقيادة التنظيم المركزي في العراق والشام، كما أنَّ العمليات التي بدأت تحدث في السعودية والكويت ودول أوروبا والمغرب العربي ليست أيضًا منسقة مركزيًا مع القيادة العراقية، بل إن مجرد جاذبية العنف الذي يصدره التنظيم للمتعاطفين والحانقين علىٰ الأوضاع الشرق أوسطية المتردية، وكذا الراغبين في تحقيق نكاية ضد أهداف غربية، هي من الأمور التي يعتمدها التنظيم في نشر استراتيجياته العنفية.

ثانيًا: درجات المفاصلة مع الآخر وأثرها في بنية المشروع التغييري:

ثمة ممارسة مفاصلاتية مضمرة في بنية الحركة والفكر الجهادي/ القتالي المعاصر

---

(١) بتصرف من السابق، (ص/ ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) *"Mapping Militant Organizations: Al Qaeda", Stanford University2014-2015: http://web.stanford.edu/group/mappingmilitants/cgi-bin/groups/view/21. "Jabhat Al-Nusra In Syria: An Islamic emirate for Al-Qaeda", Jennifer Cafarella, page 8, Middle East Security Report 25, The Institute for the Study of War (ISW), December 2014.*

تتفاوت درجاتها وحدتها تبعًا للنسق العقدي الصارم أو المرن الذي تتبناه المجموعة أو التيار، كما تتعلَّق درجة هذه المفاصلة بإطار تصنيفي داخل النسق المرجعي للتيار أو المجموعة، فتتباين معايير ومحددات اعتبار مجموعات أو أفراد كفارًا أو منافقين أو خائنين أو مخالفين غير مقبول التعاون معهم، أو مخالفين ممن يمكن التعاون معهم في مساحات معينة، أو قد تتداخل بعض شعب وصفات هذه النعوت مع بعضها، وكلما كان التيار أكثر نضوجًا وتأنِّيًا؛ كلما أنتج منظومة تصنيفية أكثر دقة وأقل عنفًا وحدَّة.

ثمة مفهوم دقيق وضحه القيادي بأحرار الشام أبو يزن الشامي[1]، يفرق بين بناء التنظيم وبناء الدولة؛ إذ يرىٰ أن اشتراط بعض الأمور للتنظيم تختلف تمامًا عن الشروط العامة التي تضم المواطنين المنضوين تحت سيادة دولة ما؛ إذ الفروق كبيرة، ومساحة اختيار قيادات التنظيم للشروط أوسع من أولئك المسئولين عن احتواء تباينات واختلافات الناس داخل إطار الدولة[2]، بناءً علىٰ هذا المفهوم يمكن تصور مفهوم المفاصلة بدرجة طبيعية وغير حادة عند أحرار الشام، خاصة وأنهم في الراهن يعملون في بعض الجبهات ضمن ما يسمىٰ «جيش الفتح»، والذي يضم تحت لوائه عددًا من الكتائب والألوية غير المتطابقة، بل ومنها «جبهة النصرة» المحسوبة علىٰ تنظيم القاعدة فكريًّا وحركيًّا، وذلك ممَّا يشير إلىٰ درجة من المرونة والاعتدال في النظر للمخالفين أو المشابهين، غير المتطابقين، فكريًّا ومرجعيًّا.

علىٰ جانب تنظيم القاعدة؛ فإنَّ درجة المفاصلة ظلت إلىٰ حد ما عالية بنسبة، وبالتحديد منذ إعلان التنظيم عن نفسه وحتىٰ أوج المواجهة العالمية مع الغرب، وبروز تمددات التنظيم في أكثر من مكان، إلَّا أنَّ تغيرات ما بعد الربيع العربي أحدثت انحسارًا طفيفًا في نسق الخطاب المفاصلاتي للقاعدة؛ إذ تبرز في خطابات الظواهري

---

(١) أحد قيادات حركة أحرار الشام البارزين والذي قتل في عملية كبيرة طالت جل قيادات الصف الأول للحركة في اجتماع أمني بريف إدلب بعبوة ناسفة تحتوي علىٰ غاز سام، وذلك في (٩ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤م).

(٢) تسجيل صوتي بعنوان: **«الفرق بين بناء التنظيم وبناء الدولة»** علىٰ الرابط:

https://soundcloud.com/ahrar_alsham/oibklnc7jz14

هذا الانحسار المتصالح نسبيًّا مع الثورات، والمتعاطف أيضًا بدرجة ما يحدث للإخوان في مصر مع نظام عبد الفتاح السيسي، كما يظهر من خطابات الجولاني، كقيادي لجبهة النصرة، حضور درجة من المفاصلة المتسقة مع خطاب القاعدة في مرحلة ما بعد الربيع العربي.

يقول الجولاني: «إنَّ بين العلويين وأهل السنة ثأرًا كبيرًا جدًّا بعدما فعلوه بأهل السنة من قتل وتعذيب وتشريد واغتصاب للنساء، لكنَّه أكد أنَّ حرب الجبهة «ليست ثأرية رغم أنَّنا نرىٰ أنَّ العلويين طائفة خرجت عن دين الله وعن الإسلام . . . وأن جبهة النصرة لا تقاتل إلَّا من يرفع السلاح عليها، ومن يترك سلاحه ويستسلم قبل أن نقدر عليه نعطيه الأمان ويذهب لأهله بعد أن يتبرأ من النظام، حتىٰ وإن كان قد قتل منا ألف شخص، وبالنسبة للمعابد وأماكن العبادة والأضرحة الخاصة بالعلويين: نتعامل معها وفقًا للشريعة الإسلامية وأرسلنا إليهم من يصحح عقائدهم، وبشأن المسيحيين والشيعة في سوريا: النصارىٰ أغلبهم يقفون في صف النظام، ونقاتل فقط من يقاتلنا، وليس لدينا حرب الآن معهم ولا نحملهم مسؤولية ما تفعله أميركا أو ما يفعله النصارىٰ في العالم، أما القرىٰ الشيعية التي نحاصرها الآن فهي قرىٰ تحاربنا»[1].

بالنسبة إلىٰ تنظيم الدولة الإسلامية؛ فممارسات التنظيم الواضحة للعيان تدلل وبكل وضوح علىٰ درجة غاية في التطرف والحدة المفاصلاتية؛ إذ تتم عمليات التصفية والإعدام بتهم أقرب ما تكون للشبه، ويغلب علىٰ نسق التصنيف المعياري لدىٰ التنظيم الميل للتكفير والغلو في استباحة الدماء، ولا اعتبار بالقطع لأية عقود أمان معاصرة؛ إذ التنظيم يرفض جل أشكال الحداثة ومنتجاتها، علىٰ الرغم من تماهيه معها بدرجة كبيرة من خلال آلته الإعلامية المتفننة، وخطابه الدولتي المتعالي.

⋆ ثالثًا: النزعة الاحتكارية والميل لحيازة القيادة والزعامة:

يمثل هذا البعد مساحة مهمة في ممارسة التيارات الجهادية والتمييز بينها؛ إذ إنَّ

---

(١) لقاء أمير جبهة النصرة أبي محمد الجولاني مع الإعلامي أحمد منصور في برنامج بلا حدود علىٰ قناة الجزيرة في (٢٧ مايو ٢٠١٥م).

عادة ما تنطلي الممارسة الجهادية، نظرًا لحركيتها المفرطة، علىٰ نزوع نحو تملك القيادة والزعامة، تتفاوت درجتها تبعًا لنضج التيار أو المجموعة وعمق تأصيلاتها الشرعية والحركية، وكذا مدىٰ وعيها بمعطيات ومتغيرات الواقع السياسي والاجتماعي.

بالنسبة إلىٰ حركة أحرار الشام؛ فمن الملاحظ منذ بواكير تسلح الثورة السورية وخروج قيادات الحركة من السجون السورية أن القيادات لم تكن نازعة نحو الظهور والشهرة والتزعم إلا في إطار البناء التنظيمي والهيكلي للحركة، ولم يكن للحركة وقياداتها ظهورٌ ملفت إلَّا في أعقاب إعلان «**الجبهة الإسلامية**» التي جمعت الحركة بعدد من الحركات والكتائب الأخرىٰ، وهو ما كان في إطار السعي لتوحيد الحركات الإسلامية المسلحة لمواجهة نظام الأسد، وفي ظل قبول مبدئي بتفاهمات وتنسيقات مع الفصائل غير الإسلامية الأخرىٰ = طالما استهدفت إسقاط نظام الأسد.

أمَّا بالنسبة إلىٰ تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية؛ فقد استمرت معركة الصراع علىٰ الزعامة بين القيادة التاريخية في القاعدة وقيادة الأمر الواقع لدىٰ داعش فترة طويلة ومحتقنة، حيث قام الخلاف بينهما علىٰ فكرة إعلان الدولة الإسلامية في سوريا، أو تأجيل هذا الإعلان، وكان أبو بكر البغدادي أمير ما عُرف بـ«دولة العراق الإسلامية»، قد قال في شريط صوتي نشرته المنتديات الجهادية: إنَّ «جبهة النصرة» تُعدُّ فرعًا من تنظيمه، وأعلن البغدادي عن دمج اسم المجموعتين تحت راية «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، لكن الجولاني اعتبر أنَّ الدولة الإسلامية أمر واقع في سوريا؛ لأنَّ مهام الدولة من تحكيم الشريعة وفض الخصومات والنزاعات والسعي لإحلال الأمن للمسلمين وتأمين مسلتزماتهم قائمة علىٰ قدم وساق في الأماكن المحررة رغم ما يشوبها من التقصير، وتحفظ الجولاني علىٰ إعلان الدولة لأسباب وصفها بالشرعية، ولطبيعة الواقع السوري، ولم تفلح رسالة الظواهري «شهادة لحقن دماء المجاهدين في الشام»، في بداية (آيار/ مايو ٢٠١٤م)، في رأب الصدع، بل استمر الخلاف وارتفعت وتيرة الحرب النفسية والإعلامية بين الطرفين، فبعد أن ردَّت جبهة النصرة بالالتزام بأوامر البغدادي «نظريًّا»، وجّه تنظيم الدولة ضربة أخرىٰ للظواهري عبر المتحدث باسمه أبي محمد العدناني في رسالة «عذرًا أمير القاعدة»؛

إذ تحدّث بلغة قاسية وحادّة مع الظواهري، ممَّا استفزَّ جبهة النصرة فردَّت بدورها علىٰ العدناني في رسالة أبي ماريا القحطاني، المسئول الشرعي، وأعلنت استمرار المعارك مع تنظيم الدولة الذي لم يُظهر احترامًا للظواهري وندائه، ولم تقف خطوط الاختلاف والتباين عند حدود المشهد السوري؛ إذ بدأت عرىٰ التيارات المنتمية للتيار السلفي الجهادي تتفسَّخ وتنقسم ما بين مؤيد للظواهري ومعه النصرة، أو موالٍ للبغدادي وتنظيم الدولة، وظهر ذلك الاستقطاب جليًّا في انقسام أبناء هذا التيار في كلٍّ من الأردن والمغرب العربي، ووقف كلٌّ من أبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني ومعهم مفاتيح التيار في الأردن مع النصرة، بينما وقف تيار آخر مع تنظيم الدولة، وبالرغم من أنَّ تلك الخلافات انفجرت مع المشهد السوري؛ إلَّا أنَّ جذورها تعود إلىٰ مرحلة سابقة، وتحديدًا لحظة انضمام أبي مصعب الزرقاوي إلىٰ القاعدة ومبايعته أسامة بن لادن في العام (٢٠٠٤م)؛ إذ اتسم منهج الزرقاوي بأنَّه يقع في أغلب تفاصيله علىٰ يمين القاعدة، من زاوية التشدد الديني والمواقف السياسية الصلبة، ولم يؤدِّ مقتل الزرقاوي في العام (٢٠٠٦م) إلىٰ تراجع منهجه؛ إذ التزمت أولًا القيادات الجديدة، مثل أبي حمزة المهاجر وأبي عمر البغدادي بالمنهج نفسه، وبقيت أمينة علىٰ ميراث الزرقاوي، كما هو حال أبي بكر البغدادي اليوم، وثانيًا بدأ هذا المنهج يجد له أنصارًا ومؤيدين ومتأثرين في أنحاء مختلفة من العالم؛ إذ ارتبط بالهالة التي أحاطت بنجاح الزرقاوي السريع في العراق، وتكشف الوثائق التي أفرجت عنها السلطات الأميركية بعد مقتل أسامة بن لادن في (نيسان/ أبريل ٢٠١١م)، عن وجود تذمُّر وعدم ارتياح لديه ومعه القيادة المركزية من أداء أبي مصعب الزرقاوي وتنظيمه في العراق، وهو ما دفع بن لادن إلىٰ فتح باب النقاش في المراجعات مع مفاتيح فكرية وفقهية في القاعدة علىٰ نطاق ضيّق، منذ نهاية (٢٠٠٦م)، أي: غداة مقتل الزرقاوي، إلىٰ الأيام الأخيرة عشية مقتل بن لادن في (٢٠١١)[1].

وبالرغم من الشعور بالقلق لدىٰ قيادة القاعدة؛ فقد كان جليًّا أنَّها تجنبت تمامًا إظهار أي نوع من الاختلاف والخلاف مع الزرقاوي، واكتفت بالنصائح والوساطات

---

(١) بتصرف من: «**قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي**»، محمد أبو رمان، مقال منشور علىٰ موقع: «**الجزيرة**»، (٢٢/ ٥/ ٢٠١٤م).

في القنوات السريَّة الضيِّقة، وتجنَّبت إبداء أي موقف عندما وجَّه أبو محمد المقدسي رسالة نقدية واضحة لسلوك الأخير ومنهجه[1]، ممَّا أثار غضب أتباع الزرقاوي، وأدَّىٰ إلىٰ انقسام التيار في الأردن بين مؤيدي المقدسي، ومن أُطلق عليهم إعلاميا مصطلح «الزرقاويون الجدد»، وبقيت الخلافات بين القاعدة المركزية والزرقاوي مسكوتًا عنها في أروقة القاعدة وأوساط التيار الجهادي، وخلال الثورة السورية بدا واضحًا أنَّ التنظيم الجديد المرتبط بالقاعدة «جبهة النصرة» ينمو بهدوء وراء الأضواء، ويتجنب الإعلان عن انتمائه للقاعدة ولا يصطدم بالفصائل المسلَّحة الأخرىٰ، ويمثِّل نموذجًا مختلفًا عن التنظيم الذي ولدت فكرته في أحشائه، أي: تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق»، ولم يعلن الجولاني عن بيعته للظواهري إلَّا في (نيسان/ أبريل ٢٠١٣م)، بعدما كشف أمير تنظيم الدولة أبو بكر البغدادي، عن فكرة الجبهة وتاريخها، وضمَّها لتنظيمه، وهو الأمر الذي رفضته واستبدلته بالالتزام بالولاء للتنظيم الأم، أي: القاعدة المركزية، وتطوّرت الخلافات وانحاز الظواهري إلىٰ الجولاني، وتحوَّلت السجالات الإعلامية والفكرية وعملية الاستقطاب في أوساط السلفية الجهادية إلىٰ عداوة شديدة بين الفرقاء، وصلت إلىٰ معارك طاحنة في سوريا، واغتيال للقيادات، واتهامات عميقة تكشف بأنَّ حجم الفجوة بين الطرفين أصبح كبيرًا، فلم تنجح أغلب الوساطات من الشخصيات المحسوبة علىٰ التيار والمقرّبة منه في ردمه[2].

وحينها خرج الظواهري برسالة صوتية[3]، حاول من خلالها ممارسة دور الأب الروحي للتيار في رأب الصدع ولَمِّ الشمل وحقن دماء أبناء التيار، حيث ذكر فيها: «إنَّ الدولةَ الإسلاميةَ في العراقِ فرعٌ تابعٌ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وأودُ هنا أن أبينَ بعض التفاصيلِ:

- لمَّا قامت دولةُ العراقِ الإسلاميةِ دون أن تُستأمَرَ فيها قيادةُ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وعلىٰ رأسِها الإمامُ المجددُ الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ ﷺ، بل ولم تستشرْ، ولا حتىٰ أُخطرتْ بها، أرسل الشيخُ الشهيدُ -كما نحسبُه- أبو حمزةَ المهاجرُ ﷺ

(١) وهي رسالة «**المناصرة والمناصحة**».

(٢) بتصرف من: «**قراءة في أبعاد الخلاف بين الظواهري والبغدادي**».

(٣) «**شهادة لحقن دماء المجاهدين بالشام**»، مرفوعة علىٰ اليوتيوب.

رسالةً للقيادةِ العامةِ يبرزُ فيها إنشاءَ الدولةِ، ويؤكدُ فيها علىٰ ولاءِ الدولةِ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وأنَّ الإخوةَ في الشورىٰ قد أخذوا العهدَ علىٰ الشيخِ الشهيدِ -كما نحسبُه- أبي عمرَ البغداديِ بأنَّ أميرَه هو الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ ﷺ، وأنَّ الدولةَ تابعةٌ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، ولكن رأوا أن يُعلموا الإخوةَ بذلك ولا ينشروه، لبعضِ الاعتباراتِ السياسيةِ التي رأوها في العراقِ حينئذٍ.

- كان الإخوةُ في القيادةِ العامةِ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ، وفي دولةِ العراقِ الإسلاميةِ يتعاملون علىٰ أساسِ هذه القاعدةِ؛ أنَّ دولةَ العراقِ الإسلاميةِ جزءٌ من جماعةِ قاعدةِ الجهادِ، ومن الأمثلةِ علىٰ ذلك:

أ- الرسالةُ التي نشرها الأمريكانُ من الوثائقِ التي وجدوها في منزلِ الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ ﷺ برقم: (SOCOM-2012-0000011 Orig)، وهي رسالةٌ موجهةٌ من الشيخِ عطيةِ للشيخِ مصطفىٰ أبي اليزيدِ رحمهما اللهُ، وفيها يؤكدُ الشيخُ عطيةُ علىٰ الشيخِ مصطفىٰ أبي اليزيدِ بوجوبِ كتابةِ رسائلَ توجيهيةٍ حازمةٍ للكرومي، ويقصدُ به أبا حمزةَ المهاجرَ، ولأبي عمرَ وناسِهم لخوفِه عليهم من الأخطاءِ السياسيةِ.

ب- لمَّا تولىٰ الشيخُ أبو بكرٍ الحسينيُ البغداديُ -وفقه اللهُ- الإمارةَ دونَ إذنِ القيادةِ العامةِ أرسل الشيخُ عطيةُ ﷺ رسالةً للقيادةِ في دولةِ العراقِ الإسلاميةِ في ٧ جمادىٰ الأولىٰ (١٤٣١هـ) جاء فيها: نقترحُ علىٰ الإخوةِ الكرامِ في القيادةِ أن يُولُّوا قيادةً مؤقتةً تديرُ الشئونَ ريثما يتمُ التشاورُ، ونرىٰ الأفضلَ أن يتريّثوا -ما لم يكن هناك مانعٌ أو مرجِّحٌ قويٌ للمبادرةِ بتعيينِ رسميٍ دائمٍ- حتىٰ يرسلوا لنا الأسماءَ المقترحةَ وبيانًا عن كلٍّ منها، الاسمَ والتعريفَ به والمؤهلاتِ، ونبعثُ إلىٰ الشيخِ أسامةَ ليشيرَ عليكم.

ج- وأرسلَ الشيخُ أسامةُ للشيخِ عطيةَ -رحمهما اللهُ- في (٢٤ رجب ١٤٣١هـ) رسالةً جاء فيها: حبذا أن تفيدونا بمعلوماتٍ وافيةٍ عن أخينا أبي بكرٍ البغداديِ، الذي تم تعيينُه خلفًا لأخينا أبي عمرَ البغداديِ ﷺ والنائبِ الأولِ له وأبي سليمانَ الناصرِ لدينِ اللهِ، ويستحسنُ أن تسألوا عنهم مصادرَ عديدةً من إخوانِنا الذين تثقون بهم هناك، حتىٰ يتضحَ الأمرُ لدينا بشكلٍ كبيرٍ، وهي الرسالةُ التي أخذها الأمريكانُ من

منزلِ الشيخِ أسامةَ رحمه الله ونشروها برقمِ: .(SOCOM-2012-0000019 Orig)

د- فأجابه الشيخُ عطيةُ رحمه الله برسالةٍ بتاريخِ (٥ شعبان ١٤٣١هـ) ذكر فيها: إن شاء اللهُ سنطلبُ معلوماتٍ عن أبي بكرٍ البغداديِ ونائبِه، وعن أبي سليمانَ الناصرِ لدينِ اللهِ، ونحصلُ علىٰ صورةٍ أكثرَ دقةٍ.

هـ- وأرسل الشيخُ عطيةُ لوزارةِ الإعلامِ في دولةِ العراقِ الإسلاميةِ برسالةٍ في (٢٠ شوال ١٤٣١هـ) جاء فيها: المشايخُ يطلبون منكم نبذةً تعريفيةً عن مشايخِكم القياداتِ الجددِ وفقهم اللهُ وأعانكم: أبي بكرٍ البغداديِ أميرِ المؤمنين في دولةِ العراقِ الإسلاميةِ، ونائبِه، ووزيرِ حربِه، وإن شئتم غيرِهم من المسئولين، وبإمكانِكم أن تخبروا المشايخَ بذلك، فلعلهم يكتبون التعريفَ بأنفسِهم، أو يسجّلونه مسموعًا.

و- فأجاب مندوبُ شورىٰ دولةِ العراقِ الإسلاميةِ في (غرةِ ذي القعدةِ ١٤٣١هـ) بما يلي: أخي الفاضلَ؛ وصلتنا رسالتُكم الكريمةُ المؤرَّخةُ في (رجبِ الحرامِ ١٤٣١هـ)، وكذلك رسالةٌ سابقةٌ ضمنتموها بعضَ التوجيهاتِ من المشايخِ الكرامِ -حفظهم اللهُ- حولَ وضعِ الدولةِ هنا والتَّريُّثِ في تعيينِ الأميرِ الجديدِ، ولكنها وصلتنا بعد الإعلانِ عن الإمارةِ الجديدةِ، وفي كلِّ الأحوالِ؛ فإنَّ قرارَ الإخوةِ هنا منذ البدايةِ هو الحرصُ علىٰ إحاطةِ المشايخِ عندكم بحقيقةِ الوضعِ كما هو، ونحيطُكم علمًا مشايخَنا وولاةَ أمرِنا الكرامَ أنَّ دولتَكم الإسلاميةَ في بلادِ الرافدين بخيرٍ ومتماسكة، شيوخَنا الأفاضلَ؛ بعد مقتلِ الشيخينِ حاول مجلسُ الشّورىٰ تأخيرَ الإعلانِ عن الأميرِ الجديدِ حتىٰ يأتينا أمرٌ منكم بعد تأمينِ الاتّصالِ، ولكننا لم نستطعْ تمديدَ فترةِ التأخيرِ أكثرَ لعدةِ أسبابٍ، من أهمِها تربّصُ الأعداءِ في الداخلِ والخارجِ، وأجمع الإخوةُ هنا وفي مقدمتِهم الشيخُ أبو بكرٍ -حفظه اللهُ- ومجلسُ الشورىٰ علىٰ أنَّه لا مانعَ من أن تكونَ هذه الإمارةُ مؤقتةً، وإنَّ إرسالَ أيِّ شخصٍ من قِبلِ المشايخِ عندكم، إن رأوا أن ذلك من تمامِ تحقيقِ المصلحةِ، ليتسلمَ الإمارةَ فلا مانعَ لدينا، وسيكونُ الجميعُ هنا جنودًا له عليهم واجبُ السَّمعِ والطّاعةِ، وهذا الالتزامُ مجمعٌ عليه من مجلسِ الشّورىٰ والشيخِ أبي بكرٍ حفظهم اللهُ.

ز- بعد استشهادِ الشيخِ أسامةَ رحمه الله، أصدر الشيخُ المكرمُ أبو بكرٍ الحسينيِ البغداديِ بيانًا جاء فيه: وإنّي وإن كنتُ واثقًا من أنَّ استشهادَ الشّيخِ لن يزيدَ إخوانه

المُجاهدين إلَّا تماسكًا وثباتًا؛ فإنِّي أقولُ لإخوانِنا بتنظيمِ القاعدة وفي مقدّمتِهم الشّيخِ المجاهدِ أيمنِ الظّواهريِّ -حفظه اللهُ- وإخوانِه في قيادةِ التّنظيمِ: عظَّمَ اللهُ أجرَكم، وأحسنَ اللهُ عزاءكم في هذا المُصابِ، وسيروا علىٰ بركةِ اللهِ فيما ترونه من أمرِكم، وأبْشروا فإنَّ لكم في دولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ رجالًا أوفياءَ ماضُون علىٰ الحقِّ في دربِهم لا يَقيلونَ ولا يَستَقيلون، وواللهِ إنّه للدَّم الدَّم، والهدْم الهدْم.

ح- ثم عقب هذا البيانِ أرسل مندوبُ الاتصالِ بدولةِ العراقِ الإسلاميةِ رسالةَ للشيخِ عطيةَ ﷺ بتاريخِ (٢٠ جمادىٰ الثانية ١٤٣٢ هـ) جاء فيها: أوصىٰ الشّيخُ -حفظه اللهُ- أن نطمئنَكم علىٰ الأوضاعِ هنا، فالأمورُ في تحسّنٍ وتطوّرٍ وتماسكٍ وللهِ الحمدِ، وهو يسألُ عن المُناسبِ من وجهةِ نظرِكم عند إعلانِ الأميرِ الجديدِ للتنظيم عندكم، هل تُجدّدُ الدّولةُ بيعتَه علَنًا أم تكون سرًّا كما هو معلومٌ معمولٌ به سابقًا؟ وهذا لتعلموا أنَّ الإخوةَ هنا سهامٌ في كنانتِكم، وعلاقتُهم بكم مثلما قال الشيخُ في بيانِه المُعلنِ «الدَّم الدَّم، والهدم الهدم».

ط- بعد أن توليتُ الإمارةَ خلفًا للشيخِ أسامةَ ﷺ، كان الشيخُ أبو بكرٍ البغداديُ الحسينيُ يخاطبني بصفتي أميرَه، حتىٰ آخرِ رسالةٍ لي منه -حفظه الله- في (٢٩ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٤هـ)، والتي بدأها بقولِه: فإلىٰ أميرِنا الشيخِ المفضالِ، وأنهاها بقولِه: وقد وصلني الآنَ أنَّ الجولانيَ أخرج كلمةً صوتيةً يُعلنُ فيها البيعةَ لجنابِكم مباشرةً، وهذا ما كان يخططُ له ليحصّنَ نفسَه ومن معه من تبعاتِ ما اقترفه من خطايا ومصائبَ، ويرىٰ العبدُ الفقيرُ ومن معه من إخوانِه هنا في الشامِ؛ أنَّ علىٰ مشايخِنا في خراسانَ أن يُعلنوا موقفًا واضحًا لا لبسَ فيه لوأدِ هذه المؤامرةِ قبل أن تسيلَ الدماءُ.

ي- وكذلك أرسل الشيخُ أبو محمدٍ العدنانيُ بشهادة لي ختمها بقولِه: كتبها العبدُ الفقيرُ أبو محمدٍ العدنانيُ. وفي (١٩ جمادىٰ الأول ١٤٣٤هـ) معذرةً إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ثم إلىٰ الأمةِ، ثم إلىٰ أمرائه الشيخ الدكتورِ أيمنَ الظواهريِ، ثم إلىٰ الشيخِ الدكتورِ أبي بكرٍ البغدادي حفظهم اللهُ.

ك- أرسل الشيخُ أبو بكرٍ الحسينيُ البغداديُ -حفظه اللهُ- رسالةً مؤرخةً في (٢١ رمضان ١٤٣٤هـ) لأحدِ مسئولي الجماعةِ جاء فيها: مرت دراستُنا لرسالةِ الشيخِ الظواهريِ الأخيرةِ بثلاثِ مراحلَ؛ مرحلةُ التشاورِ مع قياداتِ الدولةِ الإسلاميةِ

المتواجدين في الشامِ، ومرحلةُ التشاورِ مع أمراءِ ولاياتِ الشامِ الذين هم أعضاءُ مجلسِ شورانا فيها، ومرحلة دراسةِ الرسالةِ من الناحيةِ الشرعيةِ من قبلِ اللجنةِ الشرعيةِ في الدولةِ الإسلاميّةِ، فما قررنا البقاءَ إلَّا بعد أن تبيَّن لنا أنَّ طاعتَنا لأميرِنا معصيةٌ لربِنا ومهلكةٌ لمن معنا من المجاهدين وخاصَّةً المهاجرين، فأطعنا ربَنا وآثرنا رضاه علىٰ رضا الأميرِ، أمَّا بالنسبةِ للسؤالِ الذي يُطرحُ أحيانًا؛ وهو لماذا كانتِ الجماعةُ وقادتُها يثنون علىٰ دولةِ العراقِ الإسلاميةِ ويرضون بها، بينما لا يرضون بالدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ؟ فالجوابُ: أنَّه رغم أنَّ القيادةَ العامةَ لجماعةِ قاعدةِ الجهادِ وأميرَها الشيخَ أسامةَ بنَ لادنٍ رحمه الله لم تُستأمر، ولم تُستشرْ، بل ولم تُخطرْ قبيلَ إعلانِ قيامِ دولةِ العراقِ الإسلاميةِ، إلَّا أنها رأت أن تعترفَ بها لفروقٍ عديدةٍ بينها وبين الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ منها:

(أ) أنَّ دولةَ العراقِ الإسلاميةَ لم تقمْ علىٰ أساسِ فتنةٍ بين الإخوةِ هددوا فيها بالخوفِ من سفكِ الدماءِ إذا تم تأييدُ الجبهةِ.

(ب) دولةُ العراقِ الإسلاميةُ قامت بعد شورىٰ موسعةٍ بين شورىٰ المجاهدين وقبائلَ أهلِ السنةِ، كما أخبرنا الشيخُ أبو حمزةَ المهاجرُ رحمه الله بذلك، وهو من نثقُ به وبصدقِه لمعاشرتِنا الطويلةِ معه، بأنَّه سعىٰ للاتصالِ بكلِ الجماعاتِ الجهاديةِ لدعوتِهم للدولةِ. بينما الدولةُ الإسلاميةُ في العراقِ والشامِ تشاورت فيها مجموعةٌ محددةٌ داخلَ الجماعةِ، بينما أعلنت جبهةُ النصرةِ أنَّها لم تستشرْ فيها أصلًا.

(ج) تسبب إعلانُ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ في مخالفةٍ واضحةٍ لأوامرِ قيادةِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ لجنودِها في العراقِ والشامِ بألَّا يعلنوا عن أيِ وجودٍ رسميٍ للقاعدةِ في الشامِ.

بل التوجهُ العامُ لقيادةِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ هو عدمُ إعلانِ أيةِ إماراتٍ في هذه المرحلةِ، وهو الأمرُ الذي أكده بالتفصيلِ الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ رحمه الله في رسالتِه للشيخِ عطيةَ رحمه الله، وهي الرسالةُ التي نشرها الأمريكانُ برقم: (SOCOM-2012-0000019 Orig)، وكرره الشيخُ أبو يحيىٰ رحمه الله علىٰ إخوةِ الدولةِ في العراقِ، ثم كررتُه علىٰ الشيخِ أبي بكرِ الحسينيِ البغداديِ في رسالتي له بتاريخ (٢٥ جمادىٰ الثانية ١٤٣٥م)، والتي كتبتُ فيها له: وإن كنتم قد سألتمونا الرأيَ قبلَ إعلانِ تلك الدولةِ،

لَمَا وافقناكم، فنحن وإخواني هنا نرىٰ أنَّ هذا الإعلانَ أضرارُه أكثرُ من منافعِه، فمقومات الدولةِ حتىٰ الآن لم تتوفرْ في الشامِ.

(د) تسبب إعلانُ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ في كارثةٍ سياسيةٍ لأهلِ الشامِ، فبعد أنَّ كان أهلُ الشامِ يخرجونَ في المظاهراتِ تأييدًا لجبهةِ النصرةِ لما أدرجتها الحكومةُ الأمريكيةُ علىٰ قائمةِ المنظماتِ الإرهابيةِ، صاروا يندِّدون بهذا الإعلانِ الذي قدمته قيادُة الدولةِ علىٰ طبقٍ من ذهبٍ للأسدِ، واستفز الإعلانُ بقيةَ الجماعاتِ الجهاديةِ، التي رأت أنَّ الدولةَ تحاولُ أن تفرضَ نفسَها عليهم بلا رضا ولا مشورةٍ.

(هـ) فجَّر إعلانُ الدولةِ الإسلاميةِ في العراقِ والشامِ خلافًا حادًّا داخلَ الجماعةِ الواحدةِ، وصل للاقتتالِ، وهدد الشيخُ أبو بكرٍ الحسينيُ البغداديُ بنفسِه بأنَّ أيَ تأييدٍ لجبهةِ النصرةِ أو تأخرٍ فيما يراه هو الموقفَ الصحيحَ -بمجاراتِه فيما أعلن- سيؤدي لسيلٍ من الدماءِ الذي بدأ فعلًا.

(و) وما زال شلالُ الدماءِ يتدفقُ في الشامِ، ولو قبلتِ الدولةُ بقرارِ الفصلِ في المشكلةِ الذي كان يسعىٰ لحقنِ دماءِ المجاهدين وتجنبِ الفتنةِ المتوقعةِ، وتفرغوا للعراقِ، الذي يحتاجُ لأضعافِ مجهودِهم، لو قبِلوا ذلك، وتصرفوا علىٰ أساسِ الشورىٰ والسمعِ والطاعةِ لأميرِهم، ولم يتمردوا علىٰ أميرِهم وقيادتِهم، فأحسب أنَّهم كانوا سيجنبون المسلمين ذلك السيلَ من الدماءِ، ولأنكوا في الحكومةِ الرافضيةِ الصفويةِ، ونصروا أهل السنةِ في العراقِ بأضعافٍ مضاعفةٍ، والحمدُ للهِ علىٰ كلِ حالٍ»[1].

ويمثل هذا الواقع نموذجًا مثاليًا وواضحًا لهذه السمة التنازعية التي لا تتوافر في

---

(١) نقلنا هنا نقولات كثيرة من: «**شهادة لحقن دماء المجاهدين**»، للدكتور أيمن الظواهري؛ نظرًا لأهمية مضمونها الحركي التنظيمي والفكري والمرجعي. وانظر أيضًا: «**عالم داعش**»، هشام الهاشمي، (١٧٢-١٧٤)، دار الحكمة - لندن. و«**الدولة الإسلامية والقاعدة: في جذور الخلاف**»، مقال لحسن أبو هنية، منشور علىٰ موقع (عربي ٢١)، (١٧ أغسطس ٢٠١٤م)، ولمزيد تحليل لهذه الظاهرة انظر: «**النقد الذاتي عند الإسلاميين (١) التيارات القتالية**»، محمد توفيق، مركز نماء للبحوث والدراسات (٢٠١٥م).

حركة أحرار الشام بدرجة عالية مذمومة، علىٰ الرغم من كون بعض قياداتها ممن صاحب وعاصر وتأثر بنسق تنظيم القاعدة ورموزه.

★ رابعًا: مصادر التمويل:

غالبًا ما يشوب الحديث عن مصادر تمويل الجماعات المسلحة شيء من عدم الدقة والتوثيق، إلَّا أنَّ حالة التركيز المعلوماتي والاستخباراتي والبحثي علىٰ المشهد السوري أعطت قدرًا من المعلومات القريبة نسبيًّا من الحقيقة، خاصة مع سيولة وتعدد مصادر التمويل.

يشكل موضوع التمويل أحد أبرز القضايا الخلافية في الثورة السورية والفرقة بين قوىٰ المعارضة المدنية والعسكرية؛ فتنوع سياسات الممولين ومحاولتهم شراء نفوذ لهم علىٰ الأرض، وفي العموم، تتوزع مصادر تمويل قوىٰ المعارضة العسكرية بشقيها الإسلامي والعلماني علىٰ ثلاثة مصادر رئيسة، هي[(١)]:

- تمويل حكومي: تسعىٰ بعض الحكومات لصنع أدوات تأثير ونفوذ لها في الصراع، ومن أبرز الحكومات التي تقدم تمويلًا حكومات دول الخليج وبريطانيا وفرنسا وتركيا.

- التمويل الشبكي:

يعتمد هذا النوع من التمويل علىٰ شبكات منظمة لديها خبرات كبيرة في تأمين المال والسلاح، وتمتاز الجماعات الإسلامية بامتلاكها شبكات تمويل كبيرة عابرةً للحدود، ومنذ اندلاع الثورة السورية وتحولها إلىٰ العمل المسلح بدأت بعض الشبكات في تحويل الدعم للداخل السوري، وتعتمد في إيصاله علىٰ العلاقات الشخصية من خلال وجهاء محليين ودعاة ورجال دين داخل سورية وخارجها.

- التمويل الذاتي:

برز هذا النمط من التمويل لسد النقص الحاصل في تدفق المعونات الخارجية، كما

---

(١) بتصرف من دراسة: «**المُعارضة المُسلَّحة السوريَّة: وضوح الهدف وغياب الرؤية**»، مروان قبلان، مجلة «**سياسات عربية**»، عدد (٢ مايو ٢٠١٣م).

لجأ إليه البعض لتحقيق درجة من الاستقلالية عن التمويل الخارجي المشروط. فتحوَّلت الكثير من الجماعات المسلحة إلىٰ استثمار كل ما يقع تحت أيديهم من معامل، ومنشآت اقتصادية، وآلات، وآليات، ومعادن مثل النحاس والحديد، وغيرها من الموجودات ذات القيمة، سواء كانت ملكيتها عامة أم خاصة، فضلًا عن الأسلحة والذخائر التي يجري اغتنامها من مواقع الجيش النظامي، وتشكلت المجالس العسكرية في ظل توجه إقليمي ودولي لضبط المعارضة العسكرية واحتواء التيارات «الإسلامية المتشددة» فيها، من هنا، اعتمدت المجالس العسكرية في تمويلها بشكل رئيس علىٰ مصادر تمويل خارجية حكومية غالبًا، وارتبط هذا التمويل -علىٰ ضآلة حجمه- بسياسات تلك الدول ورؤيتها للصراع؛ فتارة يجري العمل علىٰ صرف مستحقات مالية للمجالس، وتارة أخرىٰ يتوقف لأسباب تتعلق بمصالح الممولين ورؤيتهم للصراع.

تُشير بعض التقارير إلىٰ أنَّ حركة أحرار الشام، بكونها حركة أقرب ما تكون إلىٰ السلفية الحركية؛ تتلقىٰ دعمًا ماديًّا من شبكات تعاطف إسلامي خليجي بالتحديد، يعد من أبرزها الدعم القطري، ودعم الناشط السلفي الكويتي حجاج العجمي[1]، وذلك بخلاف المصادر الأخرىٰ المتوفرة لباقي الفصائل كجمع أموال الخدمات والضرائب وبيع الموارد النفطية أو الكهرباء.

بالنسبة إلىٰ تنظيم القاعدة المركزي في أفغانستان فإنه قد لا يكون داعمًا وحيدًا لامتداده في سوريا المتمثل في «جبهة النصرة»، نظرًا لاختلاف طبيعة توافر التمويل والدعم في الحالة السورية، فاعتماد القاعدة علىٰ شبكات تمويل معقدة ومركبة وعابرة للقارات، بخلاف دعم الأفراد المتعاطف ينفي الخليج، وبعض المصادر الإقليمية في أفغانستان وباكستان وهو الأمر الذي اختلف نسبيًا في حالة النسخة السورية.

بالنسبة إلىٰ جبهة النصرة؛ فعلىٰ الرغم من وجود مصادر تمويل شبه دائمة للجبهة تأتي من التبرعات أو من التنظيمات الجهادية؛ فإنَّ هذه المصادر بحكم وظائف الجبهة العسكرية والإغاثية والخدمية تشكل جزءًا بسيطًا من تمويلها فحسب، فالجبهة تعتمد

---

(١) *"Mapping Militant Organizations: Ahrar al-Sham".*

بشكل رئيس في التمويل علىٰ الغنائم؛ فقد تشترط قبل المشاركة مع فصائل المعارضة الأخرىٰ في أي معركة «حصة الأسد» من الغنائم. لقد حصل ذلك أثناء مهاجمة الثكنات العسكرية كافة في الشمال السوري، مثل قاعدة الشيخ سليمان والفوج ٤٦ وخان طومان وغيرها، ما جعلها الفصيل العسكري الأبرز في سورية الذي لا يشكو شح الذخيرة، إضافة إلىٰ ذلك؛ وضعت الجبهة يدها علىٰ صوامع الحبوب في حلب، وتولت حماية المصانع فيها، فحصلت من التجار الخائفين علىٰ مصانعهم من السرقة والنهب علىٰ مقابل مادي، كما سيطرت علىٰ عدة آبار للنفط في المنطقة الشرقية واستخدمتها في تمويل نشاطاتها، وأقامت مشاريع خدمية مثل مشروع «باصات النقل العام» في حلب وريفها والتي عادت علىٰ الجبهة بمردود مالي كبير[١].

أما عن تنظيم الدولة الإسلامية؛ فللتنظيم شبكات وموارد متعددة ومعقدة ومشبوهة في بعض الأحيان لتمويل عملياته وأفراده وتسيير شؤون مناطق سيطرته.

تقوم الدولة الإسلامية، منذ نسختها العراقية الأولىٰ، بتمويل نفسها بشكل شبه كامل منذ عام (٢٠٠٥م) تقريبًا، ووفقًا لقاعدة بيانات وزارة الدفاع الأمريكية؛ بلغ التمويل الخارجي للتنظيم ما بين عام (٢٠٠٥م) إلىٰ (٢٠١٠م) أكثر من (٥ %) من إجمالي دخل المجموعات المكونة له في ذلك الوقت[٢]. بينما مثلت حقبة أبي بكر البغدادي تصاعدًا كبيرًا في مستويات التمويل، فمنذ عام (٢٠١٠م) إلىٰ (٢٠١٤م) عززت القيادة المالية التابعة للبغدادي شبكات ابتزاز معقدة وفعالة أثمرت عن تحصيل ما يقارب ١٢ مليون دولار شهريًّا.

كما تشير تقارير إلىٰ أن مبيعات الموارد النفطية في مناطق سيطرة التنظيم في العراق وسوريا يتراوح ما بين مليون إلىٰ ثلاثة ملايين دولار شهريًّا، من خلال مبيعات في

---

(١) بتصرف من دراسة: «**جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلىٰ الانقسام**»، حمزة المصطفىٰ، مجلة «**سياسات عربية**»، عدد (٥ نوفمبر ٢٠١٣م).

(٢) *"Records show how Iraqi extremists withstood U.S. anti-terror efforts", By Hannah Allam, McClatchy Washington BureauJune 23, 2014:*

http://www.mcclatchydc.com/2014/06/23/231223_records-show-how-iraqi-extremists.html?rh=1#storylink=cpy

السوق السوداء، وهي التي قد تكون تأثرت مؤخرًا باستهداف قوات التحالف الدولي ضد التنظيم[(١)].

وتدخل ضمن مصادر تمويل التنظيم المهمة؛ عمليات الافتداء مع الرهائن الغربيين، وبيع الآثار، وجباية الضرائب علىٰ الطرق والشاحنات، كما يشير تقرير ستانفورد إلىٰ بعض دلائل الدعم الإيراني للتنظيم الذي تقول إنه توقف في (٢٠١٤م) تماشيًا مع سياسات الولايات المتحدة في محاربة الإرهاب[(٢)]!!

★ خامسًا: بنية التنظيم وطبيعة أفراده:

تتراوح أعداد أفراد حركة أحرار الشام بين عشرة إلىٰ خمسة عشر ألف فرد، أكثرهم من السوريين، بينما تتراوح أعداد مقاتلي جبهة النصرة ما بين خمسة إلىٰ ستة آلاف، بخلاف باقي المنتسبين والمتعاطفين مع تنظيم القاعدة في أنحاء العالم والذين كانوا يقدرون بعشرات الآلاف؛ إذ سحب تنظيم الدولة الإسلامية البساط من تحته فوصل عدد التابعين لداعش داخل العراق وسوريا أكثر من ثلاثين ألف فرد، بخلاف المتعاطفين خارج الأراضي الشامية[(٣)].

كما تمثل العناصر غير السورية نسبة عالية داخل تنظيمي النصرة وداعش، والتي تقدرها بعض التقارير بما يتجاوز العشرين ألف مقاتل في مجمل الفصائل السنية في سوريا، وللنصرة وداعش منها نصيب الأسد[(٤)].

---

(١) انظر: «**تحديد معالم الدولة الإسلامية**»، تشارلز ليستر، دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز الدوحة، رقم (١٣)، ديسمبر (٢٠١٤م).

"The Islamic State", Zachary Laub and Jonathan Masters, The Council on Foreign RelationsCFR Backgrounds, May 18, 2015: http://www.cfr.org/iraq/islamic-state/p14811

(٢) *"Mapping Militant Organizations: The Islamic State".*

(٣) *"ISIS Draws a Steady Stream of Recruits From Turkey", By CEYLAN YEGINSU, The New York Times, September 15-2014.*

(٤) *"Foreign fighter total in Syria/Iraq now exceeds 20,000; surpasses Afghanistan conflict in the 1980s", By Peter R.Neumann, ICSR Director, 26/01/2015.*

ثمة فروق فكرية وممارساتية بارزة ومهمة بين كل من الأحرار والجبهة من جانب، والنسخة العنيفة الأخيرة من داعش؛ إذ تتزايد حدة العنف والإعلام المروج للعنف لدىٰ أفراد تنظيم الدولة ضمن استراتيجيات التوحش المتزايد لديهم، بينما دفع انحسار جاذبية القاعدة/ النصرة إلىٰ مشاركتهم أحرار الشام وباقي الفصائل فيما سمي بـ«جيش الفتح»، وانخفاض حدة أفراده، وتماسك ما بقي من بناه التنظيمية.

ولا يمكن بحال إغفال كون القيادات الكبرىٰ والمركزية في تنظيم الدولة ذات أصول عسكرية متحولة عن الجيش العراقي إبان حقبة صدام حسين، وهي الإشارة التي قد تفسر نسبيًا التكتيكات العسكرية المهارية التي يمارسها التنظيم، كما يمكن أن تفسر العنف الدموي الذي يتبناه التنظيم = وهو ممَّا لا يوجد إلَّا في قطاعات من الجيوش النظامية ووحداتها القتالية الخاصة والوحشية[1].

(١) انظر علىٰ سبيل المثال القائمة التي أعدها تشارلز ليستر لقيادات التنظيم في: **«تعريف القيادة العليا للدولة الإسلامية»**، صادرة عن مركز بروكنجز الدوحة:

http://www.brookings.edu/"/media/Research/Files/Reports/2014/11/profiling-islamic-state-lister/ar_whos_who.pdf?la=ar

داعش

التشكُّل والدوافع

نواف القديمي



كيف تشكَّلت داعش؟ سؤالٌ كبير

منذ اشتعلت احتجاجات الربيع العربي، وحتىٰ ظهور و«تمدد» داعش، بدا هذا المشرق عصيًّا علىٰ التنبؤ والاستشراف، وبالتزامن مع طغيان الظاهرة التلفزيونية المتوائمة مع نمط الوجبات السريعة في التحضير والتقديم، تتعملق الظواهر، وتتغير الخرائط، وتنفجر المكبوتات، دون أن تحظىٰ بما يلزم من دراسة متأنية، وفهمٍ لدواعي النشوء، وسواقي التغذية والنمو، وبسبب ذلك، وخارج فضاء التجاذبِ الفكري والسياسي، لم يحظ التنظيم الذي طغىٰ علىٰ المشهد السياسي في سوريا والعراق تحت اسم «**الدولة الإسلامية في العراق والشام**» بدراسة بحثية موسعة تسعىٰ لتفسير وتحليل أسباب نشوء وتشكُّل هذا التنظيم، الذي غدا الأكثر غموضًا وتطرفًا وتمددًا وتقويضًا لجغرافيا الدولة الوطنية الحديثة.

ربما أيًّا من التفسيرين «الاجتماعي السياسي» و«العقائدي اللاهوتي» ليس قادرًا بمفرده علىٰ الإجابة عن كم التساؤلات المركَّبة التي ترافق حضور و«تمدد» هذا التنظيم، وتزايد أعداد المنتمين إليه، وقوته المالية والإعلامية، بشكلٍ فاق توقعات أكثر المحللين مجازفة في استشراف ما يحدث في سوريا والعراق.

في السادس من أوغسطس الجاري كتب الدكتور عزمي بشارة مقالًا مُهمًّا في صحيفة «**العربي الجديد**» بعنوان: «**من يقف خلف داعش؟ سؤال عقيم**»، شرح فيه كيف بدا التراشق السياسي هو الطاغي في ثنايا البحث عن «الطرف» الذي يقف خلف تأسيس تنظيم داعش، باعتبار أنَّ وجود طرف سياسي -دول علىٰ وجه الخصوص- أنشأ هذا التنظيم للاستفادة منه في إفشال مشروع الخصوم بات أمرًا مُسلَّمًا به وخارج دائرة التفكير والاختبار. فيما هو لا يعدو أن يكون تكرارًا لما جرىٰ كثيرًا في التاريخ السياسي الحديث، من ناحية استثمار كل طرف لما هو متاح لتبشيع وشيطنة الخصم السياسي واعتباره مصدرًا لكل الشرور والموبقات.

وإذا كان الصراع السياسي المحتدم أنتج تراشقًا في الاتهام بالمسؤولية عن تأسيس هذا التنظيم بهدف الإدانة واستثمار المناخ الدولي القلق من تنامي ظاهرة الإرهاب؛ فإن لنشوء «**تنظيم الدولة الإسلامية**» -دون شك- ظروفًا موضوعية هي التي أدت لتشكُّل ونمو وتمدد هذا التنظيم، وهي المساحة التي لم تحظَ بعد بما تستحقه من تقصٍّ وتحليل، وقد ألمح د. بشارة إلىٰ بعضٍ من هذه الأسباب في مقاله القصير.

وإذا كان النزوع المؤامراتي والخصومة السياسية هما اللذين أنتجا سؤال: مَن يقف خلف داعش؟ فإنَّ الهمَّ المعرفي والبحث عن مصلحة الجماعة العربية ومستقبلها هما اللذان يضعاننا اليوم أمام سؤال: **كيف تشكَّلت داعش؟**

ولا يُمكن استسهال الإجابة عن هذا السؤال بمجرد اعتبار داعش تطورًا منطقيًا للسلفية الجهادية، ولا بكونها امتدادًا طبيعيًّا للمدرسة الوهابية النجدية، ولا باعتبارها نتيجة متوقعة لتنامي الاستبداد والتهميش والحروب والبطالة التي سادت دوائر واسعة من المجتمعات العربية.

من المُؤكَّد أنَّ لنشوء داعش علاقةً بكل ذلك. لكن لا يُمكن لأيٍّ من هذه القوالب التفسيرية أن تقدم إجابات متماسكة لكثيرٍ من الأسئلة الممتدة بحجم الجغرافيا التي بات يهيمن عليها هذا التنظيم.

⭑ محاولة توصيف ..

سأحاول فيما يلي أن أسجل بعضًا من ملامح الخطاب السياسي والسلوك الميداني لتنظيم «الدولة الإسلامية» اللذين يجعلانه -في تقديري- متمايزًا عن التنظيمات الجهادية التقليدية، وخارج قوالب التفسير المألوف لنشوء هذه التنظيمات:

(١) فمن ناحية .. نحن أمام «تنظيم عقائدي وسياسي» يُمثِّل أقصىٰ حالات التوحش والساديَّة والغلو الديني والعنف العسكري، لدرجة بدا معها تنظيم القاعدة -الذي تسيد زمنًا المربع الأخير في اليمين الديني والسياسي- معتدلًا وقابلًا للحوار، بل إنَّ المفارقة وصلت لدرجة أنْ غدا خطاب القيادات الشرعية التاريخية لتنظيم القاعدة لا يفتأ يُحذِّر من الغلو والتكفير وفكر الخوارج الذي يرونه تجلىٰ بأبشع صوره في سلوك تنظيم داعش!

(٢) ومن ناحية أخرىٰ، ومع كل هذه الصلابة العقائدية، نحن أمام تنظيم يُمثِّل حالة متقدمة من البراغماتية والانتهازية السياسية في سلوكه علىٰ الأرض، وفي اختياره لمعاركه، وفي تقديره للأوزان العسكرية للدول والقوىٰ المحيطة به والتعامل معها وفق ذلك، ولهذا السلوك البراغماتي شواهد كثيرة. منها ما فعله تنظيم الدولة الإسلامية حين بقي لأكثر من عام يخوض معارك شرسة ضد الفصائل الثورية في سوريا، وكثيرٌ منها منتمٍ بشكل ما -يزيد أو ينقص- للسلفية الجهادية، في حين أن جبهاته الواسعة مع النظام -الذي يعتبره نُصيريًا كافرًا- هادئة، ومعاركه معه لا تكاد تُذكر. ولو نظرنا لخريطة المساحات التي يهيمن عليها تنظيم داعش في سوريا، لوجدنا أن جميعها مساحات مُنتزعة من الفصائل الثورية لا من النظام السوري. وفي المقابل نجد أن النظام السوري تجنب عمدًا خلال هذا العام الدخول في أي مواجهات تُذكر أو قصف المواقع، والمدن التي يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية (يُمكن المقارنة مثلًا بين قصفه لحلب والرقة)، بل كان النظام يتعمَّد -كما في شواهد كثيرة- مقاتلة وقصف أي فصائل ثورية تدخل في مواجهات ومعارك مع تنظيم الدولة الإسلامية، وكأنَّه يخوض معه نفس المعركة. أيضًا رأينا مقدار تشدد تنظيم الدولة الإسلامية في هدم كل المراقد والمزارات والأضرحة، حتىٰ تلك التي تُنسب للأنبياء والصحابة باعتبارها مظاهر شركيَّة، لكن حين تعلق الأمر بضريح جد العثمانيين «سليمان باشا» الموجود داخل سوريا، وفي المناطق الخاضعة لتنظيم الدولة الإسلامية، فلم يكتفِ التنظيم بالامتناع عن هدمه، بل سهل وحمىٰ دخول القوات التركية للضريح، وحتىٰ الآن تقوم قوات داعش بحمايته ولم تتعرض له بالهدم. أيضًا فيما يخصُّ علاقة تنظيم الدولة الإسلامية بالفصائل المسلحة في سوريا، ففي الوقت الذي تخوض فيه داعش معارك شرسة لا تخلو من نزعات انتقامية، وإعدامات ميدانية، وقطع لرؤوس الأسرىٰ، وخطاب تكفيري حاد مع فصائل محسوبة علىٰ السلفية الجهادية -كجبهة النصرة وأحرار الشام وسواهما-؛ فإنَّ التنظيم في المقابل قَبِل بمبايعة وولاء فصائل مسلحة هم أقرب لقطاع طرق وجباة أموال ومليشيات ارتزاق، وكثيرٌ من هذه الفصائل بايعت تنظيم الدولة الإسلامية إما لدوافع مادية، أو للاحتماء بها من العقاب الذي فرضته عليها الهيئات الشرعية (كما تكرر ذلك مرارًا في ريفي حلب، ودير الزور وسواهما)، ومن الشواهد أيضًا يمكن أن نذكر قدرة تنظيم الدولة الإسلامية علىٰ معرفة المناطق التي تُمثل

خطوطًا حمراء لدول مؤثرة وعدم اقتحامها (كما في أربيل التي تُمثل خطًّا أحمر أمريكيًا، وبغداد ومناطق الكثافة الشيعية في العراق التي تُمثل خطًّا أحمر إيرانيًّا)، فضلًا عن عدم فتح هذا التنظيم لجبهات مع قوات النظام السوري -سوىٰ باستثناءات محدودة- رغم الحدود الواسعة بينهما، لذلك تجد أنَّ كُلَّ المدن التي تخضع الآن لسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا هي مدن مُنتزعة من الفصائل الثورية، ولم تنتزع داعش أي مدينة من النظام السوري؛ لأنَّها في الأصل لا تخوض معارك معه، وثمة شواهد أخرىٰ عديدة علىٰ هذا السلوك المفرط في البراغماتية لتنظيم الدولة الإسلامية.

(٣) لا يُمكن اعتبار تنظيم الدولة الإسلامية مجرد تطور طبيعي للسلفية الجهادية أو للمدرسة الوهابية، ففي الوقت الذي تتباين فيه المرجعيات المدرسية للسلفيات الجهادية في العالم العربي (مثلًا جماعة الجهاد في مصر اتكأت في تأصيلها لمواقفها علىٰ نصوص وفتاوىٰ ابن تيمية، مع استلهامٍ لأفكار المفاصلة لدىٰ سيد قطب. في المقابل كانت التنظيمات الجهادية في الجزائر والمغرب تعتمد علىٰ تراث المذهب المالكي في تأصيل التكفير والقتال، خاصة التراث الذي تكوَّن في المرحلة التي هيمنت بها الدولة الفاطمية علىٰ المغرب العربي الذي ينتمي معظم سكانه للمذهب المالكي، فتراكم تراثٌ لفقهاء مالكية يكفِّر السلطة الفاطمية ويدعو للخروج عليها، فيما كانت التنظيمات الجهادية في الشام والعراق والخليج أقرب لاستلهام نصوص المدرسة النجدية الوهابية في التكفير والقتال)، لكن تنظيم الدولة الإسلامية يبدو خارج هذه الدوائر جميعها، فهو تنظيم -رغم امتداده وكثرة المنتمين إليه- لم يُصدر تنظيرًا شرعيًّا تأسيسيًّا موسعًا لمواقفه العقدية والسياسية يمكن الاعتماد عليه ودراسته، وما أصدره لا يعدو أن يكون تأصيلًا لاحقًا ذا طابعٍ تبريريٍ جدلي، كما لا تنتسب لهذا التنظيم أي من الشخصيات الشرعية المعروفة والمؤثرة في الوسط الجهادي ويخلو من أي شخصية شرعية لها وزن، بل إنَّ جميع الشخصيات الشرعية التاريخية المرموقة في الوسط الجهادي، أو تلك المؤثرة عليه (من أمثال أبو محمد المقدسي، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو بصير الطرطوسي، وسليمان العلوان، وهاني السباعي، فضلًا عن زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري) أصدرت بيانات متعددة تُحذِّر من غلو تنظيم

الدولة الإسلامية، وتساهله في التكفير، وسفك الدماء، وعدم شرعيَّة إعلانه للدولة، ثم الخلافة.

(٤) وفي مقابل خلوّ تنظيم الدولة الإسلامية من شخصيات شرعية معتبرة، تتصدر السُّلَّم القيادي لهذا التنظيم شخصيات عسكرية معظمهم كانوا ضباطًا في الجيش العراقي البعثي زمن صدام حسين، (من أمثال حجي بكر، وأبو مسلم التركماني، وأبو عبدالرحمن البيلاوي، وأبو أحمد العلواني، وأبو مهند السويداوي، ومحمد الندىٰ الجبوري، وسواهم). فوجود مثل هذه الأسماء علىٰ رأس تنظيم الدولة الإسلامية دون أن يكون لها أي سابقة أو تاريخ في العمل الجهادي، ودون أي مخزون شرعي، أو «ثقافة جهادية»، أو تطور منطقي في تراتبية التنظيم والولاء تبرر قيادتهم لتنظيم يقع في أقصىٰ يمين السلفية الجهادية، هو أمرٌ يثير أسئلة مشروعة عن الدوافع المحركة لهذه القيادات، وطبيعة هذا التنظيم وظروف تكوُّنه، وعن مدىٰ وجود «بنية نظرية صلبة» لدىٰ هذه القيادات تُمثِّل مُحرِّكًا رئيسيًّا للقيام بهذا «المشروع الجهادي».

يُمكن اعتبار ما سبق بعضًا من مناطق التمايز والاختلاف بين تنظيم الدولة الإسلامية وما ألفه الدارسون -علىٰ امتداد أكثر من ثلاثة عقود- من تنظيماتٍ تنتمي للسلفية الجهادية. لذلك؛ حين نبحث في أسباب نشوء هذا التنظيم ونقيِّم خطابه الشرعي وسلوكه السياسي والعسكري، فيجب أن نأخذ هذه التباينات بعين الاعتبار.

ويبقىٰ السؤال .. كيف استطاع تنظيم الدولة الإسلامية امتلاك كل هذه القوة العسكرية، والامتداد الجغرافي، وتوفير هذا الكم من التمويل والتسليح، والقدرة العالية علىٰ التعبئة والحشد في مواقع التواصل الاجتماعي، ومقاطع اليوتيوب، والأفلام التوثيقية؟ وقبل كل ذلك كيف استطاع كسب آلاف الأنصار والمقاتلين مع وجود هذا الكم من التوحش والشغف بالقتل، ورغم انتقاد، واتهام جميع الشخصيات الشرعية المعتبرة للحالة الجهادية لهذا التنظيم؟ خاصة إذا ما قورن كل ذلك بالإمكانات المتواضعة للتنظيمات الجهادية الأخرىٰ في الساحة السورية والعراقية.

⋆ محاولة تفسير ..

سأحاول في السطور التالية الإشارة -بشكل مختصر- إلىٰ بعض المسائل التي

أحسب أنَّها ساهمت في ظهور هذا التنظيم بالشكل الذي نراه اليوم:

(١) لتنظيم الدولة الإسلامية تاريخ معتبر في العراق مَنَحهُ شرعية فكرية وميدانية لا ينافسه عليها أي تنظيم جهادي في منطقة أخرىٰ بالعالم الإسلامي، خاصَّة أنَّ الوجود الميداني العملي، والهيمنة لسنين علىٰ مساحات واسعة من الأرض يُضفي علىٰ التنظيم مشروعية واقعية كثيرًا ما تتجاوز في تأثيرها المشروعية النظرية والتراتبية التنظيمية في سُلَّم الحركة الأم «قاعدة الجهاد». لذلك؛ حين انتقد زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري دخول الدولة الإسلامية لسوريا ودعاها للعودة إلىٰ العراق، كان رد بعض القيادات الشرعية والإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية يرتكز علىٰ استعراض النجاحات والصعوبات والمواجهات التي عانىٰ منها تنظيم الدولة طوال ما يقارب العقد من وجوده في العراق، والدور المحدود -أو المعدوم- لأيمن الظواهري في هذا التأسيس. لذلك؛ اعتبروا أنَّه لا يملك الحق في فرض رأيه علىٰ تنظيم لم يُسهم في صُنع نجاحاته، ولم يتحمل شيئًا من عبء تأسيسه ومواجهاته.

(٢) وامتدادًا للفقرة السابقة، استطاع تنظيم الدولة الإسلامية أن يصنع -وعلىٰ مدىٰ سنين- حضوره وجمهوره وجاذبيته ومشروعيته الجهادية، لا علىٰ الشهادات والتزكيات المقدمة من القيادات التاريخية للسلفية الجهادية، ولا علىٰ «صحة الموقف الشرعي»، بل علىٰ «وهج الإنجاز»، وعلىٰ اقتراب تحقيق الحُلم الجامح في المخيلة النضالية لشباب الجهاد بتأسيس «دولة الإسلام». (مثلًا تنظيم القاعدة استطاع خلال الشهور التي تلت حصول «منجز» (١١ سبتمبر) أن يكسب كوادر ومنتمين له أضعاف أولئك الذين استطاع اكتسابهم خلال عدة سنين سبقت (١١ سبتمبر) عبر الإقناع السياسي والشرعي، كل ذلك بسبب «وهج الإنجاز»). لذلك؛ لن تجد أن المنتمين لتنظيم الدولة الإسلامية معنيين كثيرًا بالتنظير الشرعي لمواقفهم وأفعالهم، أو مهمومون بالجدل حول مسائل العذر بالجهل، وإقامة الحُجة، ونواقض الإسلام، وأحكام الردة، بقدر ما هم مهمومون بمطاردة خيال «امبراطورية الخلافة» التي يُريدون أن ينفخوا في جسدها الروح من تحت رُكام التاريخ، ويسعون لإعادة رفع لوائها من جديد ولو كان علىٰ جبلٍ من جماجم «إخوة المنهج»، وهذا ما يُفسر وجود أعداد كبيرة من المهاجرين غير العرب «شيشان، وأوروبيين، وسواهم» في صفوف تنظيم الدولة

وهم لا يتكلمون العربية، ما يشير إلىٰ أن دوافع وجودهم مرتبطة«بالإيمان والوجدان» أكثر ارتباطها بالقناعة الشرعية.

(٣) الحروب بطبيعتها تمثل قمة الانفعال الوجداني والاستعداد النفسي لتبني أكثر الأفكار راديكالية وتشددًا. لذا؛ نجد أن بلدًا كـ(سوريا) كان خاليًا من الوجود المنظم للإسلام السياسي طوال عقود، وفي الوقت نفسه كان الخطاب العلماني هو الحاضر الوحيد في عمل المؤسسات، ووسائل الإعلام الرسمية، إضافة إلىٰ وجود تنظيمات يسارية وقومية لها تاريخ طويل في الساحة السورية. ومع ذلك؛ حين بدأت الثورة، وبعد عامٍ من تحول الاحتجاج السلمي إلىٰ عمل مسلح، ساد الفكر السلفي معظم الفصائل المقاتلة في سوريا، وبدا سلوك «المزايدة في التشدد» ينمو كممارسة اعتيادية عند المنتمين لهذه الفصائل (بعض قادة أكبر الفصائل الثورية كانوا يُعلنون في بداية العمل المسلح أن مقصد ثورتهم، وقتالهم هو التخلص من النظام الاستبدادي، وبناء دولة ديمقراطية، لكن بعد شهور، وبسبب تنامي الحالة السلفية، صار التصريح بذلك أمرًا متعذِّرًا، ويجرُّ علىٰ قائله مسردًا طويلًا من الاتهام والتكفير والطعن، وبات الهدف المُعلن للعمل المسلح عند معظم الفصائل هو «تطبيق الشريعة»، و«بناء دولة إسلامية»، وغدت الديمقراطية نظامًا كفريًّا لا يتناسب مع بلدٍ مسلم. ومن زار المناطق المحررة واستمع لخطاب بعض الكوادر المقاتلة، يلمس بوضوح حجم الضغط المعنوي الذي يمثله الخطاب السلفي، حتىٰ إنَّك قد تجد بعض المقاتلين غير ملتزمٍ بأداء الصلاة، ومع ذلك هو يُصرُّ علىٰ إعلان سلفيته!). فكان الفكر السلفي، بجرعاته المفرطة في اليقينية وخطابه الجهادي التضحوي، هو البيئة الملائمة للعمل المسلح ضد نظامٍ طائفيٍّ لم يتوانَ عن حشد كل أنصار الطائفة في مقاتلة خصومه «التكفيريين».

(٤) وفي مقابل هذا السياق، وأثناء التصاعد المستمر لمؤشر البوصلة الفكرية في المناطق المحررة باتجاه مزيدٍ من التشدد، كان الجناح السوري في تنظيم القاعدة «جبهة النصرة» يأخذ اتجاهًا معاكسًا، ويتقدم بخطواتٍ نحو الاعتدال، حيث قرر التحالف مع الفصائل الثورية الأخرىٰ، والاهتمام بالحاضنة الشعبية، وتأجيل «تطبيق الشريعة والحدود»، وإعلان أن هدف قتالهم هو «نصرة الشعب السوري المستضعف»، و«دفع الصائل» لا «تأسيس دولة». كل ذلك تم وسط حربٍ شرسة

قادها النظام السوري، وقصفٍ مستمر بالبراميل المتفجرة، وحشد ميليشيات طائفية من دول أخرىٰ، وارتكاب عشرات المجازر، في مناخٍ دموي وفَّرَ بيئة ملائمة للمزاودة بالتشدد . . فكان تمدد «الدولة الإسلامية» -عند المهاجرين خاصة- علىٰ حساب «جبهة النصرة» متوائمًا مع المناخ العام الذي يدفع باتجاه مزيدٍ من الغلو لا الاعتدال.

(٥) لا يُمكن تفسير مقدار التوحش، والعنف والساديَّة، والقتل علىٰ الهُوية، والإعدامات الجماعية، وقطع الرؤوس، والتمثيل بالجثث، وتعذيب الأسرىٰ، والصلب الذي يمارسه تنظيم الدولة الإسلامية دون الحديث عن ظروف نشأة هذا التنظيم في العراق، وذلك؛ لأنَّ كل هذا التوحش الذي نراه اليوم في الساحة السورية، هو مجرد نقل جغرافي لذات الأفعال التي مارسها التنظيم في العراق، وكذلك؛ لأنَّ شخصيات الصف الأول في قيادة هذا التنظيم، وكثيرًا من شخصيات الصف الثاني هم من العراقيين.

ولأن العراق عاش عقودًا صعبة من العنف والاضطهاد والحروب والفقر والقتل علىٰ الهُوية، لم تبدأ بتعاقب أنظمة ديكتاتورية مارست أبشع أشكال القمع والتدمير المعنوي للمواطنين وعسكرة المجتمع، مرورًا بالحرب العراقية الإيرانية، ثم حرب الخليج التي أعقبها حصار اقتصادي خانق، فاحتلال أمريكي أمعن في القتل والتعذيب، وليس آخرها تسليم البلد لنظام طائفي قمعي دفع باتجاه قيام حرب طائفية دموية قتلت عشرات الآلاف وهجَّرت الملايين. كل ذلك انعكس دون شك في أعماق تكوين الشخصية العراقية، وحقن التوحش والعنف عند فئات واسعة من هذا المجتمع، يتجلىٰ أحيانًا تحت لافتة تنظيم الدولة الإسلامية، وأحيانًا أخرىٰ تحت لواء الميليشيات الشيعية التي لا يختلف مقدار توحشها عن ذلك القدر الذي يمارسه مقابلها السُّنِّي، فالتوحش هنا ليس مرتبطًا فقط بنزعات ساديَّة فردية، بل بـ«استراتيجية عُليا» شرَّعها وانتهجها هذا التنظيم. لذلك؛ يتم دومًا تصوير عمليات القتل البشعة، ونحر الرؤوس ونشرها عبر اليوتيوب، وذلك بهدف ترويع الآخرين، وقد نجح تنظيم الدولة الإسلامية في ذلك بوضوح، حيث لا تجد تفسيرًا منطقيًّا لهروب بعض الفصائل من مواجهتهم، وبيعة فصائل أخرىٰ هم أبعد ما يكونون عن أيديولوجيا تنظيم الدولة، وكذلك هروب قوات النظام العراقي -كما في الموصل- وقوات البيشمركة -كما في

سنجار وبادوش- إلّا أنَّهم بالفعل قد «نُصروا بالرعب».

في مقاله المشار إليه، يقول د. عزمي بشارة في سياق حديثه عن الكيفية التي يتكوَّن بها الإنسان في بيئة عاشت ظروفًا صعبة ومتلاحقة، كما في العراق: «يُمكننا، مثلًا، أن نتخيَّل إنسانًا مرَّ بأهوال سجون حكم البعث العراقي أو السوري، ثمَّ عاش في ظل الاحتلال الأميركي الهمجي وحاربه، ثم ذاق مرارة السجن في ظلِّ نظامٍ طائفيٍّ سياسيٍّ بغيض، مثل نظام المالكي، بحيث أتت كل واحدة من هذه التجارب علىٰ مساحة خضراء في نفسه، وطمست لونًا من صورة الإنسان فيه».

وكتب وائل عصام في (٧ يوليو الماضي) مقالًا نشره في صحيفة «**القدس العربي**» بعنوان: «**فصل المقال ما بين داعش والبعث من علاقة واتصال**» قال فيه أثناء حديثه عن شخصية قيادية في تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق يُدعىٰ «أبوعمر الكردي»: «يقول لي أحد مرافقي من كان يُعرف بجزار القاعدة «أبوعمر الكردي»، وهو من الذين أعدمتهم الحكومة العراقية، بعد أن نفذ أكثر من مئتي عملية تفخيخ، أحدها كانت عملية اغتيال الحكيم. يقول صديقه الذي كان يرافقه إن الكردي كان يصف نفسه «بالوحش»، ويقول: «لقد تحولت لوحش . . هل تعرف كيف يُمكن أن يُصبح الإنسان بعد اعتقال في زنزانة منفردة لخمس سنوات؟!»، لقد كان الكردي معتقلًا في جهاز الأمن في النظام العراقي من عام (١٩٩١) حتىٰ (١٩٩٥) بعد عودته من أفغانستان، وكان ينظر للبعثيين علىٰ أنهم من حولوه وحشًا»، الأمر ذاته ينطبق علىٰ كثيرٍ من المهاجرين العرب وغير العرب، ومعظمهم مطلوبون في بلدانهم، وممن تعرضوا للاعتقال والتعذيب، أو ممن ينتمون إلىٰ أسر عانىٰ بعض أفرادها من التضييق الأمني والاعتقال والإذلال، فلم يعد لديهم ما يخسرونه، فكانت «الهجرة إلىٰ الشام» ملاذًا لهم من جحيم أوطانهم، وأرضًا للجهاد والاستشهاد وتحقيق حلم الدولة، وميدانًا للكرامة والثأر، فالقهر يقتل الجينات الإنسانية في داخل المقهور، فتُصبح كل أفعاله - مهما توحشت- مُبررة ومشروعة و«أخلاقية» في سبيل تحقيق الأمنيات، والثأر من الخصوم والتاريخ والمجتمع.

وبالطبع أن تشوه فطرة الإنسان وتوحشه ليس دومًا يرتبط بظلم، وقهر مرَّ به، بل قد يكون ذلك بسبب نزوع شخصي، واستعداد نفسي للعنف، فالناس يتفاوتون في

جرأتهم وشجاعتهم، واستعدادهم للمغامرة والإقدام، وقابليتهم للجريمة والعنف. لذلك؛ نجد أنَّ أكثر من يُمارس العنف والقمع والتعذيب بطريقة ساديَّة بشعة هم عناصر الأمن والمخابرات في المعتقلات العربية، ومعظمهم لم يمرْ بتجارب اضطهاد، بل كان دومًا في مقام الظالم.

(٦)ولكون معظم الطبقة القيادية في تنظيم الدولة الإسلامية تتكون من شخصيات عسكرية لها خبرات قتالية طويلة، وليس لها سابقة في العمل الحركي والتربوي الإسلامي، انعكس ذلك بوضوح علىٰ التفوق العسكري، والقدرة علىٰ التخطيط والمناورة والتكتيك وفق ما يفرضه الميدان وتتطلبه المعركة، وبكامل التحرر من القيود الأخلاقية والشرعية. وانعكس أيضًا علىٰ مقدار الاحتراف في تكوين إعلام حربي، ومكنة دعائية متفوقة، وإدراك الأهمية القصوىٰ التي تمثلها مصادر التمويل «آبار نفط، بنوك، مخازن سلاح ... إلخ»، وكل ذلك تم بدرجة عالية من البراغماتية المرتبطة بـ«القدرة» لا «المشروعية». أي: إنَّنا هنا أمام قوة منفصلة عن القيمة، فالقوة وحدها هي من تصنع معاييرها الخاصة للقيم والأخلاق.

★ سطور أخيرة ..

يُمكننا اليوم أن نعتبر أن «داعش» تعيش مرحلة «الدعوة» بكل تطرُّفها ونضاليتها وعنفوانها، لا مرحلة «الدولة» بواقعيتها وحساباتها. وكأنَّ شريط التاريخ يستعرض أمامنا ما فعله أبو مسلم الخراساني وأبو العباس السفاح، وجحافل الرايات السود، وهي ترتكب المجازر في خراسان ودمشق؛ لتوطيد أركان دولة بني العباس.

فالأفكار و«التصورات الشرعية» ليست هي من يقود قاطرة داعش، لكنها مجرد مظلة لتسويغ الأفعال ومنحها مشروعية. وهذا لا يتنافىٰ مع أن دوافع غالب الشباب المنتمي لهذا التنظيم هو الإيمان والرغبة بنصرة الدين وإقامة دولة الإسلام، والاستعداد للتضحية والاستشهاد في سبيل ذلك. وقد وجدوا في تنظيم الدولة الإسلامية الجماعة الأقدر علىٰ تحقيق ذلك.

قصة «داعش» ليست مرتبطةً فقط بهويات مغلقة، ودوغما متعالية أنتجت هذا التنظيم الذي الْتَهَم مساحات واسعة من دولتين عربيتين بتسارع مخيف. ولا جماعة

تعيش حُلم التاريخ فجذبت أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، بل هي أيضًا نتيجة لواقعٍ عربي صعب سُدت به كل نوافذ الأمل، وقُمعت به أشواق الشعوب نحو التحرر والكرامة، وأُهينت الشريعة -باستبعادها أو استخدامها- التي يَفديها كثيرٌ من الشباب المؤمن بروحه ودمه وماله، فمثلت داعش -لبعضهم- ثورة من أجل استعادة «دولة الإسلام» من جديد، دولة اليوتوبيا وحُلم الخلاص، لكنَّها ثورة استصحبت فصولًا من فقهٍ سياسيٍّ نتج في زمن الاستبداد والمُلك العضوض، تُشرَّع فيه الغاية علىٰ حساب الوسيلة، وتُرتكب فيه الموبقات تحت لافتة «المقصد الشرعي».



عودةٌ لسؤال .. من يقف خلف داعش؟

لن تتوقف الظاهرة التي شكَّلها «تنظيم الدولة الإسلامية» بغموضه وتوحشه وامتداده السريع عن إثارة الكثير من التساؤلات السياسية والاجتماعية والفقهية. حاولتُ في مقالٍ من جزأين نُشر في صحيفة «**العربي الجديد**» البحث في الظروف الموضوعية التي تُفسر لنا «**كيف تشكَّلت داعش؟**»، وسأحاول في هذا المقال باقتضابٍ أن أجيب عن سؤالين استتبعهما طرح السؤال الأول، وهما: هل ثمة دول هي من أنشأت، أو ساهمت في نشأة تنظيم الدولة الإسلامية؟ والآخر: ما السيناريو المستقبلي المتوقع لهذا التنظيم؟ مع التأكيد أن ما سأورده لا يعدو أن يكون وجهة نظر شخصية مبنيَّة علىٰ تتبع واهتمام بهذا الملف.

وبعيدًا عن التراشق الذي يسود المشهد السياسي، يمكن التأكيد وبوضوح أنَّه ليس هناك أيُّ دليل، ولا مُعطىٰ موضوعي، ولا إمكانية عملية «فكريًّا وسياسيًّا» تُشير إلىٰ دور أي دولة من تلك التي تتناولها الاتهامات الإعلامية (أمريكا، سوريا، إيران، العراق، السعودية، قطر، تركيا) في تأسيس تنظيم الدولة الإسلامية. فهذا التنظيم ليس سوىٰ ابن صميم لمتوالية الحالة الجهادية في الرؤىٰ والتصورات والأفكار، ونتاج ظروفه السياسية والاجتماعية المحتقنة، في مشهدٍ عربي غابت عنه طويلًا شمس الاستقرار والعدالة.

بل حتىٰ الحديث عن وجود اختراق استخباراتي كبير لهذا التنظيم يؤثر في اتخاذ قراراته ورسم استراتيجياته هو أمرٌ لا يخلو من تعسف. وأقصىٰ ما يمكن توقعه هو حصول اختراق يتمثل بوجود عناصر داخل التنظيم لها صلة بأجهزة استخبارات، وتقوم برصد تحركات وخطط هذا التنظيم لصالح هذه الأجهزة.

لكن ثمة سؤال آخر يبدو أكثر تركيبًا ومعقولية في الفضاء السياسي، يتلخص بـ: هل هناك دول «استفادت» من وجود تنظيم الدولة الإسلامية، وقدمت «تسهيلات» لهذا

التنظيم ساعدت في تمدده وانتصاراته؟

الإجابة ومن دون شك«نعم»، وفي مقدمتها سوريا وإيران، ولذلك أسباب وظروف موضوعية يُمكن فهمها حال استقراء الاستراتيجيات التي انتهجتها الأطراف الإقليمية الثلاثة الأكثر تأثيرًا في المعادلة اليوم (إيران وسوريا وداعش) في تحركاتها وأولوياتها بالمنطقة، وتلخيص ذلك عبر الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية:

كيف يُفكر النظام الإيراني؟

(١) الإسلام السياسي الشيعي بتنوعاته، سواءٌ المنضوي منه تحت لافتة ولاية الفقيه، أو من يقع خارجه، إضافة إلىٰ المرجعيات الدينية الفاعلة سياسيًّا، بين كل هذه الدوائر انقسامات واسعة، يغذيها التنافس السياسي والخلاف الفكري والصراعات التاريخية، وهي تتفاوت في موقفها من النظام الإيراني بين الموالي له، والمستقل عنه، ومن هو في خصومةٍ معه.

وتُدرك إيران أنَّ هذا الانقسام يُشكِّل العائق الأكبر أمام تمدد الحالة الشيعية في العراق وهيمنتها علىٰ مفاصل الدولة، لذا؛ ارتأت أنَّ أفضل مسارٍ يُسهم في التقليل من هذا الانقسام، ويدعو كل الفصائل السياسية الشيعية إلىٰ التقارب والتحالف، هو «ظهور خطر وجودي» يُهدد كل الطائفة، ويُعلن عليها الحرب، ويُسهم في تهييج العصبيات المذهبية، الأمر الذي سيدفع كل الطيف الشيعي للتماسك والتوحد، والالتجاء إلىٰ ظهيره الإقليمي الوحيد «إيران». وليس ثمة خطر أكثر تجسيدًا للحالة المطلوبة إيرانيًّا من وجود تنظيم القاعدة في العراق -الذي تحول بعد ذلك إلىٰ تنظيم الدولة الإسلامية- بخطابه الذي يُعادي ويُكفِّر كل الشيعة، ويُعلن الحرب عليهم، ويُرسل الانتحاريين للقيام بتفجيرات في مناطق تجمعاتهم.

لذا؛ كانت إيران دومًا حريصة علىٰ وجود تنظيم القاعدة في العراق، وامتلاكه لعناصر من القوة والتأثير بالقدر الذي يُحقق الهدف المطلوب بتحالف الفصائل الشيعية واستعانتها بإيران، ولا يتجاوزه إلىٰ تشكيل خطر حقيقي علىٰ الوجود الشيعي.

(٢) وبسبب ما ذُكر في الفقرة الأولىٰ، كانت إيران هي الممر الآمن لمعظم قيادات وكوادر تنظيم القاعدة التي انتقلت -بعد الضربة الأمريكية لمواقعهم عقب (١١ سبتمبر)-

من أفغانستان إلىٰ العراق. وبدورها قامت الاستخبارات الإيرانية مع توافد مئات المنتمين إلىٰ تنظيم القاعدة (الذين هربوا من أفغانستان إلىٰ باكستان، ثم لجأوا إلىٰ إقليم بلوشستان السني داخل الأراضي الإيرانية) بالتعامل معهم علىٰ ثلاثة أقسام:

- فبعض كبار قادة التنظيم، مثل أبو مصعب الزرقاوي وبعض مساعديه، سهَّلت لهم الاستخبارات الإيرانية المرور من أفغانستان إلىٰ العراق، وذلك بالتغاضي عن عبورهم لقرابة ١٥٠٠ كيلو متر داخل الأراضي الإيرانية (من الحدود مع أفغانستان شرقًا، وحتىٰ الحدود مع العراق غربًا) من دون أن تمسهم أو تعتقلهم.

- فيما اعتقلت بعضًا من قادة التنظيم أو الشخصيات الاعتبارية المهمة لديه، وأبقتهم رهائن لديها قيد الإقامة الجبرية، للضغط علىٰ تنظيم القاعدة كي لا يقوم بأي عمليات داخل إيران، وكانت أحيانًا تقوم بالتخلص من أي شخصيات لم تعد بحاجة إلىٰ وجودها عبر الإفراج عنها (في إيران ما يزيد عن عشرة أشخاص من عائلة أسامة بن لادن في مقدمتهم إحدىٰ زوجاته وولداه سعد وعمر وعدد من بناته «مازالوا محتجزين»، والقائد العسكري للقاعدة محمد صلاح زيدان الملقب بسيف العدل«مازال محتجزًا»، ومصطفىٰ حامد المكنىٰ بأبي الوليد المصري وأسرته،ومحفوظ ولد الوالد المكنىٰ بأبي حفص الموريتاني وأسرته،«أطلق سراحهما في (٢٠١١م»)، وسليمان أبوغيث «أفرج عنه في (٢٠١٣م)، وغادر إلىٰ تركيا، ثم الأردن، وهو الآن معتقل في الولايات المتحدة»،والعديد سواهم)، وهؤلاء بقوا بما يشبه الإقامة الجبرية في إيران منذ نهاية (٢٠٠١م).

- قسمٌ ثالث، وهم مئات المقاتلين والكوادر غير القيادية في تنظيم القاعدة، فمعظم هؤلاء تم اعتقالهم لبضعة أشهر، وبعد اكتمال التحقيقات معهم، تم تخييرهم وفقًا للتالي: من هم مطلوبون أمنيًا في بلدانهم، فيمكن تسهيل مرورهم إلىٰ العراق. أما غير المطلوبين في بلدانهم«وهم غالبًا من الشباب صغار السن الذين لا سوابق لهم»، فيمكن تسهيل رجوعهم إلىٰ بلدانهم، أو تسهيل مرورهم إلىٰ العراق إن أرادوا،أي إنَّ إيران كانت هي المعبر شبه الوحيد لأهم قادة تنظيم القاعدة وللمئات من مقاتليها الذين انتقلوا من أفغانستان إلىٰ العراق.

(٣) كذلك سعت إيران خلال العقد الماضي إلىٰ بقاء العراق ضعيفًا ومفككًا، رغبة

منها في بقاء تفردها بالهيمنة علىٰ المنطقة، إضافة إلىٰ الانتقام من تاريخٍ دمويٍّ لها مع العراق،وكانت كذلك معنيةً -عبر وجود تنظيم القاعدة- بضرب القوات الأمريكية ورفع كلفة احتلالها للعراق، حتىٰ لا تجرؤ علىٰ التفكير مرة أخرىٰ بالقيام بعمليات عسكرية تجاه دولٍ تعتبرها الولايات المتحدة راعية للإرهاب، وفي مقدمتها إيران.

وفي مسارٍ موازٍ سعت إيران لاستمرار عمليات التغيير الديمغرافي الطائفي في العراق،الذي تتولىٰ كِفله الميليشيات الشيعية المدعومة من حكومة بغداد، وذلك عبر تهجير السنة من المناطق المهمة جيوسياسيًّا بالنسبة إليها، كالعاصمة بغداد، ومحافظة ديالىٰ المتاخمة لحدودها (الأغلبية العظمىٰ من اللاجئين العراقيين في سوريا والأردن هم من السُّنة، وكثيرٌ منهم من بغداد التي أوشكت أن تُصبح -بفعل التهجير المنظم- مدينة شيعية)، وفي الوقت نفسه تسعىٰ إيران لتعزيز الهيمنة الشيعية علىٰ كل مفاصل الدولة العراقية وخصوصًا الجيش والأمن.

★ كيف يُفكر النظام السوري؟

لأنَّ النظام السوري يعلم طبيعة تكوين أجهزته العسكرية والأمنية ومؤسساته السياسية، ومدىٰ ارتباطها العضوي بالنظام، واختلاف ما سيجري في سوريا عن ذلك الذي جرىٰ بمصر وتونس، وأنَّه لا يمكن إسقاط النظام بالاحتجاج السلمي، ولا بالعمل المسلح من دون تدخل دولي،كما في الحالة الليبية. ورغم تعويله علىٰ الموقف الروسي، ومعرفته للأهمية الاستراتيجية التي تمثلها سوريا عند الدول الكبرىٰ؛ لكونها مجاورة لإسرائيل، كان حريصًا علىٰ بث القلق لدىٰ هذه الدول من أن البديل الوحيد للنظام السوري حال سقوطه سيكون تنظيم القاعدة.

لذلك؛ وبعد شهور من سلمية الثورة، وفور بدء تشكل مجموعات ثورية مسلحة كان معظم أفرادها منشقين عن الجيش السوري، وقبل أن تتشكل أي مجموعة سلفية مقاتلة، لم يتوقف الخطاب السياسي للنظام السوري والماكينة الإعلامية الموالية له، عن تكرار أنَّ كل هؤلاء المقاتلين المحسوبين علىٰ الثوار ليسوا سوىٰ مجموعات سلفية جهادية وهابية إرهابية تنتمي إلىٰ تنظيم القاعدة. وبالتوازي مع هذا الخطاب، كان مشروعه علىٰ الأرض يسعىٰ لأن تلتهم المجموعات الجهادية الأكثر تطرفًا -تمثلت بعد ذلك في تنظيم الدولة الإسلامية- كل المناطق التي يسيطر عليها الثوار، حتىٰ يضع

النظام السوري المجتمع الدولي أمام خيارين لا ثالث لهما: إمَّا التفاهم مع النظام القائم والقبول بوجوده حتىٰ مع وجود اشتراطات وإصلاحات شكلية، وإلَّا فستكون سوريا -المُتاخمة لإسرائيل- تحت حكم تنظيم الدولة الإسلامية.

ولهذا السبب، أفرج النظام السوريُ -بعد بدء الثورة- عن مئات المعتقلين الجهاديين في سجن صيدنايا، كان من بينهم مجموعة أصبحوا من أهم قادة الفصائل الجهادية المقاتلة للنظام، كما في جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية وتنظيم أحرار الشام وسواهم. بل ثمة تحليلٌ يميل إلىٰ أن العملية الشهيرة لتنظيم الدولة الإسلامية التي جرت في شهر (يوليو ٢٠١٣م)، واستطاع عبرها تحرير مئات المعتقلين الجهاديين من سجن أبو غريب العراقي، تمت بتسهيلٍ وتغاضٍ من قِبَل الحكومة العراقية الحليفة للنظام السوري، وكان الهدف شبه المُعلن لكل هذه الأفعال والتحركات، ألَّا يبقىٰ في سوريا سوىٰ نظام الأسد، وتنظيم الدولة الإسلامية، وعلىٰ العالَم أن يختار بينهما.

وهذا ما يُفسِّر عدم دخول النظام السوري في معارك واسعة مع تنظيم الدولة الإسلامية، وتجنب قصف مواقعه -سوىٰ باستثناءات محدودة- بل والسعي أحيانًا لترجيح كفَّته عبر ضرب الفصائل الثورية أثناء اشتداد معاركها مع تنظيم الدولة الإسلامية.

وبالإضافة إلىٰ النظامين الإيراني والسوري، ثمة دول -أو أجهزة داخل دول- حاولت الاستفادة من بروز الحالة الجهادية في سوريا، وسهَّلت خروج المقاتلين من أراضيها كي يلتحقوا بالفصائل الجهادية، وهي فيما يبدو تودُّ لو قامت بعض هذه العناصر مستقبلًا. بعد عودتها -بعمليات تفجيرية في بلدانها، حتىٰ تستفيد من ذلك في التنافس السياسي الداخلي بين الأجهزة أو الأجنحة، وإعادة هيمنة الأجهزة الأمنية علىٰ القرار السياسي تحت لافتة مواجهة الإرهاب.

★ كيف تُفكر داعش؟

لا تبدو غامضة تلك الاستراتيجية التي انتهجها تنظيم الدولة الإسلامية منذ إعلانه عن وجوده رسميًّا داخل سوريا في (أبريل ٢٠١٣م)، كانت داعش تفكر -وبمستوىٰ متقدم من البراغماتية- بأولوياتها كـ«دولة» لا كفصيل جهادي يقاتل النظام السوري.

لذلك لم يكن «إسقاط النظام السوري» ضمن أولوياتها المرحلية، بل كانت أولوياتها تتركز في اتجاهين اثنين:

الأول: الحصول علىٰ مزيدٍ من الجغرافيا، وهنا كان أمام التنظيم لتحقيق ذلك خياران اثنان، إما مقاتلة النظام السوري، أو مقاتلة الفصائل الثورية، وبالطبع وجد التنظيم أن السيطرة علىٰ المناطق الخاضعة لفصائل ثورية محدودة التسليح، ومترددة في قتال الدولة الإسلامية -بسبب ما اعتبرته «حرجًا شرعيًّا» من قتال «إخوة المنهج»- أسهل بكثير من السيطرة علىٰ مناطق خاضعة لنظامٍ يمتلك سلاح طيران، وأسلحة ثقيلة، وكثافة نيران، ومخزون ذخيرة لا يكاد ينفد، إضافة إلىٰ وجود ميليشيات عقائدية تقاتل معه. وهذا ما يُفسر أن كل المدن والقرىٰ والمساحات الواسعة التي سيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا كانت مُنتزعة من الفصائل الثورية لا من النظام.

الثاني: الحصول علىٰ «التمويل والسلاح»، وذلك عبر السيطرة علىٰ أي مواقع تُسهم في عملية التمويل، كآبار البترول في الشرق السوري، والاستيلاء علىٰ مقرات بعض البنوك «كالبنك المركزي في الموصل»، إضافة إلىٰ فرض إتاوات علىٰ التجار وعلىٰ حركة السِلع في المناطق الخاضعة له.

أما السلاح، فقط أدرك تنظيم الدولة أنَّ «السلاح النوعي»، وبكميات كبيرة لن يكون متوفرًا سوىٰ في قواعد ومخازن النظامين السوري والعراقي. وهذا ما يُفسر أن معارك تنظيم الدولة الإسلامية مع النظام السوري لا تكاد تخرج، حصرًا، عن السعي للسيطرة علىٰ مواقع القواعد والمطارات العسكرية التي تحتوي علىٰ كميات هائلة من السلاح، ابتداءً بالمعركة التي خاضها التنظيم للسيطرة علىٰ مطار منغ العسكري في ريف حلب، وليس انتهاءً بسيطرته علىٰ مقر (الفرقة ١٧)، ومقر (اللواء ٩٣)، ومطار الطبقة العسكري في محافظة الرقة.

⋆ مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية ..

مع هذا القدر من التحول الدراماتيكي السريع في المشهد السياسي العربي، لا تخلو محاولات استشراف المستقبل من مجازفة. ومع ذلك، يمكن من خلال

استقراء السلوك السياسي للدول الكبرىٰ، ومدىٰ التغيُّر في المشهد الإقليمي وفي موازين القوىٰ العسكرية، أن نحاول استشراف المرحلة القادمة كي نعرف من أي الجهات الأربع ستهب رياح التغيير.

برأيي تبدو الساحة العراقية أكثر وضوحًا فيما يخص مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية، فبمجرد أن تنجح الضغوط الدولية والإقليمية، المتزامنة مع شعور القوىٰ السياسية المحلية باقتراب الخطر، فيه تكوين نظام سياسي تُشارك فيها جميع المكونات العراقية، ولا يشعر فيه السُّنَّة بالتهميش، ويُعيد التحالف مع العشائر السُّنية، وهو ما تنتظر الولايات المتحدة إنجازه، كي تبدأ بعده بتنفيذ ضربات جوية مكثفة لمواقع ومعسكرات تنظيم الدولة الإسلامية، بالتوازي مع تحرك قوات الحكومة العراقية ومقاتلي العشائر علىٰ الأرض. في مشهدٍ ربما لا يختلف كثيرًا عما جرىٰ في العراق عام (٢٠٠٦م). عندها سيضطر تنظيم الدولة الإسلامية إلىٰ التراجع، وسيخرج من المدن الكبرىٰ، عائدًا إلىٰ الهوامش والصحاري الخارجة عن السيطرة.

في المقابل، يبدو مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا أكثر تعقيدًا، ومحاطًا بهالة من الغموض الكثيف، بسبب تشابك الحالة السورية، وعدم وجود طرف سياسي «لا النظام، ولا الفصائل الجهادية» يُمكن للقوىٰ الدولية تسليحه والتحالف معه، من ثَم توجيه ضربات جوية مكثفة متزامنة مع التقدم الميداني للقوات المحلية(بطريقة تُشبه ما حصل في مواجهة النظام الليبي، ونظام طالبان بأفغانستان)، لذا؛ يبدو أنَّ عمْر تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا سيكون أكثر طولًا ممَّا هو في العراق، وتقلص جغرافيته مرهونٌ بوجود قوات عسكرية كبيرة علىٰ الأرض، يمكن التحالف معها دوليًّا.

وحتىٰ ذلك الحين، لا يبدو أن تنظيم الدولة الإسلامية -الذي يحسب خطواته جيدًا- سيُقدم علىٰ مغامرة اجتياح الحدود السعودية أو الأردنية، وإن فعل؛ فلن يعدو الأمر مجرد مناوشات تحمل رسائل سياسية، ولا تهدف للسيطرة علىٰ مناطق داخل حدود هاتين الدولتين.

لكن يبدو أنَّ القضاء الكامل علىٰ تنظيم الدولة الإسلامية سيكون أمرًا متعذرًا في المدىٰ المنظور، فكل ما تستطيعه القوىٰ الإقليمية والدولية،في حال توافرت الظروف

المناسبة، هو الحد من تمدده، ودفعه للتراجع، ونزع سيطرته علىٰ المدن الكبرىٰ.

وقبل كل ما سبق؛ فإنَّ «داعش» ظاهرةٌ تكونت وفق شروط التاريخ لا خارجها، وستبقىٰ، وسيتكرر خروج تنظيمات مشابهة، مادامت الظروف الموضوعية، الفكرية والسياسية، تملك كل الخصوبة اللازمة لولادة مزيدٍ من الكوارث والأزمات.

داعـــــــــش

قراءة تحليلية للخطاب

هـيـثـم سـمـير



مُقَدِّمَة

بعد مرور ما يزيد عن عامين ما تزال «داعش» أو «الدولة الإسلامية»[1] ظاهرة عصية علىٰ الفهم، مثلًا نجد اللواء (Major General) ما يكل نجاتا (Michael K. Nagata) رئيس العمليات الخاصة للقيادة المركزية الأمريكية، يقول في نهاية (ديسمبر ٢٠١٤م): «نحن لا نفهم تلك الحركة [أي: الدولة الإسلامية]، ولن نستطيع هزيمتها قبل أن نفهمها»، وعن أيديولوجيا التنظيم قال: «لم نهزم الفكرة. نحن حتىٰ لا نفهمها» (١) بالإضافة إلىٰ عشرات التساؤلات مثل: ماذا تريد داعش (٢)؟ داعش من تكون (٣)؟ ما هو تنظيم الدولة الإسلامية (٤)؟ إلىٰ أي مدىٰ تعد داعش إسلامية (٥)؟ كيف تعمل داعش (٦)؟ هل مهدت «الوهابية» الطريق لصعود فكر «داعش» التكفيري(٧)؟ داعش نبتة كاثوليكية (٨)! «داعش» بين فشل التحديث وإخفاق الحداثة (٩)! هل تنتمي داعش إلىٰ الإسلام أم إلىٰ الحداثة (١٠)؟ كيف تجتذب داعش المقاتلين الأجانب (١١)؟ داعش وظاهرة المقاتلين الأجانب (١٢) لماذا ينضم الغربيون إلىٰ داعش (١٣)؟

في هذا الكتاب ترجمة لمحاولة للباحثين من مركز بروكنجز كول بنزل [Cole Bunzel] وويليام مكانتس [William McCant]، في ورقة بحثية بعنوان «أيديولوجيا الدولة الإسلامية»، وقد سعوا من خلالها لتقديم فهم وتفسير لفكرة داعش

---

(١) هناك نقاش كبير حول تسمية الدولة الإسلامية، فبينما ترىٰ لوريتا نابوليوني، وجوب تسميته بالدولة الإسلامية، لما يحمله الاسم من مضمون يعد تحذيرًا وتذكيرًا علىٰ الغاية النهائية لها، نجد أن فابيوس وزير خارجية فرنسا وجوب تسميتهم بداعش لما يحمله الاسم من إهانة ولعدم منحهم ما يريدون بوصفهم بلقب الدولة. والاختلاف في فهم طبيعتهم المركبة يؤدي أيضًا إلىٰ وصفهم إحيانًا بالمجموعة، وأحيانًا بالتنظيم، أو الجماعة، ومرات أخرىٰ الدولة فقط، في تلك الورقة ربما تجد وصفهم بمختلف تلك الأوصاف نتيجة للاقتباس من مصادر متنوعة لكل منهم رؤيته المختلفة.

وفكرها كأيديولوجيا، ونسعىٰ هنا في هذه الورقة أيضًا لفهم الفكرة لكن انطلاقًا من الخطاب بمفهومه الفوكوني.

⋆ لماذا اخترنا الخطاب بدلًا من الأيديولوجيا؟

لأن الخطاب كما تقول سارا ميلز، يعد ممارسة فكرية أكثر تركيبًا من مصطلح الأيديولوجيا. حيث إنَّ الأيديولوجيا عند الكثيرين تعتبر عملية تبسيطية وسلبية، يتم بها استغفال الأفراد لاستخدام أنظمة مفاهيمية ليست في صالحهم (١٤). أيضًا، يرىٰ منظرو الأيديولوجيا (مثل التوسير) أنهم يتحدثون من موقف الناقد العلمي، وبالتالي تصبح الأيديولوجيا وعيًا خاطئًا وتمثيلًا متخيلًا لظروف الوجود. بينما يرىٰ فوكو انطلاقًا من نظرية الخطاب، أنَّ كل التصريحات لها نفس الدرجة من إمكانية الصحة، بمعنىٰ أن أي فعل نقدي تحدده وتشكله علاقات القوة الذي هو نفسه جزء منها (١٤)؛ لذلك فضَّلنا استخدام تحليل الخطاب بمفهومه الفوكوني، حيث نقوم بتحليل الخطاب الداعشي وقواعده والبنىٰ المتحكمة في إنتاجه، وفي تقييده أيضًا، وتحديد علاقة بين المرأي والمتحدث به، وعلاقات السلطة المنتجة لخطابهم والناتجة عنه، وكيفية توظيفه في آلة البروباغندا الضخمة للدولة.

⋆ تاريخ التيارات الجهادية: مما قبل الكولونيالية إلى الدولة الإسلامية

تعد الدولة الإسلامية علىٰ أقصىٰ اليمين من التيار الإسلامي، الذي يميل إلىٰ اليمين بدءًا من جماعة الإخوان المسلمين، مرورًا بالجماعات السلفية ثم السلفية الجهادية وصولًا إلىٰ القاعدة وانتهاءً بالدولة الإسلامية. وهي وريثة لمجموعة من التراث النظري الفقهي والسياسي والحركي تراكم عبر سنوات وعقود من الصراع السياسي ضد الاستعمار الكولونيالي وحركات التحرر المابعدكولونيالية، ونتيجة تفاعل الحراك الإسلامي مع أحداث سياسية كبرىٰ، مثل انتهاء الخلافة العثمانية، ونشأة القوميات، وفشل التيارات الشيوعية والاشتراكية، والغزو الأمريكي للعراق، ومؤخرًا الربيع العربي، وغيرها الكثير. شكلت كل تلك المتغيرات وغيرها أيديولوجيا الدولة الإسلامية وخطابها، وتجد صدىٰ تلك المتغيرات في خطابها وتوظفها الدولة في البروباغندا السياسية لها بشكل احترافي. لذا سنعرض ملامح من التاريخ الفكري

لنشأة التيارات الإسلامية وخاصة السلفية الجهادية، عرضًا الغرض منه الوقوف علىٰ تتطور تلك العوامل والعناصر لفهم كيفية عملها داخل ماكينة إنتاج الخطاب الغنية الإنتاج للدولة الإسلامية.

⋆ الجهاد ما قبل الكولونيالية:

يقسم أستاذ التاريخ الإسلامي جون اوبرت فول، حركات التجديد الإسلامية في القرن الثامن عشر إلىٰ مجموعتين كبيرتين:

(١) حركات تنتمي إلىٰ الدول الكبرىٰ الثلاث المركزية في العالم الإسلامي (الإمبراطورية العثمانية، المغولية، الصفوية). أبرزها الحركة الوهابية (١٧٠٣-١٧٩١م)، حين التقىٰ المعلم (ابن عبد الوهاب) مع المحارب (ابن سعود) وتحالفَا، لتأسيس الدولة الوهابية -السعودية الأولىٰ التي استمرت في التوسع في شبه الجزيرة حتىٰ حكمت مكة والمدينة (١٨٠٥-١٨٠٦م)، وكانت الحركة تعارض ما اعتقد قادته أنه عودة إلىٰ الجاهلية. وقد استطاعت تلك الحركات أن تستقي من مخزون التجارب التراثية الإسلامية الواسع. بعضها كان له طابع شرعي أو تطهري، بينما لجأ البعض للصورة المهدوية [أخروية] الكاريزمية.

(٢) حركات خارج تلك المدن الكبرىٰ المركزية في العالم الإسلامي في مناطق مثل: (الصين، غرب أفريقيا، جنوب شرق ووسط آسيا، وغيرها) في سياق آخر وهو امتزاج الدين الإسلامي هناك بالعادات الثقافية لتلك المجتمعات. فكان يغلب أن يقوم أحد «المجددين» بعد القيام بالحج وزيارة مكة بالوقوف علىٰ التباين بين معتقدات وممارسات مجتمعه وما وجده في قلب العالم الإسلامي ومنشأ الإسلام، فيعود داعيًا إلىٰ تجديد هو في حقيقته دعوة لتطهير الإسلام مما طرأ عليه نتيجة دمجه مع ثقافات أخرىٰ. غالبًا ما اصطدمت تلك الدعوات بالحكام في تلك المناطق وبسلطة المشايخ، وأخذت طابعًا جهاديًا.

ويستخلص فول أن في تلك الفترة كانت أغلب حركات التجديد والإصلاح الإسلامية ما تزال تتشكل بعناصر إسلامية بحتة (١٥).

★ **القرن التاسع عشر: الجهاد في مواجهة الكولونيالية**

واجه العالم الإسلامي في تلك الحقبة توسع القوىٰ العسكرية الأوروبية في مناطق عدة. وقد اتخذت العديد من ردود الأفعال تلك في أواخر القرن الثامن عشر صورة الجهاد وكانت تنظمه جماعات تجديد تقليدية تراثية. بينما مع انتصاف القرن، ظهرت حركات بعث وتجديد جديدة تطورت كردود فعل مباشرة علىٰ الهجوم الأوروبي. مصدر قوة تلك الحركات كان يرجع إلىٰ قدرتها الكبيرة علىٰ الحشد بالإضافة إلىٰ قدرتها علىٰ استخدام تكتيكات حرب العصابات (Guerrillawarfare) قبل استخدام ماو تسيدونج لها في الصين (١٥).

★ **أبرز الحركات التي تطورت في تلك الفترة هي:**

- **الحركة المهدية**: لمؤسسها محمد أحمد (١٨٤٤-١٨٨٥م). بدأت حركة المهدي كرفض لتزايد الممارسات غير الإسلامية في المجتمع. عارض المهدي قمع الحكم المصري ودخل مع النظام في صراع مباشر، وسيطر علىٰ الخرطوم ونادىٰ بتطبيق الشريعة واستمر خليفته «خليفة عبد الله»، الذي حكم السودان من (١٨٨٥م) حتىٰ (١٨٩٨م) حين عادت تحت الحكم المصري. وقد ألهمت الحركة المهدية العديد من الحركات المماثلة الأخرىٰ الأصغر حجمًا (١٥).

- **الجامعة الإسلامية (الأمة)**: يؤرخ لما يسمىٰ بفكرة «الجامعة الإسلامية» بعهد السلطان عبد الحميد (١٨٤٢-١٩١٨م)، الذي اتسع فيه الاستعمار الأوروبي وضعف الدولة وتدهورها، مع تنامٍ شديد في العداء بين المسلمين والمستعمر الغربي، وهنا فكّر عبد الحميد في تفعيلِ ما يسمىٰ الجامعة الإسلامية، فنص في دستور الدولة العثمانية (١٨٧٦م) علىٰ أنه خليفة المسلمين، وظل يكرر ذلك في كل خطاباته ومكاتباته،للتوكيد علىٰ سلطته الدينية، والتف حوله مجموعة من المفكرين كحل للخلاص من الاستعمار، وعلىٰ رأسهم جمال الدين الأفغاني.

(المراجع)

★ **القرن العشرين:**

نشأت التيارات الإسلامية كما وضح اسبوزيتو، وريثة لأيديولوجيات ومشاريع

قومية فاشلة في الخمسينيات من القرن الماضي، فكانت عودة الإسلام كأيديولوجية دينية سياسية بديلة لفشل الحركات الأكثر علمانية مثل القومية، الرأسمالية والاشتراكية (١٦).

بالرغم من أن أغلب المسلمين عملوا علىٰ التغيير من خلال النشاط السياسي والاجتماعي في مجتمعاتهم عن طريق المشاركة في الانتخابات والعمل الأهلي، إلَّا أنَّ مجموعة قليلة من المتطرفين - الجماعات الجهادية من مصر إلىٰ إندونيسيا، القاعدة، وجماعات إرهابية أخرىٰ - اعتقدوا أنهم يحملون أمرًا إلهيًا. فكانت حربهم ضد حكام العالم الإسلامي وضد مجتمعاتهم الذين يعتقدون أنهم سلطويون، قمعيون، فاسدون، وغير إسلاميين، كما كانت حربهم أيضًا قائمة ضد الغرب (١٦).

⋆ سيد قطب:

من الصعب التقليل من شأن دور سيد قطب (١٩٠٦ - ١٩٦٦م) في صعود الإسلام السياسي وخاصة أيديولوجيا الإسلام المسلح (١٦).

بعد تجربة قصيرة في الولايات المتحدة، عاد قطب مقتنعًا بانحدار الغرب أخلاقيًّا، فالتحق بعد عودته إلىٰ مصر بجماعة الإخوان، وصار من أبرز مُنظِّريها. سجن قطب أثناء المواجهة بين النظام الناصري وجماعة الإخوان، فصار أكثر راديكالية، واعتقد بكفر النظام المصري. زاد قطب في تطرفه حتىٰ قسم المجتمعات الإسلامية إلىٰ فسطاطين، فسطاط كفر وفسطاط إيمان، حزب الله وحزب الشيطان، لا وسط بينهما. أصبحت رؤية قطب الراديكالية للعالم مصدرًا أيديولوجيًا لمؤسسي الجهاد الإسلامي في مصر وصولًا لابن لادن وانتهاءً بدعوة القاعدة للجهاد العالمي (١٦).

⋆ التيارات السلفية الجهادية:

تشترك التيارات السلفية، في تعاملها مع النصوص المقدسة بطريقة حرفية، وفي رؤيتها لتطبيق الشريعة، وفي تبنيهم للتيار الفقهي والعقدي الحنبلي، التيمي، الوهابي. بالرغم من اتفاقهم فيما سبق إلا أنهم يختلفون في إنزالهم للنصوص علىٰ الواقع وفي تفسيرهم للظروف السياسية والاجتماعية للعالم الإسلامي.

بناءً علىٰ تلك التفسيرات المختلفة قسم نصر التيارات داخل المجتمع السلفي إلىٰ

ثلاثة: التطهرية (purists)، والسياسية (politicos)، والجهادية (jihadis) . . . التيارات الجهادية بالطبع هم من يأخذون موقفًا مسلحًا عنيفًا ويزعمون أن الظروف الحالية تتطلب العنف والثورة من أجل تأسيس الدولة الإسلامية، (١٧) بينما قسمهم جون اسبوزيتو بصورة أبسط إلىٰ حركات متطرفة وحركات العادية (١٦)، وقسمهم الباحثان عمرو بسيوني وأحمد سالم إلىٰ تيارات إصلاح ثقافي وتيارات إصلاح سياسي، وتيارات جهادية.

★ نشأة التيار الجهادي الحديث:

نشأ التيار الجهادي -في صورته الحديثة- أثناء الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفيتي. لقد كان ذلك الصراع بمثابة حاضنة خطرة عرضت السلفيين (وغيرهم) إلىٰ التعاليم الراديكالية المسيسة لجماعة الإخوان المسلمين والجماعات المنبثقة عنها (الجماعة الإسلامية، الجهاد الإسلامي، وغيرهم) داخل سياق من الحروب والمعارك. فبعكس تعرض التيار السياسي للأفكار الإخوانية داخل الجامعات، حصلت التيارات الجهادية علىٰ تدريبها السياسي في ساحات المعارك. كنتيجة لذلك فقد تشربوا بالمفاهيم الحربية للسياسة، وهو ما جلبوه معهم لبلادهم الأم بعد انتهاء الحرب (١٧).

★ الجهاد المعولـم:

ميزت الحرب الأفغانية السوفيتية علامة فارقة في الجهاد، بمفهومه كصراع مسلح حيث صار له بُعد عالمي لم يعرف فيما مضىٰ. لقد اجتذبت تلك الحرب المقدسة المجاهدين من أماكن مختلفة في العالم وحازت علىٰ دعم بلدان إسلامية وغير إسلامية. بعض من حاربوا في أفغانستان، سموا فيما بعد بعرب أفغانستان، انتقلوا من القتال في حروب جهادية أخرىٰ في بلدانهم الأم وفي البوسنة، كوسوفو، ووسط آسيا. أما البعض الآخر فظلوا هناك وتم تدريبهم وتجنيدهم في مدارس الجهاد الجديدة ومعسكراتهم التدريبية، لينضموا بعد ذلك إلىٰ دعوة بن لادن للجهاد العالمي ضد الحكومات الإسلامية والغرب (١٦).

⋆ أسامة بن لادن ونشر الجهاد المعولم:

وفرت فترة عقد من الصراع في أفغانستان (١٩٧٩-١٩٨٩م)، مكانًا للإسلاميين للحشد والتدريب . . . توافد الشباب المسلم من جميع أنحاء العالم إلىٰ أفغانستان للاشتراك كمتطوعين في الجهاد ضد المحتل. أغلبهم أتوا من الشرق الأوسط. بعضهم جاء من السعودية وكان من بينهم **أسامة بن لادن** (١٩٨٠م). فقد حفزته شرائط الجهادي الفلسطيني **عبد الله عزام**، أحد تلاميذ **سيد قطب**. جعلت ثروات عائلة بن لادن الطائلة منه شخصية مرموقة في أوساط الجهاديين. وقد مول الجهاد ضد السوفيت بسخاء (١٨).

عول بن لادن علىٰ حالة السخط والقضايا التي تهم الكثير من الشباب في العالم الإسلامي. بنقده الحاد للسياسة الخارجية الأمريكية، ورفضه للتواجد العسكري الأمريكي وتغولها الاقتصادي في السعودية والخليج؛ وهو ما نعته بالغزو الصهيوصليبي؛ الدعم الأمريكي لإسرائيل؛ العقوبات علىٰ صدام والعراق والتي أدت إلىٰ مقتل مئات الآلاف من المدنيين؛ السعودية؛ وغيرها من الحكومات الكفرية. وأضاف لما سبق قضايا شعبوية مثل البوسنة، كوسوفو، الشيشيان، وكشمير. (١٦) فأعلن عام (١٩٩٦م) «الحرب علىٰ الولايات المتحدة الأمريكية»، ثم أسس بالتحالف مع جماعات جهادية أخرىٰ «الجبهة العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين»، واستمر في تنفيذ هجمات ضد أهداف أمريكية في المنطقة.

تعد هجمات (الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م) علامة فاصلة في تاريخ الإسلام السياسي والإرهاب العالمي، وعلامة واضحة علىٰ تعاظم الخطر الذي يمثله بن لادن والقاعدة وعولمة الجهاد (١٦)، فقد أصبح بن لادن بعدها هو الأب الروحي للإرهاب العالمي، وممول العديد من الجماعات. التي تود بالانتقام من أعضاء ما أسماه بالتحالف الصهيوصليبي (١٦).

⋆ الغزو الأمريكي للعراق:

يعتبر الغزو الأمريكي في العراق عام (٢٠٠٣م) المرحلة المحورية الثانية في الأهمية بعد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان. فتبعه تدفق للمقاتلين الأجانب علىٰ

العراق بتشجيع من القاعدة. كان بعض من الأفراد المقاتلين قد تدرب في أفغانستان في معسكرات القاعدة أو في مناطق أخرىٰ مع جماعات مرتبطة بها. مع انتشار موجة التمرد المسلح هناك، انتشرت أيضًا أيديولوجية السلفية الجهادية وعلىٰ رأسها القاعدة، واعتنقت تلك الأيديولوجية جماعات عراقية عديدة كانت حتىٰ ذلك الحين إما علمانية أو إسلامية معتدلة (١٩).

★ صعود الدولة الإسلامية في العراق والشام:

ركز الباحثان حسن حسن ومايكل وايص في كتابهما عن الدولة الإسلامية (٢٠) علىٰ ثلاثة عوامل رئيسة (أو لقطات تاريخية) -كما أسماهم حسن حسن في مناقشة للكتاب- (٢١) أثرت في صعود وقوة الدولة الإسلامية في العراق، إثنان منها قبل ثورات الربيع العربي، والثالث هو الربيع العربي نفسه.

سنركز هنا علىٰ ملمحين فقط منهم:

(١) السوق الرمادية (عزت الدوري):

كرد فعل علىٰ العقوبات الاقتصادية الأمريكية علىٰ العراق عقب حرب الخليج، لجأ صدام حسين إلىٰ السماح بوجود سوق سوداء تكون تحت أعين الحكومة، يمكن اعتبارها (سوقًا رمادية) وأوكل رئاستها إلىٰ عزت الدوري (نائب صدام).

الدوري صوفي نقشبندي، ويذكر الباحثان أن الدوري مستغلًا منصبه كنائب للرئيس، استطاع إمداد النقشبندية بمخزون كبير من السلاح العراقي. وضح أثر هذا السلاح عقب الغزو الأمريكي وتأسيس «جيش رجال الطريقة النقشبندية» أحد أكبر حركات التمرد السنية، وهم من ساعدوا داعش لاحقًا في السيطرة علىٰ الموصل (٢٠).

(٢) الحملة الإيمانية:

سعيًا من صدام لحماية حكمه ضد الأعداء الخارجيين من الأصوليين، مثل دولة الملالي في إيران، وضد الانشقاقيين الداخليين، إلىٰ أسلمة حكمه، بوضع شعار «الله أكبر» علىٰ العلم العراقي، وتطبيق بعض الحدود الشرعية، وتدشين الحملة الإيمانية، بإرسال أعضاء حزب البعث إلىٰ المساجد السلفية، وهو ما أتىٰ بنتيجة عكسية لم يتوقعها صدام. ففي حين اعتقد صدام حسين أنه يرسل أعضاء يتصفون بالولاء

للبعث، يوفرون له مراقبة واختراقًا للمساجد السلفية، ما حدث هو تأثر الكثير منهم بالأفكار السلفية وأصبح ولاؤهم لتلك الأفكار أكبر من ولائهم له (٢٠).

⋆ الغزو الأمريكي للعراق:

داعش تكونت بعد الغزو الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣م). لم تكن داعش. في ذلك الوقت كانت تسمىٰ قاعدة الجهاد في العراق، وكان قائدها، أبو مصعب الزرقاوي، معلن البيعة لابن لادن، بالرغم من الاختلاف بينهما، الذي ظهر منذ اللحظات الأولىٰ، حيث أسس الزرقاوي معسكره التدريبي في هرات بأفغانستان بعيدًا عن معسكرات القاعدة، وكان التحالف بينهما بعد فترة من الاختلافات حول المنهج خاصة الموقف من الشيعة. (٢٠; ٢٢).

بعد مقتل الزرقاوي كادت المنظمة أن تنهار، إلا أنها جددت دماءها داخل السجون في العراق وهناك أعلن زعيمها الحالي، «الخليفة» أبو بكر البغدادي، زعامته للتنظيم. استغلت المجموعة الفوضىٰ التي نتجت عن الثورة ضد نظام بشار الأسد في سوريا عام (٢٠١١م)، وسيطرت علىٰ أراضي في شمال شرق آسيا، وعدلت اسمها إلىٰ داعش (دولة الإسلام في العراق والشام). استمرت المجموعة في العراق في الاستفادة من ضعف الدولة المركزية والاستفادة من الصراع الطائفي في الدولة الذي زادت وتيرته بعد الانسحاب الأمريكي. فبعد الانسحاب الأمريكي، اتبع رئيس الوزراء نوري المالكي سياسة شيعية متطرفة، وهو ما أدىٰ إلىٰ زيادة نفور العرب السنة في البلاد. تضم بين أعضائها بعض قادة العشائر السنية، بعض المتمردين ضد القوات الأمريكية، وبعض الضباط السابقين في الجيش العراقي الذين يسعون إلىٰ السلطة والأمن الذي تمتعوا به أثناء فترة حكم صدام حسين (٢٣).

استغلت الدولة الإسلامية كل الظروف ووظفت ماكينتها الدعائية وأنتجت خطابًا مركبًا استطاعت توظيفه مستغلة وسائل التواصل الاجتماعي والمجتمع الافتراضي الجديد، لتحقق مكسبًا تلو الآخر، حتىٰ أصبحت كما وصفتها لوريتا نابوليوني، (٢٤) دولة قشرية (Shell-State)[١] أو ببساطة تعد دولة غير شرعية (أو شبه دولة) (٢٣) كما وصفها كرونين.

---

(١) أي منظمة تمتلك مقومات الدولة، لكن لا تلقىٰ اعترافًا من المجتمع الدولي. مثل منظمة التحرير الفلسطينية، قبل اعتمادها ممثلًا شرعيًا عن الشعب الفلسطيني في مؤتمر مدريد.

★ تحليل خطاب الدولة الإسلامية:

ذكرنا في السابق كون خطاب الدولة الإسلامية يعد الوريث الأكثر تطرفًا لميراث طويل من الحركات الإسلامية السلفية الجهادية. نوضح الآن الكيفية التي تبلور بها ذلك الموروث الفكري في خطابها وكيف توظفه.

عناصر خطاب الدولة تجمع بين: **المظلومية، الطوباوية، العنف والوحشية، الإسكاتولوجيا المهدوية، رفض الواقع العالمي والمحلي، الدعوة لتطبيق الشريعة والتخلص من البدع، نوستالجيا الخلافة والأمة الإسلامية.** وهي ملامح وضحنا تطورها، في عرضنا المختصر للتاريخ الفكري للحركات الإسلامية. لم تختلف داعش عن غيرها من الحركات الجهادية ولا عن القاعدة في تضمينها لتلك المواضيع في خطابها، لكن الفرق الرئيس هو كيفية توظيفها لتلك العناصر، كيفية نشرها، وقدرتها علىٰ إقناع عدد كبير بقضيتها، وتوصيل رسائلها المختلفة بشكل فعال إلىٰ جمهورها المستهدف.

في ورقة بعنوان «الخلافة الافتراضية» (٢٥)، من منشورات مؤسسات قويليام (Quilliam)، اعتمد الباحث تشارلي وينتر علىٰ نظرية الفيلسوف الفرنسي جاك أولول، في كتابه «البروباغاندا» (٢٦) من أجل تحليل استراتيجية البروباغاندا للدولة الإسلامية.

معتمدًا علىٰ فصل جاك أولول وتقسيمه للبروباجندا، الرسمية وغير الرسمية، إلىٰ خمسة أزواج من الآليات المتقابلة:

السياسي، مقابل الاجتماعي: العنصر السياسي، هو العنصر الرسمي المباشر الذي ينتجه إعلامها الرسمي. في حين أن الجانب الاجتماعي هو نتاج لمؤيديها نتيجة لاختراق وتوظيف طويل المدىٰ. البروباغندا الاجتماعية لطبيعتها لا يمكن أن تكون رأسية، لكن مع ذلك يمكن تسريع عجلتها عن طريق توفير الكثير من المواد الخام، «للمشجعين» من أجل إنتاج مواد مثل الأشعار، الأناشيد، المواد المصورة، ومقاطع الفيديو (٢٧).

التكتيكي في مقابل الاستراتيجي: التكتيكي، قصير المدىٰ، في حالة الدولة

الإسلامية قد يكون دعوة من أجل الهجرة، أو بغرض الترويع، أو التمهيد لعملية عسكرية، أو التعتيم الإعلامي (٢٤) بينما الاستراتيجي، طويل المدىٰ، ويقع تحته أغلب المواد البروباغندية التي تنتجها الدولة الإسلامية، مثل مشاهد للمقاتلين أثناء الصيد، أو حرق السجائر والممنوعات، لعب الأطفال في الشوارع، تفجير قبور الأولياء، وكل ذلك يهدف إلىٰ تدعيم الجانب التنظيمي للدولة (٢٧).

الرأسي في مقابل الأفقي: وهو كما ذكر في السابق الإعلام الرسمي في مقابل الاجتماعي، وتوظف الدولة الإسلامية الاثنين وتدمجهم كي يدعموا بعضًا بوتيرة مستمرة (٢٧).

التحريض في مقابل الدمج: البروباغندا التحريضية تهدف إلىٰ نقل المؤيدين من التأييد السلبي إلىٰ الإيجابي، من حالة رفض الواقع إلىٰ التمرد عليه. بينما بروباغندا الدمج، تشبه الاستراتيجية والاجتماعية في كونها تدريجية طويلة الأجل. تركز البروباغندا التحريضية علىٰ الفعل بينما تركز الدمجية علىٰ تهيئة المؤيدية وتطبيعهم مع مجموع الأفكار التي ستعمل لاحقًا كمبرر لتلك الأفعال حين تنفيذها (٢٧).

العقلاني في مقابل غير العقلاني: تعرض الدولة الإسلامية حقائق ووقائع من أجل إظهار عقلانية وسمو نظامها، ويوتوبياتها المزعومة (٢٧).

★ عناصر الطيف الدعائي:

فيما يلي سنحاول تفكيك الطيف الدعائي للدولة إلىٰ عناصره الأبسط، محللين إياه وفق الخمسة أزواج المتقابلة من الآليات. والتركيز علىٰ كيفية توظيف الدولة لها بشكل ديناميكي متغير حسب الجمهور المستهدف لكل رسالة، فكما ذكر وينتر، يقول جاك اولول، أن البروباغندا ليست طريقة لزرع أفكار جديدة، بل وسيلة لتركيب وبلورة الأفكار. لهذا يسعىٰ من يقوم بالبروباغندا إلىٰ محاوطة الفرد المستهدف والعمل باستمرار علىٰ تدعيم وتطوير أفكار توجد بالفعل في ذهنه (٢٧).

★ خطاب العنف والوحشية:

يعد ذلك الخطاب هو الأبرز في خطاب الدولة الإسلامية، ربما بدرجة تطغىٰ علىٰ جوانب أخرىٰ مهمة من خطابها. وكما تقول نابوليوني فإن الدولة الإسلامية تقدر قيمة

«دعاية العنف» (٢٤)، فمن خلاله تؤكد الدولة علىٰ خطابها الانتصاري، الذي تتميز به عن القاعدة التي كانت تتبنىٰ خطابًا تحريضيًا.

توظف الدولة خطابها العنيف والوحشي، لتوفير حالة من الرضا والانتشاء لدىٰ مؤيديها، فتظهر قدرتها علىٰ الرد بالمثل والدفاع عن المسلمين السنة والتنكيل بأعدائهم الذين طالما أذاقوهم من الظلم، وهنا تجد خطاب العنف والوحشية يقابل بخطاب المظلومية، كما سنرىٰ لاحقًا في تحليل سلسلة إصدارات صليل الصوارم، وفيديوهات العنف الأخرىٰ، ففيديو حرق معاذ الكساسبة علىٰ سبيل المثال، سبقه عرض مشاهد لأثر الدمار الذي سببه القصف الجوي الذي شارك فيه.

كما تستخدمه أيضًا من أجل تحريك الرأي العام العالمي والضغط عليه، مظهرة وعيها كما ذكرت نابوليوني، برواج العنف في الأخبار العالمية (٢٤)، فبنشر خطابها العنيف في الغرب من خلال وسائل إعلامه، تسعىٰ الدولة إلىٰ ترويع الجماهير حتىٰ يضغطوا علىٰ حكوماتهم للتدخل ضد الدولة، وهو هدف تسعىٰ إليه، من أجل إضفاء مزيد من الشرعية لذاتها -فهي إذن تواجه تحالفًا صليبيًا، صهيونيًا، شيعيًا- أو يريدون القضاء علىٰ دولة الخلافة.

كما توظفه أيضًا ضد أعدائها المحليين، مثل الصحوات، والشيعة، والشرطة العراقية، والبعثيين وضد المواطنين في مناطق حكمها، من أجل فرض سيطرتها، ورفع تكلفة التمرد عليها. وهنا يقابل بخطاب رحيم من الدولة بمن يتوبوا علىٰ يديها، فكما تظهر فيديوهات الدولة الإسلامية، عمليات قتل جماعي للصحوات، والجواسيس، وأعضاء حزب البعث، وغيرهم، تركز في دعايتها علىٰ مقابلة ذلك بفيديوهات الاستتابة للمدرسين البعثيين، وأعضاء في الجماعات الجهادية الأخرىٰ مثل جبهة النصرة يعلنون مبايعتهم للبغدادي وخطأ مسارهم السابق، ويقابل التائبون من الدولة بالترحيب الفوري.

لذا؛ فالدولة تستخدم خطاب العنف لأهداف استراتيجية، طويلة الأمد مثل بناء الدولة وتثبيت حكمها وتحريك الفاعلين الغربيين؛ ولأهداف تكتيكية مثل ترويع الأعداء قبل شن حملة عسكرية، أو تشجيع الجواسيس والصحوات علىٰ التوبة إليهم.

★ خطاب المظلومية:

خطاب المظلومية هو خطاب رئيس عند الجماعات الإسلامية بمختلف أطيافها. فالغرب عند الجماعات الإسلامية هو السبب في الحالة التي وصل إليها المسلمون من فرقة وضعف وتخلف، عن طريق تقسيمه الاستعماري للأمة الإسلامية وتفتيت الخلافة، ودعمه للحكام الديكتاتوريين الموالين له، وعن طريق سياسته الخارجية سواء الاستعمارية في السابق، أو الداعمة لإسرائيل، ومؤخرًا مناهضة لحكم الإسلاميين بعد ثورات الربيع العربي.

بالرغم من تعويل داعش علىٰ خطاب انتصاري عنيف في المقام الأول، إلا أنها تستخدم كبقية التيارات الإسلامية، حالة الضحية. فتسعىٰ الدولة الإسلامية بتصوير العالم كله في عدو للمسلمين السنة، ليس فقط من خلال الخطاب الدعائي، لكن بالعمل علىٰ الأرض أيضًا من خلال استفزاز الشيعة ورفع حالة الاستقطاب السني الشيعي في مختلف المناطق، سواء داخل العراق بتفجير الأماكن الشيعية المقدسة، أو بالاعتداء علىٰ مساجد الشيعة مؤخرًا في كل من السعودية والكويت، واستفزاز الدول الغربية علىٰ التدخل في الحرب ضدها كما وضحنا من قبل.

خطاب المظلومية يعتبر موجهًا في المقام الأول إلىٰ عموم المسلمين السنة، لتوفير شرعية لأفعال الدولة التي قد يستبشعها البعض ولا يستوعبها، وأيضًا إلىٰ إشعارهم بأن الدولة الإسلامية هي الفاعل الوحيد لمصلحتهم في وسط تلك المؤامرة المحيطة بهم.

يوظف خطاب المظلومية في بروباغندا الدولة الإسلامية في مقابل خطاب العنف، فيمنح العنف غطاءً شرعيًا ومبررًا، بينما يمنحه العنف صيغة انتصارية تروج بها الدولة لنفسها، كهدف استراتيجي لتحريك المقاتلين الأجانب للهجرة إليها.

ويستخدم ذلك الخطاب بشكل رأسي من الإعلام الرسمي للدولة في إصداراتها المصورة، وفي أعداد مجلة دابق، وغيرها، وبشكل أفقي أيضا، حيث يستخدمه المؤيدون، في تبرير أفعال الدولة وفي الترويج لقضيتها، أثناء نقاشاتهم مع المخالفين والمعترضين سواء علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي أو في الحياة اليومية.

الخطاب الإسكاتولوجي المهدوي:

(لا تقوم الساعة حتىٰ ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، . . . الحديث) رواه الإمام مسلم رحمه الله.

يعد الخطاب المهدوي الأخروي الذي تتبناه الدولة الإسلامية، أحد المكونات الرئيسة لخطاب الدولة الإسلامية، فكثيرًا ما تجد صداه في خطابات أبو مصعب الزرقاوي، حتىٰ أن جميع مجلة دابق، تبدأ بذلك الاقتباس عنه «لقد أشعلت الشرارة هنا في العراق، وحرّها سوف يتصاعد بإذن الله حتىٰ تحرق الجيوش الصليبية في دابق»، واختيار اسم دابق نفسه يعتبر توظيفًا للخطاب، فدابق هي أرض الملاحم كما ورد في الحديث.

هذا الخطاب المهدوي يحمل صيغة انتصارية مدعمة لاهوتيًا، بأحاديث ونبوءات، عن أرض الشام وعن عودة الخلافة قبل ظهور المهدي، وهو مستمد من الحركات الجهادية المهدية السابق ذكرها.

فهذا الخطاب غير العقلاني، المروج لانتصار بوعد إلهي مفترض، يقابل بخطاب انتصاري عقلاني في أرض المعارك، إظهار معسكراتها التدريبية، وعروضها العسكرية، وأسلحتها، وعملياتها العسكرية والاستشهادية، من خلال الصور والفيديوهات. ومن خلال وكالة أعماق الإخبارية، ترسل تغطية حية لمعاركها. كما تركز علىٰ عمليات جمع الغنائم، مظهرة تفوقها وقوتها العسكرية، موظفة كل ذلك في ترسيخ سرديتها، في بناء دولة طوباوية حقيقية (٢٧).

⋆ الطوباوية:

ترىٰ نابوليوني، أن عنصر الجذب الأهم للدولة الإسلامية، يقع في قدرتها علىٰ إقناع الشباب الغربي المؤهل بالانضمام إلىٰ تلك اليوتوبيا والاعتقاد بأن داعش قادرة علىٰ ترسيخها، كما فعلت العصابات الصهيونية وحققت حلم اليهود في دولة حديثة مبنية علىٰ حلمهم القديم (٢٤)، ويتفق معها ستيرنوبيرج، في أن داعش في معرض جوابها علىٰ سؤال، لماذا أنضم لداعش؟ أصبحت تركز -خاصة بعد منتصف (٢٠١٤م)- علىٰ الترويج لمبادئ الأندماج والانتماء، ومنقطية يوتوبيتها غير العقلانية.

(٢٨) فخطاب اليوتوبيا إذن موجَّه في المقام الأول بحسب هؤلاء الباحثين إلىٰ المجندين المحتملين في الخارج. لكنه موجَّه أيضًا بنفس الدرجة إلىٰ عموم المسلمين السنة خاصة من التيارات الإسلامية المختلفة التي طالما حلمت بدولة الخلافة وبالحنين إليها، وكأنها تقول لهم طريقتكم في الوصول للخلافة لم تؤت ثمارها فانضموا إلينا والحقوا بركب الخلافة.

يعد خطاب اليوتوبيا، هو المصب لكل الخطابات الأخرىٰ، فكل شيء من أجل الخلافة، كل العنف والقتل والوحشية، كل التضحيات والعمليات الاستشهادية، كل المعارك. في اليوتوبيا تنتهي المظلومية، فليس هناك إلا انتصار؛ وتنتهي الفرقة والطائفية، فليس فيها إلا إخوة مسلمون سنة علىٰ المنهج نفسه، يعيشون في سعادة ورفاهية، كما تصورهم. هي نهاية التاريخ بالنسبة إليهم، لذا يصبح كل شيء في سبيلها مباحًا وكل تضحية في سبيل الوصول لها متناهية الصغر.

كنموذج لخطاب الدولة الإسلامية، سنأخذ ببعض التفصيل، أعداد دوريات النبأ، ودابق، وإصدارات صليل الصوارم الأربعة، نوضح من خلالهم ما سبق شرحه من آليات الخطاب والدعاية.



حصاد عمليات
الدولة الإسلامية
330
22
18
22
20
6
887
4500 أربعة آلاف وخمسمائة
عملية عسكرية موثقة



7681
إجمالي العمليات
العسكرية الموثقة
حصاد عمليات
الدولة الإسلامية

النبأ بحسب وصفها في أعلىٰ صفحة الغلاف هي نشرة دورية تعني بالعمليات العسكرية للدولة الإسلامية في العراق والشام. وبها حصاد سنوي للعمليات العسكرية حسب التاريخ الهجري. العدد لسنة (١٤٣٣ هـ) هجريًا خرج في (١٩٨ صفحة)، أما العدد لسنة (١٤٣٤ هجريًا) فخرج في (٤١٠ صفحة). يبدأ كل عدد بإنفوجرافيك توضيحي يجمع بين الصورة والبيانات بأسلوب مبسط يعطي تصورًا عامًا لحجم القوة العسكرية للدولة الإسلامية.

تهدف الدورية إلىٰ رواية قصة داعش عن طريق الأرقام كما تقول نابوليوني، وللتأكيد علىٰ القدرة التبشيرية لقوة العنف بأيدي الجيش المنتصر (٢٢)، وتعمل أيضًا، كما يقول بيلجر الباحث في معهد دراسات الحرب، علىٰ تنظيم عمليات رفع تقارير مركزية، وإظهار قدرتها علىٰ ذلك، وعلىٰ نشر نتائج أدائها من أجل الوصول إلىٰ أهداف تنظيمية. يحتمل أن يكون من بين تلك الأهداف التنظيمية جذب المتبرعين المحتملين لداعش وإظهار نفسها كتنظيم منظم للغاية قادر علىٰ ما هو أكبر من مجرد الهجمات العشوائية (٢٩)، ويدعم ذلك الرأي ويضيف عليه ريتشارد باريت، مدير معهد صوفان للدراسات الاستخباراتية فيقول: نشرت تلك التقارير بالطبع من أجل الترويج للتمدد وللقدرة، أيضًا من أجل الحفاظ علىٰ المعنويات مرتفعة، جذب المتبرعين، إبهار المجندين الجدد المحتملين، لكنها أيضًا تقدم صورة ذات دقة معقولة عما أمكن للمجموعة تحقيقه في الفترة التي تغطيها التقارير (٣٠)، وقد توافقت نتائج تقارير داعش بدقة مبهرة مع التقارير التي أعدها مركز محاربة الإرهاب في ويستبوينت[١] (٣٠).

★ بعض ملامح التقرير وما تحمله من رسائل:

- عمليات بسيارات مفخخة (استشهادية - ومركونة):

أولًا يلاحظ التفريق بين النوعين، التفرقة هنا تركز علىٰ استفادة داعش الكبيرة من المقاتلين الأجانب، حيث إن أغلب الاستشهاديين من الأجانب(٢٩)، ونلاحظ أيضًا

(١) https://www.ctc.usma.edu/posts/the-islamic-state-in-iraq-and-the-levant-more-than-just-a-june-surprise.

الفارق الكبير في العدد بين التقرير الأول (٢٢ استشهاديًا) والثاني (٧٨ استشهاديًا)، وهو يوضح تزايد تدفق المقاتلين الأجانب ويعطي أيضًا انطباعًا بالتمدد والتوسع.

- نجد أيضًا اهتمامًا بتعديد عمليات تحرير السجناء، السيطرة علىٰ مدن، الانتشار والاستعراض ونصب نقاط التفتيش، وهي جميعها تصنيفات تؤكد علىٰ رغبة وقدرة داعش في السيطرة علىٰ الأراضي في العراق(٢٩).

- نجد أيضًا ذكرًا لاستتابة المرتدين، وهو موجه ضد الصحوات وغيرهم ممن يحارب داعش مثل الشرطة العراقية.

- أيضًا وضحوا إجلاءهم لمئات الروافض والمحاربين، وهو تصنيف يوضح رغبة داعش في التطهير الطائفي للمناطق تحت سيطرتها.

- في التقرير الأول لسنة (١٤٣٣ هـ)، نجد ٩ تصنيفات، ٨ لأنواع عمليات وهجمات قتالية، وواحدًا لتحرير السجناء. بينما في التقرير الثاني لسنة (١٤٣٤هـ)، نجد ١٤ تصنيفًا، ٩ منهم لأنواع عمليات قتالية، و٥ تصنيفات تركز علىٰ سيطرة داعش علىٰ الأراضي وتحكمها فيها.

- **يلاحظ أيضًا زيادة أعداد كل العمليات القتالية.**

إذن فالخطاب الموجه هنا خطاب رسمي، غير موجه للأتباع والمؤيدين العاديين، بل بشكل رئيس يعتبر موجهًا إلىٰ المتبرعين المحتملين، ثم إلىٰ المجندين المحتملين في الخارج، وأيضًا إلىٰ وسائل الإعلام، فأسلوب داعش في البروباغندا كما ذكرنا من قبل، يعتمد علىٰ توجيه وسائل الإعلام، بتوفير المواد الخام التي تريدها، فتشارك داعش في صناعة صورتها في الإعلام وتوجهها. من أجل تحقيق أغراضها الاستراتيجية. ويحمل الخطاب الموجه هنا عدة عناصر موظفة بشكل مركب، فالعمليات القتالية والعسكرية والمفخخات، هي العنصر العنيف في خطابها؛ بينما تطهير البلدات من الروافض والمرتدين، والسيطرة علىٰ أراضي جديدة وتحرير السجناء، واستتابة المرتدين، والانتشار ونقاط التفتيش هم مزيج العنصر الطوباوي لبناء الدولة والعنصر الرحيم.

★ **دابـق:**

يقول ريتشارد باريت عن مجلة دابق، إنها مخرجة بشكل جيد مدعمة بكثير من الصور التوضيحية، وبمزيج من المشاهد الهادئة والعنيفة. هي مصممة من أجل جذب المجندين، وتحتوي علىٰ تفاسير مطولة للنصوص الإسلامية من أجل تبرير أفعالها، ومن أجل التشجيع بشتىٰ الصور علىٰ الهجرة إلىٰ الدولة الإسلامية. لا تخجل الدولة في إبراز أسوأ تجاوزاتها، مثل إعدام الرهائن، القتل الجماعي للسجناء واسترقاق النساء، وتظهر صورًا عنيفة لأموات أو أشخاص علىٰ وشك الموت. هي ليست دفاعية بل ممجدة لأفعالها، وتفسر كل الأمور السيئة علىٰ أنها أخطاء للآخرين (٣٠)، وهي، كما يرىٰ الباحثان حسن حسن ومايكل وايص، تعول علىٰ الخطاب الانتصاري. ففي كل أعداد مجلة دابق تجد ذلك الاقتباس «لقد أشعلت الشرارة هنا في العراق، وحرّها سوف يتصاعد بإذن الله حتىٰ تحرق الجيوش الصليبية في دابق»، ودابق هي قرية في حلب الحالية، لداعش بها وجود عسكري متصاعد. كما تذكر المجلة في عددها الافتتاحي «لقد ورد هذا المكان في الحديث، في معرض وصف بعض الملاحم (والملاحم غالبًا ما يشار إليها في الإنجليزية بعبارة هرمجدون). إحدىٰ أعظم المعارك بين المسلمين والصليبيين سوف تكون قرب دابق»(٢٠)، فهي توظف خطابًا انتصاريا ومهدويًا كملمح رئيس لخطابها، يظهر في اختيار اسم المجلة (دابق) وفي الاقتباس الذي تستفتح به كل أعدادها.

من حيث التصميم تماثل دابق مجلة (Inspire) التي كان يصدرها تنظيم القاعدة في بلاد الحرمين . . . لكن تركز هيئة تحريرها علىٰ بنية الدولة وليس علىٰ التحريض والشئون العسكرية (٣١)؛ لذا قال بيتر نيومان (Peter Neumann)، مدير المركز الدولي لدراسات الراديكالية بلندن، «الغرض [من دابق] ليس تحريض الغربيين المتطرفين علىٰ القيام بهجمات، لكن حثهم علىٰ الذهاب إلىٰ سوريا» (٣١).

بالرغم من تنوع المحتوىٰ بشكل كبير داخل كل عدد إلا أنه يمكن ملاحظة موضوع رئيس لكل عدد أو مجموعة من الأعداد، تختلف باختلاف الظروف السياسية والأوضاع العسكرية للدولة الإسلامية.

⋆ الأعداد الأولى وبناء الخلافة

العدد الأول، الثاني، الثالث: (بناء الخلافة):

يبدأ العدد بمقدمة تعريفية بالمجلة، فهي تصدر عن مركز الحياة الإعلامي، وتركز علىٰ خمسة مواضيع رئيسة: التوحيد، المنهج، الهجرة، الجهاد، الجماعة. تعمل عناصر خطاب الدولة الإسلامية في المجلة بوضوح منذ صفحاتها الأولىٰ، حيث تبدأ بمقدمة إسكاتولوجية مصحوبة بصورة لجنود أمريكيين محاطين بنيران وفي منتصف الصورة تجد مكتوبًا «حتىٰ تحرق الجيوش الصليبية في دابق»، ويليها في الصفحة الثانية صورة لأحد جنود الدولة محاطًا بالنيران أيضًا، وهي مشاهد تشبه أفلام الملاحم نهاية العالم في هوليوود. الغض من تلك المقدمة يبدو واضحًا، اقتربت النهاية والمعارك الأخيرة، ليس هناك رفاهية للاختيار، إما الآن أو أبدًا، إما مع المؤمنين أو الصليبيين. هي دعوة مباشرة للانضمام إلىٰ تلك الخلافة الناشئة.

يتبع ذلك مقال يركز علىٰ إعلان البغدادي للخلافة، مع خلفية للتصميم بعدد من الصور لمقاتلين محتفلين، مبتسمين ومبتهجين. هنا عودة لخطاب اليوتوبيا والخطاب الانتصاري. يليه مباشرة تقرير مصور لمبايعة العشائر للبغدادي، وهي عناصر تركز علىٰ عملية بناء دولة حقيقية. فالغرض هنا، نحن لا نتحدث فقط عن الخلافة، لم تعد الخلافة أماني أو خطبًا، ها نحن نقوم بالبناء الحقيقي لها.

انتقلت بعدها المجلة إلىٰ خطاب المظلومية، بتصوير مشاهد عنيفة خاصة لأطفال مصابين وقتلىٰ جراء قصف النظام «النصيري» علىٰ الرقة.

ختم العدد بمقال بعنوان من الهجرة إلىٰ الخلافة، أوضح فيه خطة داعش الخماسية للوصول إلىٰ الخلافة (الهجرة، الجماعة، زلزلة الطاغوت، التمكن ثم الخلافة) وهي كما يرىٰ مايكل رايان، مبنية، من دون ذكر للمصدر، علىٰ أدبيات إدارة التوحش لأبي بكر الناجي وكتابات أبي مصعب السوري (٣٢).

في المجمل نحلظ أن العدد لم يركز علىٰ عكس عادة الدولة الإسلامية علىٰ خطاب العنف والوحشية، لكنه بدلًا عنه ركز علىٰ خطاب الإسكاتولوجيا المهدية واليوتوبيا

والمظلومية، وهي عناصر الخطاب الموظفة من أجل التركيز علىٰ بناء الدولة والدعوة إلىٰ الهجرة إليها.

العدد الثاني: (الطوفان) يركز العدد أيضًا علىٰ الدعوة للهجرة إلىٰ الدولة الإسلامية، فالبغدادي ورفاقه عاكفون علىٰ بناء دولة الخلافة، كما عكف نبي الله نوح عل بناء سفينته دون الالتفات لتثبيط الآخرين، حتىٰ أتم بناء السفينة وفار الطوفان ولم ينج إلا من لحق بها. فالغرض هنا هو إقناع القارئ أنه لا مجال أمامه للاختيار إلا بالانضمام إلىٰ الدولة، أو كما قال أبو عمر الكناني كاتب المقال: إما الدولة وإما الطوفان.

في تقرير مصور آخر يظهر تدمير إحدىٰ الحسينيات في الموصل وهي استمرار للتركيز علىٰ خطاب اليوتوبيا الإسلامية السنية الخالية من البدع والشرك.

ثم مقال عن الهجرة إلىٰ الدولة الإسلامية وأهميتها وربطها بالهجرة في عصر النبوة، مصحوب بصورتين متضادتين لأحد المقاتلين الأجانب يبدو وجهه مشرقًا وفي صحة جيدة، بينما في الأسفل مقاتل أجنبي آخر "شهيد" يبدو علىٰ وجهه السكينة.

يختم العدد بتقرير مصور عن الحكم داخل الدولة، فبدأ بتطبيق الحدود علىٰ بعض الشبيحة، وقتل أحد قادة كتائب بدر، ثم تلاه صور لإفطار جماعي وذبح للأضاحي. وهو استمرار لخطاب اليوتوبيا المتخيلة في عقول الإسلاميين، وتوضيح مصور بشكل عملي لقيام الدولة وقدرتها علىٰ تحقيقها وتنفيذها علىٰ أرض الواقع.

العدد الثالث: (الدعوة إلىٰ الهجرة)

بدأ العدد بمقال بعنوان «الدولة الإسلامية قبل الملحمة» يوضح اقتران تأسيس الدولة الإسلامية بملاحم نهاية الزمان. ثم تلاه بمقال عن وجوب الهجرة إلىٰ الدولة، قبل فوات الآوان.

تلىٰ ذلك تقرير مصور عن معارك الدولة الأخيرة في سوريا والسيطرة علىٰ نينوي، مع صور للأطفال تشير بسبابتها إلىٰ الأعلىٰ، وهو شعار الدولة الإسلامية، ولابتهاج الأهالي واحتفائهم بجنود الدولة. وتقرير مصور لبعض المعارك الأخرىٰ وصور لقتل أحد طياري الأسد.

في هذا العدد مزيج من الخطاب الانتصاري وخطاب اليوتوبيا والخطاب المهدوي، كسابقه من الأعداد.

المرحلة الثانية، مواجهة التحالف والصحوات

العدد الرابع: (الحملة الصليبية الفاشلة) صدر هذا العدد بعد بدأ قصف التحالف الأمريكي لمواقع الدولة الإسلامية. ويعد هذا أول عدد لا يركز علىٰ الهجرة إلىٰ دولة الخلافة كموضوع رئيس، بل ركز علىٰ هجمات التحالف علىٰ الدولة الإسلامية ساخرًا منها متنبئًا لها بالفشل، باستخدام مزيج من النبوات عن طريق تفسيرهم لأحاديث تتحدث عن معارك آخر الزمان ضد الصليبيين -فقد وضعوا في الغلاف صورة مركبة لميدان القديس بطرس في الفاتيكان مرفوعًا في وسطه علم الدولة الإسلامية- ومن الحرب النفسية قياسًا علىٰ «فشل» التحالف «الصليبي» السابق، الذي دشنه جورج بوش، في مواجهة المجاهدين في أفغانستان.

من اللافت أيضًا استمرار بناء العدد علىٰ الطابع المهدوي الأخروي حتىٰ في تبريره لاسترقاق النساء، فقد اعتبر ذلك أيضًا من ضمن تحقق نبوءات آخر الزمان كما وردت في الحديث. ويشير أيضًا كرسالة ضمنية إلىٰ نهاية نساء من سينضمون إلىٰ التحالف الأمريكي، حيث لن يكونوا إلا إماء لدىٰ الدولة الإسلامية، فهو مزيج من الخطاب المهدوي والانتصاري.

المرحلة الثالثة: باقية وتتمدد

العدد الخامس: (باقية وتتمدد) تركز الأعداد من الخامس إلىٰ الثامن علىٰ تمدد الدولة الإسلامية سواء قطريًا بتوسعة حدودها أو خارج قطرها عن طريق تحالفات متعددة مع جماعات جهادية في شمال أفريقيا وغربها، وفي خراسان. تتميز أغلب تلك الجماعات بالسيطرة علىٰ أراضي وبقدرات قتالية وقدرة علىٰ تنفيذ عمليات إرهابية عالية. مع ذلك فهناك أسباب عديدة تحفز تلك الجماعات علىٰ التحالف مع الدولة. يلخص الدكتور بايمن، الخبير في مكافحة الإرهاب، تلك الأسباب في نقاط خمس تحسم قرار الجماعات في التحالف مع الدولة الإسلامية، **أولًا**: فشل الجماعات في تنفيذ أهدافها؛ **ثانيًا**: الدعم المالي الذي يوفره ذلك التحالف؛ **ثالثًا**:

الملاذ الذي توفره الدولة الإسلامية للمجاهدين بالإضافة إلىٰ معسكرات التدريب؛ **رابعًا**: الاستفادة من الخبرات العسكرية للدولة الإسلامية؛ **خامسًا**: الدفاع المشترك عن الجماعات المتحالفة؛ **سادسًا**: الدعاية والترويج الذي يوفره اسم الدولة الإسلامية للجماعات المتحالفة؛ **سابعًا**: الشبكات الاجتماعية الشخصية، حيث إنَّ أغلب أعضاء تلك الجماعات يفتقدون إلىٰ التواصل[1] (١٩).

أما لماذا تسعىٰ الدولة الإسلامية للتحالف مع جماعات أخرىٰ؟ تسعىٰ الدولة الإسلامية للتحالف مع جماعات أخرىٰ لأسباب رئيسة منها، **أولًا**: توسيع مداها وتحقيق ترويجها لذاتها باعتبارها قائدة للجهاد العالمي؛ **ثانيًا**: الاستمرارية، فعند الضغط علىٰ الدولة الإسلامية في حدودها القطرية يمكن لها عن طريق تحالفاتها تنفيذ هجمات خارجية ترفع الضغط عنها وتستنزف قوىٰ المتحالفين ضدها؛ **ثالثًا**: الدعم اللوجيستي: بجانب القدرة علىٰ تنفيذ هجمات، يساهم الحلفاء في تقديم مجندين جدد، ومصادر دعائية وموارد أخرىٰ كثيرة؛ **رابعًا**: المقاتلون أصحاب الخبرة[2] (١٩).

«باقية وتتمدد»:

هو رد علىٰ حملة التحالف الأمريكي ضد الدولة، فهي باقية بالرغم من تلك الهجمات بل وتتمدد أيضًا وهو تشديد علىٰ الخطاب الانتصاري للدولة ممزوج بالوعد الإلهي وبالنبوءات الإسكاتولوجية.

العدد السابع: جدير بالذكر أيضًا أن العدد السابع كان أول عدد يحمل خطابًا دفاعيًا يركز علىٰ المظلومية بشكل رئيس، فقد صدر العدد بعد فيديو حرق معاذ الكساسبة، الطيار الأردني، وهو ما تلاه هجوم حاد علىٰ الدولة الإسلامية من عدد كبير من الجهاديين وحتىٰ من بعض المؤيدين للدولة علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي، وصدرت العديد من فتاوىٰ الإدانة لهذا الفعل في مختلف البلدان، فركز العدد علىٰ

---

(١) كان هذا جواب الدكتور بايمن علىٰ سؤال لماذا تتحالف الجماعات مع القاعدة. ونرىٰ أنها بشكل عام تنطبق علىٰ تحالفات الدولة الإسلامية، لذا استبدلنا كلمة «القاعدة» من جواب الدكتور بايمنب «الدولة الإسلامية».

(٢) الشيء نفسه هنا فعلناه مع إجابة الدكتور بايمن علىٰ سؤال لماذا تتحالف الدولة مع جماعات أخرىٰ، مع تعديل بسيط لتناسب تطبيقها علىٰ الدولة الإسلامية.

توضيح سبب قتل الكساسبة بتلك الطريقة، وتوضيح كون الإسلام دين السيف وليس السلمية التي اعتبروها من البدع.

كما نشروا مقالًا دفاعيًا أيضًا عما صدر في العدد السادس في مقال «القاعدة في وزيرستان» لتوضيح سوء الفهم الذي حدث، حين اعتقد بعض الجهاديين أن المقصود منه اتهام أسامة بن لادن أحد أيقونات الجماعات الجهادية بالإرجاء، فوضحوا كون قصدهم هو حيدة الظواهري عن منهج بن لادن.

العدد التاسع: عودة إلىٰ التركيز علىٰ بناء الخلافة

في هذا العدد عودة مرة أخرىٰ للتركيز علىٰ عملية بناء الخلافة والترويج لها، كما لو كان إشارة إلىٰ امتصاص الدولة لصدمة هجمات التحالف وتطبيعها معه. فكان اهتمام العدد بالرد علىٰ «الشبهات» مع الجماعات الجهادية الأخرىٰ، مثل الجزء الثاني من الرد علىٰ حلفاء القاعدة في الشام، والرد علىٰ الاعتقاد بنظرية المؤامرة بالقول بأن داعش صناعة غربية، واعتبار التسليم بنظرية المؤامرة شركًا.

مقال صفحات من التاريخ، وهو قراءة داعشية لتاريخ تكون الدول القومية العربية، وللمفارقة فهي قراءة تتبنىٰ نظرية المؤامرة حيث تقول بأن سايكس وبيكو قاما بتقسيم الخلافة الإسلامية إلىٰ قوميات صغيرة، متبعين سياسة فرق تسد، بالتعاون مع طواغيت العرب الموالين لهم.

المقال الأبرز، هو تقرير عن الرعاية الصحية في الدولة الإسلامية، مصحوب بتغطية مصورة جذابة ومعبرة عن نظام عصراني احترافي حديث، مدعم بتقارير وأرقام عن مختلف العيادات والعمليات التي أجريت في مستشفيات الدولة، من ضمنها: جراحات عظام وأعصاب ومسالك، وهي أعداد تضاف للدلالة علىٰ احترافية العمل في مستشفيات الدولة.

تحدث المقال عن اختيار أطباء مؤهلين وصيادلة في مختلف التخصصات، وركز علىٰ الإعداد للمستقبل عن طريق فقرة عن إعداد جامعة طبية (College for Medical Studies in Mosul) بنظام دراسي مكون من ستة فصول دراسية علىٰ ثلاث سنوات تشمل الجوانب النظرية والعملية، أعدها أساتذة متخصصون، مع حذف المناهج الثقافية التي أعدها الطواغيت وبعض الجوانب النظرية غير العملية في

الدراسة، اختصارًا لطول المنهج. وتقبل الكلية النساء والرجال.

اختتم المقال بدعوة توضح الغرض الرئيس منه، فذكر قبول (١٠٠ طالب) في الكلية، نصفهم من المهاجرين. كما ذكر أن هيئة التدريس أغلبها من المهاجرين أصحاب الخبرات في المجال الطبي، ووضح وجود عجز في الهيئة مما يستدعي صحوة من المؤيدين للدولة في الخارج من ذوي الكفاءات الطبية للهجرة إلىٰ المساعدة في بناء الدولة.

بمقال «جاريات أم عاهرات» لأم سمية المهاجرة، يعد تركيزًا للمرة الثانية علىٰ قضايا المرأة في عملية بناء الدولة الإسلامية، فمع توفير وضمان حقها في التعليم في مقال "الرعاية الصحية" تتحدث أم سمية كفقيهة عن إحدىٰ قضايا المرأة مستخدمة أدوات فقهية تفسيرية لعدد من الأحاديث والآيات المتعلقة بالحرب والسبي، ومدعمة تفسيرها بعدد من المواقف التاريخية لأفعال الصحابة والتابعين. وتستخلص كنتيجة لتفسيرها، أن الدولة لم تهن النساء السبايا والجواري بل الله هو من أهانهم علىٰ أيدي مقاتلي الدولة، الذين أحيوا شريعة الله بعد أن كانت ميتة لسنوات حبيسة الأدراج والكتب.

العدد العاشر: (ويمكرون ويمكر الله - أو الذئاب المنفردة)

ركز العدد العاشر كموضوع رئيس علىٰ الاحتفال بهجمات مؤيدي الدولة الإسلامية في كل من الكويت وفرنسا وشاطئ تونس، وبمنفذيها معتبرين إياهم من فرسان الخلافة. مع تجديد الدعوة لكل المسلمين «المؤمنين» بتنفيذ هجمات ضد الصليبيين والمرتدين والانضمام إلىٰ «ركب فرسان الخلافة في ديار الصليبيين»، ويعتبر هذا عودة لمنهج مجلة «إنسباير» القاعدية والتي صممت علىٰ طرازها مجلة دابق.

بالرغم من ذلك فقد ركز العدد علىٰ أمور أخرىٰ مثل التوسع في خراسان علىٰ الحدود الأفغانية الباكستانية، بتقديم رد «فتوىٰ» علىٰ سؤال وجهه أحد الجهاديين هناك، حول التضارب بين بيعة الملا عمر والبيعة للبغدادي. وأيضًا بمقال عما أسموه بولاية القوقاز. وأيضًا علىٰ سطيرتهم علىٰ مخيم اليرموك والرمادي، مظهرين استمرار قدرة الدولة علىٰ التوسع القطري وتحقيق الانتصارات علىٰ الأرض.

في مقال آخر يركز علىٰ بنية الدولة، بعنوان «شرع الله أم شرع البشر» يشرح الفرق

بين الدولة الإسلامية و«الصحوات» حيث إنَّ الصحوات لا تطبق الشريعة بينما تطبقها الدولة. يشرح المقال البنية الإدارية لتطبيق الشريعة عن طريق محاكم إسلامية وهيئات شرعية للولايات. ويعرض بشكل عملي موضح بالصور تطبيقهم للشريعة، مثل: دفع النصارىٰ للجزية، تدمير الأصنام «الآثار»، كسر الصلبان، قطع يد السارق، تنفيذ الجلد علىٰ الزناة، دفع الزكاة للفقراء، استتابة المرتدين «البعثيين» من خلال الصورة تسعىٰ دابق لإظهار تطبيق الدولة للشريعة بتلك الطريقة، التي ينظر إليها خارجيًا وعند الكثير من المسلمين أيضًا، علىٰ أنها تطبيق قروسطي للشريعة لا يراعي تطور العصر والاتجاه نحو أنسنة العقوبات بدءًا من القرن التاسع عشر، كما يعترض عليها أيضًا لإهدارها حقوق المواطنة والمساواة التي كفلتها الدولة الحديثة لجميع المواطنين، علىٰ أنه علىٰ العكس من كل تلك الاعتراضات، فصورة قطع اليد لا توجد بها دماء ولا صورة للبتر، بل اليد المقطوعة نظيفة يلفها أحد أفراد الحسبة بقطعة من الشاش الطبي وكأنه أجرىٰ له للتو عملية جراحية، وأيضًا صورة جلد الزاني، مغطىٰ وجهه ومشوش علىٰ الكرباج فلا تم فضح الزاني -بالرغم من علانية العقوبة- ولا يوجد مشهد للتألم. بينما في صورة أخرىٰ يظهر أعضاء الحسبة في زي رسمي موحد وكأنهم هيئة مدنية مكتوب عليه (الدولة الإسلامية - الحسبة)، ويظهر بعض من «أهل الذمة» يدفعون الجزية وكأنهم يقضون إحدىٰ المصالح في أي من الهيئات الحكومية العادية، بينما تظهر صورة أخرىٰ لأحدهم يعمل في ورشة علىٰ إحدىٰ الماكينات ممارسًا حياة طبيعية.

★ تلخيص:

مجلة دابق هي نافذة إعلامية رسمية للدولة الإسلامية، موجهة بشكل رئيس إلىٰ المجندين المحتملين في الخارج، ثم إلىٰ الإعلام والصحافة العالمية. تقدم الدولة الإسلامية من خلالها خطابًا مركبًا يمزج بين الإسكاتولوجيا والطوباوية والانتصارية ويرجع فيها الخطاب العنيف والوحشي خطوة إلىٰ الخلف. فهي ليست تحريضية في الأساس لكنها تسعىٰ لتكوين صورة مثالية عن الدولة بتقديم هوية جديدة نقية تطهرية من خلال إعادة كتابة للتاريخ وتقديم قدوات جديدة، والتركيز علىٰ مفاهيم نقاء التوحيد والأخوة والجماعة، وهي مجموعة عناصر تطرق علىٰ مشاكل الهوية الثانوية والمزدوجة التي يعاني منها أغلب المسلمين في الخارج، حيث يشعرون بازدواجية في

الانتماء بين أمة الإسلام وهويتهم القومية، فهم في مكان ليس مكانهم، فتقدم لهم الدولة ذلك البديل، بكل الصور، وتحفزهم علىٰ الانضمام إليها في أسرع وقت بخطابها المهدوي.

كما تسعىٰ لتوفير المادة الخام للصحافة العالمية، بتوفير التقارير والمفاهيم، والصور والأرقام. وهي حتىٰ الآن ناجحة في ذلك فكم التقارير الصحفية التي اعتمدت علىٰ مجلة دابق أو كتبت عنها يصعب عدها.

★ صليل الصوارم:

سنعتمد في عرض ملامح سلسلة الإصدارات تلك علىٰ تلخيص لوصفها في كتاب الباحثان ستيرن وبيرج القيم عن الدولة الإسلامية.

(**صليل الصوارم ١**): هي سلسلة من الأفلام بدأت المجموعة في إصدارها عام (٢٠١٢م)[١] (٢٨).

فيلم مدته تزيد قليلًا عن الساعة، يعتبر نموذج تقليديًا للبروباغندا التحريضية الجهادية التي بدأت في الألفينات، إلا أن مستوىٰ العنف فيه أعلىٰ قليلًا ... مزج معد الفيلم بين صور ثابتة لبعض منظري الجهاد مصحوبة بأحاديث لهم، وبين مقاطع من وكالات أنباء شرق أوسطية، وعدد من مشاهد حرب العصابات المصورة. أغلب العنف الموجود في الفيلم، كان موجهًا ضد الساسة الشيعة العراقيين، الذين «بحسب وصف الفيلم» يعملون لمصلحة إيران، مع التركيز علىٰ الترويع الذي يعاني منه المسلمين السنة علىٰ أيدي الشيعة في العراق(٢٨).

(**صليل الصوارم ٢**)[٢]: اختلف الإصدار الثاني عن الأول في الجودة والتصوير التي تقارب الإنتاج التلفزيوني. ركز الإصدار الثاني، علىٰ العكس من الأول، علىٰ عملية عسكرية واحدة «الهجوم علىٰ حديثة بالعراق»، بدءًا من التدريب، حتىٰ

---

(١) http://jihadology.net/2012/06/30/al-furqan-media-presents-a-new-video-message-from-the-islamic-state-of-iraq-clanging-of-the-swords-part-1/

(٢) http://jihadology.net/2012/08/16/al-furqan-media-presents-a-new-video-message-from-the-islamic-state-of-iraq-clanging-of-the-swords-part-2%E2%80%B3/.

المعركة، بأسلوب يناظر إخراج السينما الواقعية.

علىٰ عكس البروباغندا القاعدية، التي كانت تنظر للجهاد باعتباره دفاعًا عن النفس في حرب غير متكافئة القوىٰ، لم تهتم الدولة الإسلامية في هذا الإصدار بالتبرير أو التنظير، بل في إبراز قوتها علىٰ أرض المعارك، وقدرتها علىٰ تهديد «العدو القريب» وتنفيذ عقوبات عنيفة لأعداء مستحقين لها. وبالرغم من أن عناصر هذا الإصدار توجد في إصدارات جهادية أخرىٰ، بحسب الباحثين (ستيرن وبيرج) إلا أن الإخراج العالي والنبرة شديدة العنف كان لها أثر بالغ في تمييزه (٢٨).

(صليل الصوارم ٣)[1]: يعد الإصدار الثالث وثائقيًا لتنفيذ حملة «تحطيم الجدران» التي كان البغدادي قد أطلقها سابقًا. بإخراج احترافي أيضًا، وتوظيف أكثر للكاميرات، مع ضعف في ترابط وتسلسل الأحداث.

(صليل الصوارم ٤): أهم إصدارات السلسلة، فبحسب وصف ستيرن وبيرج، فإن الفريق الإعلامي بهذا الإصدار وصل لمرحلة الاحتراف فعليًا.

يبدأ الفيديو بمشهد من الأعلىٰ مصور بطائرة من دون طيار، لمدينة الفلوجة. ثم تبعه باستعراض رهيب للقوة في المناطق تحت سيطرة الدولة الإسلامية، مع عروض عسكرية لجهاديين مقنعي الوجوه، ثم بمطاردة بالسيارة لإحدىٰ السيارات الأخرىٰ بها -بحسب وصف الفيديو- جنود شيعة في طريقهم للالتحاق بالجيش العراقي. ومشاهد لقتل لكثير من المارة غير المسلحين. في خلفية كل ذلك تسمع «صليل الصوارم نشيد الأباة . . . ودرب القتال طريق الحياة»، يتبع ذلك لقاءات عامة تظهر رحمة مقاتلي الدولة الإسلامية بكل من قاتلهم في السابق حين توبته والاعتراف بخطئه. في المرحلة التالية من الفيديو تجد مجموعة من المعارك ضد مقاتلين مسلحين هذه المرة، يتبعها تصوير لعمليات انتحارية. يظهر في الفيديو أيضًا بعض المقاتلين الأجانب وهم يحرقون جوازات سفرهم، للدلالة علىٰ القطيعة مع جنسياتهم السابقة. التضاد بين مشاهد العنف والمشاهد الهادئة، يعطي الانطباع أن داعش لديها ما تقدمه، بجانب عنفها الشديد. ثم اختتم الفيلم، بمشهد لأحد المجاهدين يمشي ببطء، يحمل علم

---

(١) http://jihadology.net/2013/01/11/al-furqan-media-presents-a-new-video-message-from-the-islamic-state-of-iraq-clanging-of-the-swords-part-3/.

داعش الأسود، واختتم الإصدار براوي يشير إلىٰ نبوءة أخروية (٢٨).

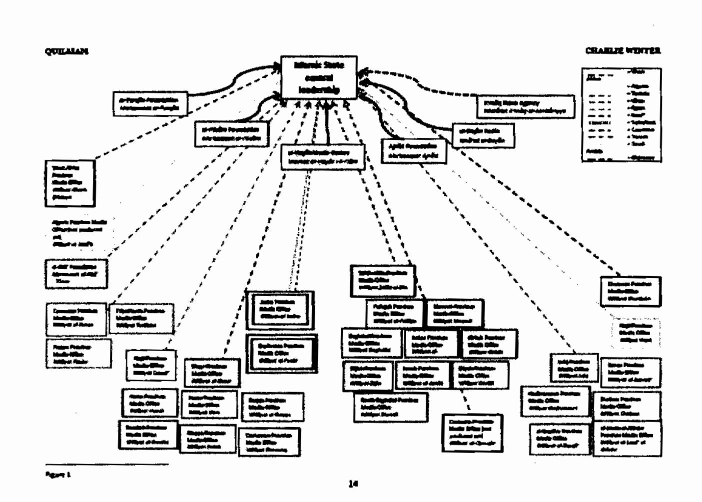
★ تلخيص:

فالسلسلة كما يتضح تحمل خطابًا مركبًا، عنيفًا وحشيًّا في مقامه الأول، وانتصارًا بدرجة كبيرة معتمدًا علىٰ الإبهار، وموجهًا بشكل مركب إلىٰ المؤيدين الفاعلين في الدولة، والمؤيدين السلبيين، لخلق حالة من الانتشاء والرضا، ثم إلىٰ الرأي العام العالمي من أجل الترهيب والترويع والضغط علىٰ الحكومات للتدخل ضد الدولة، واستنزاف تلك الحكومات برفع تكلفة مكافحة الإرهاب، بينما يوجه أيضًا إلىٰ الأعداء الواقعيين والمحتملين، لرفع تكلفة الهجوم ضدهم وخفض معنوياتهم، ولإرعاب الجواسيس والنشطاء ضد الدولة.

بينما نجد ملمحًا آخر وهو الملمح الأخروي وهو كما ذكرنا مرارًا يهدف للتجنيد وتحريك المؤيدين من الحالة السلبية إلىٰ الإيجابية، كما يهدف إلىٰ توفير التبرير الشرعي والحتمي لمشاهد الفيديو المروعة.

★ الماكينة الإعلامية للدولة الإسلامية

تمتلك الدولة الإسلامية ترسانة إعلامية غير مسبوقة، جمعها تشارلي وينتر في ذلك الرسم التوضيحي:



تنقسم تلك الترسانة بدورها إلىٰ مؤسسات مركزية = تابعة للدولة المركزية (الفرقان، الحياة، الاعتصام، أجناد، راديو البيان، وكالة أعماق الإعلامية) بالإضافة إلىٰ ٣٥ مؤسسة إعلامية للولايات، في كل من: (غرب إفريقيا ١، الجزائر ١، تونس ١، ليبيا ٣، مصر ١، العراق ٩، سوريا ١٠، القوقاز ١، اليمن ٦، السعودية ١، خراسان ١) (٢٦).

للدولة الإسلامية تاريخ في استخدام الإنترنت في التواصل والدعاية، ففي العصر السابق كانت مختلف الجماعات الجهادية تستخدم المنتديات المغلقة والمفتوحة، للتواصل والترويج والتجنيد. إلا أن تلك الوسيلة رغم نجاحها النسبي في السابق، لا ترتقي للمقارنة مع وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، مثل فيس بوك، تويتر، إنستاجرام، ويوتيوب.

ولها أيضًا موروث أدبي نجد صداه في الكتاب المحوري في استراتيجيات الدولة الإسلامية، «إدارة التوحش» لأبي بكر الناجي، المنشور علىٰ الإنترنت، في حديثه عن «وهم القوة» وعن «الهالة الإعلامية الكاذبة».

لجأ الزرقاوي للجهاد علىٰ الشبكة قبل عصر اليوتيوب والتسريبات المباشرة، حين كان نشر الفيديوهات صعبًا للغاية ويستهلك الكثير من الوقت . . . كانت مجموعة الزرقاوي تعول علىٰ المنتديات الجهادية والأعضاء الموثوق بهم لرفع ونشر الفيديوهات والمنتجات الإعلامية. فمثلًا فيديو عملية قطع رأس الصحفي نيك برج (Nick Berg) استهلك ساعات لرفعه وساعات أخرىٰ لتحميله . . . وبرغم تلك الصعوبات، استمر الزرقاوي في استخدام الإنترنت كنافذة إعلامية رئيسة، وأصبح في غضون عام واحد، الجهادي الأكثر شهرة، بعد أن كان شخصًا مغمورًا (٣٣)، بالرغم من ذلك لم يأخذ الفيديو شهرته بين الجماهير مثل الفيديوهات الحالية، حيث كانت وسيلة عرضه الوحيدة عليهم هي وكالات الأنباء العالمية، وجميعها رفضت عرض الفيديو، بعكس الحال الآن حيث أصبحت تضطر إلىٰ عرض مقاطع من تلك الفيديوهات العنيفة لسباقها وتنافسها مع وسائل التواصل الاجتماعي.

أجرىٰ الباحثان بيرج وستيرن تحليلًا كميًا فريدًا للآلة الإعلامية للدولة الإسلامية علىٰ موقع تويتر الأشهر والأكثر استخدامًا من الدولة الإسلامية، سنعرض هنا بعض أهم ملامحه في نقاط:

- أجريت الدراسة بناء علىٰ تحليل لـ ٢٠ ألف حساب داعشي علىٰ تويتر (٣٤).

- فضل تقريبًا واحد من كل خمسة مؤيدين لداعش استخدام اللغة الإنجليزية في التغريد علىٰ تويتر بينما اختار ثلاثة أرباعهم العربية (٣٤).

- في المتوسط لكل حساب مؤيد لداعش ما يقرب من ١٠٠٠ متابع (٣٤).

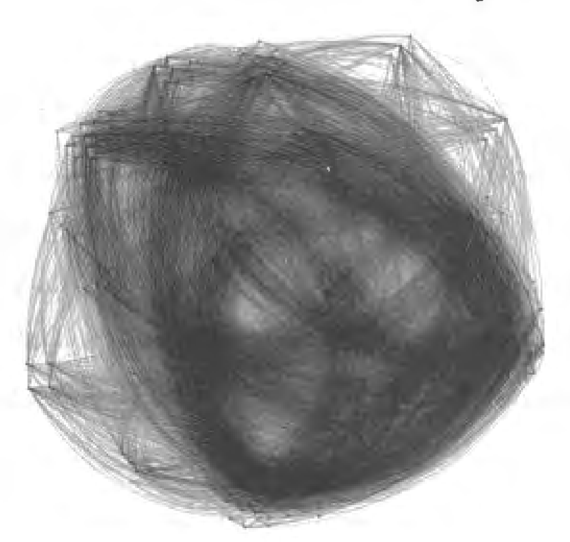
- أغلب نجاحات داعش علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي ترجع إلىٰ قلة من الحسابات الشديدة النشاط، يتراوح عددهم بين ٥٠٠ إلىٰ ٢٠٠٠ (٣٤).

- بحسب أفضل التقريبات فإن تعداد الحسابات الصريحة التأييد لداعش علىٰ تويتر، حوالي ٤٦ ألف حساب (٣٤).

- أقصىٰ عدد محتمل للحسابات المؤيدة هو ٩٠ ألف حساب (٣٤).

- أعلىٰ الأماكن التي تتركز فيها حسابات مؤيدة لداعش علىٰ تويتر هم: «الدولة الإسلامية»، سوريا، العراق، السعودية (٣٤).

- ويضيف مكريستال، الرئيس السابق لقوات المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان، أن داعش تصل إلىٰ ما يقرب من ١٠٠ مليون شخص يوميًا من خلال وسائل التواصل الاجتماعي (٣٥).



إنفوجرافيك للروابط بين أكثر ٥٠٠ حساب داعشي نشاطًا علىٰ تويتر(٣٤).

★ الخلافة الافتراضية:

حللت الدولة الإسلامية الماكينة الدعائية التي وظفتها إدارات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لتبرير هجمتها الوقائية علىٰ العراق عام (٢٠٠٣م). خاصة الكلمة التي ألقاها وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في (٥ فبراير ٢٠٠٣م) في مجلس الأمن، والتي نسب إليها التسبب في صناعة أسطورة أبو مصعب الزرقاوي من أجل تبرير احتلال العراق. وقد استطاعت الدولة الإسلامية بفضل الاستخدام المكثف والاحترافي لوسائل التواصل الاجتماعي تصنيع أساطير مماثلة من أجل الدعاية، التجنيد واستجلاب الأموال من جميع أنحاء العالم الإسلامي (٢٤).

تعلمت الدولة الإسلامية ذلك الدرس الأمريكي جيدًا وقبلت هديتهم تلك بصدر رحب. لذا نجد أن أكبر نجاحات تلك الاستراتيجية في شبكة الغموض المحاكة بدقة حول قائد الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي. ففي هذا العالم المتشبع بالمعلومات، يكون للغموض أيضًا دور محوري في تحفيز الخيال الجمعي. كلما يكون الشيء منعزلًا أكثر، كلما كانت هناك رغبة أكبر في اكتشافه، وكلما كانت المعرفة أقل كلما كان التخيل أكبر. وفر للمتابعين مقاطع قليلة، وهم سيقومون بتخيل الصورة الكاملة كما يحبونها. لقد بنت الدعاية الحديثة صناعات بتريليونات الدولارات بهذا المفهوم البسيط. الآن تستخدم الدولة الإسلامية ذلك المفهوم لتصنيع أسطورة البغدادي والخلافة الجديدة (٢٤)، وبالرغم من كم المعلومات المهولة التي تنتجها الدولة، إلا أنها تبدو مدروسة بعناية لخلق تصور معين عن الدولة الإسلامية، مليء بالإثارة والمعارك الملحمية والانتصارات والغنائم والعزة، في أحيان كثيرة لا يطابق الواقع، ويعتبر ذلك أحد الأسباب الرئيسة لعودة بعض المقاتلين الأجانب إلىٰ بلدانهم الأصلية بعد هجرتهم إلىٰ الدولة، حيث يصدمون بحياة روتينية، أو بحياة جافة غير مثيرة وغير متناسبة مع كم الشحن الذي تلقاه عبر وسائل التواصل الاجتماعي (٣٦).

ربما استخدام القاعدة للإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، بل وإصدارها للفيديوهات المصورة العنيفة والطوباوية، والمجلات والدوريات والبيانات، كل ذلك ليس جديدًا علىٰ الجماعات الجهادية، إلا أن ما يميزها عن غيرها ويعد أحد أبرز أسباب نجاحها، هو الكم المهول لهذا الإنتاج، من خلال شبكتها المركزية الاحترافية

التي تستطيع توفير المواد الرسمية، وتوفير المواد الخام وترك الخيال وحرية الإبداع لعدد ضخم من مؤيديها والمناصرين لقضيتها للإنتاج، وما يوفره ذلك الشعور بالمشاركة في انغماسهم في البروباغندا لدرجة تسيطر عليهم فيصبحون منتجين لها كما هي منتجة لهم. ونتيجة لذلك تصلنا اليوم أعمال الدولة الإسلامية الوحشية في لحظتها علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي ويتم إعادة بثها علىٰ وسائل الإعلام التقليدية حيث إنها في منافسة مستمرة مع فيسبوك، يوتيوب، والمواقع الأخرىٰ. حتىٰ حين يتم محاولة الرقابة، كما حدث مع فيديو قطع رأس جيمس فولي، استطاعت وسائل التواصل الاجتماعي، عن طريق تلك الشبكة، تجاوزها بسهولة (٢٤).

وتوظف الدولة ترسانتها الدعائية تلك لأهدافها التكتيكية والاستراتيجية علىٰ السواء فعلىٰ سبيل المثال، في معركة الرمادي (ربيع ٢٠١٥م)، لم تكن هناك أي مواد متوفرة علىٰ الشبكة في الأسابيع الأولىٰ لهجوم الدولة عليها، بل كانت تنشر المواد الخاصة بالهجوم علىٰ مصفىٰ بيجي بشكل مكثف، لتوجيه الانتباه إلىٰ المكان الخاطئ. حتىٰ حين أعلن في (مايو ٢٠١٥م) عن الهجمة الأخيرة علىٰ الأنبار، كان ذلك مفاجئًا حتىٰ للكثير من المشتركين في الدعاية للدولة بشكل مباشر (٢٧).

★ تلخيص:

توظف الدولة الإسلامية، المعروفة بداعش، وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة تويتر، لإيصال رسائلها ودعايتها إلىٰ العالم ومن أجل جذب مزيد من الأشخاص القابلين للردكلة (٣٤).

كما أنها استطاعت أيضًا عن طريق العدد الكبير لمؤيديها وتكتيكاتها المنظمة للغاية، أن تحدث تأثيرًا قويًا علىٰ نظرة العالم لها، عن طريق نشر العنف الصوري (بما فيه قطع رؤوس صحفيين غربيين وعمال إغاثة وأيضًا مشهد حرق الطيار الأردني)، في الوقت ذاته كانت تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي لتعيين أعضاء جدد وإلهام هجمات الذئاب المنفردة (٣٤).

وتستطيع من خلال ماكينتها الدعائية علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي، خلق نبوءة يعتقدون أنها ذاتية التحقق، فكما صنعت الولايات المتحدة أسطورة الزرقاوي، من

أجل تبرير غزوها للعراق، وكما تعلموا هم صناعة أسطورة البغدادي، يصنعون أسطورة الخلافة، عن طريق صورة افتراضية لها يقدمونها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تسمح بمساحة للخيال، يخلق فيها كل مؤيد خلافته المتخلية كما يفضلها، ويدمجون مع ذلك الخطاب غير العقلاني، خطابًا عقلانيًا، مدعمًا بالأرقام والصور والإنجازات، معتقدين بأن يؤدي التأثير المتبادل بين ما يحققونه علىٰ أرض الواقع وبين ما يروجونه في العالم الافتراضي، إلىٰ ما أسمته لوريتا نابوليوني بإحياء عنقاء الخلافة، من رماد الواقع الإسلامي المدمر.

ثبت المراجع

(1) Cole Bunzel, W. M. (2015). From Paper State to Caliphate: The Ideology of the Islamic State. Center for Middle East Polict at Brookings.

(2) Wood, G. (2015, March). What ISIS Really Wants. The Atlantic. from:

http://www.theatlantic.com/features/archive/2015/02/what-isis-really-wants/384980/

(3) Tran, M. (2014, 11/ June/ 2015). Who are Isis? A terror group too extreme even for al-Qaida. the Guardian. from:

http://www.theguardian.com/world/2014/jun/11/isis-too-extreme-al-qaida-terror-jihadi

(٤) ما هو تنظيم الدولة الإسلامية؟ (٢٠١٤، ٠٥/٠٩/٢٠١٤م).

from: http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/201 4/09/ 140905_what_is_islamic_st ate.shtml?ocid=socialflow_fac ebook

(5) Hasan, M. (2015, May). How Islamic is Islamic State? New Statesman. from:

http://www.newstatesman.com/world-affairs/2015/03/mehdi-hasan-how-islamic-islamic-state

(6) Aisch, J. B., C.?J. Chivers, Alicia Parlapiano, Sergio PeÓanha, Archie Tse, Derek Watkins and Karen Yourish. (2014). How ISIS Works. The New York Times. from: http://www.nytimes.com/interactive/2014/09/16/world/middleeast/how-isis-works.html

(٧) أنوزلا، ع. (٢٠١٤م). هل مهدت «الوهابية» الطريق لصعود فكر «داعش» التكفيري؟ قنطرة.

from: http://ar.qantara.de/content/lbhth-n-jdhwr-fkr-dsh-fy-ltrykh-lslmy-hl-mhdt-lwhby-ltryq-lswd-fkr-dsh-ltkfyry

(٨) الهجلة، م. ب. ت (٢٠١٤، ٢٧/ ٠٩/ ٢٠١٤م). داعش نبتة كاثوليكية! التقرير.

from: http://altagreer.com/%D9%85%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%86%D8%A8%D8%AA%D8%A9-%D9%83%D8%A7%D8%AB%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%83/

(٩) يسين، أ. (٢٠١٤، ٠٧/ ٠٩/ ٢٠١٤). «داعش» بين فشل التحديث وإخفاق الحداثة! المركز العربي للبحوث والدراسات.

from: http://www.acrseg.org/11178

(١٠) ماكدونالد، ك. (٢٠١٥م). داعش والثورة الفرنسية: هل تنتمي داعش إلىٰ الإسلام أم إلىٰ الحداثة؟

from: http://www.masralarabia.com/%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85/514897-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85

(11) Jessica Stern, J. B. (2015, 09/03/2015). Thugs wanted - bring your

own boots: how Isis attracts foreign fighters to its twisted utopia. the Guardian. from:
http://www.theguardian.com/world/2015/mar/09/how-isis-attracts-foreign-fighters-the-state-of-terror-book

(12) JESSICA STERN, J. M. B. (08/03/2015). ISIS and the Foreign-Fighter Phenomenon. The Atlantic. from:
http://www.theatlantic.com/international/archive/2015/03/isis-and-the-foreign-fighter-problem/387166/

(13) Trianni, F. (2015, 05/09/2014). Why Westerners Are Fighting for ISIS. Time. from:
http://time.com/3270896/isis-iraq-syria-western-fighters/; Why Are Foreign Fighters Joining ISIS? (2014, 08/2014). Defence One. from: http://www.defenseone.com/threats/2015/03/why-are-foreign-fighters-joining-isis/106962/?oref=d-topstory

(14) Mills, S. (2004). Discourse. London; New York: Routledge.

(15) Voll, J. O. (1999). Foundation for Revival and Reform. In J. L. Esposito (Ed.), Oxford History of Islam (pp. xii, 749 p.). New York, N.Y.: Oxford University Press.

(16) Esposito, J. L. (2006). Terrorism & the Rise of Political Islam. In L. Richardson (Ed.), The Roots of Terrorism (Vol. 1): Francis & Taylor.

(17) Nasr, S. V. R. (1999). European Colonialism and the Emergence of Modern Muslim State. In J. L. Esposito (Ed.), Oxford History of Islam (pp. xii, 749 p.). New York, N.Y.: Oxford University Press.

(18) National Commission on Terrorist Attacks upon the United States. (2004). The 9/11 Commission report: The Foundation of New Terrorism (1st ed.). New York: Norton.

(19) Byman, D. L. (2-12). Breaking the Bonds between AL-Qa'ida and Its Affiliate Organizations: The Saban Center for Middle East Policy.

(20) Weiss, M., & Hassan, H. Isis: inside the army of terror (First Regan Arts paperback edition. ed.).

(21) Book Discussion on ISIS. (2015). In W. W. I. C. f. Scholars (Producer). http://www.c-span.org.

(22) Napoleoni, L. (2005). Insurgent Iraq: Al Zarqawi and the new generation (1st North American ed.). New York: Seven Stories Press.

(23) Cronin, A. K. (2015). ISIS Is Not a Terrorist Group: Why Counterterrorism Won't Stop the Latest Jihadist Threat. Foreign Affairs (March/April).

(24) Napoleoni, L. The Islamist phoenix: The Islamic State and the redrawing of the Middle East.

(25) Roula Khalaf, S. J. (2014). Selling terror: how Isis details its brutality, Financial Times. Retrieved from:

http://www.ft.com/intl/cms/s/2/69e70954-f639-11e3-a038-00144fe-abdc0.html#axzz3hJPQh4SI

(26) Ellul, J. (1973). Propaganda: the formation of men's attitudes (K. K. a. J. Lerner, Trans.). New York,: Vintage Books.

(27) Winter, C.)2015). The Virtual 'Caliphate'¤ Understanding Islamic State's Propaganda StrategyÛ Quilliam Foundation.

(28) Stern, J., & Berger, J. M. ISIS: the state of terror (First edition. ed.).

(29) Bilger, A. (2014). ISIS Annual Reports Reveal a Metrics-Driven Military Command. Institute for The Study of War.

(30) BARRETT, R. (2014). THE ISLAMIC STATE The Soufan Group.

(31) Mojon, J. M. (2014, 10/07/2014). Dabiq: the smiling face of Iraq-Syria 'caliphate', AFP. Retrieved from http://news.yahoo.com/dabiq-smiling-face-iraq-syria-caliphate-081415767.html

(32) Ryan, M. W. S. (2014). Hot Issue: Dabiq: What Islamic State's New Magazine Tells Us about Their Strategic Direction, Recruitment Patterns and Guerrilla Doctrine, The Jamestwon Foundation. Retrieved from:

http://www.jamestown.org/pro grams/tm/single/?tx_ttnews% ç Btt_news%5D=42702&cHash=0 efbd71af77fb92c064b9403dc8ea838%22%20%5Cl%20%220U- JY7FYkhZg#.VboUefmqqkp

(33) Katz, R. (2014, 26/6/2014). Follow ISIS on Twitter: A Special Report on the Use of Social Media by Jihadists. Retrieved from:

https://news.siteintelgroup.com/blog/index.php/entry/192-follow-isis-o-n-twitter

(34) J.M. Berger, J. M. (2015). The ISIS Twitter Census - Defining and describing the population of ISIS supporters on Twitter. The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World (20).

(35) Bruzgulis, A. (2015). Stanley McChrystal: ISIS reaches 100 million people a day through social media campaign, Pundict FactÛ Retrieved from:

http://www.politifact.com/punditfact/statements/2015/jun/25/stanley-mcchrystal/stanley-mcchrystal-isis-reaches-100-million-people/

(36) BARRETT, R. (2014). FOREIGN FIGHTERS IN SYRIA.



مُفارقات داعش

أو تشخيص لخيبات أمل سياسية(1)

طـارق عـثـمـان

(١) نشر أولًا: بموقع مركز الجزيرة للدراسات.



ملخص

يُمكن النظر إلىٰ تنظيم داعش بوصفه كتلة من المفارقات، التي تتجلَّىٰ في مستويات عِدَّة، هذه المفارقات هي تعبير بليغ عن خيباتٍ سياسيَّةٍ معممةٍ؛ تجلَّت مفارقة داعش الأولىٰ في سياق ظهورها في قلب الربيع العربي، والتي اعتبرت انطلاقته توقيعًا علىٰ شهادة وفاة أيديولوجيا القاعدة. إنَّ هذه المفارقة الأولىٰ هي تعبير عن خيبة الأمل فيما بشَّرت به هذه الانطلاقة.

تُقدِّم داعش نفسها كجماعة إسلامية تسعىٰ لإحياء مبادئ الإسلام الحقيقية، عبر تحقيق نظام الخلافة الإسلامية، في حين أنَّها -لو حقق أمرها- تتمثَّل جوهر الدولة الحديثة التي تسعىٰ لمحوها، هذه هي مفارقة داعش: إنَّها دولة ضد الدولة. وهي مفارقة تعبر بوضوح عن فشل الدولة القطرية العربية. لقد مثل بزوغ داعش كفاعل من غير الدول إرباكًا معممًا لسياسات الدول الخارجية، دول الإقليم أو الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد اضطرت الولايات المتحدة للانخراط في المنطقة مرة أخرىٰ، ضد استراتيجية أوباما القاضية بالابتعاد ما أمكن عن التدخل العسكري في الشرق الأوسط. بينما تركيا ترفض الانضمام إلىٰ حلف عسكري ضد داعش وليس ضد نظام الأسد، ودول الخليج بالمثل تتلكأ في دعم العمليات ضد داعش؛ نظرًا لكونها لا تخدم هدفها المتمثل في الإطاحة بالأسد. بالنسبة إلىٰ إيران فهي تستغل نفوذها في العراق وسوريا فيما يشبه ابتزازًا سياسيًا لواشنطن. مثل بزوغ داعش انتكاسة للثورة السورية خاصة، وتعبيرًا عن خيبة كبيرة في الربيع العربي ككل.

كان اندلاع الثورات العربية[١] بداية من تونس في نهايات عام (٢٠١٠م)، حدثًا

(١) لا تثريب علينا في استخدام مصطلح ثورة لتوصيف هذه الأحداث، بغض النظر عن السجال الأكاديمي =

يحض علىٰ التفاؤل بلا شك. تفاؤل قد سوغ للجميع أن ينعته باحتفاء بـ«الربيع العربي»[(١)]. ولكن بعد مرور ما يربو علىٰ ثلاث سنوات بعد هذا التاريخ، لم يعد أحد قادرًا علىٰ الاحتفاظ بتفاؤله، الجميع مدفوع برغبة صامتة في تقديم رثاء مناسب ضمن عملية تأبين واسعة لما كان ربيعًا عربيًّا يومًا ما؛ فلقد سارت الأحداث في اتجاه ما كان يؤمل لها أن تسير فيه؛ فباستثناء تونس التي تكافح لإبقاء ثورتها علىٰ المسار الصحيح[(٢)]؛ فإنَّ أحوال باقي الثورات ليست علىٰ ما يرام؛ ففي مصر انتصرت الثورة المضادة بظفر بفضل الانقلاب العسكري الذي أطاح في (يوليو ٢٠١٣م) بأول رئيس منتخب في تاريخ مصر الحديث برمته، ومن ثمة صارت (ثورة ٢٥ يناير) مجرد ذكرىٰ سعيدة من الماضي[(٣)].

أما ليبيا؛ فقد غرقت من بعد مقتل القذافي في تطاحن سياسي وعسكري مرير، لا تلوح في الأفق أية بشائر علىٰ قرب نهايته[(٤)]. في اليمن الأمور لا تقل تعقيدًا؛ لقد

= الدائر حول أهليته بوصف الثورة. إذ يجادل البعض بأن التوصيف الأدق لها هو انتفاضة أو هَبّة، نظرًا لكونها لم تنجز التغيير الجذري للنظام السوسيو - سياسي القائم، والذي هو شرط استحقاق وصف الثورة بحسبهم، ولكن واقع الأمر أن كل هذه المصطلحات: ثورة، صحوة، انتفاضة، وهبّة، تستخدم بضرب من التجوز والتساهل كمترادفات في توصيف هذا الحدث، وعن مفهوم الثورة راجع: حنا أرندت، في الثورة، ت: عطا الله عبد الوهاب، المنظمة العربية للترجمة، (٢٠٠٨م).

(١) مصطلح الربيع العربي مستعار في الأصل من السياق الأوروبي، حيث أطلق علىٰ موجة الثورات التي اجتاحت أوروبا في (١٨٤٨-١٨٤٩م) مصطلح الربيع الأوروبي. وأول استخدام لمصطلح الربيع العربي كان في لبنان عام (٢٠٠٥م) بعد مقتل رفيق الحريري وخروج القوات السورية من لبنان، استبشارًا بحقبة لبنانية جديدة أكثر استقلالًا. أيضًا قد استخدم هذا المصطلح الصحفي المرموق تشارلز كروثامر في (٢٠٠٥م)، كتعبير عن التفاؤل الذي صاحب رغبات الإدارة الأمريكية حينئذٍ في دمقرطة منطقة الشرق الأوسط، كحل لأزماتها، وكان أول من استخدمه لتوصيف الثورات العربية هو مارك لينش في مقال له بمجلة **«فورين بوليسي»** بعنوان: **«أوباما والربيع العربي»**، في ديسمبر (٢٠١٠م)، ثم شاع استخدام المصطلح من بعدها.

(٢) عن خصوصية الحالةالتونسية راجع: **«الاستثناء التونسي: نجاح التوافق وعوائقه، مجموعة الأزمات الدولية»**، (يونيو ٢٠١٤م).

(٣) عن الانقلاب العسكري في مصر راجع: **«السير في دوائر: خطورة المرحلة الانتقالية الثانية في مصر، مجموعة الأزمات الدولية»**، (أغسطس ٢٠١٣م).

(٤) لتحليل معمق لحالة ليبيا السياسية والعسكرية فيما بعد القذافي، راجع: **«ليبيا بعد القذافي: الدروس** =

سقطت العاصمة صنعاء في يد الحوثيين بسهولة مذهلة[1]، والقاعدة تبعًا لذلك في حالة ازدهار[2]، ومن حين لآخر ينشط الحراك الجنوبي داعيًا للانفصال. لقد ضاعت الثورة اليمنية وسط هذه الأجواء المعتمة. أما الثورة السورية، فقد اندثرت تمامًا تحت غبار حالة حرب متعددة الجبهات. تلك الحرب التي بزغت داعش[3] من قلبها، كقوة سياسية وعسكرية فظيعة ومثيرة للارتباك.

سأسعىٰ في هذه الورقة لتقديم داعش كمفارقة، تتجلىٰ طبيعتها المفارقة في مستويات عدة؛ في سياق ظهورها، وفي كنهها السياسي، وفي أثرها علىٰ سياسات الدول الخارجية والعلاقات البين -دولية، وسأجادل عن كون هذه المفارقات يمكن النظر إليها كحالة من حالات خيبة الأمل السياسية المعممة.

= والآثار المستقبلية»، كريستوفر شيفيز وجيفري مارتيني، مؤسسة راند، (٢٠١٤م). وأيضًا: «**في أعقاب الحرب: الصراع علىٰ ليبيا في مرحلة ما بعد القذافي**»، جيسون باك وبارك بارفي، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنىٰ، (فبراير ٢٠١٢م).

(١) عن مكاسب الحوثيين السياسية الراهنة، راجع: «**الحوثيون: من صعدة إلىٰ صنعاء، مجموعة الأزمات الدولية**»، (يونيو ٢٠١٤م).

(٢) استيلاء الحوثيين علىٰ العاصمة صنعاء، دونما مقاومة تذكر، وفر للقاعدة فرصة حقيقية لتبزغ مرة ثانية بوصفها المدافع الوحيد عن القبائل في وجه التمدد الحوثي. لقد وفر ذلك للقاعدة حاضنة قبلية ممتازة، وأكسبها مشروعية وجودية بدرجة كبيرة. فالقتال علىٰ أشده اليوم بين أنصار الله (الحوثيون) وأنصار الشريعة (القاعدة) وبينهما قد ضاع اليمن الذي لم يعد أبدًا سعيدًا.

(٣) داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، تم الإعلان عن تأسيسها بسوريا في (إبريل ٢٠١٣م)، ولكن في (يونيو ٢٠١٤م) أعلنت عن قيام الخلافة ومبايعة أميرها أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين، ومن ثَمَّ تحول اسمها إلىٰ الدولة الإسلامية، ولكنَّنا نؤثر استخدام اسم داعش لاشتهاره، وتجنبًا للبس الذي يثيره اسم الدولة الإسلامية.

داعش

بجعة الربيع العربي السوداء

بحسب نسيم طالب[1] يمكن النظر إلىٰ حدثٍ ما بوصفه بجعة سوداء، حال توافر علىٰ الشروط الثلاثة التالية: غير متوقع، وتأثير تبعاته بالغ الشدة، وبعدما يحدث يمكننا فهمه وتفسيره[2]. هل يمكننا اعتبار بزوغ داعش في سياق الربيع العربي بجعة سوداء؟ كان ثمة إجماع علىٰ أن الربيع العربي (والذي يمكن اعتباره بجعة سوداء هو الآخر) قد مثل ضربة قاصمة لأيديولوجيا القاعدة؛ فبحسب هذه الأيديولوجيا يعتبر قتال الولايات المتحدة وحلفائها (العدو البعيد)، أو الأنظمة العربية المستبدة (العدو القريب) هو السبيل الوحيد لتحقيق استقلالية العالم الإسلامي، فجاءت الثورات العربية لتبرهن علىٰ خطأ هذه القناعة؛ إذ بدا أن الشعوب العربية قد استطاعت أن تسقط الأنظمة المستبدة عبر وسائل الاحتجاج السلمي، بل استطاعت حركات الإسلام السياسي أن تصل للسلطة أو علىٰ الأقل أن تكون جزءًا منها، عبر وسائل ديمقراطية. لقد سبب الربيع العربي إذن إحراجًا بالغًا للقاعدة، فانزوت وخبت نجمها ولم تعرِ الشعوب الثائرة خطابات قادتها الذين يحاولون اللحاق بالحدث أي اهتمام. إنَّ الجميع قد تصور بأن الربيع العربي هو بداية النهاية للقاعدة، ولكن ماذا جرىٰ في المقابل؟ من قلب الثورة السورية بزغت داعش بوصفها النسخة الأكثر تطرفًا لنموذج القاعدة، إنَّه لحدث خارج نطاق التوقعات إذن، وقد ترتب عليه تبعات جيوسياسية وإنسانية ضخمة، كذلك من المستطاع الآن بعدما صارت داعش واقعًا عينيًّا أن نفسر ونحلل أسباب ظهورها ومختلف التداعيات التي ترتبت علىٰ هذا الظهور. إنها إذن

---

(١) نسيم نيقولا نجيب طالب (١٩٦٠م)، أكاديمي أمريكي من أصل لبناني، يدرس علوم الإدارة وهندسة المخاطر ونظريات الفوضىٰ والعشوائية واللاتوقع. هو صاحب نظرية البجعة السوداء.

(٢) نسيم طالب، «**البجعة السوداء**»، ت: حليم نصر، بيروت: الدار العربية للعلوم، (٢٠٠٩م)، (ص/ ١٠).

بمثابة بجعة سوداء، بالنسبة إلىٰ سياق الربيع العربي.

مفارقة بزوغ داعش هذه يمكن تأويلها كخيبة أمل للربيع العربي؛ لقد كان الرهان الأساسي لهذا الربيع هو الخلاص من سلطة مستبدة، عبر وسائل مدنية وسلمية تمامًا، ولكن هل أنجز بالفعل مهمته؟ تشترك كل حالات الربيع العربي في كونها لم تنجز مهمتها بصورة تامة[١]، بينما تختلف فيما بينها في درجة هذا الفشل وفي أسبابه، فهل بوسعنا أن نعتبر بزوغ داعش هو الصورة الأكثر واقعية لهذا الفشل؟ إن خيبة الأمل هذه قد أعادت البريق للفكرة التي تنهض عليها القاعدة: لا سبيل لإحداث تغيير جذري إلا بالقتال، وأتاح لأتباعها الفرصة لأن يقولوا بفخر: لقد أكدنا لكم مرارًا أنكم لن تجنوا من وراء الديمقراطية شيئًا يُذكر.

إنَّ القاعدة لم تؤمن قطُّ بالربيع العربي، فقط هي بدأت تفعل ذلك عندما فشل، عندما تحول في سوريا لحالة حرب معممة، عندها فقط بدأت ترىٰ فيه ربيعًا حقيقيًا. إنَّ لحظة تحول الثورة السورية لحرب، هي لحظة فشل الربيع العربي، وهي لحظة بزوغ داعش. هذه هي إذن مفارقة ظهور داعش في سياق الربيع العربي، والتي تمثل تعبيرًا فجًا عن خيبة الأمل فيه.

---

(١) لا يسعنا أن ننكر أن حال الثورة التونسية هنا أفضل من غيرها. ولكن لايسعنا أن ننكر أيضًا استمرار حضور النظام القديم في المشهد التونسي الثوري (خاصة بعد الانتخابات الأخيرة (٢٠١٤م) التي حصل فيها حزب نداء تونس علىٰ أعلىٰ عدد من المقاعد البرلمانية). أفضلية تونس ترجع في المقام الأول لمقارنتها بسوء الأحوال في غيرها من بلدان الربيع العربي، لا إلىٰ معايير ثورية جذرية.

كُنه داعش
دولة ضد الدولة

يبدو جليًّا أنَّ داعش تناصب الدولة القومية الحديثة العداء، إنَّها تسعىٰ وفق تصور إمبراطوري للإسلام إلىٰ إزالة الدولة القطرية التي تشكلت عقب الحقبة الاستعمارية، لتحل دولة الخلافة الإسلامية محلها. ولكن ما هو كنه داعش؟ هل ننظر إليها كحركة ثورية أخيرة في وجه الإمبريالية الغربية، أم حركة اجتماعية إسلامية أصولية؟ لعل المقاربة الأنسب لفهم داعش هي أن ننظر إليها كدولة حديثة؛ إن داعش تتوافر بصورة مدهشة علىٰ البنية التي تنهض عليها الدولة الحديثة، أي الدولة بوصفها «ليفياثان»، أو «إلهًا فانيًا» بتعبير هوبز[١]، يخضع له الجميع، ويحتكر الحق في استخدام العنف بصورة مطلقة.

تلك هي المفارقة إذن؛ داعش التي تقدم نفسها كضد للدولة الحديثة، هي في جوهرها دولة حديثة. بل هي تتمثل في واقع الأمر الدولة الحديثة في أبشع صورها: الدولة التوتاليتارية/ الكليانية، ففي تحليلها للظاهرة التوتاليتارية، ترىٰ حنا أرندت أن معمار النظام التوتاليتاري يتكون من الآتي: كاريزم، أيديولوجيا تاريخية، آلة قمع، وجهاز بروباغندا[٢]، لقد خصت أرندت في نصها الكلاسيكي هذا ثلاثة نماذج توتاليتارية بالدراسة: الفاشية والنازية والستالينية.

والحال، أنَّنا لو تدبرنا في كنه داعش وممارساتها، سنجد أنها تتوافر علىٰ مكونات هذا المعمار: فداعش تتبنىٰ أيديولوجيا تحمل تصورًا ما لمسار التاريخ، تعمل هي علىٰ تحقيقه. إنَّها أيديولوجيا الخلافة، الخلافة الإسلامية بما هي المآل الذي ينبغي

(١) راجع: توماس هوبز، «**اليفياثان**»، ت: ديانا حرب وبشرىٰ صعب، أبو ظبي: كلمة للنشر ودار الفارابي، (٢٠١١م).

(٢) راجع: حنا أرندت، «**أسس التوتاليتارية**»، ت: أنطوان أبو زيد، لندن: دار الساقي، (١٩٩٣م).

أن يؤول التاريخ إليه، عليها إذن أن تتخذ كل الخطوات اللازمة لتسريع تحقق هذه الغاية فعليًّا في هذا العالم، يبدو جليًّا استعجال داعش للوصول لغاية التاريخ هذه في إعلانها المبكر عن قيام الخلافة الإسلامية بعد سيطرتها علىٰ أجزاء من العراق وأجزاء من سوريا، ثم إنَّ داعش لديها كاريزم يتمثل في الخليفة، بوصفه وريثًا للنبوة منوطًا به حفظ الدين وسياسة الدنيا به، له بيعة واجبة في رقبة كل مؤمن. أما عن جهاز القمع، فداعش حولت كل من ينتسب إليها لآلة قتل، تحت غطاء مفهوم الجهاد. ومن جهة البروباغاندا، فلا مراء في أن داعش تمتلك جهازا دعائيًّا قويًّا، تروج من خلاله لنفسها، جهاز قد استغل بنشاط كل منتجات الحداثة (التي هي ضدها)، من وسائل التواصل الاجتماعي، إلىٰ التصوير السينمائي[1]. إذن داعش هي فاشيست حقيقي، ولكنَّه ينهض هذه المرة علىٰ أيديولوجية دينية، ممَّا يجعله أكثرًا خطرًا في واقع الأمر؛ فالأيديولوجيا الدينية تهب من يعتنقها قدرًا من الاطمئنان الميتافيزيقي الذي يكسبه بدوره جرأة علىٰ تنفيذ ما يعتنقه، فهو ينفذ إرادة الله هذه المرة وليس إرادة بشرية، وهذه هي مفارقة داعش؛ بينما هي تعلن عن عداء نشط للدولة الحديثة؛ إذ بها تتمثل جوهر هذه الدولة في أشد صوره عنفًا وقسوة.

ولكن عن أي خيبة أمل تعبر هذه المفارقة؟ إنَّها تعبير عن هشاشة الدولة العربية المتضخمة بتعبير نزيه الأيوبي[2]، إنَّها دولة هشة وإن بدت في صورة لفياثان هوبز المخيف. لنفهم ذلك ربما كان علينا أن نعود لمفهوم السياسي عند كارل شميت[3]؛ جوهر السياسة عند شميت هو القدرة علىٰ تدشين لحظة الاستثناء أي لحظة الحرب، والسياسي الحق هو من يملك القرار في لحظة الاستثناء هذه، وعليه؛ فتاريخ السياسة بحسب شميت هو تاريخ الحرب، وما السلم إلا فترات بينية تتخلل حالة الحرب، ليست مقصودة في حد ذاتها، وإنَّما هي خادمة للحرب بطريقة أو بأخرىٰ[4].

---

(١) حققت داعش مؤخَّرًا فيلمًا ترويجيًّا عالي الجودة يحمل اسم لهيب الحرب.

(٢) بروفيسور نزيه نصيف الأيوبي في عمله الكلاسيكي تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط، المنظمة العربية للترجمة (٢٠١١م).

(٣) Carl Schmitt, the concept of the political, 1927.

(٤) قوبلت أفكار شميت بالنقد؛ إذ تم الربط بينها وبين النازية التي انضم إليها شميت.

إذن الدولة (أو السياسي) التي لا تملك قرار الحرب هي دولة (مبتسرة) سياسيًا، وفاقدة لقدر كبير من شرعيتها ككيان سياسي. والحال، أن الدولة القطرية العربية التي خلفها الاستعمار، هي دولة لا ينطبق عليها تصور السياسي لدىٰ شميت؛ إنها في واقع الأمر لا تملك القدرة علىٰ تدشين لحظة الحرب الخاصة بها. إنَّ الدولة العربية لا تستطيع أن تقدم لنا تمييزًا واضحًا بين الصديق والعدو، التمييز الذي يراه شميت ركيزة أساسية للسياسي. من هو عدو الدولة العربية والتي يمكن أن تدشن لحظة الحرب من أجله؟ لا أحد. في ظل غياب عدو خارجي للدولة توجه عنفها تلقائيًّا نحو الداخل. لقد صارت علاقة الدولة بالمجتمع ذات طابع حربي بدرجة أو بأخرىٰ. لقد جاءت القاعدة لتسد هذا الفراغ الذي خلفته الدولة العاجزة عن الحرب، إنَّها أعادت رسم خريطة سياسات العداوة بكل وضوح، إنَّ كل نشاط القاعدة في واقع الأمر ليس سوىٰ تدشين دائم للحظة الحرب. لقد وفرت بتعبير طريف لياسين الحاج صالح «سوق سوداء» للحرب[1]، بعدما عجزت الدولة العربية أن توفره بصورة مشروعة. القيام بواجب الحرب هذا (الفريضة الغائبة وفق المعجم الجهادي) يفسر -جزئيًّا- الجاذبية التي تحظىٰ بها القاعدة لدىٰ أشياعها.

ما أضافته داعش في هذا السياق، أنها وسعت من نطاق عمل سياسات العداوة، بحيث صار من يخضع لها هو وحده الصديق بينما من سواه هو العدو. توسلت داعش في تمييزها الصارم هذا بين الصديق والعدو بتقنيات ميتافيزيقية كتقنية التكفير التي وظفتها بعنف لإخراج من يخالفها من إطار الإسلام ومن ثَمَّ استحلال دمه وماله باسم الإرادة الإلهية، والتي هي إرادة هوبزية لو حقق أمرها. هذه هي إذن مفارقة كنه داعش كدولة ضد الدولة، والتي هي بمثابة تعبير عن خيبة أمل الدولة العربية في تحقيق جوهرها السياسي.

---

(١) ياسين الحاج صالح، «القاعدة: إمبراطوريتنا البديلة»، (٩ مايو ٢٠١٤م)، موقع الجمهورية، علىٰ الرابط:

http://therepublicgs.net/27974



التحدي: داعش وإرباك السياسات الخارجية

بحسب أدبيات علم السياسة، تنتمي داعش لما يُسمىٰ بالفاعلين من غير الدول Non-state actors (NSAs)، وهم كيانات تنازع الدولة في احتكارها للفعل السياسي، وتتوافر علىٰ السمات التالية: كيان منظم يمتلك هيكلية قيادية، يتمتع باستقلالية عن الدولة التي ينتمي لها جغرافيا، يعبر أو يمثل عن جماعة معينة إثنية أو طائفية أو أيديولوجية، يمتلك أهدافًا سياسية بعينها، ويمتلك من القوة ما يمكنه من تحقيق هذه الأهداف، ومن ثَمَّ يستطيع أن يؤثر علىٰ سياسة الدولة. هذا ويتم تقسيم الفاعلين من غير الدول وفق معيارين: نطاق العمل: محلي أو دولي. والتسليح: مسلح أم غير مسلح[1].

داعش وفق هذه المقاربة هي فاعل من غير الدول مسلح ودولي[2]؛ فهي تمتلك هيكلية قيادية واضحة (خليفة وولاة) وتتسم باستقلال تام عن الدولتين التي تنتمي لهما جغرافيًّا (العراق وسوريا)، وتمثل جماعة أيديولوجيا بعينها (طيف من الجهاديين)، وتضع نصب عينيها هدفًا سياسيًا واضحًا (التوسع في بسط الهيمنة وصولا للخلافة). وتمتلك قدرًا من الإمكانات العسكرية والاقتصادية جعلها أغنىٰ وأقوىٰ فاعل من غير الدول علىٰ الإطلاق. ما هو التحدي الذي تمثله داعش كفاعل من غير الدول إذن لسياسات الدول الخارجية، علىٰ المستوىٰ الدولي والإقليمي؟ وكيف يتبدىٰ هذا التحدي في صورة مفارقة ومعبرة عن خيبة أمل سياسية؟

(١) واشنطن: لعنة الشرق الأوسط:

معلوم أنَّ وصول أوباما للبيت الأبيض في (٢٠٠٨م) كان إيذانًا بتغيرات جذرية

---

(١) راجع: William Wallace, Daphne Josselin (editors), non-state actors in world politics, Palgrave Macmillan, 2012.

(٢) هي فاعل من غير الدول، ولكنَّها كما أسلفنا تتوافر علىٰ جوهر الدولة الحديثة بما هي كذلك.

علىٰ طبيعة الاستراتيجية الأمريكية التي كانت معتمدة أثناء ولايتي بوش الابن (٢٠٠٠-٢٠٠٨م)، والتي كانت تقضي بترسيخ دور الولايات المتحدة كقطب أوحد للعالم، وفي سبيل ذلك اعتمد بوش مبدأ الحرب الاستباقية أو الوقائية، فأجاز من ثمة لواشنطن أن ترسل جنودها إلىٰ حيث شاءت. كان حصاد هذه الاستراتيجية مُرًّا في أفغانستان والعراق، ثم جاء أوباما ليؤكد علىٰ أنَّ الولايات المتحدة ليست وحدها سيدة العالم، وإنَّما ثمة تعددية قطبية، تتيح لباقي الدول مشاركة الولايات المتحدة في تدبير شأن النظام الدولي. لقد أصبحت السياسة الخارجية الأمريكية إذن أكثر تواضعًا وأقل عسكرة. لقد جاء أوباما إذن لترميم ما دمره بوش وبطانته من المحافظين الجدد. هو سيسعىٰ إلىٰ تجنب الدخول في أي حرب ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، وسيسعىٰ للابتعاد وسعه عن منطقة الشرق الأوسط المزعجة، مقابل إعطاء منطقة الباسيفك قدرا أكبر من الأهمية. وبناءً عليه سوف يعتمد سياسة «القيادة من الخلف» لتدبير أموره في الشرق الأوسط، وبالفعل كانت هذه السياسة هي المتبعة في تعامله مع أحداث الربيع العربي (التي فاجأت الولايات المتحدة كما فاجأت الجميع)، والتي تجلت بوضوح تام في موقف إدارة أوباما الحذر من الثورة الثورية[١].

ولكن بعد ثلاث سنوات من «القيادة من الخلف» ما الذي جنته واشنطن في سوريا؟ إنَّها داعش، فالحال، أنَّ كثيرًا من الانتقادات التي توجه في الداخل والخارج لسياسة واشنطن تجاه الثورة السورية، تجادل بأن إحجام واشنطن عن التدخل بجدية لإسقاط الأسد، هو الذي مهد السبل لتحويل سوريا مع الوقت إلىٰ قبلة للجهاديين من أرجاء العالم، ومن ثَمَّ بزوغ داعش في نهاية المطاف. هذا البزوغ الذي اضطر واشنطن لأن تعود مرة ثانية للشرق الأوسط، تحت غطاء تحالف واسع لمحاربة داعش، هذه العودة التي كافح أوباما كيما لا يتورط فيها أبدًا.

هذه هي المفارقة إذن: إحجام واشنطن عن دعم الثورة السورية بجدية، تجنبًا لتكرار سيناريو العراق، ورغبة في الابتعاد عن الشرق الأوسط، قد تسبب (ولو جزئيًّا)

---

(١) راجع: «**تطورات الموقف الأمريكي من الثورة السورية**»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (فبراير ٢٠١٣م).

في بزوغ داعش، ومن ثَمَّ هي مضطرة الآن للعودة بطريقة أو بأخرىٰ إليه[1]. إنَّ هذه المفارقة تعبر عن خيبة أمل واشنطن في النأي بنفسها عن الشرق الأوسط. يبدو الأمر ويكأن الشرق الأوسط بمثابة «لعنة» تطارد الولايات المتحدة، بحيث لا تستطيع الفكاك منه.

(٢) تركيا: التحدي الكردي:

عندما راحت واشنطن تجمع حلفاءها لخوض الحرب ضد داعش، أبدت تركيا قدرًا ملحوظًا من التمنع عن المشاركة في عمليات التحالف. والحال، أن أنقرة حليف لا يمكن الاستغناء عنه في هذا السياق؛ نظرًا لإمكاناتها العسكرية، ولمكانتها الجيوسياسية التي تيسر استهداف داعش في كل من سوريا والعراق، لذلك لم تكل الدبلوماسية الأمريكية عن الإلحاح علىٰ تركيا كي تنخرط بصورة جدية في التحالف[2]. بالقطع أنقرة ليست حليفًا لداعش، ومن ثَمَّ تأبىٰ أن تقاتلها، داعش بالنهاية تمثل تهديدًا أيديولوجيًا وعسكريًا لتركيا. فما الذي يمنع تركيا من القيام بعمليات عسكرية ضد داعش؟

واقع الأمر، أنَّه وبالرغم من كون أنقرة ترىٰ في داعش خطرًا عليها، إلَّا أنَّها لا ترىٰ أي جدوىٰ حقيقية من الانخراط في حرب ضدها في كل من سوريا والعراق. ما تريده أنقره أن يكون قتال داعش يقع ضمن استراتيجية شاملة يكون هدفها الأول هو إسقاط نظام الأسد. إنَّ أنقرة ترىٰ أن التحالف الذي تتزعمه الولايات المتحدة قد أسقط تمامًا من أجندته هدف الإطاحة بالأسد، ويريد أن يزج بها في أتون حرب ضد داعش، طويلة الأمد ومشكوك في جدواها بدرجة كبيرة.

يزيد الأمور تعقيدًا بالنسبة إلىٰ أنقرة، أن داعش تحاصر ما يقرب من (١٠٠ جندي تركي) في منطقة تقع وراء الحدود السورية تسمىٰ ضريح سليمان شاه، والتي تحتضن

---

(١) راجع: أسامة أبو أرشيد، **«هل تنساق الولايات المتحدة إلىٰ حرب جديدة في الشرق الأوسط؟»**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (أكتوبر ٢٠١٤م).

(٢) راجع: عماد يوسف قدورة، **«تركيا ومسألة التدخل العسكري بين الضغوط والقيود»**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (أكتوبر ٢٠١٤م).

قبر عثمان شاة مؤسس الدولة العثمانية[1]، كما أنَّها كانت تحتجز عددًا آخر من الدبلوماسيين الأتراك في الموصل قبل ذلك، لكن استطاعت أنقرة أن تحررهم بطرق تفاوضية. إذن تركيا لا تريد أن تتورط في قتال مباشر مع داعش، مخافة ردود فعلها.

اتضح هذا الإحجام التركي جليًّا، خلال أزمة مدينة كوباني (عين العرب)، تلك المدينة الحدودية والتي تحاصرها داعش وتبدي عزمًا لا يلين علىٰ السيطرة عليها، ولم يفتْ في عضدها كل الغارات الجوية التي شنها التحالف عليها حتىٰ الآن. والحال، أنَّ هذا الإحجام لا يُفسر وفقط ضمن استراتيجية أنقرة العامة القاضية بعدم الانخراط في حرب ضد داعش وحدها، وإنَّما لكون هذه المدينة واقعة تحت سلطة حزب الاتحاد الديمقراطي، ذراع حزب العمال الكردستاني في سوريا والذي تقاتله تركيا كمنظمة إرهابية طوال ثلاثة عقود قد خلت، إنَّ تركيا تريد أن يكون تدخلها للدفاع عن المدينة وفق استراتجيات التفاوض بينها وبين حزب العمال التي تشكل واحدة من أهم قضايا السياسة التركية الداخلية[2].

ها هي إذن تركيا التي رغبت كثيرًا في أن تتدخل الولايات المتحدة مبكرًا في الشأن السوري بقدر أعمق، وأن يكون ثمة تحالف إقليمي- دولي تلعب هي فيه دورًا كبيرًا، بغرض الإطاحة بالأسد، تتلكأ في الانضمام لتحالف قائم يشبه تمامًا ذلك الذي ترغب فيه، ولكنَّه للمفارقة يستهدف داعش وليس الأسد.

موقف تركيا من داعش إذن أشبه بعداء مكتوم، أو حرب باردة، لا ترغب تركيا في نزع فتيلها. والحال، أن هذا الموقف يعبر عن خيبة أمل السياسات التركية تجاه سورية، فحتىٰ الآن لا ترىٰ أنقرة أي سبيل يمكن أن يحقق هدفها الذي اعتمدته منذ اندلاع الثورة السورية، وهو الإطاحة بالأسد، ومن ثَمَّ هي لا تريد أن تنخرط في حرب ضد داعش لن تخدم أبدًا هذا الهدف.

---

(١) كانت هذه المنطقة جزءًا من الدولة العثمانية، وبعد سقوط الخلافة أصر أتاتورك علىٰ أن تظل تحت سيطرة تركيا.

(٢) أقصىٰ ما فعلته أنقرة لكوباني حتىٰ الآن (نوفمبر ٢٠١٤م) أنها سمحت (تحت ضغط واشنطن) لبعض قوات الباشمركة الكردية القادمة من كردستان العراق وبعض قوات الجيش السوري الحر وبعض العتاد العسكري بالمرور عبر حدودها إلىٰ البلدة ليدافعوا عنها ضد داعش.

(٣) دول الخليج: مع داعش أم ضدها؟

يمكن مقاربة السياسات الخليجية تجاه داعش من خلال النظر في طبيعة موقفها من الثورة السورية؛ لقد كان هَمّ دول الخليج (السعودية وقطر في المقام الأول) هو إسقاط نظام الأسد، وفي هذا السياق قامت بدعم فصائل المعارضة السورية المختلفة[١]، ثم بزغت داعش لتقلب الموازين، انخرطت داعش في قتال مع باقي الفصائل المعارضة، وحققت انتصارات كبيرة عليها، ومن ثَمَّ ذهب الدعم الذي قدمته لها دول الخليج بغرض الإطاحة بالأسد سدىٰ، فبدلًا عن مقاتلة الأسد انشغلت بالدفاع عن نفسها ضد داعش.

عند هذه النقطة انزعجت واشنطن؛ إذ رأت أنَّ سوريا قد تحولت لساحة مجاهدين كبيرة، تسيطر عليها داعش، وراحت تُحمل دول الخليج بدرجة أو بأخرىٰ وزر ازدهار الجهاديين في سوريا[٢]. بعد ذلك جمعت واشنطن حلفاءها لتنفيذ عمليات ضد داعش في كل من العراق وسوريا وكان علىٰ دول الخليج أن تلتحق بهذا التحالف. ولكن هل تريد فعلًا دول الخليج القضاء علىٰ داعش؟ واقع الأمر، أن موقفها يقترب بشدة (من حيث الهدف وإن اختلفت المنطلقات) من الموقف التركي؛ نعم تمثل داعش خطرًا أيديولوجيًا وعسكريًا علىٰ دول الخليج، ولكن هذا الخطر يظل محتملًا علىٰ المدىٰ المتوسط أو البعيد، ما دامت داعش محصورة في العراق وسوريا، بينما ثمة هدف آخر أكثر أهمية وهو الإطاحة بالأسد، ذاك الهدف الذي لا يعطيه التحالف أي اعتبار. وعليه؛ فإنَّنا لا نجد الرياض أو الدوحة متحمستين لعمليات التحالف بالقدر الكافي[٣].

موقف دول الخليج هنا هو نفسه موقف تركيا، كلاهما سعىٰ حثيثًا منذ بداية الثورة السورية لإنشاء تحالف إقليمي -دولي بغرض الإطاحة بالأسد، ولكن بلا جدوىٰ.

---

(١) اختارت قطر دعم فصائل إسلامية كأحرار الشام (المدعومة من تركيا أيضًا) وكجبهة النصرة. بينما اختارت السعودية دعم فصائل بعيدة عن القاعدة جمعتها تحت مظلة الجبهة الإسلامية.

(٢) من أبرز التصريحات في هذا السياق، تصريح جون كيري في جامعة هارفرد عن دعم تركيا ودول الخليج للجهاديين في سوريا وأثر ذلك في بزوغ داعش.

(٣) ربما كانت الإمارات العربية أكثر تحمسًا في هذا السياق، ولعل ذلك يرجع لأسباب أيديولوجية محضة أكثر منها أسبابًا متعلقة بأجندة سياسية خارجية محددة.

وها هو التحالف قد تشكل بالفعل وهما يعرضان عنه الآن؛ لأنَّه اتخذ لنفسه هدفًا مغايرًا تمامًا لهدفهما الرئيس المتمثل في الإطاحة بالأسد.

إنَّ هذا الوضع يعبر عن خيبة أمل السياسات الخليجية في سوريا؛ إنَّ دول الخليج لم تستطع أن تطيح بالأسد، ولم تستطع من ثمة أن تضعف من نفوذ طهران في المنطقة. بل العكس يكاد يكون قد تحقق؛ فلا يلوح في الأفق أن نظام الأسد سينهار قريبًا، وها هي إيران تزداد نفوذًا فوق نفوذها.

(٤) إيران: حينما يصير العدو مفيدًا:

علىٰ المستوىٰ الأيديولوجي تمثل داعش بلا شك عدوا لإيران[١]، ولكن كيف هو الحال علىٰ المستوىٰ السياسي؟ لنقل بداية إنَّ هدف إيران الرئيس في سوريا هو الحفاظ علىٰ نظام بشار الأسد بكل ما أوتيت من قوة، لمنع سقوط دمشق في يد نظام إسلامي أو نظام موالٍ للرياض. وكذلك يتمثَّل هدفها في العراق في الإبقاء علىٰ نظام يحافظ علىٰ نفوذها الذي حققته بعد الغزو الأمريكي في (٢٠٠٣م)، فما هو الأثر الذي خلفته داعش علىٰ أهداف طهران هذه قبل وبعد تدخل واشنطن وحلفائها؟

فيما يخصُّ العراق؛ فقد شكَّلت داعش فعلًا خطرًا علىٰ مصالح طهران فيها؛ حيث سيطر التنظيم علىٰ مساحات كبيرة من العراق (الموصل، الأنبار) ممَّا دفع طهران للتخلي عن رجلها نوري المالكي، ومن ثَمَّ دعمها لحيدر العبادي كبديل أكثر توافقية، في سياق حل سياسي للأزمة. ثم هي اضطرت في سياق الحل العسكري، لإرسال قادة عسكريين إيرانيين إلىٰ العراق لمساعدة قوات الجيش العراقي والباشمركة الكردية في قتال داعش. وأيضًا قامت بالزج بالميليشيات التابعة لها في العراق (أو التي استقدمتها من سوريا) لمقاتلة داعش[٢]، لكن في المحصلة، لا يمكننا القول بأنَّ

---

(١) أولوية مقاتلة الشيعة عند داعش تمثل فرقًا مهمًّا بينها وبين تنظيم القاعدة الذي يعطي الأولوية لمقاتلة الغرب.

(٢) عن الميليشيات الشيعية التابعة لإيران في العراق راجع:

Phillip Smyth, all the ayatollah's men, foreign policy, 18 September, 2014.

علىٰ الرابط:

http://www.foreignpolicy.com/ articles/2014/09/18/all_the_ayatollahs_men_shiite_militias_iran_iraq_islamic_state

خسائر طهران في العراق فادحة؛ فالعبادي لا يزال شيعيًّا وعلاقته بطهران ليست علىٰ درجة ملحوظة من السوء بحيث يسوغ لنا القول بأنَّ طهران قد فقدت نفوذها علىٰ الحكومة العراقية. فواقع الأمر أن هذه الحكومة الجديدة والتي يُرجىٰ منها أن تقلل من حدة التهميش السني، لا تزال مفاصلها فيٰ يد الفصائل الشيعية[(١)].

كيف هو تأثير بزوغ داعش علىٰ أهداف طهران في سوريا؟ أولًا، تمدد داعش ونفوذها في سوريا أقل منه في العراق، داعش ليست وحدها في سوريا؛ إذ ثمة مروحة واسعة من الجهاديين (جبهة النصرة، وأحرار الشام)، أو قوات المعارضة المنشقة عن الجيش السوري، كلهم منخرطون في قتال الأسد. ثم ثانيًا، واقع الأمر أنَّ داعش من بين كل هؤلاء لا تمثل الخطر الأهم علىٰ الأسد، إنها مشغولة بتثبيت أقدامها أولا في الأراضي التي لا يسيطر عليها الأسد أصلًا، ومن ثَمَّ انخرطت في حرب مريرة مع رفاقها من المجاهدين، علىٰ حساب مقاتلة الأسد. إنَّ داعش وللمفارقة لم تشكل حتىٰ الآن الخطر الأساسي علىٰ الأسد، وبالتالي لم تشكل بالتبع الخطر الأساسي علىٰ مصالح إيران في سوريا. هذا هو واقع الأمر قبل بدء عمليات التحالف الذي تقوده واشنطن ضد داعش في العراق وفي سوريا، فكيف هو الحال بعد بدء هذه العمليات؟

الحال، أنَّ إيران بالطبع ليست سعيدة ببزوغ داعش، فهي في النهاية تقع في دائرة خصومها الحقيقيين، ومن ثَمَّ؛ فإنَّ عمليات التحالف ضدها تصب في مجرىٰ المصالح الإيرانية في العراق وسوريا. ولكن كيف لنا أن نفسر والحالة هذه سخط إيران الظاهري علىٰ التحالف[(٢)]؟ واقع الأمر أن طهران تدرك مدىٰ نفوذها في كل من العراق وسوريا، نفوذ يمكن توظيفه جيدًا في محاربة داعش. وهي تدرك أيضًا أنَّ واشنطن مدركة لهذا النفوذ ولأهميته. ومن ثَمَّ؛ فإنَّ طهران تود أن تستثمر نفوذها هذا

---

(١) عن هذه الحكومة راجع: «**البرلمان العراقي يقر الحكومة الجديدة برئاسة حيدر العبادي**»، رويترز، (٨ سبتمبر ٢٠١٤م)، علىٰ الرابط:

http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN.H322B20140908

(٢) إيران: التحالف المناهض للدولة الإسلامية يكتنفه غموض شديد، رويترز، (١١ سبتمبر ٢٠١٤م). علىٰ الرابط:

http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN0H60XJ20140911

في سبيل تغيير دفة علاقتها بواشنطن؛ إنَّ طهران طمعت في أن يتم ضمها بصورة ولو شبه رسمية للتحالف الذي تتزعمه واشنطن ضد داعش، ممَّا سيعني الاعتراف بها كقوة إقليمية. وفي مقابل وضع نفوذها هذا تحت يد التحالف تريد طهران أن تنال بعض الامتيازات في المفاوضات النووية الشاقة بينها وبين مجموعة (٥ + ١). والحال، أنَّ واشنطن تبدي قدرًا كبيرًا من الارتباك أمام هذا العرض الضمني من طهران؛ فهناك أحاديث عن رسالة سياسية من أوباما للمرشد الأعلىٰ تتحدث عن تنسيق إيراني - أمريكي لمحاربة داعش[١]، ولكن بالتوازي معها هناك تأكيدات مستمرة علىٰ رفض واشنطن القاطع لعرض كهذا[٢]، ولغياب أية تنسيق بين واشنطن وطهران في سياق الحرب مع داعش[٣]. إنَّ واشنطن بين مطرقة وسندان إذن؛ هي تعلم ما يمكن أن تقدمه طهران من عون في معركتها (المتأزمة) ضد داعش، ولكنها ليست مستعدة أبدًا للاعتراف بها كقوة إقليمية، ولا تقديم تنازلات حقيقية في مسألة الملف النووي الإيراني.

علىٰ أية حال؛ فإنَّ محصلة بزوغ داعش في العراق وسوريا، وتدخل الولايات

---

(١) انظر: Obama wrote secret letter to Iran's Khamenei about fighting Islamic state، The Wall Street Journal علىٰ الرابط:
http://online.wsj.com/articles/obama-wrote-secret-letter-to-irans-khamenei-about-fighting-islamic-state-1415295291

(٢) واشنطن ترفض عرضًا إيرانيًّا لربط محاربة داعش بتنازلات نووية، الشرق الأوسط اللندنية، (٢٣ سبتمبر ٢٠١٤م)، علىٰ الرابط:
http://classic.aawsat.com/details .asp?section=4&article =788163&issueno=13083# .VGXwKvmUe3Q

(٣) واشنطن: لم نقم بأي تنسيق عسكري مع إيران للتصدي لداعش، الحياة اللندنية، (٧ نوفمبر ٢٠١٤م)، علىٰ الرابط:
http://www.alhayat.com/Articl es/5557304/%D9%88%D8%A7%D8%B4%D9%86%D8%B7%D9%86- %D9%84%D9%85-%D9%86%D9%82%D9%85-%D8%A8%D8%A3%D9% 8A-%D8%AA%D9%86%D8%B3%D9%8A%D9%82-%D8%B9%D8%B3%D 9%83%D8%B1%D9%8A-%D9%85%D8%B9-%D8%A5%D9%8A%D8%B1 %D8%A7%D9%86-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%AF%D9%8 A-%D9%84%D9%-80%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-

المتحدة وحلفائها لقتالها، يبدو أنها تمثل بدرجة أو بأخرىٰ مكسبا سياسيا لإيران؛ إذ لم يتأثر نفوذها في العراق سلبًا وإنَّما علىٰ العكس قد ازدادت نفوذا فوق نفوذها، بإرسال عسكريين إيرانيين ودعم مليشيات شيعية للدفاع عن بغداد وعن كردستان العراق ضد داعش، إيران تلعب دور المنقذ إذن في العراق. أما في سوريا فغارات التحالف تصب وبطريقة مذهلة في مصلحة إيران، حيث إنَّ هذه الغارات تسهم بطريقة مباشرة في تقوية نظام الأسد.

وتلك هي المفارقة؛ داعش العدو الأيديولوجي لإيران مفيدة لها بدرجة أو بأخرىٰ. وإن كانت هذه المفارقة تعبر عن خيبة أمل ما، فإنَّها لا تعبر عن خيبة أمل السياسات الإيرانية في المنطقة وإنما علىٰ الضد، هي تمثل خيبة أمل سياسات الولايات المتحدة (وحلفائها الخلجيين). يبدو الأمر أن سياسات واشنطن ومنذ غزوها للعراق في (٢٠٠٣م)، تساهم في خدمة مصالح طهران بطريقة مفارقة. بالرغم من حرصها الدؤوب علىٰ فعل العكس.



خاتمةٌ

هذه هي إذن جملةُ مفارقاتِ داعشَ المتعلقةُ بسياق ظهورها في زمن الربيع العربي، وبطبيعة كُنهِها السياسي، وبإرباكها لسياسات الدول الإقليمية والولايات المتحدة. لقد مثلت داعش كفاعل من غير الدول تحديًا حقيقيًّا للدولتين التي تنشط في إطارهما الجغرافي، العراق وسوريا؛ ففي العراق تسببت في الإطاحة بحكومة المالكي ومجيء حكومة جديدة، وسوغت التدخل الخارجي في العراق مرة ثانية، وفي سوريا أثرت سلبا علىٰ مسار الثورة السورية؛ إذ دعمت موقف الأسد الذي لم يكل عن ترويج روايته الخاصة عن الثورة السورية بوصفها تخريب يتزعمه متطرفين ظلاميين ومأجورين.

كذلك هي قد أربكت طبيعة السياسات الخارجية لباقي الدول الفاعلة في الإقليم؛ فها هي الولايات المتحدة تجد نفسها في نهاية المطاف ترسخ بعملياتها العسكرية ضد داعش أقدام الأسد مزيدًا في سوريا، ومن ثم تزيد من نفوذ إيران في المنطقة بطريقة أو بأخرىٰ، وقد تجد نفسها مضطرة لعقد صفقات سياسية مع الملالي في طهران، ويكأن واقع الحال إذن أن واشنطن تقف مع طهران والأسد في نفس الخندق.

أيضًا علاقة واشنطن بأنقرة معرضة للتوتر بسبب تباطئ الأخيرة في الانضمام للتحالف ضد داعش بصورة جذرية. حيث إنَّ أنقرة لا ترىٰ في عملياته ضد داعش وحدها دونما استراتيجية شاملة تتضمن الإطاحة بالأسد، جدوىٰ حقيقية.

مفارقات داعش هذه تعبير عن خيبات أمل معممة؛ دول الخليج بعد ثلاثة أعوام من الاستثمار في المعارضة السورية، جاءت داعش لتقضي علىٰ آمالها دفعة واحدة، وتركيا لا ترىٰ أي ضوء في آخر النفق يبشرها بقرب رحيل الأسد، والولايات المتحدة انجرت لتدخل عسكري في المنطقة مرة ثانية، وهي التي كانت عازمة علىٰ عدم التورط فيه أبدًا.

والحال، أنَّ خيبة الأمل الأشد وطأة والتي عبر عنها بزوغ داعش، هي خيبة الأمل في الربيع العربي، كحركة تحررية كان يرجىٰ منها أن تغير وجه المنطقة العربية إلىٰ الأبد.



سياسة الدين المُخبأ

كيف فشل الإسلاميون السوريون في حرب الأفكار

أحمد أبا زيد

بدأت الثورة السُّوريَّة كاحتجاجاتٍ شعبيةٍ ضمن المجتمعات المحليَّةِ ضد السلطة بحكم القهر المتراكم منذ أربعين عامًا، سبقت لحظة اشتعال شرارة الثورة في مدينة درعا (١٨ آذار ٢٠١١م)، بالتوازي مع ثورات محلية في ريف دمشق وبانياس، ومناطق متعددة، لم تلبث أن امتدت أُفقيًّا؛ لتشمل النسبة الأكبر من المناطق السُّوريَّة، خاصة (الأطراف) خارج المدن الكبرىٰ، ولم تحتج هذه الانتفاضة الشعبية إلىٰ أيديولوجيا سياسية، أو جهادية تتجاوز حضور الدين كمكوّن هُويَّاتي واجتماعي ناجز، يتم الانطلاق منه بعفوية ودون شعور بالثنائية ما بينه وما بين الانتماء الوطني والمحلي، أو ما بينه وبين المطالبة بدولة حريات كمقابل أوضح للاستبداد، دون أن يكون هذا الدين الأُمِّي (نسبة للأُمَّة)، والجامع لمختلف الحواضن الحاملة للثورة محل نقاش، أو إثبات، أو تنافس، كما جرىٰ في مرحلة تحوُّل الدين إلىٰ موضع الصراع داخل هذه الحواضن نفسها قبل أن يكون ضد النظام، جرىٰ هذا طبعًا مع (أدلجة) الحراك الثوري، و(أقلمة) الصراع السُّوري، ويشعر البعض بضرورة تحميل (الإسلاميين) مسؤولية هذا التحويل، خاصة السلفيين منهم، مع إغفال العوامل الخارجية، وفي مُقدِّمتها دور نظام الأسد في الإصرار علىٰ إثبات طائفية الصراع معه منذ البداية، علىٰ مستوىٰ سلوكه العملي، وتحالفاته الداخلية والإقليمية، وما هو أهمُّ منه -وإن كان أقلَّ سلطة- دور المؤسسة الدينية (المدينية) التي ساندت برموزها ومواقفها العامة نظام الأسد في قمعه الوحشي للثُّوار السُّوريين، ما أعاد الدين إلىٰ موضع التنافس، وضرورة تأسيس خطاب (إسلامي) بديل ومقاوم، رغم أنَّ هذه الضرورة بدت علىٰ مستوىٰ الإسلاميين السابقين الذين شعروا بنداء الواجب، أكثر منها علىٰ مستوىٰ القواعد الشعبية التي لم تعر هذه المسائل الثقافوية أهمية تُذكر، بحكم أنَّ الزخم الثوري كان قادرًا علىٰ اجتياح أي (عقبة رمزية) تقف في طريقه، وتم خلال الأشهر الأولىٰ وبـ (ثورة رمزية) موازية تبديل التصنيفات وموازين القيمة لا في المجتمع السُّوري وحده، بل في مجمل المشرق العربي، ثقافيًّا ودينيًّا وسياسيًّا.

لكن مع طغيان الخطاب السلفي الجهادي بمفرداته وإشكالاته ونقاشاته حتىٰ علىٰ فصائل محلية ونحن في نهاية العام الرابع من هذه الثورة، هل تعامل الإسلاميون مع هذه الضرورة حقًّا؟

تمثيلات الدين التقليدية، أو: هل كان ثمة إسلاميون سوريون؟

ربما من المفيد العودة إلىٰ ما قبل الثورة؛ لتوضيح جذور الانقسامات الحالية ودور هذه التمثيلات التقليدية في الثورة، والنظرية التي ندافع عنها هنا هي هشاشة هذه الانقسامات بالأساس لعدم وجود تيَّار إسلامي خارج المؤسسة الدينية الرسمية (المدينية)[1]، فيما عدا مجموعات محدودة انتمت للسلفية الجهادية بعد عام (٢٠٠٣م)، خلال حرب العراق، سواء ممَّن قاتلوا في العراق، أو ممَّن تأثروا بـ(جهاد العراق).

فيما بعد القضاء علىٰ ثورة الثمانينيات، تم ترسيم العلاقة ما بين الدين والسلطة، لم يستبعد الإخوان المسلمون كمشروع وأشخاص وحسب، وإنَّما استُبعد (الإسلام الحركي) من الفضاء العام، وكان المسموح لِمَا تبقىٰ من جماعات إسلامية تتمحور حول المشايخ أن تُقدِّم تديُّنًا يقف عند الشعائر والأخلاق الشخصية، دون التدخل في الإشكال السياسي. يمكن أن نتكلم عن خطٍّ عامٍّ هنا نسميه (المدرسة الشامية)، والذي يُمثِّلُ الاتجاه العام للمؤسسة الدينية كمزيج من المذهبية (الشافعية غالبًا) والأشعرية والمشرب الصوفي. كان ثمة (جيوب) سلفية في بعض المناطق، لكنَّها لم تشكل حاضنة اجتماعية واسعة إلَّا في مناطق محدودة، مثل بلدة دوما عاصمة الغوطة الشرقية في ريف دمشق، والتي تُشكِّل الآن الحاضنة الأوسع لجيش الإسلام وقائده زهران علوش.

بقي ثمة تأثير لمدرسة الإخوان السُّوريَّة قبل الثورة، كأوسع تيار إسلامي حركي عرفته سوريا، إن لم يكن الوحيد، ولكن هذا التأثير اقتصر علىٰ أدبيات تتداولها بعض العوائل، ولم يتطور إلىٰ تيار اجتماعي، وكان أنَّ جماعة الإخوان المسلمين في الخارج قد تحوَّلت إلىٰ مجموعة من العلاقات العائلية تُقدِّم خطابًا سياسيًّا أقرب لليبرالي، ولم تُشكِّل تيارًا اجتماعيًّا حتىٰ في المنافي فضلًا عن الداخل السُّوري، وهذا انعكس علىٰ دور جماعة الإخوان السُّوريين في الثورة، والذي طغىٰ عليه البعد

---

(١) لمقاربة أخرىٰ مفيدة حول تمثيلات الدين والإسلام السياسي في سوريا. انظر: عبدالرحمن الحاج، «الإسلام السياسي والثورة في سوريا»، مركز الجزيرة للدراسات، (٢١/ ٥/ ٢٠١٢م):
http://studies.aljazeera.net/reports/2012/05/201252110141556542 4.htm

السياسي[1]، وحتىٰ حين ساهموا في الثورة المسلحة؛ فقد اقتصر دورهم علىٰ الدعم المادي في السر، وإنكار الارتباط بأي جماعة مقاتلة علىٰ العلن، ولم يعملوا علىٰ تقديم نموذج إخواني جهادي واضح لا عمليًّا عبر فصيل ما، ولا نظريًّا عبر تقديم خطاب ثوري وجهادي في بيئة خصبة وعطشىٰ، رغم دعمهم فصائل عديدة لا يتفق بعضها مع فكر وسياسة الجماعة، هذا علىٰ مستوىٰ الجماعة، وإن كان تأثير المدرسة القديمة بقي حاضرًا لدىٰ جهات قد لا يكون لها علاقة رسمية بالجماعة ولا بخطها السياسي[2].

بالمقابل شكَّلت الاعتقالات التي طالت آلاف المتهمين بدعم القاعدة، أو جهاد

(١) حول الدور السياسي لجماعة الإخوان المسلمين في الثورة السُّوريَّة من وجهة نظر غربية. انظر: أرون لوند، «**الصراع من أجل التكيّف: جماعة الإخوان المسلمون في سوريا الجديدة**»، كارنيغي، (٧/ ٥/ ٢٠١٣م):
http://carnegie-mec.org/2013/05/07/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D8%AC%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9/g2qi

وكذلك:

رافاييل لوفيفر، «**جماعة الإخوان المسلمين تستعد للعودة إلىٰ سورية**»، رافاييل لوفيفر، كارنيغي، (١٥/ ٥/ ٢٠١٣م):
http://carnegieendowment.org/2013/05/15/%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D8%AF-%D9%84%D9%84%D8%B9%D9%88%D8%AF%D8%A9-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9/g3i3

(٢) للتوسع في دور جماعة الإخوان في العمل المسلح في الثورة السُّوريَّة، رغم تغير بعض المعطيات منذ كتابة التقرير. انظر: أحمد أبازيد، «**الإخوان السُّوريون والدور المرتبك**»، زمان الوصل، (٢٨/ ٣/ ٢٠١٤م):
http://zamanalwsl.net/news/48054.html

العراق، أو مجموعات جهادية داخل سوريا فيما بعد عام (٢٠٠٥م)، نواة تيار سلفي جهادي حضنه ونمَّاه سجن صيدنايا[١]، مع التنويه إلىٰ اختلاف المدارس التي انتمىٰ إليها هؤلاء المعتقلون الذين كان بعضهم متهمًا بتوزيع منشورات للشيخ محمد بن عبد الوهاب فقط، وتشكل في هذا السجن جذور خلافات السلفيين والجهاديين التي أغرقت الثورة السُّوريَّة فيما بعد، ولعله من نافل القول والمكرر التنويه بأنَّ نسبة كبيرة من قادة الجماعات المقاتلة في سوريا كانوا معتقلين في سجن صيدنايا قبل الإفراج عنهم علىٰ دفعات خلال عام (٢٠١١م)، وهذا يشمل جماعات سلفية محلية (بمزيج حركي/ جهادي) مثل أحرار الشام وجماعات سلفية علمية مثل جيش الإسلام، وجماعات سلفية جهادية بحتة مثل: (جبهة النُّصرة)، و(تنظيم داعش)، مع ضرورة التنويه أيضًا بالاختلاف البدهي في حضور الأيديولوجية ما بين قيادات الجماعات والقواعد الشعبية والمتأدلجة حديثًا في معظمها.

يُمكن الكلام هنا أيضًا عن (جماعة زيد) في دمشق كمثال عن (المدرسة الشامية)، وتمثل جسرًا ما بينها و(مدرسة الإخوان) بطابعها الحركي، والتي كانت تتعدَّىٰ قليلًا الدور الاجتماعي المرسوم من قِبل السلطة، وكانت مواقف رموزها من الثورة السُّوريَّة مؤثرة في بدايات الثورة السُّوريَّة، وإن خفت حضورهم الإعلامي فيما بعد، مع تأثير هذه المدرسة في فصائل مهمة مثل الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام في دمشق.

فيما بعد مرحلة المظاهرات السلمية في دمشق التي شارك رموز من الجماعة في التحريض عليها، وانتقال أغلب رموزها إلىٰ المنافي، خفت الحضور الإعلامي لهذه المدرسة، ولا يبدو أنَّ المشايخ أنفسهم متابعون لتفاصيل المشهد العسكري، أو الاختلافات الميدانية والأيديولوجية بين الفصائل عدا عن الخلافات والاشتباكات التي حدثت بينها، وكان الإدراك للدور المنسي لمؤيدي الثورة من المؤسسة الدينية التقليدية، أو ما دعوناه بالمدرسة الشامية أو جماعة زيد، وقدرتهم علىٰ ملء هذا

---

(١) عبد الرحمن الحاج، «**السلفية والسلفيون في سورية: من الإصلاح إلىٰ الجهاد**»، مركز الجزيرة للدراسات، (٢٦/ ٥/ ٢٠١٣م). انظر:

http://studies.aljazeera.net/reports/201305/2013520105748485639.ht

الفراغ الرمزي والشرعي دافعًا نحو قيام المجلس الإسلامي السُّوري في إسطنبول في (١٤ نيسان ٢٠١٣م)[١].

إلّا أنّه تكرّر في المجال الديني ما حصل من قبل في المجال العسكري، كان أهم أسباب فشل محاولات توحيد وتنظيم (الجيش الحر) ضمن المجالس العسكرية[٢]، هو التناقض ما بين إصرار الضباط المنشقين علىٰ التراتبية العسكرية كأساس للقيادة من جهة، وكون الحراك المسلح قائمًا علىٰ المدنيين و(الأبطال) المحليين والميدانيين من جهة ثانية، التناقض البنيوي الذي ضاعفه تناقض في الخطاب مع إصرار المجالس العسكرية الرسمية علىٰ لغة أقلّ (إسلامية) ممّا يسمح واقع الحرب، وكانت هيئة الأركان محاولة ذكية لجسر هذه الهوة باعتمادها مبدأ ثنائية القيادة للجبهات (قيادة عسكرية لضابط منشق، وقيادة ميدانية للقادة المدنيين)، إلّا أنَّ انحياز الأركان (المؤسسة العسكرية) إلىٰ الائتلاف (المؤسسة السياسية) بعد (بيان الـ١٣)، ومشاكل عديدة داخلية[٣]، أعادت هذا التناقض من جديد، وحسمته لصالح الضباط المنشقين، والمؤسسات الرسمية لا للحراك الثوري بقادته الميدانيين[٤].

لقد حرصت النخب الرسمية علىٰ استمرار شرعيتها في الكيانات المؤسسية الموازية لتمثيل حراك شعبي أضحىٰ له ممثلون ميدانيون لم يكن معترفًا بهم ضمن هذه النخب تقليديًّا، ولكن ما حصل هو تهميش هذا الواقع الميداني، وتكريس الانفصال ما بينه وبين النخب بدلًا من استدخال نخبه الصاعدة والفاعلة في الميدان ضمن الكيانات الممثلة لهذا الميدان، حصل أمر مشابه في المجلس الإسلامي السُّوري

---

(١) يوتيوب، إعلان تأسيس المجلس الإسلامي السُّوري في إسطنبول:

https://www.youtube.com/watch?7=Vn64zonByr8

(٢) للتوسع في نشأة الهيئات العسكرية الرسمية:

مروان قبلان، «**المعارضة المسلحة في سورية وضوح الهدف وغياب الرؤية**»، **مجلة سياسات عربية**، (العدد/ ٢)، (أيار/ مايو ٢٠١٢م)، (ص/ ٤١).

(٣) «**البيان (رقم/ ١) حول الائتلاف والحكومة المفترضة**»، علىٰ الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v§nQOYASLLTRA

(٤) أحمد أبازيد، «**ثورة المتروكين**»، منتدىٰ العلاقات العربية والدولية، (٢٧/ ٨/ ٢٠١٤م):

http://fairforum.org/?p=2265

الذي رتب أوراقه باعتباره مجلسًا علميًّا يعتمد التراتبية والتمثيل العلمي لا الثوري، ما أدَّىٰ إلىٰ خروج الفصائل (الإسلامية) منه بعد أيام فقط من تشكيله نتيجة عدم فوز مرشَّحيها بمقاعد مجلس الأمناء[1].

وحتىٰ اللحظة، بعد قرابة العام من تشكيله؛ فلم يكن للمجلس دور ظاهر أو مؤثر في أي من الخلافات الأيديولوجية والميدانية التي عصفت بالساحة الثورية، وكانت بياناته التي تتعلق بهذه الخلافات محدودة جدًّا، ومختصرة، وشبه محايدة[2]، ولا عمل المجلس علىٰ بلورة خطاب إسلامي ثوري حاضن لشتات مكونات الثورة، ويمكن القول: إنَّ بعض مكونات المجلس كانت أنشط منه بمراحل في هذا المجال، مثل هيئة الشام الإسلامية[3].

بشكل عام؛ فإنَّه لم يكن ثمة تيار إسلامي حركي سياسي واجتماعي في سوريا قبل الثورة، وكانت قواعد الثورة السُّوريَّة وحواضنها شعبية، أقرب لتركيبة وإشكالات المجتمعات المحلية في الأطراف، حتىٰ لو حصلت بعض التقاطعات هنا وهناك، وكما تقدَّم في بداية المقال؛ فإنَّ هذا الزخم الشعبي الهائل لم يكن يحتاج إلىٰ أيديولوجيا، غير مظلوميته وغضبه تجاه النظام كمحرِّك ودافع للتضحية والشهادة.

---

(١) وجاء في بيان الانسحاب:
«وعند انعقاد المجلس الإسلاميّ السُّوري في تركيا مؤخَّرًا وجدنا إرادة مبيتة واكبتها تصريحات من المتحدِّث الرسميّ باسم المجلس بخلوِّه من الأفراد والكيانات العسكريّة ممَّا يجعل التمثيل الشرعيّ الجهاديّ والثوريّ للدَّاخل السُّوريّ ضعيفًا، وغيرَ مؤثِّر علىٰ سياسة وقرارات المجلس، وبذلنا جهدًا في حلِّ هذه المشكلة، ووجدنا إصرارًا من الجهات المنظِّمة علىٰ عدم إدخال علماء أي كيانٍ جهاديٍّ أو ثوريٍّ في عضويَّة المجلس وأمانته العامَّة إلَّا بصفة استشاريَّة، وبالتَّالي تهميش المجالس والهيئات الشرعيَّة للطيف الأوسع من الكيانات الثوريَّة الدَّاخليَّة لأجل توجُّهات سياسيّة وخلفيَّات مسبقة تفضي إلىٰ إضعاف التمثيل الثوريِّ في المجلس». انظر: «**الجبهة الإسلامية وهيئات شرعية أخرىٰ تعلن انسحابها من المجلس الإسلامي السُّوري**»، الدرر الشامية، (٢٣/ ٤/ ٢٠١٣م).
http://eldorar.com/node/47054

(٢) للاطلاع علىٰ بيانات وفتاوىٰ المجلس من الموقع الرسمي، الرابط:
http://sy-sic.com/

(٣) للاطلاع علىٰ موقع هيئة الشام الإسلامية وفتاواها، الرابط:
http://islamicsham.org/

ورغم سعة القواعد الشعبية للتمثيلات التقليدية للتيار الديني وقدرتها علىٰ أن تكون الواجهة الشرعية والرمزية للثورة المسلحة؛ فإنَّ هذا الخطاب المطلوب بقي مخبَّأ لأهداف سياسية وبراغماتية، مثل جماعة الإخوان، أو لأنَّ نمط التدين المديني كان قد انفصل عن جذوره الحركية وعن تجربته الجهادية، ولا يقف هذا الإشكال عند المؤسسة الدينية في سوريا، بل ورثت الثورة السُّوريَّة الإشكال والفراغ الذي عمَّ الفكر الإسلامي وتنويعاته، ثمة سؤال يحضر كتناقض بدهي هنا: لماذا يكون -أو يصبح- كل المتطوعين غير السُّوريين للقتال في سوريا (سلفيين جهاديين)، وليسوا من الإخوان المسلمين مثلًا، رغم كونهم التيار الإسلامي الأوسع في العالم العربي؟![1].

لقد كان الشعب متديِّنًا، كما يكرر الإسلاميون في مقابلاتهم المصورة لتبرير شرعيتهم للقيادة، ولكن ما حصل أنَّ هذه الأرضية المتدينة والثورية والتي تحوَّلت للقتال كمجتمع لا كأحزاب أو أيديولوجيات، كانت تحتاج خطابًا جهاديًّا وإسلاميًّا يُمثِّل حاضنًا رمزيًّا وفكريًّا، ضد الخطابات الجهادية الوافدة، وضد عدمية الراهن نفسه، وكان يمكن لأي من تمثيلات الإسلاميين المختلفة (الإخوان المسلمون، جماعة زيد، السلفية العلمية، المثقفون الإسلاميون، المدرسة الشامية... إلخ) أن تُقدِّم هذا الحاضن الرمزي المطلوب والغائب، في ظل حرب الأفكار وزخم الطلب علىٰ الأيديولوجية في واقع يتحوَّل سريعًا، ولكن أيًّا من هذه التمثيلات التقليدية المختلفة لم تقم بمهمتها الأقرب لأساس شرعيتها (كدعوات فكرية قبل أن تكون تيارات مجتمعية، أو أحزابًا سياسية)، بينما كانت السلفية الجهادية وحدها مَن قدمت بقاموسها الرمزي وإشكالاتها ومزايداتها وانشقاقاتها الخاصة خطابها الجهادي الخاص، الذي أصبح المشكلة العامة.

الإسلاميون الجدد، أو: التوسع الهش:

توسعت الثورة السُّوريَّة المسلحة جغرافيًّا من مجموعات محلية حملت السلاح في

---

(١) ثمة عشرات الحالات يعرفها الكاتب لشباب ينتمون تنظيميًّا إلىٰ حركة الإخوان المسلمين، لكنهم لمَّا انتقلوا للقتال في سوريا أصبحوا سلفيين جهاديين، ببساطة كانت السلفية الجهادية وحدها من قدمت هذا الإطار النظري والعملي للقتال في سوريا لغير السُّوريين.

قرىٰ وبلدات صغيرة، إلىٰ فصائل علىٰ مستوىٰ المدن أو الجبهات (حسب التقسيم العسكري لسوريا إلىٰ: الجبهة الشمالية، والجبهة الجنوبية، والجبهة الشرقية، والجبهة الوسطىٰ، وجبهة الساحل)، وألوية الفاروق هي المثال الأول والأهمُّ هنا، وصولًا إلىٰ تشكيلات علىٰ مستوىٰ (قطري). ولم تنجح محاولات التنظيم العسكري المؤسسي من الضباط المنشقين في أن تشكل حاضنًا مؤسسيًّا للثورة المسلحة، لخلافات علىٰ النفوذ والأشخاص أحيانًا، ولكن أيضًا لأنَّها لم تتمكن من تقديم خطاب إسلامي (جهادي) حاضن في فضاء أضحىٰ أكثر إسلامية من أن يؤسس استمراره علىٰ شعارات ليبرالية عامة.

وتوسَّعت هذه الثورة أيديولوجيًّا من تشكيلات جيش حر تعتمد شعارات إسلامية تعبوية وإيمانية، وتهدف للدفاع عن مناطقها وإسقاط النظام، إلىٰ مرحلة تزايد فيها التوضيح للهوية الإسلامية لهذه التشكيلات، وإن بشكل متكلَّف أحيانًا، وأضحت أهداف التشكيلات (خاصة منذ ٢٠١٣م) تتكلَّم أكثر فأكثر عن مشروع (الدولة الإسلامية)، و(تحكيم الشريعة) كغايات لقتالها، مع نضوب مستمر في الخطاب المتعلق بالدافع المؤسس لظهور هذه التشكيلات، وهو إسقاط النظام السُّوري (الذي أضحىٰ العصابة النصيرية)، وتحول الهوية الوطنية إلىٰ محلِّ إشكال يحتاج إلىٰ تبرير مرحلي في أحسن الأحوال إن لم يكن إلىٰ نفي، ولعلَّ من المفيد هنا تتبع التحول إلىٰ استخدام (الشام) مكان (سوريا) في هذا الخطاب[1]، ضمن الانزياح الرمزي العام

---

(١) يمكن ذكر أمثلة عديدة علىٰ هذه المفارقة الدالة، منها مثلًا أن أحد الرموز الجهادية للأفغان العرب وممَّن ساهم بتأسيس (حركة أحرار الشام الإسلامية) هو (محمد بهايا) الذي اغتاله تنظيم داعش في حلب بتاريخ (٢٣ شباط ٢٠١٤م)، وكان معروفًا في الأوساط الجهادية طيلة ثلاثين عامًا بلقب (أبو خالد السُّوري)، أما في سوريا فكان لقبه (أبو عمير الشامي). وكانت الكلمة الترحيبية علىٰ بوابة معبر باب السلامة الحدودي مع تركيا بعد تحريره وسيطرة الجيش الحر عليه (٢٢ تموز ٢٠١٢م) هي: «أهلًا بكم في سوريا الحرة»، والتي تحولت بعد انتقاله لإدارة (الجبهة الإسلامية) في بدايات (٢٠١٤م)، (والتي تأسست في ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٣م، وتضم تقريبًا ذات فصائل الجيش الحر التي حررت المعبر، ولكن أضحت بواجهة خطابية سلفية) إلىٰ: «أهلًا بكم في بلاد الشام». وكذلك يمكن التذكير بـ(الجبهة الإسلامية السُّوريَّة)، والتي أعلنت في (٢١ كانون أول ٢٠١٢م)، وكانت تقوم علىٰ حركة أحرار الشام بشكل رئيس، وكانت في وقتها التحالف الأكثر (سلفية) و(جهادية) في مكوناته أو الأيديولوجية المعلنة له، بينما في (٢٠١٥م) قام تحالف بين فصائل (الجيش الحر) في حلب تحت اسم (الجبهة الشامية).

الذي طرأ علىٰ خطاب الفصائل المحلية مع طغيان الخطاب السلفي عليها.

يمكن قراءة هذا التوسع بوضوح في الربع الأخير من عام (٢٠١٢م)، أعلنت (جبهة ثوار سوريا) في (٤ حزيران ٢٠١٢م) كتحالف للفصائل السُّوريَّة لإسقاط النظام، وكانت كتائب أحرار الشام ضمن التشكيل[١]، ولكن لم يلبث مشروع الجبهة أن انهار سريعًا قبل أن يُولد حتىٰ، في (١٢ أيلول ٢٠١٢م) أعلن عن تشكيل (جبهة تحرير سوريا) التي أصبحت بعد عدة أشهر (جبهة تحرير سوريا الإسلامية)[٢]، وفي (٢١ كانون أول ٢٠١٢م) أعلن عن (الجبهة الإسلامية السُّوريَّة)[٣]، وباتحاد أربعة

---

(١) يوتيوب، إعلان تشكيل جبهة ثوار سوريا:

https://www.youtube.com/watch?v=HuST6w2MEGA

(٢) أهم التشكيلات التي ضمتها جبهة تحرير سوريا الإسلامية: (ألوية صقور الشام، لواء الإسلام، لواء الحق، كتائب الفاروق، كتائب الفاروق الإسلامية، لواء التوحيد). وانظر: يوتيوب، إعلان تشكيل جبهة تحرير سوريا، ويقرأ البيان (أحمد عيسىٰ الشيخ) قائد ألوية صقور الشام.

https://www.youtube.com/watch?v=Iñ6Q7_8RTYA

(٣) **أسماء الكيانات الموسسة للجبهة الإسلامية السُّوريَّة حسب الميثاق:**

(١) كتائب أحرار الشام (في كافة المحافظات السُّوريَّة).

(٢) كتائب الإيمان المقاتلة (في محافظة دمشق وريفها).

(٣) كتيبة الحمزة بن عبد المطلب (في محافظة دمشق وريفها).

(٤) كتيبة صقور الإسلام (في محافظة دمشق وريفها).

(٥) سرايا المهام الخاصة (في محافظة دمشق وريفها).

(٦) لواء الحق (في محافظة حمص وريفها).

(٧) حركة الفجر الإسلامية (في محافظة حلب وريفها).

(٨) كتيبة مصعب بن عمير (في ريف حلب).

(٩) جماعة الطليعة الإسلامية (في ريف إدلب).

(١٠) كتائب أنصار الشام (في محافظة اللاذقية وريفها).

(١١) جيش التوحيد (في محافظة دير الزور وريفها).

وانظر: يوتيوب، الإعلان عن تشكيل الجبهة الإسلامية السُّوريَّة، **ويلاحظ قول المتحدث في التعريف عن الجبهة:** «نحن الطيف الأوسع من الكتائب الإسلامية العاملة»، ما يوضح بدايات الانفصال عن مفهوم الجيش الحر.

https://www.youtube.com/watch?v=qVwEsEjJeuo

فصائل ضمن الجبهة الأخيرة من ضمنها النواة الأهم (كتائب أحرار الشام)[1] أعلن في (٣١/١/٢٠١٣م) عن (حركة أحرار الشام الإسلامية)[2].

وكسرد سريع وموجز للتحالفات التي أضحت التمثيلات الأكثر تداولًا للثورة السُّوريَّة المسلحة، وللجدل الأيديولوجي بين الإسلاميين والمهتمين بالشأن الجهادي؛ فإنَّه بعد قرابة العام قرر الطيف الواسع من فصائل هذين التشكيلين الأخيرين أن يندمج في (الجبهة الإسلامية) في (٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٣م)[3]، مع التحدي الذي فرضه إعلان (دولة الإسلام في العراق والشام) في (٩ نيسان ٢٠١٣م) وسعيًا لمنع تسرب مقاتلي الفصائل هذه نحوه، وتلا قيام (الجبهة الإسلامية) إعلان أكثر من تحالف بين فصائل الجيش الحر علىٰ مستوىٰ (جبهة)، مثل: الاتحاد

= ولقراءة ميثاق الجبهة الإسلامية السُّوريَّة، الرابط:

https://docs.google.com/document/d/1fACS9tltlmZDmomlB1ZtiJL ZaAck-WOT.yhtRwoskgIE/edit

(١) أعلن تشكيل (كتائب أحرار الشام) أواخر (٢٠١١م)، لكن الكتائب كانت موجودة في وقت مبكر قبل ذلك حسب القائد العام للحركة حسان عبود. انظر: الجزيرة نت، حسان عبود... سلسلة رموز المعارضة المسلحة ج ١، (١١/٦/٢٠١٣م):

http://www.aljazeera.net/programs/today-interview/2013/6/11/%D8%AD%D8%B3%D8%A7%D9 %86-%D8%B9%D8%A8%D9%88%D8% AF-%D8%B3%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A9-%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D 9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D8%B6%D8%A9-%D8%A7%D9%84% D9%85%D8%B3%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D8%AC1

وكذلك: يوتيوب، هل أتاك حديث الكتائب:

https://www.youtube.com/watch?v=pCb-ObhRsWk

(٢) التشكيلات الأربعة هي: (كتائب أحرار الشام، وحركة الطليعة الإسلامية، وحركة الفجر الإسلامية، وكتائب الإيمان). ولم تلبث حركة الفجر أن خرجت من الحركة لتنضم لاحقًا إلىٰ جبهة أنصار الدين. انظر: إعلان حركة أحرار الشام الإسلامية:

https://www.youtube.com/watch?v=YciNoYz9EYM

(٣) لقراءة ميثاق الجبهة الإسلامية (مشروع أمة)، الرابط:

https://docs.google.com/viewerng/viewer?url=zamanalwsl.net/uploads/jabha+aslmic.pdf

الإسلامي لأجناد الشام (القريب من المدرسة الشامية، وجماعة زيد، ومدرسة الإخوان مع وجود تشكيل (تحريري) ضمنه هو ألوية الحبيب المصطفىٰ)، فيلق الشام (القريب من مدرسة وجماعة الإخوان، وورث الفيلق فصائل هيئة حماية المدنيين)، جيش المجاهدين (إسلام مجتمعي غير محسوب علىٰ أيديولوجيات)، حركة حزم (والتي رثت ألوية الفاروق في ريف إدلب وريف حماة)، جبهة ثوار سوريا والتي ورثت فصائل (ألوية أحفاد الرسول)، فساعدها علىٰ انتشار قطري عبر الكتائب التي تبنت اسمها، وإن كانت نواتها الصلبة جبهوية في ريف إدلب قبل أن تنتهي تقريبًا في صراعها مع النصرة أواخر (٢٠١٤م)[١]، وصولًا إلىٰ إعلان الجبهة الشامية في (٢٥ كانون الأول ٢٠١٤م)[٢].

وباستثناء حركة حزم وجبهة ثوار سوريا، فقد اعتُبرت التشكيلات الأخرىٰ أمثلة علىٰ (فصائل إسلامية) كما قدَّمت نفسها أو كما تداولها الوسط الإسلامي والجهادي علىٰ اختلاف ما بينها في انتمائها، أو تمثيلها لأيديولوجية سياسية أو جهادية إسلامية مكتملة، حيث لاحظنا أنَّ النسبة الأكبر من هذه التحالفات هي من شباب (الجيش الحر) أنفسهم، والذين اندمجوا ضمن واجهة إعلامية أو قيادية تكلمت باسم هذا المشروع دون أن يؤثر كثيرًا ذلك علىٰ بنية القواعد نفسها، مع التأكيد علىٰ الاستخدام الإجرائي للمصطلح هنا لغايات بحثية بعيدًا عن منح أحكام قيمة معيارية، ودون التعرض لنقاش مدىٰ إسلامية وجهادية كل منها مقارنة بحزم وجبهة ثوار سوريا أو فصائل الجيش الحر الأخرىٰ، ودون ضرورة التوضيح أنَّ الكاتب يعتبر الفصائل المحلية -غير المؤدلجة- كانت هي لا غيرها الأكثر إسلامية.

---

(١) للتفصيل: أحمد أبازيد، «**ما بعد الجبهة الإسلامية: هزات ارتدادية لزلزال لم يكتمل**»، زمان الوصل، (٢٠/ ٢/ ٢٠١٤م). انظر:

https://zamanalwsl.net/news/46778.html

(٢) وضمت في بدايتها: الجبهة الإسلامية في حلب (وكانت تجمع لواء التوحيد والأحرار وبقيت كتائب الأحرار في حلب خارج الجبهة الشامية)، جيش المجاهدين، حركة نور الدين الزنكي، تجمع فاستقم كما أمرت، جبهة الأصالة والتنمية. انظر:

يوتيوب، الإعلان عن تشكيل الجبهة الشامية:

https://www.youtube.com/watch?v=FJ5fopG8i_w

يمكن الحديث هنا عن (جغرافيا الأيديولوجية)، يُلاحظ هنا أنَّ أغلب هذه التشكيلات كان ثقلها وتأسيسها في الشمال السُّوري، حيث كانت نسبة المهاجرين الأعلىٰ، وحيث كانت فاعلية التصنيفات والجدل الأيديولوجي أعلىٰ (وحيث كان ثقل حركة أحرار الشام التي مثلت الجسر الأهم بين السلفية الجهادية والثورة السُّوريَّة)، مقارنة بالجنوب السُّوري الذي لـم يشهد هذا الجدل، وانحصرت معادلة القوة حتىٰ الآن بين (الجيش الحر) الذي تمثله الجبهة الجنوبية، وهي ذات العدد والنفوذ الطاغي علىٰ الأرض، والسلفية الجهادية التي تمثلها جبهة النصرة وحركة المثنىٰ الأصغر منها، بينما ما زالت امتدادات الفصائل (المحلية - الأيديولوجية) أقلَّ حضورًا وتأثيرًا، ولا تختلف كثيرًا عن الفصائل المعروفة بـ (الجيش الحر)، ويُمكن قول الأمر نفسه عن المنطقة الشرقية قبل استكمال (تنظيم داعش) سيطرته عليها في (١٤ تموز ٢٠١٤م)[(١)].

أما في دمشق (نتكلم هنا بالأحرىٰ عن ريف دمشق)، حيث جيش الإسلام وقائده الكاريزمي زهران علوش ومقابله الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، فرغم حضور النقاش الأيديولوجي والانقسام أو التصنيف الإسلامي-الإسلامي، فقد حافظت هذه الإشكالات علىٰ محليتها ولـم يتأقلم تداولها كإشكالات الشمال، وأمكن تجاوز هذا الاستقطاب ضمن «القيادة العسكرية الموحدة للغوطة الشرقية» في ٢٧ آب ٢٠١٤م[(٢)]، كما يُلاحظ قلة العدد الذي انتقل إلىٰ التنظيمات السلفية الجهادية المعولمة مثل جبهة النصرة أو تنظيم داعش مقارنة بمناطق أخرىٰ، يمكن عزو هذا التماسك الفريد في الغوطة الشرقية، ونضج التشكيلات الإسلامية المحلية، إلىٰ حضور التيارات الدينية والمشايخ الكبير (مقارنة بكل المناطق الأخرىٰ) في الحراك الثوري السلمي والمسلح منذ بدايته، ما شكل استثناء ملحوظًا عن «المتروكية الدينية» التي عانتها المناطق الأخرىٰ[(٣)].

---

(١) للتوسع انظر: أحمد أبازيد، «**المشهد السُّوري بعد دير الزور: تحدي الوجود بين الدولة والنصرة والثورة**»، (٢٢/ ٧/ ٢٠١٤م)

http://fairforum.org/?p=2093

(٢) يوتيوب، إعلان القيادة العسكرية الموحدة للغوطة الشرقية

https://www.youtube.com/watch?v=FJ5fopG8i_w

(٣) للتفصيل في المقصود بالمتروكية الدينية، مراجعة: أحمد أبازيد، «**ثورة المتروكين**»، مصدر سابق.

وبالطبع؛ فإنَّ ما في الأعيان لا يكون بهذا الانفصال النظري كما في الأذهان، فلم يكن التوسعان يسيران بشكل منفصل، باعتبارنا نتكلم هنا في سيرورة وحركية تكوين الفصائل والحركات والأحزاب، علىٰ مستوىٰ العناصر الحاملين لها، أو حواضنها الشعبية، أو أنصارها المأمولين، فكما تقدم ثمة حركات تتجاوز أي بعد مناطقي أو عشائري في توسعها لصالح أيديولوجيات عبوية مهيمنة (القاعدة قريبة من هذا النموذج ولكن ليس بشكل كامل)، وثمة بالمقابل حركات تقتصر علىٰ بعد مناطقي أو عشائري ما دون أن تمتلك ترسانة خطابية تدفع بها هذا التنافس الحاصل علىٰ المرجعية (فصائل الجيش الحر المحلية الصغيرة مثلًا). وما بين التنظيمات الأيديولوجية البحتة، والتنظيمات المحلية البحتة، كان ثمة تنظيمات بُنيت علىٰ المسارين معًا (كجماعات محلية متسقة داخليًّا في منطقتها ويجمع بينها تعبئة عقدية ورسالية جامعة)، ويفترض أنها الأقدر علىٰ الاستمرار في ظل صراع أيديولوجي لا محض عسكري، حركة أحرار الشام مثال علىٰ هذه التنظيمات إلا أن المشكلة أنها رغم كونها حركة (محلية أيديولوجية) لم تستطع الاستقرار علىٰ فكر موحَّد، ولا استطاعت بالتالي نشر هذه العقيدة الجامعة بين عناصرها، فتمكنت من التوسع الأفقي في وقت سريع، ولكنَّها لم تلبث بسبب عدم وضوح منهجها، أو عدم وحدته أن أفرزت تيارات متباينة، وعناصر كثيرين انشقوا عنها لصالح تنظيمات معادية لها بالمطلق، مثل داعش. ما فعلته المجموعات السلفية خاصة، أنَّها ساهمت في أدلجة الثورة، ولم تتركها علىٰ إطارها المحلي الجامع، ولكنَّها بعد ذلك لم تقدم أيديولوجيا جامعة حتىٰ داخلها، فضلًا عن أن تكون جامعة للثوار بالعموم.

لقد كان هذا التوسع (الجغرافي والأيديولوجي) هشًّا وغير مكتمل؛ لأنَّه لم يعبأ ضمن مسار مؤسسي ناظم وموحد، ولا ضمن عقيدة ثورية وجهادية واضحة وحاضنة لاختلافات الفاعلين فيها، فضلًا عن أن تكون لاختلافات (موضوع) مشروعها، بدءًا من حواضنها الثورية والشعبية (السنية) قبل أن تكون للمجتمع (أو المجتمعات؟) السُّوري بالعموم.

كيف تعامل الإسلاميون الجدد إذن، الذين تمثلهم هذه الفصائل المحلية التي قدمت نفسها كمشروع إسلامي سياسي لا محض عسكري، مع هذا التحدي؟!

هيمنة الخطاب الأقصىٰ:

كان ثمة خواء في الخطاب الإسلامي الثوري إذن، رغم خصب البيئة الثورية وحاجتها إلىٰ حاضن رمزي يكفل التحصين والتعبئة العقدية علىٰ المدىٰ البعيد، ورغم إمكان تشكيل هذا الخطاب قاعدة توافق ودعم عامة حتىٰ من غير الإسلاميين، في ظل مرحلة كان المطلوب فيها عدم استمرار التشتت والتشظي للحراك الثوري.

أُعلن عن جبهة النُّصرة في (٢٤ كانون الثاني ٢٠١٢م)، بعد شهور من تحول الجيش الحر إلىٰ وجه الثورة المسلح والطاغي إعلاميًّا، وكان معروفًا للمتابعين تبعية الجبهة (أيديولوجيًّا علىٰ الأقل) للقاعدة، ولكن لم تعلن الجبهة عن بيعتها للقاعدة إلَّا في وقت متأخر كمهرب من الانضمام لتنظيم داعش، ولكن فيما قبل ذلك مارست (جبهة النصرة) بتياراتها المتعددة ضغطًا رمزيًّا علىٰ الثورة السُّوريَّة، باستعمالها قاموسًا خطابيًّا مختلفًا، يتعلَّق بإسقاط حكم النُّصيرية (بدلًا من إسقاط نظام الأسد)، ومحاربة جيش الكفار والمرتدين (الذي كان جيش النظام السُّوري)، والتتبع الدقيق لبيانات جبهة النُّصرة منذ بدايتها يُؤكِّد تزايد حدة الخطاب السلفي الجهادي والتصريح به مع الوقت، وهذا كان وعيًا ذكيًّا للتدريج في تهيئة الأرضية المناسبة للخطاب، هذه التهيئة لم تكن جبهة النُّصرة وفصائل السلفية الجهادية المعولمة (سواء من حيث الأهداف، أو البنية المعتمدة علىٰ العناصر المهاجرين) ليمكنها القيام به وحدها، نتكلم هنا بشكل رئيس إضافة إلىٰ جبهة النصرة عن تنظيم داعش (أعلن في ٩ نيسان ٢٠١٣م)، وجبهة أنصار الدين (أعلنت في ٢٧ أيلول ٢٠١٤م)[١]، وهذه الأخيرة كانت بمثابة الخيار الثالث للجهاديين والمهاجرين الذين (اعتزلوا الفتنة)، ولا ينوون الانخراط في الصراع ما بين جبهة النصرة وتنظيم داعش.

هنا يأتي دور الجسر الأهمِّ ما بين الثورة والسلفية الجهادية، وهي المجموعات المتأثرة بالسلفية الجهادية، ولكن بأهداف وبنية محلِّية، ويليها ولكن بشكل أخفّ المجموعات السلفية المحلية التي فصلت نفسها عن مسمىٰ الجيش الحر وعلم الثورة السُّوريَّة عامة، ونحن هنا نتكلم بشكل واضح عن حركة أحرار الشام كنموذج عن

---

(١) يوتيوب، إعلان جبهة أنصار الدين. انظر:

https://www.youtube.com/watch?v=Fx9uLbm.Nqw

الأولىٰ[1]، وعن جيش الإسلام (الذي كان سرية الإسلام، ثم لواء الإسلام)، كنموذج عن الثانية، وغني عن القول إنَّ هذه الدائرة اتسعت فيما بعد لتشمل فصائل وتحالفات لا تنبني علىٰ أيديولوجيا سلفية وجهادية بالضرورة، ولكنَّها ساهمت في رفد ذات الانفصال، أو المساهمة في التهيئة للأرضية (الرمزية) المناسبة لطغيان الخطاب السلفي الجهادي.

لا بُدَّ من التنبيه بداية إلىٰ أنَّ ظروف الحرب وتحولاتها السريعة، إضافة إلىٰ حداثة (الأدلجة) في قواعد الثوار والمقاتلين، جعلت من محاولات التصنيف الثابتة مربكة وضعيفة التفسير علىٰ المدىٰ البعيد، خاصة أنَّ كثيرًا من التحالفات العسكرية انبنت علىٰ جمع (توفيقي)، أو حتىٰ تلفيقي لتيارات متباينة، استطاعت بعض هذه التناقضات الاستمرار، ولكن تناقضات أخرىٰ انفجرت علىٰ أصحابها، و(سيرورة التشظي) هذه سمة بارزة في الحركات الجهادية عامة، وكان تنظيم الدولة (داعش) هو المحركُ الأبرز لاختبار هذه التناقضات، التي لم تتوقف عند جبهة النصرة فقط، ولا حتىٰ عند فصيل سلفي وجهادي محلِّي مثل أحرار الشام، بل امتدَّ تأثيرها إلىٰ فصائل محلية غير مؤدلجة بحكم تأثير الخطاب المهيمن والمزايدات التي أصبحت ذات الرأسمال الرمزي الأعلىٰ في الفضاء الخطابي العام[2].

فعند الحديث عن حركة أحرار الشام، لا ينبغي تجاوز وجود تيارات متنوعة ومتباينة داخل الحركة، وتغيُّر داخلي عصف بها وغيَّر من القناعات السائدة علىٰ مستوىٰ القواعد والقيادات، ويُمكن قراءة جذور متعددة في الحركة من السلفية

---

(١) نأخذ حركة أحرار الشام الإسلامية كتجربة توضيحية لغايات البحث، مع وجود أمثلة أخرىٰ أكثر قربًا من السلفية الجهادية وأبعد عن الثورة السُّوريَّة منها، دون أن يُفهم من الكلام عن الأحرار تحميلهم كل النتائج السلبية لهذا النموذج، ولا أنَّهم يحتكرون هذا الدور، وقد وضح الكاتب في هذه الورقة ومقالات ودراسات أخرىٰ الدور الإيجابي الذي قام -ويقوم- به الأحرار في الثورة السُّوريَّة، وإن كان توزيع أحكام القيمة أو آراء الكاتب الشخصية ليست ضمن مهمات البحث.

(٢) حول مفهوم الرأسمال الرمزي والمجال. انظر: بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، الطبعة الثالثة (الدار البيضاء: دار توبيقال، ٢٠٠٧م) وكذلك: ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة: د. الزهرة إبراهيم، الطبعة الأولىٰ (دمشق: النايا للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٣م)، (ص/ ١٦٢-١٦٧).

الجهادية إلىٰ السلفية الحركية إلىٰ تجربة الطليعة المقاتلة ومدرسة الإخوان.

ورغم التأثر بالسلفية الجهادية في بدايات الحركة وفي مناهجها التدريبية في المعسكرات (التي تُمثِّل مصانع أيديولوجيا حقيقية لشباب غير مؤدلجين بغير الحماسة للجهاد، وفي تلك المصانع وُضعت بذرة انشقاق أعداد كبيرة من هؤلاء الشباب نحو تنظيم داعش، أو حيادهم تجاه قتاله، أو حتىٰ تركهم الدفاع عن أنفسهم إن قاتلهم)، إلَّا أنَّه صعد اتجاه نقدي تجاه السلفية الجهادية أصبح الغالب علىٰ الصف الأول من القيادات الذين قضوا بشكل جماعي في (٩ أيلول ٢٠١٤م)[١]، وإن كان أكثر من انتشر نقده القاسي تجاه التيار السلفي الجهادي هو (أبو يزن الشامي) الذي وصل به الأمر إلىٰ أن كتب علىٰ حسابه في الفيسبوك في لحظة وجدانية شجاعة: «نعم أنا كنت سلفيًّا جهاديًّا، وحبست علىٰ هذه التهمة في سجون النظام، واليوم أستغفر الله وأتوب إليه وأعتذر لشعبنا أنَّنا أدخلناكم في معارك دونكيشوتية كنتم في غنىٰ عنها، أعتذر أنَّنا تمايزنا عنكم يومًا؛ لأنَّني عندما خرجت من السجن الفكري الذي كنت فيه، واختلطت بكم وبقلوبكم، قلت صدق رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق عندما قال: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ؛ فلا خَيْرَ فِيكُمْ»، أعتذر منكم أعتذر، وإن شاء الله قابل الأيام خير من ماضيها لثورتنا ولإسلامنا».

كما أنَّ قادة آخرين كانوا مشاركين في هذا التيار الذي تنامىٰ سريعًا قبل الحادثة، مثل: أبو عبد الله الحموي وأبو أيمن الحموي[٢]، وأبو عبد الملك الشرعي، وأبو سارية وغيرهم.

إلَّا أنَّ هذه الصحوة المتأخرة، كانت بعد ضربات ميدانية وفكرية مؤثرة علىٰ الحركة، والثورة السُّوريَّة عامة، لقد تقدَّم أنَّ الحركات المتأثرة بالسلفية الجهادية، ولو حافظت علىٰ محلية أهدافها وبنيتها، إلَّا أنَّها كانت مساهمًا رئيسًا في الثنائيات التي

---

(١) أحمد أبازيد، (يوم استشهد الأحرار: قراءة في أبعاد المشهد وتحدياته)، منتدىٰ العلاقات العربية والدولية، (١٦/ ٩/ ٢٠١٤م).

http://fairforum.org/?p=2389

(٢) للاطلاع علىٰ كتيب كان له تأثير مهم داخل الحركة لأبي أيمن الحموي موضوعه نقد تجربة السلفية الجهادية، بعنوان: «أليس منكم رجل رشيد»، الرابط:

http://justpaste.it/Abu_Ayman_Hamwi

اخترقت الجسد الثوري، بدءًا باللغة (جيش حر، وفصائل إسلامية)، وليس انتهاء بالشعارات (انتشر اعتبار علم الثورة علمًا للعلمانيين مقارنة بالرايات الإسلامية)، وخارج هذه الثنائيات الصانعة للهوية الأحادية داخليًّا، فقد كان تمايز الحركة عن السلفية الجهادية المعولمة، والأكثر تشدُّدًا أقلّ تصريحًا عن نفسه، لا بسبب عدم قناعة القادة بنقد التيار، أو أكثرية التيار المتشدد، وإنَّما تعود المسألة إلىٰ السياسة التعبوية، وأيديولوجيا المشروعية التي اتبعتها الحركة في التجنيد والتدريب، والتي لم تخرج عن دائرة (السلفية الجهادية)، ورموزها ومصطلحاتها وإشكالاتها، ما جعل القاعدة وتنظيم (دولة العراق) بالذات في المركز من هذه الدائرة التي ستقع فيها حركة تحاول الحفاظ علىٰ محليتها ووسطيتها في موقع الطرف الأضعف بالضرورة.

إنَّ الرأسمال الرمزي في المجال السلفي الجهادي (خاصة لدىٰ المؤدلجين حديثًا) أضحىٰ أكثر فأكثر مع قيام تنظيم داعش محسومًا سلفًا لمن يمتلك القدرة الأعلىٰ علىٰ تقديم الهوية الأكثر أحادية وإقصائية وتكفيرية، وهذا ما انتبه له قادة الحركة متأخرين لدىٰ موقف العناصر (ونسبة ليست قليلة من القيادات) من تنظيم داعش، فضلًا عن الموقف من قتاله، رغم أنَّ التنظيم استهدف الأحرار بالذات في بياناته وتجاوزاته قبل الحرب الموسعة عليه من قبل فصائل الثورة السُّوريَّة في بداية (٢٠١٤م)، هذا الاستهداف باعتبار أن الأحرار كان الفصيل الثوري الوحيد الذي له موقع معترف به أيضًا ضمن الوسط الجهادي، وبالتالي؛ فهو يهدد احتكارية التنظيم للمشروع والخطاب، ولكن هذا بالذات ما جعل موقف الأحرار أضعف خوفًا من تسرب عناصرهم نحو التنظيم إن أظهروا خطابًا ذا حدَّة أقلَّ ستعرَّف علىٰ أنها (تنازل) و(انبطاح) في فضاء خطابي تنبني المشروعية فيه علىٰ من يُقدِّم الحلول القصوىٰ والأكثر جذرية، وليس الأكثر شرعية بالضرورة.

فيما عدا اعتداءات التنظيم علىٰ الفصائل الثورية قبل الحرب الموسعة التي بدأها جيش المجاهدين ضده (٣ كانون الثاني ٢٠١٤م)، فقد اعتدىٰ التنظيم علىٰ الأحرار في أكثر من موقع، وأكثر من حادثة، ابتداءً من مقتل المسؤول الإغاثي في حركة أحرار الشام الإسلامية (أحمد فهمي نينال) بعد اعتقاله مع وفد إغاثي ماليزي (١٠ أيلول ٢٠١٣م)، ثم حادثة قطع رأس المقاتل في الحركة نفسها محمد فارس المروش أمام

العامة في حلب (١٣ تشرين الثاني ٢٠١٣م)، وصولًا إلىٰ أحداث مسكنة (٨ كانون الأول ٢٠١٣م)[١]، والتي كانت أول مواجهة مسلحة ما بين التنظيم وكتيبة تابعة للأحرار هي كتيبة مصعب بن عمير التي كان قائدها المهندس هاشم الشيخ الذي أصبح القائد العام لأحرار الشام (أيلول ٢٠١٤م)، ولم تحصل هذه الكتيبة إلَّا علىٰ مؤازرة معنوية وإعلامية من الحركة بينما استنفر التنظيم مؤازرات من مناطق متعددة، حتىٰ اضطر الأحرار للانسحاب، وسيطر التنظيم علىٰ مسكنة في ريف حلب الشرقي، وفي حوادث مسكنة تم اعتقال الطبيب حسين السليمان وتعذيبه حتىٰ الموت (٣١ كانون أول ٢٠١٣م)، والتمثيل بجثته، الحادثة التي أخذت ضجة عظيمة ضد التنظيم، وبدأت الحرب الموسعة عليه بعدها بيومين[٢].

ولم يتمكن الأحرار حتىٰ مع بداية الحرب الموسعة علىٰ تنظيم بداية (٢٠١٤م) من اتخاذ موقف جماعي بقتال التنظيم، ولا حتىٰ اتخاذ موقف واضح يجرده من شرعيته الجهادية، وانسحب مقاتلو الأحرار من أكثر من مدينة تجنُّبًا لقتال التنظيم بعد حرب فصائل الثورة عليه، كان أكثر هذه الحوادث مأساوية انسحاب مقاتلي الأحرار من مدينة الرقة في (كانون الثاني ٢٠١٤م) (اعتزالًا للفتنة) بعد ترك السلاح، وأخذ أمان من تنظيم الدولة للمرور من حواجزه، الاتفاق الذي انتهىٰ بمذبحة جماعية نفذها التنظيم بهم، وقتل يومها ما يزيد عن (١٢٠ مقاتلًا) من حركة الأحرار دون أن يقاتلوا.

هذا الخوف من البيت الداخلي، ومن فهم الحرب علىٰ الدولة كحرب علىٰ المهاجرين، انتقده حتىٰ بعض (المهاجرين) المقربين من الحركة، والذين كانت لهم مواقف نقدية عنيفة ضد تنظيم الدولة، وضد هشاشة موقف الفصائل الإسلامية منه.

---

(١) مقابلات خاصة للكاتب مع مقاتلين من كتيبة مصعب بن عمير، في إعزاز بريف حلب، في فترات متعددة من (شباط ٢٠١٥م).

(٢) للمزيد حول تجاوزات التنظيم بحق الفصائل وانتهاكاته حول المدنيين. انظر تقرير **الشبكة السُّوريَّة لحقوق الإنسان**، (تنظيم دولة العراق والشام):

http://snÇhr.org/arabic/2014/02/01/ %D8%AA%D9 %86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%AF %D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9 %82-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4 %D8 %A7%D9%85/

هذا الموقع الوسط للحركة بين الثورة والجهاديين، وعدم وضوح مشروع وخطاب موحد ومتماسك للحركة، وتأخير الإعلان عن موقف نقدي جذري من السلفية الجهادية في قضية التكفير والدولة وعولمة الصراع، وهو ما اصطلحنا علىٰ تسميته هنا بـ(**سياسة الدين المخبأ**)، تكرر لاحقًا مع جبهة النصرة، أو مع التيار المتشدد فيها، الأمر الذي ظهر جليًا بتوقيع ميثاق الشرف الثوري[1]، والذي أكَّد منطلقات (تتعلق بمحلية الصراع، ومرجعية الشريعة الإسلامية، والطموح لبناء دولة حديثة) سبق أن أكَّدتها بيانات الحركة نفسها سابقًا قبل طغيان الخطاب السلفي الجهادي علىٰ الفضاء الثوري، والذي حصل لدىٰ إعلان ميثاق الشرف الثوري، أنَّه بين الفصائل التي وقعت الميثاق (جيش المجاهدين، والاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، والجبهة الإسلامية، وفيلق الشام) كان الأحرار وحدهم من شعروا بالحاجة للدفاع عن موقفهم، وتبريره بالسياسة الشرعية، وهم وحدهم من كانوا مقصودين بالهجوم من طرف المناصرين لتنظيم القاعدة وقياداته في سوريا[2]، بينما كانت فصائل الجيش الحر الأخرىٰ الموقعة خارج صراعات الحقل الجهادي الرمزي، أو بلغة أخرىٰ خارج دائرة المزايدات هذه، وغير معنية بها لا إثباتًا ولا تبريرًا، مثلما كانت هذه الفصائل نفسها يوم القتال مع تنظيم داعش.

يمكننا في هذا السياق قراءة ميثاق الجبهة الإسلامية (مشروع أمة)، الذي يبدو مكتوبًا للرد بشكل مسبق علىٰ اتهامات ومزايدات تنظيم الدولة والتيار المتشدد من القاعدة، والموجَّه نحو الفضاء الجهادي العام، قبل أن يكون نحو الفضاء الثوري، أو السُّوري الذي طمحت الجبهة لتكون الجسد السياسي والعسكري الحامل والممثل لمشروعه، وبمقارنة ميثاق الجبهة الإسلامية الذي يضم الأحرار وفصائل متنوعة ما بين جيش حر غير مؤدلج وسلفية علمية تمثلها جيش الإسلام وغيرها، وما بين بيانات الحركة نفسها فيما قبل ظهور تنظيم الدولة؛ يمكن دون عناء ملاحظة الطابع المحلي

---

(١) ميثاق الشرف الثوري للكتائب المقاتلة، (١٧/ ٥/ ٢٠١٤م).

úÌÄîĦ https://www.youtube.com/watch?v=bbQ4uBuYNvs

(٢) أحمد أبازيد، «مسارات الإسلاميين السُّوريين الصعبة»، منتدىٰ العلاقات العربية والدولية، (١٧/ ٥/ ٢٠١٤م):

http://fairforum.org/?p=1882

الأكثر ظهورًا في البيانات الأولىٰ، رغم أنَّها تمثل حركةً نسبةُ السلفيين والجهاديين فيها أعلىٰ من نسبتهم في الجبهة الإسلامية.

وفي الحقيقة؛ فقد كان موقف الفصائل والشخصيات الإسلامية من التنظيم، المحكَّ الأهم لاختبار تماسك أيديولوجيا، وبنية الإسلاميين الجدد، ومدىٰ تحصين الحالة الثورية السُّوريَّة عامة، وهذا ليس موقفًا خاصًّا بحركة أحرار الشام أو الفصائل السلفية؛ لأنَّه حتىٰ ما قبل إعلان الحرب الموسعة علىٰ تنظيم داعش، فقد كانت المواقف الحادة والجذرية ضده من قبل المحسوبين علىٰ الإسلاميين معدودة ومحدودة وشبه معزولة عن المواقف العامة للإسلاميين مشايخ وفصائل[1].

هذا عدا عن الحياد السلبي الذي مارسته مجمل الفصائل أمام انتهاكات التنظيم بحق فصائل أخرىٰ، أو نشطاء ثوريين، والذي أوضح هشاشة الشعور بالتضامن الثوري، أو الواجب الحقوقي والشرعي، في وقت كان التنظيم فيه لا يزيد عن قوة أي فصيل متوسط العدد، خوفًا من الاتهامات ذات الصوت الأعلىٰ في فضاء هيمن عليه الخطاب الأقصىٰ، بدءًا من (طعن المجاهدين)، وانتهاء (بصحوات المرتدِّين)[2].

لقد مثَّلت حركة أحرار الشام بمراحل تطورها وتجديد رؤيتها ومراجعاتها تجربة

---

(١) وأحد هؤلاء الذين كان لهم موقف جذري مبكر من التنظيم كاتب هذه الورقة نفسه، وهذا التنويه ليس لغايات الفخر الشخصي بقدر ما هو لتوضيح أن هذه شهادة شخصية علىٰ هذه المرحلة التاريخية، ومواقف الفصائل الإسلامية المعلنة فيها قبل أن تكون استقراء لاحقًا بأثر رجعي، ولا بُدَّ من تنويه آخر وهو: أنَّه ضمن النقاشات الخاصة؛ فقد كانت مواقف قادة الفصائل الثورية والإسلامية عامة (وأولها الأحرار) ضد التنظيم ومشروعه أكثر جذرية بكثير ممَّا هو معلن وقتها.

(٢) رغم الاعتداءات الكثيرة والاعتقالات التي طالت عشرات النشطاء والإعلاميين في المناطق المحررة من قبل تنظيم (داعش) قبل الحرب الموسعة عليه بداية العام، إلَّا أنَّ الفصائل الثورية لم تتبنَ حماية الإعلاميين، أو ردع التنظيم عن اعتقالهم، رغم أنَّ الفرض النظري يشير إلىٰ أنَّ هذه الفصائل وهؤلاء النشطاء ينتمون إلىٰ تصنيف واحد بالنسبة إلىٰ لثورة أو التنظيم، وكان هناك موقف يتيم لكتيبة (أبو أيوب الأنصاري)، والتي انضمت إلىٰ جيش المجاهدين فور تشكله، تبنت حماية النشطاء الإعلاميين، وعرضت مقرها لإقامتهم فيه، وهذا لا ينفي أنَّ هذه الانتهاكات بحق الثوار كانت السبب الأهم في التجييش ضد التنظيم، وتبني الفئة الأوسع من المقاتلين للحرب عليه، لمشاهدة البيان. انظر: **كتيبة أبو أيوب الأنصاري تتبنىٰ حماية ناشطي حلب**، أورينت نيوز، (٢٩/ ١١/ ٢٠١٣م)، علىٰ الرابط:
https://www.orient-news.net/index.php?page=news_show&id=6431

جهادية محلية ومتجذرة ضمن المجتمع السُّوري، وبأهداف سياسية واضحة، وقناعة بالمشروع الإسلامي الحاضن للاختلاف والتنوع، وتجديدًا -نظريًا وحركيًا- لمفهوم الجهاد بمعناه السلفي خاصة، وكانت حجةَ الثوار السُّوريين أمام اتهامات التيار السلفي الجهادي المعولم لتحالفاتهم وأهدافهم، كما أنَّها تضمنت تيارات متباينة الموقف من نقد التيار السلفي الجهادي وقتال داعش، ولم تخلُ بعض فروعها ورموزها من تشدُّد، وإقصائية نظرية، أو تجاوزات وأخطاء عملية، إلَّا أنَّ الموقف الرسمي والعام في النهاية كان المسار التجديدي والثوري وتفضيل الانتماء إلىٰ (الأمة) علىٰ التقوقع ضمن (المنهج)[1]. ولا يعني نقد دور هذا النموذج من الفصائل المقاتلة (التي جمعت البعد الثوري والجهادي في خطابها، كما جمعت البعد المحلي والأيديولوجي في بنيتها)، في المساهمة بتهيئة أرضية خصبة للسلفية الجهادية وإشكالاتها ومزايداتها، إنَّ دورها كان سلبيًّا علىٰ طول الخط، فلا بد من توضيح إيجابية وجود بديل محلِّي ومعتدل للشباب الباحثين عن حاضن سلفي وجهادي، بل إنَّ النقد يبدأ أساسًا من أنَّ هذه الإيجابية لم تكتمل بحكم السكوت عن تبيين التمايز الواضح عن (البعد المعولم) للتيار أو (البعد الوحشي) للتنظيم، وأيضًا بعدم عملهم علىٰ توفير حاضن بديل (عن القاعدة، وتنظيم داعش) للمقاتلين غير السُّوريين الذين قاتل الآلافُ منهم الثورةَ (بحكم أيديولوجيا التكفير، وخطاب الردَّة) بشراسة توازي شراسة النظام، والميليشيات الشيعية ضدها، وكان أثرهم أكثر كارثية في جبهات تحررت من النظام مبكِّرًا.

وفي هذا السياق نفسه، سياق التحولات نتيجة هيمنة الخطاب الأقصىٰ وخضوع (الإسلاميين الجدد) لسلطته الرمزية، نقرأ الضجة التي ثارت علىٰ تويتر (الفضاء الجهادي الافتراضي الرسمي بعد عصر المنتديات) حول تصريحات قديمة مصورة لأحمد عيسىٰ الشيخ قائد ألوية صقور الشام، وأحد مؤسسي جبهة تحرير سوريا الإسلامية، ثم الجبهة الإسلامية، والتي تكلم فيها عن أن مفهوم الدولة الإسلامية لا يتعارض مع الدولة المدنية والمواطنة والانتخابات[2]، ما اضطر (الشيخ) نفسه أن

---

(١) أحمد أبازيد، يوم استشهد الأحرار، مصدر سابق.

(٢) يوتيوب، ويتكلم أحمد عيسىٰ الشيخ في هذا اللقاء عن نشأة وتوسع صقور الشام وتصوره السياسي:
https://www.youtube.com/watch?v=r4u6EQkK5bQ

يعلن توبته عنها، وفصَّل نموذجه الأكثر (سلفية) للدولة.

هذا لا يعني أنَّ مواقف النموذج الثاني (السلفية العلمية المحلية) الذي مثله جيش الإسلام، قدم مفهومًا أكثر مدنية أو حداثة للدولة، هذا فيما لو كان هذا مهمًّا وقت الحرب، ولكن الفارق المهمّ هنا، أنَّ الجيش قام علىٰ سلطة كاريزمية لقائده، وعلىٰ قيادة مركزية صلبة، وعلىٰ حاضنة شعبية متماسكة حوله، وتتمركز في دوما والغوطة الشرقية (وإن حاول التوسع في مدن أخرىٰ)، والبعد المحلِّي هنا أكثر حضورًا من الأحرار (حيث كان البعد الأيديولوجي أقوىٰ، وحيث اللامركزية القيادية)، وكذلك علىٰ أيديولوجيا واضحة تجاه الخصوم منذ البداية، وكانت تصريحات زهران علوش ومفتي الجيش (أبو عبد الرحمن كعكة) ضد جبهة النصرة[1]، وضد تنظيم الدولة سابقة علىٰ مجمل الفصائل (الإسلامية) الأخرىٰ، هذا إضافة إلىٰ بعد مركز الجيش عن جبهة الشمال المغرقة بالأيديولوجية والإقليم[2].

ونتيجة هذه العوامل، لم يشهد الجيش أي انقسام، أو انشقاق، أو اعتزال ملحوظ (كما حصل في الفصائل الأخرىٰ) لدىٰ قرار قتال تنظيم داعش في الغوطة، بل إنَّ

---

(١) انتشرت في وقت مبكر (مناظرة) مسربة لمفتي جيش الإسلام (أبو عبد الرحمن كعكة) التي ينتقد فيها جبهة النصرة بأحكام فقهية شرعية، تعتبرهم من (الخوارج) المسمىٰ الذي أطلق لاحقًا علىٰ تنظيم الدولة (داعش)، وأخذ هذا التسجيل المسرب ضجة واسعة في وقته أواخر (تموز ٢٠١٣م)، للاطلاع علىٰ هذه المناظرة المرفوعة علىٰ أجزاء في اليويتوب. انظر علىٰ الترتيب:

https://www.youtube.com/watch?v=jyOWOsNVFJo

https://www.youtube.com/watch?v=LQdRT7EygG

https://www.youtube.com/watch?v=HlçIX3k2ZzY

https://www.youtube.com/watch?v§B-z99VGM25A

https://www.youtube.com/watch?v=KfSpcBCnQZs

(٢) مع وجود كتائب تابعة للجيش في حلب وإدلب والساحل، ولكن يبقىٰ المركز الأوحد هو الغوطة الشرقية، ويُلاحظ أنَّه حتىٰ بالنسبة إلىٰ هذه الكتائب البعيدة عن المركز، إلَّا أنَّ التزامها بخطاب وأيديولوجيا جيش الإسلام ملاحظ، ما يعطي دليلًا آخر علىٰ قوة سياسة الدمج والاستدخال الصلب في المنظومة، ومركزية القيادة، وكاريزما القائد الحاضرة في بنية الجيش وتوسعه، وهو ما يجعل الجيش من حيث البنية والتماسك هو الأشبه بالبنية المتماسكة لتنظيم داعش، أو جبهة النصرة، مع افتراقه الواضح عنهم أيديولوجيًّا وثوريًّا.

المنشقين عن الجيش للانضمام إلىٰ تنظيم داعش كانوا أقلَّ حتىٰ ممَّن انتقلوا من فصائل الجيش الحر غير المؤدلجة إلىٰ التنظيم.

وإن كان لا بد من الإقرار أنَّ الجيش نفسه ساهم أيضًا في الانقسام والثنائيات نفسها التي عزلت (الإسلاميين) عن المحيط الثوري غير المؤدلج، من الانفصال في التصريحات عن مسمىٰ الجيش الحر، أو في الشعارات عن علم الثورة، وإن كان انضمام الجيش إلىٰ مجلس قيادة الثورة يفترض أنه تجاوز صريح لهذه الثنائيات.



داعش والتيارات القتالية

دراسات غربية

ترجمة

فهد حسنين	هيثم سمير
هند مسعد	مروة سامي
أحمد شاكر	خالد بن مهدي

أحمد البهنسي



(١)

أيديولوجية الدولة الإسلامية

من مجرد دولة افتراضية إلى الجهر بالخلافة[١]

لكول بونزل

ترجمة: هند مسعد

راجعها: فهد حسنين

(١) مشروع بروكنجز عن علاقات الولايات المتحدة مع العالم الإسلامي، ورقة بحثية، نشرت بتاريخ: ١٩ مارس ٢٠١٥.



المحتويات



شكر وعرفان

في البداية أتقدم بجزيل الشكر لويل مكانتس الذي كلَّفني بهذه الورقة البحثية ورحَّب بمساهمتي في مدونته، **جهاديكا** (*Jihadica*). يُعتبر ويل رائدًا في مجال الدراسات الجهادية، وأنا ممتن جدًّا لملاحظاته علىٰ المسودة الأولية من هذا البحث، وممتن كذلك لمساعدتِه كريستين أندرسون القائمة علىٰ التحرير.

كما أنني مدين بالشكر لاثنين مجهولين مِن أقراني من المراجعين واللذيْن دفعتني تعليقاتهما إلىٰ إعادة النظر في جزء كبير من هذه الورقة وإعادة صياغتها.

أنا مدين كذلك بالشكر للعديد من الزملاء في مجال التحليل السياسي في الولايات المتحدة وفي دول عدة حول العالم، أخص بالذكر كريستوفر أنزالون، ج. م. برجر، رومان كاييه، براين فيشمان، شادي حامد، توماس هيغهامر، سام هيللر، غريغ جونسون، تشارلز ليستر، آرون لوند، سعود السرحان، أيمن جواد التميمي، جوآس واجماكرز، آرون زيلين وآخرين غيرهم، حيث ساهمت أعمالهم حول الجهاد، والدولة الإسلامية، وتنظيم القاعدة في تعميق تناولي لهذه المواضيع أكثر مما يمكن للحواشي أن تشهد به.

أخيرًا، أتوجه بالشكر إلىٰ برنارد هيكل المشرف علىٰ رسالتي للدكتوراه في برنستون، علىٰ حكمته وتشجيعه منقطع النظير لي، أشكره كذلك علىٰ مساعدتي في سبر أغوار عالم الإسلام السلفي بما في ذلك الجهادية.

عن المؤلف

كول بونزل مُرشح لنيل درجة الدكتوراه في دراسات الشرق الأدنىٰ من جامعة برينستون، حيث تتناول رسالته تاريخ الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية. كتب بونزل بشكل مكثف عن الأيديولوجية الجهادية، والدولة الإسلامية، والقاعدة، وله مساهمات في مدونة جهاديكا. تتضمن خبرته في الشرق الأوسط، زمالته لمركز الدراسات العربية في الخارج، دمشق، سوريا.. ومركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية.

سابقًا، شغل بونزل مناصب في مؤسسات بحثية وحكومية متعلقة بسوريا والعراق، وحصل علىٰ درجة الماجستير في العلاقات الدولية من كلية الدراسات الدولية المتقدمة في جامعة جونز هوبكنز، كما حصل علىٰ درجة البكالوريوس في دراسات الشرق الأدنىٰ من جامعة برينستون.

إلى القارئ

يُشير مصطلح «الدولة الإسلامية» هنا إلىٰ الجماعة التي كانت تُعرف باسم الدولة الإسلامية في العراق (من أكتوبر ٢٠٠٦ وحتىٰ أبريل ٢٠١٣)، وإلىٰ الدولة الإسلامية في العراق والشام (من أبريل ٢٠١٣ إلىٰ يونيو ٢٠١٤)، وإلىٰ الدولة الإسلامية (من أول ٢٠١٤ وحتىٰ الآن. هذا الاختزال يتوافق مع التسمية المختصرة التي تعطيها الجماعة لنفسها بأنها «الدولة الإسلامية»، أو «الدولة» فقط، وذلك منذ عام ٢٠٠٦. وغرضي هنا هو أن أتماشىٰ مع تسمية الجماعة لنفسها، وأن أركز علىٰ تصورها بأنها قائمة منذ عام ٢٠٠٦، وليس الغرض أن أكون دوغمائيًا.

معظم النصوص الأولية المقتبسة هنا مأخوذة من الإنترنت، وكل الروابط كانت لا تزال تعمل حتىٰ ديسمبر ٢٠١٤، وقد حافظت علىٰ نسخة أرشيفية لجميع الروابط في حال توقف أحدها عن العمل.

النصوص العربية منسوخة بالأحرف اللاتينية بالكامل في الحواشي وليس في النص الرئيس.



مُقَدِّمَة

«وإنَّ الدولة تفتح أبوابها لكل سائلٍ أو مُستفسرٍ، أو مُناظرٍ أو عائبٍ أو منكرٍ لأيِّ مسألةٍ في منهج وسياسة الدولة أو أيِّ عملٍ قامت به، وتدعو كل هؤلاء للمحاورة والمناقشة لبيان أيِّ شُبهةٍ أو تُهَمة، وكشف زيف الدعايات المُوجَّهة والملصقة بالدولة؛ وذلك بالحجة والبرهان عبر الدليل الشرعي والتأصيل العلمي لكل طالبٍ للحقِّ باحثٍ عن الحقيقة، وأمَّا أن تنظروا بعين العداوة وتسمعوا بأذن الحقد ثُمَّ تحكمون علىٰ منهج الدولة من خلال وسائل إعلام أعدائنا وأبواق الطواغيت، فماذا تنتظرون منَّا؟!». [أبو محمد العدناني، المتحدث الرسمي باسم الدولة الإسلامية، ٢١ مايو ٢٠١٢][١].

علىٰ الرغم من العناوين الرئيسة اليومية المتعلقة بالدولة الإسلامية، إلا أنَّ الغموض لازال يكتنفها في نظر العديد من الناس. وبحسب اعتراف الجنرال مايكل ك. ناجاتا، قائد العمليات الخاصة في القيادة المركزية الأمريكية، في أواخر ديسمبر ٢٠١٤: «نحن لا نفهم الجماعة -يقصد الدولة الإسلامية- وقبل أن نفهمها، لن نستطيع هزيمتها»، وعن أيديولوجية الجماعة علَّق قائلًا: «**نحن لم نهزم الفكرة؛ لأننا لم نفهمها حتىٰ الآن**»[٢].

هذا هو ما تنطلق منه هذه الورقة البحثية وما يشكل محتواها: «**أيديولوجية الدولة الإسلامية**».

يُعتبر الشعور بالغموض الذي يكتنف الجماعة بشكل ما مفهومًا. فبينما لا تعد الجماعة جديدة، حيث نشأت عام ٢٠٠٦، إلا أنَّ الدولة الإسلامية بدا وكأنها ظهرت

---

(١) أبو محمد العدناني - «إنما أعظكم بواحدة»- مؤسسة الفرقان، ٢١ مايو ٢٠١٢.

(٢) Eric Schmitt, *In Battle to Defang ISIS, U.S. Targets Its Psychology*, The New York Times, 28 December 2014.

من العدم في ٢٠١٣-٢٠١٤. في أبريل ٢٠١٣ فقط أصبحت الجماعة ـ المعروفة علىٰ أنَّها الدولة الإسلامية في العراق ـ محط اهتمام دولي باعتبارها أكثر من مجرد فرع لتنظيم القاعدة في العراق. وبالإعلان عن توسعها لتشمل الشام، أطلقت الدولة الإسلامية علىٰ نفسها اسمًا جديدًا وهو «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، (داعش)، وبذلك أعادت تقديم نفسها إلىٰ العالم. وبعد حصولها علىٰ الموارد والمجندين والزخم، ضاعفت الجماعة جهودها في العراق واستولت علىٰ معظم المناطق السنية في هذا البلد في يونيو ٢٠١٤. أعلنت الدولة بعد ذلك الخلافة، أو الإمبراطورية الإسلامية العالمية، طارحة عن اسمها «العراق والشام» في إشارة إلىٰ طموحها التوسعي خارجهما.

صاحَب الصعود الدراماتيكي للدولة الإسلامية أحداث صادمة وغير متوقعة، إلا أن الجماعة وأيديولوجيتها كانت واضحة للعيان علىٰ مدار ما يقرب من ثماني سنوات. وبشكل متكرر، وعبر تسجيلات صوتية مطولة بشكل يدعو إلىٰ الملل، علق قادتها علىٰ مواضيع سياسية ودينية متعددة بُثَّت (منذ عام ٢٠٠٦ وحتىٰ ٢٠١٠)(١)، ومن خلال هذه الدعاية الذاتية بات جليًا ما الذي تتبناه الدولة الإسلامية وما الذي تسعىٰ لتحقيقه. **لقد كان عرض أيديولوجية الدولة الإسلامية واضحًا وضوحًا تامًا بلا أي مواربة.**

هذا الغموض الذي اكتنف الدولة الإسلامية كان نتيجة عدم الاهتمام بها قبل ٢٠١٣. لقد كان الاعتقاد السائد، في كل من الشرق الأوسط والغرب، هو أن تنظيم القاعدة في العراق قد قام بتغيير اسمه فقط إلىٰ الدولة الإسلامية في العراق عام ٢٠٠٦ .**وقد بات جليًا الآن أنَّ دلالة تغيير الاسم كانت أعظم مما كان مقدرًا في ذلك الوقت. فقد كان تغيير الاسم مؤشرَ انطلاق مشروع سياسي توسعي** هو إقامة دولة في

(١) تم تجميع هذه الإصدارات في كتاب «المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية» مِن قِبل نخبة الإعلام الجهادي في ٢٠١٠.

https://archive.org/download/Dwla_Nokhba/mjdawl.doc

الكتاب يحتوي علىٰ (٣٨) خطبة لاثنين من كبار قادة الجماعة هما: (أبو حمزة المهاجر، وأبو عمر البغدادي) قُتل الاثنان في أبريل ٢٠١٠، ويحتوي أيضًا علىٰ ما يقرب من (١٧) ساعة من الخطابات الصوتية، و(٢٠٠) صفحة مطبوعة.

العراق ـ دولة خلافة مبدئية ـ والتي سيكون من شأنها التوسع عبر المنطقة معلنة نفسها دولة الخلافة الإسلامية، والمضي قدمًا لغزو بقية العالم. لقد مر المدىٰ الحقيقي لهذه الطموحات غالبًا دون أن يلاحظه أحد[1].

لقد تعرض التكرار الأول لمشروع إقامة الدولة الإسلامية لفشل ذريع. وقد ظهرت الدولة الإسلامية، التي أسَّس لها تنظيم القاعدة في العراق، في وقت كان فيه التمرد السني يفقد زخمه بسرعة شديدة. فالإعلان عن الدولة، والذي يهدف إلىٰ حشد قوة المقاتلين المتمردين، لم يُقابل بحماسة كبيرة. وكانت الدولة الإسلامية في العراق لتبقىٰ، لكنها ظلت في حالة من الخلل لسنوات. وبحلول وقت مغادرة آخر القوات الأمريكية للعراق في نهاية ٢٠١١، كانت الدولة الإسلامية فاعلًا سياسيًّا مهمَلًا علىٰ ما يبدو. لكن في عام ٢٠١٢ ظهرت الدولة الإسلامية مرة أخرىٰ في محاولة شجاعة لتنفيذ ما بدأت في تنفيذه من ست سنوات.

*** تشرح هذه الورقة الملامح الرئيسة لأيديولوجية الدولة الإسلامية متتبعة مسارها التاريخي بدقة:**

- **الجزء الأول**: (المعتقدات)، ويتناول المعتقدات الدينية والسياسية الأساسية للجماعة، ويضعها في السياق الأوسع للفكر السياسي الإسلامي.

- **الجزء الثاني**: (التطور)، ويفحص التاريخ الأيديولوجي للدولة الإسلامية، بما في ذلك مناظرات الجهاديين أنفسهم حولها، في أربع مراحل واضحة:

المرحلة الأولىٰ: مرحلة نشوء فكرة الدولة الإسلامية فيما يعد باكورة الزرقاوي (٢٠٠٢-٢٠٠٦) وهي فترة صعود الجهاد في العراق تحت قيادة أبو مصعب الزرقاوي (تُوفي ٢٠٠٦).

المرحلة الثانية: هي مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية في العراق (٢٠٠٦-٢٠١٣)،

---

(١) يُعتبر هذا العمل استثناء:

Brian Fishman, *Fourth Generation Governance: Sheikh Tamimi Defends the Islamic State of Iraq*, Combating Terrorism Center, 23 March 2007.

وهي محاولة فاشلة بشكل كبير لإنشاء الدولة والتي تزامنت مع حالة من ضعف الجهاد في البلاد.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة الدولة الإسلامية في العراق والشام (٢٠١٣-٢٠١٤) والتي شهدت النجاح المتأخر لفكرة الدولة الإسلامية من خلال توسع الجماعة لتشمل سوريا.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة الدولة الإسلامية باعتبارها الخلافة الصريحة (٢٠١٤-الآن)[١].

وعملًا بنصيحة العدناني الواردة في الاقتباس أعلاه، فالمصادر المعتمد عليها في هذه الورقة هي بشكل أساسي مصادر الدولة الإسلامية نفسها. كذلك، يحتوي الملحق علىٰ ترجمة للتصريحات الرسمية للدولة الإسلامية وشرح الدولة لمعتقداتها.

---

(١) لدراسة تاريخ الدولة الإسلامية بشكل موسع انظر: ورقة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز في الدوحة بتاريخ ١٣ نوفمبر ٢٠١٤ تحت عنوان: Profiling the Islamic State - *Charles Lister*.
http://www.edu/ /media/Research/Files/Reports/2014/11/profiling%20islamic%20state%20lister/en_web_lister.pdf

الجزء الأول

(المعتقدات)



الطابع السَّلفي الجهادي للدولة الإسلامية

«أُمَّتي الغالية! كما أنَّنا لم نكذب علىٰ الله عندما أعلنَّا دولة الإسلام، لا نكذب علىٰ الله عندما نقول إنَّها باقية.. باقية رغم كل التعتيم والتضليل والطعن والتشوية، باقية رغم كل الشدائد والعقبات والمِحن، ورغم كل مكائد أعداء الإسلام في الداخل والخارج باقية.. باقية علىٰ عقيدتها ومنهجها لم ولن تبدل أو تحيد إن شاء الله».

[أبو بكر البغدادي، زعيم الدولة الإسلامية، ٢١ يوليو ٢٠١٢][1].

يُحرك عدد كبير من العوامل أفراد الدولة الإسلامية، ومع ذلك، فليس كل الأفراد مدفوعين بأيديولوجية الجماعة التي يدعمونها أو حتىٰ علىٰ علم بها. إلا أن الدولة الإسلامية ككيان سياسي لا يمكن تصور حقيقتها بمنأىٰ عن أيديولوجيتها. فالقيادة العُليا للجماعة، والتي تبدو كل ظهوراتها الإعلامية مدفوعة أيديولوجيًا، هي التي تحدد سياسات واتجاهات الجماعة. ومن هنا كان لِزامًا علينا النظر بجدية لمضمون أيديولوجية الدولة الإسلامية. وينبغي فهم الأيديولوجية علىٰ مستويين؛ **المستوىٰ الأول**: هو السلفية الجهادية، وهي المدرسة التي تنتمي إليها الجماعة في الفكر السياسي الإسلامي. **المستوىٰ الثاني**: هو التوجه المتشدد الذي تتخذه الدولة الإسلامية داخل هذه المدرسة، وهو ما يجعلها اليوم مختلفة إلىٰ حد كبير عن تنظيم القاعدة.

★ السَّلفية الجهاديَّة:

مثلها مثل القاعدة ترتبط الدولة الإسلامية بحركة في الفكر السياسي الإسلامي تعرف بالسلفية الجهادية، وتختصر إلىٰ الجهادية. ويعلن قادة الجماعة ولاءهم

---

(١) أبو بكر البغدادي - «ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره»- مؤسسة الفرقان، ٢١ يوليو ٢٠١٢.
https://ia601207.us.archive.org/14/items/2b-bkr-bghdd/143393.pdf

صراحة لتلك الحركة. علىٰ سبيل المثال، في عام ٢٠٠٧، وعبر تسجيل صوتي، خاطب زعيم الدولة الإسلامية وقتها، أبو عمر البغدادي، أهل السنة بشكل عام وشباب **السلفية الجهادية** علىٰ وجه الخصوص، في جميع أنحاء العالم[١]. وفي العام نفسه، وصف نائبه مقاتلي الدولة الإسلامية بأنهم جزء من «**تيار السلفية الجهادية**»[٢].

ولم تكن هذه الكلمات كلمات فارغة، فالسلفية الجهادية حركة أيديولوجية مستقلة في الفكر الإسلامي السني. وهي تشمل شبكة عالمية من العلماء، والمواقع الإلكترونية، ووسائل الإعلام، ومؤخرًا، عددًا لا يُحصىٰ من المؤيدين علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي. تستند الحركة علىٰ قراءة متطرفة وغير شائعة للنصوص الإسلامية تتسم بالتزمت في قراءة النص وتمتد جذورها إلىٰ التراث الديني ما قبل الحداثي، وتدرس بشكل مكثف من قِبل مجموعة معروفة من المرجعيات الدينية. وفي الآونة الأخيرة فقط أصبح تيار السلفية الجهادية، إلىٰ جانب نشأة مدرسة الجهاد، مواضيع للدراسات والأبحاث الأكاديمية الجادة[٣].

★ البُعدُ الإخوانـيُّ:

ساهم اثنان من التيارات الفكرية الإسلامية في ظهور المدرسة الجهادية في وقت متأخر من القرن العشرين. التيار الأول مرتبط بجماعة الإخوان المسلمين في مصر. تأسست جماعة الإخوان علىٰ يد حسن البنا عام ١٩٢٨ كحركة سياسية تهدف إلىٰ الفوز بالسلطة وتولي مقاليد النفوذ في المجتمع، والسيطرة علىٰ الدولة، إلَّا أن جماعة **الإخوان لـم تكن أبدًا علىٰ هذا القدر من الصرامة العقدية التي يُظهرها الجهاديون.**

---

(١) أبو عمر البغدادي -«وإن تنتهوا فهو خير لكم»- مؤسسة الفرقان ٨ يوليو ٢٠٠٧.
موجودة في كتاب «المجموع»: (ص/ ٢٦- ٣٥).

(٢) أبو حمزة المهاجر- «قل موتوا بغيظكم» - مؤسسة الفرقان ٥ مايو ٢٠٠٧.
موجودة في كتاب «المجموع»: (ص/ ١٤٧- ١٥٢).

(٣) يمكنك العودة للمراجع الآتية:
Daniel Lav, *Radical Islam and the Revival of Medieval Theology*, (Cambridge: Cambridge University Press, 2012), and Joas Wagemakers, *A Quietist Jihadi: The Ideology and Influence of Abu Muhammad al-Maqdisi*, (Cambridge: Cambridge University Press, 2012).

وجماعة الإخوان المسلمين حركة سُنيّة التكوين بشكل حصري، لكنها لا تعادي بشكل حاقد الطوائف الإسلامية الأخرىٰ مثل الشيعة أو التوجهات الأخرىٰ مثل الصوفية. بزوغ الجماعة جاء كرد فعل لصعود الإمبريالية الغربية وما ارتبط بها من تدهور ممارسة الإسلام في الحياة العامة للمسلمين، وهي الاتجاهات التي سعت الجماعة إلىٰ تغييرها من خلال النشاط الإسلامي علىٰ مستوىٰ القواعد الشعبية.

أيدت جماعة الإخوان عودة الخلافة كنظام مثالي لحكم العالم الإسلامي، وهي الفكرة التي كانت رائجة في أوائل القرن العشرين. وبسقوط الخلافة العثمانية، سعىٰ العديد من القادة والجماعات الإسلامية من شمال أفريقيا، مرورًا بالجزيرة العربية، ووصولًا إلىٰ جنوب شرق آسيا وحول العالم ككل لإعادة تأسيس دولة الخلافة(١). إلا أن تركيز جماعة الإخوان المسلمين علىٰ مسألة الخلافة كان ذا أهمية خاصة، فأوائل الجماعات الجهادية ومنظروها الأيديولوجيون قد خرجوا من تحت عباءة الإخوان المسلمين. ويبدو أنَّ الطموحات الجهادية الراغبة في إعادة إحياء الخلافة مستمدة من الإخوان المسلمين.

تحدَّث مؤسس جماعة الإخوان طويلًا عن مسألة الخلافة، وقد أورد في إحدىٰ العبارات: «يقتضي الإسلام الْتفاف المجتمع الإسلامي حول قائد واحد، وهذا القائد هو زعيم الدولة الإسلامية، كما يحرم الإسلام تقسيم المجتمع الإسلامي إلىٰ عدة دول»(٢)، ويقول البنا في عبارة أخرىٰ: «تضع جماعة الإخوان المسلمين فكرة الخلافة والعمل علىٰ إعادة إحيائها في مقدمة خططها»(٣).

إلا أنه في الممارسة العملية، كما أورد أحد المؤرخين، أظهرت جماعة الإخوان

---

(١) Madawi Al-Rasheed, Carool Kersten, and Marat Shterin, The Caliphate: *Nostalgic Memory and Contemporary Visions, in Demystifying the Caliphate*, ed. Al-Rasheed, et al (London: Hurst & Co., 2013), 1-30.

(٢) منقول من كتاب «النظام السياسي في الإسلامي» - لمحمد عبد القادر أبو فارس.
(Jordan: n.p., 1980), 169.

(٣) حسن البنا، «مجموع رسائل الإمام الشهيد حسن البنا» (بيروت - دار الأندلس ١٩٦٥): (ص/ ٢٨٤- ٢٨٥).

المسلمين «لامبالاة نسبيَّة» بمسألة العمل علىٰ استعادة الخلافة بالفعل[١]. لقد كانت مسألة بناء خلافة هدفًا علىٰ المدىٰ البعيد وليست هدفًا عاجلًا. اعترف البنا نفسه أن تأسيس دولة الخلافة يتطلب عملًا حركيًا كثيرًا بما في ذلك عقد مؤتمرات وتشكيل أحزاب سياسية وتكوين تحالفات في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ومع ذلك، تستمر **الأحاديث المثالية** عن دولة الخلافة في حوارات الإخوان المسلمين، ولازالت بعض حواراتهم تتناول الفكرة حتىٰ الآن. ففي عام ٢٠١٢ تحدث المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين عن إقامة «الدولة الإسلامية»[٢].

★ البُعدُ السَّلفيُّ:

تعتبر السلفية هي التيار الثاني المؤثر في أيديولوجية الدولة الإسلامية، وهي في المقام الأول حركة عقائدية علىٰ المذهب السُّنِّي معنية بتزكية الإيمان[٣]. تركز السَّلفية كذلك علىٰ القضاء علىٰ «الشرك»، والتأكيد علىٰ وحدانية الله «التوحيد». وينظر السلفيون إلىٰ أنفسهم علىٰ أنَّهم وحدهم المسلمون حقًّا، معتبرين غيرهم مِن مَن يُمارسون الشرك الأكبر خارجين عن حدود الملَّة. فكل مَن يعبد -أو ينظر إليه علىٰ أنه يعبد- حجرًا أو قديسًا أو قبرًا يُعتبر مرتدًا وخارجًا عن الملَّة. وعند الكثير من السلفيين، يشمل هذا التصنيف الشيعة ومن يمارسون الديمقراطية، فيُشرك الشيعة بتقديسهم المفرط لآل النبي محمد، إلىٰ جانب أمور أخرىٰ، بينما يُشرك الديمقراطيون

---

(١) Richard Mitchell, *The Society of the Muslim Brothers*, (London: Oxford University Press, 1969), 235.

(٢) كتب محمد إسماعيل ومحمد حجاج في اليوم السابع بتاريخ ٢٩ ديسمبر ٢٠١١، «بديع: الخلافة الراشدة وإحياء دولة الإسلام والشريعة هدف الإخوان».

http://www.youm7.com/news/newsprint?newid = 565958

(٣) للمزيد حول السلفية راجع:

Bernard Haykel, *On the Nature of Salafi Thought and Action, in Global Salafism: Islam's New Religious Movement*, ed. Roel Meijer (London: Hurst, 2009). The term Salaf? derives from al-salaf al-s?lih,. meaning "the venerable ancestors" of the first generations of Islam whom Salafis seek to emulate.

بإسناد «شركاء» لله في التشريع؛ والذي يعد حقًا مقصورًا علىٰ المشرع الإلهي وحده[١].

إن ثمة أصلًا فكريًا سلفيًا مميزًا يمتد إلىٰ العصور الوسطىٰ. ويشكل فقه العالم السوري الحنبلي ابن تيمية (تُوفي ١٣٢٨) وطلابه المتنَ العقائديَّ الأساسي للسلفيَّةِ.

لاحقًا، خرج مفكرون سلفيون مهمون من الحركة الوهابية، وهي فرع من السلفية تأسَّست في شبه الجزيرة العربية علىٰ يد محمد بن عبد الوهاب (تُوفي ١٧٩٢). وفي أواخر القرن الثامن عشر، حدث تزاوج بين الوهابية والنظام السياسي السعودي وتظل كذلك حتىٰ يومنا هذا. ساعد السعوديون الوهابيين في فرض رؤيتهم الدينية في جميع أنحاء المملكة عن طريق إعلان الجهاد للقضاء علىٰ شرك مَن يُنظر لهم علىٰ أنهم زنادقة ونشر التوحيد. شمل الجهاد الوهابي تدمير المقابر والأضرحة وفرض الطقوس الدينية الصحيحة، إضافة إلىٰ تطهير الإسلام من المذهب الشيعي.

فما يغذي العنصرية المعادية للشيعة في الحركات الجهادية مستمد من العداء التاريخي للسلفيَّة تجاه الشيعة[٢]، فعلىٰ سبيل المثال، عام ١٧٩٢، شنَّت القوات الوهابية السعودية هجومًا علىٰ مركز للشيعة في الأحساء شرق جزيرة العرب للقضاء علىٰ الممارسات الشيعية هناك[٣]. وفي وقت لاحق، عام ١٨٠١، حاصر الوهابيون اثنتين من المدن المقدسة عند الشيعة «النجف، وكربلاء» وقتلوا عدة آلاف[٤]. وفي عام ١٩٢٧، سعىٰ كبار علماء المملكة العربية السعودية إلىٰ إجبار الشيعة في الإقليم الشرقي علىٰ «التحول» إلىٰ المذهب السني أو طردهم من البلاد[٥]. ولم تعد المملكة

---

(١) ربما يمكن نسبة هذا التصور كتصور سائد عند السلفية الجهادية، أما باقي الاتجاهات السلفية الأخرىٰ فلا يمكن أن ننسب لهم هذا الموقف الشامل حول تكفير عموم الشيعة وممارسي الديمقراطية. (المحرر)

(٢) السلفيون ليسوا أبدًا التيار السني الوحيد الذي يُكِنُّ العداء للشيعة علىٰ مر التاريخ الإسلامي، إلا أنهم جعلوا معاداة التشيع أحد ملامح هويتهم الرئيسة.

(٣) George S. Rentz, *The Birth of the Islamic Reform Movement in Saudi Arabia* (London: Arabian Publishing, 2004), 227.

(٤) Yitzhak Nakash ،*The Shi'is of Iraq* (Princeton: Princeton University Press, 1994), 28.

(٥) Guido Steinberg, *Jihadi-Salafism and the Shi'is: Remarks about the Intellectual Roots of AntiÙShi'ism*, in Global Salafism, 114-115.

العربية السعودية بشكلها الحديث تطارد الشيعة، إلّا أنَّ المشاعر المعادية للشيعة لا زالت تسري في أعماق السلفية[١].

★ نُشوءُ المدرسة الجهادية:

شهد الشرق الأوسط في العقود الأخيرة من القرن العشرين صعود الجماعات الإسلامية العنيفة، متأثرة بنشاط جماعة الإخوان المسلمين وإقصائية السلفية. وتعتبر هذه الجماعات -بما فيها جماعة الجهاد الإسلامي المصرية والجماعة الإسلامية في مصر، والجماعة الإسلامية المسلحة والجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر- باكورة الجماعات السلفية الجهادية الموجودة اليوم. علىٰ المستوىٰ الأيديولوجي، كان مصدر الإلهام الرئيس هو **سيد قطب**، منظر أيديولوجي غزير الإنتاج كان يدعو إلىٰ طراز ثوري راديكالي من نشاط الجماعة. كانت هذه الجماعات تسعىٰ للإطاحة بالحكومات القائمة واستبدالها بدول إسلامية. وقد تبنَّىٰ **تنظيم القاعدة** أيديولوجية مشابهة لكنه دعا إلىٰ استراتيجية مختلفة، وهي التركيز علىٰ مهاجمة الولايات المتحدة كخطوة أولية لإقامة الدولة الإسلامية في الشرق الأوسط. وكان قائد تنظيم القاعدة **أسامة بن لادن**، يتحدث كثيرًا عن استعادة دولة الخلافة[٢].

وبالتزامن مع صعود هذه الجماعات، كانت هناك شبكة فضفاضة جدًّا من الدعاة المستقلين الذين وفروا المادة الأيديولوجية للجماعات الجهادية الناشئة. وساعدت مؤلفات بعض الدعاة مثل الفلسطيني/الأردني **أبو محمد المقدسي**، والسوري **أبو بصير الطرطوسي** في ضبط وتيرة حركة هذه الجماعات[٣]. تأثر هؤلاء الدعاة في

---

(١) وتجدر الإشارة إلىٰ أن العديد إن لم يكن معظم السلفيين اليوم يؤيدون عدم ممارسة السياسة، «مجادلين بأن كل صور التنظيم والعمل السياسي الصريحة، فضلًا عن ممارسة العنف، هي أمور محرمة... إضافة إلىٰ أن طاعة الحكام المسلمين، حتىٰ الظالمين منهم، واجبة شرعًا». ينظر:

Haykel, *On the Nature of Salafi Thought and Action*, 48-50.

(٢) راجع مثلًا:

Messages to the World: The Statements of Osama Bin Laden, trans. Bruce Lawrence (New York: Verso, 2005), 121.

(٣) راجع:

Wagemakers, *A Quietest Jihadi, and Between Purity and Pragmatism? Abu Basir*

البداية بسيد قطب والإخوان المسلمين، لكن بمرور الوقت نأوا بأنفسهم عنه، وتبنَّوْا منحىٰ سلفيًّا. وأدىٰ تركيز هؤلاء الدعاة علىٰ الجوانب الأشد عنفًا في السلفية إلىٰ نشوء السلفية الجهادية.

وهكذا، كان البعد السلفي يُهيمن علىٰ الحركة الجهادية علىٰ نحو متزايد خلال العشرين سنة الماضية[١]. ونتيجة لذلك، أصبح من النادر الإشارة أو إيراد اقتباسات لكُتَّاب الإخوان المسلمين؛ الذين يعدون غير ملتزمين بالعقيدة الإسلامية بحسب رؤية السلفيين. وبدلًا عن ذلك، أصبحت كتابات ابن تيمية ودعاة الوهابية هي العمود الفقري الأيديولوجي لهذه الحركات.

⋆ الطابعُ الجهاديُّ السَّلفيُّ للدولةِ الإسلاميَّةِ:

لو حاولنا وضع الجهادية علىٰ طيف سياسي، فسنجد أنَّ تنظيم القاعدة يقع إلىٰ يسار الطيف والدولة الإسلامية إلىٰ يمينه. فمن حيث المبدأ، تلتزم كلتا المجموعتين بالعقيدة السلفية وتضربان مثالًا حيًّا علىٰ الطبيعة السلفية المتنامية للحركة الجهادية. ولكن الدولة الإسلامية تفعل الأمر نفسه بشكل أكثر تزمتًا. فعلىٰ عكس تنظيم القاعدة، تعد الدولة الإسلامية متصلبة جدًّا فيما يتعلق بالمسائل العقائدية، معطية الأولوية لإنشاء طراز عديم الرحمة من الفكر السلفي.

يُعزىٰ تبني الدولة الإسلامية لهذه النسخة شديدة التطرف من الجهادية السلفية إلىٰ أبي مصعب الزرقاوي، مؤسس تنظيم القاعدة في العراق والذي درس العقيدة الإسلامية مع الداعية الجهادي البارز أبو محمد المقدسي. كذلك، يعتبر القادة الأوائل للدولة الإسلامية، أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر، حُماة أقوياء للسلفية الجهادية. واستلهمت خطبهم بشكل كبير من المرجعيات السلفية المعتمدة

= *alÙTartusi's Nuanced Radicalism, in Jihadi Thought and Ideology*, ed. R■diger Lohlker and Tamara Abu-Hamdeh (Berlin: Logos Verlag, 2014), 16-36.

وحول دور علماء الجهادية في رسم المسار الفكري للحركة، راجع:

Lav, *Radical Islam*, 2-3, 170-171, and passim.

(١) Lav ،*Radical Islam*, 168-172.

وكان الكثير منها من التراث الوهابي[1]. حتىٰ أنَّ المتحدث الرسمي الحالي باسم الدولة الإسلامية، أبا محمد العدناني، درَّسَ كتابات محمد بن عبد الوهاب لأقرانه من الجهاديين[2]. أظهر فيلم وثائقي للدولة الإسلامية من إصدار Vice عام ٢٠١٤ شاحنة دعائية تطوف الرقة في سوريا، تغطيها ملصقات للتعاليم الوهابية[3]. كما أنَّ بعضًا من إصدارات الدولة الإسلامية لا تزيد عن كونها عبارة عن اقتباسات طويلة من دعاة وهابيين[4].

تركز نصوص وخطب الدولة الإسلامية علىٰ عدد من المفاهيم العقائدية، يأتي في مقدمتها: وجوب ارتباط جميع المسلمين بالمسلم «الحق» ونبذ كل مَن لا يندرج تحت هذا المفهوم الضيق؛ وهذا المسلم «الحق» هو المتمسك بالمبادئ الآتية:

- عدم الحكم بما أنزل الله = يعني عدم الإيمان.
- كُلُّ مَن يُحارب الدولة الإسلامية = مرتد.
- كُلُّ المسلمين الشيعة - مرتدون ويستحقون الموت.
- الإخوان المسلمون وحماس = خونة وضد الإسلام ..، ومبادئ أخرىٰ كثيرة[5].

والجدير بالذكر: أنَّ الدولة الإسلامية تعزو هذه المفاهيم إلىٰ التراث السلفي الأدبي، وهي أكثر دوغمائية في تطبيقها من القاعدة.

---

(١) انظر «المجموع»، بعض علماء الوهابية يتم الاستشهاد بهم أكثر من محمد بن عبد الوهاب نفسه، مثل حمد بن عتيق (تُوفي ١٨٨٤) وعبد الرحمن بن سعدي (تُوفي ١٩٦٥).

(٢) تركي البنعلي- «اللفظ اللساني في ترجمة العدناني»- ٢٦ مايو ٢٠١٤-
http://www.gulfup.com/? ziPYqa.

(٣) مصادر أخبار الدولة الإسلامية في أغسطس ٢٠١٤.
https://news.vice.com/show/the-islamic-state

(٤) راجع مثلًا: كتاب «الطاغوت»، مكتبة الهمة، ٢٠١٣:
https://www. archive.org/Hima-Library/taghout_web.pdf
وهو عبارة عن اقتباسات مجمعة لمحمد بن عبد الوهاب وعبد الله أبابطين (تُوفي ١٨٦٥)، وسليمان بن سحمان (تُوفي ١٩٣٠)، وعبد الرحمن بن قاسم (تُوفي ١٩٧٢).

(٥) انظر «المجموع»: (ص/ ٧٠ - ٧٥، ١٥، ٨٢، ١٤، ٣٧ - ٣٨، و ٦٠).

يحمل النهج الجهادي للجماعة بصمة سلفية واضحة. تراثيًا، تبنىٰ الجهاديون، بما فيهم القاعدة: «الجهاد الدفاعي»، مصورين أعمالهم المسلحة علىٰ أنها دفاعية[١]. إنهم يرون أنَّ الشرق الأوسط يتعرض لهجوم مِن قِبل الحكام العلمانيين «المرتدين»، والغرب الصليبي الداعم لهم. وتؤيد الدولة الإسلامية هي الأخرىٰ الجهاد الدفاعي. وكما أورد قائد الدولة الإسلامية أبو عمر البغدادي من قبل: «حكام بلاد المسلمين خونة، كافرون، مذنبون، كذابون، مخادعون ومجرمون»[٢]. الأكثر من ذلك، ما قاله في ٢٠٠٧: «(نحن نؤمن بأن) قتالهم ضرورة أكثر إلحاحًا من قتال الاحتلال الصليبي»[٣].

وتركز الدولة الإسلامية أيضًا علىٰ الصيغة شديدة العدوانية من الجهاد، والتي تقوم في التراث الوهابي علىٰ اقتلاع الشرك والوثنية أينما وجدت[٤]. فعلىٰ سبيل المثال، أورد أبو عمر البغدادي في خطبة له عام ٢٠٠٧ اقتباسًا عن الجهاد من أحد علماء الوهابية قائلًا: «والغاية التي ينتهي إليها قتال الكفَّار أن لا يبقىٰ في الأرض مشرك»[٥]، وفي خطاب آخر، أكَّد أبو عمر البغدادي صراحة علىٰ أهمية «جهاد الطلب»، والذي وصفه بأنه: «مطاردة الكافرين المرتدين ومهاجمتهم في أوطانهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وألا يكون هناك اضطهاد للمؤمنين»، وبالنظر في الفقه

---

(١) أعطىٰ المصري محمد عبد السلام فرج (تُوفي ١٩٨٢) الجهاد الدفاعي هذه الصيغة الكلاسيكية، المرجع التالي يشرح أفكاره بالإنجليزية:

Johannes J.G. Jansen, *The Neglected Duty: The Creed of Sadat's Assassins and Islamic Resurgence in the Middle East* (New York: MacMillan, 1986).

(٢) أبو عمر البغدادي -«وعد الله»- مؤسسة الفرقان، ١٣ مارس ٢٠٠٧، مفرغة في كتاب «المجموع».

(٣) البغدادي - «قل إني علىٰ بينة من ربي» - مؤسسة الفرقان، ١٣ مارس ٢٠٠٧.
موجودة في «المجموع»: (ص/ ١٢-١٦).

(٤) يصنف الجهاد في التراث إلىٰ «جهاد الطلب» و«جهاد الدفع»، انظر:

Patricia Crone, *God's Rule: Government and Islam* (New York: Columbia University Press, 2004), 297-298 and 363-373.

(٥) البغدادي - «أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين» - مؤسسة الفرقان، ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٧، مفرغة في كتاب «المجموع»: (ص/ ٥٠-٥٨)، الداعية الوارد ذكره هو الموريتاني محمد الأمين الشنقيطي (تُوفي ١٩٧٣).

الوهابي نجد أن «المضطهِدين» لطالما اقترنوا بالوثنية[١].

يستهدف «جهاد الطلب» علىٰ طريقة الدولة الإسلامية في المقام الأول الشيعة في المنطقة، وبغض النظر عن العقيدة، فإن التصور أن للشيعة خططًا توسعية في الشرق الأوسط يقتضي قتالهم. والمشروع الشيعي، بحسب الاعتقاد الشائع، يهدف إلىٰ «هلال شيعي يمتد من طهران وحتىٰ بيروت»[٢]. وكل من «الجمهورية الإسلامية في إيران، وحزب الله في لبنان، والأسد في سوريا» يشكل جزءًا من هذا الهلال. ويهدف قادة إيران إلىٰ «تحويل العراق إلىٰ دولة شيعية»، والولايات المتحدة متواطئة معهم في هذه الخطة[٣]. وبالنسبة إلىٰ الدولة الإسلامية؛ فإنَّ التحول العراقي الأخير من أغلبية سنية إلىٰ أغلبية شيعية دليل علىٰ «التشيع» الزاحف. فكما قال أبو عمر البغدادي من قبل، فإنَّ التحول من المذهب السني إلىٰ الشيعي بدأ في الخمسين إلىٰ سبعين سنة الماضية فقط[٤]. وقبل ذلك، كانت العراق بلدًا سنيًا[٥].

بشكل منفصل، تؤكد كل من الدولة الإسلامية والقاعدة علىٰ ضرورة استعادة الخلافة، فيما يختلف الاثنان حول إذا ما كانت الدولة الإسلامية أقامت الخلافة فعلًا أم لا!

★ دعوى الإرث السلفي الوهابي للدولة:

علىٰ الرغم من أنَّ أبرز دعاة الجهادية يلتزمون التزامًا صارمًا بالتراث السلفي، إلَّا أنَّهم في الخلاف بين الدولة الإسلامية والقاعدة يميلون إلىٰ القاعدة علىٰ حساب

---

(١) البغدادي - «فأما الزبد فيذهب جفاء» - مؤسسة الفرقان - ٤ ديسمبر ٢٠٠٧،
مفرغة في كتاب «المجموع»: (ص/ ٤٣ - ٥٠).

(٢) البغدادي - «العز بصيانة الدين والعرض» - مؤسسة الفرقان - ٨ يوليو ٢٠٠٩،
مفرغة في كتاب «المجموع»: (ص/ ١٠٤- ١١٢).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) البغدادي - «الدين النصيحة» - مؤسسة الفرقان، ١٢ فبراير ٢٠٠٨، مفرغة في كتاب «المجموع»: (ص/ ٥٩ - ٦٤).

(٥) يُرجح أن التحول للشيعية في العراق بدأ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، راجع:
Yitzhak Nakash, *The Shi'ites of Iraq*, (Princeton: Princeton University Press, 1994), 25.

الدولة الإسلامية، ويرجع السبب في هذا جزئيًا إلىٰ ولائهم لتنظيم القاعدة وقياداته العُليا. ويستنكر كذلك علماء الجهادية المؤيدون لتنظيم القاعدة العنف المفرط والشديد الذي تتبناه الدولة الإسلامية، بما في ذلك قطع الرؤوس بطريقة وحشية، وما يرىٰ من ممارستها للتكفير بشطط، واعتبار غير المنتمين إليها من المسلمين كفارًا.

إلا أن الدولة الإسلامية تتمتع بمرجعياتها الخاصة من العلماء، والذين ينتمون بشكل أساسي إلىٰ جيل أصغر سنًا. الأكثر شهرة (وربما تأثيرًا) بين هؤلاء العلماء هو البحريني «تركي البنعلي» ذو الثلاثين عامًا[1]. والرجل الذي يعد أحد تلاميذ أبي محمد المقدسي يقيم الآن في الدولة الإسلامية ويشاع أنه يتقلد سلطة كبيرة فيها[2]. في منتصف ٢٠١٤، عندما اختلف البنعلي مع معلمه السابق حول العداء بين تنظيم الدولة والقاعدة، كتب البنعلي نقدًا لاذعًا في حق معلمه. وقارن البنعلي بين رفض المقدسي للدولة الإسلامية، ورفض عالم يمني للحركة الوهابية في القرن الثامن عشر[3]. كان هذا العالم اليمني قد رحب في البداية بالدولة الوهابية الناشئة، ثم ما لبث أن استنكرها بناءً علىٰ شائعات عن الإفراط في العنف والتكفير. فبناء علىٰ نفس الأسباب، كما احتج البنعلي، يستنكر المقدسي الدولة الإسلامية اليوم.

لقد كانت وجهة نظر البنعلي التي أسس عليها هذه المقارنة واضحة: فالدولة الإسلامية، مثلها مثل الدولة الوهابية من قبلها، هي الحارس الأمين للتراث السلفي الوهابي. وبيقينها بهذا الدور، فإنَّ الدولة لن تتخلىٰ أبدًا عن مهمتها الإلهية. وبالتالي، فإنَّ الجهاديين غير المؤيدين للدولة يقفون ببساطة ضد مسار التاريخ.

---

(١) لسيرته الذاتية راجع ما كتبه أبو أسامة الغريب - «منة العلي بثبت شيخنا تركي البنعلي» - ٢٠١٣.
https://archive.org/download/minato.alali001/minato.alali001.pdf

(٢) حول هذه الشائعة، راجع هذه التغريدة بتاريخ ١٣ نوفمبر ٢٠١٤:
@wikibaghdadihttps://twitter.com/wikibaghdady/status/532890372318310401

(٣) تركي البنعلي - «شيخي الأسبق» - ٣١ مايو ٢٠١٤، http://:www.gulfup.com/ ?teBfhp -
العالم المذكور هو محمد بن إسماعيل الصنعاني (تُوفي ١٧٦٨)، للمزيد يمكن مراجعة:
Bernard Haykel, *al-Am*Ïr, Muh.ammad b. Ismail, in The Encyclopaedia of Islam, ed. Gudrun Krämer, et al, Brill Online, 2014.



الجزء الثاني

(التطور)



الزرقاوي كباكورة

(٢٠٠٢ - ٢٠٠٦)

«فليهنأ الشيخ الزرقاوي في مثواه؛ فإنَّ الطريق التي مشىٰ فيها ووضع معالمها وأرشد إليها: سار فيها من جاء بعده، ونحن علىٰ إثره إن شاء الله سائرون. .».

[أبو بكر البغدادي، ٩ أبريل، ٢٠١٣][١].

تطورت أيديولوجية الدولة الإسلامية في إطار التمرد العراقي الذي نشب عام ٢٠٠٠. فقد شهد العراق في هذه الفترة وصول جهاديين من جيل أصغر متأثرين بالفصائل الأكثر عنفًا من السلفية الجهادية. وكان الأكثر تأثيرًا بين هؤلاء المجاهدين الشباب هو الأردني «أبو مصعب الزرقاوي»، الذي ألهم ورسم المسار الأيديولوجي الذي تستمر الدولة الإسلامية في السير عليه.

ساهم الزرقاوي بشكل مباشر في وضع المبدأين اللذين هما الأبرز في أيديولوجية الدولة الإسلامية: العداء الشديد للتشيع، والتركيز علىٰ استعادة الخلافة. وفي حين كانت آراء الزرقاوي الطائفية تتعارض مع آراء تنظيم القاعدة، كان كل من الزرقاوي والقاعدة متفقين علىٰ استعادة الخلافة.

★ «مسار» الزرقاوي:

وُلد أحمد فاضل نزال الخلالية، والمعروف بأبي مصعب الزرقاوي، في الأردن عام ١٩٦٦، حيث لم يتلقَّ سوىٰ القليل من التعليم الرسمي سواء الديني

---

(١) أبو بكر البغدادي - «وبشر المؤمنين» - مؤسسة الفرقان- ٩ أبريل ٢٠١٣، مفرغة علىٰ الرابط التالي:
http://ia600606.us.archive.org/15/items/w_bsher_1/tcJN8J.pdf

أو العلماني[١]، غير أنه أصبح أحد أبرز دعاة الجهادية في الأردن.

في أواخر الثمانينيات، غادر الزرقاوي الأردن ليشارك في الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان، حيث نشأت علاقة وثيقة بينه وبين أبي محمد المقدسي، الذي علمه العقيدة السلفية الجهادية المتشددة. بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٩ سجن الزرقاوي والمقدسي معًا في الأردن حيث قادا جماعة جهادية تبشيرية[٢]. وفي ظل صعاب السجن، تطور الزرقاوي ليصبح ذا شخصية حماسية وتمكن من حشد أتباع له. وفي أعقاب إطلاق صراحه في ١٩٩٩، عاد مع بعض أتباعه إلىٰ منطقة باكستان وأفغانستان، حيث أقام معسكرًا لتدريب الجهاديين في مدينة هراة الأفغانية.

بشرت أنشطة الزرقاوي في أفغانستان في هذه الفترة بالأيديولوجية المتشددة التي تتبناها الدولة الإسلامية اليوم. لقد نأىٰ الزرقاوي بنفسه عن تنظيم القاعدة الذي كان موقعه الرئيس في شرق البلاد. ويؤكد سيف العدل المصري، القائد العسكري للقاعدة في تلك الفترة، والذي تعاون مع الزرقاوي في أفغانستان بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠١، أنَّ الزرقاوي كان مرتبطًا بالقاعدة بشكل ضعيف[٣]. كما أنَّ الزرقاوي لم يبايع ابن لادن، ووَفقًا لسيف العدل، فقد كان معسكر الزرقاوي في هراة مركزًا لتدريب الجهاديين المائلين إلىٰ السلفية[٤]. ويؤكد المقدسي أيضًا أن الزرقاوي لم يخضع

---

(١) للمزيد حول حياة الزرقاوي، انظر:

Jean-Pierre Milelli, *Abu Musab al-Zarqawi, Jihad in 'Mesopotamia'*, in Al Qaeda in Its Own Words, ed. Gilles Kepel and Jean-Pierre Milelli (Cambridge: The Belknap Press, 2008), 237-250, and Bruce Riedel, The Search for Al Qaeda (Washington: Brookings Institution Press, 2008), 85-115.

(٢) حول هذه الجماعة راجع:

Joas Wagemakers, *A Terrorist Organization that Never Was: The Jordanian Bay at al-Imam' Group*, The Middle East Journal, vol. 68, no. 1, 2014

(٣) للمزيد عن علاقة الزرقاوي مع القاعدة في هذه الفترة، راجع:

Nelly Lahoud, *Metamorphosis: From al-Tawhid wa-al-Jihad to Dawlat al-Khilafa (2003-2014)*, in The Group That Calls Itself a State: Understanding the Evolution and Challenges of the Islamic State, Combating Terrorism Center, December 2014, 9-12.

(٤) سيف العدل - «تجربتي مع أبي مصعب الزرقاوي» - منبر التوحيد والجهاد، مايو ٢٠٠٥.

http://www.tawhed.ws/dl?i=ttofom6f

لسلطة ابن لادن في أفغانستان لالتزامه العقائدي الأكثر صرامة[١].

بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان، انتقل الزرقاوي وأتباعه إلىٰ المناطق الكردية الواقعة شمال العراق عام ٢٠٠٢، حيث أسَّس جماعة التوحيد والجهاد، وفي عام ٢٠٠٤، بايع الزرقاوي ابن لادن أخيرًا، مسميًا الجماعة تنظيم القاعدة في العراق.

★ تصدي الزرقاوي للتشيع:

تحدث الزرقاوي بوضوح عن استراتيجية تستهدف المجتمع الشيعي العراقي بنية تأجيج الحرب الأهلية. في فبراير ٢٠٠٤، وفي خطاب أرسله الزرقاوي إلىٰ تنظيم القاعدة، واعترضته القوات الأمريكية لاحقًا، هاجم الزرقاوي الشيعة علىٰ المستوىٰ العقائدي والسياسي وتظل جدالاته اليوم حجر زاوية في أيديولوجية الدولة الإسلامية[٢]. وفي بيان صوتي صادر في فبراير ٢٠١٢، أحال أبو محمد العدناني المستمعين إلىٰ محاضرات الزرقاوي باعتبارها القول الفصل فيما يتعلق بالشيعة[٣].

في خضم مناقشته لمسألة الشيعة من منظور ديني، يستشهد الزرقاوي بعدد من علماء التراث من أهل السنة، منهم ابن تيمية، ليبرهن علىٰ أن الشيعة خارجون عن ملة الإسلام. كما يشير الزرقاوي إلىٰ ارتباط الشيعة بدور يتسم بالشر والنفاق في التاريخ الإسلامي. علىٰ سبيل المثال، اعتبر الزرقاوي السلالة الصفوية، التي حكمت إيران بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، والتي حولت إيران إلىٰ المذهب الشيعي

---

(١) أبو محمد المقدسي – «الزرقاوي آمال وآلام» – منبر التوحيد والجهاد، يوليو / أغسطس ٢٠٠٤.
http://www.tawhed.ws/dl?i=dtwiam56

(٢) أبو مصعب الزرقاوي – «رسالة من أبي مصعب الزرقاوي للشيخ أسامة بن لادن» – ١٥ فبراير ٢٠٠٤، فُرغت في كتاب «كلمات مضيئة»، شبكة البراق الإسلامية، يونيو ٢٠٠٦: (٥٨- ٧٦)،
https://archive.org/download/fgfrt/1a.pdf,

ويوجد مقتطفات مترجمة في المرجع التالي:

Al Qaeda in Its Own Words, 251-267.

كتاب «كلمات مضيئة» عبارة عن ٦٠٠ صفحة مجمع فيه خطب الزرقاوي وكتاباته.

(٣) أبو محمد العدناني – «العراق العراق يا أهل السنة» – مؤسسة الفرقان، ٢٤ فبراير ٢٠١٢، موجودة علىٰ الرابط التالي:

https://archive.org/download/nokbah672/iraq2012.pdf

«خنجرًا في ظهر الإسلام والمسلمين»، وأشار الزرقاوي كذلك إلىٰ الدور الشيعي في إسقاط المغول لبغداد عام ١٢٥٨.[١] مضىٰ الزرقاوي قائلًا: إنَّ هذه الخيانة الشيعية التي تمتد إلىٰ الماضي البعيد تأخذ شكل محاولة لبسط الهيمنة الإقليمية، من خلال محاولة لخلق دولة شيعية عُظمىٰ عبر الشرق الأوسط. يقول الزرقاوي: «إن طموحاتهم تتسع كل يوم لبناء دولة شيعية تمتد دولتهم من إيران ومرورًا بالعراق وسوريا ولبنان حتىٰ الوصول إلىٰ مملكة الخليج الورقية»[٢].

وعلىٰ الرغم من أنَّه في وقت هذه المؤلفات كان الأمريكيون قوة محتلة للعراق، إلَّا أنَّ الزرقاوي كان يرىٰ الشيعة هم التهديد الأكبر. ففي حين أن «القوات الصليبية سترحل في وقت قريب»، سيبقىٰ الشيعة هم العدو الأخطر والأقرب علىٰ السنة . . . فخطر الشيعة أكبر وضررهم أسوأ وأكثر تدميرًا علىٰ الأمة الإسلامية من الأمريكين[٣]. وفقًا للزرقاوي، فإن الكراهية التاريخية من الشيعة للسنة لا يمكن دحرها بالنوايا الحسنة، بل الحل الوحيد هو هزيمتهم في ميادين القتال[٤].

اعتقد الزرقاوي أنَّ الشيعة سيتعاونون عن طيب خاطر مع الأمريكان من أجل الاستيلاء علىٰ السلطة في العراق، وهكذا، ركز خطابه علىٰ مهاجمة الشيعة في العراق لإشعال فتيل الحرب الأهلية التي ستحشد أهل السنة للجهاد ضد الشيعة. فاستهداف وضرب الشيعة في معاقلهم الدينية والسياسية والعسكرية سيدفع الشيعة، علىٰ حد تعبير الزرقاوي؛ لإظهار مخالبهم والحقد الدفين الرابض في صدورهم. وإذا نجحنا في جرهم إلىٰ ساحة الحرب الطائفية، سيستيقظ الغافلون من أهل السنة عندما يستشعرون الخطر المحدق بهم والموت والإبادة علىٰ يد الصابئة (أي الشيعة)[٥].

---

(١) زرقاوي - «رسالة»: (ص/ ٦٤-٦٥).

(٢) المصدر نفسه: (ص/ ٦٤).

(٣) المصدر نفسه: (ص/ ٦٢، ٧٤) - الترجمة موجودة في المرجع الآتي:

Bernard Haykel, Al-Qa'ida and Shiism, in Fault Lines in Global Jihad, ed. Assaf Moghadam and Brian Fishman (London: Routledge, 2011), 194.

(٤) زرقاوي - «رسالة»: (ص/ ٦٢).

(٥) المصدر نفسه: (ص/ ٧٣) - الترجمة في المرجع الآتي:

Haykel, Al-Qa'ida and Shiism, 194.

كانت هذه هي استراتيجية الزرقاوي في العراق. ولاحقًا، انتقد أيمن الظواهري، الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، وأبو محمد المقدسي، معلم الزرقاوي، استراتيجية مهاجمة الشيعة، وجادل الظواهري بأنَّ الجماهير الشيعية ليسوا بالضرورة كفارًا يجب قتالهم، حيث إنَّهم كانوا معذورين علىٰ أخطائهم العقائدية الناجمة عن جهلهم[1].

⋆ خطة كل من الزرقاوي والقاعدة للخلافة:

بينما كانت الزرقاوي والقيادة الرئيسة للقاعدة مختلفين حول الشيعة، كان كلاهما يطمح لتأسيس دولة إسلامية في العراق تكون بمثابة دولة أولية للخلافة، وهو الهدف الذي كان قد تمت صياغته حتىٰ قبل انتقال الزرقاوي إلىٰ شمال العراق في ٢٠٠٢.

يدعي العقل الاستراتيجي لتنظيم القاعدة «سيف العدل» أنَّه ناقش هذه المسألة مع الزرقاوي عندما كان كلاهما في إيران، حيث هربا في أواخر ٢٠٠١ في أعقاب الغزو الأمريكي لأفغانستان. متحدثًا عن انتقال الزرقاوي للعراق، كتب سيف العدل: «هذه فرصة تاريخية لم تتح لنا من قبل، وسنكون قادرين علىٰ إقامة الدولة الإسلامية، والتي سيكون لها دور رئيس في القضاء علىٰ الظلم ونشر الحق، وإعلاء كلمة الله، وكنت متفقًا مع أخي أبي مصعب في هذا الرأي»[2]، بناء علىٰ الأدلة الموجودة أمامنا، لا نستطيع الجزم ما إذا كانت فكرة دولة الخلافة الجنينية وليدة الزرقاوي أم أقرانه من تنظيم القاعدة، وعلىٰ كل حال، سيروج كلا الفريقين للفكرة بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٦.

في منتصف عام ٢٠٠٥، كتب ثلاثة من قادة تنظيم القاعدة إلىٰ الزرقاوي يناقشونه في طموحات إقامة الدولة في العراق. الأول، سيف العدل، شدَّد علىٰ الزرقاوي أنه: «من الضروري أن تعلن بصراحة وبوضوح أن هدفك هو استئناف الحياة الإسلامية عن طريق إقامة الدولة الإسلامية والتي ستمضي قدمًا في حل مشاكل المجتمع

---

(١) «خطاب أيمن الظواهري إلىٰ أبي مصعب الزرقاوي»، ١٦ يوليو ٢٠٠٥: (ص/ ١٠).

https://www.ctc.usma.edu/72/wp-content/uploads/2013/01/Zawahiris-Letter-to-Zarqawi-Original.pdf

(٢) سيف العدل -«تجربتي»- النص الذي كتبه سيف العدل لم يحدد هل حواره مع الزرقاوي في إيران كان في أواخر ٢٠٠١ أم أوائل ٢٠٠٢.

(«المسلم»). كان العدل متفائلًا حيث زعم: «أصبحت الحقائق والظروف مواتية وملائمة لإعلان الدولة، يا أخي العزيز»[1].

تبع هذا النقاش خطابٌ أرسله الظواهري إلىٰ الزرقاوي في يوليو ٢٠٠٥ تمكنت القوات الأمريكية من اعتراضه أيضًا[2]. بيَّنَ الظواهري في خطابه إلىٰ الزرقاوي استراتيجية لتنظيم القاعدة في العراق مكونة من أربع مراحل: طرد الأمريكين من العراق، وإقامة دولة إسلامية، وتوسيع ساحة الجهاد لتشمل جيران العراق، ومواجهة إسرائيل في نهاية المطاف. ووصف الظواهري الهدفين الأولين «بأهداف علىٰ المدىٰ القريب». وعلىٰ غرار العدل، بدا الظواهري متفائلًا بخصوص قيام الدولة في المستقبل القريب، وأعرب عن أمله في أن تكون هذه الدولة في نهاية المطاف مثل دولة الخلافة[3].

القائد الثالث الذي ناقش المسألة كان عطية الله الليبي (تُوفي في ٢٠١١)، وكان قد كتب إلىٰ الزرقاوي في ديسمبر ٢٠٠٥. وبدا من رسالته كما لو كان الأمر مفروغًا منه أن هدف الزرقاوي هو إقامة دولة الخلافة التي وصفها العدل والظواهري. ولم يشر إلا بشكل عابر إلىٰ هدف الزرقاوي في تدمير الدولة والسلطة الموجودتين الآن وتشييد الدولة الإسلامية علىٰ حطامهما، أو علىٰ الأقل تشييد ما يُمكن اعتباره حجر زاوية في الاتجاه الصحيح نحو بناء الدولة الإسلامية[4].

تشير العديد من التصريحات المنسوبة لأبي مصعب الزرقاوي أن قائد تنظيم القاعدة

---

(١) المصدر نفسه: (ص/ ٢٢).

(٢) للمزيد حول هذا الخطاب، انظر بتاريخ ١٠ سبتمبر ٢٠١٤:

William McCants, *State of Confusion: ISIS's Strategy and How to Counter It*, Foreign Affairs.

http://www.foreignaffairs.com/articles/141976/william-mccants/state-of-confusion

(٣) «خطاب الظواهري للزرقاوي»: (ص/ ٤).

(٤) «خطاب آية الله الليبي إلىٰ الزرقاوي»، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٥: (ص/ ٦).

https://www.ctc.usma.edu/72/wp-content/uploads/2013/01/Atiyahs-Letter-to-Zarqawi-Original.pdf

في العراق كان مطلعًا تمامًا علىٰ استراتيجية الخلافة هذه[١]. وقد تحدث الزرقاوي بشكل مؤيد لهذه الاستراتيجية عدة مرات قبل ضم جماعته إلىٰ القاعدة. وفي مايو ٢٠٠٤، صرَّح الزرقاوي قائلًا: «أنا الآن في العراق أجاهد مع إخواني؛ لنقيم للإسلام وطنًا، وللقرآن دولة»[٢]، وفي يوليو: «قد بزغ فجر الدولة الإسلامية»[٣]، وفي أغسطس: «نحن -جماعة التوحيد والجهاد- نصاول العدو، ونطاول البغي سعيًا إلىٰ إعادة الخلافة إلىٰ الأرض، وتطبيق الشريعة وإقامة الملة العوجاء»[٤]، وفي أكتوبر ٢٠٠٤، وأثناء إعلان الزرقاوي بيعته لأسامة بن لادن، توقع بزوغ فجر الخلافة، قائلًا: «فعسىٰ أن يكون هذا (علىٰ أيدينا)»[٥].

⋆ الدولة الإسلامية: فكرة قيد التنفيذ:

بحلول عام ٢٠٠٦، كان تنظيم القاعدة في العراق يقترب من إقامة الدولة الإسلامية التي طال النقاش حولها. ففي ١٥ يناير، شكَّلت جماعة الزرقاوي «مجلس شورىٰ المجاهدين»، الذي جمع تنظيم القاعدة وخمسة تنظيمات جهادية أخرىٰ تعمل في المنطقة[٦]. وكان الهدف المعلن للمجلس الجديد، والذي كان يدار ظاهريًا من قبل أحد العراقيين، هو جمع كلمة صفوف المجاهدين في العراق في وقت كانت تضمحل فيه شعبية القاعدة هناك.

---

(١) انظر: (ص/ ١٠٢، ١٣٣، ١٤١، ١٤٥، ١٥٢، ١٧٥، و٥٢٣) من كتاب: «كلمات مضيئة».

(٢) أبو مصعب الزرقاوي -«من أبي مصعب الزرقاوي لكلب الأردن عبد الله الثاني»- ١٥ مايو ٢٠٠٤، «كلمات مضيئة»: (ص/ ١٠٢).

(٣) الزرقاوي -«الموقف الشرعي من حكومة كرزاي العراق»- ٢٣ يوليو ٢٠٠٤، مفرغة في «كلمات مضيئة»: (ص ١٤١).

(٤) الزرقاوي -«كلمة الشيخ أبي مصعب عبر شريط رياح النصر»- ٨ أغسطس ٢٠٠٤، موجود في «كلمات مضيئة»: (ص/ ١٤٩- ١٥٢).

(٥) الزرقاوي -«بيان البيعة لتنظيم القاعدة بقيادة الشيخ أسامة بن لادن»- ١٧ أكتوبر ٢٠٠٤. موجود في «كلمات مضيئة»: (ص/ ١٧٤- ١٧٦).

(٦) بيان تأسيس مجلس شورىٰ المجاهدين:

http://www.tawhed.ws/r?i=5cqkqf05.

وفي أبريل، حيا الزرقاوي، الذي ظهر لأول مرة مكشوف الوجه في شريط فيديو، مجلس شورىٰ المجاهدين باعتباره «نقطة انطلاق لتأسيس الدولة الإسلامية»[١]. وفي نسخة كاملة للفيديو حصلت عليها القوات الأمريكية في شهر مايو، كان الزرقاوي أكثر وضوحًا: «نتوقع بإذن الله .. ونرجو الله أنَّ من هنا إلىٰ ثلاثة أشهر يكون الجو مهيئًا لكي نعلن عن إمارة إسلامية في العراق»[٢]. وبعد شهرين من هذا الفيديو، وفي يوم ٧ يونيو، قُتل الزرقاوي في غارة جوية شنتها القوات الأمريكية، لكن في أكتوبر أُعلنت الإمارة التي تنبأ بها الزرقاوي.

بعد وفاة الزرقاوي، حثَّ تنظيم القاعدة في العراق المجاهدين علىٰ المضي قدمًا في تنفيذ استراتيجية الخلافة. وفي يونيو ٢٠٠٦، أكَّد الظواهري في رثائه للزرقاوي علىٰ ما أوجزه في رسالته للزرقاوي العام الماضي، قال الظواهري: «إخواني المجاهدين في العراق، اعلموا أنَّ أمة الإسلام قد وضعت آمالها عليكم، وأنَّ عليكم أن تُقيموا دولة الإسلام في العراق، ثم تشقُّوا طريقكم نحو بيت المقدس الأسير، وتعيدوا الخلافة»[٣]، وقد كانت هذه العملية قيد التنفيذ بالفعل.

---

(١) أبو مصعب الزرقاوي -«هذا بلاغ للناس»- ٢٤ أبريل ٢٠٠٦، مفرغ في «كلمات مضيئة»: (ص/ ٥١٥-٥٤٢).

(٢) قناة العربية: الزرقاوي يتوقع إعلان إمارة إسلامية في العراق في غضون ثلاثة أشهر ٥ مايو ٢٠٠٦:
http://www.alarabiya.net/articles/2006/05/05/23474.html

(٣) أيمن الظواهري - «رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي» - مؤسسة السحاب، يونيو ٢٠٠٦، مفرغة في الملف الكامل للبيانات والمقالات المتعلقة باستشهاد الشيخ أبي مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية: (ص/ ٤٠-٤٦)، علىٰ الرابط التالي:
https://archive.org/download/fgfrt/2b.pdf

الدولة الافتراضيَّة

(٢٠٠٦ - ٢٠١٣)

«هذه هي الدولة التي أفتىٰ البعض بحلها، وادعىٰ أنَّها كرتونية ودولة الإنترنت، فجرَّأ المجرمين عليها فسُكبت بفتاويهم الدماء».

[أبو حمزة المهاجر، وزير الحرب في الدولة الإسلامية، ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٨][١].

شهدت الفترة من ٢٠٠٦ إلىٰ ٢٠١٣ محاولة فاشلة لإنشاء الدولة الإسلامية في العراق، وهي جماعة أشار لها الإعلام الغربي والإقليمي باسم تنظيم القاعدة في العراق. وفي حين كان هناك من الروابط ما يجمع بين تنظيم القاعدة في أفغانستان وباكستان وبين الدولة الوليدة، إلَّا أنَّ هذه الدولة لم تخضع بشكل كامل لتنظيم القاعدة منذ البداية. وبدا جليًّا أنَّ القاعدة تظهر القليل من الحماسة إزاء إقامة الدولة التي دعت لها من قبل، وكان السبب المرجح هو أنَّ القاعدة فقدت السيطرة علىٰ عملية إقامة الدولة، كما أنها كلَّت من أيديولوجية الدولة المتشددة والتي بموجبها تتجاهل الدولة أوامر تنظيم القاعدة.

★ إقامة الدولة:

في ١٢ يونيو ٢٠٠٦، أعلن تنظيم القاعدة في العراق أنَّ أبا حمزة المهاجر خليفة للزرقاوي كقائد للتنظيم في العراق، ويعرف أيضًا بأبي أيوب المصري (تُوفي ٢٠١٠)[٢]. الزعيم الجديد، والذي كان شديد القرب من الزرقاوي، كان عضوًا بارزًا

---

(١) أبو حمزة المهاجر -اللقاء الصوتي الأول مع الشيخ أبي حمزة المهاجر- مؤسسة الفرقان، ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٨، فرغت في «المجموع»: (ص/ ١٨١-١٩٠).

(٢) اسمه الحقيقي عبد المنعم عز الدين علي البدوي.

في جماعة الظواهري للجهاد الإسلامي في مصر[1]. ولم يستمر المصري في منصبه لفترة طويلة، حيث إنَّ تنظيم القاعدة في العراق سرعان ما زال عن الوجود بشكل رسمي.

وفي ١٢ أكتوبر ٢٠٠٦، أعلن مجلس شورىٰ المجاهدين عن تشكيل «حلف المطيبين» مُشكَّلًا من عدد من الفصائل الجهادية وزعماء العشائر السُّنيِّة، والذي أعلن بعدها بثلاثة أيام إقامة «دولة العراق الإسلامية»، وكانت الإمارات الواقعة تحت إدارتهم هي «بغداد، وديالىٰ، وكركوك، وصلاح الدين، ونينوي وأجزاء من محافظتي بابل وواسط». وتلا البيان الصوتي، الذي كُشف فيه عن إقامة الدولة الإسلامية، الناطق الإعلامي محارب الجبوري (تُوفي ٢٠٠٧). عرَّفَ الجبوري زعيم الدولة علىٰ أنه «أمير المؤمنين» أبو عمر البغدادي (تُوفي ٢٠١٠)[2].

أصبح أبو عمر البغدادي، وهو ضابط شرطة سابق واسمه الحقيقي حامد داوود خليل الزاوي، قائد الجماعة الجهادية في العراق، وعيّنَ أبا حمزة المهاجر نائبًا له ووزيرًا للحرب في الدولة الإسلامية. واستخدمَ كلا الرجلين مؤسسة الفرقان الإعلامية لمخاطبة العالم دون الظهور علانية مكشوفي الوجه.

★ دولة العراق الإسلامية، أم الدولة الإسلامية في العراق؟

عرفت الدولة التي أعلن عنها محارب الجبوري في عام ٢٠٠٦ باسمين، كان اسم

---

(١) نشرت صحيفة الشرق الأوسط في ٢٩ أبريل ٢٠١٠: مسؤول أمني: ساعي بريد البغدادي أوصلنا إلىٰ مخبأ زعيمي القاعدة.

http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&article=567358&issueno=11475#.VFWWAedi_tY

كما نشرت الدايلي ستار في ٣ مايو ٢٠٠٧:

Egypt Discloses True Identity of al-Qaeda Leader in Iraq.

http://www.dailystar.com.lb/News/Middle-East/2007/May-03/7237-1egypt-discloses-true-identity-of-al-qaeda-leader-in-iraq.ashx#axzz3HsPHg6GC

(٢) محارب الجبوري -«الإعلان عن قيام دولة العراق الإسلامية»- ١٥ أكتوبر ٢٠٠٦، مفرغة في «المجموع»: (ص/ ٢٢١-٢٢٣).

«دولة العراق الإسلامية» هو الغالب رسميًا، إلَّا أنَّها كانت تسمىٰ أيضًا «الدولة الإسلامية في العراق» وتعرف اختصارًا «بالدولة الإسلامية»[1]. ويظهر الفرق بين الاسمين الطريقتين اللتين كان يقدِّم بهما النظام السياسي الجديد إلىٰ عامة العراقيين وإلىٰ العالم الإسلامي بشكل أوسع.

قُدمت دولة العراق الإسلامية علىٰ أنَّها دولة لأهل السنة في العراق. وكانت المجتمعات الشيعية والكردية قد سيطرت علىٰ مناطق تتمتع بحكم شبه ذاتي منذ الغزو الأمريكي للعراق في عام ٢٠٠٣، فكان ذلك الإقليم الجديد بذلك إقليمًا لأهل السنة. وقد وصف الجبوري الدولة الجديدة علىٰ هذا النحو في إعلانه: «فبعد أن انحاز الأكراد في دولة الشمال، وأُقِرت للروافض فيدرالية الوسط والجنوب (. . .)، صار لزامًا علىٰ شرفاء وأحرار أهل السنة من المجاهدين والعلماء العاملين والوجهاء تقديم شيء لإخوانهم وأبنائهم وأعراضهم خاصة، في ظل هذه المسرحية الهزيلة المسماة (دولة المالكي)! والتي شارك في أدوارها وللأسف خونة أهل السنة . . .»[2].

وصفت الدولة الإسلامية في العراق بأنها دولة لكل المسلمين حول العالم، وساند دولة الخلافة الجنينية كلٌّ من الزرقاوي والقاعدة. وفي هذا الصدد تحدث الجبوري عن الجماعة قائلًا: «ونحن إذ نُعلن قيام هذه الدولة مستندين إلىٰ سنة النبي ﷺ عندما خرج من مكة إلىٰ المدينة (٦٢٢ ميلادية)، فأقام دولة الإسلام فيها رغم تحالف المشركين وأهل الكتاب ضده»، كذلك، ادَّعىٰ جبوري وآخرون في الدولة الإسلامية: «[ونحن] بحول الله وقوته نفرض سيطرتنا علىٰ الكثير من المناطق التي تساوي في مساحتها دولة المدينة الأولىٰ»[3]، وبعبارة أخرىٰ، كانت الدولة الإسلامية اقتداء بالدولة التي أسسها محمد - الخلافة.

بشكل عام، ساد العنصر الإسلامي علىٰ العنصر العراقي في الدعاية التي قامت بها الجماعة، رغم أنَّ اسم «دولة العراق الإسلامية» ظل هو الاسم الرسمي الأكثر

---

(١) الأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، انظر مثلًا: محارب الجبوري -«التشكيلة الوزارية الأولىٰ لدولة العراق الإسلامية»- مؤسسة الفرقان، ١٩ أبريل ٢٠٠٧، موجودة في «المجموع»: (ص/ ٢٣٠-٢٣١).

(٢) الجبوري - «إعلان قيام الدولة الإسلامية».

(٣) المصدر نفسه.

انتشارًا. كما أن القومية الإقليمية لا تتفق مع الأيديولوجية الجهادية، وهو ما كان جليًّا في التصريحات المبكرة للجماعة.

في ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦، أعلن أبو حمزة «بدء مرحلة جديدة مهمة نضع فيها أول لَبِنة من لَبناتها لندشن مشروع الخلافة الإسلامية»، «لسنا أبناء سايكس»، تابَع المهاجر حديثه: «نحن أبناء محمد بن عبد الله ﷺ»[١]، وكما قال أبو عمر البغدادي في خطابه الثاني، ٣ فبراير ٢٠٠٧: «فإنَّنا لا نقاتل لوطنية، إنَّما لتكون كلمة الله هي العليا»[٢].

لقب القائد الجديد للدولة الإسلامية بلقب «أمير المؤمنين»، وهو لقب الخليفة التقليدي علىٰ مر التاريخ الإسلامي، كما وصِفَ بأنه قُرشي من نسل قبيلة محمد، مما وضع صفة تقليدية مطلوب توافرها في من سيشغل منصب الخليفة[٣]. وكذلك دُعيَ أهل السنة من العراقيين لإعطائه البيعة، ولاحقًا، وصف البغدادي كل مَن لم يبايعوه بأنهم مذنبون[٤]. وإن لم يكن البغدادي وقتها خليفة بالفعل، فقد تم تقديمه وعرضه، علىٰ أنَّه الخليفة المنتظر.

★ «إعلامُ الأنامِ»:

في يناير ٢٠٠٧، أصدر مجلس الشريعة للدولة الإسلامية شرحًا علميًّا مطولًا يعلل دعوىٰ إقامة الدولة بعنوان: «إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام»[٥]. حاولت الأطروحة تأسيس شرعية الدولة الإسلامية علىٰ قواعد الشريعة. وتتسم الكتابات السُّنِّيَّة حول

(١) أبو حمزة المهاجر -«إن الحكم إلا لله»- مؤسسة الفرقان، ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦، موجودة في «المجموع»: (ص/ ١٤٠-١٤٤).

(٢) أبو عمر البغدادي -«فتح من الله ونصر قريب»- مؤسسة الفرقان ٣ فبراير ٢٠٠٧: (ص/٨-١١).

(٣) راجع مثلًا: «إن الحكم إلا لله» لأبي حمزة المهاجر.

(٤) البغدادي - «فتح من الله ونصر قريب»، و«قل إني علىٰ بينة من ربي».

(٥) عثمان بن عبد الرحمن التميمي -«إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام»- مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٧. هناك نسخة متاحة من «إعلام الأنام» علىٰ منبر التوحيد والجهاد http://www.tawhed.ws/dl?i=436zeuhb, يُعَرِّف النص التميمي، الذي مات في أواخر ٢٠٠٦ في معركة مع القوات الأمريكية، بأنه «مستشار» العمل. للمزيد من التفاصيل حول هذا الطرح انظر:

Brian Fishman, Fourth Generation Governance.

نظام الحكم بالغموض فيما يتعلق بطبيعة الدولة المعنية. لذلك، فإنَّ الدولة يُمكنها الاعتماد بشكل ملائم لها علىٰ هذه الكتابات لتوضح -لكن ليس لتؤكد- أنها هي الدولة.

حددت الأطروحة ثلاث طرق شرعية ليتولىٰ حاكم السلطة في الإسلام:

(١) انتخابات مِن قِبل صفوة معينة من الناخبين المعروفين بـ«أهل الحل والعقد».

(٢) أن يكون مُعيَّنًا مِن قبل الحاكم السابق.

(٣) الاستيلاء علىٰ السلطة بالقوة[١].

جادلت الأطروحة أن الدولة تتبع في مسارها الطريقة الأولىٰ.

وَفقًا للمؤلفين، كان أهل الحل والعقد في العراق هم هؤلاء الذين يجاهدون ضد الأمريكان والشيعة، ممثَّلين في «حلف المطيبين» الذي تأسس في منتصف أكتوبر[٢].

كان الحلف ممثلًا واحتوائيًا بناءً علىٰ مبدأ الشورىٰ[٣]. حصل الحلف علىٰ دعم أكثر من ٦٠٪ من شيوخ العشائر السنية فيما يتعلق بمشروع الدولة الإسلامية، وحاول الحلف كذلك الحصول علىٰ دعم الجماعات السنية الأخرىٰ لكن مسعاه لم يكلل بالنجاح. وعلىٰ كل حال، انطلق المشروع معتمدًا علىٰ مبدأ وجوب تعيين حاكم في حال عدم وجود غيره[٤].

بررت الأطروحة صحة كون الدولة الإسلامية دولة علىٰ أساس نجاحها السياسي المفترض وإعلائها للعقيدة السلفية وشرع الله. وادعىٰ المؤلفون أنَّ الجيش الأمريكي يلفظ أنفاسه الأخيرة في العراق، وأنَّ الحكومة العراقية خائرة، مما يصنع لحظة مناسبة لإقامة الدولة[٥]. وكانت مقاليد السلطة الحقيقية في المناطق السنية في العراق

---

(١) «تميمي»: (ص/ ١٣).

(٢) المصدر نفسه: (ص/ ١٤، ٢٢).

(٣) المصدر نفسه: (ص/ ٢٩)، قد تكون هذه إشارة للظواهري الذي أوعز إلىٰ الزرقاوي لتشكيل هيئة أو مجلس أهل الحل والعقد لتمثيل أهل البلد. انظر إلىٰ «خطاب الظواهري إلىٰ الزرقاوي»: (ص/ ٦).

(٤) «تميمي»: ٢٢، حول هذه المسألة يورد التميمي حججًا قدمها الجويني (تُوفي ١٠٨٥)، راجع المصدر نفسه: (١٥، ٣١).

(٥) المصدر نفسه: (ص/ ٥٠).

في يد المجاهدين[1]. وبمواصلة البناء علىٰ حجج الجبوري، جادلت الأطروحة بأنَّ المناطق التي تشكل الدولة الإسلامية أكبر. ليست فقط مساوية. من تلك التي أسس عليها النبي محمد الدولة الإسلامية في المدينة[2].

تفاخرت الأطروحة أيضًا بأنَّهم أدخلوا التوحيد الحقَّ إلىٰ العراق، مُخلِّصين الأرض من الوثنية والشرك، مُدمِّرين المزارات[3]. أنشأت الدولة كذلك المحاكم الشرعية وعيَّنت قُضاةً يحكمون بما أمر الله[4]. لقد كانت إقامة الدولة مقدرًا لها أن تكون «كارثة سياسية وضربة قاسمة للعدو»، ممَّا يُشكِّل نصرًا عظيمًا لحركة الجهاد[5]. وفيما يتعلق بالخلافة، ذكرت الأطروحة: «وهذه دولة الإسلام قد قامت من جديد لتضرب جذوره في المنطقة كما هي عهوده السابقة في العز والمجد (...)، أرض العراق الآن تتهيأ لمشروع إسلامي كبير (...)، مع ما تملكه من ثروات وخيرات كفيلة بأن تفتح المنطقة نحو مد إسلامي كبير»[6].

★ رُدودُ الأفعالِ الأولية:

قابلت وسائل الإعلام الجهادية إعلان الدولة الإسلامية في العراق بحفاوة شديدةٍ، مُعبرةً عن مدىٰ أهمية تأسيس هذه الدولة. وعرضت منتديات الجهاد علىٰ الإنترنت لافتات رقمية لعد الأيام التي تمر منذ إعلان دولة الخلافة. اللافتة مكتوب فيها: «مضىٰ (عدد الأيام) منذ إعلان دولة الإسلام وأمل الأمة القادم.. وستظل باقية بإذن الله»[7].

لكن خارج حدود مجتمع الجهاد الضيق، لم يلفت الإعلان عن دولة إسلامية في

(١) المصدر نفسه: (ص/ ٢٥).
(٢) المصدر نفسه: (ص/ ٢٧).
(٣) المصدر نفسه: (ص/ ٤٢، ٤٣).
(٤) المصدر نفسه: (ص/ ٤٣، ٤٦).
(٥) المصدر نفسه: (ص/ ١٢).
(٦) المصدر نفسه: (ص/ ٨١، ٨٣).
(٧) انظر مثلًا:

العراق انتباه الكثيرين. ووجد الكيان الجديد صعوبة في إقناع العراقيين وحتىٰ المراقبين الخارجيين أنَّ هذا ليس مجرد اسم جديد لتنظيم القاعدة في العراق، وتذمر كل من أبي عمر البغدادي وأبي حمزة المهاجر من اعتبار العراقيين والأجانب أن الدولة الإسلامية مجرد فرع لتنظيم القاعدة[١]. ولم يتم أخذ إعلانهم تأسيس دولة علىٰ محمل الجد.

حتىٰ إنَّ الدولة الإسلامية فشلت في توحيد الجماعات السلفية الجهادية في العراق في ذلك الوقت تحت لوائها. وإحدىٰ هذه الجماعات، الجيش الإسلامي في العراق، أصدر نقدًا شديد اللهجة في حق الدولة في أبريل ٢٠٠٧[٢]. وجاء هذا الأمر جزئيًا كرد علىٰ خطاب صوتي لأبي عمر البغدادي صدر في منتصف مارس يصف فيه جميع أعضاء الجماعات الجهادية الذين رفضوا إعطاء البيعة بأنهم «عصاة لتخلفهم عن واجب العصر . . . إلخ»[٣]، ووصف الجيش الإسلامي في العراق هذا الكلام بأنَّه «خطير»، واتهم الدولة الإسلامية بأنَّها قتلت ٣٠ عنصرًا منه لأنهم «رفضوا إعطاء البيعة للقاعدة أو مهما كان اسمها». لقد كان واضحًا أنَّ الجيش الإسلامي لم يعترف بإنشاء أي دولة. وفي ختام البيان، طالب الجيش الإسلامي أسامة بن لادن بكبح جماح ما يرىٰ أنها الجماعة التابعة له في العراق[٤].

من جانبهم، قدَّم علماء السلفية الجهادية تعليقات موجزة علىٰ إعلان قيام الدولة المثير للجدل. من بينهم كان الكويتي حامد العلي أبرز من علق، وهو أحد رموز المجتمع السلفي في الكويت ومعروف بتعاطفه مع القاعدة[٥]. مثله مثل الجيش

---

(١) انظر مثلًا: أبو عمر البغدادي - «البنيان المرصوص» - مؤسسة الفرقان - ١٥ أبريل ٢٠٠٨، موجودة في «المجموع»: (ص/ ٦٦-٦٩)، انظر أيضًا: المهاجر - «اللقاء الصوتي الأول مع أبي حمزة المهاجر».

(٢) «رد جيش الإسلام في العراق علىٰ خطابات الأخ أبي عمر البغدادي»، شبكة حنين، ٥ أبريل ٢٠٠٧.
http://www.hanein.info/vbx/showthread.php?p=53646

(٣) البغدادي - «قل إني علىٰ بينة من ربي».

(٤) «رد جيش الإسلام».

(٥) للمزيد عن حامد العلي انظر:
Carine Lahoud-Tatar, Islam et politique au Kowe't (Paris: Presses Universitaires de France, 2011), 203.

الإسلامي في العراق، اختلف العلي مع وصف البغدادي لمن تخلفوا عن بيعته علىٰ أنهم «عصاة»، في فتوىٰ علىٰ موقعه الإلكتروني، ٤ أبريل ٢٠٠٧، وحثَّ العلي الدولة الإسلامية علىٰ التخلي عن إعلان تأسيسها والعودة إلىٰ ما كانت عليه، «فصيل جهادي بين الفصائل الجهادية الأخرىٰ»[١]. من وجهة نظر العلي، كانت فكرة الدولة الإسلامية برمتها معضلة؛ لأنَّها قدمت نفسها علىٰ أنَّها «الإمامة الشرعية المعروفة في الشريعة الإسلامية»، أي: الخلافة. وفي رأي العلي، فإن «دولة أبي عمر البغدادي» لم تحقق معيار الدولة، وهو التمكين السياسي، فهي بذلك ليست دولة بأي شكل. وبعد ذلك بشهور، كتب العلي قصيدة تسخر من الدولة الإسلامية واصفًا إياها بأنها «خيالية» ولا توجد إلا علىٰ الإنترنت[٢].

لفت الصراع بين دولة العراق الإسلامية وجيش العراق الإسلامي، بما في ذلك مساهمة حامد العلي، نظر بعض علماء الجهادية المؤيدين للدولة الإسلامية. واتهم أحد هؤلاء، أبو دجانة الخراساني، اتهم العلي وجيش العراق الإسلامي بالتواطؤ ضد الدولة الإسلامية. وانتقد الخراساني الجيش الإسلامي لتركيزه علىٰ الشأن المحلي وقبوله واستعداده للتعاون مع حكومة بغداد، فيما كانت الدولة الإسلامية في المقابل تركز علىٰ «توسع الخلافة الإسلامية»[٣].

كتب تركي البنعلي، الداعية البحريني الشاب والذي كان يكتب تحت اسم مستعار في ذلك الوقت، غاضبًا من العلي بسبب نفاقه، قائلًا: «العلي يدعم حماس التي لا تعتبر إسلامية بما فيه الكفاية في رأي معظم المجاهدين، بينما يتهم دولة العراق

---

(١) حامد العلي - «هل من لا يبايع دولة العراق الإسلامية عصاة؟ وهل هو واجب العصر؟»، ٤ أبريل ٢٠٠٧.

http://www.h-alali.net/f_open.php?id=1a55240a-3422-102a-9c4c-%20001dc91fc69

(٢) حامد العلي - «أمجاد النيك نيم (nickname)»، ٩ يناير ٢٠٠٨.

(٣) أبو دجانة الخراساني -«يا جنود الجيش الإسلامي هاجروا إلىٰ أبي عمر البغدادي»- منتديات شبكة شموخ الإسلام، ١٦ أبريل ٢٠٠٧.

https://shamikh1.info/vb/showthread.php?t=215&highlight=%CF%CC%C7%E4%C9+%C7%E1%CE%D1%C7%D3%C7%E4%ED+%CD%C7%E3%CF+%C7%E1%DA%E1%ED

الإسلامية بأنها لا تملك الأساسيات التي تقيم دولة»، وأحال العلي للرجوع إلىٰ الحجة في كتاب «إعلام الأنام» الذي يُؤكِّد أنَّ الأراضي الواقعة تحت سيطرة الدولة الإسلامية أكبر مساحة من تلك التي أقام عليها النبي دولته في المدينة[1].

هدأ الجدل الدائر في العراق حول شرعية الدولة الإسلامية سريعًا، حيث أصبحت الصحوة، حركة العشائر السنية، في تصاعد مما جعل الجيش الإسلامي والدولة الإسلامية يبدوان أضعف وأقل أهمية من الناحية السياسية. وبالنسبة إلىٰ الجهاديين خارج العراق، فإن الاحتفال بدولة الخلافة الجنينية بدأ يهدأ لديهم، وكل ما تبقىٰ هو لافتات علىٰ المنتديات الجهادية تسجل مرور الأيام.

⋆ العلاقات مع القاعدة:

لم تُستشر القاعدة عند إعلان قيام الدولة الإسلامية[2]. وعلىٰ الرغم من أنَّ القاعدة قدمت دعمًا رمزيًا للإمارة الجديدة، إلا أن العلاقات كانت متوترة والتواصل بين الجماعتين علىٰ أقل مستوىٰ.

في ديسمبر ٢٠٠٧، أشاد تنظيم القاعدة بالدولة الإسلامية عندما أصدر أسامة بن لادن بيانًا صوتيًا يدافع فيه عن الدولة ضد الجيش الإسلامي وحامد العلي وأمثالهم. واصفًا مقاتلي الدولة الإسلامية بأنهم «من أكثر الناس تمسكًا بالحق والتزاما بمنهج رسول الله»، قال ابن لادن أيضًا: «أنْ لا حجة لمن امتنع عن بيعة أبي عمر البغدادي». انتقد ابن لادن الحجج القائلة بأن «القدرة السياسية التامة شرط لإقامة الدولة الإسلامية في الوقت الحاضر»، فلو كان الأمر كذلك «ما قامت للإسلام

---

(١) تركي البنعلي -«بزوغ الفجر بالمحاجات العشر»- منبر التوحيد والجهاد، ٢٠٠٩: (ص/١٦-٢٢).
http://www.tawhed.ws/dl?i=18120902

(٢) «رسالة آدم غدن إلىٰ أسامة بن لادن»: (ص/ ٨) أواخر يناير ٢٠١١.
http://www.jihadica.com/wp-content/uploads/201205/SOCOM-2012-0000004-Orig.pdf
«بيان بشأن علاقة جماعة قاعدة الجهاد بجماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام»، مركز الفجر للإعلام، ٢٢ يناير ٢٠١٤؛ http://justpaste.it/ea9k, أيمن الظواهري، «رسالة لحقن دماء المجاهدين بالشام»، مؤسسة سحاب - ٢ مايو ٢٠١٤، مفرغة علىٰ الرابط التالي:
https://archive.org/download/shehadaemam/shehada.pdf

دولة!». وأكمل قائلًا: «تستطيع الولايات المتحدة بقوتها العسكرية شن حرب علىٰ أي دولة وإسقاط حكومتها» حسب رغبتها. وبالنظر إلىٰ مثال الرسول، الذي أنشأ دولته في ظل ظروف عصيبة، فإن التمكين السياسي المطلق ليس شرطًا لإقامة الدولة[١].

في وقت أبكر من الشهر نفسه، رحَّب أيمن الظواهري «بتأسيس دولة العراق الإسلامية»، قائلًا: «أحرض جميع إخواني المجاهدين في العراق علىٰ اللحاق بهذا الركب المبارك». وعلىٰ ما يبدو، كان لا يزال هناك أمل عند الظواهري أن تكون هذه الدويلة هي دولة الخلافة التي طال انتظارها. كما أردف قائلًا: «أحرض الأمة الإسلامية جمعاء علىٰ دعم هذه الدولة الفتية الناشئة، فإنها - بإذن الله - البوابة لتحرير فلسطين ولإحياء دولة الخلافة الإسلامية»[٢].

لقد بدا أنَّ الدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة متفقان أنَّ فرع القاعدة المسمىٰ تنظيم القاعدة في العراق لم يعد له وجود. كما أعلن أبو عمر البغدادي في أواخر ٢٠٠٧، أنَّ «(القاعدة في العراق) تم حلها لصالح الدولة الإسلامية»[٣]. وفي نفس الفترة، وضَّح أيمن الظواهري أنه: «ليس هناك شيء الآن في العراق اسمه القاعدة، ولكن تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين اندمج بفضل الله مع غيره من الجماعات الجهادية في دولة العراق الإسلامية حفظها الله، وهي إمارة شرعية»[٤]، غير أنه بدا أنَّ هذه كانت نهاية الوفاق بينهم.

وفي السرِّ، كانت العلاقة بين الدولة الإسلامية والقاعدة مشحونة. ومَثَّلَ ضعف الاتصال مشكلةً بينهم، كما كان الحال في عهد الزرقاوي. لقد كانت قيادة القاعدة قد

---

(١) أسامة بن لادن - «السبيل لإحباط المؤمرات» - مؤسسة السحاب، ديسمبر ٢٠٠٧.

www.tawhed.ws/dl?i=24041002

(٢) أيمن الظواهري - «حقائق الصراع بين الإسلام والكفر» - مؤسسة سحاب- ديسمبر ٢٠٠٧.

http://www.tawhed.ws/r?i=kdmwdhq2

(٣) أبو عمر البغدادي - «فأما الزبد فيذهب جفاء».

(٤) أيمن الظواهري -«لقاء السحاب الرابع مع الشيخ أيمن الظواهري»- مؤسسة السحاب، نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٧.

https://nokbah.com/w3/?p=11

انتقدت مرارًا فشل الزرقاوي في التنسيق معها. ففي ديسمبر ٢٠٠٥، في خطاب إلىٰ الزرقاوي من عطية الله الليبي، جاء الليبي علىٰ ذكر عدم التنسيق بين قيادة القاعدة وفرعها في العراق، قائلا: «الارتباك الحالي وفقدان الاتصال». وأعطىٰ الليبي «أمرًا» مباشر للزرقاوي لإيفاد رسل للقاء قادة تنظيم القاعدة. وأضاف الليبي: «إنَّ تجهيز الرسل أكثر أهمية من تجهيز الإخوة للعمليات الحالية مثل عملية فندق عمان»، في إشارة إلىٰ سلسلة الهجمات بالقنابل التي وقعت في نوفمبر في العاصمة الأردنية عمان[1].

لم تتحسن العلاقات بإعلان قيام الدولة الإسلامية. ففي مارس ٢٠٠٨، كتب الظواهري إلىٰ أبي حمزة المهاجر مطالبًا إياه «بتقارير مفصلة وشاملة عن الأوضاع الحالية»، وتكرر هذا المطلب مرارًا وتكرارًا[2]. وألحق الظواهري برسالته رسالة قديمة من «سيف العدل»، بتاريخ نوفمبر ٢٠٠٧، طالبت المهاجر بـ«ألا تنسىٰ نقل الأخبار، حيث إننا في انتظار أخبار وتقارير عن وضعكم .. وفي انتظار «الرد» علىٰ كل طلباتنا السابقة»[3].

عندما وصلت الأخبار في النهاية إلىٰ قيادة القاعدة، شعروا بالفزع علىٰ حال الدولة في العراق، فقد فشلت إقامة الدولة فشلًا ذريعًا، وفي أواخر أبريل ٢٠٠٧، صاغ القاضي الشرعي للدولة الإسلامية، سليمان العتيبي وهو سعودي الجنسية، خطابًا إلىٰ

---

(١) «خطاب آية الله الليبي»: (ص/ ٣).

(٢) «خطاب أيمن الظواهري إلىٰ أبي حمزة المهاجر»؛ ١٠ مارس ٢٠٠٨: (ص/ ١).

http://iraqslogger. powweb.com/downloads/aqi_leadership_letters_sept_08.pdf

حصلت القوات متعددة الجنسيات في العراق علىٰ هذا الخطاب مع عدة خطابات أخرىٰ في ٢٤ أبريل ٢٠٠٨؛ وهي متاحة علىٰ مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات. راجع بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠٠٨:

Bill Roggio, Daveed Gartenstein-Ross, and Tony Badran, *Intercepted Letters from al-Qaeda Leaders Shed Light on State of Network in Iraq*, The Long War Journal.

http://www.defenddemocracy.org/media-hit/intercepted-lettersfrom-al-qaeda-leaders-shed-light-onstate-of-network-in/#sthash.0xkusSCN.dpuf

(٣) «خطاب سيف العدل لأبي حمزة المهاجر»؛ ٢٦ يناير ٢٠٠٨: (ص/ ٢)، الرابط موجود في هامش: (١٠٩).

قادة تنظيم القاعدة يطلعهم فيه علىٰ سوء الوضع. ولـم تكن الدولة الإسلامية تفقد السيطرة علىٰ معاقلها الحصينة فحسب، مثل الرمادي، بل إن قادتها أيضًا كانوا يسيئون تصوير الحقيقة علىٰ الأرض. فادعاءات أبي حمزة المهاجر فيما يتعلق بدعم شيوخ العشائر السنية لهم لـم تكن حقيقية، وكانت الأذرع الإعلامية للدولة الإسلامية تصدر تسجيلات لعمليات قديمة علىٰ أنها جديدة. لقد كانت الجماعة غارقة في الفوضىٰ. فقد تم الإعلان عن قيام الدولة علىٰ عجالة، وكان تنصيب أبي عمر البغدادي «أميرًا للمؤمنين» قد تم بشكل جزافي[١]. عندما تلقىٰ قادة القاعدة الرسالة، في نهاية العام تقريبًا، شعروا بالقلق المبرَّر، وطلبوا ردًا مفصلًا من أبي حمزة المهاجر[٢].

في الوقت نفسه، في ربيع ٢٠٠٧، أرسل أبو الوليد الأنصاري الفلسطيني، واحد من كبار فقهاء تنظيم القاعدة، رسالة حادة إلىٰ البغدادي وأبي حمزة ينتقد فيها بقسوة فشلهما في التشاور مع القاعدة قبل إعلان الدولة[٣]. كان الأنصاري ضد فكرة حل الدولة؛ لأنها ستكون في صالح «الأعداء»، إلَّا أنَّه ندم علىٰ إعلان قيام الدولة[٤].

---

(١) أبو سليمان العتيبي -«شهادة الشيخ أبي سليمان العتيبي للقيادة في خراسان»- ٢٨ أبريل ٢٠٠٧؛ http://justpaste.it/do3r. ظهرت الرسالة علىٰ الإنترنت في ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣، جزيل الشكر لويل ماكنتس الذي لفت انتباهي إليها.

(٢) «خطاب أيمن الظواهري لأبي حمزة المهاجر»؛ ٢٥ يناير ٢٠٠٨: (ص/ ٣)، و«لأبي عمر البغدادي»: (ص/ ٦)، مارس ٢٠٠٨، الروابط في هامش: (١٠٩).

(٣) أبو الوليد الأنصاري - «رسالة نصيحة لأبي عمر البغدادي من الشيخ أبي الوليد الأنصاري» - نخبة الفكر، ٢٠١٤،

https://archive.org/download/Abu.al.Walid.al.Ansari.New/naseha.pdf,

ظهرت الرسالة علىٰ الإنترنت في ٢٢ أكتوبر ٢٠١٤. يوحي سياق الرسالة أنها كُتبت في مارس أو أبريل ٢٠٠٧. للمزيد عن الأنصاري راجع:

Kévin Jackson, *Al-Qaeda's Top Scholar*

نُشرت علىٰ مدونة جهاديكا بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٤، تجدها علىٰ الرابط التالي:

http://www.jihadica.com/al-qaedas-top-scholar/

(٤) «رسالة النصيحة للأنصاري»: (ص/ ١٤).

وأشار إلىٰ أنَّ «العديد» من أعضاء القاعدة لديهم «أسئلة ومخاوف» من الدولة الإسلامية المعلنة حديثًا وأنها كانت مصدرًا للخوف والقلق[1]. وطلب الأنصاري من قائد الإمارة الجديدة تقريرًا حول الظروف التي أدت إلىٰ هذا القرار[2]. وقدم أبو حمزة المهاجر هذا التقرير في رسالة إلكترونية «مبررًا فيها قيام الدولة»[3].

لم تكن طبيعة العلاقات الفعلية بين القاعدة والدولة الإسلامية قد برزت للعلن في ذلك الوقت، وتظل محل جدل. ففي عام ٢٠١٤، يدعي الظواهري أنَّ أبا حمزة المهاجر أبلغه سرًا أنَّ الدولة الإسلامية تدين بالولاء لقيادات القاعدة[4]. إلا أنه يبدو أن الجماعة لم تبايع قيادة تنظيم القاعدة، وهو الأمر الذي يعد تقليدًا معتادًا للجماعات التابعة لتنظيم القاعدة.

وعلىٰ كل حال، فولاء الدولة الإسلامية لتنظيم القاعدة كان غير ذي أهمية علىٰ ما يبدو. وبحلول ٢٠١١، كانت قيادات القاعدة لاتزال تشكو من أنَّ الدولة الإسلامية لا تهتم بهم كثيرًا. حتىٰ إن المتحدث باسم تنظيم القاعدة، الأمريكي آدم غدن، نصح بن لادن بقطع العلاقات التنظيمية مع دولة العراق الإسلامية؛ لأنَّها تبدو «دولة وهمية»، وتثير الجدل بأفعالها شديدة العنف مشوهة اسم القاعدة. لم تكن القاعدة تأمر أو توجه سلوك الدولة، وعلىٰ أي الأحوال، فقد «انقطعت العلاقات بينهم عمليًا لسنوات»، وأضحىٰ لزامًا علىٰ الجماعتين إعلان الأمر رسميًّا[5].

⋆ قيادة جديدة، أكثر تأثيرًا:

بحلول وقت مقتل أبي عمر البغدادي وأبي حمزة المهاجر في غارة مشتركة للقوات الأمريكية والقوات العراقية قرب تكريت في ١٨ أبريل ٢٠١٠، كانت الدولة الإسلامية قد خسرت أيَّ مظهر من مظاهر الدولة. وخلال العام الذي سبق موته، كان أبو حمزة

---

(١) المصدر نفسه: (ص/ ١٢).

(٢) المصدر نفسه: (ص/ ١٣).

(٣) «شهادة الظواهري»: (ص/ ١).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) «رسالة آدم غدن»: (ص/ ٨).

المهاجر يدفع الاتهامات القائلة إن الدولة الإسلامية «دولة كرتونية»[1]. وفقًا لشهادة أدلت بها زوجة المهاجر إلىٰ الشرطة العراقية، فقد سألته مرة: «أين دولة العراق الإسلامية التي تتحدثون عنها ونحن نسكن هنا بالصحراء؟!»[2].

ومما يوضح انخفاض القيمة السياسية للجماعة، ما أقرته وزارة الدفاع الأمريكية، في فبراير ٢٠٠٨، من خفض لقيمة المكافأة الخاصة بالمهاجر من خمسة ملايين دولار إلىٰ مائة ألف! « التقييم الحالي، والمبني علىٰ عدة عوامل، يظهر أن المهاجر لم يعد قائدًا مؤثرًا للقاعدة في العراق (أي: دولة العراق الإسلامية)، كما كان العام الماضي»، قال متحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية[3]. وفي تلك الأثناء، بدا تأثير البغدادي هامشيًا جدًّا لدرجة أنَّ المسئولين الأمريكين اعتقدوا أنَّه ليس أكثر من ممثل يلعب دور شخصية خيالية[4]. ومع أنَّ هذا التقييم اتضح أنه لم يكن صحيحًا، إلَّا أنَّ الشائعات القائلة بعدم وجود البغدادي استمرت حتىٰ العام ٢٠٠٩[5].

في غضون شهر من وفاتهما عيَّن مجلس شورىٰ الدولة الإسلامية أميرًا جديدًا، أبو بكر البغدادي، والذي يظل قائدًا للجماعة حتىٰ الآن[6]. ومثل سلفه، ادعىٰ

---

(١) المهاجر - «اللقاء الصوتي الأول مع الشيخ أبي حمزة المهاجر».

(٢) صحيفة الرياض، صادق العراقي - «زوجة أبو أيوب المصري وصلنا العراق قبل سقوط نظام صدام .. وزوجي غامض ومتشدد».

http://www.alriyadh.com/520823

(٣) نشرت السي إن إن في ١٣ مايو ٢٠٠٨ هذا الخبر بعنوان: Reward for Wanted Terrorist Drops علىٰ الرابط التالي:

http://www.cnn.com/2008/WORLD/meast/05/13/pentagon.masri.value/

(٤) نشرت رويترز، في ١٨ يوليو ٢٠٠٧، العنوان التالي:

Dean Yates, Senior Qaeda Figure in Iraq a Myth: U.S. Military

راجع الرابط التالي:

http://www.reuters.com/article/2007/07/18/us-iraq-qaeda-idUSL1820065720070718

(٥) "Campbell Robertson, *Terrorist or Mythic Symbol: A Tale of Iraqi Politics*, The New York Times, 30 May 2009.

(٦) «بيان مركز شورىٰ دولة العراق الإسلامية»؛ مركز الفجر للإعلام، ١٦ مايو ٢٠١٠.

https://shamikh1.info/vb/showthread.php?t=62187

البغدادي الجديد نسبه لقريش وسُمِّيَ «أمير المؤمنين»، ومع ذلك، لم يصدر البغدادي الجديد بيانًا صوتيًا إلّا بعد توليه بعامين(١). وخلال تلك الفترة، تداعت وسائل إعلام الدولة الإسلامية بشدة. ولم تظهر تصريحات رسمية للقيادة الجديدة حتىٰ منتصف ٢٠١١، عندما ظهر خطاب صوتي باسم أبي محمد العدناني، الناطق الرسمي الجديد للدولة الإسلامية، سوري الجنسية(٢). وسرعان ما أصبح البغدادي والعدناني اثنين من أبرز أصوات الجماعة منذ لك الحين، مُصرِّحين بالكثير من الرسائل الصوتية.

ويبدو القادة الجدد، الذين يتحدثون باللغة العربية الفصحىٰ، خطباء أكثر حنكة وموهبة مِن مَن سبقوهم، لكن الكشف عن هوياتهم وخلفياتهم برز للعلن في العامين السابقين فقط.

وَفقًا للعدناني، اسم البغدادي الحقيقي هو إبراهيم بن عواد بن إبراهيم بن علي بن محمد البدري، وُلد ونشأ في سامراء ودرس في بغداد(٣). ووَفقًا للإنتربول، ولد البغدادي في ١٩٧١(٤)، وظهرت السيرة الذاتية الوحيدة الموجودة عن البغدادي، والتي كتبها تركي البنعلي، في منتصف ٢٠١٣(٥). وإضافة إلىٰ ذكر نسب البغدادي

---

(١) البغدادي - «ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره» - الإصدار الوحيد السابق علىٰ هذا البيان هو خطاب تأبين البغدادي لأسامة بن لادن؛ ونشر علىٰ الإنترنت في ٩ مايو ٢٠١١؛ بعنوان «بيان تأبين الشيخ المجاهد أسامة بن لادن»؛ مركز الفجر للإعلام، ٩ مايو ٢٠١١.
https://shamikh1.info/vb/showthread.php?t=109019

(٢) أبو محمد العدناني -«إن دولة الإسلام باقية»- مؤسسة الفرقان، ٧ أغسطس ٢٠١١؛ مفرغة علىٰ الرابط التالي:
https://archive.org/download/nokbah565/dawlat.pdf

(٣) أبو محمد العدناني - «هذا وعد الله» - مؤسسة الفرقان؛ ٢٩ يونيو ٢٠١٤؛ انظر الرابط التالي:
http://www.gulfup.com/?3DñMKR

(٤) «إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي»، الإنتربول، تحديث ٣ يونيو ٢٠١٤.
http://www.un.org/sc/committees1267/NSQI29911E.shtml

(٥) تركي البنعلي - «مد الأيادي لبيعة البغدادي» - منبر التوحيد والجهاد، ٥ أغسطس ٢٠١٣؛ http://tawhed.ws/r?i=05081301. تم حذف النص الأصلي علىٰ الرابط السابق، لكن توجد نسخة علىٰ الرابط التالي:
http://jihadology.net/2013/08/05₤minbar-attaw%E1%B8%A5id-wa-l-jihad-presents-a-new-article-from-abu-hamam-bakr-bin-abd-al-aziz-al-athari-extend-our-hands-inbayat-to-al-baghdadi/

حتىٰ النبي محمد، تؤكد السيرة الذاتية علىٰ أنَّه حاصل علىٰ دكتوراه في الفقه الإسلامي من جامعة بغداد، وأصدر كتابًا عن قراءة القرآن، كما أنَّه عمل واعظًا في عدة مساجد[١]. وشكَّل البغدادي جماعة جهادية في ٢٠٠٣، وفي عام ٢٠٠٦ انضم إلىٰ الدولة الإسلامية في العراق كقاضٍ وعضو في مجلس الشريعة[٢]. واعتقل البغدادي من قِبل القوات الأمريكية بين شهري فبراير وديسمبر ٢٠٠٤[٣].

وَفقًا لوزارة الخارجية، اسم العدناني الحقيقي هو طه صبحي فلاحة، ولد عام ١٩٧٧، قرب محافظة حلب في سوريا[٤]. ويذكر البنعلي في السيرة الذاتية التي كتبها عن العدناني أنَّ الأخير مع مجموعة من السوريين الجهاديين بايعوا الزرقاوي قبل الغزو الأمريكي للعراق. وفي ٢٠٠٣، انتقل العدناني للعراق لدعم انتفاضة الجهاد، لكن مسيرته توقفت بعد ما سجنته الولايات المتحدة في أحد معسكرات التوقيف التابعة لها ما يقرب من ست سنوات[٥]. ويُبدي العدناني ميولًا علمية أيضًا، حيث درَّس العقيدة والشريعة في معسكرات التدريب الجهادية[٦].

= ، لتحليل شامل لهذه الوثيقة راجع:

Joas Wagemakers, *Al-Qaida Advises the Arab Spring: The Case for al-Baghdadi*

منشور علىٰ مدونة *Jihadica*, بتاريخ ٢١ سبتمبر ٢٠١٣، علىٰ الرابط التالي:

http://www.jihadica.com/al-qaida-advises-the-arab-spring-thecase-for-al-baghdadi/

(١) البنعلي - «مد الأيادي»: (ص/ ٤-٢).

(٢) المصدر نفسه: (ص/ ٦-٧).

(٣) راجع ما نشرته بي بي سي في ٣٠ يوليو ٢٠١٢:

http://www.bbc.com/news/worldmiddle- east-28560449

(٤) نشرت وكالة فرانس برس بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٤؛ خبر بعنوان: «الولايات المتحدة تضيف جبهة النصرة والمتحدث باسم الدولة الإسلامية لقوائم الإرهابيين»:

US adds IS Spokesman, *al-Nusra Front Rebel to Terrorist List*

http://www.afp.com/en/node/2739191/

(٥) البنعلي - «اللفظ اللساني في ترجمة العدناني»: (ص/ ٩-١٠).

(٦) المصدر نفسه: (ص/ ٧).

★ **العودة:**

في أواخر يناير ٢٠١٢، بدت الدولة الإسلامية علىٰ وشك العودة[١]. وأصدرت الجماعة عددًا من الخطب تُعلن فيها عن «عودتها» الوشيكة، مضيفةً أنَّها تكسب مؤيدين جددًا يوميًا[٢]. «فإنَّ الدولة الإسلامية عائدةٌ قريبًا ـ بإذن الله ـ إلىٰ جميع المناطق التي انحازت منها» بحسب قول العدناني في فبراير[٣]. وذهب البغدادي إلىٰ ما هو أبعد من ذلك مُعلِنًا في يوليو ٢٠١٢ أنَّ الدولة الإسلامية «تعود من جديد، وتزحف لتسيطر علىٰ الأرض كما كانت ومزيد . . . الدولة الإسلامية التي لا تعترف بالحدود المصطنعة ولا بجنسيةٍ غير الإسلام»[٤]. وبالاعتماد علىٰ استياء السُّنَّة تجاه السياسة الطائفية لرئيس الوزراء الشيعي العراقي نوري المالكي، وجد الحديث عن المظالم السنية ومؤامرة التوسع الشيعي مكانة في قلب الخُطب، حتىٰ إنَّ العنف في العراق زاد بشدة بعودة الدولة الإسلامية في ٢٠١٢[٥].

في هذه الأثناء، أرسل البغدادي مجموعة من المقاتلين المختارين بعناية إلىٰ سوريا لتشكيل جماعة جهادية اسمها «جبهة النصرة»، والتي اشتُهرت سريعًا كأهم جماعة سُنِّيّة ثائرة في الحرب الأهلية السورية[٦]. إلا أنه في تلك الأثناء، لم تجهر أي من جبهة النصرة أو الدولة الإسلامية بطبيعة العلاقة بينهما.

---

(١) في حين أن العمل علىٰ عودة الدولة بدأ رسميًّا في ٢٠١٢، إلا أنَّ التجهيز للعودة بدأ منذ ٢٠١٠، راجع:
Lister, *Profiling the Islamic State*, 10-11.

(٢) راجع خُطب أبو محمد العدناني الثلاث الآتية: «الآن الآن جاء القتال»، مؤسسة الفرقان بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٢ - و«العراق العراق يا أهل السنة»، و«إنما أعظكم بواحدة»؛ راجع أيضًا: أبو عمر البغدادي، و«يأبىٰ الله إلا أن يتم نوره».

(٣) العدناني - «العراق العراق يا أهل السنة».

(٤) البغدادي - «ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره».

(٥) راجع ما نشرته الأيكونومست في ٥ يناير ٢٠١٣: Still Bloody, The Economist.

(٦) أبو محمد الجولاني -«الإعلان عن جبهة النصرة»- منبر التوحيد والجهاد، ٢٠١٢.

الدولة المُتشرذمة

(٢٠١٣ - ٢٠١٤)

«كانت الدولة الإسلامية مجرد نكتة، فما أن يتحدث شخص عن الإمارة الإسلامية حتىٰ يرمقه الجميع بنظرات التعجب والاستغراب، وربما أتبعوها بضحكات السخرية والاستهزاء، إمارة إسلامية في القرن الحادي والعشرين! لكن النكتة الطريفة تحولت. مع وجود الدولة الإسلامية في العراق والشام. إلىٰ بركان متفجر، يخشىٰ الجميع أن تطاله حممه وشظاياه . . . «تسونامي» كبير سيدمر كل شيء». [عبد الله بن عبد الرحمن الشنقيطي، «تسونامي الدولة الإسلامية في العراق والشام»، ١ يناير ٢٠١٤][(١)].

في الفترة ما بين ٩ أبريل ٢٠١٣ و٢٩ يوليو ٢٠١٤، سعت الدولة الإسلامية- التي كانت تحظىٰ باحترام القلة- سعت لبسط سيطرتها في سوريا. أصاب توسع الدولة الإسلامية الجهاديين بحالة من النشوة في البداية؛ غير أنه سرعان ما عانت الجهادية من الاقتتال الداخلي في ميادين المعركة وعلىٰ المستوىٰ الأيديولوجي. وظهرت التصدعات الأيديولوجية التي لا تزال تفرق مؤيدي الدولة الإسلامية والقاعدة في تلك الفترة.

⋆ تحدي القاعدة:

في ٩ أبريل ٢٠١٣، أصدر أبو بكر البغدادي بيانًا صوتيًّا يُعلن فيه توسع الدولة

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن الشنقيطي -«تسونامي الدولة الإسلامية في العراق والشام»- مؤسسة الغرباء، ١ يناير ٢٠١٢: (ص/ ٣)، http://www.gulfup.com/?EsyUjG. هذا الكاتب، وهو باحث جهادي من موريتانيا، أيَّد سابقًا الدولة الإسلامية، ولكنه الآن في صف القاعدة. يمكنك مراجعة «الخلافة ليست هي الخلاف»؛ منبر التوحيد والجهاد؛ ١٠ أغسطس ٢٠١٤.

http://www.tawhed.ws/r?i=16081402

الإسلامية إلىٰ «الشام»، الاسم العربي لسوريا الكبرىٰ[1]. كما كشف أنَّ جبهة النصرة ما هي إلَّا «امتداد لدولة العراق الإسلامية»، وأنَّ أميرها أبو محمد الجولاني هو واحد من «جنود» الدولة الإسلامية كان قد أرسل إلىٰ سوريا مع مجموعة من زملائه في مهمة سرية. «فنعلن متوكلين علىٰ الله: إلغاء اسم دولة العراق الإسلامية، وإلغاء اسم جبهة النصرة»، قال البغدادي: «فتم تغيير اسم دولة العراق الإسلامية إلىٰ «الدولة الإسلامية في العراق والشام» لتصبح راية الجماعة الجديدة هي راية الخلافة إن شاء الله». وبعد ست سنوات ونصف من الانكماش، أصبحت الدولة الإسلامية مرة أخرىٰ علىٰ طريق التوسع.

لم يُطرب الجولاني بهذا الكلام، وأصدر في اليوم التالي مباشرة بنفسه بيانًا صوتيًّا يرفض فيه حل جماعته، قائلًا: «إنَّ جبهة النصرة ستظل كما هي بلا تغيير»! وعاود الجولاني تأكيد مبايعة الجماعة لقائد تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، وأصبحت جبهة النصرة تابعة رسميًا للقاعدة[2]. فبحسب الجولاني، كان أيمن الظواهري هو قائده وليس أبو بكر البغدادي[3].

علىٰ كل حال، انتقلت الدولة الإسلامية إلىٰ سوريا، بالرغم من اعتراض الجولاني، مستقطبة الآلاف من جبهة النصر إلىٰ صفوفها. ولم يُقابل أي من الطرفين وجود الآخر في سوريا بالترحيب. وفي أواخر مايو، تدخل الظواهري شخصيًّا «لحل الخلاف» علىٰ حد تعبيره. وفي رسالة مكتوبة نشرتها الجزيرة في يونيو ٢٠١٣، ألغىٰ الظواهري تأسيس دولة العراق والشام الإسلامية، مُطالبًا الجماعات الجهادية هناك بأن تظل منفصلة ومحافظة علىٰ انفصال نطاق سلطاتها - العراق وسوريا علىٰ التوالي[4]. إلا أنه مِن وجهة نظر البغدادي، لم يكن الظواهري قائده، فالبغدادي

(١) أبو بكر البغدادي - «وبشر المؤمنين».

(٢) أبو محمد الجولاني - «كلمة صوتية للفاتح أبو محمد الجولاني» - مؤسسة المنارة البيضاء؛ ١٠ أبريل ٢٠١٣.
http://occident2.blogspot.com/2013/04/text-of-jabhat-al-nusras-amir-abu.html

(٣) تأكيد الجولاني علىٰ البيعة لتنظيم القاعدة يوضح ارتباك وتشوش العلاقة بين تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية.

(٤) «خطاب أيمن الظواهري لأبي بكر البغدادي وأبي محمد الجولاني»؛ ٢٣ مايو ٢٠١٣.
http://www.aljazeera.net/file/Get/64c64867-0eb8-4368-a1fd-13c7afbc9aa3

«كأميرٍ للمؤمنين» لا يُقال له ماذا يفعل!

وفي ١٥ من يونيو، دحض البغدادي ما قاله الظواهري مُعلِنًا أنَّ: «الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف»[١]. وفي إشارة إلىٰ طبيعتها التوسعية الأصلية، يقول البغدادي: «لن تنحسر عن بقعة امتدت إليها، ولن تنكمش بعد نموها». وأردف البغدادي أن له «مؤاخذات شرعية ومنهجية عديدة» علىٰ التوجيه المنسوب إلىٰ الشيخ أيمن الظواهري، وأضاف أنَّ قرار الدولة الإسلامية بمناهضة القاعدة جاء بعد مشاورة مجلس شورىٰ الدولة الإسلامية والهيئة الشرعية.

تبع بيان البغدادي بيان للعدناني استنكر فيه ما قاله الظواهري بشكل أكثر حدة[٢]. يقول العدناني مُهدِّدًا: «لن يمنعنا أحدٌ من نصرة أهلنا في الشام، ولن يمنعنا أحدٌ من قتال النصيرية[٣] والجهاد في الشام، ولن يمنعنا أحدٌ من البقاء في الشام، وسوف تبقىٰ العراق والشام ساحة واحدة، جبهة واحدة، قيادة واحدة». وساق العدناني سبعة مآخذ علىٰ رسالة الظواهري: إنَّ في الرسالة أمرًا يؤدي إلىٰ معصية، وإنَّها أكدت علىٰ حدود سايكس بيكو في تقسيم الشرق الأوسط، وإنَّها أيدت «المنشقين العصاة» من قيادات جبهة النصرة، وأنَّه سنَّ سنة التمرد، ونقلت الرسالة حكمًا عن قاضٍ حكم بين طرفين لم يرهما، وإنَّ الرسالة تُمكِّن الأعداء من المجاهدين، وتطالبهم بالانسحاب من الشام بلا معنىٰ!

★ مسألة مبايعة البغدادي:

انقسم مُنظِّرو الأيديولوجية الجهاديَّة حول مَن يدعمون من الطرفين. وألقت مجموعة من شباب الجهاديين بثقلها خلف البغدادي والدولة الإسلامية، بينما عارضت مجموعة أخرىٰ من كبار الجهاديين بشدة تحدي الدولة الإسلامية لتنظيم القاعدة.

---

(١) أبو بكر البغدادي -«باقية في العراق والشام»- مؤسسة الفرقان، ١٥ يونيو ٢٠١٣.

http://alplatformmedia.com/vb/showthread.php/t=24134

(٢) أبو محمد العدناني -«فذرهم وما يفترون»- مؤسسة الفرقان ١٩ يونيو ٢٠١٣.

http://alplat-formmedia.com/vb/showthread.php?t=24303

(٣) النصيرية أو العلويون هم الطائفة الشيعية الأكبر في سوريا والمسيطرون علىٰ مقاليد السياسة في سوريا.

وتمركز الجدل بين المنظِّرين حول مسألة البيعة. والبيعة الموصوفة بأنها يمينُ الولاء كما ذكرنا في الأعلىٰ هي بصورة أكثر دقة العقد التراثي للحكم في الإسلام بين الحاكم والمحكومين(١). ففي ٢٠٠٦ وصفت الدولة الإسلامية مَن لا يريد مبايعتها مِن السُّنة العراقيين بأنَّهم مذنبون، وكذلك؛ فإنَّ المؤيدين لداعش الآن يزعمون أنَّ الجماعات الإسلامية التي تُقاتل في سوريا يجب عليها مبايعة البغدادي!

وفي ٢٠١٣ ناقش عددٌ من علماء الجهاديين هذه المسألة في أطروحات علىٰ الإنترنت(٢). الأولىٰ كانت في يونيو، للتونسي أبي جعفر الحطاب، عضو رئيس في مجلس الشريعة في جماعة أنصار الشريعة الجهادية، ويُشاع أنَّه الآن أصبح مسئولًا في الدولة الإسلامية(٣). حدد الحطاب نوعين من البيعة في الشريعة الإسلامية: «بيعة خاصة»، و«بيعة عامة»(٤). تكون البيعة الخاصة لقائد جماعة قتالية مثل أبي مصعب الزرقاوي كقائد للقاعدة في العراق؛ فشروطها محدودة؛ والسمع والطاعة واجب في مسائل الجهاد فقط. أمَّا البيعة العامة فتكون لقائد مجتمع سياسي، وشروطها غير محدودة، والسمع والطاعة واجب في كل الأمور. ووَفقًا للحطاب، فالبيعة للدولة الإسلامية بيعة عامة(٥). وهناك مؤهلات بعينها يجب توافرها في الشخص الذي ينال البيعة العامة، الخليفة، لينالها، ومن ضمنها أن يكون مسلمًا ذكرًا حرًّا يعود نسبه لقريش وأن يكون عادلًا وعاقلًا ويتمتع بالعلم. ويؤكد الحطاب أنَّ جميع هذه

---

(١) "Bernard Lewis, *The Political Language of Islam (Chicago: Chicago University Press, 1988), 58-59.*

(٢) الثلاثة الأبرزهم: (أبو جعفر الحطاب، «بيعة الأمصار للإمام المختار»)، صادر عن مؤسسة البيارق، ٢٦ يونيو ٢٠١٣، https://archive.org/download/Bayaatu-lamsar/Bayaatu-lamsar.pdf، و(البنعلي، «مد الأيادي لبيعة البغدادي»)، و(أبو الحسن الأزدي، «موجبات الانضمام للدولة الإسلامية في العراق والشام»)، مؤسسة المأسدة، ١٠ أغسطس ٢٠١٣، https://archive.org/download/OZOOO67/Xu3F1.pdf

(٣) حول هذه الشائعة، راجع التغريدة التالية بتاريخ ٢٠ فبراير ٢٠١٤:
https://twitter.com£Kosari_/status/436571875813384193

(٤) الحطاب - «بيعة الأمصار»: (ص/ ٩-١٠).

(٥) المصدر نفسه: (ص/ ٢٧).

المواصفات تتوافر في البغدادي[1].

قدَّمت السيرة الذاتية للبغدادي والتي كتبها تركي البنعلي ونشرت علىٰ موقع أبي محمد المقدسي في أغسطس ٢٠١٣ آراءً مماثلة. فتحت عنوان: «مد الأيادي لبيعة البغدادي»، أكَّد البنعلي علىٰ مؤهلات البغدادي البارزة ليكون القائد. وبشكل ملحوظ، توقع البنعلي إعلان الخلافة بعبارات لا لبس فيها، قائلًا: نسأل الله أن يأتي اليوم الذي نرىٰ فيه شيخنا جالسًا علىٰ عرش الخلافة[2].

★ الدعوى ضد صحة مبايعة البغدادي:

في نوفمبر ٢٠١٣، كتب اثنان من كبار مُنظِّري الجهادية، المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني بيانات ضد إعطاء البيعة للبغدادي في سوريا[3].

جاءت كلمات أبي قتادة القصيرة في شكل رسالة مفتوحة إلىٰ المجاهدين في سوريا، ناصحًا إياهم كجهادي مخضرم شاهدٍ علىٰ عدد لا يُحصىٰ ولا يُعدُّ من المعارك التي ضاعت مكاسبها بسبب الاقتتال الداخلي. نصح أبو قتادة المجاهدين بتجنب أخطاء «التجارب السابقة»، محذرًا من أنَّ «التفرق والاختلاف» بين المجاهدين السوريين «يخيف ويرعب كل محب»[4]. ألقىٰ أبو قتادة اللوم في هذه الانقسامات علىٰ قادة الجهاديين محبي الإمارة، وكان البغدادي بلا شك في مقدمة من يعنيهم. وفي تحدٍ منه للقب البغدادي «كأميرٍ للمؤمنين»، أكَّد أبو قتادة أنَّه: «ليس هناك أمير ممكن أن يعامل معاملة الخليفة أو ما أشبهها من الأسماء والألقاب». فالجماعات الجهادية تقاتل لتحقيق التمكين وإقامة الدولة الإسلامية، إلا أنه لا توجد جماعة واحدة من هذه الجماعات تستحق هذا اللقب! إنَّ الدولة الإسلامية لم تكن

---

(١) المصدر نفسه: (ص/ ٢٧-٢٨).

(٢) البنعلي - «مد الأيادي»: (ص/ ٥).

(٣) أبو محمد المقدسي -«ليس كم ترضىٰ بشق ابنها»- منبر التوحيد والجهاد - ٥ نوفمبر ٢٠١٣؛ http://www.tawhed.ws/r?i=17111301, راجع كذلك: أبو قتادة الفلسطيني -«رسالة لأهل الجهاد بالشام»- ١ نوفمبر ٢٠١٣، http://www.tawhed.ws/dl?i=02111303.

(٤) الفلسطيني - «الرسالة»: (ص/ ٣).

«دولة» حقيقية، وليست سوىٰ «لواء في ساحة المعركة»، مثلها مثل غيرها من الجماعات الجهادية الأخرىٰ، وبعبارة أخرىٰ؛ فإنَّ بيعة الدولة الإسلامية كانت بيعة خاصة فقط وليست عامة. وقد كان من الخطأ أنَّ بعض المجاهدين يقاتلون من أجل جماعاتهم و«كأنها مقصد بذاته لا وسيلة [إلىٰ هدف]»[1].

كذلك انتقد أبو قتادة علماء الجهادية الذين أيَّدوا مبايعة البغدادي في سوريا، واعتبر أنَّ فتاواهم تعكس «سذاجة وطفولية»، وأنَّ مؤلفي هذه الفتاوىٰ يعتبرون «مبتدئين من طلبة العلم»، أو «من غير طلبة العلم مِن مَن سُميَّ باسمهم». وبدعمهم فريقًا علىٰ حساب آخر في سوريا فهم يجعلون من الصلح والوحدة أمرًا مستحيلًا[2].

جاء نقد المقدسي في صيغة مذكرة قصيرة مرسلة إلىٰ بعض المجاهدين في سوريا الذين طلبوا توجيهه وتعرض فيها لنفس النقاط بطريقة أكثر دقة. نفىٰ المقدسي في مذكرته حقَّ الدولة الإسلامية في أن تعلن هذه الدولة أو المرحلة الجنينية لدولة الخلافة، وشدَّد المقدسي علىٰ «الفرق الواضح بين إمارة الحرب ... والدولة الممكنة»[3] فالطريق إلىٰ دولة إسلامية سليمة لابد وأن يمر «بمراحل» معينة تؤدي إلىٰ «التمكين السياسي». ويعتبر العدول عن أيٍّ من هذه المراحل. أي بإعلان قيام الدولة. أمرًا خطيرًا؛ لأنَّه يؤدي إلىٰ اقتتال داخلي[4]. ونصح المقدسي كلًّا من «إخواننا في جبهة النصرة وإخواننا في دولة العراق والشام» بالقتال «تحت راية التوحيد وتحت أمير واحد». إلا أن هذا الأمير لم يكن البغدادي، ففي رفض صريح لوضع البغدادي «كأميرٍ للمؤمنين»، أكد المقدسي أنَّ قيادة الجهاد في سوريا من الأولىٰ إسنادها لأهل سوريا لتكون أفضل في علاقتها مع الشعب السوري[5].

وبالرغم من محاولات المقدسي وأبي قتادة كبح جماح مُنظِّري السلفية الجهادية

---

(١) المصدر نفسه: (ص/ ٥).

(٢) المصدر نفسه: (ص/ ٤).

(٣) المقدسي - «ليس كمن ترضىٰ»: (ص/ ٣).

(٤) المصدر نفسه: (ص/ ٢).

(٥) المصدر نفسه: (ص/ ١-٢).

صغار السن والمتحمسين؛ إلّا أنَّ مسعاهما . فيما يبدو . قد باء بالفشل، حيث ظلَّ أولئك المتحمسون مؤيدين للدولة الإسلامية.

★ انقسام العلماءِ:

سريعًا ما اجتذب المقدسي وأبو قتادة ردود علماء الجهادية المؤيدين للدولة الإسلامية. قام الأردني عمر مهدي زيدان (الذي يعيش الآن في الدولة الإسلامية مثله مثل البحريني تركي البنعلي والتونسي أبو جعفر الحطاب)[1] برفض دعوىٰ أبي قتادة بأن المؤيدين للدولة الإسلامية «سذج» لمبايعة البغدادي[2]. وبعد أنَّ قدَّم قائمةً من ١٢ اسمًا لمنظري الأيديولوجية الجهادية وأعمالهم المؤيدة للدولة الإسلامية، يسأل زيدان أبا قتادة: «هل كل هؤلاء سذج .... وصبيان؟».

ردٌ آخر جاء من أحد أعضاء مجلس الشريعة في الدولة الإسلامية علىٰ موقع المقدسي الإلكتروني. هذا العضو المجهول هو الموريتاني أبو المنذر الشنقيطي. ففي الفترة من سبتمبر إلىٰ يناير، كتب الشنقيطي مجموعة من المقالات حول ما أثاره أبو قتادة والمقدسي بأن الدولة الإسلامية ليست سوىٰ لواء في أرض المعركة[3]. قال الشنقيطي رافضًا: إنَّها بلا شك «الإمامة العظمىٰ»، وبعبارة أخرىٰ: إنها مبنية علىٰ البيعة العامة، كيف لا يكون الكيان المبني علىٰ هذه البيعة «دولة» إذن[4]؟!

---

(١) بتاريخ ١٦ أكتوبر ٢٠١٤، نشرت صحيفة أخبار الأردن الخبر التالي: وصول عمر مهدي من الأردن لـ«داعش» مبايعًا البغدادي، http://www.jordanews.com/jordan/29929.html.

(٢) عمر مهدي زيدان -«نقض لقول من جعل الخلافة الإسلامية من دين الرفض»- ٦ نوفمبر ٢٠١٣.
http://www.gulfup.com/?YQHBt1

(٣) أبو المنذر الشنقيطي -«متىٰ يفقهون معنىٰ الطاعة»- مؤسسة غرباء، ٤ سبتمبر ٢٠١٣، http://www.gulfup.com/?xHA1X4، راجع أيضًا: «رفع الملام عن جند دولة الإسلام» - مؤسسة الغرباء، ٣ ديسمبر ٢٠١٣، http://www.gulfup.com/?YiLPpd، راجع أيضًا: «فصول في الإمامة والبيعة» - منبر التوحيد والجهاد؛ ١٠ ديسمبر ٢٠١٣، http://www.gulfup.com/?G3IHwf. انظر أيضًا: «فتاوىٰ بلا طيار» - مؤسسة غرباء - ٨ يناير ٢٠١٤.
https://archive.org/download/fatawa.bila.tyar/fatawa.bila.tyar.pdf

(٤) الشنقيطي - «فتاوىٰ بلا طيار»: (ص/٤٠).

كانت ملامح المعركة بين الفريقين قد رسمت في هذه الفترة. فأصر أنصار القاعدة أنَّ الدولة الإسلامية ليست سوىٰ جماعة جهادية: فهي لواء في أرض المعركة تحكمه بيعة خاصة. فيما أصَّر أنصار الدولة الإسلامية أنَّها ليست كسواها: فهي دولة قائمة علىٰ البيعة العامة، ممَّا يُؤهِّلها لمزيد من التوسع وزيادة أملاكها، فهي كما يراها البنعلي، دولة الخلافة المستقبلية.

★ «مبادراتُ» الصُّلحِ:

كان لهذه الخلافات بالغُ الأثر علىٰ الأرض في سوريا، فالدولة الإسلامية لم تتخيل نفسها فقط «كإمامة عظمىٰ» قائمة علىٰ «بيعة عامة»، بل تصرَّفت كذلك بإقامة الدولة، فظهر نظام قضائي يدعي سلطة قضائية. وأثناء سعي الدولة الإسلامية لبسط سيطرتها في سوريا، أثارت غضب الجماعات السُّنيَّة المسلحة هناك. وفي أوائل يناير ٢٠١٤، تحول هذا الغضب إلىٰ هجمات عسكرية ضد الدولة الإسلامية. انفجر الخلاف المتصاعد بعد الأزمة التي وقعت في بلدة مسكنة في الضواحي الشرقية لحلب. عندما اشتبك أحد فروع الجبهة الإسلامية، منظمة سورية إسلامية يعمل تحت مظلتها العديد من الجماعات الإسلامية، مع الدولة الإسلامية، الاشتباك الذي أدىٰ إلىٰ وقوع العديد من الإصابات والأسرىٰ من الجانبين. دعت بعدها الجبهة الإسلامية إلىٰ «محكمة شرعية مستقلة» للفصل في النزاع، لكن الدولة الإسلامية لم تقبل بشيء من هذا القبيل[١]. كررت الجبهة الإسلامية مطلبها بعد أن تعرض أحد قادتها في مسكنه للتعذيب والقتل علىٰ يد الدولة الإسلامية: «نحذر من استمرار جماعة الدولة في أسلوبها الممنهج بالامتناع عن تحكيم الشرع عبر قضاء مستقل»[٢].

عارض العلماء المؤيدون للدولة الإسلامية الاحتكام لمحكمة محايدة، حيث كتب البنعلي علىٰ الإنترنت: إنَّ الاحتكام لطرف ثالث «ينتهك من سيادة الدولة

(١) «نشرت صحيفة حلب نيوز، بتاريخ ٢ يناير ٢٠١٤، خبرًا بعنوان: «الجبهة الإسلامية تصدر بيانًا بشأن مقتل د. أبو ريان وجماعة الدولة تطالب أحرار الشام بمناظرة علنية في أول بيانٍ لها».

http://halabnews.com/news/45625

(٢) المصدر نفسه.

الإسلامية»[1]، فلم يُأخذ بعين الاعتبار إلَّا محاكم الدولة الإسلامية.

وأصبح السؤال عما إذا كان من الواجب علىٰ الدولة الإسلامية قبول التحكيم، في مسكنة وفي أماكن أخرىٰ، أصبح نقطة خلاف بين الجهاديين. وفَضَّلَ المؤيدون لتنظيم القاعدة التحكيم في الخلافات. وعلىٰ مدار شهر يناير، قدم عدد من قادة الجهادية المهمين «مبادرات» تقوم علىٰ فكرة الاحتكام لمحكمة مستقلة، بعض من هذه المبادرات جاء من قائد جبهة النصرة أبي محمد الجولاني،[2] والمصريَّيْن هاني السباعي وطارق عبد الحليم[3]، وقائد تنظيم القاعدة أيمن الظواهري[4]، والسعودي عبد الله المحسيني[5]. دعت كل هذه المبادرات إلىٰ محاكم محايدة، وهو الأمر الذي رفضته الدولة الإسلامية تمامًا. وفي رسالة صوتية في ١٩ يناير، قدَّم البغدادي مبادرة مقابل ما قدم من مبادرات: وقف غير مشروط لإطلاق النار[6]. وأوضح البغدادي أنَّ دولته تحارب دفاعًا عن النفس، أيِّ شخص يكفُّ عن قتالها لن يتعرض للأذىٰ.

في تلك الأثناء، كان المقدسي، المؤيد للقاعدة، يعمل علىٰ مبادرة أوسع من شأنها رأب الصدع بين جبهة النصرة والدولة الإسلامية، فاقترح المقدسي أن يقدم كلا الفريقين قاضيًا ينوب عنه، فيما يختار المقدسي قاضيًا ثالثًا، لتقديم المساعدة إذا لزم الأمر[7]. وكان البنعلي هو وسيط المقدسي في التفاوض مع الدولة الإسلامية. إلا أن

---

(١) تركي البنعلي -«خط المداد في الرد علىٰ الدكتور إياد»- ديسمبر ٢٠١٣: (ص/ ١٥).

(٢) أبو محمد الجولاني -«الله الله في ساحة الشام»- مؤسسة المنارة البيضاء؛ ٧ يناير ٢٠١٤.

(٣) هاني السباعي وطارق عبد الحليم -«دعوة للصلح والصفح بين المجاهدين في الشام»- ٢١ يناير ٢٠١٤.
http://www.almaqreze.net/ar/news.php?readmore=2348

(٤) أيمن الظواهري -«نداء عاجل لأهلنا في الشام»- مؤسسة السحاب؛ ٢٢ يناير ٢٠١٤.
http://justpaste.it/e6p2

(٥) عبد الله بن محمد المحسيني -«مبادرة الأمة»- ٢٥ يناير ٢٠١٤.
https://www.tawhed.ws/r?i=25011403

(٦) أبو بكر البغدادي -«والله يعلم وأنتم لا تعلمون»- مؤسسة الفرقان؛ ١٩ يناير ٢٠١٤.
http://www.gulfup.com/?cjuaY5

(٧) أبو محمد المقدسي - في بيان حال «الدولة الإسلامية في العراق والشام والموقف الواجب تجاها» - منبر التوحيد والجهاد؛ ٢٦ مايو ٢٠١٤؛ http://www.tawhed.ws/dl?i=26051401، في المراسلات الوارد ذكرها هنا، يصف المقدسي البنعلي بأنه (مسؤول الدولة الشرعي)، في رده علىٰ المقدسي يعرف البنعلي نفسه بأنه الشخص المقصود من الحديث، راجع: «شيخي الأسبق»: (ص/ ١٣).

كل المبادرات ذهبت أدراج الرياح! وفي مراسلاته مع المقدسي، صحح البنعلي تصورات مَن كان يومًا أستاذه بشأن جدوىٰ هذه المبادرات: «إن الدولة هي الدولة»، قال البنعلي: «هل سمعت يومًا أنَّ دولة النبي، أو دولة الخلفاء الراشدين، أو الدولة العباسية أو الأموية خضعت يومًا لتحكيم شخص مستقل؟ نحن دولة، كيف إذن تطلب منا الخضوع لتحكيم محكمة مستقلة؟ ... ألا تعرف أن محكمة مستقلة تعني دولة أخرىٰ؟»[١].

★ الانفصالُ عَنِ القاعدةِ:

في ٢ فبراير ٢٠١٤، أصدر تنظيم القاعدة بيانًا رسميًّا يقطع فيه صلته تمامًا بالدولة الإسلامية[٢]. أكَّد البيان أنَّ جماعة قاعدة الجهاد «ليست مسئولة عن تصرفات (الدولة الإسلامية)، ولا تربطها بها علاقة تنظيمية. ووضع البيان اسم الدولة الإسلامية بين قوسين وأشار لها كـ«جماعة»، نافيًا بشكل واضح كونها دولة!

وفي منتصف ٢٠١٤، تفاقم الخلاف بين الدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة عندما أوضح الظواهري علانية العلاقة التاريخية بين الجماعتين. قال الظواهري إن الدولة الإسلامية كانت تابعة لتنظيم القاعدة بلا شك[٣]. وليؤكد الظواهري ادعاءه، استشهد باقتباسات من مراسلات سابقة، حيث كانت قيادات الدولة الإسلامية تخاطب قيادة القاعدة بـ«أمرائنا» و«قادتنا»[٤]. وتوضح إحدىٰ المراسلات والتي تعود لعام ٢٠١٠، أنَّ الدولة الإسلامية كانت تستفسر من القاعدة عن ميعاد «تجديد البيعة» للجماعة[٥].

سريعًا ما ردَّ العدناني علىٰ ادعاءات الظواهري في رسالة صوتية حادة[٦]: «الدولةُ

---

(١) انظر: المقدسي - «في بيان حال»: (ص/ ١١-١٢).

(٢) «بيان بشأن علاقة جماعة قاعدة الجهاد بجماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام».

(٣) الظواهري - «الشهاد»: (ص/ ١).

(٤) المصدر نفسه: (ص/ ٣).

(٥) المصدر نفسه: (ص/ ٤).

(٦) أبو محمد العدناني -«عذرا أمير القاعدة»- مؤسسة الفرقان؛ ١١ مايو ٢٠١٤، http://justpaste.it/othran, للمزيد حول هذا البيان راجع هذا الكتاب الذي استقيت منه العديد من خواتيمي:
William McCants, *State of Confusion.*

ليست فرعًا تابعًا للقاعدة، ولم تكن يومًا كذلك»، يورد العدناني. لم ينكر العدناني علىٰ الظواهري صحة ما نقله من مراسلات، لكنه ادعىٰ أنَّ صيغ المخاطبة تلك كانت لدواعي الاحترام فقط. وإضافة إلىٰ ذلك، أكَّد العدناني أنَّ الدولة لم تبايع تنظيم القاعدة أبدًا، وأنَّ الظواهري لا يمكنه إثبات ذلك. ووَفقًا للعدناني؛ فإنَّ حقيقة العلاقة بين الجماعتين هي أنَّ الدولة الإسلامية كانت تتصرف بشكل مستقل داخل العراق فيما أرجأت للقاعدة التصرف فيما هو أبعد. لذلك؛ لطالما همشت الدولة الإسلامية أوامر تنظيم القاعدة بخصوص العراق، قال العدناني: «وإنَّ الدولة لم تستجب لنداءات القاعدة المتكررة حول عدم استهداف الجماهير الشيعية في العراق»، ومع ذلك امتثلت الدولة لأوامر القاعدة ولم تهاجم الشيعة، مثلًا، في عمليات ضد إيران.

⋆ انقسام الجهاديَّةِ:

شكَّل الجدل حول البيعة المزعومة من الدولة الإسلامية لتنظيم القاعدة قوام النقاشات الأيديولوجية الجهادية في ذلك الوقت. فقد ساند المؤيدون لتنظيم القاعدة ادعاءات الظواهري، فيما امتثل المؤيدون للدولة الإسلامية لما يورده العدناني. المسألة مصيرية؛ لأنَّه لو كانت الدولة الإسلامية مجرد فرع لتنظيم القاعدة ورفضت الانسحاب للعراق في مايو ٢٠١٣؛ فإنَّ هذا الأمر يعتبر تمردًا. أما دون بيعة، فإنَّ الدولة الإسلامية لم تكن ملتزمة بتنفيذ أي أوامر.

مع احتدام الخلاف في أوائل ٢٠١٤، بدأ المؤيدون لتنظيم القاعدة في التأكيد علىٰ ميل الدولة الإسلامية للعنف الشديد والتكفير لغيرهم من أهل السنة من المسلمين. حتىٰ إنَّ البعض شبَّههم بالخوارج، (جماعة إسلامية من القرن الأول للإسلام عُرفت بإسرافها في التكفير)[1]. إلا أن هذه الخلافات لم تطف علىٰ السطح إلا بعدما فشلت مبادرات الصلح.

---

(١) راجع علىٰ سبيل المثال: وصف أبي قتادة الفلسطيني لقيادة الدولة الإسلامية بأنهم كلاب أهل النار، يعادلهم بالخوارج - «رسالة الفلسطيني لأهل الجهاد ومحبيه»، مؤسسة البصيرة، ٢٨ أبريل ٢٠١٤.
http://www.gulfup.com/?lJgDs9

أصبح جليًّا أنَّ الحياد في الصراع بين الدولة الإسلامية والقاعدة مستحيل، حاول المقدسي وغيره، في ٢٠١٤ ولمدة شهور، التوصل لأي صيغ تفاهم مع الدولة الإسلامية، ولكن في مايو ٢٠١٤، حتىٰ المقدسي نفسه لم يستطع الاستمرار. وفي بيان يحدد «الموقف الواجب تجاه الجماعة»، اتهم المقدسي الجماعة بأنها: «تنظيم منحرف عن جادة الحق، باغٍ علىٰ المجاهدين، ينحو إلىٰ الغلو، (. . .)، الممتنعة عن التحكيم، الرافضة للإصلاح، العاصية لأوامر قادتها ومشايخها الكبار»[1].

ويستمر هذا الجدال إلىٰ الفترة التي تلي ذلك مع إعلان الخلافة.

---

(١) المقدسي - «في بيان حال»: (ص/٦).

الجهر بالخلافة

(٢٠١٤ - حتى الآن)

«وُلِّيتُ عليكم، ولستُ بخيركم، ولا أفضل منكم؛ فإن رأيتموني علىٰ حق: فأعينوني، وإن رأيتموني علىٰ باطل: فانصحوني وسدّدوني، وأطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيته: فلا طاعة لي عليكم». [أبو بكر البغدادي، الموصل، ٤ يوليو ٢٠١٤، مقتبسًا من خطبة أبي بكر الصديق (تُوفي ٦٣٤ ميلادية)، وهو الخليفة الأول في الإسلام السني][1].

في يونيو ٢٠١٤، قامت الدولة الإسلامية بتحرك مفاجئ، هذه المرة في العراق. اجتاحت الجماعة غرب العراق بلا أي عوائق تقريبًا، محتلة معظم المناطق السُّنيَّة، بما في ذلك مدينة الموصل، وبحلول ٢٩ يونيو، أعلنت الجماعة الخلافة الإسلامية في خطاب صوتي مبتهج بالنصر بثه أبو محمد العدناني[2]. من هذه النقطة فصاعدًا، أصبحت الجماعة تُعرف باسم «الدولة الإسلامية»، أعلن العدناني: إنَّها لم تعد «الدولة الإسلامية في العراق والشام». فستمتد سيادتها لتشمل العالم أجمع، وليس العراق وسوريا فقط. وبعد خمسة أيام، ظهر البغدادي لأول مرة للعلن، مقدمًا خطبته من فوق منبر الجامع الكبير في الموصل. ومقتبسًا من خطبة أول الخلفاء عند السنة عندما تسلم الخلافة، استدعىٰ البغدادي بذلك ذكرىٰ الخلافة الإسلامية الأولىٰ.

---

(١) أبو بكر البغدادي في خطبة الموصل، ١ يوليو ٢٠١٤،

https://archive.org/download/kutba_j£k_j.pdf

راجع: «العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي»، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، هناك نسخ متعددة لخطبة أبي بكر الصديق عند توليه الخلافة، لكن بدا جليًّا أن اقتباس البغدادي من نسخة عبد ربه.

(٢) العدناني - «هذا وعد الله».

حفز إعلان الخلافة حالة من الزخم العسكري واستيلاء الجماعة على المناطق السنية في العراق، وحلول بداية شهر رمضان قبل نهاية يونيو. أشار العدناني في خطابه أنَّ الدولة الإسلامية أتت بعد أن «امتلكت كل مقومات الخلافة»، وأنَّ البغدادي ـ أشار إليه بالخليفة إبراهيم ـ يمتلك كل مقومات الخليفة.

وكان العلماء المؤيدون للدولة الإسلامية يؤيدون الإعلان إلى حد كبير. فقبل ذلك بشهرين، كان البنعلي قد أورد في أحد مقالاته أنَّ التمكين السياسي ليس شرطًا أساسيًّا لإعلان دولة الخلافة[1]. يدعي المقدسي أنه عندما سمع عنوان البيان قال: «لابد أن الإعلان عن تسميتهم لتنظيمهم بالخلافة قد صار وشيكًا»[2].

⋆ الآثارُ الأيديولوجيَّةُ المترتبةُ على الخلافةِ:

إضفاء الطابع الرسمي على وضع الدولة الإسلامية باعتبارها دولة الخلافة الناشئة كان له بالغ الأثر على النقاشات الأيديولوجية بين الجهاديين. ففيما قبل، كان وضع الدولة الإسلامية هو محل الخلاف، بينما الآن أصبحت شرعية القاعدة في محل شك.

دعت الخلافة الناشئة كل المسلمين حول العالم إلى مبايعة البغدادي كخليفة. قال العدناني: «ننبه المسلمين: أنَّه بإعلان الخلافة؛ صار واجبًا على جميع المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة إبراهيم»[3]. علاوة على ذلك؛ فإنَّ جميع الجماعات الجهادية حول العالم أصبحت مطالبة بقبول سيادة الدولة الإسلامية: «تبطل شرعية جميع الإمارات والجماعات والولايات والتنظيمات، التي يتمدد إليها سلطانه ويصلها جنده «يقصد البغدادي».

أمرت الدولة الإسلامية كل المسلمين بأن يهاجروا إلى الأراضي الواقعة تحت سيادتها. يقول البغدادي في خطاب صوتي صدر بعد عدة أيام من خطاب العدناني:

---

(١) تركي البنعلي - «القيافة في عدم اشتراط التمكين الكامل للخلافة» - مؤسسة الغرباء - ٣٠ أبريل ٢٠١٤، https://justpaste.it/g0jn.

(٢) أبو محمد المقدسي - «هذا بعض ما عندي وليس كله» - منبر التوحيد والجهاد - ١ يوليو ٢٠١٤. http://tawhed.ws/r?i=01071401

(٣) العدناني - «هذا وعد الله».

«فيا أيها المسلمون في كل مكان؛ من استطاع الهجرة إلىٰ الدولة الإسلامية فليهاجر؛ فإن الهجرة إلىٰ دار الإسلام واجبة»[1].

وأصبح تنظيم القاعدة، من وجهة نظر الدولة الإسلامية، لا علاقة له بقضية الجهاد العالمي، وأُمرت الفروع التابعة له بحل نفسها والانضمام إلىٰ الدولة الإسلامية.

★ المبايعةُ أو عدمُ المبايعةِ:

بكون شرعية القاعدة الآن محلَّ شكٍّ، أصبح من الصعب علىٰ أتباعها التزام الحياد في الصراعات الجارية بين القاعدة والدولة الإسلامية.

رفض تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وشمال إفريقيا، ومقره الجزائر، الخلافة في بيان صدر في منتصف شهر يوليو[2]. كما وبَّخ التنظيم الدولة الإسلامية لعدم استشارة قيادات القاعدة، وأكَّدوا علىٰ مبايعة أيمن الظواهري، ودعوا للمصالحة بين جبهة النصرة والدولة الإسلامية في سوريا. ومع ذلك، فقد انفصل بعض الأعضاء عن التنظيم وانضموا إلىٰ الدولة الإسلامية، مُكوِّنين جماعة جديدة باسم «جند الخلافة في أرض الجزائر»[3].

كذلك شهد تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، ومقرُّه اليمن، خلافات داخلية حول الدولة الإسلامية، ووَفقًا لأحد المصادر المطلعة من نوفمبر ٢٠١٤، «اجتاحت موجة من الحماسة (للدولة الإسلامية) صفوف المجاهدين في اليمن»[4]، حيث انحاز

---

(١) أبو بكر البغدادي -«رسالة إلىٰ المجاهدين وإلىٰ الأمة الإسلامية في شهر رمضان»- مؤسسة الفرقان؛ ١ يوليو ٢٠١٤؛ https://archive.org/download/K_R_abubkr/et34.pdf

(٢) «عام الجماعة أمل الأمة»؛ مؤسسة الأندلس؛ ٤ يوليو ٢٠١٤؛ http://justpaste.it/g82p

(٣) نشر أيمن جواد التميمي علىٰ سوريا كومنت Syria Comment، بتاريخ ٢٧ سبتمبر ٢٠١٤:
Bay'ah to Baghdadi: *Foreign Support for Abu Bakr al-Baghdadi and the Islamic State* (Part 2).
علىٰ الرابط التالي:
http://www.joshualandis.com/blog/bayah-baghdadi-foreign-support-islamic-state-part-2/

(٤) ورقة بحثية لسعود السرحان من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، نوفمبر ٢٠١٤؛ بعنوان:
Saud Al-Sarhan, *A House Divided: AQAP, IS, and Intra-Jihadi Conflict.*

اثنان علىٰ الأقل من أبرز علماء التنظيم إلىٰ الدولة الإسلامية، عبد المجيد الهتاري ومأمون حاتم، وأبدوا الدعم لدعاواها باستحقاق الخلافة. وفي أواخر ٢٠١٤، ربما بدافع الاحباط أو الإقبال الضعيف من فروع القاعدة علىٰ دولة الخلافة، حاولت الدولة الإسلامية ضمها بالقوة. ففي أوائل شهر نوفمبر، أعلنت بعض الجماعات في سلسلة بيانات صوتية عبر الإنترنت مبايعة البغدادي. وجاءت هذه البيانات من السعودية، اليمن، شبه جزيرة سيناء في مصر، ليبيا والجزائر، لكن كانت البيعات من سيناء والجزائر فقط من طرف جماعات قائمة بالفعل[(١)]. بعد ذلك بأسبوع، أصدر البغدادي بيانًا صوتيًا مُعلنًا فيه أنَّ الدولة الإسلامية قد توسعت إلىٰ تلك المناطق[(٢)].

باستثناء «محافظة سيناء»، حيث أيَّد المجاهدون في المحافظة إعلان الخلافة بإصدار العديد من البيانات وأشرطة الفيديو، كان تحقق تجسيد محافظات الدولة الإسلامية علىٰ أرض الواقع بطيئًا[(٣)]. في الواقع، ربما أتت الجهود المبذولة لتجسيد الدولة بنتائج عكسية في اليمن حيث رفض مأمون حاتم، وهو عالم جهادي بارز معروف بتأييده للدولة الإسلامية، رفض البيعة التي تمت في نوفمبر. كتب حاتم أنَّ القاعدة كجماعة في جزيرة العرب عليها أن تقتنع قبل إعطاء البيعة للبغدادي[(٤)]. ،

= التحميل من الرابط التالي:

http://rd.alfaisalmag.com/all-commentaries-pdf/Commentaries-1.pdf

(١) روابط التسجيلات الصوتية لهذه البيعة موجودة علىٰ:

http://minbar-alansar.blogspot.com/2014/11/blog-post_85.html

(٢) أبو بكر البغدادي - «ولو كره الكافرون» - مؤسسة الفرقان؛ ١٣ نوفمبر ٢٠١٤.

http://www.gulfup.com/?wTJX2C

(٣) حول الآثار المترتبة علىٰ النشاط التوسعي راجع:

Aaron Zelin, *Colonial Caliphate: The Ambitions of the 'Islamic State' Jihadology.*

صدر بتاريخ: ٨يوليو ٢٠١٤:

http://jihadology.net/2014/07/08/the-clairvoyant-colonial-caliphate-the-ambitions-of-the-islamic-state/

(٤) راجع تغريدات حاتم؛ بتاريخ: ١١ نوفمبر ٢٠١٤؛ حذفت من تويتر لكن موجودة علىٰ الروابط التالية:

https://pbs.twimg.com/media/B2LoFNmCcAAZg1N.jpg

https://pbs.twimg.com/media/B2LpjmOCAAEsG8X.jpg

https://pbs.twimg.com/media/B2LpjmOCEAApMzW.jpg

وقال حاتم إنَّ مبايعة بعض الجهاديين للبغدادي قبل الوقت المناسب، سيؤدي للفرقة بين صفوف الجهاديين، وفي وقت لا يمكن فيه تحمل تكلفة الفرقة. وتسببت بيعة نوفمبر في أن رفضت قيادة القاعدة في شبه الجزيرة العربية الدولة الإسلامية بشدة، تمامًا كما فعلت القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في يوليو[١].

★ خليفة القاعدةِ المضاد:

جاء ردُّ القاعدة علىٰ إعلان الخلافة في ٢٩ يونيو بأسلوب غير متوقع. فبدلًا من شجب القاعدة للخلافة التي أعلنتها الدولة الإسلامية حديثًا، ردَّت القاعدة باقتراح خليفتها المضاد: الملا محمد عمر أمير إمارة أفغانستان الإسلامية منذ ١٩٩٦[٢] مثله مثل زعيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي، يُلقب «بأمير المؤمنين»، والذي كان يُعد سابقًا مجرد لقب شرفي. إلا أنه وابتداء من منتصف يوليو، بدأ تنظيم القاعدة في إدراج لفظ الخليفة ضمن اللقب.

وفي ١٣ يوليو، أصدر تنظيم القاعدة مقطع فيديو قديمًا لأسامة بن لادن يصف فيه الملا عمر بأوصاف تقارب أوصاف الخليفة[٣].

يظهر الفيلم ذو الجودة الرديئة والذي يعود تاريخه إلىٰ يونيو ٢٠٠١ ابن لادن يقدم محاضرة عن أهمية اجتماع عقد مؤخرًا بين الرئيس الأمريكي جورش بوش والروسي فلاديمير بوتين. وفي فقرة الأسئلة والأجوبة، طُلب من ابن لادن توضيح طبيعة مبايعته لزعيم طالبان الملا عمر، وكان جليًّا أنَّ أتباع القاعدة في منطقة أفغانستان وباكستان

---

(١) حارث النظاري -«بيان بشأن ما ورد في كلمة الشيخ أبي بكر البغدادي (ولو كره الكافرون)»- مؤسسة الملاحم، ٢١ نوفمبر ٢٠١٤، الفيديو متاح علىٰ الرابط التالي:

http://shabakataljahad.com/vb/showthread.php?t=41954

(٢) للمزيد حول هذا الموضع، راجع:

William McCants, *Zawahiri's Counter-Caliphate*, War on the Rocks.

صدر بتاريخ: ٥ سبتمبر ٢٠١٤، موجود علىٰ الرابط التالي:

http://warontherocks.com/2014/09/zawahiris-counter-caliphate/

(٣) أسامة بن لادن -«بشريات»- مؤسسة السحاب؛ يونيو ٢٠٠١.

http://www.gulfup.com/?i5qM2s

يبايعون الملا عمر، لكن لم تكن شروط البيعة واضحة[١]. كان السائل يستفسر عن: «لقد بايعتَ (يقصد ابن لادن) الملا عمر كأميرٍ للمؤمنين، فهل هذه هي البيعة العامة، أم إنها (مجرد) بيعة خاصة مؤقتة في طريقها لأن تكون عامة؟».

يعادل مصطلح البيعة العامة، المذكور أعلاه، الإمامة العظمىٰ، وهي مرادفة للخلافة، وكان السائل يسأل ابن لادن هل كانت البيعة للملا عمر عقد الولاء له كخليفة مفترض، وكان الجواب نعم بالتأكيد.

رد ابن لادن: «إن بيعتنا لأمير المؤمنين هي بيعة عامة، قائمة علىٰ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وقد وجب علىٰ كل مسلم أن يبايع الملا عمر بقلبه، فهذه بيعة عامة»، وعلىٰ الرغم من أن ابن لادن لم يستخدم لفظ الخليفة أو الخلافة في حديثه، إلَّا أنَّ ما عبَّر عنه كان ما تعنيه الخلافة، في نفس الاستفسار سُئل ابن لادن: «ماهي الشروط الواجب توافرها في خليفة المسلمين؟» تراثيًا، أحد هذه الشروط أن يكون المؤهل للمنصب من سلالة قريش، وفي هذا الصدد؛ فإن الملا عمر لا يتوافر فيه هذا الشرط، جادل ابن لادن أنَّ زعيم طالبان الملا عمر لا يتوافر فيه هذا الشرط، إلَّا أنَّه شرعيًّا يمكن تجاهل هذا الشرط في حالات الضرورة أو الضعف[٢].

ومع ذلك، لم يتفق بعض قادة القاعدة مع ابن لادن. فالظواهري، علىٰ سبيل المثال، اختلف مع رأي ابن لادن حول هذه المسألة. ففي ٢٠٠٨، أجاب الظواهري علىٰ السؤال نفسه الذي طرح علىٰ بن لادن قائلًا: «جوابي هو؛ الملا محمد عمر. حفظه الله. هو أمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان ومن انضم إليها من المجاهدين،

---

(١) للمزيد حول بيعة بن لادن للملا عمر، راجع:

Vahid Brown, *The Facade of Allegiance: Bin Ladin's Dubious Pledge to Mullah Omar*, CTC Sentinel, vol. 1, 3.

يناير ٢٠١٠: (ص/١-٦).

(٢) في الواقع، التبرير الشرعي لهذه السابقة محكم للغاية. وفقًا ليلفرد مادلونج، يرىٰ العديد من علماء المسلمين في العصور الوسطىٰ أن الشروط الواجب توافرها في الخليفة، وفقًا للمذهب التقليدي، يمكن التغاضي عنها في حالات الضرورة. راجع:

Madelung, *Im?ma*, in The Encyclopaedia of Islam, ed. Bernard Lewis, et al (Leiden: Brill, 1986), 2nd ed., 3: 1168.

والشيخ أسامة بن لادن ـ حفظه الله ـ هو أحد جنوده، أمَّا أمير المؤمنين في العالم، فهو إمام دولة الخلافة، التي نسعىٰ، ويسعىٰ كل مسلم صادقٍ لإعادتها بإذن الله»[1]، وهنا نفىٰ الظواهري أن يكون علىٰ جميع المسلمين مبايعة الملا عمر، فالخليفة المنتظر لم يظهر بعد.

من منتصف ٢٠١٤ فصاعدًا، غيَّر الظواهري رأيه وقاد حملة لتصوير الملا عمر علىٰ أنَّه الخليفة المنتظر. في ١٩ يوليو، أطلقت القاعدة نشرة إعلامية باسم النفير. تبدأ النشرة بالكلمات التالية: «تبدأ عددها الأول (النفير) بتجديد البيعة لأمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد ـ حفظه الله ـ، وتُؤكِّد علىٰ أنَّ جماعة قاعدة الجهاد وأفرعها في كل مكان هم جند من جنوده يعملون تحت رايته المنتصرة بعون الله وتوفيقه، حتىٰ تكون كلمة الله هي العُليا، وحتىٰ تسود الشريعة حاكمة لا محكومة آمرة لا مأمورة، وحتىٰ تتحرر كل بقعة من أرض الإسلام . . . ، وتعيدها وسائر ديار الإسلام المغتصبة لدولة الخلافة القادمة بإذن الله»[2].

واستمرت القاعدة علىٰ النهج نفسه حيث أعلنت في سبتمبر عن تشكيل فرع جديد لها، القاعدة في شبه القارة الهندية[3]. ومن جديد أكَّد الظواهري أنَّ القيادة العُليا للملا عمر: «قيام هذا الفرع الجديد بشرىٰ للمسلمين في كل الدنيا أنَّ دعوة الجهاد تحت إمارة الإمارة الإسلامية (يقصد أفغانستان) بفضل الله في تمدد وتوسع». وعلىٰ نفس نهج الظواهري، وصف زعيم القاعدة في شبه القارة الهندية إمارة أفغانستان الإسلامية: «بأنَّها أمل المجتمع (المسلم) في إحياء الخلافة». كانت دعاية القاعدة تهدف إلىٰ تصوير أفغانستان وليس العراق علىٰ أنَّها مقر الخلافة المنتظرة.

بعد فيديو ابن لادن ونشرة النفير، بدأ المُنظِّر الأيديولوجي السابق المؤيد للدولة

---

(١) أيمن الظواهري - «اللقاء المفتوح مع الشيخ أيمن الظواهري، الجزء الثاني من الأسئلة» - مؤسسة السحاب؛ أبريل ٢٠٠٨؛ مفرغة علىٰ الرابط التالي:

http://www.tawhed.ws/r1?i = 7534&x = 1502092g

(٢) النفير، مؤسسة السحاب، ١ يوليو ٢٠١٤، http://justpaste.it/ALNAFIR

(٣) أيمن الظواهري - «الإصدار الخاص بمناسبة وحدة صفوف المجاهدين وإنشاء (جماعة قاعدة الجهاد في شبه القارة الهندية») - ٣ سبتمبر ٢٠١٤؛ http://justpaste.it/gy43

الإسلامية أبو المنذر الشنقيطي يميل تدريجيًا لتصدير الملا عمر كخليفة مِن قِبل تنظيم القاعدة. وتسبب هذا العالم الموريتاني في ضجة شديدة عندما رفض خلافة الدولة الإسلامية علىٰ أساس أنَّ الملا عمر هو الخليفة بالفعل(١). جادل الشنقيطي أنَّ إعلان الدولة الإسلامية لم يأخذ بعين الاعتبار مصالح المجتمع المسلم، بل يسعىٰ لتصفية حسابات مع جبهة النصرة. علاوة علىٰ ذلك، انتقد الشنقيطي عدم استشارة الدولة الإسلامية للملا عمر، والذي كان يعتبر من وجهة نظره الخليفة منذ عام ١٩٩٦. في رأي الشنقيطي، فالشريعة لم تميز بشكل دقيق بين الخليفة والأمير. لذلك؛ فإن أول قائد مسلم يُبَايَع كحاكم لكيان ما هو بحكم الواقع الخليفة، وهو الأولىٰ باللقب، وعلىٰ خطىٰ ابن لادن، رفض الشنقيطي أن يكون عدم تسلسل الملا عمر من قريش مانعًا لتوليه الخلافة.

بالطبع ثار المؤيدون للدولة الإسلامية علىٰ فكرة وجود منافس للبغدادي. وكتب ما لا يقل عن ستة جهاديين مؤيدين للدولة الإسلامية تفنيدًا لموقف الظواهري والشنقيطي(٢). وأورد المؤلفون أسبابًا متعددة تمنع الملا عمر من أن يكون الخليفة:

---

(١) أبو المنذر الشنقيطي -«إعلان الخلافة في ميزان الشريعة»- منبر التوحيد والجهاد؛ ١٥ يوليو ٢٠١٤.
http://www.tawhed.ws/dl?i=280714021

(٢) أبو عبد الرحمن عبيده الأسبجي -«وقفات محذر من كلام أبي المنذر»- مؤسسة الغرباء؛ ١٩ يوليو ٢٠١٤.
https://justpaste.it/wqafat

وراجع أيضًا: أبو عمر الكويتي -«تنبيه المجاهد المستنفرمن تخليط الشنقيطي أبي المنذر»- ١٩ يوليو ٢٠١٤.
https://justpaste.it/gabw

وانظر كذلك: أبو ميسرة الشامي -«خلافة علىٰ منهج النبوة أم خلافة قُطْرية»؛ ٢٠ يوليو ٢٠١٤.
https://archive.org/download/minhaj_201407/minhaj.pdf

وراجع أيضًا: غريب الإخوان -«هل الملا عمر حفظه الله خليفة»- ٢٠ يوليو ٢٠١٤.
https://www.alplatformmedia.com/vb/showthread.php?t=55933

وراجع أيضًا: أحمد بوادي -«إظهار الحجج؛ وإبطال ما في مقال الشنقيطي من لجج»- ٢١ يوليو ٢٠١٤.
http://ahmadbawadi.blogspot.com/2014/07/abawadi_19.html

وراجع أيضًا: أبو سلمة الشنقيطي -«المقال التفصيلي في التشكيك بما نسب للشيخ أبي المنذر الشنقيطي»- ٢٢ يوليو ٢٠١٤

http://justpaste.it/gbyn

فهو ليس من قريش؛ وتعاون مع الأمم المتحدة، كما أن الخليفة لا يمكن أن يكون خليفة نظريًّا، بل لابد له من تمكين سياسي، كما هو حال البغدادي، ويجب أن تكون طبيعة وشروط البيعة مفهومة مِن قِبل المعنيين «كيف يكون الملا عمر هو الخليفة ولم يعرف أحد حتىٰ الآن؟»؛ كما يتوجب علىٰ الخليفة تبني عقيدة سلفية صحيحة وليس ماتريدية(١) طالبان.

★ الحرب العقائدية الدائرة:

أصبح الصراع بين الدولة الإسلامية والقاعدة جليًّا علىٰ الجبهتين الأيديولوجية والإعلامية. ومن الطبيعي الآن أن توضح المنتديات الجهادية علىٰ الإنترنت، وبشكل معلن، انتماءها إلىٰ أحد الجانبين. كما تساهم مجموعات فائقة النشاط من علماء الجهادية المولعين بالجدل في رسم طبيعة المشهد الأيديولوجي أكثر. فعلىٰ أحد الجانبين، يقف شباب الجهادية الأصغر سنًّا المؤيدين للدولة الإسلامية مُسوِّقين لموقفهم علىٰ تويتر، وعلىٰ الجانب الآخر، يقف كبار السن من الجهاديين، المؤيدين للقاعدة يُسوِّقون لموقفهم علىٰ مواقع إلكترونية لكبار المجاهدين.

وتمثل مؤسستان علىٰ الإنترنت هذا الوضع. واحدة هي مؤسسة غرباء الإعلامية والتي تنشر أعمالها عبر تويتر(٢)، حيث تصدر كل أسبوع كتبًا، ومقالاتٍ وقصائدَ للدفاع عن الدولة الإسلامية ضد خصومها. وتستضيف المؤسسة زمرة من المساهمين الدائمين، اثنين من موريتانيا، وعراقي، ومغربي، وسوداني وعددًا آخر غير معروف الأصل. والمؤسسة الثانية هي موقع أبي محمد المقدسي، منبر التوحيد والجهاد، والذي يضم عددًا من الكُتّاب المُعادين للدولة الإسلامية(٣).

---

(١) الماتريدية هي مدرسة مرتبطة بالفقه الحنفي عند السنة؛ وطالبان مرتبطة بكلا المدرستين. راجع:
Wilferd Madelung, *Mäturñdiyya*, in The Encyclopaedia of Islam, ed. C.E. Bosworth, et al (Leiden: Brill, 1991), 2nd ed., 6: 847-848.

(٢) علىٰ الرابط التالي أرشيف لتغريدات الغرباء: http://justpaste.it/archivealghuraba
حساب الغرباء علىٰ تويتر: @alghuraba_ar1

(٣) http://www.tawhed.ws

يرىٰ كل من الفريقين بعضهما البعض غارقًا في حرب أيديولوجية لا تنتهي حول مسار الجهادية. وفي منتصف أغسطس ٢٠١٤، وجَّه أحد كُتَّاب موقع غرباء رسالة إلىٰ منبر التوحيد قائلًا: «إنَّ معركتكم مع الدولة الإسلامية معركة خاسرة، فارفعوا أقلامكم، وجففوا صحائفكم؛ إنَّها معركة تؤخر ولا تقدم ...، إنَّ مؤسسة الغرباء للإعلام كانت ولا تزال القلعة الصامدة في الذب عن أعراض المجاهدين الصادقين كما نحسبهم في الدولة الإسلامية»[١].

في الواقع، إن معركة الأقلام هذه لن تنتهي. ففي أواخر أغسطس، جمع أحد علماء منبر التوحيد والجهاد خلاصة النقد الذي تبرأ من إعلان الدولة الإسلامية للخلافة[٢]. وفي منتصف سبتمبر، ردَّ أحد كُتَّاب غرباء علىٰ هذه الطعون نقطة بنقطة[٣]. وفي الآونة الأخيرة، تجادلت المؤسستان حول شرعية حرق الطيار الأردني معاذ الكساسبة حيًّا في يناير ٢٠١٥. بشكل عام، تعد غرباء أكثر نشاطًا وتصدر إصدارات أكثر بكثير من منبر التوحيد والجهاد وغيره من المنافسين. فلو أنَّ الإنتاجية مقياسٌ؛ فإنَّ الجهاديين المؤيدين للدولة الإسلامية فائزون حتىٰ الآن.

---

(١) أبو سلمة الشنقيطي -«أكرم بهم من غرباء»- مؤسسة الغرباء؛ ٧ أغسطس ٢٠١٤.

http://justpaste.it/gpa5

(٢) محمد بن صالح المهاجر -«الخلاصة في مناقشة إعلان الخلافة»- ٢٩ أغسطس ٢٠١٤.

http://tawhed.ws/r?i=29081402

(٣) أبو براءة السيف -«الرصاصة لإبطال مقال الخلاصة»- ١٩ سبتمبر ٢٠١٤.

https://justpaste.it/h533



الخاتمة

ساهم صعود الدولة الإسلاميَّة في ٢٠١٣-٢٠١٤ في تنشيط الحركة الجهادية، حيث جذبت عشرات الآلاف من شباب المسلمين من كافة أنحاء العالم. وبينما كانت الدولة الإسلامية تأمل في تحقيق هذا المستوىٰ من الحماسة منذ نشأتها في ٢٠٠٦، فقد فشلت جهودها الأولية في ذلك. إلَّا أنَّ الاضطراب الطائفي في سوريا والعراق أعطىٰ الجماعة رمقَ الحياة، وسمح لها بالسعي في حلمها الأصلي بالخلافة.

تلقىٰ النسخة الشرسة من الأيديولوجية السلفية الجهادية التي تقدمها الدولة الإسلامية رواجًا اليوم أكثر من أي وقت مضىٰ. وطالما ظلَّ التنظيم محافظًا علىٰ مظهر الدولة الحقيقية في كل من العراق وسوريا. أو في سواهما. حيث يحكم المناطق التي يسيطر عليها، ويقضي في شئون سكانها، سيظل دعم التنظيم وأيديولوجيته في ازدياد. وبينما أدت الحملة الجوية التي تقودها الولايات المتحدة منذ أغسطس ٢٠١٤ إلىٰ إيقاف نشاط الدولة الإسلامية، إلا أنه ليس واضحًا إن كانت الحملة ستعكس تقدم الجماعة أم لا. وعلىٰ كل حال، خلقت الاضطرابات السياسية في الشرق الأوسط، خاصَّة في اليمن وليبيا، ظروفًا مواتية لتوسع الدولة الإسلامية المنشود.

وبغض النظر عن نجاح قوات التحالف علىٰ المدىٰ الطويل، إلَّا أنَّ الحملة العسكرية قد تعزز من أيديولوجية الدولة الإسلامية عن طريق إضفاء المصداقية علىٰ النظرة التآمرية التي ترىٰ بها الدولة الإسلامية العالم: أي النظرة إلىٰ أن شيعة المنطقة يتآمرون مع الولايات المتحدة والحكام العرب العلمانيين للحد من القوىٰ السُّنيَّةِ في الشرق الأوسط. كما أنَّ السعي الأمريكي لتحقيق اتفاق حول برنامج إيران النووي يعزز هذه النظرة.

إضافة إلىٰ ذلك فإنَّ الحملة العسكرية تبدو منذرة بمستقبل سيئ للأمن القومي الأمريكي. لقد كانت الدولة الإسلامية تعطي الأولوية في حربها للشرق الأوسط قبل

الغرب، بالتركيز علىٰ التوسع والاستيلاء علىٰ الأراضي علىٰ مسرحها المحلي، ثم إسقاط الحكومات المجاورة. إلا أنه يبدو أنَّ الحملة الجوية قد غيَّرت من الحسابات الاستراتيجية للجماعة. ففي ٢١ سبتمبر ٢٠١٤ دعا المتحدث الرسمي باسم الدولة الإسلامية، أبو محمد العدناني، كلَّ مؤيدي الدولة لقتل الغربيين بشكل عشوائي حول العالم، أمريكيين، كنديين، أستراليين وحلفائهم سواء مدنيين أو عسكريين[١]. وهذه الدعوة تلقىٰ القبول مع وقوع هجمات ملهمة من الدولة الإسلامية بالفعل في هذه البلدان[٢]. إن الدولة لم تبد من قبل أقوىٰ نية علىٰ استهداف الدول الغربية. وفي خطاب آخر بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠١٥، كرَّر العدناني الدعوة نفسها[٣].

ومع ذلك؛ فإنَّ الأنظمة الإقليمية في الشرق الأوسط ومواطنيها يظلون هم الأكثر عُرضة لخطر الدولة الإسلامية. وبِناءً عليه؛ فإنَّ مسئولية هذه الحرب تقع علىٰ عاتق هؤلاء وليس علىٰ الولايات المتحدة.

قد يبدو الانقسام المستعصي علىٰ العلاج بين أنصار الدولة الإسلامية وأنصار القاعدة تطورًا إيجابيًا، لكن الأمر ليس كذلك. إن هذا الانقسام يعد الآن ثابتًا من ثوابت الأيديولوجية والتنظيمية للجهادية، كما تستهلك المنافسة الشديدة بين

---

(١) أبو محمد العدناني -«إن ربك لبالمرصاد»- مؤسسة الفرقان؛ ٢١ سبتمبر ٢٠١٤.

http://www.jihadica.com/wp-content/uploads/2014/12/Inna-Rabbaka-la-bil-mirsad.pdf

(٢) راجع ما نشرته نيويورك تايمز بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٢٠١٤:

David Kirkpatrick, *Attacks in West Raise New Fears Over ISIS' Influence*, The New York Times.

انظر أيضًا لما نشرته الجريدة بتاريخ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٤:

Michelle Innis, *Sydney Hostage Siege Ends With Gunman and 2 Captives Dead as Police Storm Café*, The New York Times.

راجع أيضًا ما نشرته الجريدة بتاريخ ١١ يناير ٢٠١٥:

Rukmini Callimachi and Andrew Higgins, *Video Shows a Paris Gunman Declaring His Loyalty to the Islamic State*, The New York Times.

(٣) أبو محمد العدناني -«قل موتوا بغيظكم»- مؤسسة الفرقان؛ ٢٦ يناير ٢٠١٥:

http://ia902601.us.archive.org/13/itemsPerish.In.Your.Rage/Ta-freegh.Perish.In.Your.Rage.pdf

الجماعات والمنظرين الأيديولوجيين الكثير من الوقت والجهد. غير أن الجهاديين خارج المسرح السوري لم يبدوا علامات كافية علىٰ الانخراط في الصراع الجهادي الداخلي. بل تعاون تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مع أحد أنصار الدولة الإسلامية في هجمات باريس التي وقعت في يناير ٢٠١٥. وبدلًا من أن تكون بارقة أمل، فإن المنافسة الدائرة تعد دليلًا علىٰ الصعود السياسي للجهادية عالميًا. حيث أصبحت الجهادية كحركة قادرة علىٰ استيعاب هذا الانقسام.

إنَّ وضع الدولة الإسلامية في حجمها الطبيعي لهو دونما شكٍّ خطوة واجبة في سبيل القضاء علىٰ هذا التوجه الذي تمثله. فكلما ظلَّ التنظيم يتمتع بدعوىٰ قابلة للتأييد لاستحقاق وسم الدولة، كلما كان احتمال قدرته علىٰ المحافظة علىٰ وحدته التنظيمية والأيديولوجية أكبر. إلا أنه لو أمكن اختزال الدولة الإسلامية مرة ثانية من صورتها كخلافة إسلامية جديرة بالتصديق إلىٰ صورتها الأولىٰ كمجرد دولة افتراضية لا شأن لها، وأيضًا لو كان بالمستطاع تصفية زعيم التنظيم المحاط بهالة من الفخامة والمبجل زيادة عن الحد، فإنَّ هذا قد يُودي فعلًا بالتنظيم. إن دويلة هزيلة ذات قائد عديم القيمة، تمامًا كما كان الحال في فترة ظهور الدولة الإسلامية المبكرة، تؤدي إلىٰ دعاية بائسة.



مُلحق

عقيدة ومنهج الدولة الإسلامية

ملاحظة للمترجمين: توضح الاقتباسات الأربعة التالية، والمأخوذة من بيانات صوتية للدولة الإسلامية بين عامي (٢٠٠٧، و٢٠١٤) الخطوط الرئيسة لعقيدة ومنهج الدولة الإسلامية. الاقتباس الأول يلخص عقيدة ومنهج الدولة بِناءً علىٰ إصدار أطول وأقدم لتنظيم القاعدة في العراق عام ٢٠٠٥[١]، والاقتباس الثاني والثالث والرابع يقدمون تحديثًا بالنقاط الأيديولوجية التي تم إدراجها منذ إعلان الخلافة.

★ «هذه بعض ثوابتنا»، أبو عمر البغدادي، ١٣ مارس ٢٠٠٧[٢]:

رمانا الناس بأكاذيبَ كثيرةٍ لا أصل لها في عقيدتنا، فادَّعوْا أنَّنا نكفر عوام المسلمين، ونستحل دماءهم وأموالهم، ونجبر الناس علىٰ الدخول في دولتنا بالسيف، وعليه؛ فهذه بعض ثوابتنا، ترد علىٰ تلك الأكاذيب، وحتىٰ لا يبقىٰ لذابٍّ عذرٌ، أو لمُحبٍ شبهةٌ.

أولًا: نرىٰ وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك، وتحريم وسائله، لما روىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب ﵁: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه ﷺ: **«أَلَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**.

---

(١) **«هذه عقيدتنا ومنهجنا»** - موجودة علىٰ الرابط التالي:

http://www.tawhed.ws/r?i§ygz0yz64

وهي مختلفة عن ترجمة برنارد هيكل: *Bernard Haykel in Global Salafism*، ٥١-٥٦.

(٢) أبو عمر البغدادي - **«قل إني علىٰ بينة من ربي»** - مؤسسة الفرقان؛ ١٣ مارس ٢٠٠٧؛ موجودة في كتاب «المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية»: (ص/ ١٢- ١٦).

ثانيًا: الرافضة طائفة شرك وردَّة، وهم مع ذلك ممتنعون عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة.

ثالثًا: نرىٰ كفر وردَّة الساحر ووجوب قتله، وعدم قبول توبته في أحكام الدنيا بعد القدرة عليه، قال عمر بن الخطاب ﷺ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**».

رابعًا: ولا نُكفِّر امرءًا مسلمًا صلىٰ إلىٰ قبلتنا بالذنوب، كالزنا وشرب الخمر والسرقة ما لم يستحلها، وقولنا في الإيمان وسط بين الخوارج الغالين وبين أهل الإرجاء المفرطين[1]، ومن نطق بالشهادتين وأظهر لنا الإسلام ولم يتلبس بناقضٍ من نواقض الإسلام[2] عاملناه معاملة المسلمين، ونكل سريرته إلىٰ الله -تعالىٰ-، وإنَّ الكفر كفران: أكبر وأصغر، وإنَّ حكمه يقع علىٰ مقترفه اعتقادًا أو قولًا أو فعلًا، لكنَّ تكفير الواحد المُعيَّن منهم والحكم بتخليده في النار موقوف علىٰ ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه.

خامسًا: نرىٰ وجوب التحاكم إلىٰ شرع الله من خلال الترافع إلىٰ المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلىٰ الطاغوت من القوانين الوضعية والفصول العشائرية ونحوها من نواقض الإسلام، قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

سادسًا: نرىٰ وجوب توقير النبي ﷺ، وتحريم التقدُّم بين يديه[4]، وكفر وردة مَن نال من مقامه وجنابه الشريف، أو مقام آل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار من الخلفاء

---

(١) حول أهمية هذه المصطلحات في هذا السياق راجع:

Joas Wagemakers, *'Seceders' and 'Postponers' ? An Analysis of the 'Khawarij' and 'Murji'a' Labels in Polemical Debates Between Quietist and Jihadi-Salafis*, in Contextualizing Jihadi Thought, ed. Jeevan Deol and Zaheer Kazmi (New York: Columbia University Press, 2011).

(٢) يوجد عشرة نواقض للإسلام في التراث الوهابي. راجع: «**الدرر السنية في الأجوبة النجدية**»، لعبد الرحمن بن قاسم.

(٣) الاقتباسات القرآنية الوارد في النسخة الأصلية الإنجليزية تعتمد علىٰ ترجمة آرثر جون آربري (A.J. Arberry).

(٤) «**التقدم بين يديه**» مقتبسه من القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

الراشدين الأربعة وسائر الصحب والآل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وقال في أصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

سابعًا: ونؤمن أنَّ العلمانية علىٰ اختلاف راياتها وتنوع مذاهبها كالقومية والوطنية والشيوعية والبعثية هي كفر بواح، مناقض للإسلام مخرج من الملة، وعليه نرىٰ كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية، كحزب المطلق والدليمي والهاشمي وغيرهم، لما في هذه العملية من تبديل لشرع الله -تعالىٰ-، وتسليط لأعداء الله من الصليبيين والروافض وسائر المرتدين علىٰ عباد الله المؤمنين، قال -تعالىٰ- في شأن من وافق المشركين في تبديل شيء من شرع الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، كما نرىٰ أنَّ منهج الحزب الإسلامي منهج كفر وردة، لا يختلف في منهجه وسلوكه عن سائر المناهج الكافرة والمرتدة؛ كحزب الجعفري وعلاوي، وعليه؛ فقياداتهم مرتدون لا فرق عندنا بين مسؤول في الحكومة أو مدير فرع، ولا نرىٰ كفر عموم الداخلين فيه ما لم تقم عليهم الحجة الشرعية.

ثامنًا: نرىٰ كفر وردة من أمد المحتل وأعوانه بأي نوع من أنواع المعونة من لباس أو طعام أو علاج ونحوه، مما يعينه ويقويه، وأنه بهذا الفعل صار هدفًا لنا مستباح الدم.

تاسعًا: نرىٰ أنَّ الجهاد في سبيل الله فرض علىٰ التعيين، منذ سقوط الأندلس، لتحرير بلاد المسلمين، وهو مع كل بر وفاجر، وأعظم الآثام بعد الكفر بالله، النهي عن الجهاد في سبيل الله في زمن تعيينه، قال ابن حزم: «ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهىٰ عن جهاد الكفار وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم، من أجل فسق رجل مسلم لا يحاسب غيره بفسقه».

عاشرًا: ونعتقد بأنَّ الديار إذا علتها شرائع الكفر، وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر، دون أحكام الإسلام فهي ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نُكفِّرَ ساكني الديار، وبما

أنَّ الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته؛ فإنَّنا نرىٰ كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي؛ لذا وجب التنبيه أنَّنا سنقاتل أي قوات غازية لدولة الإسلام في العراق، وإن تسمت بأسماء عربية أو إسلامية، وننصحهم ونحذرهم أن لا يكونوا كبش فداء للمحتل، كما هو مقترح لحل أزمة المحتل الصليبي في العراق.

الحادي عشر: نرىٰ وجوب قتال شرطة وجيش دولة الطاغوت والردة، وما انبثق عنهما من مسميات كحماية المنشئات النفطية وغيرها، ونرىٰ وجوب هدم وإزالة أي مبنىٰ أو مؤسسة تبين لنا أن الطاغوت سيتخذها مقرًّا له.

الثاني عشر: نرىٰ أنَّ طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام اليوم، أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوه كثيرة لا حصر لها، وعليه؛ إنَّ أرادوا الأمن والأمان، فعليهم أن يحدثوا عهدًا جديدًا، مع دولة الإسلام وفق الشروط العمرية[1] التي نقضوها.

الثالث عشر: نرىٰ أنَّ أبناء الجماعات الجهادية العاملين في الساحة إخوة لنا في الدين، ولا نرميهم بكفر ولا فجور؛ إلَّا أنَّهم عصاة لتخلفهم عن واجب العصر وهو الاجتماع تحت راية واحدة.

الرابع عشر: كل جماعة أو شخص يعقد اتفاقية مع المحتل الغازي؛ فإنَّها لا تلزمنا في شيء، بل هي باطلة مردودة، وعليه نحذر المحتل من عقد أي اتفاقات سرية أو علنية بغير إذن دولة الإسلام.

الخامس عشر: نرىٰ وجوب توقير العلماء العاملين الصادقين، ونذب عنهم، ونصدر عنهم في النوازل والملمات، ونعري من سار علىٰ نهج الطاغوت أو داهنه في شيء من دين الله.

السادس عشر: نعرف لمن سبقنا بالجهاد حقه، وننزله منزلته، ونخلفه بخير في أهله وماله.

---

(١) في التراث الإسلامي، عقد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب اتفاقًا مع بعض مسيحيي سوريا بموجبه تم تحديد واجبات وحقوق المسيحين.

السابع عشر: نرىٰ وجوب إنقاذ أسرىٰ وحريم المسلمين من أيدي الكافرين بالغزو أو الفداء، قال رسول الله ﷺ: «**فُكُّوا الْعَانِي**»، كما نرىٰ وجوب كفالة أسرهم وأسر الشهداء، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا؛ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ؛ فَقَدْ غَزَا**».

الثامن عشر: نرىٰ وجوب تعلم الأمة أمور دينها، وإن فاتها بعض حظوظ الدنيا، ونوجب من العلم الدنيوي ما احتاجت إليه الأمة، وما سوىٰ ذلك فهو مباح ما لم يخرج عن ضوابط الشرع الحنيف.

التاسع عشر: نرىٰ تحريم كل ما يدعو إلىٰ الفاحشة ويدعو عليها كجهاز الستالايت، ونوجب علىٰ المرأة وجوبًا شرعيًّا ستر وجهها والبعد عن السفور والاختلاط ولزوم العفة والطُّهر، قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

★ «هذا وعد الله»، أبو محمد العدناني، ٢٩ يونيو ٢٠١٤[1]:

بعد أن باتت الدولة الإسلامية بفضل الله تمتلك كل مُقوِّمات الخلافة، والتي يأثم المسلمون بعدم قيامهم بها، وأنه لا يوجد مانع أو عذر شرعي لدىٰ الدولة الإسلامية؛ يرفع عنها الإثم في حال تأخرها أو عدم قيامها بالخلافة؛ فقررت الدولة الإسلامية، مُمثَّلة بأهل الحلِّ والعقد فيها؛ مِن الأعيان والقادة والأمراء ومجلس الشورىٰ: «إعلان قيام الخلافة الإسلامية»، وتنصيب خليفة للمسلمين، ومبايعة الشيخ المجاهد، العالم العامل العابد، الإمام الهمام المجدد، سليل بيت النبوَّة، عبد الله: إبراهيم بن عواد بن إبراهيم بن علي بن محمد، البدري القرشي الهاشمي الحسيني نسبًا، السامرائي مولدًا ومنشئًا، البغدادي طلبًا للعلم وسكنًا[2]، وقد قبل البيعة؛ فصار بذلك إمامًا وخليفة للمسلمين في كل مكان، وعليه: يُلغىٰ اسم «العراق والشام» مِن مُسمَّىٰ الدولة

---

(١) أبو محمد العدناني - «**هذا وعد الله**» - مؤسسة الفرقان، **٢٩** يونيو **٢٠١٤**، موجودة علىٰ الرابط التالي:
http://www.gulfup.com/?3D7MKR

(٢) البدري هي إحدىٰ القبائل العراقية، وقريش هي قبيلة النبي محمد، والهاشمي هي عشيرة داخل قبيلة قريش، مسماة باسم جد النبي محمد، والحسيني نسبة لحفيد النبي، والبغدادي نسبة لبغداد.

في التداولات والمعاملات الرسمية، ويُقتصر علىٰ اسم «الدولة الإسلامية» ابتداء مِن صدور هذا البيان، ونُنبِّه المسلمين: أنَّه بإعلان الخلافة؛ صار واجبًا علىٰ جميع المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة إبراهيم -حفظه الله-، وتبطل شرعيَّة جميع الإمارات والجماعات والولايات والتنظيمات، التي يتمدد إليها سلطانه ويصلها جنده . .

ورسالة إلىٰ الفصائل والجماعات علىٰ وجه الأرض كافَّة، المجاهدين، والعاملين لنصرة دين الله، والرافعين الشعارات الإسلامية، فإلىٰ القادة والأمراء نقول: اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في جهادكم، اتقوا الله في أمتكم . . ، إنَّنا والله لا نجد لكم عذرًا شرعيًّا في التخلُّف عن نصرة هذه الدولة . . ، إنَّها الخلافة، وآن لكم أن تنهوا هذا التشرذم والتشتت والتفرّق المقيت . .

وأما أنتم يا جنود الفصائل والتنظيمات، فاعلموا أنَّه بعد هذا التمكين وقيام الخلافة: بطلت شرعية جماعاتكم وتنظيماتكم، ولا يحل لأحد منكم يؤمن بالله: أن يبيت ولا يدين بالولاء للخليفة . . ، واعلموا أنَّه ما أخَّر النصر ولا يؤخِّره شيء أكثر مِن وجود هذه التنظيمات؛ لأنَّها سبب الفرقة والاختلاف . .

★ «رسالة إلى المجاهدين وإلى الأمة الإسلامية في شهر رمضان»، أبو بكر البغدادي، ١ يوليو ٢٠١٤[١]:

أيُّها المسلمون في كل مكان؛ أبشروا وأمِّلوا خيرًا، وارفعوا رؤوسكم عاليًا؛ فإنَّ لكم اليوم بفضل الله دولة وخلافة، تعيد كرامتكم وعزَّتكم، وتسترجع حقوقكم وسيادتكم، دولة تآخىٰ فيها الأعجمي والعربي، والأبيض والأسود، والشرقي والغربي، خلافة جمعت القوقازي والهندي والصيني، والشامي والعراقي واليمني والمصري والمغربي، والأمريكي والفرنسي والألماني والأسترالي، ألَّف الله بين قلوبهم، وأصبحوا بنعمة الله إخوانًا متحابِّين فيه، واقفين في خندق واحد؛ يدافع بعضهم عن بعض . . . ، امتزجت دماؤهم تحت راية واحدة، وغاية واحدة . .

---

(١) أبو بكر البغدادي - «رسالة إلىٰ المجاهدين وإلىٰ الأمة الإسلامية في شهر رمضان» - مؤسسة الفرقان؛ ١ يوليو ٢٠١٤،

https://archive.org/download/K_R_abubkr/et34.pdf

فهلموا إلىٰ دولتكم أيها المسلمون، نعم دولتكم؛ هلموا؛ فليست سوريا للسوريين، وليس العراق للعراقيين؛ إنَّ الأرض لله يورثها مَن يشاء مِن عباده . .

فيا أيها المسلمون في كل مكان؛ مَن استطاع الهجرة إلىٰ الدولة الإسلامية فليهاجر؛ فإن الهجرة إلىٰ دار الإسلام واجبة؛ قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

* «ولو كره الكافرون»، أبو بكر البغدادي، ١٣ نوفمبر ٢٠١٤[١]:

اطمئنوا أيها المسلمون؛ فإنَّ دولتكم بخير وأحسن حال، لن يتوقف زحفها، وستظل تمتد بإذن الله ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ . .

وأبشروا أيها المسلمون؛ فإنَّا نبشركم بإعلان تمدد الدولة الإسلامية إلىٰ بلدان جديدة: إلىٰ بلاد الحرمين واليمن، وإلىٰ مصر وليبيا والجزائر، ونعلن قبول بيعة[٢] مَن بايعنا مِن إخواننا في تلك البلدان، وإلغاء اسم الجماعات فيها وإعلانها ولايات جديدة للدولة الإسلامية، وتعيين ولاة عليها، كما نعلن قبول بيعة مَن بايعنا من الجماعات والأفراد في جميع تلك الولايات المذكورة وغيرها، ونطلب من كل فرد منهم اللحاق بأقرب ولاية عليه، والسمع والطاعة لواليها المُكلف مِن قِبلنا . .

---

(١) البغدادي - **«ولو كره الكافرون»** - مؤسسة الفرقان، ١٣ نوفمبر ٢٠١٤.

http://www.gulfup.com/?wTJX2C

(٢) الخمس محافظات المكونة للدولة الإسلامية أعطت كل واحدة البيعة للبغدادي تلو الأخرىٰ، بتاريخ ١٠ نوفمبر ٢٠١٤ .كان نص البيعة الذي أعلنته هذه المحافظات موحد، وهو كالآتي: «طاعة لأمر الله ﷻ، وطاعة لرسول الله ﷺ بعدم التفرق ولزوم الجماعة: نُعلن مبايعة الخليفة إبراهيم ابن عواد بن إبراهيم القرشي الحسيني البغدادي علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأثرة علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله إلا أن نرىٰ كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان، وندعو المسلمين في كل مكان لمبايعة الخليفة ونصرته، طاعة لله وتحقيقًا لواجب العصر المضيع». نص البيعة موجود علىٰ الرابط التالي:

https://archive.org/details/4353by3aymanyya

[**«بيان من مجاهدي اليمن ببيعة خليفة المسلمين»**، مؤسسة البنيان، ١٠ نوفمبر ٢٠١٤].



(٢)

ماذا تريد واعش حقًا؟

جريم وود

ترجمة: مروة سامي

راجعها: فهد حسنين



المحتويات



إن الدولة الإسلامية لا تتكون من مجرد مجموعة من المختلين، إنها جماعة دينية تعتنق معتقدات فكروا فيها مليًا، من ضمن هذه المعتقدات عامل أساسي هو ملاحم نهاية العالم، وإليكم ما يعنيه هذا لاستراتيجيتها وكيفية إيقافها.

أتلانتيك



ما هي الدولة الإسلامية؟

من أين أتت؟ وما هي مقاصدها؟ إن بساطة هذه الأسئلة قد تكون خادعة، ويبدو أن قلة من قادة العالم الغربي من يعرف الإجابة، في ديسمبر نشرت نيويورك تايمز تعليقات سرية للميجور جينرال مايكل ك. ناجاتا قائد العمليات الخاصة للولايات المتحدة بالشرق الأوسط يعترف فيها أنه بالكاد بدأ يفهم جاذبية الدولة الإسلامية قائلا: «إننا لم نهزم الفكرة، إننا حتى لا نفهم الفكرة». في العام السابق أشار الرئيس أوباما بأشكال مختلفة إلى أن الدولة الإسلامية هي غير إسلامية وأنها «دكة الاحتياطي» للقاعدة، وهي تصريحات عكست تشوشًا في فهمه للجماعة وقد تكون شاركت في تحمل مسئولية أخطاء استراتيجية كبرى.

لقد استولت الجماعة على الموصل بالعراق في يونيو الماضي، كما أنها تحكم بالفعل منطقة أكبر مساحةً من المملكة المتحدة، وقد أصبح أبو بكر البغدادي قائدًا للجماعة منذ مايو ٢٠١٠، لكن وحتى الصيف الماضي كان ظهوره الأكثر شهرة في فيلم مأخوذ من صورة رسمية غير واضحة التقطتها السلطات عندما اعتقلته الولايات المتحدة في مخيم بوكا أثناء غزوها للعراق. ثم في الخامس من يوليو خطا إلى منبر الجامع النوري الكبير بالموصل ليلقي موعظة رمضانية كأول خليفة منذ أجيال، مطورًا درجة صفاء الصورة التي يظهر فيها من التشوش إلى صورة عالية النقاء، ورافعًا مكانته من مقاتل حرب عصابات مطارَد إلى قائد كل المسلمين. ليتبع ذلك تدفق غير مسبوق في حجمه وسرعته واستمراريته من الجهاديين إلى الدولة من كل أنحاء العالم.

إن جهلنا بالدولة الإسلامية يمكن تفهمه بطريقة أو بأخرى؛ فهي مملكة نساك، والقليل فقط هم من ذهبوا إليها وعادوا. وقد تكلم البغدادي مرة واحدة فقط أمام الكاميرا، ولكن حديثه، والمرئيات والمنشورات الدعائية التي لا تعد للدولة الإسلامية موجودة على الشبكة، وقد كافح مؤيدو الخليفة كفاحًا عظيمًا للتعريف بمشروعهم. ويمكننا أن ندرك أن دولتهم ترفض مبدأ السلام، وتتعطش للإبادة الجماعية، وأن آراءها الدينية تجعلها غير قادرة دستوريًا على أنواع معينة من التغيير، حتى لو ضمن

هذا التغيير بقاءها، وأنها تعتبر نفسها بشيرًا ولاعبًا رئيسًا في أحداث نهاية العالم الوشيكة.

وتتبع الدولة الإسلامية المعروفة أيضا باسم الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش) مفهومًا مميزًا للإسلام تؤثر فيه معتقداتها عن السبيل لأحداث النهاية على استراتيجيتها، وهو ما سيعين الغرب على معرفة عدوه والتنبؤ بأفعاله.

وصعوده للسلطة لا يشبه فوز الإخوان المسلمين في مصر (وهي جماعة ترى الدولة الإسلامية أن قياداتها مرتدة) وإنما يقرب أكثر من تحقق واقع بديل لا طوباوي نجا فيه ديفيد كوريش أو جيم جونز لتكون لهم سلطة مطلقة ليس على عدة أتباع بالمئات ولكن على ثمانية ملايين.

لقد أسأنا فهم طبيعة الدولة الإسلامية من منظورين على الأقل؛ فأولًا نحن نميل إلى اعتبار الفكر الجهادي وحدة واحدة، كما نحَكِّم فكر القاعدة على مؤسسة فاقتها وطغت عليها بشكل حاسم.

ورغم أن مؤيدي الدولة الإسلامية الذين تحدثت إليهم مازالوا يدعون أسامة بن لادن بالشيخ أسامة احترامًا، لكن الفكر الجهادي قد تطور منذ أيام مجد القاعدة من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٣ أما الآن فيوجد الكثير من الجهاديين الذين يأنفون من أولويات الجماعة وقيادتها الحالية.

لقد رأى بن لادن إرهابه كتمهيد لخلافة لن تحدث في حياته، كانت منظمته مرنة وتعمل كشبكة منتشرة جغرافيًا مكونة من خلايا مستقلة، على النقيض من الدولة الإسلامية التي تتطلب وجود إقليم تستمد منه الشرعية وهيكلًا تنازليًا يحكمون من خلاله (تنقسم بيروقراطيتهم لفرعين: مدني وعسكري، وينقسم إقليمهم لمقاطعات).

كما أننا ضللنا من منحى آخر، عندما انطلقت حملة غير صادقة وإن كانت حسنة النية تنفي طبيعة الدولة الإسلامية الدينية التي تعود للعصور الوسطى. لقد عنون بيتر برجن الذي قام بأول مقابلة مع بن لادن في ١٩٩٧ كتابه بمؤسسة الحرب المقدسة، وذلك اعترافًا بانتماء بن لادن للعالم العلماني الحديث جزئيًا؛ لقد حول بن لادن الإرهاب إلى مؤسسة، بل وتمنح أيضًا حقوق امتيازات، متطلبًا تنازلات سياسية

محددة مثل انسحاب القوات الأمريكية من السعودية، وكان جنود مشاته يتحركون في العالم الحديث بثقة، وفي آخر يوم في حياة محمد عطا تسوق في وول مارت وتناول عشاءه في بيتزا هت.

تتقيد الدولة الإسلامية في كل قراراتها تقريبًا بما تطلق عليه في لوحات إعلاناتها ولوحات رخص سياراتها وعملاتها «منهاج النبوة».

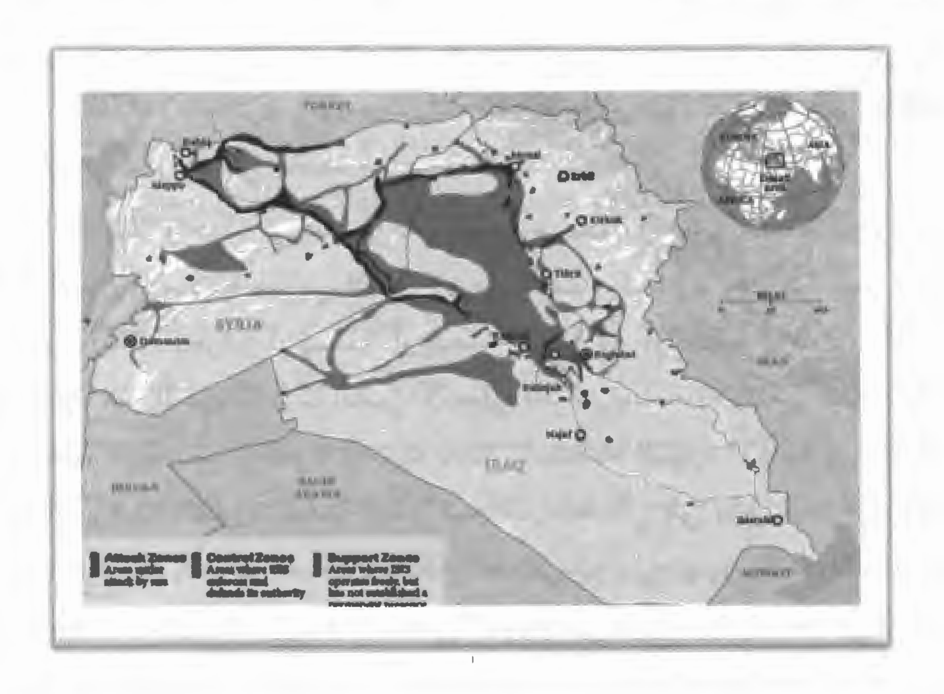
وهناك إغراء لتكرار هذه الملاحظة: -أن الجهاديين هم أناس حداثيون علمانيون، لهم اهتمامات سياسية حديثة، يتنكرون بقناع ديني من القرون الوسطي- يكيفونه ليتناسب مع الدولة الإسلامية، والواقع أن الكثير مما تقوم به الجماعة يبدو هراءً إلا إذا اعتبر في ضوء التزام مخلص مدروس بعناية للعودة بالحضارة لبيئة قانونية تعود للقرن السابع، وفي نهاية المطاف تحقيق نهاية العالم.

وأكثر المتحدثين فصاحة وبيانًا في هذا المجال هم مؤيدو ورجال الدولة الإسلامية الرسميون أنفسهم، إنهم يذكرون الحداثيين بسخرية في محادثاتهم، ويؤكدون أنهم لن يتراجعوا عن تحكيم مبادئ الإسلام التي غرسها النبي وصحابته ولا يمكنهم حتى وإن أرادوا، وغالبًا ما يتحدثون برموز وإشارات تبدو غريبة أو عتيقة لغير المسلمين ولكنها تعود إلى تراث ونصوص محددة من صدر الإسلام.

ولنأخذ مثالًا واحدًا: في ديسمبر دعا الشيخ أبو محمد العدناني المتحدث الرسمي الأول للدولة الإسلامية مسلمي الدول الغربية كفرنسا وكندا أن يجد كل منهم كافرًا و«يهشم رأسه بحجر»، أو يسممه أو يدهسه بالسيارة، أو «يتلف زرعه»، وللأذن الغربية فإن هذه العقوبات ذات النفس الإنجيلي (الرجم بالحجارة وتدمير المحاصيل) يبدو وقعها غريبًا بجانب دعوته الحديثة بالقتل باستخدام السيارة (وكأنما يبين لنا أنه يمكنه أن يرهب بالصورة الذهنية فقط، كما أشار العدناني إلى وزير الخارجية جون كيري بالهرم الغريب غير المختون. لكن العدناني لم يكن يهجو وفقط، لقد امتلأ خطابه بجدال عقدي وقانوني، وحضُه على الهجوم على الزرع مباشرة له صدى من أمر (النبي) محمد بترك آبار المياه والزرع ما لم يكن جيش الإسلام في موقف دفاع، في هذه الحالة يكون على المسلمين ببلاد الكفر أو الكفار أن يكونوا بلا رحمة ويفسدون.

والحقيقة هي أن الدولة الإسلامية إسلامية . . بل شديدة الإسلامية. صحيح أنها اجتذبت بعض مضطربي العقل والساعين للمغامرات، غالبهم من الشعوب الساخطة بالشرق الأوسط، ولكن المعتقد الذي يدعو إليه أكثر تابعيها حماسةً مستمد من تفسيرات متماسكة بل وعليمة بالإسلام.

وفعليًا فإن كل قرار وكل قانون صادر عن الدول الإسلامية يخضع لما تدعوه في صحافتها وتصريحاتها وفي لوحاتها الإعلانية ولوحات رخص سياراتها وأوراقها البريدية وعملاتها «منهاج النبوة»، وهو ما يعني اتباع الوحي وسنة محمد بتفصيلاتها الشكلية. وهكذا يمكن أن يرفض المسلمون الدولة الإسلامية، وكلهم يفعل تقريبًا، أما التظاهر بأنها ليست جماعة ألفية بعقيدة يجب فهمها ليمكن محارَبتها فقاد الولايات المتحدة إلى التهوين من شأنها ودعم خطط حمقاء لمواجهتها. إننا سوف نحتاج للتعرف على الأصل الفكري للدولة الإسلامية إذا أردنا أن نتصرف بطريقة لا تزيدها قوة، بل تساعدها على التضحية بنفسها قربانًا في حماستها الإيمانية الزائدة.



إن التحكم في إقليم لهو شرط مسبق أساسي لتحقق سلطة الدولة الإسلامية في عيون أتباعها. وهذه الخريطة نسخة معدلة من تلك التي أنتجتها مؤسسة دراسة

الحرب، وتظهر الإقليم تحت سلطة الخليفة من الخامس عشر من يناير بجانب المناطق التي هاجمها، وفي الأماكن التي تسيطر عليها الدولة تقوم بجمع الضرائب وتنظيم الأسعار وإقامة المحاكم وإدارة خدمات متنوعة من الرعاية الصحية والتعليم حتى وسائل الاتصالات.

١- الإخلاص

في نوفمبر أطلقت الدولة الإسلامية إصدارًا مرئيًا إعلاميًا دعائيًا ترجع فيه أصولها إلى ابن لادن، وتعترف بأبي مصعب الزرقاوي زعيم القاعدة القاسي بالعراق من حوالي ٢٠٠٣ حتى مقتله في ٢٠٠٦ كسلف مباشر لها، تبعه اثنان من قادة حرب العصابات قبل البغدادي الخليفة، ويلاحظ عدم ذكر خليفة بن لادن أيمن الظواهري جراح العيون المصري صاحب المظهر الرصين الجاد والحكيم الذي يرأس القاعدة حاليًا، لم يتعهد الظواهري بالولاء للبغدادي، ولا يعين الظواهري في عزلته خلوه من الكاريزما؛ فهو يظهر في المرئيات مضيقًا عينيه كمن لا يرى جيدًا ويبدو متضايقًا، ولكن الانفصال بين القاعدة والدولة الإسلامية بدأ منذ فترة، وهو ما يفسر جزئيًا الدموية الشديدة لدى الأخير.

أما رفيق الظواهري في عزلته فهو عالم أردني هو أبو محمد المقدسي، عمره خمسة وخمسون عامًا، والذي يمكنه الادعاء بأنه المهندس المعماري الذهني للقاعدة، وأهم الجهاديين غير المعروفين للأمريكي قارئ الصحف العادي، ويتفق أبو محمد المقدسي والدولة الإسلامية في معظم أمور العقيدة، وينتمي كلاهما للجناح الجهادي لفرع من السنة يسمى السلفية والتي تعود تسميتها إلى السلف الصالح، وهذا السلف الصالح هم النبي نفسه وأتباعه الأُول الذين يبجلهم السلفيون ويتشبهون بهم كنماذج لكل السلوكيات بما في ذلك الحرب وشكل الأزياء والحياة الأسرية وحتى في طب الأسنان.

إن الدولة الإسلامية تنتظر جيش الروم والذي ستطلق هزيمته في دابق بالشام بداية أحداث النهاية.

تتلمذ الزرقاوي على يد المقدسي قبل أن يذهب للحرب في العراق حاملًا في فكره نصيحة الرجل الأكبر سنًا، لكن مع الوقت تجاوز الزرقاوي شيخه في التعصب؛

فاكتسب توبيخه في النهاية، كان محل النزاع هو ميل الزرقاوي للمشاهد الدموية، وكراهيته للمسلمين الآخرين الذين على خلاف عقدي معه إلى درجة تكفيرهم وقتلهم. وفعل التكفير في الإسلام هو أمر عقدي خطير؛ «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». أي إنه إذا كان المتهِم مخطئًا فقد ارتكب فعل ردة بإلقاء تهمة كاذبة، وعقوبة الردة الموت. ورغم ذلك فقد وسع الزرقاوي بلا اهتمام من نطاق السلوك الذي قد يجعل المسلم كافرًا.

وكتب المقدسي إلى تلميذه السابق يخبره أنه في حاجة لأن يكون حريصًا، وألا يصدر تصريحات جارفة بالتكفير، أو يعلن ارتداد الناس بالكبائر، وقد يبدو الفارق دقيقًا بين المرتد ومرتكب الكبيرة ولكنه مفتاح الخلاف بين القاعدة والدولة الإسلامية.

وإنكار قدسية القرآن أو السنة المستمدة من الوحي ردة صريحة، ولكن الزرقاوي والدولة التي أفرزها يأخذون موقفًا يقول بأن هناك أفعالًا أخرى كثيرة تخرج المسلم من الإسلام، ويتضمن هذا في حالات معينة بيع الكحوليات أو المخدرات، أو ارتداء الأزياء الغربية، أو حلق اللحية أو التصويت في الانتخابات ولو لمرشح مسلم، والتراخي في التصريح بردة الآخرين. وكون المرء شيعيًا كمعظم عرب العراق يوفي هذه المعايير أيضا، لأن الدولة الإسلامية ترى المذهب الشيعي بدعة، والابتداع في القرآن هو نفي ضمني لكماله الأصلي، (تدعي الدولة الإسلامية أن ممارسات عوام الشيعة مثل عبادة قبور الأئمة، وجلد النفس بالسياط على الملأ لا أصل لها في القرآن أو سنة الرسول). وهذا يعني أن ما يقارب المائتي مليون شيعي مستهدفون للقتل، وكذلك رؤساء كل الدول المسلمة الذين أعلوا القانون الوضعي على الشريعة بالترشح للمنصب أو فرض قوانين لم يسنها الله.

وباتباعها لعقيدة التكفير فإن الدولة الإسلامية ملزمة بتطهير العالم بقتل أعداد كثيرة من البشر. وغياب التقارير الموضوعية من الإقليم يجعل المدى الحقيقي للمذبحة غير معروف، ولكن وسائل الإعلام الاجتماعية التي تنشر من المنطقة تشير إلى أن الإعدامات الفردية تحدث بشكل يكاد يكون مستمرًا، بينما تحدث الإعدامات الجماعية كل عدة أسابيع، ويكون المسلمون (المرتدون) هم الضحايا في الغالب. ويبدو أن المسيحيين الذين لا يقاومون حكومتهم الجديدة قد أعفوا من الإعدامات

الآلية، فيسمح لهم البغدادي بالعيش طالما يدفعون الجزية ويعترفون بخضوعهم، والأصل القرآني لهذه الممارسة ليس محل جدل.



موسي سيرانتونيو داعية أسترالي تردد أنه أحد أهم مجندي الدولة الإسلامية وأكثرهم تأثيرًا، يعتقد أن هناك نبوءة بأن الخلافة سوف تهجر إسطنبول قبل أن يدحرها جيش يقوده المسيح الدجال، والذي سيؤذن هلاكه النهائي -عندما لا يتبقى سوى بضعة الآف من المجاهدين- بنهاية العالم. (بول جيفرز - فيرفاكس ميديا).

لقد مضت قرون على انتهاء الحروب الدينية بأوروبا، منذ كف الناس عن الموت بأعداد ضخمة بسبب نزاعات عقدية غامضة، ربما لذلك قابل الغربيون أخبار عقيدة وممارسات الدولة الإسلامية بالإنكار وعدم التصديق. فيرفض الكثيرون تصديق أن هذه الجماعة بالإخلاص الذي يدعونه، أو أنها تبدو رجعية ومنغمسة في أدبيات ملاحم نهاية العالم كما تدل على ذلك أفعالها وتصريحاتها.

وتشككهم أمر مفهوم، ففي الماضي كان الغربيون الذين يتهمون المسلمين بالاتباع الأعمىٰ للنصوص المقدسة العتيقة يلاقون تشددًا مستحقًا من الأكاديميين لاسيما من الراحل إدوارد سعيد، الذي أشار إلى أن وصف المسلمين بالأثريين كان مجرد طريقة أخرى لتشويههم غالبًا. وقد حثنا هؤلاء العلماء بدلًا من ذلك على النظر إلى الظروف

التي خرج فيها أولئك المنظرون؛ الحكومات السيئة، الأعراف الاجتماعية المتغيرة، والشعور بالإهانة الناتج عن العيش على أرض تقدر فقط لما تحويه من بترول.

ومن دون الاعتراف بهذه العوامل فإن أي تفسير لصعود الدولة الإسلامية لن يكون كاملًا، ولكن التركيز عليها لدرجة إقصاء دور العقيدة فهذا يعكس نوعًا آخر من التحيز الغربي: أي إنه إن لم تكن العقيدة الدينية تهم كثيرًا في واشنطن أو برلين فلابد أن يكون هذا هو نفس التوجه في الرقة أو الموصل. فعندما يهتف جلاد ملثم الله أكبر بينما يقطع رأس مرتد فإنه يفعل ذلك أحيانًا لأسباب دينية.

وذهبت الكثير من المؤسسات الإسلامية من التيار العام إلى حد القول بأن الدولة الإسلامية غير إسلامية. وهذا بالطبع أمر مطمئن أن نعرف أن الغالبية العظمى من المسلمين لا اهتمام لهم على الإطلاق، يستبدلون الإعدامات العلنية بأفلام هوليوود كتسلية مسائية، لكن المسلمين الذين يدعون أن الدولة الإسلامية غير إسلامية حسب قول برنارد هيكل أستاذ برنستون والخبير البارز بعقيدة الجماعة «يشعرون بالإحراج كالعادة وأيضا يلتزمون بما يجب قوله سياسيًا، إلى جانب نظرة وردية إلى دينهم» تهمل «ما تطلبه دينهم تاريخيًا وتشريعيًا». ويقول أيضا إن الكثير من الإنكار الموجه ضد الطبيعة الدينية للدولة الإسلامية تعود جذوره إلى «الهراء المتعلق بالتقاليد المسيحية بالحوار بين الأديان».

ولقد أحالني كل من سألتهم من الأكاديميين عن معتقد الدولة الإسلامية إلى هيكل، الذي يرجع جزء من أصوله إلى لبنان، التي نشأ بينها وبين الولايات المتحدة، وعندما يتحدث هيكل من خلال لحية الجدي التي يربيها على طراز الشيطان مفيستوفيليان الشهير ستجد أثرًا لا يكاد يلحظ للكنة أجنبية.

وطبقًا لهيكل فإن صفوف الدولة الإسلامية متشربة تمامًا بالحمية الدينية؛ الاقتباسات القرآنية موجودة في كل مكان، «حتى جنود المشاة يتدفق منهم هذا الكلام باستمرار». ويقول هيكل: «إنهم يقفون للتصوير أمام الكاميرا ويكررون معتقداتهم الأساسية بطريقة صياغية مركبة، وهم يفعلون ذلك طوال الوقت». وهو يرى أن الادعاء بأن الدولة الإسلامية قد شوهت نصوص الإسلام هو ادعاء أخرق منافٍ للعقل

وغير محتمل إلا من خلال الجهل المتعمد، «يريد الناس أن يبرئوا الإسلام». ويستطرد: «إنها تلك النغمة المتكررة عن: «الإسلام دين السلام»، وكأنما هناك شيء اسمه إسلام! إن الإسلام هو ما يقوم به المسلمون وما يؤولون به نصوصهم». وهذه النصوص يتشارك فيها كل أهل السنة من المسلمين وليس فقط الدولة الإسلامية. «وهؤلاء الناس لديهم نفس القدر من الشرعية التي يتمتع بها غيرهم».

ويجمع المسلمون على أن غزوات محمد الأولى لم تخلُ من العنف والدم، وأن قوانين الحرب نزلت في القرآن، والروايات عن حكم النبي كانت على معيار يناسب زمنًا مضطربًا وعنيفًا. وفي تقدير هيكل فإن مقاتلي الدولة الإسلامية هم ارتداد أصيل إلى صدر الإسلام، وقد أعادوا إنتاج تقاليد الحرب في الإسلام بدقة، ويشتمل هذا السلوك على عدة ممارسات يفضل المسلمون العصريون عدم الاعتراف بكونها جزءًا جوهريًا من نصوصهم المقدسة، ويقول هيكل: «الرق والصلب وقطع الرأس، تلك ليست أشياء ينتقيها الجهاديون الشذاذ من التراث الذي يعود للعصور الوسطى». وأن مقاتلي الدولة الإسلامية «غارقون في وسط تراث العصورالوسطى، وهم يعيدونه جملةً إلى الحاضر».

إن فشلنا في تقدير الفوارق الأساسية بين داعش والقاعدة قد أدى إلى قرارات خطيرة.

حدد القرآن الصلب كإحدىٰ العقوبات المعينة المسموح بها لأعداء الإسلام، والضريبة على النصارى تجد تصديقها في سورة التوبة السورة التاسعة في القرآن، والتي تعطي للمسلمين التعليمات بقتال النصارى واليهود «*حَتَّى? يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ*» *والنبي الذي يتخذه المسلمون كلهم أسوة قد فرض تلك القوانين وامتلك الرقيق.*

وقد جعل قادة الدولة الإسلامية أمر التأسي بمحمد واجبًا صارمًا، وأحيوا تراثًا كان كامنًا مئات السنين، يقول هيكل: «المدهش فيما يتعلق بهم ليس فقط حَرفيتهم ولكن الجدية التي يقرأون بها تلك النصوص». كما يقول: «هناك جدية مجتهدة تصل لحد الهوس لا يملكها المسلمون عادةً».

قبل نهوض الدولة الإسلامية لم تحاول أي جماعة على مدى القرون القليلة

الماضية الالتزام الأصولي المخلص بالنموذج النبوي أكثر من الوهابية في الجزيرة العربية بالقرن الثامن عشر، وقد أخضعوا معظم ما يطلق عليها الآن المملكة السعودية، واستمرت ممارساتهم الصارمة عبر نسخة واهنة من الشريعة هناك. ولكن هيكل يرى فارقًا هامًا بين هاتين الجماعتين: «لم يكن الوهابيون متعطشين للعنف الذي يمارسونه». لقد كانوا محاطين بالمسلمين كما أنهم فتحوا بلادًا كانت إسلامية بالفعل؛ وظلت هذه بلادهم، أما داعش فهي «على النقيض تحيي حقيقّة العصر الأول». كان المسلمون الأوائل محاطين بغير المسلمين، والدولة الإسلامية بسبب ميولها التكفيرية تعتبر نفسها في الموقف نفسه.

ولو كانت القاعدة تريد إعادة إحياء الرق فإنها لم تذكر ذلك، ولم تفعل؟ إن الصمت عن موضوع الرق ربما يعكس تفكيرًا استراتيجيًا، واضعين في الاعتبار تعاطف العامة، وعندما بدأت الدولة الإسلامية في استرقاق الناس أحجم حتى بعض داعميها، ورغم ذلك استمر الخليفة في تبني الرق والصلب دون اعتذار أو تبرير، «سوف نحتل مدينتكم روما ونكسر صلبانكم ونسبي نساءكم». هكذا وعد العدناني المتحدث الرسمي في واحدة من تودداته الدورية للغرب، «إن لم ندرك هذا الزمن فسيدركه أبناؤنا أو أحفادنا، وسوف يبيعون أبناءكم في سوق النخاسة».

في أكتوبر نشرت مجلة دابق التابعة للدولة الإسلامية مقالًا بعنوان: «إحياء الرق قبل قيام الساعة» وهو المقال الذي حمل سؤال ما إذا كان اليزيدية (المنتمون لطائفة كردية قديمة أخذت مبادئ من الإسلام، هاجمتهم قوات الدولة الإسلامية في شمال العراق) مسلمين منتكسين وبالتالي فهم هدف للقتل، أم أنهم مجرد وثنيين فيصبحوا مستباحين للرق؟ وقد انعقدت حلقة دراسية لعلماء الدولة الإسلامية لحل هذه القضية بناءً على طلب الحكومة. وكتب المؤلف المجهول في حالة ما إذا كان اليزيديون وثنيين:

تقسم نساء وأطفال اليزيديين بين مقاتلي الدولة الإسلامية الذين شاركوا في عمليات سنجار (بشمال العراق) وفقًا للشريعة، واسترقاق عائلات الكفار وسبي نسائهم هو جانب راسخ من جوانب الشريعة، ومن ينكرها أو يستهزئ بها فإنه يكون كمن أنكر آيات من القرآن وأحاديث النبي أو استهزأ بها وتلك ردة عن الإسلام.

٢- الإقليم:

يعتقد أن مئات الآلاف من المسلمين الأجانب قد هاجروا للانضمام إلى الدولة الإسلامية، ويتدفق المتطوعون من فرنسا والمملكة المتحدة وبلجيكا وألمانيا وهولندا وأستراليا وإندونيسيا والولايات المتحدة ودول أخرى عديدة، جاء الكثيرون منهم للقتال وينوي الكثيرون منهم الموت.

أخبرني بيتر ر. نيومان الأستاذ بجامعة كنج كوليدج، لندن أن الأصوات التي على شبكة الإنترنت ضرورية لنشر الدعاية وضمان تعليم القادمين الجدد ما يؤمنون به، كما وسع التجنيد على الشبكة من القاعدة الديموجرافية للمجتمع الجهادي بالسماح للنساء المحافظات المعزولات في بيوتهن بدنيًا أن يصلن إلى المجندين وتسهيل العبور إلى سوريا. وتأمل الدولة الإسلامية من خلال توجهها بالنداء لكلا الجنسين أن تبني مجتمعًا كاملًا.

في نوفمبر سافرت إلى أستراليا لمقابلة موسى سيرانتونيو رجل في الثلاثين من عمره، عرفه نيومان وباحثون آخرون على أنه أحد أهم اثنين من القيادات الروحية التي توجه الأجانب للانضمام للدولة الإسلامية. ولثلاث سنوات عمل كداعية على قناة اقرأ التلفزيونية بالقاهرة، ولكنه غادرها بعد اعتراض القناة على دعواته المتكررة لتأسيس خلافة، والآن هو يعظ على فيس بوك وتويتر.

أخبرني سيرانتونيو وهو رجل ضخم ودود تبدو عليه سعة الاطلاع أنه يشحب وجهه عند رؤيته لمشاهد قطع الرأس، وهو يكره رؤية العنف رغم أن على مؤيدي الدولة الإسلامية أن يقروه، (وهو يتكلم علنًا وخلافًا لما هو منتشر بين الجهاديين على أنه ضد التفجير الانتحاري على أساس أن الله حرم الانتحار، وهو يختلف مع الدولة الإسلامية في عدة أمور أخرى أيضا.) ويملك سيرانتونيو شعر وجه كث أشعث من الطراز الذي قد يراه المرء على محبي أبطال سلسلة ملك الخواتم ذوي العنفوان. ولذا بدا هوسه بملاحم النهاية مألوفًا، لقد بدا كما لو كان يعيش في دراما تبدو من منظور خارجي كرواية فانتازيا تعود للعصور الوسطى، ولكن مع دماء حقيقية.

وقد حاول سيرانتونيو وزوجته في يونيو الماضي الهجرة -كان كتومًا ولم يرد أن يخبرنا لأين وقال بحذر إن الهجرة لسوريا ممنوعة- وقد قبضوا عليهما في الطريق

عندما كانوا في الفلبين ورُحِّل إلى أستراليا لانتهاء تأشيرته، وكانت أستراليا قد جرمت محاولات الالتحاق بالدولة الإسلامية أو السفر إليها، وصادرت جواز سفره، والآن هو عالق في ميلبورن، حيث إنه معروف للشرطة المحلية، فإذا قبض على سيرانتونيو بتهمة تسهيل انتقال الأفراد للدولة الإسلامية فسوف يسجن، ولكنه حر طليق حتى الآن، منظِّر غير تابع رسميًا، والذي يتحدث رغم ذلك بما يعتبره الجهاديون صوتًا موثوقًا للحديث عن الأمور العقدية المتعلقة بالدولة الإسلامية.

تقابلنا للغداء في فوتسكراي وهي ضاحية مكتظة متعددة الثقافات بميلبورن، وقد نشأ سيرانتونيو هناك من عائلة نصف إيرلندية نصف إيطالية (من كالابريا)، وفي أي من شوارعها العادية يمكنك أن تجد مطاعم أفريقية ومحلات فيتنامية وشبابًا عربًا يمشون في الشارع بهيئتهم السلفية من اللحى الهزيلة والقمصان الطويلة والسراويل التي يبلغ طولها نصف الساق.

وقد فسر لي سيرانتونيو السعادة التي شعر بها عندما أعلن البغدادي خليفة في التاسع والعشرين من يونيو، والانجذاب المغناطيسي المفاجئ الذي شعر به هو وأصدقاؤه نحو بلاد ما بين الرافدين، «كنت في فندق بالفلبين عندما شاهدت البيان على التلفاز». وأخبرني: «لقد كنت مذهولًا، وكان شعوري: لماذا أنا هنا عالقًا في هذه الغرفة اللعينة؟».

كانت آخر خلافة إسلامية هي الخلافة العثمانية والتي بلغت ذروة مجدها في القرن السادس عشر، ثم مرت بتدهور بطيء، حتى جاء مؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك فقتلها قتلًا رحيمًا في ١٩٢٤، لكن سيرانتونيو مثله مثل الكثيرين من مؤيدي الدولة الإسلامية لا يراها كخلافة شرعية، لأنها لم تفرض الشريعة كاملةً، وهو ما يتطلب تطبيق الرجم والرق والقطع، وكذلك لأن خلفاءها لم يكونوا من قريش.

تكلم البغدادي مطولًا عن أهمية الخلافة في خطبته الموصلية، وقال إن إحياء مؤسسة الخلافة والتي لم توجد إلا بالاسم فقط منذ ما يربو على الألف سنة هو التزام شعبي. أما هو والموالون له فقد «سارعوا بإعلان الخلافة وتنصيب الإمام» وقال: «هذا واجب على المسلمين، وهو واجب كان ضائعًا لقرون، يأثم المسلمون لإضاعته، وينبغي عليهم السعي الدائم لتأسيسه». وكما تحدث بن لادن قبله تحدث

البغدادي بصورة معقدة، وبإشارات عديدة للنصوص المقدسة، وامتلاك لناصية البيان الكلاسيكي، وعلى عكس بن لادن وأولئك الخلفاء المزيفين فإن البغدادي قرشي.

والخلافة -كما يقول سيرانتونيو- ليست مجرد كيان سياسي، ولكنها مركب يقود للخلاص. وتعلن الدولة الإسلامية بشكل منتظم عن عهود البيعة الآتية إليها من الجماعات الجهادية عبر العالم الإسلامي. وقد تلا سيرانتونيو حديثًا نبويًا: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أي يموت ميتة الجاهليين الكفار، ضع في اعتبارك كيف يتخيل المسلمون -بل والمسيحيون أيضا- كيف يعامل الله الأنفس التي تموت دون أن تعلم الدين الحق، إنهم لا يتم خلاصهم بوضوح ولكنهم لا يدانون كذلك للأبد، وكذلك -يقول سيرانتونيو- يكون حال المسلم الذي يعترف بإله واحد كلي القدرة ويصلي ولكنه يموت ولم يعهد ببيعة لخليفة صحيحةٌ خلافته، وحمل على عاتقه التزامات هذا القسم فقد فشل في أن يعيش حياة إسلامية كاملة. وقد نبهت إلى أن هذا ينطبق على الغالبية العظمى للمسلمين على مدار التاريخ، وأن كل من مات في الفترة من ١٩٢٤ وحتى ٢٠١٤ قد مات ميتة كفر. فأومأ سيرانتونيو برأسه بوقار قائلًا: «بل سأذهب إلى حد القول بأن الإسلام قد أعيد تأسيسه بالخلافة». وقد سألته عن بيعته فصحح لي مسرعًا: «أنا لم أقل إنني قد بايعت». وذكرني أنه بموجب القانون الأسترالي فإن مبايعة الدولة الإسلامية أمرٌغير قانوني. «ولكنني أتفق على أن البغدادي موفٍ للشروط». واستطرد: «إنني سوف أجلس هنا وأغض الطرف عنك وأنت يمكنك أن تحمل هذا على المعنى الذي تريد».

ليكون المرء خليفة عليه أن تتحقق فيه شروط معينة مذكورة في سنن الشريعة؛ أن يكون رجلًا مسلمًا بالغًا قرشي الأصل، مظهرًا الاستقامة الأخلاقية والسلامة العقلية والبدنية وأن تكون له شوكة، ويقول سيرانتونيو أن هذا الضابط الأخير هو أصعبها تحقيقًا، ويتطلب أن يكون لدى الخليفة أرضًا باستطاعته تطبيق الشريعة فيها.

ودولة البغدادي الإسلامية حققت هذا الشرط قبل التاسع والعشرين من يونيو بكثير، وبمجرد حدوث هذا بدأ رجل غربي معتنق للإسلام في صفوف الدولة -يصفه سيرانتونيو بأنه يحسب من القادة- يدمدم حول الوجوب الشرعي لإعلان الخلافة،

وقد تكلم هو وغيره بهدوء مع من في السلطة وأخبروهم أن المزيد من التأجيل سوف يكون إثمًا.

تقترح منشورات مواقع التواصل الاحتماعي التابعة للدولة الإسلامية أن تنفذ الإعدامات باستمرار بشكل أو بآخر.

وقال سيرانتونيو أنه قد نهض فصيل مستعدًا لمحاربة جماعة البغدادي إذا أجل الأمر أكثر من ذلك. وأعدوا خطابًا لعدة أعضاء من ذوي النفوذ داخل داعش معربين عن عدم رضاهم عن الفشل في تعيين خليفة، ولكن العدناني المتحدث الرسمي هدأهم مطلعًا إياهم على سر: أن الخلافة أعلنت بالفعل قبل وقت طويل من الإعلان العام. كان لديهم خليفتهم الشرعي وفي هذه المرحلة لم يكن هناك سوى خيار واحد: «لو كان شرعيًا فيجب عليك أن تبايعه». وذلك كما قال سيرانتونيو.

بعد خطبة البغدادي في يوليو بدأ تيار من الجهاديين يتدفق يوميًا إلى سوريا بدافع متجدد. وقد أخبر يورجن تيدنهوفر الكاتب الألماني والسياسي السابق الذي زار الدولة الإسلامية في ديسمبر عن وصول مائة مقاتل إلى محطة تجنيد على إحدى الحدود التركية في فترة يومين فقط، وأشار تقريره بجانب تقارير أخرى إلى تدفق مستمر مستقر من الأجانب إلى الداخل مستعدين للتخلي عن كل شي بالوطن مقابل محاولة الفوز بالجنة في أخطر بقعة على وجه الأرض.



يعتقد برنارد هيكل أكثر العلمانيين خبرة بمذهب الدولة الإسلامية أن الجماعة تحاول إعادة خلق أيام صدر الإسلام، وأنها تستنسخ بإخلاص كل مبادئها في الحرب. ويقول: «يوجد اجتهاد جاد مهووس» فيما يتعلق بتفاني الجماعة في الالتزام بالنص القرآني. بيتر مورفي.

في لندن، وقبل أسبوع من مقابلتي مع سيرانتونيو قابلت ثلاثة أعضاء سابقين في جماعة إسلامية محظورة تدعى «المجاهدون»: أنجيم شودري وأبو براء وعبد المحيط (Abdul Muhid) وكلهم يرغبون في الهجرة للدولة الإسلامية كما فعل الكثير من زملائهم، ولكن السلطات صادرت جوازاتهم. ومثل سيرانتونيو فإنهم يرون الخلافة الحكومة الصالحة الوحيدة على وجه الأرض، رغم أن أحدهم لم يعترف بمبايعته لها. وكان هدفهم الرئيس من مقابلتي هو شرح مبادئ الدولة الإسلامية وما تمثله، وكيف تعكس سياساتها شريعة الله.

وشودري الذي يبلغ الثامنة والأربعين من عمره هو القائد السابق للجماعة، وكثيرًا ما يظهر في الأخبار التلفزيونية على القنوات المشفرة كأحد القلائل الذين يمكن للمنتجين أن يسجلوا معه كرجل يدافع عن الدولة الإسلامية بصخب وحتى آخر ثانية قبل أن يقطعوا عنه صوت الميكروفون، وهو صاحب سمعة سيئة في المملكة المتحدة كمتحدث كريه وعدواني يتوعد ويتفاخر بصخب، ولكنه وأتباعه مخلصون في إيمانهم بالدولة الإسلامية، ويتكلمون بفكرها فيما يتعلق بالعقيدة، ويظهر شودري وزملاؤه بشكل بارز في تويتر كأحد المقيمين بالدولة الإسلامية، كما يحتفظ أبو براء بقناة على يو تيوب يجيب فيها عن الأسئلة المتعلقة بالشريعة.

كانت السلطات تحقق منذ سبتمبر في اشتباه تورط الرجال الثلاثة في دعم الإرهاب، وبسبب هذا التحقيق كان عليهم أن يقابلوني كلٌ على حدة؛ حيث إن الاتصال فيما بينهم كان سيخرق شروط إطلاق سراحهم، ولكن الحديث معهم يشبه الحديث مع رجل واحد يرتدي أقنعة مختلفة. قابلني شودري في محل للحلوى في ضاحية إلفورد بشرق لندن، وكان متأنقًا في ملبسه، مرتديًا سترة زرقاء تكاد تصل إلى كاحله، وكان يرتشف مشروب الريد بول خلال حواره معي.

أخبرني شودري أنه قبل الخلافة «ربما كان حوالي ٨٥% من الشريعة غائبًا».

و«هذه القوانين معلقة حتى تكون لنا خلافة، والآن لدينا واحدة». «ومن دون خلافة فإن الأفراد القائمين على تنفيذ الحدود غير ملزمين بقطع يد السارق المتلبس بالسرقة على سبيل المثال، ولكن بتأسيس الخلافة فإن هذا القانون وغيره الكثير من الفقه التشريعي يستيقظ فجأةً، ونظريًا على جميع المسلمين الهجرة إلى الإقليم الذي يطبق فيه الخليفة هذه القوانين». أحد تلاميذ شودري النجباء وهو معتنق للإسلام من الهندوسية وكنيته أبو رميساء راوغ الشرطة كي يتمكن من إحضار عائلته المكونة من خمسة أفراد من لندن إلى سوريا في نوفمبر. وفي اليوم الذي قابلت فيه شودري نشر أبو روميساء تغريدة بصورة له يحمل كلاشينكوف في يد وفي الآخرى يحمل ابنه حديث الولادة مع هاشتاج: #جيل _ الخلافة

ومطلوب من الخليفة تطبيق الشريعة، وأي ابتداع سوف يجبر أولئك الذين بايعوه على نصح الخليفة للرجوع عن أخطائه في السر، أو في الحالات القصوى عزله واستبداله إذا ما أصر على ما هو عليه.

قال البغدادي في خطبته: «لقد ابتليت بهذا الأمر العظيم، ابتليت بهذه الأمانة، أمانة ثقيلة». وفي المقابل فإن الخليفة نجب طاعته، أما أولئك الذين واصلوا دعم حكومات غير مسلمة بعد إنذارهم بشكل وافٍ وتعريفهم بخطيئتهم فيعتبرون مرتدين.

ويقول شودري إن الشريعة قد أسيء فهمها بسبب تطبيقاتها غير الكاملة من أنظمة مثل نظام السعودية، والتي تقوم بقطع رأس القاتل وقطع يد السارق ولكن «المشكلة أنه عندما تطبق أماكن مثل السعودية قانون العقوبات ولكنها لا توفر العدالة الاجتماعية والاقتصادية التي تضمنها الشريعة، أي الحزمة كاملة، فإنهم ببساطة يولدون الكراهية تجاه الشريعة». وقال إن تلك الحزمة الكاملة سوف تتضمن السكن المجاني والغذاء والكساء للجميع، هذا ولو رغب أي شخص في إثراء نفسه بالعمل فيمكنه ذلك بالطبع.

واستمر عبد المحيط (اثنان وثلاثين عامًا) على النمط نفسه، كان يرتدي الطراز نفسه الأنيق الذي يبدو أنه يميز المجاهدين، عندما قابلته في مطعم محلي، لحية شعثة وغطاء رأس أفغاني وحافظة نقود يرتديها خارج ثيابه معلقة بما يشبه جراب الأسلحة الذي يعلق بالكتف، وعندما جلسنا كان متلهفًا على مناقشة الرفاهة، ربما كان طراز

عقوبات الدولة الإسلامية يعود للعصور الوسطى فيما يتعلق بالجرائم الأخلاقية (الجلد على شرب الخمر أو الزنا، والرجم على زنا المحصَن)، ولكن برنامجها الاجتماعي لتحقيق الرفاهية تقدميٌ في بعض جوانبه على الأقل يمكنه أن يرضي خبراء محطة أم إس إن بي سي التلفزيونية، وقال إن الرعاية الصحية مجانية، سألته: أليست الرعاية الصحية مجانية في بريطانيا أيضا؟ قال: لا ليس تمامًا، هناك بعض الإجراءات الطبية التي لا تغطى تكاليفها مثل النظر. وقال إن هذا البذل بالرعاية الاجتماعية ليس خيارًا سياسيًا للدولة الإسلامية ولكنه التزام سياسي فرضته شريعة الله.



انجيم شودري أشهر مدافعى لندن عن الدولة الإسلامية يقول إن الصلب وقطع الرأس هي متطلبات مقدسة. (تل كوهن م رويترز).

٢- ملاحــم النهايــة

يدرك كل المسلمين أن الله هو وحده الذي يعلم المستقبل، ولكنهم يتفقون أيضا على أنه قدم لنا ملمحًا منه في القرآن وأحاديث النبي. وتختلف الدولة الإسلامية عن أي حركة جهادية أخرى معاصرة تقريبًا في كونها تعتقد أنها مذكورة في نص الله

المقدس ككيان مركزي. وفي هذا التوزيع للأدوار تتميز الدولة الإسلامية تميزًا جريئًا عن سابقيها، كما إنها أوضحهم في الطبيعة الدينية لمهمتها.

بشكل عام فإن القاعدة تتصرف كحركة سياسية تحت الأرض، بأهداف أرضية أمام ناظريها طوال الوقت؛ نفي غير المسلمين من الجزيرة العربية ومحو دولة إسرائيل ونهاية الدعم للديكتاتوريات القائمة في أراضي المسلمين. أما الدولة الإسلامية فلها نصيبها من الاهتمامات الدنيوية (يتضمن ذلك في المنطقة التي تحكمها جمع القمامة وتوفير مياة الشرب) ولكن ملاحم النهاية فكرة مهيمنة على دعايتهم، كان بن لادن نادرًا ما يذكر ملاحم النهاية، وكان عندما يفعل يبدو وكأنه يفترض أنه سيقضي نحبه قبل وصول لحظة القصاص المهيبة بوقت طويل. يقول ويل ماكانتس من مؤسسة بروكنجز والذي يؤلف كتابًا عن فكر الدولة الإسلامية الملحمي: «ينتمي كل من بن لادن والظواهري لعائلات سنية من الطبقة العليا الذين ينظرون بازدراء إلى ذلك الفكر، ويعتقدون أنه شيء يشغل العامة والسوقة».

وخلال السنوات الأخيرة من احتلال الولايات المتحدة للعراق وعلى النقيض من قيادات القاعدة رأىٰ المؤسسون الأوائل للدولة الإسلامية في الحال علامات الساعة في كل مكان، لقد كانوا يترقبون وصول المهدي خلال سنة وهو شخصية مسيحانية يقدر له أن يقود المسلمين للنصر قبل نهاية العالم. وقال ماكانتس إن هناك إسلاميًا بارزًا ذهب لبن لادن في ٢٠٠٨ لتحذيره بأن الجماعة يقودها الألفيون والذين كانوا «يتحدثون طوال الوقت عن المهدي وعن اتخاذ قرارات استراتيجية» بناءً على ما ظنوه مكان وصول المهدي. وقال: «على القاعدة أن تكتب لهؤلاء القادة وتنصحهم أن يكفوا عن ذلك».

ولشريحة معينة من المؤمنين المخلصين الذين يتوقون لمعارك ملحمية يحارب فيها الخير ضد الشر فإن الرؤى المتعلقة بحمامات الدم المصاحبة لملاحم نهاية العالم تشبع حاجة نفسية عميقة داخلهم. ومن بين مؤيدي الدولة الإسلامية الذين قابلتهم عبر موسى سيرانتونيو الأسترالي عن أعمق اهتمام بملاحم النهاية، وكيف ستبدو الأيام الأخيرة في عمر الدولة الإسلامية والعالم. وتُغرق هذه التخمينات -التي تعود أجزاء منها له أصالةً، وأجزاء أخرى تعود إلى المصادر السنية التي يؤمن بها التيار الغالب من

المسلمين- دعاية الدولة الإسلامية، وهذا يتضمن الاعتقاد بأنه يوجد اثنا عشر خليفة شرعيًا فقط، والبغدادي ترتيبه الثامن؛ وأن جيوش الروم سوف تجتمع لمقابلة جيش الإسلام في شمال سوريا، وأن المواجهة الأخيرة للإسلام مع المسيح الدجال سوف تكون في القدس بعد فترة من تجدد الفتح الإسلامي.

وقد علقت الدولة الإسلامية أهمية كبرى على مدينة دابق القريبة من حلب، كما أسمت مجلتها الدعائية باسمها، كما احتفلت احتفالات مدوية عند فتحها سهول دابق غير المهمة استراتيجيًا بعد تكبدهم خسائر فادحة. ونقل عن النبي أنه قال: «لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابِقَ». وسوف تلاقيهم جيوش الإسلام وسوف تكون دابق كمعركة واترلو أو أنتيتام جديدة للروم .

غرد أحد مؤيدي الدولة الإسلامية مؤخرًا: «دابق في الأساس عبارة عن أراضٍ زراعية». و«يمكنك أن تتخيل حدوث معارك ضخمة هناك». إن دعائيي الدولة الإسلامية يسيل لعابهم ترقبًا لهذا الحادث، ودائمًا ما يشيرون إلى قرب قدومها. وتقتبس مجلة الدولة قول الزرقاوي: «لقد اشتعلت الشرارة هنا في العراق، وسوف يتصاعد لهيبها حتى تحرق الجيوش الصليبية في دابق». كما يظهر فيديو دعائي حديث مشاهد من أفلام حرب هوليودية تصور العصور الوسطى . . ربما لأن معظم النبوءات تحدد أن الجيوش ستقاتل على ظهور الخيل وتحمل أسلحة قديمة.

والآن بعد استحواذها على دابق تنتظر الدولة الإسلامية وصول جيش الأعداء هناك، والذي ستؤذن هزيمته ببدء العد التنازلي لنهاية العالم. وكثيرًا ما يفوت وسائل الإعلام الغربي الإشارات التي تأتي في مرئيات الدولة الإسلامية عن دابق، ويركزون بدلًا من ذلك على المشاهد الصارخة لقطع الرؤوس. وقال جلاد ملثم في فيديو نشر في نوفمبر ويظهر فيه الرأس المقطوع لبيتر (عبدالرحمن) كاسيج «ها نحن ندفن أول الصليبيين الأمريكيين في دابق منتظرين بلهفة وصول باقي جيوشكم». وكاسيج كان يعمل في الإغاثة عندما وقع أسيرًا لمدة تجاوز العام.

أثناء القتال في العراق في ديسمبر وبعد أن أخبر المجاهدون (ربما دون تحري الدقة) أنهم رأوا جنودًا أمريكيين في المعركة انطلقت التغريدات من حسابات مؤيدي

الدولة الإسلامية في دفقات فرحة كمضيفين شديدي الحماسة يستقبلون أول الضيوف الواصلين إلى الحفلة.

تشير البشارة النبوية عن معركة دابق إلى العدو باسم الروم، فمن هم الروم الآن والبابا لم يعد له جيش؟ هذا يظل موضوعًا للنقاش. ولكن سيرانتونيو يثير نقطة أن الروم هنا تعني الإمبراطورية الرومانية الغربية والتي كانت عاصمتها فيما يطلق عليه اليوم إسطانبول، ينبغي أن نفكر في الروم على أساس أنها الجمهورية التركية؛ نفس الجمهورية التي أنهت آخر كيان كان يطلق على نفسه خلافة من تسعين عامًا مضى. وتقترح مصادر إسلامية أخرى أن الروم قد تعني أي جيش للكفار، ويمكن أن ينطبق الوصف على الأمريكيين بشكل جيد.

بعد أن أخبر المجاهدون عن رؤيتهم لجنود أمريكيين في المعركة انطلقت التغريدات من حسابات مؤيدي الدولة الإسلامية في دفقات فرحة كمضيفين شديدي الحماسة يستقبلون أول الضيوف الواصلين إلى الحفلة.

قال سيرانتونيو إن الخلافة بعد معركتها في دابق سوف تتوسع حتى تغزو إسطانبول. ويعتقد البعض أنها سوف تغطي الأرض كلها، ولكن سيرانتونيو يطرح أنها لن تتجاوز مضيق البوسفور، وسوف يأتي المسيح الدجال في مصنفات أحداث النهاية من منطقة خراسان من شرق إيران ويقتل عددًا كبيرًا من مقاتلي الخلافة، حتى يتبقى منهم حوالي الخمسة الآف محاصرين في القدس، وبينما يتهيأ الدجال للقضاء عليهم يعود المسيح (ثاني أكثر الرسل توقيرًا في الإسلام) إلى الأرض ويقتل الدجال، ويقود المسلمين إلى النصر.

يقول سيرانتونيو: «الله وحده يعلم» ما إذا كانت جيوش الدولة الإسلامية هي المقصودة في النبوءة. ولكنه مستبشر، «يقول النبي إن إحدى علامات قرب الساعة غفلة الناس عن الحديث عنها زمنًا، فلو ذهبت إلى المسجد الآن لوجدت الوعاظ لا يتكلمون عن هذا الأمر».

بناءً على هذه النظرية فحتى الهزائم في المعارك لا تعني الكثير للدولة الإسلامية حيث إن الله قد سبق وقدر هلاك معظمهم. فأفضل وأسوأ أيام الدولة الإسلامية لم تحدث بعد.



أعلن أتباع البغدادي خلافته الصيف الماضي، وقد أحيا تأسيس الخلافة قسمًا كبيرًا من القوانين القرآنية التي لم يكن معمولًا بها، وطالب المسلمين الذين يعترفون بالخلافة بالهجرة إليها. (اسوشيتد برس)

٣- القتـــال

إن النقاء الإيديولوجي الذي تتمتع به الدولة الإسلامية يحمل ميزة تعويضية واحدة: إنه يتيح لنا التنبؤ ببعض أفعال الجماعة. فأسامة بن لادن نادرًا ما كان يمكن التنبؤ بأفعاله، وقد أنهى أولىٰ مقابلاته التلفزيونية بغموض. فعندما سأله بيتر أرنت مذيع السي إن إن: «ما هي خططك المستقبلية؟» أجابه بن لادن: «سوف تراها وتسمع عنها في وسائل الإعلام إن شاء الله». وهذا بخلاف الدولة الإسلامية التي تتفاخر بصراحة بخططها، ليس كل خططها، لكن ما يكفي إن أصغنا السمع أن نستنتج خططها للحكم والتوسع.

وفي لندن أمدنا شودري وطلابه بوصف مفصل عن كيف ينبغي أن تدير الدولة الإسلامية سياساتها الخارجية بعد أن أصبحت خلافة. وقد تبنت بالفعل ما يطلق عليه في الشريعة جهاد الطلب، وهو التوسع القسري في البلاد التي يحكمها حكام غير مسلمين، «في السابق كنا ندافع عن أنفسنا فقط، فدون وجود خلافة كان هذا المفهوم غير قابل للتطبيق، لكن شن الحرب لتوسع الخلافة هو من الواجبات الأساسية للخليفة».

اجتهد شودري في عرض قوانين الحرب التي تعمل بمقتضاها الدولة الإسلامية كسياسات رحيمة وليست وحشية، وأخبرني أن التزام الدولة بإرهاب أعدائها هو أمر مقدس. نعم تخيفهم حتى يفقدوا السيطرة على حركة أمعائهم! بقطع الرؤوس والصلب وسبي النساء والأطفال، لأن فعل ذلك يعجل الانتصار ويجنب الصراعات الطويلة.

وشرح زميل شودري أبو براء أن الشريعة تسمح فقط بمعاهدات سلام مؤقتة، لا تزيد عن عقد من الزمن. وكذلك فإن القبول بأي حدود هو أمر غير مقبول، وذلك كما قال النبي ورددت المرئيات الدعائية للدولة الإسلامية. فإذا ما وافق الخليفة على معاهدة أطول مدةً، أو قبل بحدود دائمة سيكون مخطئًا. ومعاهدات السلام المؤقتة يمكن تجديدها، ولكن لا تفعَّل مع جميع الأعداء في الوقت نفسه؛ فعلى الخليفة أن يقوم بالجهاد مرة في السنة على الأقل، ولا ينبغي عليه الخلود للراحة وإلا وقع في الذنب.

وليس هناك من يمكن مقارنته بالدولة الإسلامية إلا الخمير الحمر الذين قتلوا حوالي ثلث سكان كمبوديا، ولكن الخمير الحمر احتلوا مقعد كمبوديا في الأمم المتحدة، قال أبو براء: «هذا ليس مسموحًا به». إرسال سفير إلى الأمم المتحدة يعني الاعتراف بسلطة غير سلطة الله. «وناقشني فى أن هذا النوع من الدبلوماسية هو شرك، وسوف يكون سببًا مباشرًا في الحكم على البغدادي بالهرطقة واستبداله.

وتعجيل حتى الخلافة بوسائل ديمقراطية، كالتصويت على سبيل المثال لمرشحين سياسيين يفضلون الخلافة هو شرك.

إنه لمن الصعب المبالغة في تقدير مدى العجز الذي سيصيب الدولة الإسلامية بتطرفها الأصولي. فالنظام العالمي الحديث وليد معاهدة وستفاليا ١٦٤٨ يعتمد على قبول كل دولة بوجود حدود فيما بينها ولو كراهًة. أما بالنسبة إلىٰ لدولة الإسلامية فإن هذا القبول هو انتحار أيديولوجي. لقد انصاعت جماعات إسلامية أخرى كالإخوان المسلمين وحماس لتملق الديمقراطية، وذلك لاحتمالات دعوتهم إلى مجتمع الأمم باعتراف كامل بما في ذلك مقعد بالأمم المتحدة. وقد أفلحت المفاوضات والتنازلات في بعض الأحايين، وكذلك الأمر بالنسبة إلىٰ طالبان (تحت حكم طالبان

تبادلت أفغانستان السفراء مع السعودية وباكستان والإمارات وهو ما أبطل شرعية حكم طالبان في نظر الدولة الإسلامية). فتلك ليست خيارات بالنسبة إلىٰ لدولة الإسلامية ولكنها أفعال ردة.

كان رد فعل الولايات المتحدة وحلفائها على الدولة الإسلامية متأخرًا وذاهلًا. كانت طموحات الجماعة ومخططاتها الاستراتيجية المبدئية واضحة في تصريحاتها وثرثرات وسائل التواصل الاجتماعي منذ ما يعود إلى ٢٠١١ عندما كانت مجرد جماعة من الجماعات الإرهابية في سوريا والعراق ولم تكن قد ارتكبت بعد فظائع جماعية. لقد أخبر المتحدث الرسمي للدولة العدناني مؤيديه وقتها أن طموح الجماعة هو «استعادة الخلافة الإسلامية»، وقد أتى على ذكر نهاية العالم قائلا: لم يعد باقيًا إلا أيام قليلة، أما البغدادي فكان قد أطلق على نفسه بالفعل لقب أمير المؤمنين وهو لقب الخليفة وذلك في ٢٠١١، في أبريل ٢٠١٣ أعلن العدناني أن الحركة: «جاهزة لإعادة رسم العالم بالخلافة على منهاج النبوة». وقال في أغسطس ٢٠١٣: «هدفنا تأسيس دولة إسلامية لا تعترف بالحدود، على منهاج النبوة». في ذلك الوقت كانت الجماعة قد استولت على الرقة وهي عاصمة إقليمية سورية هامة يسكنها حوالي نصف المليون نسمة، وكانت ممتلئة بعدد ضخم من المقاتلين الأجانب الذين سمعوا رسالتها.

فلو أننا حددنا نوايا الدولة الإسلامية مبكرًا، وأدركنا أن تلك الفجوة التي بسوريا والعراق سوف تعطيها مساحة واسعة لتحقيقها لكان بإمكاننا على أقل تقدير دفع العراق نحو زيادة تأمين حدودها مع سوريا ولعقدنا استباقيًا اتفاقات مع أهل السنة بالمنطقة. هذا كان سيمنع على الأقل من تأثير الدعاية المثيرة الناتجة عن إعلان الخلافة بعد فتح ثالث أكبر المدن العراقية مباشرةً. ومع ذلك فقد أخبر أوباما من عام مضى مجلة النيويوركر أنه يعتبر داعش الشريك الأضعف للقاعدة، فقد قال الرئيس: «إذا ما ارتدى فريق احتياطي زي فريق ليكرز فهذا لايجعلهم في مستوى اللاعب كوبي براينت».

إن فشلنا في تمييز الانقسام بين الدولة الإسلامية والقاعدة والاختلافات الرئيسة بين الاثنين قد قادنا إلى اتخاذ قرارات خطيرة. فعلى سبيل المثال وفي الخريف الماضي وافقت الحكومة على خطة يائسة لإنقاذ حياة بيتر كاسيج، تلك الخطة سهلت -بل

تطلبت- التواصل ما بين بعض الشخصيات المؤسسة للدولة الإسلامية والقاعدة، وهي خطة لم تكن لتبدو أكثر ارتجالًا وتعجلًا مما هي عليه.

بالنظر للمعطيات التي لدينا عن الدولة الإسلامية، فإن الاستمرار في استنزافها ببطء يبدو أقل الخيارات العسكرية سوءًا.

ويتضمن هذا إدراج أبي محمد المقدسي أستاذ الزرقاوي وملا القاعدة للاقتراب من تركي البنعلي أكبر منظري الدولة الإسلامية وتلميذ المقدسي سابقًا رغم الخلاف بين الرجلين لانتقاد المقدسي للدولة الإسلامية. وقد سبق للمقدسي الاتصال بالدولة الإسلامية للعفو عن آلان هيننج سائق سيارة الأجرة البريطاني الذي دخل سوريا لتوصيل المساعدات للأطفال. وقد نشرت الجارديان في ديسمبر تقريرًا عن أن الولايات المتحدة قد سألت المقدسي من خلال وسيط التشفع لدى الدولة الإسلامية من أجل كاسيج.

كان المقدسي يعيش حرًا في الأردن -تحت رقابة لصيقة- ومنع من التواصل مع الإرهابيين بالخارج، وبعد أن منحت الأردن الإذن لأمريكا في إعادة التواصل بين المقدسي والبنعلي ابتاع المقدسي هاتفًا بأموال أمريكية وسمح له بالتراسل خلي البال مع تلميذه السابق لعدة أيام قبل أن توقف الحكومة الأردنية الدردشة التي استخدمتها كذريعة لاعتقال المقدسي. وظهرت رأس كاسيج المقطوعة في فيديو دابق بعدها بعدة أيام.

ويسخر أنصار الدولة الإسلامية على تويتر من المقدسي صراحةً، ويحتقرون القاعدة بشدة لرفضهم الاعتراف بالخلافة. وقد قرأ كول بانزل الدارس لأيديولوجية الجماعة الإسلامية رأي المقدسي في مكانة هيننج ورأى أن هذا سوف يسارع من إعدامه هو والأسرى الآخرين. وقال: «لو أنني كنت أسيرًا لدى الدولة الإسلامية وقال المقدسي إنه لا ينبغي إعدامي فسأوقن بمقتلي».

مقتل كاسيج كان مأساة، ولكن نجاح الخطة كان ليصبح مأساةً أكبر، فمصالحة بين المقدسي وبنعلي كان ستراأب الصدع الرئيس بين أكبر منظمتين جهاديتين في العالم. ومن الممكن أن تكون الحكومة قد أرادت أن تستدرج البنعلي لأغراض مخابراتية أو ربما لاغتياله (باءت عدة محاولات لانتزاع تعليق من الإف بي آي بالفشل)، أيا

كان فإن لعب أمريكا لدور الخاطبة بين عدوي أمريكا الإرهابيين الرئيسيين يظهر تقديرًا سيئًا بشكل مدهش للأمور.

وبعد أن تأدبنا من لامبالاتنا السابقة فإننا الآن نقابل الدولة الإسلامية من خلال وكلاء أكراد وعراقيين في ساحة المعركة ومن خلال غارات جوية منتظمة. هذه الاستراتيجيات لم تزحزح الدولة الإسلامية عن أي من مناطق استحواذها الرئيسة، رغم أنها حجزتهم عن الهجوم المباشر على بغداد وأربيل وذبح الأكراد والشيعة هناك.

وقد نادى بعض المراقبين بالتصعيد، بما في ذلك عدة أصوات متوقعة من اليمين أنصار التدخل في شئون الدول الأخرى (ماكس بوت وفريدريك كاجان)، والذين حثا على نشر قوات تقدر بعشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين. هذه الدعوات لا ينبغي صرف النظر عنها بتسرع، فهناك منظمة تطهير عرقي صريحة على مشارف فناء ضحيتها المحتملة، وهي ترتكب فظائع يومية في الإقليم الذي تسيطر عليه بالفعل.

وطريقة من الطرق التي يمكن بها كسر السحر الذي تحمله الدولة الإسلامية في نفوس أتباعها هي هزيمتها عسكريًا، واحتلال مناطق حكم الخلافة في سوريا والعراق، أما القاعدة فيتعذر استئصالها لأنه يمكنها أن تنجو تحت أسوأ الظروف باستخدام أسلوب الصرصور بالذهاب تحت الأرض. لكن الدولة الإسلامية لا يمكنها ذلك. فإنها إذا فقدت قبضتها على منطقة نفوذها بسوريا والعراق لن تعود خلافة. فالخلافة لا يمكنها أن توجد كالحركات السرية، لأن حكم إقليم من متطلبات وجودها: خذ منه حكمه للإقليم وسوف تصبح كل تلك البيعات غير ملزمة، بالطبع يستطيع موالوها السابقون الاستمرار في الهجوم على الغرب وقطع رءوس أعدائها كعملاء مستقلين، ولكن القيمة الدعائية للخلافة سوف تختفي، ومعها سيختفي الالتزام المزعوم بوجوب الهجرة إليها والخدمة تحت لوائها. فلو قامت الولايات المتحدة بالغزو فإن هوس الدولة الإسلامية بالقتال في دابق يرجح أنها ستقوم بإرسال قوات ضخمة هناك بالأسلوب الذي تدار به المعارك التقليدية، فلو تجمعت الدولة الإسلامية في دابق بكل قوتها لتدحر هناك لما قامت لها قائمة.

ومع ذلك فإن مخاطر التصعيد لاحد لها، وأكبر مؤيدي الغزو الأمريكي هو الدولة

الإسلامية نفسها، والمرئيات الاستفزازية التي يخاطب فيها جلاد ملثم رئيس أمريكا بالاسم هي مصممة لاستدراج أمريكا إلى الحرب. والغزو سيكون نصرًا دعائيًا عظيمًا للجهاديين في جميع أنحاء العالم، وبصرف النظر عن كونهم بايعوا الخليفة أم لا يعتقد الكل أن أمريكا تريد الشروع في حملة صليبية جديدة وتقتل المسلمين، وغزو واحتلال جديد سوف يؤكد هذا الشك ويعزز التجنيد. أضف إلى ذلك قلة كفاءتنا في مجهوداتنا السابقة كمحتلين وسيكون لدينا سبب للتردد. ففي النهاية هذا الصعود لداعش قد حدث فقط لأن احتلالنا السابق خلق مساحةً للزرقاوي وأتباعه للتحرك، فمن يدري ما ستكون نتيجة عملية أخرى فاشلة؟

وبالنظر لكل المعطيات التي نعلمها عن الدولة الإسلامية فإن مواصلة استنزافها ببطء عن طريق الضربات الجوية والحرب بالوكالة تبدو أفضل الخيارات العسكرية السيئة لدينا. فالأكراد والشيعة لن يخُضعوا ولا يتحكمون بقلب أراضي السنة بسوريا والعراق، فهم مكروهون هناك، وليست لهم الرغبة في مثل هذه المغامرة على أية حال. ولكنهم يمكن أن يمنعوا الدولة الإسلامية من تحقيق واجبها بالتوسع. وكل شهر يمضي تفشل فيه في التوسع يقل تشابهها مع دولة النبي محمد الغازية وتبدو أكثر شبهًا بحكومة شرق أوسطية تفشل في جلب الازدهار لشعبها.

إن التكلفة الإنسانية لبقاء الدولة الإسلامية عالية، ولكن خطرها على الولايات المتحدة أقل مما يوحي به اقترانها المتكرر بالقاعدة، إن لب القاعدة يتفرد عن باقي الجماعات الجهادية بسبب تركيزها على العدو البعيد (الغرب)؛ بينما يقع الاهتمام الرئيس لمعظم الجماعات الجهادية قريبًا من الوطن. وينطبق هذا خاصةً على الدولة الإسلامية وذلك تحديدًا بسبب أيديولوجيتها، إنها ترى الأعداء في كل مكان حولها، ورغم أن قياداتها تريد سوءًا بالولايات المتحدة فإن تطبيق الشريعة في الخلافة والتوسع في الأراضي المجاورة لهما الأولوية العظمى. وقد قال البغدادي مايماثل ذلك صراحةً؛ ففي نوفمبر أخبر عماله السعوديين أن: «يعالجوا أمر الرافضة أولًا ثم آل سلول (المؤيدين السنة للملكية السعودية) قبل الصليبيين وقواعدهم».

يمكن لموسى سيرانتونيو وأنجيم شودري الانتقال ذهنيًا من التأمل في القتل الجماعي إلى مناقشة محاسن القهوة الفيتنامية باستمتاع ظاهر في تناول الموضوعين.

كان المقاتلون الأجانب (وزوجاتهم وأطفالهم) يسافرون إلى الخلافة بتذكرة ذهاب بلا عودة؛ فهم يريدون الحياة في ظل الشريعة الحقيقية، والكثيرون يريدون الشهادة، وتذكر أن العقيدة تتطلب من المؤمنين الإقامة في أرض الخلافة إن أمكنهم ذلك، وتظهر إحدى مرئيات الدولة الإسلامية الأقل دموية مجموعة من الجهاديين تحرق جوازات سفرها الفرنسية والبريطانية والأسترالية، وهذا سيبدو فعلًا غريبًا لشخص ينتوي العودة ليفجر نفسه في طابور في متحف اللوفر أو يحتجز رهائن في متجر للشيكولاتة في سيدني.

ولقد هاجمت بعض الذئاب المتوحدة (أولئك الذين يحبون العزلة) من مؤيدي الدولة الإسلامية أهدافًا غربية، وسوف يأتي المزيد من تلك الهجمات، ولكن معظم هؤلاء المهاجمين كانوا مبتدئين محبطين، غير قادرين على الهجرة للخلافة بسبب جوازات سفرهم المصادرة ومشاكل أخرى، وحتى لو كانت الدولة الإسلامية تشجع تلك الهجمات -وهي تفعل في دعاياتها- فإنها لم تخطط ولم تمول أيًا منها (هجمة شارلي إبيدو في باريس بيناير الماضي كانت أساسًا عملية القاعدة). وأثناء زيارته للموصل في ديسمبر أجرى يورجن تيدنهوفر مقابلة مع جهادي ألماني مهيب وسأله ما إذا عاد أي من رفاقه إلى أوروبا لشن هجمات، فبدا أن الجهادي لايعتبر العائدين جنودًا بل فارين من الخدمة، «الحقيقة هي أن العائدين من الدولة الإسلامية يجب أن يتوبوا عن ذنب عودتهم، وأرجو أن يجددوا إيمانهم».

بصفتها مستقلة ومكتفية بذاتها فإن الدولة الإسلامية ستكون هي نفسها سبب سقوطها، فلا حليف لها، كما تضمن أيديولوجيتها أن يظل الحال هكذا، والبلاد التي تحتلها على اتساعها إلا أنها في غالبها فقيرة وغير آهلة، وحينما تبدأ بالركود أو تنكمش رويدًا فإن ادعاءها بأنها المنفذ لإرادة الله والعامل المحفز لملاحم النهاية سوف يضعف، وسيقل عدد المؤمنين اللاحقين بها، وعندما تتسرب الأخبار عن البؤس المخيم داخلها فإن الحركات الإسلامية الأصولية بالأماكن الأخرى سوف تفقد مصداقيتها؛ لم يحاول أحد بذل جهد أكبر لتطبيق صارم للشريعة عن طريق العنف. هكذا يبدو الأمر.

ومع ذلك فلا يبدو أن انتهاء الدولة الإسلامية سيحدث قريبًا، ويمكن أن تسوء

الأمور بشدة، إذا ما حصلت الدولة الإسلامية على ولاء القاعدة لتزيد في ضربة واحدة من وحدة قواعدها، ويمكنها بعد أن تستفحل أن تصبح عدوًا أسوأ مما رأيناه، لكن الصدع بين الدولة الإسلامية والقاعدة قد ازداد في الشهور القلائل الأخيرة، وفي عدد ديسمبر من مجلة دابق قدمت مقالًا طويلًا عن فار من القاعدة وصف جماعته القديمة بالفساد وعدم الفعالية، والظواهري بالقائد المتباعد غير المؤهل، ولكن علينا المراقبة بعناية إمكانية الوفاق.

لكن دون كارثة كهذه أو ربما خطر اجتياح الدولة الإسلامية لأربيل فإن القيام بغزو بري واسع سيزيد الأمور سوءًا.

٤- الـــردع

سيكون من السهل وربما من التبرئة أن نقول إن المشكلة مع الدولة الإسلامية هي «مشكلة مع الإسلام»، لكن الدين يسمح بالعديد من التأويلات، ومؤيدو الدولة الإسلامية على المحك فيما يختارونه، ومع ذلك فإن التبرؤ من الدولة الإسلامية على أساس عدم إسلاميتها ربما يأتي بآثار عكسية، خاصةً إذا كان أولئك الذين سمعوا الرسالة قد قرأوا النصوص المقدسة ورأوا موافقة ممارسات الخليفة للكثير منها.

يمكن للمسلمين أن يقولوا إن الرق غير قانوني الآن، وأن الصلب خطأ في هذه الفترة من التاريخ، الكثيرون يقولون هذا تحديدًا، ولكن لا يمكنهم أن يدينوا الرق أو الصلب صراحةً دون معارضة القرآن وسنة النبي، «إن القاعدة المبدئية الوحيدة التي يمكن أن يقف عليها معارضو الدولة الإسلامية هي أن يقولوا إن هناك نصوصًا أساسية محددة وبعض تعاليم الإسلام التقليدية التي لم تعد صالحة». يقول برنارد هيكل إن هذا سيكون فعلًا من أفعال الردة.

ولأيديولوجية الدولة الإسلامية نفوذ قوي على فرع معين من السكان، فالنفاق والتناقضات الذين تزخر بهم الحياة تتبخر أمامها، موسىٰ سيرانتونيو والسلفيون الذين قابلتهم في لندن لايمكن إرباكهم، لم يوجد سؤال ألقيته جعلهم يتلعثمون، وقد حاضروني مثرثرين وكانوا مقنعين -هذا إذا ما قبلتم بمنطلقاتهم المنطقية-، لذا فإطلاق صفة عدم الإسلامية عليهم يبدو لي وكأنه دعوة لهم إلى جدال سيكون النصر

فيه حليفهم. ولو كانوا مجانين يسيل الزبد من أشداقهم لتمكنت من التنبؤ بأن حركتهم ستنتهي كما يفجر مضطربو العقل أنفسهم، أو ينسحقون بهجوم الطيارات من دون طيار واحدًا بعد الآخر، ولكن هؤلاء الرجال تحدثوا بدقة أكاديمية ذكرتني بمحاضرات الجامعة الجيدة، حتى لقد استمتعت بصحبتهم، ولقد أرعبني هذا قدر ما أرعبني كل شيء آخر.

لا يمكن لغير المسلم أن يخبر المسلمين كيف يمارسون دينهم بشكل صحيح. ولكن المسلمين كانوا قد بدأوا فعلًا الجدال حول هذا الأمر فيما بينهم منذ زمن. أخبرني أنجيم شودري: «يجب أن تكون لديك معايير، يمكن لأي شخص أن يدعي الإسلام، ولكنه إن كان يقبل بالشذوذ أو شرب الخمر إذن فهو ليس بمسلم، فلا يوجد شخص نباتي غير ملتزم بالأكل النباتي».

ولكن هناك ساحل آخر للإسلام يقدم بديلًا متشددًا للدولة الإسلامية، متصلب مثله ولكن بنتائج مختلفة، وقد اجتذب هذا الجانب الكثير من المسلمين المنعم عليهم -أو الملعونين- بتوق نفسي لرؤية كل دقيق وكل ذرة من النصوص المقدسة مطبقة كما كانت في صدر الإسلام. ويعرف مؤيدو الدولة الإسلامية كيف يتفاعلون مع من يتجاهل جزءًا من القرآن من المسلمين: بالتكفير والاستهزاء، ولكنهم يعلمون أن هناك مسلمين آخرين يقرأون القرآن بنفس الدأب الذي يقرأونه به، وهؤلاء يمثلون تهديدًا أيديولوجيًا حقيقيًا.

والبغدادي سلفي. وقد شُيطن هذا المصطلح، جزئيًا بسبب انطلاق بعض الأشرار الحقيقيين إلى ساحة المعركة رافعين راية سلفية، ولكن معظم السلفيين ليسوا جهاديين، ويلتزم غالبهم بفرق ترفض الدولة الإسلامية. وهم -كما يشير برنارد هيكل- ملتزمون بتوسع دار الإسلام ولو بتطبيق ممارسات وحشية مثل الرق والقطع، ولكن في وقت ما من المستقبل. هؤلاء أولى أولوياتهم هي التطهير الشخصي والشعائر الدينية، ويعتقدون أن أي شيء يثبط من هذه الأهداف؛ مثل التسبب بنشوء حرب أو عدم استقرار قد يؤدي لتعطيل الحياة والصلاة وتلقي العلم محرمٌ.

إنهم يعيشون بيننا. في الخريف الماضي زرت مسجد فلاديلفيا، إمامه السلفي بريتون بوسيوس في الثامنة والعشرين، تسمى بعبدالله، ومسجده على الحدود بين حي

نورثرن ليبرتيز المليء بالجريمة والمنطقة المحسنة التي يمكنكم أن تطلقوا عليها دار الجاز! ولحيته تسمح له بالمرور دون لفت كثير انتباه في المنطقة الأخيرة.

يوجد بديل أيديولوجي للدولة الإسلامية، يماثلها في التصلب ولكن نتائجه عكسية.

اعتنق بوسيوس الإسلام منذ خمس عشرة سنة مضت بعد نشأةٍ أصولها كاثوليكية بولندية في شيكاغو، ومثل سيرانتونيو فإنه يتحدث بروح عتيقة، مظهرًا معرفة عميقة بالنصوص القديمة، والتزامًا بها يعود للفضول وطلب العلم والاعتقاد الجازم بأنها الوسيلة الوحيدة لتجنب الجحيم، وعندما قابلته في مقهى محلي صغير كان يحمل كتابًا في علوم القرآن مكتوبًا بالعربية، وكتابًا يتعلم منه اللغة اليابانية بنفسه، وكان يعد خطبة عن التزامات الأبوة يلقيها على حوالي المائة وخمسين مصليًا يوم الجمعة.

يقول بوسيوس إن هدفه الرئيس هو التشجيع على العيش الحلال للمصلين المترددين على مسجده، ولكن صعود الدولة الإسلامية قد أجبره على التفكير في مسائل سياسية بعيدة جدًا غالبًا عن عقول السلفيين. «معظم ما سيقولونه عن كيفية أداء الصلاة أو ارتداء الملابس هو بالضبط ما قد أقوله في مسجدي، ولكن عندما يأتي الأمر لموضوع الاضطراب الاجتماعي يبدون مثل شي جيفارا».

عندما ظهر البغدادي تبنىٰ بوسيوس شعار «ليس لي بخليفة»، وقال لي: «كان الزمن الذي وجد فيه النبي زمن إراقة دماء، وكان يعلم أن أسوأ الظروف التي يمكن أن يتواجد فيها الناس هي الفوضى، خاصة داخل الأمة».

وفقًا لذلك فإن السلوك الصحيح للسلفي -كما يقول بوسيوس- هو عدم زرع الفتنة بالتفريق وإعلان ردة إخوة مسلمين.

بدلًا من ذلك فإن بوسيوس مثله مثل غالب السلفيين يعتقد أنه يجب على المسلم تجنب السياسة، هؤلاء السلفيون الهادئون كما يُدعَوا، يتفقون مع الدولة الإسلامية على أن شريعة الله هي القانون الوحيد، ويتجنبون ممارسات كالتصويت وإنشاء أحزاب سياسية، ولكنهم يفسرون كره القرآن للفتنة والفوضى كأمر لهم باتباع أي قائد، حتى من يظهر فسقهم بوضوح. وأخبرني بوسيوس «أن النبي قال أن لا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان». وكتب العقيدة التراثية تحذر كلها من إحداث فتنة. وممنوع منعًا باتًا على السلفيين الهادئين إحداث انقسام

بين المسلمين وبعضهم، مثل الطرد الجماعي على سبيل المثال.

ويقول بوسيوس إن الحياة من دون إعطاء البيعة تجعل المرء جاهليًا يعيش في الظلام، ولكن ليس من الضروري أن تعني البيعة الولاء المباشر لخليفة، وليس لأبي بكر البغدادي بالتأكيد، بل يمكنها أن تعني على نطاق أوسع الولاء لعقد اجتماعي ديني والارتباط بمجتمع مسلم سواء حكمه خليفة أم لا.

ويعتقد السلفيون الهادئون أن على المسلمين توجيه طاقاتهم إلى تحسين حياتهم الخاصة، بما فيها الصلاة والشعائر والنظافة، نفس طريقة اليهود الأصوليين الذين يتناظرون ما إذا كان حلالًا (كوشر) تمزيق المناديل الورقية في السبت أم يدخل ذلك تحت نطاق تمزيق الملابس؟

إنهم ينفقون وقتًا هائلًا ليتأكدوا فيه إن كانت سراويلهم ليست أطول من اللازم، وأن لحاهم مهذبة في بعض المواضع وغير مهذبة في مواضع أخرى، ومن خلال هذه الطقوس النيِّقة يظنون أن الله سوف يمن عليهم بالقوة والعدد، وربما بنهوض خلافة، وعندها سينتقم المسلمون .. ونعم يحققون نصرًا مؤزرًا في دابق. ولكن يرى بوسيوس مجموعة كبيرة من منظرى السلفية المعاصرين يجادلون بأن الخلافة لا يمكنها أن تخرج للوجود بطريق مستقيم إلا عبر إرادة الله الجلية.

ستتفق الدولة الإسلامية مع هذا بالتأكيد، وستقول إن الله قد اختار البغدادي للإمارة، وكان رد بوسيوس المفحم يرقى لدعوة للتواضع. ويستشهد بقول للصحابي عبد الله بن عباس الذي جلس مع الخوارج وسألهم كيف امتلكوا الجرأة وهم أقلية على أن تخبر الأغلبية أنها على خطأ، وتنفصل بنفسها إلى درجة إراقة الدماء وصدع الأمة؟ هذا حرام، حتى الطريقة التي أسس بها البغدادي تنصيبه للخلافة تخالف المتوقع. وقال: «إن الخلافة هي أمر سينشئه الله. وسوف يشمل هذا إجماع علماء مكة والمدينة، وليس هذا ما حدث. لقد ظهرت داعش من العدم».

تحتقر الدولة الإسلامية هذا الحديث، ويصدر مؤيدوها تغريدات ساخرة عن السلفيين الهادئين، ويدعونهم مستهزئين بسلفيي الحيض، وذلك لحكمهم الغامض عن متى تطهر المرأة وبعض جوانب الحياة الأخرى منخفضة الأولوية، وغرد شخص ما ساخرًا: «ما نحتاجه الآن هو فتوى عن حرمة ركوب دراجة على كوكب المشترى».

«هذا ما يجب على العلماء التركيز عليه، وهو أكثر إلحاحًا من حال الأمة». ومن جانبه قال أنجم شودري إنه ليس هناك ذنب يتطلب معارضة أشد من انتزاع سلطة التشريع من مرجعيتها الإلهية، وأن التطرف في الدفاع عن التوحيد ليس بخطيئة.

ولا يسعى بوسيوس إلى الحصول على أي دعم من حكومة الولايات المتحدة لتحقيق توازن أمام الجهاديين، وبالتأكيد فإن الدعم الرسمي سوف يشوه مصداقيته، وهو يشعر شعورًا مريرًا تجاه أمريكا على أية حال لمعاملتها له «كأقل من مواطن» كما يقول. (ادعى أن الحكومة استخدمت جواسيس للتسلل لمسجده، كما أنهم ضايقوا أمه في عملها باستجوابها بتساؤلات حول كونه إرهابيًا محتملًا).

ومع ذلك فإن سلفيته الهادئة تقدم ترياقًا إسلاميًا لأسلوب البغدادي الجهادي. ولا يمكن إيقاف كل المعتنقين الجدد للإسلام المتلهفين للقتال، ولكن أولئك الذين دافعهم الرئيس هو إيجاد نسخة من الإسلام متصلبة، محافظة وشديدة التشدد فلديه البديل هنا. إنه ليس إسلامًا وسطيًا؛ وقد يعتبره معظم المسلمين متطرفًا، ولكنه شكل من الإسلام لن يجده ذو التفكير الحرفي مرائيًا في الحال، ولن يراه مجدفًا تخلص من كل ما لا يناسبه من أمور الدين. فليس النفاق من الذنوب التي يتحملها الشباب ذوو التفكير العقدي جيدًا.

وربما من الأفضل أن يمتنع الرسميون الغربيون عن التدخل في أمور المناظرات العقدية الإسلامية بالمرة. وباراك أوباما نفسه خاض في أمور التكفير عندما أعلن أن الدولة الإسلامية ليست إسلامية، المفارقة الساخرة هي في أن كونه ابنًا غير مسلم لأب مسلم يجعل من الممكن تصنيفه كمرتد، فإذا به الآن يكفر المسلمين. قيام غير مسلم بالتكفير أثار ضحك الجهاديين على تويتر (كخنزير مغطى بالفضلات يعطي نصائح عن النظافة للآخرين) كذا غرد أحدهم.

ولكني أظن أن معظم المسلمين قد قدروا مشاعر أوباما: لقد كان الرئيس يقف معهم ضد كل من البغدادي والوطنيين المتطرفين غير المسلمين الذين يحاولون تورطيهم في الجرائم. ولكن معظم المسلمين ليسوا عرضةً للانخراط في الجهاد، أما أولئك القابلون للاتجاه للجهاد فستتأكد ظنونهم: الولايات المتحدة تكذب على الدين خدمةً لأغراضها.

داخل الحدود الضيقة لعقيدتها تتواثب الدولة الإسلامية بالطاقة والإبداع. أما خارج هذه الحدود فلا يمكن أن تبلغ الأمور صمتًا وجدبًا أكثر من ذلك: رؤية للحياة قائمة على الطاعة والنظام والقدر. موسى سيرانتونيو وأنجيم شودري يمكنهما أن ينتقلا ذهنيًا من التفكر في الموت الجماعي والعذاب الأبدي إلى مناقشة محاسن القهوة الفيتنامية أو الفطائر بالعسل باستمتاع ظاهر في كلتا الحالتين، ومع ذلك يبدو لي أن اعتناق رؤيتهما سيجعل كل نكهات الحياة فاترة مقارنةً بالغرائب الأخروية الساطعة.

يمكنني أن أستمتع بصحبتهم كتدريب ذهني متحرج إلى حد ما، وقد اعترف جورج أورويل في مراجعته لكتاب كفاحي في مارس من عام ١٩٤٠ أنه لم يتمكن أبدًا من كراهية هتلر، فهناك شيء ما في الرجل يبرز فيه صفة الضعف وترى الهزيمة مقدرة عليه، وحتى عندما تكون أهدافه جبانة وكريهة، «لو كان يقتل فأرًا فسيُظهر الأمر كما لو كان يقتل تنينًا». ولأشياع الدولة الإسلامية نفس الجاذبية. إنهم يظنون أنهم مشتبكون شخصيًا في صراعات أكبر من حياتهم الخاصة، وأن تورطهم في هذه الدراما ولو على الهامش هو امتياز ومن دواعي السرور، خاصةً عندما يكون الأمر عبثًا في الوقت نفسه.

يقول أورويل أيضًا إن الفاشية من الناحية النفسية أقوم بكثير من أي تصور للحياة قائم على اللذة، وفي حين أن الشيوعية وحتى الرأسمالية -وإن بمضاضة أكبر- قالت للناس: «إنني أقدم لكم وقتًا ممتعًا». قال لهم هتلر: «أنا أقدم لكم الكفاح والخطر والموت». وكنتيجة ألقت أمة بأكملها نفسها تحت قدميه. لذا لا يجب علينا أن نستهين بجاذبيته العاطفية، ولا ينبغي أن نفعل ذلك بالجاذبية الذهنية والدينية في حالة الدولة الإسلامية، إن اعتقاد الدولة الإسلامية في التحقق الوشيك للنبوءة كعقيدة لا تتزعزع يخبرنا على الأقل بمعدن خصمنا. إنها مستعدة للتهليل لهلاكها شبه الكامل، كما أنها تبقى واثقة حتى في حال حصارها بأنها ستتلقى العون الإلهي إن ظلت مخلصة للنموذج النبوي. وقد تُقنع الأدوات الأيديولوجية بعض معتنقي الإسلام حديثًا بزيف رسالة الجماعة، وقد تحد الأدوات العسكرية من أهوالها، ولكن كمنظمة لا تتأثر بالإقناع فإن الدولة الإسلامية لن تؤثر فيها أية تدابير أقل من ذلك. أما الحرب فقد تطول وإن لم تستمر حتى نهاية العالم.



(٣)

الدولة الإسلامية

استراتيجية مضادة لدولة مضادة[1]

جيسيكا لويس[2]

ترجمة: فهد حسنين

(١) تقرير صادر عن معهد دراسة الحرب *Institute for the Study of War* الأمريكي في يوليو ٢٠١٤ بعنوان: *"The Islamic State: A Counter Strategy for a Counter-State"*.

(٢) جيسيكا لويس مديرة الأبحاث بمعهد دراسة الحرب. سبق لها الخدمة كضابط استخبارات بالجيش الأمريكي، وعملت بكل من العراق وأفغانستان. تحمل لويس درجة البكالوريوس في التاريخ الاستراتيجي والدولي والعلاقات الدولية من أكاديمية ويست بوينت *West Point* كما تحمل درجة الماجستير في الاستخبارات الاستراتيجية من الجامعة العسكرية الأمريكية *American Military University*.



المحتويات

الملخص التنفيذي

تساءل الكثيرون عما ينبغي فعله حيال الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، التنظيم الإرهابي الذي سيطر حديثًا علىٰ الموصل، ثاني أكبر مدن العراق، وتتراوح الأسئلة ما بين مدىٰ مقبولية الهجمات الجوية وصلاحية حكومة وحدة وطنية في العراق، وحتىٰ جدوىٰ إجراء هجوم مضاد يعتمد علىٰ القدرة المتبقية لقوات الأمن العراقية! إنَّ هذه الأسئلة مهمة وجديرة بالتفكر، وقد جاءت في الوقت المناسب، حيث إنَّ قوة داعش آخذة في التزايد، غير أنَّ هذه الأسئلة تستبق التحليل الدقيق والضروري لتحديد ما ينبغي أن تفعله الولايات المتحدة نحو داعش ولماذا ينبغي أن تفعله؟!

إنَّ داعش لم تعد مجرد جماعة إرهابية فحسب، بل أصبحت جماعة تعمل كجيش، بل ولم تعد داعش مجرد جيش، ولكن أصبحت جيشًا يقوم بالاستيلاء علىٰ الأراضي في العراق وسوريا؛ ليقيم حكمه الأيديولوجي المتسق مع فكرة القاعدة حول نهاية اللعبة! إنَّها لم تعد حرب أفكار ضد جماعة متطرفة ذات شبكات متناثرة ورسائل استراتيجية جذابة وقدرة محدودة علىٰ الهجوم الفني، ومن الضروري عدم بلورة استراتيجية أمريكية لمكافحة الإرهاب لهزيمة داعش كما لو كانت جماعة من ذلك النوع، إنَّه من الأهمية بمكان أن يتم الانتقال إلىٰ ما وراء سرديات الحلول البسيطة أو التدرجية، والإجراءات الفردية لا تكفي لإزاحة ما قد أصبح خصمًا استراتيجيًا متحصنًا.

إنَّ داعش تستلهم قوتها من الظروف المعقدة التي تسبب وبشكل مستقل فشل كل من العراق وسوريا، ومنها التشققات الطائفية والمدنية المحلية والسلطة المستبدة وعوامل الضغط الإقليمية الاستقطابية، وأي استراتيجية مضادة لهزيمة داعش تتطلب أيضًا استراتيجية مختلفة بشكل دقيق؛ للمحافظة علىٰ كل أغراض السياسة الخارجية

الأمريكية في الشرق الأوسط، والتي تأثرت بشدة بعمليات الاستيلاء الأخيرة لداعش علىٰ المدن الكبرىٰ في العراق، ومع ذلك؛ فإنَّ هذه الاعتبارات تدعو للعمل الإيجابي بدلًا من الردع. إنَّ خطر داعش آخذ في التنامي، وهو يهدد بالتدمير التام للعراق وسوريا، الأمر الذي سيولد تهديدات مضاعفة للمصالح الأمريكية في الخارج.

إنَّ داعش تعد تهديدًا للولايات المتحدة بالفعل، فداعش لا تُعد فقط خطرًا في السياق الإقليمي بسبب أنَّها تطيح بحدود الدولة الحديثة بطرق يمكن أن تؤدي إلىٰ قتل وتطهير عرقي وطائفي هائل، إنَّ داعش تنظيم جهادي دولي أيضًا يشارك القاعدة نفس الأيديولوجيا، بحيث إنَّ تطوره يقود نحو ما بعد دولة ورؤية أبوكاليبتية تنطوي علىٰ تدمير نظام الدولة الحديثة.

إنَّ داعش تهدد بالفعل بتصعيد العنف بين دول الشرق الأوسط التي كانت تقوم بحرب وكالة في سوريا لبضع سنوات بحيث إنَّ العمليات العسكرية لداعش قد تؤدي بشكل تتابعي إلىٰ اندلاع صراع إقليمي أكثر اتساعًا، وتمثل داعش الآن تهديدًا مباشرًا للدول المجاورة في الشرق الأوسط، كما تعلن عن نيتها مهاجمة المملكة العربية السعودية وإسرائيل والغرب، كما أنَّ التهديد بهجوم ضد الولايات المتحدة يعد موجودًا.

لذا؛ فمن الضروري للولايات المتحدة أن تدرس طرق هزيمة داعش، ليس فقط للمحافظة علىٰ تماسك الدولة العراقية، بل للمحافظة علىٰ أمننا نحن! إنَّ هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية ستكون أمرًا صعبًا في الحقيقة، وتطوير استراتيجية لتنفيذ ذلك سيكون أمرًا صعبًا جدًّا، لكن «الصعب» ليس هو نفسه «المستحيل»!

هناك ضغط متنامٍ في واشنطن للقيام برد علىٰ الأزمة التي احتوت المنطقة، ويجب علىٰ صانعي السياسة أن ينتقلوا إلىٰ ما وراء مرحلة التقييم ويبدؤوا في بناء استراتيجية شاملة، ويجب لهذا الجهد أن يبدأ بفحص دقيق لمصادر القوة والنوايا ومواطن الضعف في الخلافة الإسلامية التي أنتجتها داعش، حينها فقط يمكن الخروج باستراتيجية مضادة متماسكة. أولًا: يجب علينا أن نفهم التهديد!

يُقدِّم هذا التقرير تحليلًا استراتيجيًّا لمصادر القوة ونقاط الضعف لدىٰ داعش، كما يُكيِّف هذا التقرير أيضًا أطر العَمل العسكري الموجودة بالفعل لدعم تطوير

استراتيجيات أمن قومي جادة لمواجهة داعش، ولا يهدف هذا التقرير إلىٰ صياغة استراتيجية مضادة شاملة، لكنه يقدم بدلًا من ذلك طريقة لتصور مثل تلك الاستراتيجيات المضادة في ضوء كيفية قيام داعش بتكوين استراتيجيتها لتحقيق المكاسب العسكرية والسياسية.

تشتمل أطر العمل المدرجة في هذه الدراسة علىٰ تقييم لاستراتيجية داعش الكبرىٰ وأهدافها العسكرية في العراق وسوريا؛ تحليل مركز جاذبية للتعرف علىٰ المصادر الرئيسة لقوة داعش، وقائمة ضوابط لفهم إمكانية الدمج بين الجهود الأساسية والجهود الفرعية؛ لتحقيق الهزيمة الاستراتيجية لداعش.

هذا التقرير يجد أنَّ هزيمة داعش يجب أن تتعامل مع مركزين أساسيين للجاذبية، **الأول**: هو مركز جاذبية عسكري تقليدي تستخدمه داعش لانتزاع السيطرة المادية من الدول الحديثة والمحافظة علىٰ ما حصلت عليه، **والمركز الثاني للجاذبية لدىٰ داعش**: هو قدرة سياسية علىٰ توفير وظائف الدولة داخل الأراضي التي تسيطر عليها داعش!

إنَّ قوة داعش تنبعث من القدرة علىٰ ترجمة السيطرة العسكرية إلىٰ سيطرة سياسية، وبالتالي الادعاء بأن الخلافة قائمة. إنَّ أي استراتيجية لهزيمة داعش يجب أن تكسر هذا التآزر بين العمليات العسكرية والسياسية لداعش وطبقاتها القيادية. يجب علىٰ الولايات المتحدة دراسة طرق لتحقيق ذلك لكي تعمل علىٰ دفع الهزيمة الاستراتيجية لداعش. إنَّ تدمير قدراتها الحيوية ومنع فرصها ومتطلباتها الحيوية واستغلال مواطن ضعفها الحيوية هي تأثيرات مكونة إضافية يجب أن تتم المزامنة بينها لكي نحصل علىٰ هذا التأثير الاستراتيجي.

إنَّ استراتيجية تظل معها داعش مسيطرة علىٰ الموصل والرقة والمراكز المدنية الأخرىٰ في العراق وسوريا لا تعد استراتيجية تحقق النتائج المرجوة. إنَّ القبول بأهداف أقل يساوي اتخاذ قرار بألَّا نفعل شيئًا. إنَّ تهديد داعش حقيقي وآخذ في التوسع، لكن داعش أيضًا حساسة وضعيفة الآن في مرحلة تكوينها السياسي الحالية، ومن الضروري تصميم استراتيجية مضادة قوية، ويجب أن يتم ذلك سريعًا، وإلَّا؛ فسيُغلق هذا الباب.

التقرير الأمني للشرق الأوسط (٢١)

استراتيجية مضادة لدولة مضادة

إنَّ «الخلافة» الإسلامية التي تحكم الآن أجزاء من العراق وسوريا آخذة في التحول إلىٰ أحد أخطر التهديدات علىٰ الأمن القومي الأمريكي. تقدم نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنىٰ بريت مكجيرك بشهادة أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس يوم ٢٣ يوليو ٢٠١٤، أفادت بأن الخلافة الإسلامية المعروفة أيضًا بالدولة الإسلامية «أسوأ من القاعدة»، كما أضاف بأنَّها «لم تعد تنظيمًا إرهابيًا، إنَّها جيش متكامل»، و«هي تُعد القاعدة من حيث معتقدها وطموحها، وبشكل متزايد، من حيث تهديدها للمصالح الأمريكية»[١]. لقد كان معهد دراسة الحرب يتابع تطور الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) أولًا لتصبح جيشًا ثم لتصبح الدولة الإسلامية التي تحولت إليها الآن.

إنَّه أمر باعث علىٰ النشاط أن نسمع كبار المسؤولين الأمريكيين يلاحظون هذا التطور والتهديد الذي يمثله للأمن الأمريكي، لكنَّ أحدًا لم يقترح بعد استراتيجية جادة معلنة لمواجهة ذلك! إنَّ الصعوبة في صياغة مثل هذه الاستراتيجية لا تكمن ببساطة في ثقل تصور أمر تجدد النشاط العسكري الأمريكي في العراق، رغم أنَّ سبب القلق هذا يلعب دورًا في عرقلة النقاش الاستراتيجي حول العراق. إنَّ هذه الصعوبة تكمن في إدراك أنَّ الهزيمة الشاملة للدولة الإسلامية هي الطريقة الوحيدة لتقليل التهديد، إضافة إلىٰ أنَّ تدهور العراق وسوريا، وهو احتمال حقيقي، يزيد وبشكل كبير من فرص الدولة الإسلامية في النجاح، فبعد سنوات من مشاهدة الحرب في سوريا

---

(١) مقال لكريستينا وونج بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٤ في صحيفة The Hill بعنوان:
ISIS now *'full-blown army'*, officials warn.

تتجلىٰ للعيان، فمن المفجع النظر إلىٰ ما آلت إليه العراق، ومن الضروري النظر في كيفية تأثير تكوُّن دولة إسلامية دائمة في الشرق الأوسط علىٰ أثر هذه الدول الحديثة علىٰ الأمن القومي الأمريكي.

أعلنت داعش عن تكوين كيان سياسي ديني عابر للقارات «الخلافة الإسلامية»، كبديل للدول الحديثة في أول يوم من رمضان الموافق لـ ٢٩ يونيو ٢٠١٤[١]، وعلىٰ الرغم من أنَّهم قد أعلنوا أنَّهم سيعرفون باسم الدولة الإسلامية؛ فإنَّ هذا التقرير سيشير في الغالب إلىٰ الجماعة كداعش، لربط هذا التقرير بالعمل التحليلي السابق الذي تم إعداده من قبل معهد دراسة الحرب. إنَّ رؤية داعش هي رؤية لما بعد دولة، رؤية لنهاية العالم، وهي مشتركة بين المنظمات الجهادية العالمية مثل القاعدة[٢]، وتعمل داعش علىٰ التقدم نحو هذا المستقبل من خلال محو الدول الحديثة بدءًا بالعراق وسوريا، وقد احتفت داعش بشكل جاذب للانتباه بإزالتها لخط الحدود بين العراق وسوريا بعد سقوط الموصل، وهو الأمر الذي أرادت أن تجعله رمزًا لنهاية عصر سايكس - بيكو والحدود الاستعمارية[٣].

ويتساءل المحللون الغربيون حول ما إذا كان أمر إزالة الحدود «الاصطناعية» ما بعد الاستعمارية هو في حد ذاته تهديدًا للغرب؟! إنَّها مشكلة أن تكون تلك التغييرات في الحدود عنيفة، ومنطوية علىٰ القتل والتطهير العرقي والطائفي وعندما يكون الكيان

---

(١) وثيقة بعنوان: "*This is the Promise of Allah*"، «هذا وعد الله» صادرة عن مركز الحياة الإعلامي (ذراع الدولة الإسلامية الإعلامي)، ٢٩ يوليو ٢٠١٤؛ وينظر مقال تشارلز كاريس بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠١٤ علىٰ مدونة معهد دراسات الحرب بعنوان: "*The Islamic State Announces a Caliphate*".

(٢) لمعلومات حول الطبيعة الأبوكاليبتية لرؤية داعش، ينظر:

ISIL Spokesman responds to accusations and announces a new military campaign

تُرجم إلىٰ الإنجليزية ونُشر من قِبل *SITE Intelligence Group*، ٣٠ يوليو ٢٠١٤؛ ولمعلومات حول رؤية القاعدة، ينظر: *Attacking America: Al-Qaeda's Grand Strategy in its War with the World*.

من إصدار *Foreign Policy Research Institute*، لماري هابيك، فبراير ٢٠١٤.

(٣) ISIS: the End of Sykes-Picot.

فيديو نشر من خلال حساب تويتر تابع لداعش في ٢٩ يونيو ٢٠١٤.

القائم عليها يحاول في الحقيقة أن يدمر نظام الدولة الحديثة بأسره!

إنَّنا نواجه مشكلة عندما يسعىٰ ذلك الكيان إلىٰ إشاعة الحرب الطائفية في الشرق الأوسط إلىٰ درجة التصعيد الجانبي، ونحن نواجه مشكلة عندما يقترح هذا الكيان دولة إسلامية لتكون بمثابة منارة وملاذ للجهاديين من أنحاء العالم.

إنَّ داعش أكثر من مجرد تنظيم إرهابي، إنَّها لم تعد حرب أفكار ضد جماعة متطرفة ذات شبكات متناثرة ورسائل استراتيجية جذابة وقدرة فنية محدودة علىٰ المشاركة في هجمات إرهابية. إنَّ استخدام استراتيجية جراحية لمكافحة الإرهاب لاستئصال آحاد القيادات من التنظيم ستفشل علىٰ الأرجح. إنَّ المؤسسات العسكرية والسياسية لداعش تجعلها قادرة علىٰ التحمل؛ وقيادة داعش تحسن استخدام هذه الأدوات ببراعة من الناحية الاستراتيجية. محاربة داعش الآن تشبه فعلًا محاربة جيش، جيش حققت قيادته السياسية انتصارات مستقلة من خلال بناء مؤسساتها الشبيهة بمؤسسات الدولة. إنَّ هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية ستكون أمرًا صعبًا في الحقيقة، وتطوير استراتيجية لتنفيذ ذلك سيكون أمرًا صعبًا جدًّا. ويجب أن يبدأ الجهد بفحص دقيق لمصادر قوة الجماعة ونواياها ومواطن ضعفها. حينها فقط يمكن الخروج باستراتيجية قوية ومتماسكة. سيقيم هذا التقرير داعش بطريقة تدعم هذا الهدف.

تعتمد القوة الأساسية لداعش علىٰ قدرتها المجمعة علىٰ شن حرب وبناء قوة دولة[(١)]. إنَّ مفهوم «الدولة» وأفكار الحكم المصاحبة له ذات أهمية حيوية لداعش، بالرغم من كونها تسعىٰ لتدمير نظام الدولة الحديثة بدلًا من الانضمام إليه، وبالرغم من كون التنظيم يشير إلىٰ نفسه بأنه دولة؛ إلَّا أنَّه لا يرىٰ صورته من خلال عدسة النظام الدولي الذي يمكن أن ينضم إليه كدولة واحدة من بين دول عديدة. إنَّ داعش، في الواقع، قد أعلنت عدم شرعية جميع الدول باستثناء دولتها، ومن خلال الإعلان عن الخلافة، ربطت داعش بين شرعيتها كحركة وفكرة وبين قدرتها علىٰ الحكم وليس

---

(١) تشارلز تيلي: "*War Making and State Making as Organized Crime*"، ورقة عمل رقم: (٢٥٦) لمركز أبحاث التنظيم الاجتماعي "*Center for Research on Social Organization*"، نشر *Michigan University*، ١٩٨٢.

مجرد القتال. إنَّها بذلك تسعىٰ إلىٰ أداء بعض وظائف الدولة داخل نطاق سيطرة مادية يمكن أن تحافظ عليه وتدافع عنه بقوتها العسكرية، ولدىٰ داعش المؤسسات والموارد والقيادة التي تمكنها من تحقيق هذه الرؤية. منظمتها العسكرية متماسكة وانتصاراتها حسية ملموسة، كما أنَّ التنظيم السياسي لداعش مشكل بالفعل بصفة عامة، وتقوم داعش بتدعيم استراتيجيات سياسية - عسكرية مركبة لتأمين وبناء وتوسيع سيطرة الخلافة.

إنَّ إبداء الإعجاب بالمشكلة لن يقدم حلًّا، فيجب علينا أن ندرس داعش بعناية ودون اندفاع لكي نتعرف علىٰ طرق لاستغلال نقاط ضعفها والمواجهة بذكاء مع نقاط قوتها! إنَّ أي استراتيجية ناجحة ستكون معقدة ومستهلكة للوقت ومليئة بالتحديات، وسيكون من الواجب أن تتركب من حلول للمشاكل السياسية للعراق مع إجابات للتحديات الشائكة في سوريا، وسيكون من الواجب أن تتعامل مع داعش كظاهرة إقليمية وضمن سياق حركة القاعدة العالمية، وسيلزم بالضرورة أن تشمل هذه الاستراتيجية الأدوات العسكرية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والمعلوماتية وأدوات أخرىٰ كثيرة من أدوات الحنكة السياسية، وفوق كل ذلك، ستتطلب هذه الاستراتيجية اهتمام كبار صانعي القرار الأمريكيين علىٰ مدىٰ فترة زمنية طويلة والاستعداد لاتخاذ إجراءات مزعجة لتجنب حدوث توابع كارثية لاحقًا.

المقاربة التحليلية

يستخدم المحللون أطر عمل عدة للتواصل مع واضعي الخطط العسكرية بشأن مكونات نقاط القوة والضعف لعدو عسكري. إحدىٰ المقاربات: هي توقع الأهداف الاستراتيجية للعدو بناء علىٰ رؤيته السياسية واستراتيجيته الكبرىٰ، وأخرىٰ: هي التعرف علىٰ عناصر القوة أو وسائل العدو الاستراتيجية من خلال تحليل مركز جاذبية[1] لمذهب العدو. وطريقة ثالثة: هي ربط هذه التقديرات من خلال ملاحظة الطرق التي قام العدو من خلالها باستخدام وسائله في تحقيق أهدافه المحددة والوصول إلىٰ فهم لاستراتيجية العدو في الواقع العملي.

إنَّ فهم الأهداف والوسائل والحسابات الاستراتيجية للعدو يساعد المتخصص الاستراتيجي علىٰ تصميم طرق لمواجهة تلك الاستراتيجية والتغلب عليها، ومن الممكن تكييف أطر العمل العسكري هذه لدعم تطوير استراتيجيات أمن قومي جادة لمواجهة داعش.

لن يقوم هذا التقرير بسرد قائمة من خيارات السياسات أو التوصية بها للولايات المتحدة لمواجهة تهديد داعش. إنَّ الموقف في العراق وسوريا معقد ويجب أخذ منظومة من المصالح والأهداف الأمريكية في الحسبان، فبدلًا من ذلك، سيُقدم هذا التقرير قاعدة لحساب ما ستتطلبه استراتيجية أمريكية لهزيمة داعش بحيث لا تقوم صياغة الاستراتيجية علىٰ أساس من التصورات الخاطئة، مُسلَّحًا بالمعلومات وأطر

---

(١) هذا التعبير، كما سيوضح لاحقًا، وهو ترجمة للتعبير الإنجليزي "*Center of gravity*"، يشير إلىٰ مدار هذا التقرير وهو مفهوم عسكري ابتكره المنظر العسكري البروسي (نسبة إلىٰ مملكة بروسيا الألمانية القديمة) كارل فون كلاوسفيتز (١٧٨٠-١٨٣١) في طيات كتابه الشهير: ("*VomKriege*"، «عن الحرب»، أو "*On War*" بالإنجليزية). (المترجم).

العمل الصحيحة، ومن الضروري أن ينتقل الحديث عن تهديد داعش من طور التقييم إلىٰ اختيار مسار عمل وطني. إنَّ تطوير ودفع استراتيجيات بديلة تُعد قابلة للتنفيذ ومقبولة هو أداء تالٍ ومنفصل. إنَّ هذا التقرير هو سابق لمثل تلك الدراسة، والتي ينبغي أن تليه دون تأخير.

رؤية داعش السياسية

داعش تنظيم ديني ذو هدف سياسي هو إقامة خلافة إسلامية[١]، فعقب انتصاراتها العسكرية في الموصل ومدن أخرىٰ في العراق وسوريا في يونيو ٢٠١٤، أعلن زعيم داعش أبو بكر البغدادي تكوين الخلافة الإسلامية في بداية رمضان وظهر علنًا كزعيم ديني ورجل دولة في مسجد بالموصل[٢]. عبرت داعش بشكل واضح عن خططها لإقامة خلافة إسلامية باقية في الإصدار الأخير لمجلتها باللغة الإنجليزية التي تحمل اسم دابق[٣]. تصف المجلة استراتيجية داعش الكبرىٰ بوصفها قائمة علىٰ القوة العسكرية لتأسيس سيطرة مادية قبل تحقيق السلطة السياسية والدينية. إنَّ الجدل الديني في هذه المجلة دقيق وشامل، مما يشير إلىٰ أنَّ داعش كانت تعد سرديتها، بالاستعانة بعلماء إسلاميين، لكي تصمد أمام الجدل الديني المضاد المثار مع الوقت.

ويتبع توسيع الرسالة السياسية لداعش لتشمل حملة تواصل باللغة الإنجليزية عبر الإنترنت، يتبع جهود الرسائل المحلية التي كانت تتسم بالقوة أيضًا. وقد انخرطت داعش في جهد شامل للتواصل الدعوي باللغة العربية عبر الإنترنت وعلىٰ الأرض في

---

(١) تعليقات لجيسيكا لويس أثناء ندوة عقدت ضمن فعالية نظمها معهد دراسة الحرب في ١١ يوليو ٢٠١٤. الندوة بعنوان: "ISIS vs ISF: *Can Iraq Survive?*".

(٢) مقال تشارلز كاريس بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠١٤ علىٰ مدونة معهد دراسات الحرب بعنوان:

"*The Islamic State Announces a Caliphate*".

[أبو بكر البغدادي يلقي خطبة الجمعة في الجامع الكبير بالموصل]، ٥ يوليو ٢٠١٤؛ ومقال للوك هاردينجوفازلهارماوي في صحيفة الجارديان بعنوان:

"*New militant group replacing ISIS in Mosul, says city governor*".

(٣) مقال صادر بتاريخ ٥ يوليو ٢٠١٤ عن مؤسسة *SITE Intelligence Group* بعنوان:

"*Islamic State Launches New English Language Magazine, Promotes Caliphate*".

العراق وسوريا منذ يوليو ٢٠١٣[١]. لذلك؛ فإنَّ رؤية داعش الدينية - السياسية ليست تطورًا حديثًا، علىٰ الرغم من كون رسائلها الحديثة تشرح بوضوح الحاجة إلىٰ أن تسبق السيطرة المادية علىٰ السلطة الدينية.

وإضافة إلىٰ هذا الانحراف عن رؤية أمير القاعدة أيمن الظواهري لكيفية إقامة الخلافة[٢]؛ فإن رؤية داعش تتسم بالتضافر الأصولي مع التطبيق العملي الديني لدىٰ القاعدة، فكلتا الجماعتين تهدفان أولًا إلىٰ إقامة خلافة، ثم شنٍّ معركة صريحة ضد غير المؤمنين، وإعداد العالم للساعة أي يوم الحساب المعروف لدىٰ المسلمين بيوم القيامة[٣]، وتركز مطبوعات داعش بشكل خاصٍّ علىٰ سرديات لنهاية العالم، دابق، عنوان المجلة الإنجليزية، هو اسم المكان في سوريا الذي ستقع فيه المعركة بين المسلمين والإمبراطورية الرومانية [الغرب] قبل المعركة الفاصلة أو أرماجدون، بحسب رواية الحديث[٤].

ويقرر سرد داعش في مجلة دابق بوضوح أنَّ طريقة داعش المميزة، أو المنهاج[٥]

---

(١) لُوحظ أول دليل علىٰ أنشطة داعش الدعوية في سوريا في تغطية لأخبار حلب لدورة ألعاب رمضانية نظمتها داعش في حلب في يوليو ٢٠١٣. ينظر بتاريخ ٣ أغسطس ٢٠١٣: "*Halab News Photo Gallery*"، ومن الأمثلة الشهيرة الأخرىٰ علىٰ أنشطة التواصل الدعوي لداعش مقطع فيديو نشر علىٰ حسابات تويتر مؤيدة لداعش بتاريخ ٢٨ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: "*ISIS Explained in English*".

(٢) «رسالة الظواهري إلىٰ الزرقاوي» - (الترجمة الإنجليزية) - ٩ يوليو ٢٠٠٥. نشرت علىٰ شبكة الإنترنت بمصاحبة الأصل العربي من خلال مركز مكافحة الإرهاب بويست بوينت.

(٣) محادثة للمؤلفة مع د. ماري هابيك، الأستاذ المشارك في الدراسات الاستراتيجية، يوليو ٢٠١٤.

(٤) تقرير لهارلينجامبهير يصدر عن معهد دراسة الحرب بعنوان:

ISIS justifies its Religious Authority in new English Language publication, Dabiq.

(٥) قبل إصدار دابق، أصدرت داعش مجلات أخرىٰ باللغة الإنجليزية كجزء من سلسلتين جديدتين:

"*Islamic State Report and Islamic State News*".

وكان عنوان العدد الأول من "*Islamic State Report*" الذي صدر علىٰ الإنترنت في ٣ يوليو ٢٠١٤:

"*Propagating the Right Manhaj*".

مشيرًا في هذا السياق إلىٰ الحياة والأنشطة الدينية في الرقة بسوريا. وينظر:

ISIL continues to reach out to English speakers, issues another new magazine

ترجم ونشر من خلال *SITE Intelligence Group* في ٣ يونيو ٢٠١٤.

يعتمد علىٰ القوة الخشنة، ويحتوي مقتطف من الصفحة (٣٨) من المجلة علىٰ ما يلي:

«ستجبر هذه الهجمات القوات الكافرة علىٰ الانسحاب الجزئي من الأراضي الريفية وإعادة التجمع في المناطق الحضرية الكبرىٰ، وستستغل الجماعة الموقف بعد ذلك من خلال زيادة الفوضىٰ إلىٰ الحد الذي يؤدي إلىٰ الانهيار التام لنظام الطاغوت في مناطق كاملة، وهو موقف يشير البعض إليه بوصف «التوحش»، وستكون الخطوة التالية بملء الفراغ من خلال إدارة الظروف إلىٰ حد التطور إلىٰ دولة كاملة، والاستمرار في التوسع في الأرض التي لا تزال تحت سيطرة الطاغوت»[١].

ولاحقًا في الفقرة نفسها من دابق، ترفع داعش هذا المنهج فوق مناهج الجماعات الأخرىٰ، مشيرة علىٰ الأرجح مباشرة إلىٰ القاعدة:

«إنَّ المنهج الضعيف للإرجاء هو منهج لا يمكن أن يقوم بتدعيم قافلة الجهاد في طريقها نحو الخلافة، بل الأحرىٰ به أن يحقق التردد والخوف فقط، مؤديًا إلىٰ تدمير قدرة القافلة علىٰ المواصلة، ومالئًا الطريق، بسذاجة، بالعقبات التي تعمل فقط علىٰ خدمة الطاغوت»[٢].

إذن؛ فالمهام الأساسية المتعلقة بتحقيق الخلافة الإسلامية هي إقامة مجتمع من المؤمنين، وبناؤه والمحافظة عليه، والدفاع عنه داخل أرض تتم السيطرة عليها من خلال الغزو العسكري، ولذلك؛ فإن الرؤية السياسية للخلافة الإسلامية تتحقق في تقدير داعش من خلال البدء بتحقيق السيطرة علىٰ الأرض وغرس علم وإقامة حكومة فاعلة ستؤدي بالتالي إلىٰ إضفاء الشرعية علىٰ السلطة الدينية. هذه الاستراتيجية الكبرىٰ، للسيطرة علىٰ الأرض أولًا وإقامة السلطة الدينية ثانيًا، مستمدة من المقاربة المرحلية التي اعتنقها أولًا زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي، سلف مؤثر في نشأة الزعيم الحالي أبي بكر البغدادي[٣].

---

(١) "*Dabiq*" من نشر مركز الحياة الإعلامي، ٥ يوليو ٢٠١٤.

وينظر تقرير لهارلينجامبهير يصدر عن معهد دراسة الحرب بعنوان:

ISIS justifies its Religious Authority in new English Language publicatioñ Dabiq.

(٢) السابق.

(٣) الترجمة الإنجليزية في فبراير ٢٠١٤ من سلطة الائتلاف المؤقتة لرسالة الإرهابي أبي مصعب الزرقاوي وحصلت عليها الحكومة الأمريكية في العراق.

إنَّ تقييم **مركز دراسة الحرب** السابق للأهداف السياسية لداعش يثبت من قبل داعش في **مجلة دابق، وهذه الأهداف هي**:

(١) التدمير التام للحدود السياسية في سوريا والعراق والمنطقة من خلال السعي إلىٰ إنتاج ظروف تؤدي إلىٰ فشل الحكومات أو الحرب الأهلية الطائفية أو كليهما.

(٢) إقامة الخلافة الإسلامية من خلال السيطرة علىٰ الأراضي عبر العراق وسوريا، وحكم سكانها والدفاع عنها ضد التهديدات الخارجية.

(٣) استقدام الأشخاص ذوي العقلية المشابهة للمحاربة معهم والاستقرار في الخلافة الإسلامية.

(٤) توسيع أراضي الخلافة وربطها بالمجتمع الإسلامي الأكبر، أو الأمة.

إنَّ رؤية داعش للخلافة رؤية كبرىٰ بالفعل. ففي إصدار ثانٍ من دابق نُشر في ٢٨ يوليو ٢٠١٤، تحتوي سردية داعش الممتدة علىٰ إشارات إلىٰ التحرك عبر الشام ومن ثَمَّ الاستمرار نحو «تحرير مكة والمدينة والقدس» ممَّا يشير إلىٰ أنَّ داعش تستحضر رؤية اللعبة الأخيرة المنطوية علىٰ المملكة العربية السعودية وإسرائيل[١]. تشير داعش أيضًا إلىٰ هجمات مستقبلية علىٰ الغرب في هذا الإصدار الثاني من خلال الإعلان عن أنَّ الجهاديين «سيغزون روما ثم .... يفتحونها»[٢].

وبالنظر إليها بعيدًا عن استراتيجية داعش الكبرىٰ؛ فإنَّ هذه الأهداف قد تبدو أسمىٰ بكثير من أن تكون حقيقية. لكن النظر فيها في سياق قدرة الجماعة علىٰ تصميم أهداف منهجية وقابلة للتكيف ووسيطة، فمن المعقول أن يعتبر أن استراتيجية داعش الكبرىٰ تدعم وبفاعلية قوتها الاستراتيجية في السعي إلىٰ أهدافها طويلة المدىٰ.

---

(١) إحالة من *Site* بعنوان: *IS Calls Muslims to Organize Pledges to Group in Second Issue of 'Dabiq'* مؤسسة *SITE Intelligence Group,* ٢٨ يوليو ٢٠١٤.

(٢) السابق.

استراتيجيَّةُ داعش الكبرى

وضعت داعش «أطوار الجهاد» في الإصدار الأول من دابق، ترسم هذه الأطوار الخطوط العريضة لاستراتيجية داعش الكبرىٰ، أو التطبيق الأقصىٰ لجميع عناصر القوة الاستراتيجية لتحقيق «الغاية السياسية من الحرب»[1]. تتوافق أهداف داعش السياسية المذكورة أعلاه مع أطوار الجهاد الموصوفة في دابق[2]، وتعطي بصيرة نافذة عبر تكوين الاستراتيجية الكبرىٰ لداعش.

(١) تدمير حدود الدولة وتوليد ظروف من الحرب الأهلية توصف بأنها «زعزعة لاستقرار الطاغوت» أو الوثنية، ومن خلال تسليط الضوء علىٰ اتساق توجه داعش مع السابقة التاريخية التي وضعها تنظيم القاعدة في العراق، تنسب دابق الفضل إلىٰ الزرقاوي في تحقيقه هذا المطلب إلىٰ حد كبير قبل الموسم الحالي من الحرب.

(٢) إقامة الدولة الإسلامية في العراق والشام كإمارة إسلامية يتوافق مع طور التمكين.

(٣) استقدام الأشخاص ذوي العقلية المشابهة للمحاربة والعيش داخل الإمارة يتوافق مع طور الهجرة والذي يوصف بأنَّه الطور الأول، وعمليًا، فهذا الأمر يُعد مطلبًا مستمرًا لداعش لا مجرد طور تسلسلي.

(٤) لقد عبرت داعش عن نيتها التوسعية ورؤيتها لكيفية تفاعلها مع بقية العالم

---

(١) مقال لتيموثي أندروز سايل بعنوان "*Defining and Teaching Grand Strategy*" من إصدار: *Foreign Policy Research Institute* - يناير ٢٠١١، مذيلًا بحاشية رقم (٥) تشير إلىٰ مرجع من إصدار ميريديان عام ١٩٩١، الصفحات: (ص/ ٣٢١ - ٢٢):

"*Basil Henry Liddell Hart*", Strategy, 2nd rev. ed.

(٢) https://news.siteintelgroup.com/Jihadist-News/islamic-state-launches-new-english-magazine-promotes-caliphate.html.

الإسلامي من خلال إعلان الخلافة والذي تصفه داعش بأنه الهدف المرحلي الأخير.

تعتمد هذه الاستراتيجية الكبرىٰ بشكل أساسي علىٰ التفوق العسكري لانتزاع السيطرة علىٰ الأراضي والمدن من الدول الحديثة، كما تدعم داعش هذه السيطرة من خلال التمكين والحكم والحنكة السياسية؛ لكي تنشئ الأساس العملي للمجتمع قبل إقامة السلطة الدينية. إنَّ هذه المنهجية ترمز إلىٰ داعش وتميزها عن القاعدة وغيرها من التنظيمات الجهادية العالمية التي تؤمن بأن السلطة الدينية والقبول المجتمعي يجب أن يسبقا السيطرة المادية[1]، ولذلك؛ فإنَّ الرؤية السياسية للخلافة الإسلامية التي صنعتها داعش تعتمد علىٰ استراتيجية من النجاح العسكري المطلق، وفي الممارسة العملية؛ فإنَّها تعتمد أيضًا علىٰ السيطرة الاجتماعية في أعقاب الانتصار العسكري، وقد سعت داعش لتحقيق السيطرة الاجتماعية من خلال الإكراه[2] والرسائل الاستراتيجية لتشجيع الهجرة من قبل الجهاديين من ذوي العقلية المشابهة[3]، ومن خلال الحوافز المالية والخدمية لتهدئة المدنيين[4]، ومن خلال إزاحة المدنيين[5] والاغتيالات لردع المقاومة[6]. لذا؛ فإنَّ السيطرة الاجتماعية تُعد مطلبًا حيويًا لداعش حتىٰ تعزز مكتسباتها أكثر من كونها مجرد عنصر رئيس في استراتيجيتها الكبرىٰ،

---

(١) "*Attacking America: Al-Qaeda's Grand Strategy in its War with the World*"
من إصدار: *Foreign Policy Research Institute* - لماري هابيك، فبراير ٢٠١٤.

(٢) *ISIS Governance in Syria*
- تقرير لتشارلز كاريس وسام رينولدز يصدر عن معهد دراسة الحرب.

(٣) مقال بعنوان: *Islamic State Launches New English Language Magazine, Promotes Caliphate* - صادر عن مؤسسة *SITE Intelligence Group* - ٥ يوليو ٢٠١٤.

(٤) «**داعش تستحدث جهاز الشرطة في «ولاية نينوىٰ» وتفتح باب التطوع**»، مقال في موقع شفق نيوز الإليكتروني، ١٢ يوليو ٢٠١٤.

(٥) مقال لجينيكافاريلا بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٤ في **مدونة معهد دراسة الحرب** بعنوان:
Resistance emerges as ISIS consolidates in Deirez-Zour.

(٦) مقال بعنوان: «**داعش يعتقل ٣٠ ضابطًا كبيرًا بالجيش السابق في الموصل**» علىٰ موقع المدىٰ بريس، ١٠ يوليو ٢٠١٤:

.D8%A 8%D9%8A %D8%B1%D8 %A7-%D8 %A8%D8%A 7%D9%84 %D8%AC% D9%8A%D8%B 4-%D8%A7%D 9%84.

وتمثل المطالب الحيوية فئة واحدة من القوة الاستراتيجية التي ستستخدم لدراسة داعش لاحقًا في هذا التقرير.

تعتمد استراتيجية داعش الكبرىٰ علىٰ قدرتها ونظامها العسكريين لتحقيق السيطرة السياسية، وتمتلك الخلافة الإسلامية قوة عسكرية كبيرة، وبهذه القوة، قامت داعش بتطبيق استراتيجياتها العسكرية لتدمير الدول الحديثة، تحديدًا العراق وسوريا، وإنشاء حكم جديد. إنَّ عمق القوة العسكرية والقدرة المالية والموارد البشرية للتنظيم تعني أنَّ الخلافة الإسلامية ليست فقط طموحة، ولكن قادرة؛ إضافة إلىٰ ذلك؛ فإنَّ داعش تستطيع أيضًا أن تترجم الانتصارات العسكرية إلىٰ انتصارات سياسية من خلال إقامة الحكم والسيطرة الاجتماعية وفي النهاية السيطرة السياسية، لذلك؛ فإنَّ القدرة المزدوجة من القوة العسكرية والسيطرة السياسية هي المصدر الأساسي لقوة داعش الاستراتيجية.

تتمتع قوات داعش العسكرية بقدرات تكتيكية وعملياتية لشن موجات من الهجمات بالعربات المفخخة (والمعروفة بالأجهزة المتفجرة ذاتية التصنيع المحمولة علىٰ العربات أو VBIED)[١] والهجمات البرية[٢] وقذائف أرض . جو[٣] والهجمات

---

(١) بعد سقوط الموصل، وقعت أول موجة من هذه الهجمات في يوم ١٩ يوليو ٢٠١٤، وتكونت من ست هجمات متتالية في خمسة أحياء شيعية. ينظر مقال اليسا روبين بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠١٤ في صحيفة النيويورك تايمز بعنوان:

5 Bombs Explode in Baghdad as Dispute Continues with Jordan.

كانت موجة الهجمات السابقة في بغداد قد وقعت يوم ٢٨ مايو ٢٠١٤، ولم يتكرر نمط الموجات بالشكل نفسه الكامل منذ ذلك الوقت، غير أن عمليات تفخيخ متفرقة عاودت الوقوع في بغداد منذ ١٥ يوليو ٢٠١٤. [ارتفاع حصيلة تفجير السيارة المفخخة في مدينة الصدر إلىٰ ٢٩ قتيلًا وجريحًا]، المدىٰ بريس، ٢٨ مايو ٢٠١٤.

(٢) تحديث لإيزابيل نصيف في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

Syria Update: July 18, 2014

وخبر في موقع الجزيرة الإنجليزية الإليكتروني بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤ بعنوان:

"Hundreds Killed" in Syrian gas field capture.

(٣) نشرت داعش صورًا لطائرة هليكوبتر مسقطة بالقرب من الفلوجة في صفحة تويتر الخاصة بولاية الأنبار التابعة لهم في ٢٧ يونيو ٢٠١٤. كما توجد مجموعة مختارة من صور لموكب عسكري بأسلحة أمريكية تشمل قطعًا من المدفعية، والتي كانت قد نشرت علىٰ صفحة ولاية نينوىٰ التابعة لداعش، في منشور لبيلروجيو بتاريخ ٢٤ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: *ISIS holds military parade in Mosul* – علىٰ مدونة: *Long War Journal Threat Matrix.*

الانتحارية[١] والهجمات بالأسلحة المتنوعة[٢]. تطبق داعش هذه التكتيكات لتحقيق أهداف عملياتية واستراتيجية مثل الاستيلاء علىٰ الموصل مظهرة ذكاء تصميم الحملة والقيادة الاستراتيجية. كما أنَّ داعش تزداد قوة كلما حققت انتصارات في ساحة المعركة[٣]. وبتعبير حرفي: إنَّ داعش تطور قدرتها العسكرية من خلال الاستيلاء علىٰ المعدات العسكرية والأراضي المحصنة مع استيلائها علىٰ القواعد في العراق وسوريا[٤]. وقد تصاعد القلق بشأن قدراتها المتنامية حديثًا حين أضافت داعش مواد كيميائية سامة، منها اليورانيوم غير المخصب، إلىٰ ترسانتها بعد الاستيلاء علىٰ الموصل ومجمع المثنىٰ قرب بغداد[٥]. وتزيد داعش أيضًا من قوتها المقاتلة من خلال إطلاق سراح السجناء وتكثير أموالها من خلال غزو المدن، والاستيلاء علىٰ الثروات[٦]، ربما من خلال البنوك[٧] وغيرها من مكونات البنية التحتية الحيوية،

---

(١) تقارير حالة العراق الصادرة عن معهد دراسة الحرب بتواريخ ١٧ يونيو، ٥ يوليو، ٧ يوليو، ٩ يوليو، ١٢ يوليو، ١٤ يوليو، و١٥ يوليو ٢٠١٤.

(٢) مقال لجيسيكا لويس بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠١٤ في **مدونة معهد دراسة الحرب**، بعنوان:
AlÙQaeda in Iraq s Breaking the Walls campaign achieves its objectives at Abu Ghraib.

(٣) مقال خلفية تعريفية لجيسيكا لويس بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠١٤ في **مدونة معهد دراسة الحرب** بعنوان:
ISIS Battle Plan for Baghdad.

(٤) مقال لبيلروجيو بتاريخ ٢٤ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: *ISIS holds military parade in Mosul* علىٰ مدونة: *Long War Journal Threat Matrix.*

(٥) مقال لجوليان بارنز بتاريخ ١٩ يونيو ٢٠١٤ في صحيفة **وول ستريت جورنال بعنوان:**
Sunni Extremists in Iraq Occupy Hussein s Chemical Weapons Facilitỹ
ومقال لألان كوويل بتاريخ ١٠ يوليو ٢٠١٤ في صحيفة **النيويورك تايمز** بعنوان:
'Low-Grade' Nuclear Material Is Seized by Rebels in Iraq, UN says.

(٦) مقال لمارتن تشولوف بتاريخ ١٥ يونيو ٢٠١٤ في صحيفة **الجارديان** بعنوان:
How an arrest in Iraq revealed ISIS s Êbn jihadist network.

(٧) يحيط الجدل بمسألة ما إذا كانت داعش قد سرقت مبلغ ٤٣٠ مليون دولار أمريكي من بنوك في الموصل بعد ١٠ يونيو ٢٠١٤. وأما السؤال بشأن ما يكون خزانة مالية داعش فيظل بلا إجابة، لكن داعش غير محدودة بقيود مالية في أدائها للحرب أو بناء الدولة داخل معقلها في العراق وسوريا. ومن المرجح أن لداعش تدفقًا منتظمًا من التمويل يزيد بشكل كبير من خلال عمليات احتلال المجتمعات العمرانية.
ينظر مقال جيريمبيندر بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤ في **بيزنس إنسايدر** بعنوان:
Iraqi Bankers Say ISIS Never Stole $430 Million From Mosul Banks.

وبشكل أهم؛ فإنَّ داعش تستطيع تجنيد المزيد من المقاتلين من خلال توجيه رسالة انتصار عسكري أو طلب خدمة بعض القبائل التي تستسلم لها[١]. إنَّ رسالة الانتصار هذه تعطي الشرعية لداعش، فاعل غير دولي، في مقابل الدول والأنظمة ذات القوات العسكرية النظامية التي لا تستطيع الدفاع عن أراضيها أمام داعش، ومن خلال هذه الانتصارات العسكرية، تظهر الرؤية السياسية للخلافة الإسلامية، وَفقًا لنظرة داعش.

ومنذ الهجوم علىٰ المدن في قلب الأرض السنية في العراق الذي بدأ في يونيو ٢٠١٤ وامتد إلىٰ سوريا، أطلقت داعش أيضًا حملة إعلامية مقروءة باللغة الإنجليزية لتشجيع الجهاديين الغربيين علىٰ المشاركة[٢]. تحاول داعش أن تصور الحياة في الخلافة الإسلامية علىٰ أنها حياة متسمة بالسلام والاستقرار والازدهار لتغري المتخصصين المهرة إضافة إلىٰ المقاتلين والشخصيات الدينية[٣]. إنَّ إرسال صورة لرؤية ما بعد الحرب لخلافة إسلامية مزدهرة تعد أيضًا ذات أهمية أساسية لاستراتيجية داعش الكبرىٰ لبناء دولة دينية داخل معقل عسكري ومشتغلة بالحرب علىٰ جبهتها.

تعتمد الإدارة السياسية لداعش علىٰ هذه القدرة علىٰ تصميم الحملة السياسية، كما يعتمد توليد القوة العسكرية لداعش أيضًا علىٰ هذه القدرة علىٰ إرسال الرسائل الاستراتيجية، بينما تجند داعش الجنود وتخوفهم من خلال رسالة من الانتصار العسكري، وفي غضون ذلك؛ فإنَّ داعش تقوم بتجنيد المواطنين المحتملين من خلال رسالة استقلال الدولة الدينية الضروري. ولأجل أن تحافظ علىٰ هذه الاستراتيجية السياسية متعددة الجوانب، فيجب علىٰ داعش أن تديم انتصاراتها العسكرية، ولأجل

---

(١) مقال لجينيفر كافاريلا بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:
ISIS Connects Strongholds in Deirez-Zour and arÙRaqqa.

(٢) مقال بتاريخ ٣١ مايو ٢٠١٤ علىٰ مدونة *Jihadology* بعنوان:
al-Hayat Media Center presents a new issue of the Islamic Iraq and al-Sham's newsletter: 'Islamic State News #1'.

ومقال بتاريخ ٣ يونيو ٢٠١٤ علىٰ مدونة Jihadology بعنوان:
al-Hayat Media Center presents a new issue of the Islamic Iraq and al-Sham's magazine: 'Islamic State Report #1'.

(٣) السابق.

شرعنة إدارتها السياسية؛ فإنَّ علىٰ داعش أن تظهر أن معقلها المادي يمكن الدفاع عنه، أو علىٰ الأقل أن تمنع القوات العسكرية المنافسة من أن تهاجمه.

يجب أيضًا علىٰ داعش أن تُثبِّت نفسها بشكل دائم في محل الدول الحديثة. لا يمكن تحقيق الخلافة الإسلامية إذا كانت للعراق وسوريا الفرصة في استعادة وضعهما السابق، فلا يجب فقط علىٰ داعش أن تدافع عن معقلها المادي، بل يلزمها أيضًا أن تتأكد من تدمير الدولتين العراقية والسورية. لقد تبنت داعش استراتيجيات عسكرية مختلفة للعراق وسوريا حتىٰ يونيو ٢٠١٤؛ لأنَّ حربًا أهلية مستمرة وفصيلًا منافسًا تابعًا للقاعدة كانا عاملين مميزين لحملتها في سوريا، ومنذ سقوط الموصل في يونيو ٢٠١٤، أصبحت ظروف الحرب الأهلية في العراق تشبه بصورة أكثر مباشرة نظيرتها في سوريا. من المرجح أنَّ لداعش الآن أهدافًا عسكرية مشابهة في كل مسرح وهي تثبيت سيطرتها المادية والدفاع عن الأراضي الخاضعة لسيطرتها وتدمير القوات العسكرية المنافسة في كلتا الدولتين.

يُعدُّ معقل داعش قابلًا للدفاع عنه بشكل تلقائي ما لم تستطع دولة أو فصيل منافس منازعة داعش سيطرتها علىٰ المدن الكبرىٰ. لذلك؛ فمن المرجح أنَّ داعش ستحاول تدمير القدرة الهجومية للقوات العسكرية التي يمكن أن توجه القوة نحو الرقة أو الموصل، أو تدمير الأنظمة التي تدافع تلك القوات عنها، وقد يدلل ذلك أيضًا علىٰ أساس عمليات متابعة داعش في أماكن أخرىٰ من المنطقة. قد يمكن بالفعل رؤية هذا المنطق حيث تشير تقارير وسائل التواصل الاجتماعي إلىٰ أنَّ داعش تهاجم مواقع النظام السوري علىٰ امتداد الشرق السوري في دير الزور والحسكة والقامشلي منذ ٢٥ يوليو ٢٠١٤[١].

---

(١) خبر في موقع الجزيرة الإنجليزية الإليكتروني بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤ بعنوان:

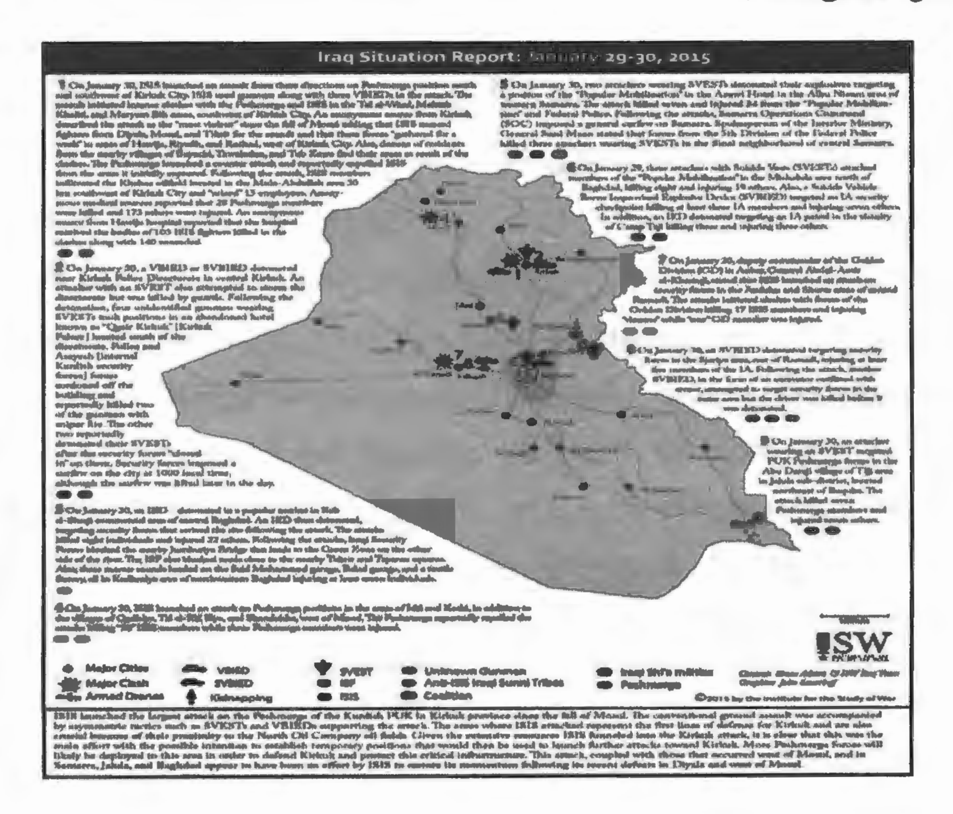
'Hundreds Killed' in Syrian gas field capture.

وينظر تحديث لجيني كافاريلا بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

Syria Update: July 17-25, 2014.

استراتيجيَّةُ داعش العسكريَّةُ

منذ أن هاجمت داعش الموصل وثبتت سيطرتها عليها في ١٠ يونيو ٢٠١٤، قامت بحملة موسعة علىٰ المناطق الحضرية في العراق شملت محافظات كركوك وصلاح الدين وديالىٰ والأنبار(١).



(١) رابط إلىٰ مدونة معهد دراسة الحرب: http://www.iswiraq.blogspot.com مع وصف لخرائط تقارير الحالة والسيطرة.

ووسعت داعش تلك الحملة لتشمل المدن السورية الكبرىٰ مثل دير الزور والأراضي الرئيسة علىٰ امتداد الحدود السورية التركية بما فيها عين العرب[1]. إنَّ عملية توسيع مناطق سيطرة وهجوم ودعم داعش في أعماق العراق وسوريا تساعد علىٰ رسم إطار لرؤية تكهنية بصرية لحملة داعش المتوقع حدوثها في المستقبل، ولأجل تحقيق التماسك المادي للخلافة الإسلامية؛ فإن داعش ستسعىٰ إلىٰ السيطرة علىٰ المراكز الحضرية الواقعة علىٰ الحدود الخارجية لمساحة سيطرتها الحالية. توضح الخارطة أعلاه تقديرًا حاليًا لمساحة سيطرة داعش العسكرية منذ ٢٥ يوليو ٢٠١٤، ولأجل السيطرة علىٰ هذه الأراضي، ستسعىٰ داعش لتدمير دولتي العراق وسوريا ومنع عودتهما. إنَّ هذا الهدف الاستراتيجي يدعم استراتيجية داعش الكبرىٰ لإقامة وتوسعة الخلافة الإسلامية بالقوة، وتتكون الاستراتيجية العسكرية لتدمير الدول الحديثة بالتزامن مع الاستراتيجية العسكرية لتوسيع السيطرة علىٰ الأراضي وترجمة الانتصارات العسكرية إلىٰ انتصارات سياسية من خلال الرسائل الاستراتيجية والحنكة السياسية، **وتشمل الاستراتيجية العسكرية لداعش في العراق وسوريا علىٰ الأرجح الأهداف التالية:**

(١) إقامة سيطرة علىٰ الأراضي الحضرية في قلب الأراضي السنية في العراق والتي تتصل بالقوة المادية الأساسية لداعش في سوريا، مكونة القطر الخاص بالخلافة الإسلامية.

(٢) السيطرة علىٰ البنية التحتية الحيوية التي تزيد الثروة والتأثير الدولي للخلافة الإسلامية.

(٣) إنشاء منطقة عازلة حدودية في كردستان العراق والمحافظات ذات التكوين العرقي والطائفي المختلط في ديالىٰ وبغداد وبابل؛ لكي يتم فصل الخلافة الإسلامية عن إيران.

---

(١) مقال لجينيفر كافاريلا بتاريخ ٥ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

ISIS Advances in Deirez-Zour.

ومنذ ١٧ يوليو ٢٠١٤، قام حساب المرصد السوري لحقوق الإنسان وعدد من الحسابات علىٰ تويتر بالإبلاغ عن تصاعد هجمات داعش في محيط عين العرب. كما نشر المرصد محتوىٰ ذا صلة علىٰ صفحة الفيسبوك التابعة له بتواريخ ١٧ يوليو، و٢١ يوليو، و٢٢ يوليو ٢٠١٤.

(٤) تدمير القدرة الهجومية لقوات الأمن العراقية والنظام السوري.

(٥) تدمير العراق من خلال حرمانها من العاصمة كمقر للحكومة وكمدينة شيعية يمكن الدفاع عنها؛ والتأكد من عدم استعادة حكومة سوريا لشرعيتها.

(٦) توسيع الرقعة التي يمكن لداعش الادعاء بتبعيتها للخلافة الإسلامية من خلال الاستيلاء علىٰ المدن النائية في سوريا والعراق مثل الرطبة والشاعر، وأخيرًا تكوين المزيد من خطوط الاتصال الخارجية.

(٧) تمديد الخلافة الإسلامية إلىٰ مناطق من الشمال والوسط السوري والتي تقع حاليًا تحت سيطرة المعارضة السورية وجبهة النصرة والعمل علىٰ إزالة المقاومة منها.

إنَّ داعش تسيطر بالفعل علىٰ منطقة مجاورة داخل القلب السُّنِّي للعراق وسوريا سعيًا وراء تحقيق الهدف الأول، ويمثل المعقل الذي يربط بين الموصل في الشرق والرقة إلىٰ الغرب منطقة القوة المادية الأساسية لقوة داعش العسكرية، كما تحتوي هذه المنطقة أيضًا علىٰ القواعد العسكرية وخطوط الاتصال القوية التي تساعد علىٰ توسع الخلافة الإسلامية نحو الخارج، فمن معقلها، كانت داعش قد اندفعت في اتجاه الجنوب إلىٰ داخل محافظتي الأنبار ودير الزور البعيدتين لتكتسب منطقة سيطرة أوسع تربط بين واديي نهري دجلة والفرات. هذه المنطقة الصحراوية الوسيطة محدودة بمنطقة القلب السني الحضرية في العراق وسوريا الواقعة تحت سيطرة داعش. إنَّ اعتبارات تسمية ومهام الخلافة الإسلامية تتطلب من داعش أن تتمسك بأسلوب الحرب الموضعية والدفاع عن معقلها إضافة إلىٰ المواقع الضرورية الجديدة علىٰ امتداد دربي دجلة والفرات. إنَّ هذا يعد تعبيرًا عن القوة وكذا عن نقطة ضعف لدىٰ داعش، كما سيستكشف هذا التقرير.

تتنافس داعش في كل من العراق وسوريا مع قوات أمن النظام وجيوب من المقاومة لتحقيق السيطرة الدائمة، وستسعىٰ داعش إلىٰ استكمال سيطرتها علىٰ الفرات من خلال تحقيق السيطرة الكاملة علىٰ مدينة دير الزور وجزء الطريق المتجه غربًا نحو تدمر وحمص[1]، كما ستسعىٰ داعش إلىٰ السيطرة علىٰ حديثة وهيت والرمادي في محافظة

(١) منذ إعداد مسودة هذا التقرير، تقدمت داعش نحو مواقع النظام السوري في وسط سوريا وغربًا حتىٰ =

الأنبار لإحكام السيطرة الكاملة علىٰ وادي نهر الفرات[1]، ولكي تستكمل حدها الشمالي، فمن المرجح أن داعش ستتجه نحو السيطرة علىٰ امتداد الحدود السورية التركية من عزاز شمالي حلب إلىٰ تل أبيض شمالي الرقة، ويدخل في ذلك المناطق الكردية السورية حول عين العرب[2]، ومنذ ٢٧ يوليو ٢٠١٤، كانت هجمات داعش تتم بالفعل في كل من تلك المناطق الثلاث.

وتشير الهجمات الأخيرة إلىٰ أن داعش قد تندفع أكثر نحو الشرق إلىٰ رقعة سيطرة جيش الدفاع الكردي وتنتزع الحسكة والقامشلي[3]، لتلتقي مع منطقة سيطرتها في شمال العراق في سنجار[4] وربيعة، واللتين تقعان حاليًا تحت سيطرة عناصر الأكراد البشمرقة العراقيين، كما يرجح أيضًا أن داعش ستستمر في الالتحام مع قوات الأمن العراقية في مصفاة نفط بيجي وتكريت، لكي تحكم سيطرتها الكاملة علىٰ قلب الأرض السنية العراقية، الرابطة بين حدود دجلة

والفرات علىٰ امتداد الطريق السريع الذي سمته القوات الأمريكية بطريق فينيكس (Route Phoenix)[5]، والذي يمتد من تكريت إلىٰ حديثة شمال بحيرة الثرثار.

= حقول غاز الشاعر في ١٩ يوليو ٢٠١٤. خبر في موقع الجزيرة الإنجليزية الإليكتروني بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤ بعنوان: *'Hundreds Killed' in Syrian gas field capture*، وينظر تحديث لجيني كافاريلا بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

Syria Update: July 17-25, 2014

(١) منذ ٢٧ يوليو ٢٠١٤، تقول التقارير إن داعش تهاجم كلًا من حديثة وهيت. ينظر معهد دراسة الحرب:
Iraq Situation Report: July 27, 2014.

(٢) منذ ١٧ يوليو ٢٠١٤، قام حساب المرصد السوري لحقوق الإنسان وعدد من الحسابات علىٰ تويتر بالإبلاغ عن تصاعد هجمات داعش في محيط عين العرب. كما نشر المرصد محتوىً ذا صلة علىٰ صفحة الفيسبوك التابعة له بتواريخ ١٧ يوليو، و٢١ يوليو، و٢٢ يوليو ٢٠١٤.

(٣) منذ ٢٥ يوليو ٢٠١٤، تهاجم قوات داعش مواقع النظام السوري في الحسكة والقامشلي. ينظر تحديث لجيني كافاريلا بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

Syria Update: July 17-25, 2014.

(٤) منذ ٢٣ يوليو ٢٠١٤، بدأت داعش مهاجمة محيط سنجار. خرائط تقارير حالة العراق من إعداد معهد دراسة الحرب، ٢٣ و٢٦ يوليو ٢٠١٤.

(٥) عدد مجلة The Mountain View بتاريخ ٢٨ أبريل ٢٠٠٩ بعنوان:

IA, US Soldiers on road to brighter future.

وتساند الظروف السيطرة المستمرة لداعش في هذه المنطقة بينما يستمر المقاتلون السنة دعمهم الفاعل أو السلبي[1].

ومن المرجح أنَّ داعش ترغب أيضًا في السيطرة علىٰ البنية التحتية الحيوية للحصول علىٰ ريعها وتوليد النفوذ التكتيكي والسياسي، وقد أقامت داعش وجماعات مسلحة أخرىٰ السيطرة علىٰ سد الفلوجة في فبراير ٢٠١٤، واستخدمت هذه السيطرة لإحداث حالات فيضان ونقص في المياه أثرت علىٰ السكان المدنيين وأظهرت انعدام سيطرة الدولة العراقية كما يحتمل أن تكون ساعدت أيضًا في عرقلة حركة قوات الأمن العراقية[2]، وقد توسعت داعش من هذه السيطرة علىٰ الموارد المائية العراقية من خلال الاستيلاء علىٰ سد حديثة، وهو أحد أهداف المدىٰ القصير، وربما سد الموصل أيضًا، الذي يقع إلىٰ الشمال الغربي من المدينة، ومنذ ٢٤ يوليو ٢٠١٤، تقوم داعش أيضًا بالعمل علىٰ السيطرة علىٰ سد حمرين في شمال ديالىٰ[3]، وفي سوريا، تخبر التقارير بأنَّ داعش تسيطر بالفعل علىٰ سدي الطبقة وتشرين علىٰ أعالي نهر الفرات في شمال سوريا، إلىٰ شمال غرب الرقة[4].

لقد نجحت داعش علىٰ الأرجح في الوصول إلىٰ حقول النفط السورية في محافظة دير الزور لبعض الوقت؛ غير أنَّ داعش حققت السيطرة علىٰ تلك الرقعة فقط في ٥

---

(١) هناك إشارات إلىٰ أن داعش تحاول استباق المقاومة من قبل جماعات مثل جيش رجال الطريقة النقشبندية من خلال جمع ضباط الجيش السابقين الموجودين في الموصل والتخلص منهم. ينظر مقال جينا ليفلر بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠١٤ في **مدونة معهد دراسة الحرب** بعنوان: *Life Under ISIS in Mosul.*

(٢) تحديث لأحمد علي وعمر عبد الله بتاريخ ٣ فبراير ٢٠١٤ في **مدونة معهد دراسة الحرب** بعنوان: *Iraq Update 2014 #12: New Ba'athist Militant Group and ISIS Capture Iraqi Soldiers and Take Over the Fallujah Dam.*

(٣) فريق العراق لدىٰ **معهد دراسة الحرب**، لورين سكوايرز وجينيفر كافاريلا بتواريخ ٢٤ و٢٥ و٢٨ يوليو ٢٠١٤: *Iraq Situation Reports.*

(٤) مقال لدانيا شوداكوف بتاريخ ٧ يوليو ٢٠١٤ علىٰ موقع **الجزيرة الإنجليزية** بعنوان: *'Water war' threatens Syrian lifeline.*

ومقال علىٰ موقع **المونيتور** بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٤ نقلًا عن السفير، بعنوان: *Islamic State's Homs Offensive endangers Syria's energy supply.*

يوليو ٢٠١٤[١]، وبشكل مماثل، قد ترغب داعش في أكثر من مجرد تنقية قلب الأرض السنية من قوات الأمن العراقية، بل قد ترغب في السيطرة علىٰ مصفاة نفط البيجي نفسها[٢]، وبينما يرجح أنَّ داعش كانت تحقق الربح بشكل غير مباشر من البنية التحتية النفطية في الشمال العراقي لبعض الوقت، فستحقق داعش تقدمًا كبيرًا علىٰ أكراد العراق والحكومة المركزية العراقية لو كانت لتنجح في السيطرة علىٰ البنية التحتية النفطية الحيوية، مثل مصفاة نفط البيجي، وآبار نفط كركوك وربما زاخو، المدينة الحدودية في محافظة دهوك حيث يمر خط أنابيب جيهان خارجًا من العراق إلىٰ تركيا[٣]، وباستثناء هذه المواقع المحدودة الاستراتيجية، فليس من المرجح أن تتجاوز داعش أعمق في كردستان العراق كهدف أولي للحملة العسكرية.

يرجح أكثر أنَّ تقوم داعش باستغلال إمكانية تكوين حدود شمالية شرقية متعارف عليها مع كردستان العراق تصنع حاجزًا بين الخلافة الإسلامية وكل من إيران وتركيا؛ وروسيا. تقع الأراضي الكردية العراقية، بما في ذلك كركوك، العاصمة الإقليمية المختلطة إثنيًا، وآبار نفطها القريبة، تقع الآن تحت حماية البشمرقة الأكراد[٤]، وعلىٰ الرغم من أن داعش قد تتمكن من التفوق علىٰ القدرة التكتيكية للبشمرقة في الشمال، إلَّا أنَّها لن تجعل الأولوية للهجمات داخل كردستان العراق، وهو ما لم تفعله حتىٰ هذا التاريخ. غير أنَّ داعش قد قامت بالهجوم بطرق لا تعدو محاولات التشويش أو تحييد أو تثبيت قوات البشمرقة الكردية لكي تحقق المزيد من الحرية للمناورات العملياتية في مناطق أخرىٰ من العراق، مثل ديالىٰ[٥].

---

(١) مقال لجينيفر كافاريلا بتاريخ ٥ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

ISIS Advances in Deirez-Zour.

(٢) منذ ٢٦ يوليو ٢٠١٤، تهاجم داعش مصفاة نفط البيجي، لكن قوات الأمن العراقية لازالت تسيطر علىٰ المنشأة. ينظر مقال بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠١٤ علىٰ موقع السومرية الإخباري بعنوان: **«تحرير مصفىٰ بيجي بالكامل بعد صد هجوم لمسلحي «داعش» وقتل العشرات منهم».**

(٣) مقال لأورهانجوسكون وحميرا باموك بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠١٤ في روترز بعنوان:

Iraqi Kurdistan defies Baghdad to load first pipeline oil sale.

(٤) مدونة معهد دراسة الحرب، بتاريخ ١١ يوليو ٢٠١٤: *Iraqi Situation Report*.

(٥) بدأت هجمات داعش بالقرب من مدينة كركوك في التصاعد في ١٦ - ١٧ يوليو، ٢٠١٤.

ينظر في مدونة معهد دراسة الحرب بتاريخ ١٦ و١٧ يوليو ٢٠١٤: *Iraqi Situation Reports*.

ومنذ أن قامت داعش بدفع قوات الأمن العراقية خارج الجزء الشمالي من قلب الأرض السنية في العراق في أوائل يونيو، مؤدية إلىٰ إسقاط شرعية الدولة العراقية، فقد أثير السؤال حول ما إذا كان أكراد العراق سيسعون إلىٰ الحصول علىٰ الاستقلال من العراق كنتيجة للأزمة[1]، وتخضع قطاعات كبيرة من الحدود الداخلية المتنازع عليها والممتدة عبر محافظات نينوىٰ وكركوك وديالىٰ، تخضع الآن لحماية البشمرقة الأكراد، بما في ذلك مدينة كركوك وحقول نفط كركوك[2].

وربما يكون غياب قوات الأمن العراقية في هذه المناطق قد أدىٰ إلىٰ فتح الباب للحكم الذاتي الكردي؛ غير أن كردستانَ عراقٍ مستقلةً ستؤدي إلىٰ تقوية الحدود الشمالية للخلافة الإسلامية، معززة ديمومتها ومقللة من فرص الجهد العسكري المشترك الذي يشمل البشمرقة وقوات الأمن العراقية والحلفاء الخارجيين لهزيمة الخلافة الإسلامية ككيان مسيطر علىٰ رقعة الأرض تلك. إن هذا السيناريو يولد فرصة حيوية يمكن أن تسعىٰ داعش لاستغلالها.

وتحافظ داعش أيضًا علىٰ جيوب من السيطرة المادية في الأحزمة غرب بغداد (المنطقة حول العاصمة العراقية) والفلوجة وشمال ديالىٰ، وقد برزت الأحزمة التي حول بغداد في محيط الفلوجة كمنطقة سيطرة لداعش علىٰ مدىٰ العام الماضي، موفرة فرصة لداعش للسعي وراء أهدافها الاستراتيجية المشتملة لهزيمة قوات الأمن العراقية وتدمير العاصمة، وقد شهدت أحزمة بغداد الشمالية بين الضلوعية وقضاء بلد والتاجي زيادة في النشاط من قبل مسلحين، تابعين لداعش علىٰ الأرجح، في يوليو ٢٠١٤[3]، وبشكل مماثل، فمن المرجح أن لداعش قوات إضافية موجودة وعاملة في الأحزمة

---

(١) مقال علىٰ المدىٰ بريس بتاريخ ٣ يوليو ٢٠١٤ بعنوان: «البارزاني يطالب برلمان كردستان بتشكيل مفوضية انتخابات ويؤكد: البشمرقة لن تنسحب من المناطق المتنازع عليها».

(٢) مقال علىٰ شفق نيوز بتاريخ ١٢ يونيو ٢٠١٤ بعنوان:

Peshmerga controls Kirkuk completely after the withdrawal of Iraqi army

ينظر في مدونة معهد دراسة الحرب، بتاريخ ١١ يوليو ٢٠١٤: *Iraqi Situation Report*.

(٣) تقارير حالة العراق لمدونة معهد دراسة الحرب بتواريخ: ١٣، و٢٥، و٢٦، و٢٩، و٣٠ يونيو، و٢، و٣، و٩، و١٢، و١٧ يوليو ٢٠١٤. [الضلوعية، بلد، التاجي].

الجنوبية لبغداد، بالقرب من جرف الصخر واليوسفية وعرب جبور[1]، وتسمح هذه المواقع العسكرية لداعش بأن تسعىٰ وراء عدد من أهدافها العسكرية المتبقية في العراق.

وتتصل هذه الجيوب بمعقل داعش الرئيس بين الموصل والرقة من خلال خطوط اتصال داخلي ومناطق دعم تشمل أحزمة بغداد نفسها، ويعد الوصول إلىٰ خطوط الاتصال الداخلية مطلبًا ضروريًا لداعش لإعادة توزيع الموارد المادية والبشرية، وقد أظهرت داعش القدرة علىٰ توفير الموارد لعدة معارك في الوقت نفسه. فعلىٰ سبيل المثال، كانت داعش ما تزال منخرطة في اشتباكات مع قوات الأمن العراقية حول سليمان بيك وسامراء والرمادي وبعقوبة وبغداد في نفس وقت الهجوم علىٰ الموصل[2]، ويساعد ذلك داعش علىٰ تشتيت انتباه وتعزيزات أعدائها، وهي استراتيجية أساسية لداعش تم التحقق منها بالفعل، كما يسمح ذلك لداعش بالقيام باختيار المواضع المسبقة لعدة عمليات فرعية ومضاعفة فرصها لرد الفعل لضمان المحافظة علىٰ زمام المبادرة. قد تسمح هذه المميزات لداعش بأن تهاجم بغداد وغيرها من المحافظات المختلطة؛ لكي تحقق هزيمة الدولة العراقية. إلىٰ أي مدىٰ ستقوم داعش بتطبيق هذه الاستراتيجية ضد النظام السوري؟ يعد أمرًا غير واضح بعد.

منذ سقوط الموصل، أصبحت استراتيجية داعش أكثر وضوحًا. أولًا، قامت داعش علىٰ الأرجح بدراسة كيفية التعامل مع تهديد التدخل الإيراني في العراق. تشارك العراق حدودًا قوية مع إيران، وقد درست داعش علىٰ الأرجح كيفية التقدم دون التضحية بالمبادرة، ويبدو أن أهداف داعش العملياتية يتم تأطيرها في هذا السياق، وقد تزرع داعش الظروف للحرب العرقية. الطائفية في ديالىٰ وبغداد وسامراء وبابل؛ لكي تكون منطقة عازلة حدودية مع إيران، ففي حال وقوع هذه المحافظات

---

(١) تقارير حالة العراق لمدونة معهد دراسة الحرب بتواريخ ٢٣، و٢٦، و٢٧، و٢٩، و٣٠ يونيو، و٢، و٣، و٩، و١٢، و١٧، و٢٦ يوليو ٢٠١٤. [اليوسفية وعرب جبور وجنوبي بغداد] وقت كتابة هذه الكلمات، كانت الصدامات مستمرة في جميع هذه المناطق.

(٢) آرون ريس وفريق العراق لدىٰ معهد دراسة الحرب: *ISIS Launches Major Multi-Front Assault*، معهد دراسة الحرب، ٧ يونيو ٢٠١٤.

المختلطة في الحرب، يمكن لداعش أن تتوقع أن إيران ستتخذ وضعًا لحماية قلب الأرض الشيعية المكونة لبقية العراق إلىٰ الجنوب، وسيمثل التحكم في ظروف الحرب في هذه المنطقة تحديًا لداعش علىٰ الأرجح، حيث إن الأماكن الشيعية المقدسة في سامراء وبغداد يرجح أنها ستكون هدفًا ذا أولوية للحماية الإيرانية، كما يرجح أن داعش ترغب في إحداث الحرب في تلك المنطقة، لكن دون التصعيد الإيراني.

وتمثل الأماكن المقدسة الشيعية في سامراء وبغداد أيضًا تحديًا أمام إقامة منطقة حدودية جنوبية نظيفة إلىٰ الجنوب من خلافة داعش، وهذه مواقع ستريد إيران أن تدافع عنها كأهداف أولية للحملة بينما تعمل مع الميليشيات الشيعية وقوات الأمن العراقية[1]، وتشير الحركة الجوية للمتطوعين العراقيين وعناصر الميليشيات من النجف إلىٰ داقوق، المنطقة الواقعة إلىٰ الجنوب مباشرة من كركوك، تشير إلىٰ أن العناصر الإيرانية التي تدير وتتحكم في الرد العسكري علىٰ داعش في العراق قد قررت أنهم سيقومون بالدفاع عن المقدسات الشيعية فيما وراء سامراء في اتجاه الشمال[2]. ويرجح أنَّ داعش تدرس كيفية ترجمة معاقلها القوية بين سامراء وبغداد، وتواجدها العسكري في شمال بابل، إلىٰ ظروف داعمة لتمكين الدولة الإسلامية بدلًا من الانخراط في معركة إقليمية ضد إيران في هذا الوقت.

إنَّ الاستراتيجية العسكرية لداعش تعزز في العموم إذا تمكنت أولًا من تدمير الدولة العراقية، سواء من خلال تدمير قوتها العسكرية أو من خلال حرمانها من مقر العاصمة في بغداد، ومن المرجح أن توجه داعش قوتها نحو تحييد أو اجتياح قواعد قوات الأمن العراقية شمال بغداد إضافة إلىٰ مطار بغداد الدولي لتحقيق أول هذه الأهداف،

---

(١) مقال لجيسيكا لويس بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:
The Battle for Baghdad: Scenarios.

ومقال لأحمد علي وكيمبرليكيجان بتاريخ ١٤ يونيو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:
The Iraqi Shia Mobilization to Counter the ISIS Offensive.

(٢) أحمد علي، كيمبرليكيجان، آرون ريس بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب:
Iraqi Situation Report: July 20, 2014.

وقد شهدت القواعد الثلاث هجمات خلال رمضان منذ ٢٧ يوليو ٢٠١٤[(١)]، ولدىٰ داعش القدرة أيضًا علىٰ مهاجمة المواقع الثابتة داخل بغداد والتي تقوم القوات البرية بحمايتها جيدًا، كما أن الحكومة العراقية الجديدة ما زالت عرضة للهجوم كهدف مادي، ومن المرجح بشكل أكبر أن تتقدم داعش لتحقيق هذه الأهداف أولًا قبل تهيئة الظروف للدفاع ضد الغارات الإيرانية أو الهجمات من قبل الفاعلين الإقليميين الآخرين.

والنظر إلىٰ التهديد الذي يمكن أن تمثله داعش للعاصمة العراقية قابل للمقارنة بالتهديد النسبي في سوريا، فبغداد، بخلاف دمشق، تقع في الأرض بين نهرين. ودمشق، من ناحية أخرىٰ، ذات طابع عسكري كثيف، بمعاقل عسكرية تقع تحت سيطرة النظام علىٰ قمم السلاسل الجبلية المحيطة بالمدينة، مما يثير التساؤل حول ما إذا كانت داعش ستسعىٰ أيضًا لتدمير العسكرية السورية[(٢)]، فداعش ستسعىٰ علىٰ الأرجح لتحييد قوات النظام السوري من خلال تثبيتها في وضع دفاعي دائم أو جعلها تتفرق بشكل لا يسمح لها بالتجمع مرة أخرىٰ. ومن غير المرجح أن تسعىٰ داعش نحو التغلب علىٰ الدفاعات الاستراتيجية للنظام السوري، ففي هذه النقطة من الحرب الأهلية السورية، لم يعد من المتحتم علىٰ داعش أن تكسر الدولة السورية بالهجوم علىٰ العاصمة؛ لأن الحرب الأهلية وصلت إلىٰ العاصمة منذ عامين[(٣)].

من المرجح أنَّ داعش ستوسع رقعة سيطرتها في المرحلة التالية باتجاه الأراضي المحتلة في شمال سوريا، كما أن داعش قد تمارس الضغط علىٰ مواقع نظام الأسد بطريقة تدفع النظام السوري إلىٰ حالة من الدفاع الدائم عن امتداد أراض محدودة بين دمشق واللاذقية، وبالنظر إلىٰ مفهوم المناطق العازلة الحدودية في العراق، فمن المحتمل أن داعش ستنظر إلىٰ هذه البقايا من الدولة السورية كمنطقة عازلة حدودية،

---

(١) لورين سكوايرز، جيسيكا لويس، وفريق العراق لدىٰ معهد دراسة الحرب بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠١٤:
Warning Intelligence Update: Baghdad.

(٢) التقرير الأمني للشرق الأوسط ١٦ لفاليري شيبالا، بتاريخ يناير ٢٠١٤، علىٰ **معهد دراسة الحرب**:
Assad Strikes Damascus.

(٣) التقرير الأمني للشرق الأوسط ٥ لجوزيف هوليداي بتاريخ يونيو ٢٠١٢ علىٰ **معهد دراسة الحرب**:
Syria's Maturing Insurgency.

تتطلب فقط من قوات النظام السوري ألا تنخرط في معارك في عمق معقل خلافة داعش، وقد أوحت داعش بالفعل بنيتها لعزل هذه المنطقة من خلال مهاجمة مواقع النظام في وسط سوريا والسيطرة علىٰ حقول الغاز في الشاعر بالقرب من تدمر يوم ١٩ يوليو ٢٠١٤[١].

وقبل انتهاء حملاتها في العراق وسوريا، ستحتاج داعش أيضًا إلىٰ أن تفرض ظروفًا تسمح بالمزيد من التوسع في الأراضي، ويشير توجيه القوة والسيطرة إلىٰ الأنبار البعيدة، في مناطق مثل الرطبة والنخيب، ومنطقة الأنبار المتاخمة للحدود الأردنيةالسعودية، يشير إلىٰ أن داعش ستعمل أيضًا علىٰ تهيئة الظروف للحركة في اتجاه الجنوب، حيث تمثل الأردن هدفًا أكبر، وليس من المرجح أن تقوم داعش بمتابعة التوسع العسكري خارج العراق وسوريا قبل تدمير الدولة العراقية، لكن استراتيجية داعش العسكرية في العراق تكفي بالتأكيد لتهيئة الظروف للمزيد من الحملات في المستقبل. وتشمل الظروف علىٰ الأرجح تكوين كادر من قادة الحملات العسكرية المستقبلية، كما أشار إصدار حديث من **مجلة دابق** حين عقد مقارنة مع تجربة القاعدة التكوينية في أفغانستان[٢].

---

(١) خبر في موقع **الجزيرة الإنجليزية** الإليكتروني بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤ بعنوان:

'Hundreds Killed' in Syrian gas field capture.

وينظر تحديث لجيني كافاريلا بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤ في **مدونة معهد دراسة الحرب** بعنوان:

Syria Update: July 17-25, 2014.

(٢) تقرير لهارلينجامبهير يصدر عن **معهد دراسة الحرب** بعنوان:

ISIS justifies its Religious Authority in new English Language publication, Dabiq.

تحليلُ مركزِ جاذبيةٍ لداعش

إنَّ الغرض من دراسة الرؤية السياسية والاستراتيجية الكبرىٰ وكذا الاستراتيجية العسكرية لداعش هو السماح بصياغة استراتيجية مضادة. إنَّ الاستراتيجية المضادة تتطلب المعرفة بمصادر قوة العدو التي تسمح له بالعمل وتدخل باستمرار في حساباته الاستراتيجية، ومن الممكن التعرف علىٰ العناصر الحيوية للقوة الاستراتيجية المملوكة لداعش من خلال تحليل استراتيجيتها العسكرية، ويعبر عن عناصر القوة الاستراتيجية طرائقيًا من خلال دراسة مركز جاذبية العدو. مركز الجاذبية مفهوم استراتيجي ابتكره كارل فون كلاوسفيتز ليعبر عن المصدر الرئيس لقوة عدو، وقد برزت مسألة التعرف علىٰ مراكز جاذبية العدو في الصنعة العسكرية من خلال المقطع التالي من عمله الأهم، عن الحرب (On War):

«ومن خلال هذه المواصفات يتكون مركز جاذبية معين، محور كل القوة والحركة، والذي عليه يعتمد كل شيء، وتلك هي النقطة التي ينبغي أن توجه نحوها كل طاقاتنا»[1]. وقد تم توسيع دراسات مراكز الجاذبية في سياق مجال التخطيط العسكري الأمريكي لتشمل القدرات الحيوية والمتطلبات الحيوية ونقاط الضعف الحيوية كتعبيرات إضافية عن القوة الاستراتيجية التي يتم من خلالها تقييم عدو عسكري. [انظر الجدول (١)].

القدرات الحيوية هي بالضرورة وسائل العدو؛ المتطلبات الحيوية هي قيوده؛ ونقاط الضعف الحيوية هي مواطن عجزه، وتترجم هذه العوامل التخطيطية الواقعية مباشرة إلىٰ استراتيجية العدو ويمكن استهدافها مباشرة لتحقيق تأثيرات مباشرة في ساحة المعركة، ويتطلب مركز الجاذبية، من جهة أخرىٰ، استيعابًا أوسع لسلوك نظام

---

(١) كارل فون كلاوسفيتز "*On War*"، تحرير وترجمة مايكل هوارد وبيتر باريت ١٩٨٤:

Princeton University Press.

العدو، ولذا؛ فهو يتطلب تقييمًا شاملًا للعناصر الأخرىٰ من القوة الاستراتيجية للعدو. ويحقق استهداف مركز جاذبية ما تأثيرات مدمرة غير مباشرة ضد العدو. لذا؛ فستتعرف هذه الدراسة علىٰ القدرات الحيوية والمتطلبات الحيوية ونقاط الضعف الحيوية لداعش قبل تقديم تقييم لمراكز جاذبيتها، والتي يمكن استهدافها لتحقيق تأثيرات مضاعفة علىٰ داعش. ستتعرف هذه الدراسة أيضًا علىٰ الفرص الحيوية التي يمكن لداعش أن تسعىٰ لاستغلالها؛ لكي يتم التعرف علىٰ النطاق الكامل من الفرص المتاحة للولايات المتحدة لتصميم استراتيجية

لهزيمة داعش. إجراء تحليل مركز جاذبية لداعش يوفر الأساس النظري لتصميم استراتيجية مضادة، وتعتمد الاستراتيجية السياسية. العسكرية لتدمير داعش علىٰ تقدير دقيق لقدراتها الحيوية. [انظر الجدول (٢)].

كما تعتمد الاستراتيجية السياسية-العسكرية؛ لتعطيل داعش علىٰ تقدير المتطلبات الحيوية ونقاط الضعف الحيوية والفرص الحيوية، وتعتمد الاستراتيجية لهزيمة داعش علىٰ تقدير لمراكز جاذبيتها واستراتيجيتها الكبرىٰ. لذا؛ فإن هذه الدراسة دراسة عملية، لاستقراء المكونات الضرورية من استراتيجية داعش العسكرية التي تسمح لأعدائها بتكوين استراتيجية مضادة.

القدراتُ الحيويَّةُ

القدرة الحيوية هي وسيلة أساسية لتحقيق أهداف استراتيجية وهي تعد عاملًا ضروريًا في تمكين مركز جاذبية من أداء وظيفته[1]، وبينما سيتم إقرار مراكز جاذبية داعش لاحقًا في هذه الدراسة، فمن المهم أولًا تكوين قائمة بالوسائل الأساسية المستعرضة داخل استراتيجية داعش حتىٰ الوقت الحالي. تبدي داعش قدرات حيوية في مجالات تصميم الحملات العسكرية وتوليد القوة العسكرية وتصميم الحملات السياسية والحكم المحلي.

إنَّ حرمان داعش من واحدة أو أكثر من هذه القدرات الحيوية سيدمر تضافر قوتها العسكرية-السياسية.

(١) Army Doctrine Reference Publication I - 02, Military Terms and Symbols, September 2013.

تصميمُ الحملاتِ العسكريَّةِ

لدىٰ داعش القدرة علىٰ تصميم وتنفيذ حملات عسكرية علىٰ المستويين الاستراتيجي والعملياتي، كما أن لديها القدرة علىٰ تخطيط وتعديل وتعزيز وإطلاق حملات متعددة المراحل[١]، وتتمتع داعش بالقدرة علىٰ تحديد الجهود الرئيسة وتوزيع القوة البشرية والمواد علىٰ الجبهات[٢]، وتبنىٰ هذه القدرة الحيوية علىٰ عدد من الكفاءات الجمعية ومنها القيادة والسيطرة وأسلوب الحرب المهجنة والمناورة، واستطاعت داعش الاستفادة من هذه القدرة للاستيلاء علىٰ رقع أراض حضرية وعسكرية في العراق وسوريا[٣]، ولتنفيذ هجمات علىٰ امتداد جبهات عدة بالتتابع[٤]، عاملة بذلك علىٰ تحديد شروط المعركة عبر عدة جبهات في الوقت نفسه. كما تغلبت داعش أيضًا علىٰ الإخفاقات التكتيكية بفضل هذه المرونة العملياتية والاستراتيجية، وبالأخص في حالة خسارة رقعة الأرض السكانية في محافظتي إدلب وحلب السوريتين في يناير ٢٠١٤[٥]، كما أنَّ التنظيم قد صمم واستطاع أيضًا إحراز نجاحاته العسكرية لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرىٰ والتي تشمل إعلان الخلافة.

---

(١) FM 3 - 90, "Tactics", Appendix B, "Tactical Mission Tasks", Department of the Army, Washington D.C., January 4, 2001.

(٢) maelArmy Doctrine Reference Publication I - 02, Military Terms and Symbols, September 2013.

ودراسة لجو سترينج وريتشارد أيرون بعنوان:

Understanding Centers of Gravity and Critical Vulnerabilities.

(٣) تقريرا جيسيكا لويس سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٣ علىٰ معهد دراسة الحرب بعنوان:

Al-Qaeda in Iraq Resurgent Parts I & II.

(٤) مقال لبيلروجيو بتاريخ ٢٤ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: *ISIS holds military parade in Mosul*

علىٰ مدونة: *Long War Journal Threat Matrix.*

(٥) مقال لجيسيكا لويس وأحمد علي بتاريخ ١١ يونيو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب:

The Islamic State of Iraq and al-Sham captures Mosul and Advances Towards Baghdad.

توليدُ القوةِ العسكريَّةِ

تتمتع داعش بالقدرة علىٰ تنمية قوتها القتالية، فهي تستطيع زيادة قوتها البشرية من خلال اقتحامات السجون وتدفقات المقاتلين الأجانب، وبشكل متزايد، من خلال التجنيد المحلي، بحسب تقارير حديثة من الموصل، وتقول التقارير بأن الشباب المحليين ينضمون إلىٰ داعش[(١)]، وقد قيل بأن داعش قد كونت قوة شرطية في الموصل والتي يمكن أن تحقق المزيد من الجذب؛ لأن داعش تستطيع تسديد الرواتب[(٢)]، بينما لم تعد حكومة العراق تستطيع ذلك[(٣)]، ومن خلال إذاعة رسالة انتصار عسكري، تستطيع داعش المحافظة علىٰ شهرتها وتمويلها وإنمائهما، وهما اللذان يترجمان إلىٰ المزيد من الأسس الملموسة للتجنيد، فداعش لا تجند فقط علىٰ أساس التعليل الديني ولكن أيضًا من خلال وعد بالنجاح الوشيك والحقيقي، وتعد هذه علامة فارقة هامة بين داعش وغيرها من الجماعات الجهادية العالمية، مثل القاعدة، وهي توحي بطريق قد تكتسب من خلاله داعش النفوذ علىٰ حساب القاعدة، وداعش لا تجند فقط علىٰ أساس التعليل الديني، ولكن أيضًا علىٰ أساس من القدرة العسكرية. لقد كانت رسالة الانتصار العسكري والوعد بالسيطرة الحقيقية من الدوافع الأساسية للدعم لداعش، مما حافظ علىٰ التسلسل الجوهري لاستراتيجية داعش الكبرىٰ لإقامة السيطرة المادية أولًا.

---

(١) مقال لجيني كافاريلا وفاليري شيبالا بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب:

ISIS's Second Front in Syria

ومقال لجينيفر كافاريلا بتاريخ ٥ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

ISIS Advances in Deirez-Zour.

(٢) مقال لفاليري شيبالا بتاريخ ٥ يناير ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب:

Syrian Rebels attack ISIS.

(٣) مقال بتاريخ ٢٦ يونيو ٢٠١٤ علىٰ موقع Niqash الإليكتروني بعنوان:

Mosul's child soldiers: volunteers for extremist group as young as 10.

تصميم الحملات السياسية

وتستطيع داعش أيضًا ترجمة الانتصارات العسكرية إلىٰ نجاحات سياسية من خلال حملة معلوماتية شرسة واستباقية. لقد كانت استراتيجية التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي لداعش معروفة بتفوقها بين التنظيمات الاحترافية، بحملات هاشتاج (hashtag) علىٰ تويتر لجذب جميع جماهير كأس العالم[1] علىٰ سبيل المثال، وسلسلة مجلة شاملة باللغة الإنجليزية لتصف حياة ما بعد الحرب داخل الخلافة الإسلامية[2]، ومن خلال الأنشطة المشتركة لمكاتب الإعلام المحلية التي توزع الكتيبات في العراق وسوريا بالإضافة إلىٰ استراتيجية عالمية للمعلومات الرقمية تشمل الطباعة والفيديو ووسائل التواصل الاجتماعي، كانت لدىٰ داعش القدرة علىٰ إذاعة حملة سياسية تضاعف من قدرتها الجدلية وجاذبيتها وامتدادها.

وداخل سوريا، يتم إيصال حملة الرسائل أيضًا من خلال اجتماعات تواصل ديني دعوي[3]، وقد صورت داعش نفسها باعتبارها بطلة سنة العراق عبر حركة الاحتجاج المضادة للحكومة التي سبقت الانتفاضة الحالية[4]، وهذه الحملة

---

(١) «داعش تستحدث جهاز الشرطة في «ولاية نينوىٰ» وتفتح باب التطوع»، مقال في موقع شفق نيوز الإليكتروني، بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠١٤.

(٢) مقال جينا ليفلر بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

Life Under ISIS in Mosul.

(٣) http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/iraq-crisis-exclusive-isis-jihadists-using-world-cup-and-premier-league-hashtags-to-promote-extremist-propaganda-on-twitter-9555167.html.

(٤) مقال بتاريخ ٣١ مايو ٢٠١٤، علىٰ مدونة Jihadology بعنوان:

al-Hayat Media Center presents a new issue of the Islamic Iraq and al-Sham's newsletter: 'Islamic State News #1'.

ومقال بتاريخ ٣ يونيو ٢٠١٤، علىٰ مدونة *Jihadology* بعنوان: =

السياسية تعد استراتيجية أكثر من كونها انتهازية؛ فإن توقيت إعلان الخلافة الإسلامية بالتزامن مع حملة عسكرية دقيقة التوقيت يظهر التناغم بين التصميمين السياسي والعسكري.

= *al-Hayat Media Center presents a new issue of the Islamic Iraq and al-Sham's magazine: 'Islamic State Report #1'.*

إحكامُ السيطرةِ على المراكزِ العمرانيَّةِ الكُبرى

لقد أبدت داعش مع مرور الوقت قدرة علىٰ إحكام السيطرة علىٰ المراكز العمرانية في محافظتي الرقة وحلب في سوريا، وتشمل الطرق التي وظفتها داعش في إقامة، وإحكام هذه السيطرة إقامة قوة شرطة دينية محلية وقانون الشريعة والمدارس الإسلامية ومشروعات إعادة إعمار وتوزيع للأغذية(١). كما بدأت داعش أيضًا في إدارة بعض هذه الوظائف في العراق، وكان من أحدثها إقامة قوة شرطة داخل الموصل(٢)، وتتسم أغلب طرقهم بالإكراه لكن داعش قامت مؤخرًا بتنفيذ استراتيجية سيطرة عمرانية مرحلية تشتمل علىٰ إزاحة الكتلة العمرانية لكي تقيم السيطرة من خلال انتقاء السكان بفاعلية(٣).

وقد أظهرت الخلافة الإسلامية ذلك مؤخرًا في دير الزور بسوريا، لكن التقارير الأولية بعد سقوط الموصل تشير أيضًا إلىٰ أن المدنيين قد سمح لهم بالجلاء عن المدينة(٤)، ويتم تعزيز السيطرة الاجتماعية لداعش داخل المراكز العمرانية التي تكوّن الآن الخلافة الإسلامية، يتم تعزيزها من خلال هجرة المقاتلين والمتخصصين

---

(١) لوحظ أول دليل علىٰ أنشطة داعش الدعوية في سوريا في تغطية لأخبار حلب لدورة ألعاب رمضانية نظمتها داعش في حلب في يوليو ٢٠١٣. ينظر: *Halab News Photo Gallery* بتاريخ ٣ أغسطس ٢٠١٣، ومن الأمثلة الشهيرة الأخرىٰ علىٰ أنشطة التواصل الدعوي لداعش مقطع فيديو نشر علىٰ حسابات تويتر مؤيدة لداعش بتاريخ ٢٨ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: *ISIS Explained in English.*

(٢) مقال لأحمد علي بتاريخ ٢٨ أكتوبر ٢٠١٣ في مدونة **معهد دراسة الحرب** بعنوان:
Al-Qaeda in Iraq and the Iraqi Anti-Government Protest Movement.

(٣) تقرير لتشارلز كاريس وسام رينولدز يصدر عن **معهد دراسة الحرب**، بعنوان:
ISIS Governance in Syria.

(٤) مقال جينا ليفلر بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠١٤ في مدونة **معهد دراسة الحرب** بعنوان:
Life Under ISIS in Mosul.

والعائلات للاستيطان، والذين تعمل داعش بنشاط علىٰ تجنيدهم[1]، ويقلل قيام داعش بتجنيد السكان المهاجرين من مطلب قيامها بالسيطرة علىٰ السكان الأصليين، وتعتمد سيطرة داعش علىٰ المراكز العمرانية أيضًا علىٰ قدرتها علىٰ المحافظة علىٰ الأنظمة العمرانية جارية، الأمر الذي يعزز من خلال الاستحواذ علىٰ نسق عريض من المهارات الفنية من خلال الهجرة أو الإكراه.

(١) مقال لجيني كافاريلا بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٤ في مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:
Resistance emerges as ISIS consolidates in Deirez-Zour.

المتطلبات الحيوية

تصف المتطلبات الحيوية الظروف والموارد والوسائل الضرورية للعدو[١]، فلأجل أن تنجح في حملتها العسكرية في العراق، تحتاج داعش إلىٰ نجاح عسكري متواصل وتحالفات ودعم للخدمات المقاتلة وسلطة دينية، وسيؤدي حرمان أي من هذه المتطلبات الحيوية إلىٰ تعطيل قدرة داعش علىٰ التقدم في استراتيجيتها السياسية-العسكرية الحالية.

---

(١) خبر علىٰ فوكس نيوز بتاريخ ١١ يونيو ٢٠١٤ بعنوان:

500,000 Iraqi civilians flee Mosul fighting, migration group says.

وعرض صور من سي إن إن بتاريخ ١١ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: *Iraqi civilians flee Mosul*.

أرجحيَّةُ الانتصارِ

تعتمد داعش علىٰ الانتصار العسكري المستمر، فمن خلال الربط بين إعلان الخلافة الإسلامية والانتصارات العسكرية، وبوصف السيطرة علىٰ الأراضي بأنها مقدمة ضرورية لإقامة السلطة السياسية والدينية، فقد أظهرت داعش اعتمادًا علىٰ شرط النجاح العسكري المستمر. يجب علىٰ داعش أن تستمر في تحقيق الانتصارات العسكرية لكي تظل محافظة علىٰ شرعيتها، ويجب أن تكون داعش قادرة علىٰ الدفاع عن الأراضي داخل الخلافة الإسلامية كما هو شأن أي دولة حديثة، وإلا فهي معرضة لجدل مضاد بأن سيطرتها غير كافية لتدعيم أهدافها السياسية، كما يجب علىٰ داعش أن تستمر في التوسع وتكوين مناطق عزل يمكنها أن تتوافق مع أمن الدول المجاورة، وإلا فستقوم الدول الحديثة بحمل الجيوش والتحالفات لتحدي شرعية الخلافة الإسلامية وحقها في السيطرة علىٰ الأرض.

وبالإعلان عن الخلافة الإسلامية كوجود مادي، يتوجب علىٰ داعش تطوير طريقة للإدارة السياسية والدفاع عن هذه الأرض، وهذا يجعل داعش أكثر قابلية للانكسار من وجهة نظر استراتيجية، وفي الوقت نفسه، يقوي ذلك من السيطرة المجتمعية، حيث إن المدنيين المقيمين داخل المدن التي تسيطر عليها داعش الآن يُثنَون عن محاولة القيام بحركات مقاومة.

إنَّ داعش تحتاج إلىٰ تأثير القطيع الناتج عن الانتصار[١] إضافة إلىٰ تأثيره الرادع؛ لكي تحافظ علىٰ حملتها العسكرية وتدافع عن الخلافة الإسلامية. كان مسؤول بعثي

(١) ١١ يوليو ٢٠١٤:

Canadian fighter urges Muslims to travel to Syria in posthumous IS video, SITE Intelligence Group.

كبير من الحاضرين للقاء مع قيادات القبائل السنية والسلفيين في الأردن في ١٦ يوليو ٢٠١٤ قد سلَّط الضوء علىٰ التحالف السلبي مع داعش الذي ينبع من انتصارها العسكري: «الدولة الإسلامية تحارب الآن وقد حققت انتصارات وساعدت ثوريين علىٰ تحقيق أهدافهم . . . نحن تقريبًا في تناغم معهم من ناحية تحقيق أهدافنا»[١].

---

(١) دراسة لجو سترينج وريتشارد أيرون بعنوان:

Understanding Centers of Gravity and Critical Vulnerabilities.

التحالفاتُ

في العراق، تحارب داعش جنبًا إلىٰ جنب مع حلفاء محليين يشملون متمردين سنة وبعثيين، وقد استفادت داعش من هذه التحالفات في التغلب علىٰ قوات الأمن العراقية وإقامة منطقة خالية من قوات الأمن التابعة للدولة. ستحتاج داعش إلىٰ التعاون المستمر من هذه المجموعات لكي تحافظ علىٰ السيطرة، ولا يبدو واضحًا ما إذا كان القوميون السنة والميليشيات القبلية في العراق سيتحملون داعش علىٰ المدىٰ الطويل؛ أو سيحاولون انتزاع السيطرة منها في أعقاب تقدمها العسكري[١].

فبالنظر إلىٰ تاريخ الحشد لقبائل العراق السنية في حركة الصحوة ضد تنظيم القاعدة في العراق، قد تتعارض بعض الأهداف الأيديولوجية والقومية لبعض الجماعات مع السيطرة المجتمعية طويلة الأمد لداعش، وقد تحصنت داعش ضد مثل هذه النتائج من خلال حملة اغتيالات استباقية استهدفت أعضاء الصحوة والقادة المؤثرين الذين قد يشجعون علىٰ المقاومة.

لكن الدور الذي يمكن أن تلعبه القيادة البعثية في الحرب الآخذة في التجلي في العراق ما زال محل تساؤل. في يوم ١٣ يوليو ٢٠١٤، هنأ عزت الدوري، نائب سابق لصدام حسين، هنأ داعش علىٰ انتزاع السيطرة علىٰ المناطق العراقية السنية من حكومة المالكي وغض الطرف عن الحملة الموجهة لتحرير بغداد[٢]. وبلغة مشابهة، وصف الدعاة السلفيون العراقيون وقادة القبائل المشهورون الذين التقوا في الأردن في ١٦ يوليو ٢٠١٤، قضيتهم بأنها قضية لا تهدف إلىٰ مقاومة داعش، ولكنها قضية

---

(١) ستيفن والت *The Origins of Alliances*، من إصدار مؤسسة *Cornell University Press, 1987.*

(٢) مقال للوك هاردينجوفازلهارماوي في صحيفة الجارديان بعنوان:
New militant group replacing ISIS in Mosul, says city governor.

تهدف إلىٰ الإطاحة بالحكومة الشيعية من العراق نهائيًا[1]، وتقلل هذه الأحداث من أرجحية تكوين المعارضة العراقية السنية لقوة مقاومة مضادة لداعش. أما في سوريا، فلا تتمتع داعش بوجود حليف في المعارضة السنية. لذا؛ فإنَّ التحالفات المحلية تعد مطلبًا حيويًا لداعش في السياق العراقي الضيق فقط وربما لفترة قصيرة فقط.

---

(١) مقال خلفية تعريفية لجيسيكا لويس بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠١٣ معهد دارسة الحرب بعنوان:
AQI's 'Soldiers' Harvest Campaign.
مقال بعنوان «داعش يعتقل ٣٠ ضابطًا كبيرًا بالجيش السابق في الموصل» علىٰ موقع المدىٰ بريس، ١٠ يوليو ٢٠١٤.

دعمُ الخدماتِ المقاتلةِ

تتحول داعش من السيطرة العسكرية إلىٰ السياسية داخل فضاء مادي محدود، وعبر هذا التحول، تعتمد داعش علىٰ الكيانات العسكرية للمحافظة علىٰ جهدها العسكري الهجومي والدفاعي، وتتطلب هذه الكيانات الدعم القتالي مثل الاستخبارات والهندسة والإشارات؛ إضافة إلىٰ دعم الخدمات المقاتلة بما في ذلك اللوجيستيات والإمدادات والموارد البشرية والتمويل. من الممكن دراسة أي المهام التكتيكية والعملياتية تستطيع داعش أداءها من ناحية وظائفها العسكرية والحكومية والتنموية والتواصلية، وكذلك فهم أي وظائف الدعم تحتاج إليها داعش؛ لكي تحافظ علىٰ مجهوداتها المختلفة.

إنَّ العمق الاستراتيجي والعملياتي لداعش لا يوازي عمق كياناتها الداعمة، وهذه المتطلبات الحيوية ليست معرضة بشكل خاص للإخلال بسبب عمقها. غير أن التواجد العملياتي لداعش في العراق وسوريا يتطلب خطوط اتصالات داخلية وخارجية لتسهيل توزيع الموارد والقوىٰ البشرية والمعلومات والتمويل علىٰ امتداد كامل الاتساع لمناطق العمليات والدعم التابعة لها، وتعد مواطن الاتصال المادية هذه معرضة للإخلال في عدة نقاط رئيسة، خاصة حيث لا تزال داعش بحاجة إلىٰ إكمال قوس سيطرتها الخارجي علىٰ قلب الأرض السنية. الشريان الأكثر أهمية للاتصالات الداخلية في منطقة عمليات داعش في العراق هو طريق سمته القوات الأمريكية بطريق فينيكس، والذي يمتد عبر صحراء الجزيرة من البيجي إلىٰ حديثة، وتعد البيجي رقعة أرض هامة لداعش ليس فقط بسبب مصفاة النفط فيها ولكن أيضًا بسبب تشكيلها لتقاطع الطرق الذي تستطيع داعش من خلاله القيام بعمليات النقل الخاصة بها عبر العراق.

السُّلطةُ الدينيَّةُ

تحتاج داعش إلىٰ السلطة الدينية؛ لكي تحافظ علىٰ قلب طبيعة الخلافة الإسلامية، إنَّ الأيديولوجيا لا تمثل مركز جاذبية لداعش، وكذلك لا تمثل قدرة حيوية؛ لأن داعش تستطيع مواصلة العمل علىٰ العناصر العملية من استراتيجيتها الكبرىٰ حتىٰ في حالة كون جدالها أو قبولها الدينيين في حالة ضعف، وتملك داعش الوسائل لإقامة السيطرة المادية علىٰ الأرض وتفعيل السيطرة المجتمعية القهرية بقطع النظر عن كون أعمالها ترىٰ مبررة دينيًا أم لا. غير أن الأسلوب الذي اختارت داعش به تحقيق السيطرة المجتمعية هو من خلال التلقين الديني، وتقوم داعش بغرس اتصالها الديني من خلال التواصل الدعوي والتعليم الديني وحملة رسائل استراتيجية استباقية[1].

دون وجود الدين، تكون داعش مجرد نظام حكم آخر، كما تحتاج داعش إلىٰ السلطة الدينية أيضًا لتفعيل الظروف للدولة الدينية التي تهدف إلىٰ إنشائها والمحافظة عليها، ففي الرقة، توقف داعش قوة شرطة الحسبة الدينية بتفويض محدد يهدف إلىٰ دعم هذه المعايير وتأييد هذه السيطرة المجتمعية، كما تحتاج داعش أيضًا إلىٰ السلطة الدينية لكي تأسر الحركة الجهادية العالمية، الأمر الذي يعد مطلبًا حيويًا للخلافة الإسلامية لتتصل بالأمة في أعقاب الفتنة التي حدثت بين داعش وجبهة النصرة وأمير القاعدة أيمن الظواهري. لا تستطيع داعش شرعنة دولتها الدينية بالاتصال مع الأمة دون دعوىٰ السلطة الدينية. وبهذه الطريقة يلعب الدين دورًا عمليًا في تسهيل الإدارة السياسية لداعش.

---

(١) مقال لتيم أرانجو بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠١٤ في صحيفة **النيويورك تايمز** بعنوان:

Uneasy Alliance gives insurgents an edge in Iraq.

ومقال بتاريخ ١٣ يوليو ٢٠١٤ علىٰ الموقع الإنجليزي لشبكة **أخبار العربية** بعنوان:

Saddam's Deputy: Baghdad will soon be liberated.

نقاطُ الضعفِ الحيويَّةُ

تصف نقاط الضعف الحيوية المتطلبات الحيوية للعدو التي تعاني من النقص أو الانكشاف، أو المؤثرات الخارجية التي تؤدي بطبيعتها إلىٰ إضعاف العدو[1]، وتنبعث نقاط الضعف الحيوية لداعش من قوتها المؤسسة بالفعل. كما أن مجال عملياتها وتباين قياداتها وعمق مؤسساتها تولد نقاط ضعف أيضًا. كما تواجه داعش أيضًا نقاط ضعف ستنتاب أهدافها المستقبلية في حالة عدم قدرتها علىٰ الارتقاء إلىٰ مستوىٰ الصدىٰ العالمي الذي تسعىٰ إلىٰ إحداثه، وسيؤدي استغلال أي من نقاط الضعف الحيوية هذه إلىٰ تعطيل قدرة داعش علىٰ التقدم في استراتيجيتها السياسية-العسكرية الحالية.

---

(١) مقال لسليمان الخالدي بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠١٤ علىٰ روترز بعنوان:

Iraqi Sunni Insurgency Seeks End to Shiite Political Domination.

المجالُ

داعش معرضة لفرط التمدد، الأمر الذي ينتج عن المطلب الحيوي لدعم حملة عسكرية موسعة علىٰ جبهات متعددة، وداعش أقل تعرضًا للخطر من خصومها المحليين، مثل قوات الأمن العراقية، وهذا التفوق النسبي قد سمح لداعش بشن هجمات متزامنة علىٰ عدة جبهات لتفريق القوات المضادة والحد من قدرتها علىٰ تركيز هجوم مضاد. غير أن داعش معرضة للخطر في موقعها المنظم نفسه، فلداعش قوات برية متمركزة بالقرب من الحدود الإيرانية في شمال ديالىٰ إلىٰ الرطبة وشرقي محافظة حمص في سوريا.

إنَّ حيز تواجد داعش المادي واسع، وهي معرضة للخطر حيث لا تستطيع أن تحافظ علىٰ خطوط اتصال داخلية متينة، إضافة إلىٰ ذلك، وبينما يتم شن هجمات مضادة عليها، ستتعرض داعش لتكبد نقاط ضعف جغرافية في بعض المواقع العسكرية إذا قامت بإعادة توزيع قواتها لتدعيم القوات الملتحمة، وتشير التقارير المبكرة منذ ١٩ يوليو ٢٠١٤ إلىٰ أن داعش قامت بتدعيم المعركة ضد قوات الأمن العراقية في تكريت عن طريق سحب قوات من الموصل[١]، وقد تستغل الجماعات الأخرىٰ مثل جيش رجال الطريقة النقشبندية نقطة الضعف هذه من خلال الاستيلاء علىٰ الأراضي العمرانية المتروكة دون حراسة كافية من داعش، وقد تتخذ داعش من جانبها خطوات لضم جماعات أخرىٰ وتسريع إجراءات توليد القوة لديها؛ لكي تقلل من خطر نقطة الضعف هذه، ويمكن لقدرة داعش علىٰ تمويل التوسع السريع أن تحسن من هذا الظرف وكذلك يمكن أن تسبب تفاقم مشاكله.

---

(١) مقال تشارلز كاريس بتاريخ ٣٠ يونيو ٢٠١٤ علىٰ مدونة **معهد دراسات الحرب**، بعنوان:

The Islamic State Announces a Caliphate.

انشقاقاتُ القيادةِ

استطاعت داعش أن تعيد تكوين عدة أجيال من القادة الذين كانوا يبنون القوة والأعداد داخل السجون، تخلق عملية إعادة تجميع القادة والمقاتلين المنتمين إلىٰ العهود السابقة عامل مضاعفة قوة لداعش والذي يولد بدوره نقطة ضعف حيوية في الوقت نفسه، ولداعش مؤسسات عسكرية متينة ويمكن أن تنفذ حملات عسكرية معقدة لمزامنة التأثيرات عبر جبهات متعددة؛ لكن داعش غير متجانسة أيضًا، وتتسم بتباينات شديدة بين الخبرات المتشارَكة بين طبقات أعضائها؛ وعبر حملة كبيرة مثل هذه، تعد داعش معرضة لخطر انشقاقات القيادات نتيجة لذلك. ومع ذلك، فقد أظهرت داعش بالفعل التركيبة الناجحة من أساليب متنوعة من الحرب، والتي تتراوح ما بين الإرهاب إلىٰ حرب العصابات والهجمات بالأسلحة المتنوعة والمناورات التقليدية.

إن القدرة علىٰ تنفيذ أسلوب الحرب المهجنة تعد قدرة مثبتة لداعش تستطيع أن تتغلب بشكل عملي علىٰ نقطة ضعفها المتعلقة بانشقاقات القيادة، وتوفر هذه القدرة علىٰ تنفيذ أساليب متنوعة لداعش سلسلة من الأدوات والحلول التي يمكن بها هزيمة الاستراتيجيات المضادة المتناغمة، خاصة لإعادة إحكام السيطرة علىٰ الموصل والرقة.

انتكاسُ التحالفاتِ

من المرجح أنَّه سيأتي الوقت الذي يريد فيه القوميون السنة العراقيون مواجهة داعش في أرض المعركة. داعش مؤدلجة ومتوحشة والناس لا يحبونها بصفة عامة، ولا يزال احتمال حدوث هجوم سني مضاد ضد داعش احتمالًا حديثًا وقويًا، بالنظر إلىٰ الضغط الفعال من المعارضة السورية وجبهة النصرة لدفع داعش عن إدلب وحلب في يناير ٢٠١٤، وبينما تعمل داعش علىٰ تثبيت قوتها، فهي معرضة للخطر من مثل هذا النوع من الإخلال في مساحتها الخلفية خاصة ما بين الرقة والموصل حيث لا تزال هناك بعض المكونات السكانية الراغبة في المقاومة، غير أنَّ هذه القوات تظهر وبشكل سريع السلوك المقابل. القبائل في محافظة دير الزور في سوريا تستسلم لشروط داعش بسبب رؤيتها لتفوق داعش العسكري. إذا لم يستطع السكان المحليون شن مقاومة مضادة علىٰ داعش فعلىٰ الأرجح أن أولئك الآخرين لن يفعلوا ذلك. إن عدم قدرتهم علىٰ الفوز في المعركة ضد داعش قد تسبب ألا يتحقق أبدًا ذلك النقص في جاذبية داعش الأيديولوجية كنقطة ضعف حيوية، غير أنه كانت هناك تقارير عدة في شرق العراق حول تصادم متمردين سنة، علىٰ الأرجح جيش رجال الطريقة النقشبندية مع داعش[1].

عوضًا عن ذلك، يرجح أن تتوسع التحالفات العاملة والسلبية بينما تعمل داعش علىٰ تعزيز قوتها الذاتية أكثر. إن داعش معرضة لخطر انتكاس التحالفات لكن من المحتمل أن يكون ذلك لفترة قصيرة من الوقت بينما تكون سيطرتها علىٰ المدن جديدة حديثة بعد.

---

(١) دراسة لجو سترينج وريتشارد أيرون بعنوان:

Understanding Centers of Gravity and Critical Vulnerabilities.

البيروقراطيَّةُ

من المرجح أنَّ الانتقال من وضع شبكة إرهابية إلىٰ وضع مؤسسة عسكرية قد فرض قيودًا علىٰ داعش، وتطوير المؤسسات يعني أيضًا تطوير البيروقراطية، بما في ذلك التنميط الإجرائي وتأسيس العمليات وتدفقات الأعمال المتكررة. إنَّ ممارسات العمل هذه صعبة التقدم وهي تزيد من آثار خطوات مؤسسات داعش العسكرية والحكومية وتجعلها أكثر ظهورًا أمام قوات العدو، كما أن البيروقراطية تسرع من انشقاقات القيادة. وتزداد نقاط الضعف هذه توسعًا مع قيام الآلة العسكرية لداعش بوضع قواعد للتواصل مع المؤسسات السياسية والدينية التي تمارس الحكم والسيطرة المجتمعية داخل الخلافة الإسلامية، فنفس الممارسات والأدوات التي لا بد أن تؤدي إلىٰ لـم شمل داعش علىٰ مستوىٰ الاستراتيجية الكبرىٰ تزيد أيضًا من تعرضها المادي لخطر الاستهداف من قبل العدو.

من المرجح أنَّ داعش متمرسة في حفظ الأمن العملياتي وذلك من خلال خبرتها الحربية مع تنظيم القاعدة في العراق ضد قوات التحالف؛ لكن، بمجرد أن يصبح تنظيم ما في كبر داعش الآن يصبح أيضًا أكثر ظهورًا وأكثر ثباتًا وأكثر تصلبًا في عملياته المتكررة. إنَّ البيروقراطية والعُرف يحتجزان داعش في حرب موضعية تجعلها أكثر تعرضًا للخطر بشكل لـم يتعرض له تنظيم القاعدة في العراق من قبل أبدًا.

الأصواتُ الدينيَّةُ المنافسةُ

يجب علىٰ داعش أيضًا أن تنافس داخل مجموعات نجوم السلفية من الفاعلين الصوتيين؛ لكي تشرعن الخلافة الإسلامية علىٰ مستوىٰ ديني، ويعد الرفض الأخير لخلافة داعش من قبل أبي محمد المقدسي، المرشد الديني السابق لأمير تنظيم القاعدة في العراق أبي مصعب الزرقاوي، يعد مثالًا علىٰ هذا النوع من نقاط الضعف الدينية لداعش[1]، كما خرجت جماعات أخرىٰ تابعة للقاعدة مثل القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بتصريحات مضادة لخلافة داعش، مشيرة إلىٰ كلام المقدسي كمرجع وداعيةً العلماء الإسلاميين إلىٰ إيصال رسالة متماسكة[2].

وقد ولَّد الصراع طويل الأجل بين جبهة النصرة وداعش في سوريا شقًّا، وبالتالي نقطة ضعف لمجتمع الجهاد العالمي بأسره. وعلىٰ الرغم من أنَّ داعش قد تكسب الأرض نسبة إلىٰ الجماعات الأخرىٰ، بسبب انتصاراتها الملموسة، فلا تزال داعش عضوًا في ذلك المجتمع، وتضعف القدرة علىٰ التأثير علىٰ الحركة الأكبر بسبب عدم

---

(١) مقال للوك هاردينجوفازلهارماوي في صحيفة الجارديان بعنوان:

New militant group replacing ISIS in Mosul, says city governor.

أقرت داعش بحدوث مقاومة علىٰ امتداد سلسلة تلال حمرين من قبل جماعات سنية أخرىٰ وذلك من خلال قيامها بإصدار أمر في ٢٥ يوليو ٢٠١٤ إلىٰ جيش رجال الطريقة النقشبندية وجيش الإسلام وأنصار السنة وألوية المجاهدين والجيش الإسلامي بإعلان الولاء لداعش خلال ٤٨ ساعة.

(٢) *Jihadi Ideologue Abu Muhammad al-Maqdisi Rallies Against IS' Caliphate* من إصدار *SITE Intelligence Group* ١٤ يوليو ٢٠١٤. ومقال من نشر *SITE Intelligence Group* بعنوان: *AQIM Rejects IS' declared caliphate, calls iihadist leaders to rectify issues* ١٤ يوليو ٢٠١٤، وهذا المقال يلخص ويترجم رسالة نشرها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي عبر مؤسسة الأندلس الإعلامية التابعة له.

وجود الإجماع بين العلماء الإسلاميين وقادة القاعدة لصالح داعش.

وقد تعمل داعش لأجل التغلب علىٰ نقطة الضعف هذه من خلال إقناع قادة القاعدة بتبني نظامها، والذي يمكن لداعش أن تزعم تحقيقه لنتائج ملموسة، غير أنه ودون الحصول علىٰ موافقتهم، تظل داعش معرضة للمنافسة الداخلية.

العسكرياتُ الإقليميَّةُ المنافسةُ

لقد أثار أداء قوات الأمن التابعة للدولة في كل من العراق وسوريا أمام داعش التساؤل حول ما إذا كانت جيوش دول الشرق الأوسط الأخرىٰ قادرة علىٰ الدفاع عن سيادتها علىٰ الأرض، فمن المرجح أنَّ الأردن ولبنان ستتعرضان لهجمات من قِبل داعش ستختبر قدراتهما الدفاعية، كما أنَّ لعبة النهاية المعلن عنها من قبل داعش تتعلق بالسيطرة علىٰ الأراضي المقدسة في المملكة العربية السعودية أيضًا.

إنَّه من المهم أن يتم تقدير الموضع الذي ستواجه فيه داعش تفوقًا عسكريًّا من قوات أخرىٰ لتقدير الطرق التي تكون من خلالها استراتيجيتها العسكرية دقيقة التسلسل معرضة للاستباق.

إنَّ وجود قوىٰ عسكرية إقليمية جبارة مثل إيران وتركيا ودول مجلس التعاون الخليجي يعد نقطة ضعف استراتيجية في محاولة داعش تحقيق استراتيجيتها الكبرىٰ التي تبدأ بالغزو العسكري. ستحتاج داعش إلىٰ الدفاع عن الأراضي التي استحوذت عليها من هذه الدول إذا ما قررت التدخل ضدها في العراق وسوريا.

كما أنَّ داعش ستحتاج أيضًا إلىٰ صياغة استراتيجية للمزيد من التوسع تضعف من القدرات العسكرية لهذه الدول، أو تبقيها بعيدًا عنها في مناطق عازلة تستفيد من أولويات تختلف عن التماسك الحدودي الذي ستسعىٰ هذه الدول إلىٰ المحافظة عليه بنشاط أكبر.

مراكزُ الجاذبيَّةِ

«ومن خلال هذه المواصفات يتكون مركز جاذبية معين، محور كل القوة والحركة، والذي عليه يعتمد كل شيء، وتلك هي النقطة التي ينبغي أن توجه نحوها كل طاقاتنا».

ألمح كلاوسفيتز إلىٰ استراتيجية لاستهداف مركز جاذبية العدو بأقصىٰ قوة كوسيلة لتحقيق النصر الحاسم، وقد جادل الكثير من العلماء منذ ذلك الحين عن أن مراكز الجاذبية لا يلزم أن تكون شيئًا صلبًا معينًا، وهو الأمر الذي يعقد صياغة استراتيجيات عسكرية مضادة غير متناظرة لتركيز القوة وتدمير هذه المراكز. في حالة داعش، هناك عدة مراكز جاذبية، الأمر الذي يخلق تحديًا وفرصة في الوقت نفسه لواضع الاستراتيجية المضادة، ويكمن التحدي في أن الجهود السياسية والعسكرية لا يمكن أن تنفذ بأقصىٰ تأثير علىٰ مركزي جاذبية في الوقت نفسه وتظل ملتزمة بقاعدة تركيز القوة علىٰ استهداف مركز جاذبية العدو.

وتبرز الفرصة من الحاجة الأساسية لعدو ذي مركزي جاذبية أن يحافظ علىٰ التآزر بين هذين القطبين، إذا كان قطبًا جاذبية يحافظان علىٰ استقرار النظام الكبير للعدو من الداخل، ويفقد هذان القطبان محاذاتهما التامة؛ فإنَّ نقطة ضعف استراتيجية كبرىٰ تطفو علىٰ السطح، وفي حين أنَّ نقطة الضعف لا تدمر التنظيم إلا أنَّها تسبب انفجار نقاط ضعف متتالية، وتسريع هذا التأثير يُعدُّ هدفًا استراتيجيًا محتملًا لاستراتيجية مضادة مدفوعة بمراكز جاذبية داعش. لداعش مركزا جاذبية معتمدان علىٰ القدرات؛ قدرة عسكرية علىٰ تدمير الدول الحديثة؛ وقدرة سياسية علىٰ السيطرة علىٰ الخلافة الإسلامية، وتستقر رؤية داعش السياسية علىٰ امتزاج المركزين. القوة الأساسية لداعش هي في قدرتها علىٰ تحقيق وظيفتي الحرب وإدارة الدولة، وقد يكون من الممكن إزالة الاقتران بين مركزي الجاذبية هذين كوسيلة لإضعاف تماسك استراتيجية داعش الكبرىٰ.

العسكريَّةُ

تُعدُّ قوة داعش العسكرية مركز جاذبية تقليديًّا! إنَّها مؤسسة مكونة من عدة طبقات ذات قدرات تكتيكية وعملياتية واستراتيجية وتقع تحت قيادة متمرسة، ولا ترقىٰ الحملة العسكرية لداعش إلىٰ روعة قيادتها العسكرية. لقد كانت الاستراتيجية العسكرية لداعش في العراق وتماسك حملتها أكثر تعقيدًا وأكثر نجاحًا من أي قوة تصادمت داعش معها، وتمتد هذه القدرة الاستراتيجية الآن إلىٰ سوريا أيضًا، وليس أقوىٰ دلالة علىٰ ذلك من الهجوم لانتزاع السيطرة علىٰ الأراضي العمرانية وحقول النفط في محافظة دير الزور.

الإدارة الحربية وتماسك الحملة متعددة الجبهات لداعش تولد قوة للخلافة الإسلامية وتفوقًا نسبيًّا علىٰ القوات العسكرية الأخرىٰ التي اشتبكت معها حتىٰ الآن في ساحات القتال، والقوة العسكرية نفسها، باعتبارها واحدة من عدة قوىٰ ممارَسة، هي مركز جاذبية، وقد وضعت القوة العسكرية للخلافة الإسلامية الظروف في كل من العراق وسوريا لكي تضمن أن الانتصارات ستستمر في تدعيم الأهداف السياسية.

السيطرةُ السياسيَّةُ

تستمد داعش القوة من مركز جاذبية آخر، مركز جاذبية ينبني علىٰ الإدارة السياسية للخلافة الإسلامية. إنَّ الخلافة الإسلامية المعلنة من قبل داعش ليست مجرد فكرة؛ إنَّها كيان سياسي ديني يقبع علىٰ قمة مدن كبرىٰ ويدير إطار عمل يحكم مجتمعًا عمرانيًّا دينيًّا، الخلافة الإسلامية مجسدة في الخليفة إبراهيم، أبو بكر البغدادي، لكن الدولة الإسلامية التي صنعتها داعش هي كيان سياسي مكون مما هو أكثر من ذلك. الدولة الإسلامية عاملة بالفعل، وفيها مؤسسات عاملة وحكومة وقوانين ومنفذون ومواطنون[١].

إنَّها تولد القوة من داعش أكثر من كونها تستمدها منها، الدولة تنتج نوعًا مختلفًا من الطاقة عن ذلك الذي تنتجه عسكرية داعش، الدولة تعد بالحياة بعد الحرب والحكم الصحيح. إنَّ تقدير قدرة داعش علىٰ الحكم يستنتج بشكل أساسي من رسائل داعش عن الحياة في حلب والرقة، والتي تعد منفصلة عن الواقع وبالتالي عرضة للرسائل المضادة. غير أنَّ داعش تسيطر علىٰ مدن كبرىٰ، وهذا الواقع مستمر منذ أشهر الآن، وأراضيها متجاورة، والسكان المقيمون بداخلها يرتادون المساجد. هذه الدولة ليست فقط مكانًا يأتي إليه الشهداء ليموتوا، داعش تشكل صورة جديدة من الإدارة السياسية الدينية، ونظام داعش للسيطرة السياسية هو مركز الجاذبية الثاني.

---

(١) *ISIS Governance in Syria*

تقرير لتشارلز كاريس وسام رينولدز يصدر عن معهد دراسة الحرب؛ ومقال علىٰ شفق نيوز بعنوان: «مصدر: سكان يرفضون التجارة مع داعش في الموصل»، ٢٨ يوليو ٢٠١٤.

الفُرصُ الحيويَّةُ

الحربُ الأهليَّةُ الطائفيَّةُ

لقد كيَّفت داعش استراتيجيتها السياسية والعسكرية مع الأحداث المتغيرة في العراق وسوريا، وحيث لم تكن الظروف مهيأة لتقدمها، أظهرت داعش قدرة على ضبط استراتيجيتها؛ لتسريع أو حث الظروف المناسبة، وقد ثبتت صحة ذلك في العراق، حيث استهدفت داعش المدنيين الشيعة في بغداد بشراسة على مدار أكثر من عام[(١)]؛ لكي تسرع رد فعل طائفيًّا من قبل قوات الأمن العراقية، خاصة ضد حركة الاحتجاجات المعارضة للحكومة والتي اندلعت ضد رئيس الوزراء المالكي في ديسمبر ٢٠١٢[(٢)].

وقد وفرت حركة الاحتجاجات لداعش مزيدًا من الفرص لتعمل على مفاقمة الانقسام الطائفي في العراق والذي قامت باستغلاله. توفر الحروب الأهلية الطائفية لداعش فرصة منقطعة النظير للسعي وراء الحكم والسيطرة، حيث لا يريد النظام أو المعارضة تكتيل القوات، وتعد حالة الحرب الطائفية أو الأهلية في سوريا والآن في العراق ميزة خارجية المنشأ لداعش، لكنها ميزة قامت داعش باستهدافها استراتيجيًا أيضًا. من المهم أن يتم تقدير أي الفرص الحيوية الأخرى يمكن أن تعطي لداعش ميزات جديدة؛ فإنَّه من المرجح أن داعش تستحث مثل هذه الفرص إذا لم تحدث هي بشكل طبيعي.

---

(١) تقريرا جيسيكا لويس بتاريخ سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٣، **معهد دراسة الحرب** بعنوان:

Al-Qaeda in Iraq Resurgent Parts I & II.

(٢) مقال لسام واير وماريسا سوليفان بتاريخ ٣ يناير ٢٠١٣ **مدونة معهد دراسة الحرب** بعنوان:

Protests Heighten the Political Crisis.

ومقال لكيلي إدواردز بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠١٣ **مدونة معهد دراسة الحرب** بعنوان:

Prison Break and Violence Levels demand Maliki security response.

الاستقلالُ الكرديُّ

ومن الفرص الإضافية التي يمكن لداعش أن تستغلها مشهد كردستان عراق مستقلة وشيك. إنَّ كردستان مستقلة تسعىٰ إلىٰ الحكم الذاتي بينما خلافة داعش باقية تعد ذات فرصة ضعيفة للسعي وراء استراتيجية عسكرية مشتركة مع حكومة العراق وفاعلين خارجيين، مثل الولايات المتحدة، والذين يظلون عازمين علىٰ الإبقاء علىٰ العراق موحدًا، ووجود كردستان مستقلة سينقض هذا العزم ويُعَقّد الدعم العسكري المفترض عن طريق الإخلال بالتعاون الوثيق بين الولايات المتحدة وحكومة العراق الفيدرالية والحلفاء، ومن المحتمل أن يحارب البشمرقة الأكراد، لكن من المرجح أنهم سيفعلون ذلك وحدهم بدلًا من فعل ذلك بالتنسيق مع شركاء.

إضافة إلىٰ ذلك؛ فإنَّ كردستان مستقلة ستقوي الحدود المشتركة مع الخلافة الإسلامية. وقد تهاجم داعش القوات الكردية أو تلتحم مع مصالح كردية بطريقة تسرع من سعي الحكومة الإقليمية الكردستانية العراقية نحو الاستقلال لتحقيق ذلك الظرف.

وبشكل مشابه، فمن الممكن أن تستطيع داعش تدعيم جناحها الغربي ضد نظام الأسد من خلال الهجوم بطريقة تدفع الأسد إلىٰ تكوين حدود بحكم الأمر الواقع مع داعش. في ١٧ يوليو ٢٠١٤، هاجمت داعش حقل غاز شرقي محافظة حمص، منتزعة السيطرة علىٰ منشأة كانت تخضع لسيطرة النظام[١]، ربما تكون داعش قد فعلت ذلك لكي تدعم منطقة عازلة ضد نظام الأسد، وقد يؤدي استثمار النظام السوري موارده العسكرية علىٰ جبهة داعش إلىٰ زيادة تمدد قدرة النظام علىٰ تفعيل القوة في أماكن أخرىٰ، وقد يؤدي ذلك بالتالي إلىٰ الكشف عن المزيد من الفرص لداعش؛ لتسعىٰ إلىٰ تحقيق أهداف للحملة العسكرية الاستراتيجية في سوريا، وبشكل بديل، لو أن نظام الأسد كان ليتفاوض للوصول لنهاية للحرب السورية لكي يواجه داعش، فستنطوي خطة المعركة بشكل أساسي علىٰ الدفاع عن الممر الأوسط واللاذقية بدلًا من كامل القطر السوري كله. لذلك فإن الخطوات السياسية المتخذة من قبل نظام الأسد سيكون لها نفس الأثر علىٰ داعش كشأن الحكم الذاتي لكردستان العراق. وقد تهاجم داعش نظام الأسد بطريقة تدفعه إلىٰ تدعيم قوة دفاع مركزية.

---

(١) خبر في موقع الجزيرة الإنجليزية الإليكتروني بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤ بعنوان:

'Hundreds Killed' in Syrian gas field capture.

وينظر تحديث لجيني كافاريلا بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤ مدونة معهد دراسة الحرب بعنوان:

Syria Update: July 17-25, 2014.

حربٌ ضد أمريكا

من المرجح أنَّ داعش تبحث عن طرق لاستغلال الفرصة لاستحثاث الدعم داخل المجتمع الجهادي العالمي، وقد تتخذ داعش موضعًا تستثمر من خلاله التدخل العسكري الأمريكي في العراق وسوريا مع دمجه مع رسالة استراتيجية إلىٰ المقاتلين الآخرين ليأتوا لمحاربة الأمريكيين في العراق، وتتمتع داعش بالقدرة علىٰ تصميم حملات سياسية تحول المساوئ العسكرية إلىٰ نقاط قوة سياسية. قد تزيد داعش من ميلها نحو الإرهاب الدولي أو تزرع علاقات مع قيادات مستقبلية لخلايا جهادية خارجية من خلال استقدامهم إلىٰ العراق وسوريا لمرة واحدة، وبالتنبه إلىٰ هذه السيناريوهات شديدة الخطورة، فمن المرجح أنَّ داعش ستستجيب للتدخل العسكري الأمريكي في العراق بطريقة تضاعف من قيادتها لحركة هي بشكل أساسي مضادة للولايات المتحدة، وفي غياب هذه الفرصة، فقد تسعىٰ داعش لتحقيق هذا الهدف بطرق أخرىٰ، وبصفة خاصة عبر الهجمات المباشرة ضد الغرب، وستقوم داعش علىٰ الأرجح بتنفيذ هذا الأمر في النهاية، سواء تدخلت الولايات المتحدة في سوريا أو العراق في هذا الوقت أم لا.

التوصياتُ المُتعلِّقةُ بالسياساتِ

تتطلب مصالح الأمن القومي الأمريكية كُلًّا من تدمير الآلة العسكرية لداعش والمحافظة علىٰ حدود الدول الحديثة في الشرق الأوسط ضد التقدم المتغطرس للجماعة الجهادية العالمية. إنَّ داعش تمثل تهديدًا لجميع الدول الحديثة بهذا الشكل. لذا؛ فمن الضروري إيجاد طريق لهزيمة داعش. إنَّ وضع أهداف محدودة لخلخلة أو تقييد أو احتواء داعش لا يكفي لمعالجة التهديد الحالي، والذي يقوم بالفعل بتذليل حدود الدول ويسيطر علىٰ بنىٰ تحتية حيوية تعد ذات أهمية للدول المجاورة.

إنَّ استراتيجية لهزيمة داعش ينبغي أن تترجم إلىٰ نقاش حول مراكز جاذبيتها، والتي يمكن مقاربتها بإحدىٰ ثلاث طرق: هزيمة عسكرية داعش، وحرمان داعش من السيطرة السياسية، أو كسر التضافر الحادث بين هذين القطبين الأساسيين.

تدميرُ مركزِ جاذبيَّةِ داعش العسكريِّ

قد تدرس الولايات المتحدة طرقًا لتدمير مركز جاذبية داعش العسكري، لكنَّ التاريخ علَّمنا أنَّ تدمير عسكرية داعش قد لا يؤدي إلىٰ الهزيمة الكلية للتنظيم، وهو الأمر الذي يتسق مع كون داعش تتمتع بأكثر من مركز جاذبية واحد! لقد دمرت القوة المقاتلة لتنظيم القاعدة في العراق مرة من قبل في عام ٢٠٠٨ بعد معركة الموصل، لكنَّ تنظيم القاعدة في العراق عاود التجمع مرة أخرىٰ في ٢٠١١ علىٰ الرغم من ذلك، حيث إنَّ التنظيم حافظ علىٰ بعض القيادات والقوة المقاتلة في حالة فرار، ومع ذلك، هناك طرق لتصميم استراتيجية عسكرية مضادة لدعم حملة شاملة لجهود لتعجيل هزيمة داعش، تلك الطرق التي تجعل من التقييم المقترح في هذا التقرير قابلًا للتفعيل، والملاحظات التالية تعمل علىٰ صياغة أهداف عملياتية واستراتيجية يمكن للولايات المتحدة أن تأخذها في الحسبان بينما تعمل علىٰ جرد الوسائل المتاحة لديها لمواجهة تهديد داعش.

استهدافُ قدراتِ داعش العسكريَّةِ

تتمتع داعش بقدرة حيوية علىٰ تصميم حملات عسكرية تتفوق علىٰ تلك المصممة من قبل العسكريات المنافسة في العراق وسوريا، لكن هذه الاستراتيجيات العسكرية يمكن التفوق عليها من طرف الاستراتيجيين والمخططين والمستشارين الأمريكيين. من الممكن تصميم حملات عسكرية تكتيكية وعملياتية للإطاحة بفرصة داعش لتحقيق الانتصار العسكري الوشيك. من الممكن جعل داعش تبدأ في الخسارة. إن إخواء رسائلها الاستراتيجية من خلال إثبات عدم صحة دعايتها وضعف تنظيمها قد يحقق تأثيرات غير مباشرة تسبب خلخلة داعش، لكن السعي وراء أهداف عسكرية محدودة هو جهد داعم فقط. إن تدمير عسكرية داعش في الرقة والموصل أمر ضروري لتحقيق التدمير الكلي لقوة داعش العسكرية.

ومن المرجح أيضًا أن يسبب ضررًا ثانويًّا كبيرًا، وبالتالي؛ فهو يحمل مخاطرة كبيرة لمفاقمة حرب طائفية أو أهلية في العراق، ولن يحقق أي شيء أقل من هذه الأهداف العسكرية أكثر من تأثير مخل بالنظام لداعش.

استهدافُ متطلباتِ داعش الحيويَّةِ

إنَّ استهداف دعم الخدمات المقاتلة لداعش يعد مباشرًا وقليل الخطر نسبيًا، غير أنَّه وبسبب أن داعش تعد متطورة جدًّا في هذا الجانب، فمن غير المرجح أن يحقق تأثيرات استراتيجية مخلة بالنظام دون استثمارات مكثفة. من الممكن استهداف خطوط الاتصالات الداخلية والخارجية والمواقع الثابتة التي تستخدمها داعش من خلال غارات جوية مدعومة بالاستخبارات. غير أن هذا التوجه، الذي صمم لخلخلة شبكات الإرهابيين الهاربين، هو في أفضل الأحوال جهد داعم. إنَّ كسر تحالفات داعش التكتيكية من جهة أخرىٰ يمكن أن يولد تهديدًا من نوع حرب العصابات مع المنطقة الخلفية من الخلافة الإسلامية والذي يرجح أكثر أن يخلخل نظام داعش استراتيجيًا[1].

إنَّ تشجيع مثل هذه المقاومة في صفوف السنة في العراق وسوريا في هذا الوقت سيتطلب إجراءات سياسية بالتوازي لتقليل أو عرقلة الظروف التي تفاقم الحرب الأهلية أو الطائفية. كما أنَّه من الممكن أيضًا تحديد أهداف تكتيكية تبطل أو توهن تماسك أراضي الخلافة الإسلامية قبل أن تتمكن من التكون بشكل تام؛ من خلال تحصين دفاعات مصفاة نفط البيجي والرمادي، علىٰ سبيل المثال.

---

(١) مقال لإريك شميت وأليسا روبين بتريخ ١٣ يوليو ٢٠١٤ علىٰ صحيفة النيويورك تايمز بعنوان:
US and Iraqis Try to Fragment Extremist Group.

استهدافُ نقاطِ ضعفِ داعش الحيويَّةِ

عند تطبيق قدرات القوات العسكرية الخارجية علىٰ المواقف الأمنية للعراق وسوريا؛ فإنَّ داعش تعد معرضة لخطر زيادة التمدد في نهاية المطاف، ومن الممكن إرهاق نطاق حملتها العسكرية وتثبيتها علىٰ جبهات متعددة وتعريضها للحد الأقصىٰ من قدرتها علىٰ إعادة التوزيع والدعم.

إنَّ لداعش عمقًا استراتيجيًّا، لكنه ليس عمقًا لا نهائيًا، كما أنَّها تعتمد علىٰ عمليات قوية ومكررة والتي تعد معرضة للإعاقة الشديدة، ومن الممكن استهداف المواقع الثابتة والعمليات المكررة لداعش، وهذا أيضًا جهد داعم يؤدي إلىٰ بلوغ حملة داعش العسكرية ذروتها مما يحقق الأهداف الاستراتيجية من التغلب علىٰ الميزات السياسية التي تمتعت بها داعش نتيجة للانتصارات العسكرية المتتالية.

منعُ داعش من إقامةِ سيطرةٍ سياسيَّةٍ مستديمةٍ

داعش لا تزال حديثة السن لتصبح لها عاصمة لا يمكن انتزاعها منها، لكنها تتمتع بالسيطرة السياسية علىٰ مراكز عمرانية كبيرة مثل الموصل والرقة والتي يمكن انتزاعها، وأكثر الوسائل مباشرة لإضعاف دولة داعش ستكون بتدمير مؤسسات الدولة التي تسعىٰ إلىٰ بنائها، غير أنَّ هذه المؤسسات تقع داخل مدن كبيرة، مثل الموصل والرقة، والتي تسيطر عليها داعش بالفعل، وقد لا يكون تدمير جهود داعش لبناء الدولة في هذه المنطقة هدفًا استراتيجيًّا مقبولًا إذا كان ينطوي علىٰ تدمير المدن نفسها، أو إيقاع الضرر بالسكان الباقين فيها. قد يكون من الممكن إضعاف فرصة داعش في استغلال حملة الرسائل الاستراتيجية التي تذيع أنباء جهود بناء الدولة إلىٰ العالم الخارجي، لكن هذا جهد داعم لا جهد رئيس لمنع التكوين الدائم للخلافة الإسلامية.

قد يكون من الممكن استغلال نقاط ضعف داعش السياسية مثل الانشقاقات في القيادة والتي تتبدَّىٰ أثناء مرحلة تكوين الدولة إضافة إلىٰ التذمر الشعبي العام إزاء وحشية حكم داعش. إن أفضل فرصة لإحداث التآكل في تكوين دولة داعش هي بتشجيع الحشد لحركة مقاومة سنية. إذا لم يكن باستطاعة داعش طرد السكان أو السيطرة عليهم داخل الخلافة الإسلامية، فلا يمكنها زعم تحقيق حكم راسخ. غير أن هذا التهديد المهم لداعش يقل إذا تمتعت داعش بتفوق عسكري علىٰ كل قوة مقاومة محتملة في قلب الأرض السنية في العراق وسوريا، وبتلك الطريقة، قد تكون القوة العسكرية ضرورية لتطوير استراتيجيات سياسية لإضعاف مركز جاذبية داعش الثاني، وقد يكون من الممكن التشديد علىٰ عدم شرعية داعش الدينية، لكن ذلك علىٰ الأرجح هو هدف الرسالة الأقل جدوىٰ ويعد أقل فائدة بشكل مباشر.

إنَّ بإمكان داعش تأكيد السلطة الدينية بسبب قدرتها العسكرية والسياسية علىٰ السيطرة، وهذه هي القدرات التي لا بد من مخاطبتها إذا كنا بصدد هزيمة خلافة داعش.

حرمانُ داعش من الفُرصِ الحيويَّةِ

إنَّ طريقة مهمة لإضعاف التكوين العملي للخلافة الإسلامية هي بحرمانها من الفرص الحيوية المذكورة في هذا التقرير، ومن أهم فرص السياسة الأساسية لمواجهة الولايات المتحدة لداعش بشكل غير مباشر هو تدعيم المنطقة ضد تسلسل من الظروف التي تعمل لصالح داعش. منع الفرص الحيوية خارجية المصدر عن داعش يعد طريقة للحد من زيادة تقدمها. علىٰ سبيل المثال، سيؤدي الحد من ظروف الحرب الطائفية أو الأهلية في العراق وسوريا نظريًا إلىٰ حرمان داعش من حرية العمل علىٰ مواجهة الحكومات وقوات المعارضة المواجهتين لبعضهما.

في سوريا، من الصعب تصور طريقة يمكن الوصول بها إلىٰ نتيجة للحالة السورية لا تكون في صالح داعش. ربما لا تزال هذه الفرصة متاحة في العراق، لكن بسبب أنَّ حربًا أهلية منخفضة المستوىٰ قائمة في العراق بالفعل؛ فإنَّ هذه ليست مسألة منع حرب، وإنَّما مسألة إيقاف حرب قد بدأت بالفعل.

من الضروري أيضًا دعم قوة سنية وقوة كردية، إذا كانت الولايات المتحدة ستدعم أيضًا قوات الأمن العراقية، كطريقة لجعل الاستراتيجية العسكرية تدعم الاستراتيجية السياسية. إنَّ وجود كردستان مستقلة بينما داعش موجودة

يؤيد داعش.

بدلًا من ذلك؛ فإنَّ حملة عسكرية مشتركة لمواجهة داعش والتي تشمل البشمرقة وتدعم الأهداف السياسية لأكراد العراق بعد هزيمة الخلافة الإسلامية وإعادة سيادة الدولة العراقية هما أقرب احتمالًا للنجاح وأقل تعرضًا للتأثير السلبي لرسائل داعش السياسية. بخلاف ذلك، سيكون علىٰ البشمرقة المواجهة مع دولة داعش مجاورة بمفردهم، بينما يعلمون أن اقتصادهم يعتمد علىٰ نفس البنية التحتية التي تميل داعش إلىٰ السيطرة عليها.

كسرُ التآزرِ بين مركزيْ جاذبيةِ
داعش العسكريِّ والسياسيِّ

استهداف مركز جاذبية واحد لداعش أمر ممكن، لكن لا يوصىٰ به، بدلًا من ذلك، يمكن إزالة الاقتران بين مركزي جاذبية داعش والاستفادة من طرق يمكن من خلالها للاستراتيجية العسكرية والاستراتيجية السياسية أن تفترقا، ومن الممكن جعل عناصر القوة التي أحدثت داعش المحاذاة والتآزر بينها بعناية شديدة، من الممكن جعلها مخلخلة وغير مترابطة، ومن الممكن أيضًا استخدام الرسائل المضادة، ليس للعمل علىٰ تآكل شرعية داعش الدينية، ولكن لجعل الدولة الإسلامية ومنهجها يُبدِيان القابلية للكسر والضعف وعدم القابلية للحياة.

وبشكل أكثر أهمية: فمن الممكن جعل العقول السياسية والعسكرية المدبرة داخل داعش تشعر بشعور مختلف نحو مواقفها الحالية وخطواتها القادمة، وهذه فرصة مهمة لتطوير استراتيجية مضادة لداعش يمكن أن تحقق أكثر من مجرد الخلخلة أو الاستهداف غير الفعال لأي من مركزي الجاذبية السياسي والعسكري لها.

إنَّ التفرع المحتمل الأساسي من بين الرؤىٰ السياسية والعسكرية للقيادات داخل داعش والذي يمكن استغلاله هو توقيت الأحداث المهمة، فعلىٰ سبيل المثال: أعلنت داعش عن تكوين الخلافة الإسلامية فورًا بعد انتصارات عسكرية أساسية، لكن تم ذلك أيضًا في وسط حملة عسكرية جارية، وقد تجد منظمة عسكرية صعوبة في إيجاد نظام سياسي بينما لا تزال حرب ما مستعرة. كما أنَّ منظمة سياسية قد تجد صعوبة في الطبيعة المتغيرة لحرب تعرقل المزيد من التقدم السياسي، وقد يكون من الممكن تطوير وسيلة يمكن من خلالها سحب الاستراتيجيتين العسكرية والسياسية في اتجاهين مختلفين من خلال قذفهما بالتحديات التي تستغل الاختلافات الجوهرية والتفاعلات الوليدة المدعومة بالعمليات.

النتيجةُ

داعش تعمل في كل من فلكين عسكري وسياسي؛ لتحقيق هدفها بإنشاء خلافة إسلامية، ويجب لاستراتيجية مضادة تهدف إلىٰ هزيمة داعش أن تتسم بذات التعقيد، ومن الضروري التوجه نحو موضوع صياغة الاستراتيجية بتقدير منضبط لأساس قوة داعش ولعبة النهاية الخاصة بها واستراتيجياتها التي تم تطبيقها في العراق وسوريا حتىٰ الآن. دون هذا الفهم، قد يمكن تفويت ما قد يحدث بالفعل لو أن الوسائل السياسية والعسكرية للولايات المتحدة طبقت بشكل خاطئ تجاه المشكلة الحالية.

علىٰ سبيل المثال، قد يكون من الخطورة علىٰ مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، والتي تشمل منع التوسع الإيراني ومنع المزيد من الكوارث الإنسانية، أن يتم شن غارات جوية ضد مواقع داعش في شمال العراق دون علم بأي استراتيجية أوسع سيصب هذا العمل في مصلحتها. قد تؤدي الغارات الحربية داخل قلب الأرض السنية في العراق وسوريا إلىٰ مفاقمة الصراع الطائفي في المنطقة بإظهار محاذاة نشطة أو سلبية من الولايات المتحدة أو إيران لكي تحمل بالقوة النارية علىٰ السنة. يمكن تهدئة ذلك من خلال إجراء عملية تواصل والتحام مع القبائل داخل قلب الأرض السنية، وأيضًا من خلال تطوير استراتيجية موازية مع المواطنين الأكراد في العراق، لكن يجب صياغة جميع هذه الإجراءات المكونة معًا كجزء من استراتيجية شاملة لن تضر بشعب العراق وسوريا أكثر، وكذا لن تشجع توسع إيران أو داعش. إنَّ التعرف علىٰ وسائل يمكن للولايات المتحدة أن تطبقها هو مجرد بداية؛ بينما يعد تحديد أي أهداف الأمن القومي هي التي يجب أن تدعمها استراتيجيتنا يعد هو المطلب الحقيقي أمامنا.

وفي الوقت نفسه، من المهم جدًّا الأخذ في الحسبان أن قرارًا بعدم اتخاذ أي إجراء ضد خلافة داعش سيضمن تكونها الحتمي، وإذا سمح لداعش بأن تبقىٰ؛ فإنَّ

العراق وسوريا اللتين نعرفهما لن تتعافيا أبدًا!

إنَّ احتمال وجود فاعل ناشئ ما بعد الحرب ويسعىٰ إلىٰ تدمير الدول الأخرىٰ عبر القوة العسكرية ثم يحجم عن الانضمام إلىٰ نظام الدولة الحديثة هو تهديد لكل الدول الحديثة، بما فيها الولايات المتحدة، واحتمال وجود خلافة إسلامية تجعل الفاعلين الإقليميين في الشرق الأوسط مثل إيران يتخذون أوضاعًا دفاعية مضادة لمصالح الولايات المتحدة هو عاقبة أخرىٰ يجب تجنبها، ومن المهم أيضًا النظر بعين الاعتبار إلىٰ الملاذ الذي يقدم إلىٰ المجتمع الجهادي الدولي في خلافة تسيطر عليها داعش، والتي تسعىٰ إلىٰ لعبة نهاية تتطلب تدمير الغرب.

حرمان داعش من هذه الفرص من خلال استراتيجيات سياسية مضادة يعد هدفًا مهمًا للسياسة، غير أنَّ هزيمة عسكرية داعش تتطلب أن تتمكن قوة برية ما من التفوق علىٰ مصادر قوة داعش وتستهدف مواطن ضعفها وتتغلب عليها في المناورات في أرض المعركة، وتعتمد كلتا الاستراتيجيتين علىٰ جهد موحد فيما بين شيعة وسنة وأكراد العراق يتغلب علىٰ الانقسامات الإثنية . الطائفية، كما يتطلب ذلك نهاية براجماتية للحرب السورية، ولا يمكن السعي نحو تحقيق هذه السياسات المضادة في سياق من الحرب الطائفية أو الأهلية في أي من العراق أو سوريا . لذلك؛ فإنَّ تسلسل الاستراتيجيات السياسية والعسكرية يتطلب أولًا موازنة الدعم للدولة العراقية وللسنة المحتشدين المجردين من حقوق المواطنة ولأكراد العراق وأيضًا العمل علىٰ إتمام الأهداف الأمريكية المعلنة في سوريا حتىٰ نهايتها.

ويتضمن نطاق الإجراءات المحتملة التي يمكن للولايات المتحدة أن تتخذها للتعامل مع خلافة داعش في العراق وسوريا خيارات عديدة يمكن جدًّا أن تكون جهودًا داعمة جادة، لكن حقيقة التهديد الحالي هي أن جهدًا رئيسًا مطلوب في الرقة والموصل لهزيمة داعش، وسيكون العمل العسكري مطلوبًا من خلال قوة برية مؤهلة للتغلب علىٰ داعش في هذه المدن، ومن المرجح أنَّ العمل السياسي مطلوب لتأمين العراق وسوريا ضد استغلالهما أكثر من قبل داعش.

لن تقهر الخلافة الإسلامية طالما استمرت انتصاراتها العسكرية في العراق وسوريا، بل ستتوسع القوة العسكرية للخلافة الإسلامية إلىٰ دول أخرىٰ، كما فعل

مبعوثو الجماعات المسلحة الأخرىٰ في المنطقة بالفعل. إن التهوين من القدرة الفعلية للتنظيم العسكري سيؤدي بشكل بديل إلىٰ النجاح المطلق للدولة المضادة الآخذة في التكون داخل العراق وسوريا تحت راية الخلافة الإسلامية.

وفي حال عدم تهدئته؛ فإنَّ تهديد داعش سينمو خارج نطاق سيطرة الإجراءات الممكنة للولايات المتحدة، وقد تحاكي جماعات جهادية أخرىٰ منهج داعش خارج الشرق الأوسط إذا ما ثبت نجاحه، وقد لا يكون اللاعبون الإقليميون في الشرق الأوسط متخذين وضعًا للتخلص من التهديد الحالي، ولذا؛ فقد حان الوقت لدراسة الطرق التي يمكن للولايات المتحدة من خلالها إعمال الوسائل السياسية والعسكرية لمواجهة تهديد داعش في مرحلة تكونها الحالية.

(٤)

الصراع المسلح في سوريا

نظرة عامة ورد الفعل الأمريكي[١]

كريستوفر بلانشارد[٢]، كارلا حمود[٣]، ماري بيث نيكيتين[٤]

(١) تقرير صدر عن خدمة الكونجرس البحثية *Congressional Research Service* بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠١٤ وعنوان: *Armed Conflict in Syria: Overview and U.S. Response*.

(٢) منسق التقرير ومتخصص في شؤون الشرق الأوسط.

(٣) محللة متخصصة في شؤون الشرق الأوسط وإفريقيا.

(٤) متخصصة في شؤون الحد من انتشار الأسلحة النووية.



المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة



مُلخَّص

لقد أعاد هجوم صيف ٢٠١٤ للجماعة الإرهابية المتمردة المعروفة بالدولة الإسلامية -والمعروفة أيضًا بالدولة الإسلامية في العراق والشام أو داعش[١]- علىٰ العراق المجاورة، أعاد صياغة المناقشات القديمة حول سياسة الولايات المتحدة تجاه الصراع الذي بلغ من العمر ثلاث سنوات في سوريا، يسيطر تنظيم الدولة الإسلامية علىٰ مناطق واسعة في شمال شرق سوريا، حيث يستمر في الصدام مع القوات المضادة لحكومة الأسد والأخرىٰ المنحازة إليها، وفي الوقت ذاته، يستمر القتال في أجزاء أخرىٰ من سوريا، واضعًا القوات الحكومية وحلفاءها الخارجيين في صراع مع العديد من الكيانات المتمردة المضادة لها، والتي يعد الكثير منها متورطًا بالفعل في معارك مع قوات الدولة الإسلامية.

منذ مارس ٢٠١١، دفع الصراع أكثر من ٣ ملايين سوري إلىٰ النزوح إلىٰ الدول المجاورة كلاجئين (من مجموع سكان يقدر بأكثر من ٢٢ مليونًا)، ملايين آخرون من السوريين نازحون في الداخل وفي حاجة إلىٰ الدعم الإنساني، الذي تظل الولايات المتحدة هي الجهة الموفرة التبادلية الكبرىٰ له، بقيمة تم حصرها الآن تقدر بـ ٢,٤ بليون دولار حتىٰ هذا التاريخ، وقد خصصت الولايات المتحدة أيضًا ما مجمُوعُه ٢٨٧ مليون دولار حتىٰ هذا التاريخ لتوفير الدعم والأسلحة غير الفتاكة لمجموعات مختارة من المعارضة، وقبل التقدمات التي أحرزها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق في أواسط ٢٠١٤، كانت الإدارة الأمريكية قد طلبت تمويلًا قدره ٢,٧٥ بليون دولار للأزمة السورية للعام المالي ٢٠١٥.

ولا يبدو أنَّ أيًّا من القوات المؤيدة لنظام الأسد أو خصومها قادرون علىٰ تحقيق

---

(١) هناك خلاف حول التسمية واختصارها في الأوساط الغربية. تراجع الملاحظة رقم (٦) من الورقة البحثية «داعش وإعادة التشغيل المخادعة للقاعدة» في طيات هذا الكتاب. (المترجم).

نصر تام علىٰ المدىٰ القريب، غير أنَّ احتمال تدخل دولي لإضعاف قدرات الدولة الإسلامية يبدو مثيرًا للتساؤل بين عدة أطراف للصراع، لدرجة أنَّ حدوث تغيرات مثيرة في ديناميكيات ما ظل لزمن حرب استنزاف سرعان ما قد يصبح أمرًا ممكنًا، تسعىٰ بعض قوات المعارضة إلىٰ إظهار نفسها في صورة الحلفاء المحتملين للأطراف الخارجية المعارضة لكل من الدولة الإسلامية والحكومة السورية، بينما يرفض الآخرون فكرة التدخل الأجنبي صراحة، أو يطالبون بأن يركز الأجانب فقط علىٰ الإطاحة بالرئيس الأسد، وعبَّر المسؤولون السوريون عن استعدادهم المشروط للعمل كشركاء مع المجتمع الدولي في عمليات مكافحة الإرهاب في سوريا، وهو موقف يعكس رغبتهم في صنع صورة ودور لحكومة الأسد كحصن ضد التطرف الإسلامي السني.

بالنسبة إلىٰ الولايات المتحدة والآخرين الذين يدرسون خياراتهم لإضعاف الدولة الإسلامية، تثير هذه الظروف أسئلة حول أفضل كيفية للسعي لتحقيق أهداف مكافحة إرهاب وأمن إقليمي جديدة دون تقوية الحكومة السورية مقابل مجموعات المعارضة والمدنيين الذين فتكت بهم أثناء هذا الصراع، كما تنشأ أسئلة أخرىٰ فيما يتعلق بخيارات مواجهة الدولة الإسلامية دون تدعيم الجماعات الإسلامية الأخرىٰ المعادية للولايات المتحدة.

في الوقت الحالي، تبقىٰ القوات المسلحة المضادة للأسد ونظراؤها من النشطاء منقسمين حول التكتيكات والاستراتيجية وأهدافهم السياسية طويلة المدىٰ، مع سعي بعض القوىٰ الإسلامية الفاعلة إلىٰ تحقيق نتائج مناقضة بصور كبيرة لتفضيلات الولايات المتحدة المعلنة فيما يتعلَّق بالمستقبل السياسي السوري، ويسعىٰ مجلس الأمن بالأمم المتحدة أيضًا إلىٰ الحصول علىٰ تعاون متواصل من الحكومة السورية مع الجهود المبذولة للتأكد من القضاء علىٰ برنامج الأسلحة الكيميائية السورية.

منذ سبتمبر ٢٠١٤، كانت جميع الأسلحة الكيميائية المعلن عنها قد أُزيلت من سوريا، كما تم تدمير جميع المواد المعلن عنها والمعدودة في أعلىٰ قائمة المواد المثيرة للقلق، أما المنشآت ذات العلاقة فهي مدرجة ليتم تدميرها بحلول مارس ٢٠١٥.

يدرس الكونجرس حاليًّا طلبًا من الرئيس لسلطة «تدريب وتجهيز» *(Train and Equiz) للسوريين الذين تم فحصهم والموافقة عليهم تبعًا للقرار المستمر المعلق*

للتمويل *H.J.Res.* ١٢٤ *(القرار المشترك ١٢٤)*.

للمزيد من المعلومات، ينظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية:

R43727, Proposed Train and Equip Authorities for Syria: In Brief

من تأليف كريستوفر بلانشارد وإيمي بيلاسكو.

لقد صادقت لجان مجلس الشيوخ علىٰ تشريع مخصصات الدفاع والتصريح للعام المالي ٢٠١٥ (قرار المجلس/ ٤٨٧٠، قرار مجلس الشيوخ ٢٤١٠) التي ستدعم أيضًا تسليح وتدريب قوات مختارة من المقاومة لأغراض محددة.

★ نظرة عامة:

يستمر القتال في أنحاء سوريا، واضعًا القوات الحكومية وحلفاءها الخارجيين في صراع مع العديد من الكيانات المتمردة المضادة لها، والتي يتقاتل بعض منها فيما بينهم أيضًا. تقاتل القوات الحكومية علىٰ جبهات متعددة وقد خسرت وتخلَّت عن السيطرة علىٰ مساحات واسعة من البلاد منذ ٢٠١١، لكنَّها تسيطر علىٰ المدن الكبرىٰ في الجزء الغربي من البلاد. تواصل حكومة الأسد تلقي الدعم من روسيا وإيران وحزب الله، وعلىٰ النقيض من توقعات بعض المراقبين؛ فإنَّها لا تظهر مؤشرات علىٰ الانهيار الوشيك أو النية في مغادرة السلطة. قد تؤدي الخسائر الأخيرة للنظام في المواجهات مع قوات الدولة الإسلامية في شمال شرق سوريا إلىٰ خلق ضغط شعبي جديد علىٰ الحكومة لتحسين الأداء والقيادة العسكرية.

تعد قوات المعارضة مهولة، لكنها تفتقر إلىٰ وحدة الهدف ووحدة القيادة ووحدة الدعم الدولي، وبحسب الظروف، فقد تعاونت كثير من مجموعات المعارضة وتنافست معًا، وفي الوقت الحالي، تنخرط عناصر كبيرة من المعارضة في صراعات صريحة ضد بعضها البعض، كما تسعىٰ الكثير من قوات المعارضة المسلحة إلىٰ الحلول محل حكومة الأسد في دولة محكومة وَفقًا لصورة معينة من الشريعة الإسلامية السنية، والتي تعارضها مجموعات الأقليات غير السنية، وتسيطر الجماعات الكردية علىٰ بعض المناطق في شمال شرق سوريا وقد تسعىٰ للحكم الذاتي أو الاستقلال في المستقبل.

ويسيطر تنظيم الدولة الإسلامية أيضًا علىٰ مساحات واسعة من الشمال الشرقي،

بما في ذلك غالب منطقة وادي نهر الفرات وبعض المناطق المتاخمة للحدود السورية مع كل من تركيا والعراق، وبالتزامن مع هجومها العسكري المشهور في العراق في أواسط ٢٠١٤، عملت الدولة الإسلامية علىٰ تعزيز السيطرة علىٰ أقاليمها في سوريا. تركز المناقشات الدولية والمحلية الآن علىٰ الدولة الإسلامية، والتهديدات التي يمكن أن تشكلها علىٰ الأمن الإقليمي والعالمي إضافة إلىٰ ردود الأفعال الدولية المناسبة.

وفي الوقت نفسه، يعمل مفتشو الأسلحة الكيميائية علىٰ مراقبة وتنفيذ المتطلبات النهائية المتعلقة باتفاقية سبتمبر ٢٠١٣ لنزع الأسلحة الكيميائية والمصادق عليها من قبل مجلس الأمن بالأمم المتحدة في القرار ٢١١٨. تمت إزالة جميع مواد الأسلحة الكيميائية المعلنة من البلاد وتم تدميرها كلها تقريبًا، غير أنَّه ما زال هناك عمل متبق لتدمير منشآت محددة مرتبطة بالأسلحة الكيميائية، وسط ادعاءات مستمرة باستخدام القوات الحكومية لغاز الكلور.

للمزيد من المعلومات عن الأسلحة الكيميائية السورية والمشاركة الأمريكية والدولية في عملية نزع الأسلحة، ينظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية:

R42848, Syria’s Chemical Weapons: Issues for Congress

من تنسيق ماري بيث نيكيتين.

في الوقت الحالي، يبدو أنَّ الجهود الدبلوماسية الأمريكية تنتقل بعيدًا عن جهود الوصول إلىٰ نهاية تفاوضية للقتال، وإنشاء لكيان حاكم انتقالي في سوريا وتتجه نحو جهود بناء إجماع إقليمي ودولي فيما يتعلق بردود الأفعال تجاه صعود الدولة الإسلامية، وقد عبر بعض أعضاء المعارضة السورية عن قلقهم من أن الجهود الدولية لمحاربة الدولة الإسلامية ستفيد حكومة الأسد أو تقوض الالتزامات الدولية لتوفير المساعدة لجماعات المعارضة الساعية للإطاحة بالأسد.

أما في الكونجرس، فالأعضاء يوازنون المخاطر والمنافع النسبية المترتبة علىٰ التدخل المباشر في سوريا ضد الدولة الإسلامية بينما يدرسون سلسلة من اقتراحات المخصصات والتصريحات التي يمكن أن تسهل من الدعم الأمني الفتاك الصريح لبعض الأعضاء المختارين من مجموعات معارضة مختارة، والذي سيشتمل علىٰ التسليح والتدريب. قد يدرس الكونجرس أيضًا بعض التشريعات المقترحة لتفويض

استخدام القوة العسكرية في سوريا أو وضع القيود عليه أو منعه.

في فبراير ٢٠١٤، قدر مدير الاستخبارات القومية جيمس كلابر قوة التمرد في سوريا «بحوالي ما بين ٧٥,٠٠٠ أو ٨٠,٠٠٠ أو حتىٰ ١١٠,٠٠٠ إلىٰ ١١٥,٠٠٠ متمرد، موزعين إلىٰ أكثر من ١,٥٠٠ مجموعة ذات ميول سياسية واسعة التفاوت»[١].

وعلىٰ الرغم من وجود نفور مشترك ظاهر بين جماعات المعارضة تجاه وحشية الدولة الإسلامية وحكومة الأسد؛ فإنَّ كثيرًا من القوات المسلحة المعارضة للأسد ونظرائهم من النشطاء يظلون منقسمين حول التكتيكات والاستراتيجية وأهدافهم السياسية طويلة المدىٰ لسوريا، ومنذ سبتمبر ٢٠١٤؛ فإنَّ المجموعات المسلحة الأكثر قوة وتعدادًا في مواجهة الأسد تسعىٰ إلىٰ تحقيق نتائج مناقضة بصور كبيرة لتفضيلات الولايات المتحدة المعلنة فيما يتعلق بالمستقبل السياسي السوري.

قامت الميليشيات الإسلامية الساعية إلىٰ فرض درجات مختلفة ممَّا يرونه الشريعة الإسلامية السنية في المجتمع السوري -ومن بينهم أعضاء في جبهة النصرة (انظر أدناه) والدولة الإسلامية- قامت بتهميش الجماعات المسلحة الأخرىٰ بما في ذلك بعض الجماعات التي تتلقىٰ دعمًا غير فتاك من الولايات المتحدة.

وفي أوائل هذا العام، أدرج قادة المنظومة الاستخباراتية الأمريكية أعضاء القوة البشرية لتنظيمات الدولة الإسلامية في العراق والشام وجبهة النصرة وأحرار الشام المقدرة بحوالي ٢٦,٠٠٠ مقاتل كمتطرفين وأيضًا كمكون للقوة الأكثر تأثيرًا من قوات المعارضة في الساحة، وفي يوم ٣ سبتمبر، صرح مدير المركز القومي لمكافحة الإرهاب ماثيو أولسن أن ما يقارب ١٢,٠٠٠ مقاتل أجنبي قد سافروا إلىٰ سوريا، بما في ذلك أكثر من ١,٠٠٠ مواطن أوروبي وأكثر من ١٠٠ مواطن أمريكي[٢]، تشير التقديرات السابقة للحكومة الأمريكية إلىٰ أن هؤلاء المقاتلين ينحدرون من أكثر من ٥٠ دولة وإلىٰ أن من بينهم محاربين قدامىٰ مرتبطين بالقاعدة ممن تمرسوا في صراعات سابقة.

وبينما تستمر الصدامات والنقاشات الدبلوماسية، يستمر المدنيون السوريون في

---

(١) ملاحظات مدير الاستخبارات القومية جيمس كلابر المقدمة إلىٰ لجنة القوات المسلحة بلجنة الشيوخ في ١١ فبراير ٢٠١٤.

(٢) ملاحظات مدير المركز القومي لمكافحة الإرهاب ماثيو أولسن في مؤسسة بروكينجز بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠١٤.

المعاناة فيما وصفه مدير الاستخبارات القومية الأمريكية جيمس كلابر بأنه «حدث كارثي»، كما تعلن مصادر للأمم المتحدة أنَّه منذ مارس ٢٠١١، دفع الصراع أكثر من ٣ ملايين سوري إلىٰ النزوح إلىٰ الدول المجاورة كلاجئين (من مجموع سكان يقدر بأكثر من ٢٢ مليونًا؛ انظر الشكل١).

وَفقًا لمسؤولين أمريكيين، أكثر من ٦,٥ ملايين سوري نازحون داخليًا. الولايات المتحدة هي الجهة الموفرة التبادلية الكبرىٰ للدعم الإنساني، بقيمة تقدر بـ ٢,٤ بليون دولار تم تخصيصها حتىٰ هذا التاريخ[١]. وفي ديسمبر ٢٠١٣، قام مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (UNOCHA) بطلب ٦,٥ بلايين دولار أخرىٰ كتمويل إنساني للاستجابة لاحتياجات ٢٠١٤[٢].

للمزيد من المعلومات عن القضايا الإنسانية، ينظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية:

R43119, Syria: Overview of the Humanitarian Response

من تأليف رودا مارجيسون وسوزان تشيسر.

إنَّ التأثيرات السلبية للأزمات الإنسانية والأمنية الإقليمية المنبعثة من سوريا تبدو الآن فائقة لقوة أي فاعل منفرد ليحتويها أو يتعامل معها بشكل متكامل، بما في ذلك الولايات المتحدة، فيضان اللاجئين السوريين عبر أنحاء المنطقة، نمو الجماعات المسلحة المتطرفة داخل سوريا، وانتشار النزاع إلىٰ لبنان والعراق المجاورتين، كل ذلك يؤثر سلبًا علىٰ الاستقرار العام للمنطقة. حتىٰ اليوم، بدا أن صانعي القرار في الولايات المتحدة والدول الأخرىٰ يشعرون بأنَّهم مجبرون علىٰ الاستجابة إلىٰ تلك الأزمات وبَدَوا كذلك حذرين في دراسة خيارات فعل ذلك التي قد تكون لها مخاطر سياسية وأمنية مثل الالتزام بتوفير القوات العسكرية للقتال أو توفير دعم مادي واسع النطاق للعناصر المسلحة من المعارضة، وفي ضوء هذه الظروف والتوجهات، فقد يواجه الكونجرس خيارات صعبة فيما يتعلَّق بسياسة الولايات المتحدة تجاه سوريا والإنفاق المتعلق بها من الأموال الأمريكية الخاصة بالدعم الإغاثي والأمني لأعوام قادمة.

---

(١) لتفاصيل حول الدعم الإنساني الأمريكي العام المالي ٢٠١٤ بتاريخ ٣٠ يوليو ٢٠١٤ ينظر: *USAID, Syria Complex Emergency Fact Sheet #20*.

(٢) خطة Syria Humanitarian Assistance Response Plan (SHARP) التابعة لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (UNOCHA).

القوات المعارضة للأسد

ائتلاف المعارضة السورية وعناصر مسلحة مختارة

لقد شاركت القوات المعارضة للأسد في سلسلة من عمليات إعادة الاصطفاف والنزاعات الداخلية منذ منتصف العام ٢٠١٣، ممَّا خلق تعقيدات للأطراف الخارجية الساعية لتوفير الدعم.

حتىٰ اليوم، سعت الولايات المتحدة نحو بناء قدرة ائتلاف المعارضة السورية والنشطاء المحليين، لكنَّ كثيرًا من المجموعات المسلحة السنية قد استنكرت مشاركة الائتلاف في محادثات يناير وفبراير٢٠١٤ في سويسرا مع نظام الأسد والمعروفة باسم «جنيف ٢». لقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالائتلاف كالممثل الشرعي للمعارضة السورية وقررت في مايو ٢٠١٤ أنَّ مكتب تمثيل الائتلاف في الولايات المتحدة سيعد بعثة أجنبية دبلوماسية وَفقًا لقانون البعثات الأجنبية (22 U.S.C. 4301-4316)[١].

في يوليو، انتخب الائتلاف هادي البحرة، رجل أعمال سوري يقال بأنَّه ذو علاقات وثيقة مع المملكة العربية السعودية، كزعيم جديد للائتلاف، عمل البحرة كمفاوض في محادثات السلام المدعومة من السعودية في أوائل ٢٠١٤، وكان ناقدًا صريحًا لإشارات الولايات المتحدة إلىٰ أن عدم تنظيم المعارضة وصراعاتها الداخلية

(١) وفقًا لمسؤول بالإدارة الأمريكية لم يصرَّح باسمه؛ فإن القرار لن يمنح موظفي الائتلاف الحصانة الدبلوماسية أو ينقل السيطرة أو الملكية لأي من ممتلكات الدولة السورية الواقعة داخل السلطة القضائية للولايات المتحدة إلىٰ ائتلاف المعارضة السورية. منذ يونيو ٢٠١٤، لم تكن حكومة الولايات المتحدة قد سحبت بشكل رسمي الاعتراف الدبلوماسي من حكومة بشار الأسد رغم قيام وزارة الخارجية الأمريكية بطرد بعض الدبلوماسيين السوريين من الولايات المتحدة.

قد ساهمت في عدم نجاحها. في يونيو ٢٠١٤، جادل البحرة بأن «توسع التطرف عبر الحدود هو نتيجة لممانعة الدول الصديقة، بما فيها الولايات المتحدة، لإعطاء الدعم الكافي للشعب السوري والثوارالشعبيين لعرقلة صعود الجماعات المتطرفة والمنظمات الإرهابية التي يتم استيرادها من الدول المجاورة لسوريا»[1]، تحت قيادة البحرة، يستمر الائتلاف في تأييد توسيع الدعم من الولايات المتحدة والأطراف الثالثة الأخرىٰ لمجموعات المعارضة كوسيلة لمحاربة الجماعات المتطرفة في سوريا وللضغط علىٰ حكومة الأسد للموافقة علىٰ تسوية تفاوضية للصراع.

★ ما هو «الجيش السوري الحر»؟

يُستخدم تعبير «**الجيش السوري الحر**» من قِبل بعض الجهات السورية والأجنبية المؤيدة لقوات المعارضة في سوريا للإشارة إلىٰ عدد من الجماعات المسلحة المختلفة التي تُشير إلىٰ نفسها باعتبارها أعضاء في الجيش الحر. يعد بعض هذه الجماعات علمانيًّا من الناحية الظاهرية، وقد يتسم بعضها بميول إسلامية سنية، لكن مع التعبير عن الاستعداد للعمل مع الجماعات العلمانية، ومنذ سبتمبر ٢٠١٤؛ فإنَّ تعبير «الجيش السوري الحر» لا يُشير إلىٰ هيكل قيادة وسيطرة منظم ذي امتداد وطني وإمكانات تجنيد واستخبارات وإمدادات ودعم موحدة. منذ ثورة ٢٠١١، لم يكن هناك أي قائد عسكري موحد للحركة، ولازال الأمر كذلك.

في البداية، حاول بعض المنشقين العسكريين السوريين الذين يعبرون عن أنفسهم بأنهم قيادات «للجيش السوري الحر»، حاولوا تقديم قيادة موحدة وبناء هذا النوع من الإمكانات للقوات المعارضة المنبثقة في أنحاء سوريا، لكنهم لم يتمكنوا من ممارسة السيطرة علىٰ أداء الوحدات المنفردة، وما زالت تستمر العداوات الإقليمية والشخصية، وصعود الجماعات الإسلامية المسلحة، والرعاة الأجانب المتنافسون في تقويض تلك الجهود، كما أثبتت قيادة عسكرية عُليا (انظر أدناه)، والتي كانت قد تكونت في محاولة للتغلب علىٰ تلك التحديات، أثبتت عدم قدرتها علىٰ التغلب عليها حتىٰ هذا التاريخ.

---

(١) مقال صادر بتاريخ ٢٤ يونيو ٢٠١٤ عن ائتلاف المعارضة السورية، بعنوان:
Obama's Remarks Cast Greater Responsibility on his Administration.

في الوقت الحاضر، يستمر عدد من الجماعات المتقاتلة في الإشارة إلىٰ أنفسهم بأنهم جزء من «الجيش السوري الحر» الكبير بينما يواصلون أداء العمليات بشكل مستقل، وتشير جماعات مسلحة عدة في الجنوب السوري إلىٰ نفسها بأنها داعمة «للجيش السوري الحر»، وتستمر في إعلان مسؤوليتها عن الهجمات علىٰ قوات الحكومة السورية في دمشق وفي بعض المناطق المحيطة بها وفي محافظة درعا، وهناك محاولات جديدة لتوحيد «الجيش السوري الحر» تتم من داخل سوريا، وكذلك من الخارج.

في الشمال السوري، أعلنت خمس جماعات مؤثرة من «الجيش السوري الحر» في سبتمبر ٢٠١٤ عن خطط للتوحد تحت هيكل قيادة واحد يعرف باسم الفيلق الخامس (الفرقة ١٠١ مشاة، والفرقة ١٣ واللواء الأول ولواء فرسان الحق ولواء صقور جبل الزاوية)، كما يستمرقائد جبهة ثوار سوريا جمال معروف (انظر أدناه) في الجهود لتوفير القيادة للجماعات المقاتلة في الشمال ويشير بشكل مستمر إلىٰ قواته باعتبارها مؤيدة «للجيش السوري الحر».

لقد كان المكون المهم الآخر من الإعانة الأمريكية هو توفير الدعم الفتاك وغير الفتاك للجماعات المسلحة، بالتنسيق رمزيًّا مع مجلس القيادة العسكرية العليا، والذي كانت قيادته في حالة من عدم الاستقرار لغالب العام ٢٠١٤، وفي يونيو ٢٠١٤، أعلن عن استقالة عدد من الضباط العسكريين من المجلس وحذر قائد المجلس العميد الركن عبد الإله البشير النعيمي من أن دعم الولايات المتحدة لجماعات مسلحة منفردة يسبب خطر صنع «زعماء حرب»[1] منفصلين. أما اللواء سليم إدريس القائد السابق لمجلس القيادة العسكرية العُليا وقادة آخرون، فقد أعلنوا رفضهم للتغييرات التي تمت سابقًا في ٢٠١٤، وابتعدوا بأنفسهم عن مسؤولي المجلس، وعن وزير دفاع المجلس آنذاك، وفي يوم ٢٦ يونيو، أعلن عن إصدار الحكومة الانتقالية للمعارضة لقرار يقضي بحل مجلس القيادة العسكرية العُليا، وهو التحرك الذي لاقىٰ رفضًا من البشير وآخرين، في يوليو، صوت ائتلاف المعارضة السورية علىٰ حل الحكومة الانتقالية

---

(١) مقال لداشا أفاناسيفا بتاريخ ٩ يونيو ٢٠١٤ نشر في روترز بعنوان:
US arms could create Syria 'warlords', rebel commander says.

للمعارضة، وتشير التقارير التالية لذلك بأنَّ جهودًا تجري لإعادة ترتيب القيادة العسكرية وآليات تواصلها مع ائتلاف المعارضة السورية، قال رئيس ائتلاف المعارضة السورية، البحرة، في يوليو ٢٠١٤ إنَّ قيادة الائتلاف كانت قد بدأت دراسة امتصاص كتائب الثوار العاملة إلىٰ داخل مجلس القيادة العسكرية العُليا كخطوة نحو ترتيب الجهود العسكرية تحت راية واحدة لمواجهة تهديد الجماعات المتطرفة المتنامية، لقد أصبح من الواضح أنَّ الأسد لن يدفع نحو الجلوس علىٰ مائدة المفاوضات ما لم يتم تحويل الحالة العسكرية علىٰ الأرض لصالح قوات الثوار، وهو شيء لا يمكن تحقيقه إلَّا من خلال ترتيب فصائل الثوار في كيان موحد(١).

وتُشير بعض التقارير إلىٰ أنَّ جبهة ثوار سوريا وأحد قادتها البارزين، جمال معروف، أو عناصر فردية سبق لها الارتباط بمجلس القيادة العسكرية العُليا قد تكون في حالة صعود كبؤر لتلقي دعم خارجي جديد من الولايات المتحدة، وآخرين ممن يسعون نحو دعم قوات معارضة مسلحة معتدلة نسبيًا.

في أغسطس ٢٠١٤، أعلنت جبهة ثوار سوريا ومجموعات أخرىٰ عن تكوين مجلس قيادة ثورة جديد لتنسيق جهودها، ويظل مدىٰ فاعلية الكيان التنسيقي الجديد أو كيفية تعامله مع جهود ائتلاف المعارضة السورية/ مجلس القيادة العسكرية العُليا ذات العلاقة لتوفير القيادة والسيطرة علىٰ قوات المعارضة، يظل كل ذلك أمرًا خاضعًا للمراقبة، فمنذ أبريل ٢٠١٤، أصدر ائتلاف من قوات الميليشيات يعرف باسم حركة حزم وعدة مجموعات أخرىٰ مقاطع فيديو لعملائها يقومون بتعبئة وإطلاق ما يبدو أنه أسلحة مضادة للدبابات من أصل أمريكي في سوريا(٢)، ولا توجد معلومات معلنة محددة بشأن مصادر الأسلحة وبشأن هوية الوحدات أو العاملين الذين ما زالت لديهم القدرة علىٰ الوصول إلىٰ أسلحة أمريكية المصدر(٣).

---

(١) مقال بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠١٤ صادر عن ائتلاف المعارضة السورية بعنوان:

Syrian Coalition Works To Absorb New Rebel Battalions Within FSA.

(٢) ينظر قناة حركة حزم علىٰ موقع YouTube بتاريخ ١٥ أبريل ٢٠١٤، الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v = 5x5Q4aTGvu0

(٣) يطبق القسم ٣ (a) (٢) من قانون الرقابة علىٰ صادرات الأسلحة ((2) (a) 22 U.S.C. 2753) التزامات وقيودًا وعقوبات محتملة نتيجة إساءة استخدام المعدات أمريكية الأصل وذلك علىٰ أي عملية =

وفي أغسطس، نشر ائتلاف الميليشيات الإسلامية المعروف بجبهة أنصار الإسلام مقاطع فيديو مماثلة تدعي تصوير قيام أفرادها بإطلاق أسلحة مضادة لدبابات أمريكية الأصل[١]. قال أحد المسؤولين المرتبطين بحركة حزم لصحيفة النيويورك تايمز: إن «دولًا صديقة» قد قامت بتوفير «أعداد متواضعة» من الأسلحة[٢]، كما قال قائد المجموعة لصحيفة الواشنطن بوست: إن الجهات التي قامت بتوفير الصواريخ كان لديها تصريح من الحكومة الأمريكية، وقال: إن الشحنة «تشير إلىٰ تغير في سلوك الولايات المتحدة نحو السماح لأصدقاء سوريا بدعم الشعب السوري»[٣]، وفي مقابلة في سبتمبر ٢٠١٤، قال عضو في حركة حزم بحسب التقارير: «نحن نتعامل مع الأمريكيين لرفع معاناة شعبنا، وليس لأجل أن نحقق مصالح أمريكا في بلادنا»[٤].

وعند سؤالها عن الشحنات المعلن عنها وعن استخدام أسلحة أمريكية المصدر من قبل الثوار السوريين، قالت بيرناديت ميهان، المتحدثة باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي: «الولايات المتحدة ملتزمة ببناء قدرة المعارضة المعتدلة، ويدخل ضمن ذلك توفير الإعانة لأعضاء مختارين من المعارضة المسلحة المعتدلة، وكما قلنا

= إعادة نقل من قبل المتلقين الأجانب لمنتجات أو خدمات دفاعية أمريكية المصدر أو بيانات فنية ذات علاقة إلىٰ دولة أخرىٰ. إذا حدثت مثل عملية إعادة النقل هذه دون موافقة مسبقة من الولايات المتحدة، فقد تعد الدولة التي تقوم بمثل هذه العملية خارقة للتعاقد مع الولايات المتحدة بعدم اتخاذ أي إجراء من هذا النوع دون الموافقة المسبقة لحكومة الولايات المتحدة.

(١) ينظر قناة جبهة أنصار الإسلام علىٰ موقع YouTube بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠١٤، الروابط:

http://www.youtube.com/watch?v=k9pxIFUKEZg

http://www.youtube.com/watch?v=1QclDMPQkPw

(٢) مقال لبن هابارد بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠١٤ في صحيفة **النيويورك تايمز** بعنوان:

Syrian Elections Announced; Rebels Report New Weapons.

(٣) مقال لليز سلاي بتاريخ ٢٧ أبريل ٢٠١٤ في صحيفة الواشنطن بوست بعنوان:

Syrian rebels who received first U.S. missiles of war see shipment as 'an important first step'.

(٤) مقابلة بتاريخ ٢ سبتمبر ٢٠١٤ لمحمد الفارس علىٰ موقع *Zaman al-Wasl* (زمان الوصل) بعنوان:

.Hazem Commander: 'We Are Not US Agents'

باستمرار، فنحن لن نقوم بتفصيل كل نوع مفرد من أنواع الإعانة»[1]، وفي يوم ٥ مايو، قام مسؤول كبير في الإدارة لم يُذكَر اسمُه بإعادة صياغة ذلك التعبير لأعضاء البعثات الصحفية في بيان تعريفي، بينما كان يصرح بأن «عدم التناسق الموجود علىٰ الأرض من الناحية العسكرية، مع الأسف، بين النظام والمعارضة، هو أمر معرقل لنشوء أنواع من الظروف السياسية الضرورية لتحقق عملية سياسية جادة، ونحن وآخرون نكرس تركيزنا لذلك»[2].

في شهر يونيو، طلبت الإدارة التمويل والتصريح بتسليح وتدريب قوات معارضة مختارة بعد المصادقة علىٰ اقتراح للجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ مضمن في القسم ١٢٠٩ من اجتماع المجلس ٢٤١٠، وكما هو مفصل أدناه (انظر «التوسيع المقترح للدعم الفتاك وغير الفتاك»)، أشار الرئيس أوباما إلىٰ نيته توسيع الدعم لمجموعات معارضة مختارة في سوريا كمكون من الجهود الجديدة لمواجهة الدولة الإسلامية.

★ الجماعات الإسلامية المسلحة:

في أواخر ٢٠١٣، أعلن عدد من الميليشيات الإسلامية القوية ـ والتي كان بعضها قد ساهم من قبل في تكوين مجلس القيادة العسكرية العُليا ـ عن تكوين جبهة إسلامية جديدة[3]، وفي أوائل عام ٢٠١٤، تحركت الجبهة الإسلامية وغيرها من ائتلافات المعارضة في الشمال السوري لطرد مقاتلي الدولة الإسلامية من مناطق في شمال وغرب سوريا، ولا يزالون مشتبكين في نزاعات مع قوات التنظيم في مناطق عديدة، وقبل نشوب المواجهات مع الدولة الإسلامية، عدَّ كثير من المراقبين الجبهة الإسلامية أقوىٰ العناصر بين قوات المعارضة الموجودة في الشمال السوري، ويبدو أنَّ ضغوط

---

(١) مقال لتوم بوومان وأليس فوردهام بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠١٤ علىٰ مدونة *National Public Radio* الإليكترونية بعنوان: *CIA Is Quietly Ramping Up Aid to Syrian Rebels, Sources Say*.

(٢) نسخة من موجز خلفية حول الوضع في سوريا قدم من مسؤول كبير بالإدارة الأمريكية، وزارة الخارجية الأمريكية، ٥ مايو ٢٠١٤.

(٣) كانت الجماعات المسلحة التالية هم الموقعين الأصليين علىٰ ميثاق الجبهة الإسلامية: حركة أحرار الشام الإسلامية، ألوية صقور الشام، كتائب أنصار الشام، جيش الإسلام، لواء التوحيد، لواء الحق.

المواجهات بين أفراد الجبهة الإسلامية والدولة الإسلامية قد أضعفت من تماسك الجبهة، حيث شجعت الاختلافات في الأيديولوجيا والاستراتيجية والتكتيكات المفضلة بعضَ الأفراد والوحدات داخل الجبهة لمراجعة مواقفهم.

في يوليو ٢٠١٤، أعلنت مجموعات منتمية للجبهة الإسلامية في حلب اندماجها الكامل تحت قيادة زعيم لواء التوحيد السابق عبد العزيز سلامة. ويستمر زهران علوش، القائد العسكري لجماعة جيش الإسلام المرتبطة بالجبهة الإسلامية، يستمر في قيادة عمليات مضادة للنظام في الضواحي الشرقية لدمشق، حيث اتفق ائتلاف من الجماعات الإسلامية المسلحة حديثًا علىٰ تكوين قيادة عسكرية موحدة منفصلة، وفي ٩ سبتمبر، تسبب انفجار وحريق في قتل عدد من قيادات الحركة الإسلامية القوية المعروفة بأحرار الشام أثناء اجتماع لهم في محافظة إدلب، ممَّا حدا بالكثير من المراقبين إلىٰ التساؤل عن مستقبل تلك الجماعة، رغم حجمها وإمكاناتها.

وأعلن ميثاق نوفمبر ٢٠١٣ للجبهة الإسلامية عن تضمن أهدافها «للإطاحة الكاملة بنظام الأسد في سوريا وبناء دولة إسلامية محكومة بشريعة الله وحده»[(١)]، في تلك الوثيقة، أعلنت الجبهة عن نبذها التام لمبادئ العلمانية والدولة المدنية، ورفضها «للإملاءات الأجنبية»، وصرحت بالتزامها بالحفاظ علىٰ وحدة الأراضي السورية.

كما نبذ قادة الجبهة ائتلاف المعارضة السورية وأصدروا بيانًا في ٢٠ يناير بالتضامن مع جيش المجاهدين وجماعة أخرىٰ يرفضون فيه (محادثات جنيف ٢)، ويضعون عددًا من الشروط التي يجب تحقيقها قبل أن يبدؤوا في التفكر في تسوية[(٢)]، ودعا البيان إلىٰ تنحي «كامل النظام بما فيه رأسه وكل الشخصيات الإجرامية فيه»،

---

(١) ميثاق الجبهة الإسلامية. للترجمة ينظر: US Government Open Source Center Document: Syria: New 'Islamic Front' Formation Releases Charter ٢٦ نوفمبر ٢٠١٤. لم أقف في الأصول العربية للميثاق المذكور علىٰ ما يقابل الترجمة الإنجليزية المذكورة أعلاه بنصها. (المترجم).

(٢) الموقعون ـ الجبهة الإسلامية، جيش المجاهدين، الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام ـ يشيرون إلىٰ أنفسهم بتعبير «القوات العاملة علىٰ الأرض» في مقابل «أولئك الذين لا يمثلون إلا أنفسهم» OSC. Document: Syria: IF, Others Reject Regime Presence at Geneva 2, Issue Conditions for Political Solution – ٢٠ يناير ٢٠١٤.

ودعا إلىٰ المحاسبة القانونية للمؤسسات الأمنية.

وطالبت الجبهة وحلفاؤها أيضًا «بألا يكون هناك أي تدخل في صورة الدولة المستقبلية فيما بعد [تنحي] النظام، وألا تفرض أي أمور تتنافىٰ مع الهوية الإسلامية للجماهير أو التي تنزع أيًا من حقوق أي طائفة من المجتمع»، تعرض «ميثاق شرف ثوري» أصدر من قبل الجبهة وجماعات أخرىٰ في مايو ٢٠١٤ لنقد من بعض الشخصيات الإسلامية المتشددة لعدم دعوته صراحة لإقامة دولة إسلامية في سوريا ما بعد الأسد، وسعت الجبهة الإسلامية إلىٰ منع مؤيديها من المشاركة في الانتخابات الرئاسية في يونيو ٢٠١٤، لكنها منعت أيضًا الهجمات علىٰ مراكز الاقتراع وشجعت مؤيديها علىٰ عدم اعتبار المشاركين في التصويت من الكفار.

حاولت جبهة النصرة، وهي ميليشيا مرتبطة بالقاعدة وضعت علىٰ قائمة المنظمات الإرهابية الأجنبية من قبل الولايات المتحدة، حاولت أولًا التوسط بين الدولة الإسلامية وخصومها، لكنَّها الآن في صراع صريح مع التنظيم (انظر الشكل ٢ لتسلسل زمني لظهور تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة).

لقد بعثت المواجهة بين التنظيمين موجات صدمة عبر المجتمع الجهادي العالمي بينما ذهب رجال الدين وقادة الجماعة المسلحة والأفراد المؤيدون يعلنون آراء كل منهم حول الصراع الداخلي. بشكل عام، رأت قوات المعارضة السورية الأخرىٰ جبهة النصرة أكثر احتواء وتعاونًا من الدولة الإسلامية، بما في ذلك بعض الجماعات التي تعارض أيديولوجية جبهة النصرة، وينسق بعض عناصر الجبهة الإسلامية ومجموعات معارضة غير إسلامية أخرىٰ عملياتهم مع جبهة النصرة في مناطق مختلفة. إنَّ ضغط مقاتلة تنظيم الدولة الإسلامية وعدم التوافق بين الأهداف السياسية للجماعات المختلفة تنتج ضغوطًا في صالح مثل هذا التنسيق وضده في آنٍ واحد.

اتهم وزير الخارجية جون كيري حكومة الأسد «بدعم بعض هؤلاء المتشددين - لدرجة التخلي عن بعض الأراضي لهم لجعلهم يمثلون مشكلة أكبر بحيث يستطيع النظام أن يدعم حجته بأنه يبدو نوعًا ما في صورة من يقدم الحماية منهم»(١). يزعم

---

(١) مقال لبن هابارد في صحيفة النيويورك تايمز بعنوان .. Syria Proposes Aleppo Cease-Fire - ١٧ يناير ٢٠١٤.

عدد من التقارير الصحفية أن جماعات المعارضة باعت النفط ومنتجات البترول من مناطق خاضعة لسيطرتها إلىٰ وكلاء للحكومة السورية، كما أن التسامح السابق لحكومة الأسد مع بعض الجماعات السنية المتطرفة المعادية للولايات المتحدة أثناء التواجد الأمريكي في العراق وإفراج الأسد عن عدد من المتطرفين المعروفين من السجن في ٢٠١١ يثير المزيد من التساؤلات حول استراتيجية النظام.

لقد اجتذبت معارك المعارضة الداخلية والهجوم الذي قامت به الدولة الإسلامية في أواسط ٢٠١٤ المزيد من الانتباه الدولي إلىٰ تكوين واتجاه المعارضة السورية، وتوفير الدعم الخارجي لعناصرها العسكرية.

أثار تكون الجبهة الإسلامية في نوفمبر ٢٠١٣ أسئلة عن أي القوات بقيت مرتبطة بمجلس القيادة العسكرية العليا، وما إذا كانت هذه القوات شركاء يمكن الوثوق بهم من طرف الولايات المتحدة وآخرين، ثم سيطر مقاتلو الجبهة الإسلامية في ديسمبر علىٰ منشآت ومعدات مملوكة للمجلس المدعوم من الولايات المتحدة، وكان من بينها مواد قامت الولايات المتحدة بتوفيرها.

يُثير هذا الحادث ورفض الجبهة لاستراتيجية الولايات المتحدة المفضلة للتفاوض إضافة إلىٰ هدف الجماعة طويل الأمد لإقامة دولة إسلامية في سوريا، يُثير كل ذلك تساؤلات جوهرية حول ما إذا كان من المفترض للولايات المتحدة أن تشرك الجماعة في استراتيجيتها وكيفية تحقيق ذلك.

في بيان رسمي من اجتماعهم في باريس في يناير ٢٠١٤، صرحت الولايات المتحدة والأعضاء الآخرون في (المجموعة الأساسية للدول أصدقاء سوريا» (المعروفين أيضًا باسم «لندن ١١» أو «المجموعة الأساسية»)[١] بأن «كل الجماعات المسلحة يجب أن تحترم القيم الديمقراطية والتعددية وتقر بالسلطة السياسية للائتلاف الوطني [ائتلاف المعارضة السورية]، وتقبل أفق الانتقال الديمقراطي المتفاوض عليه في جنيف . . .»[٢]، ويظل أمر ما إذا كانت البيانات الصادرة عن الجبهة الإسلامية

---

(١) تتكون المجموعة من مصر وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والأردن وقطر والمملكة العربية السعودية وتركيا والإمارات العربية المتحدة والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

(٢) إعلان الاجتماع الوزاري للمجموعة الأساسية بشأن سوريا، باريس. صدر عن وزارة الخارجية الفرنسية، ١٢ يناير ٢٠١٤.

وآخرين الرافضة للديمقراطية العلمانية والسلطة السياسية لائتلاف المعارضة السورية والمفاوضات مع حكومة الأسد أمرًا يعيق المشاركة من قبل الجهات الخارجية مع الجبهة وحلفائها ضد الدولة الإسلامية والجماعات المرتبطة بالقاعدة أو ضد القوات المؤيدة للأسد.

★ التهديدات التي يثيرها المتطرفون السنة في سوريا والعراق:

منذ يناير ٢٠١٤، أصدر المسؤولون الأمريكيون عدة بيانات يصفون فيها قدرة المتطرفين الموجودين في سوريا علىٰ خلق تهديدات إرهابية للولايات المتحدة، وبالتحديد، سلط مسؤولون أمريكيون وأوروبيون الضوء علىٰ التهديد الذي يمكن أن يشكله المقاتلون الأجانب، والذين يحمل بعضهم جوازات سفر أمريكية وأوروبية، وفي شهادة أمام لجنة الكونجرس الدائمة للاستخبارات في فبراير ٢٠١٤ قال مدير وكالة المخابرات المركزية جون برينان: إن هناك ثلاث مجموعات من الناس يعدون سببًا للقلق، من منظور تشددي؛ أحرار الشام، جبهة النصرة، وهي عنصر تابع للقاعدة داخل سوريا، وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، إن هاتين الاثنتين الأخيرتين هما من وجهة نظري اللتان تعدان الأكثر تكرسًا لأجندة إرهابية، نحن قلقون من استخدام الأراضي السورية من قبل تنظيم القاعدة لتجنيد أفراد وتطوير إمكانات ليس فقط لتنفيذ هجمات داخل سوريا، ولكن لاستخدام سوريا أيضًا كقاعدة انطلاق، إذن؛ فهذه العناصر -القاعدة وداعش- هي ما يقلقني خاصة من حيث قدرة هذه المجموعات علىٰ اجتذاب الأفراد من دول أخرىٰ، من الغرب وعبر الشرق الأوسط وجنوب آسيا، وفي وجود بعض الأفراد ذوي الخبرة هناك ممن كانت لهم تجربة في تنفيذ الجهاد العالمي . . . هناك معسكرات في كل من سوريا والعراق تستخدم من قبل القاعدة لتطوير إمكانات يمكن تطبيقها في كل من ذلك المسرح وفيما هو أبعد من ذلك[١].

سمىٰ برينان التهديد الذي تشكله هذه المجموعات «مصدر قلق علىٰ المدىٰ القصير

---

(١) شهادة مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية جون برينان أمام لجنة الكونجرس الدائمة للاستخبارات، ٥ فبراير ٢٠١٤.

إضافة إلىٰ المدىٰ الطويل»، وقال: إن «منظومة الاستخبارات، بما فيها وكالة المخابرات المركزية، تعمل بعناية شديدة مع شركائنا علىٰ المستوىٰ الدولي لمحاولة التعامل مع التحدي الإرهابي».

في أغسطس ٢٠١٤، أيَّدت الولايات المتحدة اتخاذ مجلس الأمن بالأمم المتحدة للقرار٢١٧٠، والذي قوىٰ من خطوات العقوبات الدولية المصممة لمكافحة تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة والكيانات المرتبطة بالقاعدة، ويدعو القرار جميع الدول الأعضاء «إلىٰ اتخاذ خطوات علىٰ المستوىٰ الوطني لمنع تدفق المقاتلين الإرهابيين الأجانب إلىٰ داعش وجبهة النصرة، وتقديم مقاتليهما وأي أفراد أو مجموعات أو متعهدين أو كيانات ترتبط بالقاعدة إلىٰ العدالة، بما يتوافق مع القانون الدولي الساري»، ويكرر القرار كذلك ذكر التزام الدول الأعضاء بعرقلة سفر الإرهابيين والحد من توريد الأسلحة والتمويل، وكذلك تبادل المعلومات فيما يتعلق بتلك الجماعات.

في ٥ سبتمبر، أعلن وزير الخارجية الأمريكي جون كيري ووزير الدفاع تشاك هيجيل عن خطط «لتكوين قوة عمل متعددة الجنسيات لمشاركة معلومات أكثر حول تدفق المقاتلين الأجانب إلىٰ سوريا ومن سوريا إلىٰ العراق»، قائلين: «إنَّ هؤلاء المقاتلين الأجانب يشكلون تهديدًا خطيرًا علىٰ حلفائنا في حلف شمال الأطلسي الناتو»[١].

★ الدولة الإسلامية «المعروفة بالدولة الإسلامية في العراق والشام أو داعش»:

الدولة الإسلامية هي جماعة إرهابية متمردة عابرة للحدود القومية قامت بتوسيع نطاق سيطرتها علىٰ مناطق من العراق وشمال شرق سوريا منذ ٢٠١٣، مهددة الأمن في كلا البلدين وجاذبة المزيد من الانتباه من المجتمع الدولي.

في سبتمبر ٢٠١٤، صرح مدير المركز القومي لمكافحة الإرهاب ماثيو أولسن أنَّ

---

(١) بيان مشترك لوزيري الخارجية والدفاع الأمريكيين كيري وهيجيل حول الاجتماع بشأن داعش، بتاريخ ٥ سبتمبر ٢٠١٤.

الجماعة تمثل «تهديدًا مباشرًا وواضحًا علينا -وعلىٰ المدنيين العراقيين والسوريين- في المنطقة وبشكل محتمل علينا في وطننا هنا»[١]. قال أولسن: إنَّ «هدف الجماعة الاستراتيجي هو تأسيس الخلافة الإسلامية من خلال الصراع المسلح مع الحكومات التي تعتبرها كافرة- بما فيها حكومات العراق وسوريا والولايات المتحدة»، كما قال أولسن: إنه «ليست لدينا معلومات موثقة حول تخطيط داعش لمهاجمة الولايات المتحدة»، وسلط الضوء علىٰ التهديدات المحتملة التي يمثلها المقاتلون الأجانب من حاملي جوازات السفر الغربية، ووَفقًا لأولسن؛ فإنَّ مسؤولي مكافحة الإرهاب الأمريكيين «في حالة يقظة لاحتمال أن يقوم متعاطف مع داعش -ربما من المدفوعين بالدعاية علىٰ شبكة الإنترنت- بتنفيذ هجوم محدود ذاتي التدبير هنا في بلاد الوطن دون سابق إنذار»، غير أنَّ أولسن لاحظ أيضًا أنَّه «من وجهة نظرنا؛ فإنَّ أي تهديد تجاه أراضي الولايات المتحدة من هؤلاء الأنواع من الإرهابيين يرجح أن يكون محدود النطاق والحجم».

كما قدم متحدث باسم وكالة المخابرات المركزية تقديرًا محدثًا لحجم تنظيم الدولة الإسلامية في سبتمبر ٢٠١٤، قائلًا بأن المجموعة يمكن أن تحشد ما قدره ٢٠,٠٠٠ إلىٰ ٣١,٥٠٠ من الأفراد، كما أخبر رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية الجنرال مارتن ديمسي لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ في يوم ١٦ سبتمبر أن ثلثي أفراد تنظيم الدولة الإسلامية باقون في سوريا.

وفي داخل سوريا، تظل الدولة الإسلامية أقوىٰ في محافظة الرقة وفي محافظتي دير الزور والحسكة الشرقية، المتاخمتين لغرب العراق، وركزت عملياتها الأخيرة في سوريا علىٰ نزع السيطرة علىٰ القواعد العسكرية الحكومية في محافظة الرقة، خاصة اللواء ٩٣ شمال مدينة الرقة ومطار الطبقة العسكري.

كما يظل مطار الكويرس العسكري الخاضع لسيطرة الحكومة تحت الحصار شرقي حلب، ويستمرمقاتلو الدولة الإسلامية في مواجهة قوات المعارضة السورية في مناطق في شمال شرق حلب ويظلون في اشتباك مستمر مع الميليشيات الكردية السورية

---

(١) ملاحظات مدير المركز القومي لمكافحة الإرهاب ماثيو أولسن في مؤسسة بروكينجز بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠١٤.

وميليشيات القبائل العربية في محافظات الحسكة ودير الزور.

أما في العراق، فقد أظهرت محاولات الدولة الإسلامية لفرض السيطرة علىٰ مدن الفلوجة والرمادي في محافظة الأنبار وحملتها الهجومية في أواسط ٢٠١٤ عبر شمال وغرب العراق فتك الجماعة وقدرتها علىٰ تنفيذ العمليات القتالية وإدارة الشراكات مع الجماعات المحلية في مناطق متعددة عبر مسافات جغرافية واسعة.

تشير التقارير إلىٰ أنَّ تملك الدولة الإسلامية لأسلحة عسكرية واستعدادها لاستخدام تكتيكات متوحشة ضد خصومها يساهمان في قدرة الجماعة علىٰ زيادة حجمها المحدود نسبيًا للتحكم في المجتمعات من خلال الترهيب عبر مساحة واسعة، ومنذ أوائل سبتمبر ٢٠١٤، سيطر تنظيم الدولة الإسلامية علىٰ الموصل ومناطق غرب الحدود السورية، ومارس السيطرة علىٰ مساحات من وادي نهر الفرات من الحدود السورية وحتىٰ أبو غريب علىٰ مشارف بغداد، وكانت تجري عمليات عسكرية مكثفة في المجتمعات الممتدة بطول وادي نهر دجلة، ومن بين ذلك في تكريت وسامراء.

إنَّ مدىٰ صمود شراكات الدولة الإسلامية هو أمر مختلف عليه في وجود الصدامات مع الجماعات المسلحة الأخرىٰ في سوريا والمعارضة السابقة لماضي الدولة الإسلامية من قبل القبائل العربية والإسلاميين الآخرين والجماعات الكردية والبعثيين في العراق.

★ الخلفية:

تكمن جذور الجماعة الأيديولوجية والتنظيمية (الشكل ٢) في القوىٰ التي بناها الراحل أبو مصعب الزرقاوي وكان يقودها في العراق منذ ٢٠٠٢ إلىٰ ٢٠٠٦ - التوحيد والجهاد والقاعدة في بلاد الرافدين (المعروفة أيضًا بتنظيم القاعدة في العراق)، وبعد مقتل الزرقاوي علىٰ يد القوات الأمريكية في يونيو ٢٠٠٦، أعاد قادة تنظيم القاعدة في العراق ترتيب الجماعة في ائتلاف يعرف بدولة العراق الإسلامية، وخسرت دولة العراق الإسلامية قائديها الاثنين في عام ٢٠١٠، وتم إضعافها، لكن لم يتم القضاء عليها، بحلول موعد انسحاب قوات الولايات المتحدة عام ٢٠١١، وتحت قيادة

إبراهيم عواد إبراهيم البدري السامرائي (المعروف بأبي بكر البغدادي)[1]، أعادت دولة العراق الإسلامية بناء إمكاناتها، وبحلول أوائل ٢٠١٣، كانت الجماعة تنفذ عشرات من الهجمات القاتلة كل شهر داخل العراق، أما الطبيعة الحقيقية لعلاقة دولة العراق الإسلامية بقيادات القاعدة منذ ٢٠٠٦ فصاعدًا فتعد غير واضحة، ففي الأشهر الأخيرة، صرح قادة الدولة الإسلامية بوجهة نظرهم أن جماعتهم «ليست ولم تكن انبثاقًا من القاعدة»[2]، وأنَّهم، بما أنهم يرون أنفسهم دولة وكيانًا سياسيًّا مُستقلًّا، قد أعطوا قيادات تنظيم القاعدة الاحترام والتقدير لا التعهد بالطاعة.

في أبريل ٢٠١٣، أعلن أبو بكر البغدادي عن نيته لدمج قواته في العراق وسوريا مع قوات جبهة النصرة المتمركزة في سوريا تحت مسمىٰ الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). رفض قادة كل من جبهة النصرة والقاعدة الاندماج مؤكدين بذلك تنامي التوتر بين المتطرفين السنة في المنطقة، وفي يوليو ٢٠١٣، هاجمت داعش سجون أبو غريب والتاجي في العراق، مطلقة وفق التقارير سراح عدة مئات من أعضائها المحتجزين ومؤدية إلىٰ اهتزاز ثقة المجتمع الدولي في قوات الأمن العراقية.

واصلت داعش موجة عنيفة من الهجمات عبر شمال وغرب ووسط العراق، بينما عززت الجماعة في سوريا سيطرتها علىٰ مدينة ومحافظة الرقة ووسعت من تواجدها في المناطق الشمالية الغربية التي كانت وقتئذ تحت سيطرة قوات ثورية أخرىٰ.

شهدت أواخر ٢٠١٣ سعي الحكومة العراقية نحو الحصول علىٰ دعم موسع في المجالات العسكرية ومكافحة الإرهاب من الولايات المتحدة، وذلك فيما يبدو لمواجهة تهديد الدولة الإسلامية المتنامي، وفي داخل سوريا، زادت الدولة الإسلامية من تنفير شركائها من الثوار، وانفجرت حملة مضادة لتنظيم الدولة الإسلامية هناك في أوائل ٢٠١٤ طاردة التنظيم من بعض المناطق التي كانت تسيطر عليها ومطلقة العنان

---

(١) كان البغدادي قد اعتقل واحتجز من قبل القوات الأمريكية في العراق في سجن بوكا حتىٰ الإفراج عنه في عام ٢٠٠٩.

(٢) تقرير OSC تويتر، ١ - ٢ مايو ٢٠١٤: *Al-Furqan Releases ISIL Al-Adnani's Message Criticizing AlÙZawahiri, Refusing to Leave Syria.*

لشوط من الصراع الداخلي المستمر، وبعد إطلاقها لحملة سبتمبر ٢٠١٤ الهجومية في شمال العراق غيرت داعش اسمها مرة أخرىٰ إلىٰ «الدولة الإسلامية»، وأعلنت عن إنشاء خلافة تربط المناطق الخاضعة لسيطرتها في العراق وسوريا تحت قيادة أبي بكر البغدادي.

★ الأيـدولـوجيـة:

تعكس البيانات والمواد الإعلامية التي أصدرتها داعش نظرة متصلبة وإقصائية نحو العالم وطموحًا صارمًا، وتبرز بيانات أبي بكر البغدادي والمتحدث باسم الدولة أبي محمد العدناني دعوات طائفية للعنف وتعتبر الشيعة وغير المسلمين والسنة غير المؤيدين أعداء في ظل كفاح الجماعة لإقامة «الدولة الإسلامية»، وإحياء رؤيتهم «للخلافة»[١]، وتصف الجماعة شيعة العراق بازدراء أنَّهم «رافضة»[٢]، و«(مشركون» وترسم صورة للحكومة العراقية باعتبارها ألعوبة في يد إيران. كما يوجه حنق مشابه نحو العلويين السوريين وحكومة الأسد، علىٰ الرغم من زعم بعض المصادر أنَّ الدولة الإسلامية قد استفادت من ترتيبات مالية وأمنية متنامية مع دمشق تعود إلىٰ فترة تواجد الولايات المتحدة في العراق.

وفي يوليو ٢٠١٢، حذر زعيم داعش أبو بكر البغدادي قادة الولايات المتحدة من أن «المجاهدين قد انطلقوا لملاحقة أعوان جيوشكم ممن هربوا ... سترونهم في بلادكم إن شاء الله. إنَّ الحرب معكم قد بدأت الآن فقط»[٣]، وفي يناير ٢٠١٤، هدد البغدادي الولايات المتحدة مباشرة، قائلًا: «اعلم يا حامي الصليب أنَّ حرب الوكالة لن تساعدك في الشام، كما أنَّها لن تساعدك في العراق. قريبًا، ستكون في المعركة

---

(١) تقرير OSC بتاريخ ٩ أبريل ٢٠١٣:

ISI Emir Declares ISI, Al-Nusrah Front: Islamic State of Iraq and the Levant

مترجمًا عن: *Ansar al Mujahideen Network*.

(٢) يستخدم التقرير لفظة rejectionist وهي صيغة النعت من rejectionism وهي لفظة إنجليزية واسعة الدلالة تدل علىٰ سلوك أو سياسة رافضة لحقيقة أو موضوع ما. (المترجم).

(٣) تقرير OSC بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠١٤:

Islamic State of Iraq Emir Calls on Sunni Tribes To 'Repent'.

المباشرة -بإذن الله- ضد إرادتك»[١]. تشير الدعاية الإنجليزية ومواد التجنيد التي نشرتهاالجماعة فيما يتعلّق بالإعدامات الأخيرة للمواطنين الأمريكيين: جيمس فولي، وستيفن سوتلوف، تشير إلىٰ أنَّ المجموعة تحاول أن تُظهر نفسها علىٰ أنها تستجيب للعدوان الأمريكي، وهو موقف تبناه من قبلها أسلافها الذين تحولوا إلىٰ خصومها الآن في القاعدة.

★ التأثيرات المحتملة لعمليات الدولة الإسلامية في العراق وسوريا[٢]:

من المرجح أن تؤدي مكاسب الدولة الإسلامية في العراق إلىٰ تسهيل تدفق الأسلحة والمقاتلين إلي داخل الشرق السوري وإلىٰ الدولة الإسلامية وجماعات أخرىٰ، وقد تؤدي إلىٰ زيادة التعاون الثنائي بين الحكومتين العراقية والسورية. ظهرت معدات أمريكية الأصل مستولىٰ عليها كانت قد قدمت إلىٰ قوات الأمن العراقية، ظهرت في صور قيل إنَّها أخذت في سوريا ونشرت من خلال وسائط التواصل الاجتماعي، ويمكن لتقدمات الدولة الإسلامية في العراق أن تضعف من قدرة الحكومة السورية علىٰ الصمود في المناطق المتنازع عليها، حيث ترجع بعض الميليشيات الشيعية العراقية التي كانت تحارب سابقًا إلىٰ جانب قوات الأسد إلىٰ بلادها لمواجهة قوات الدولة الإسلامية[٣].

كما قامت القوات السورية بحسب التقارير بتنفيذ غارات جوية ضد المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة الإسلامية في الرقة والحسكة بالتنسيق مع الحكومة العراقية، وَفقًا للمرصد السوري لحقوق الإنسان المستقر في لندن[٤]، ويمكن لزيادة التعاون بين

---

(١) تقرير OSC بتاريخ ١٩ يناير ٢٠١٤: *Al-Furqan Establishment Releases Audio Statement by ISIL Emir Condemning 'War' Against Group* - مترجمًا عن: *Al Minbar al I'lami Jihadist Forum*.

(٢) أعدته كارلا حمود، محللة متخصصة في شؤون الشرق الأوسط وإفريقيا.

(٣) مقال لأليسا روبين ورود نوردلاند بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠١٤ في صحيفة النيويورك تايمز بعنوان: *Seeing their gains at risk, Shiites flock to join militias.*

(٤) مقال في *The Daily Star* اللبنانية بتاريخ ١٥ يونيو ٢٠١٤ نقلًا عن وكالة فرانس بريس بعنوان: *Syria pounds ISIS bases in coordination with Iraq.*

دمشق وبغداد أن تغير من ديناميكيات كلا الصراعين، كما يمكن أن تقوض من جهود الولايات المتحدة الجارية لتشجيع القادة العراقيين بالضغط علىٰ الأسد للتنحي لصالح حكومة انتقالية، ويمكن للتنسيق العراقي السوري المتزايد أن يجعل بغداد أقل قابلية للانصياع للطلبات الأمريكية باتخاذ إجراءات صارمة ضد الشحنات الجوية الإيرانية العابرة من مجالها الجوي ناقلة الأسلحة والمعدات إلىٰ دمشق.

لا يبدو واضحًا ما هو التأثير الذي يمكن أن ينتج عن مكاسب الدولة الإسلامية في العراق خارج الشرق السوري، فنصف مقاتلي الدولة الإسلامية الموجودين في سوريا هم رجال قبائل سوريون أو عراقيون، وَفقًا لتصريحات منشق سوري عن الدولة الإسلامية[1]، وكشأن القطاعات الأخرىٰ من المعارضة السورية؛ فإنَّ القبائل السورية كانت في بعض الأحيان مترددة في أمر توسيع الاشتباك مع القوات الحكومية خارج مجال مناطقها المحلية، ومنذ بدايات ٢٠١٤، ركزت الدولة الإسلامية قواتها في شمال شرق سوريا، وقد تجنبت بشكل كبير المواجهات المنتظمة في المناطق المدنية الرئيسة في البلاد والواقعة في النصف الغربي من سوريا، ويمكن لأي محاولات عراقية أو أمريكية لعرقلة أو قطع خطوط إمداد الدولة الإسلامية الرابطة بين الشرق السوري وغرب العراق أن تفيد القوات العسكرية السورية وقوات جبهة النصرة المرتبطة بالقاعدة التي تعمل أيضًا في المنطقة.

★ القوات المؤيدة للأسد[2]:

لقد استمرت الحكومة السورية في عملياتها العسكرية والأمنية ضد المتمردين بينما

---

(١) مقال لثاناسيسكامبانيس في صحيفة النيويورك تايمز في ١١ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: *Sunni fighters gain as they battle 2 governments, and other rebels.* وينظر أيضًا: *The Tribal Factor in Syria's Rebellion: A Survey of Armed Tribal Groups in Syria* ضمن التقرير التحليلي *Terrorism Monitor* المجلد ١١ العدد ١٣، ٢٧ يونيو ٢٠١٤، الصادر عن *Jamestown Foundation*، وينظر أيضًا تقرير لنيكولاس هيراس بعنوان: *The Battle for Syria's Al-Hasakah Province* في مجلة *CTC Sentinel* الصادرة عن مركز مكافحة الإرهاب بالأكاديمية العسكرية الأمريكية، ٢٤ أكتوبر ٢٠١٣.

(٢) أعدته كارلا حمود، محللة متخصصة في شؤون الشرق الأوسط وإفريقيا.

مارست خطوات سياسية تهدف إلىٰ تقوية شرعية الأسد علىٰ المستويين المحلي والدولي. استمرت القوات الحكومية في عملياتها عبر الغرب السوري في محاولة لعزل الثوار وقطع خطوط الإمداد عنهم[١]، كما نفذت الحكومة منذ بداية العام أكثر من ٤٠ هدنة محلية مع جماعات الثوار في المناطق المحاصرة في دمشق وريف دمشق وحمص الأمر الذي سمح لها بتحقيق المزيد من السيطرة علىٰ بعض المناطق المتنازع عليها[٢].

في يوم ٢٥ أغسطس، أكَّد وزير الخارجية السوري وليد المعلم أثناء مؤتمر صحفي في دمشق علىٰ التهديد الإقليمي للجماعات الإرهابية مثل الدولة الإسلامية، وصرَّح بأنَّ دمشق مرحبة بالتنسيق لمكافحة الإرهاب مع الغرب طالما كانت أي عمليات تتم بالتنسيق مع الحكومة السورية. أضاف المعلم أن التنسيق سيخدم أيضًا في «منع حدوث سوء تفاهم، وهذا لأنَّ لدينا أنظمة دفاع جوي، وما لم يكن هناك تنسيق، فقد نصل إلىٰ تلك النقطة»[٣]، غير أنَّ بعض المراقبين يجادلون أن شبكة الدفاع الجوي السورية توفر تغطية غير متناسقة، حيث تكون كثيفة في المناطق المحيطة بدمشق ومنخفضة جدًّا في الشمال الشرقي الأقل عمرانًا بالسكان حيث تعد الدولة الإسلامية الأكثر سيطرة[٤].

قبل التقدم الإقليمي السريع للدولة الإسلامية في فصل الصيف، ألمح بعض المراقبين إلىٰ أن حكومة الأسد لم تكن قد كرست موارد كافية لمواجهة التنظيم جزئيًا بسبب دعم وجودها؛ لوصف الحكومة للمعارضة بأنَّها مَسُودة بالمتطرفين، كما بَدَا

---

(١) خبر منقول بتاريخ ١٦ يونيو ٢٠١٤ عن وكالة الأسوشيتد بريس بعنوان:

Syria: military bombards Aleppo.

(٢) تقرير OSC بتاريخ ١١ يونيو ٢٠١٤:

Syria: regime exploiting humanitarian crisis to win truce deals, gain ground.

(٣) تقرير OSC رقم: LIN2014082555835404.

(٤) تقرير لتشاندلر أتوود وجيفري وايت بتاريخ ٢٣ مايو ٢٠١٤ صادر عن معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنىٰ بعنوان: *Syrian Air-Defense and the Threat to Potential US Air Operations.*

أيضًا أنَّ الحكومة ترىٰ بعض الفائدة في نزوع الدولة الإسلامية نحو مقاتلة مجموعات المعارضة السورية الأخرىٰ[(١)].

لكن، ومع زيادة هجمات الدولة الإسلامية علىٰ نقاط عسكرية منعزلة في الشمال الشرقي، زادت القوات السورية في أغسطس من غاراتها الجوية ضد مواقع الدولة الإسلامية في محافظات حلب والرقة ودير الزور والحسكة[(٢)].

وعلىٰ الرغم من استخدامها لقوتها الجوية ضد الدولة الإسلامية، إلَّا أنَّ تركيز القوات البرية في غرب سوريا يبدو أنَّه قد حدَّ بشكل كبير من قدرتها علىٰ استعادة السيطرة علىٰ الأقاليم في شمال شرق البلاد.

أدَّىٰ الأسد اليمين في يوليو كرئيس لفترة رئاسية جديدة تمتد لسبع سنوات بعد الفوز بانتخابات حكم عليها بأنَّها غير شرعية من قبل المعارضين السوريين والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي[(٣)]. أجريت الانتخابات في جميع المحافظات ما عدا الرقة في الشمال السوري، والتي لا تزال تحت سيطرة الدولة الإسلامية[(٤)]، وقالت تقارير مسؤولي الحكومة السورية: إنَّ الأسد فاز بنسبة ٨٨,٧% من مجموع الأصوات، متراجعًا عن نسبة فوز الـ٩٧% التي كان قد أحرزها في الاستفتاء الرئاسي في ٢٠٠٧[(٥)].

كما تم حرمان قادة المعارضة من الترشح بحكم قانون انتخابات سوريا المعدل،

---

(١) مقال لآن برنارد بتاريخ ٢٢ أغسطس ٢٠١٤ في صحيفة **النيويورك تايمز** بعنوان:

Blamed for Rise of ISIS, Syrian Leader Is Pushed to Escalate Fight.

(٢) تقرير معهد دراسات الحرب. Syria Update: August 16-22.

وتقرير OSC رقم: LIR20140825843483554.

(٣) خبر بتاريخ ٥ يونيو ٢٠١٤ علىٰ موقع الجزيرة الإنجليزية الإليكتروني بعنوان:

Assad re-elected in wartime election.

(٤) مقال لسام داغر بتاريخ ١٦ مارس ٢٠١٤ في صحيفة **وول ستريت جورنال** بعنوان: Syria plans presidential elections in summer; minister says Assad will likely be one of several candidates.

(٥) خبر بتاريخ ٥ يونيو ٢٠١٤ علىٰ موقع الجزيرة الإنجليزية الإليكتروني بعنوان:

Assad re-elected in wartime election.

والذي يشترط أن يكون المرشحون قد حافظوا علىٰ الإقامة المستمرة في سوريا لمدة ١٠ سنوات قبل الترشح، وألَّا يحملوا أي جنسية أخرىٰ، أو يكون لهم سوابق إدانة في جرائم[١]، وحددت المحكمة الدستورية العُليا في سوريا نسبة مشاركة المصوتين بـ ٧٣,٤% علىٰ الرغم من أنَّ بعض معارضي الأسد قد صرَّحوا بأنَّهم شاركوا في التصويت بشكل أساسي لتجنب التعرض للانتقام[٢]، وندد المعارضون السوريون إلىٰ جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بالتصويت واعتبروه غير شرعي[٣].

كانت الولايات المتحدة وأعضاء آخرون في المجموعة الأساسية حول سوريا قد أعربوا عن رفضهم لترشح الأسد، مشيرين إلىٰ أنَّ قرارًا بإقامة انتخابات رئاسية يُعد غير متسق مع دعوة البيان الرسمي لجنيف لتأسيس كيان حاكم انتقالي[٤]، وعلىٰ الرغم من مشاركة الحكومة السورية في مفاوضات جنيف ٢ في بدايات ٢٠١٤، إلَّا أنَّ ممثليها أصروا علىٰ ضرورة معالجة قضايا مكافحة الإرهاب قبل أي نقاش لمرحلة انتقالية محتملة، كما يبدو أنَّ الأسد غير راغب في تقديم تنازلات قد تضعف بشدة من سيطرته علىٰ الحكم، خاصة إذا قدر أن قواته العسكرية قد تتمكن في النهاية من الانتصار علىٰ المتمردين أو إبقائهم علىٰ الأقل في موقف لا يستطيعون معه التقدم، وقد يقدر الأسد أن خطوته للإعلان عن أسلحة حكومته الكيميائية وتدميرها قد هدأت من الضغط الدولي علىٰ حكومته، وقد يأمل المسؤولون السوريون أيضًا أنَّ مخاوف الغرب من توسع الدولة الإسلامية في المنطقة قد تُؤدي إلىٰ تجدد التعاون مع حكومة الأسد، مما يدعم شرعيتها.

---

(١) تقرير لستيفن كالين بتاريخ ١٤ مارس ٢٠١٤ في روترز بعنوان:

Syrian presidential election law excludes most opposition leaders.

(٢) تقرير لروترز بعنوان:

After Assad's election triumph, fear grips stay-at-home Syrians.

(٣) خبر بتاريخ ٥ يونيو ٢٠١٤ علىٰ موقع الجزيرة الإنجليزية الإليكتروني بعنوان:

Assad re-elected in wartime election.

(٤) بيان مشترك لمجموعة دول لندن آل ١١، ٣ أبريل ٢٠١٤.

★ المجموعات الشيعية المسلحة والدعم الإيراني للحكومة السورية:

لقد تطور تدخل الميليشيات الشيعية وإيران في الصراع السوري منذ ٢٠١١ من الدور الاستشاري إلىٰ الدور العملياتي، حيث وجدت قوات في بعض الحالات تقاتل إلىٰ جانب القوات السورية. لقد اعتمد حزب الله اللبناني وإيران بشكل تقليدي علىٰ وجود حكومة صديقة في دمشق للمساعدة في نقل الأسلحة من إيران إلىٰ حزب الله، وللحفاظ علىٰ قدرتهم علىٰ تحدي إسرائيل، وتبدو الأدوار التي يلعبها كل من حزب الله وإيران في سوريا مصممة لتعزيز قدرة الأسد علىٰ قمع المقاومة غير أنها تساعد أيضًا في تأمين مصالحهم في سوريا في حال عدم قدرة حكومة الأسد علىٰ البقاء[١].

★ حزب الله:

في أغسطس ٢٠١٢، فرضت وزارة الخزانة الأمريكية العقوبات علىٰ حزب الله لتوفيره التدريب والاستشارة والدعم اللوجستي للحكومة السورية[٢]، وأشار المسؤولون الأمريكيون أيضًا إلىٰ أنَّ حزب الله ساعد الحكومة السورية علىٰ طرد قوات الثوار من بعض المناطق في سوريا، وكان الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، والذي فرضت عليه العقوبات شخصيًّا لدوره في الإشراف علىٰ دعم حزب الله لدمشق، كان قد أقر علنيًّا في مايو ٢٠١٣ بتدخل حزب الله في سوريا، كما عبر نصر الله مؤخرًا عن ثقته بأنَّ خطر هزيمة نظام الأسد وتقسيم سوريا قد تم تجاوزه حتىٰ مع احتمال استمرار حرب استنزاف[٣]، كما أشار أيضًا إلىٰ الحاجة إلىٰ مبادرات مصالحة لتعزيز الدعم لحكومة الأسد في أوساط السوريين.

ومنذ سبتمبر ٢٠١٤ يظل مقاتلو حزب الله منخرطين في عمليات في منطقة القلمون

---

(١) مقال لكارين دييونج وجوبي ووريك بتاريخ ١٠ فبراير ٢٠١٣ في صحيفة **الواشنطن بوست** بعنوان:
Iran and Hezbollah build militia networks in Syria in event that Assad falls, officials say.

(٢) القرار التنفيذي ١٣٥٨٢، وزارة الخزانة الأمريكية، ١٠ أغسطس ٢٠١٢.

(٣) خبر بتايرخ ١٦ فبراير ٢٠١٤ لمؤسسة البي بي سي البريطانية بعنوان:
Hezbollah leader Nasrallah vows to keep fighters in Syria.

وتقرير OSC: Lebanon's Nasrallah to Al-Safir: Risk of Bombings Drops, Danger of Syrian Regime's Fall Ends. عن جريدة السفير الإليكترونية (بيروت)، ٧ أبريل ٢٠١٤.

شمال غرب دمشق، حيث قد تسبب مغادرة بعض القوات شبه العسكرية العراقية ضغطًا إضافيًا علىٰ الجماعة[1]، ووَفقًا لتقرير للمرصد السوري لحقوق الإنسان في أغسطس، فقد كان ٥٦١ مقاتلًا من حزب الله علىٰ الأقل قد لقوا مصرعهم في سوريا منذ بدايات ٢٠١٣[2]، كما صرح مسؤول عسكري إسرائيلي رفيع المستوىٰ في مارس ٢٠١٤ أنَّ حزب الله يحافظ حاليًّا علىٰ ٤,٠٠٠ إلىٰ ٥,٠٠٠ مقاتل في سوريا[3].

طوال السنة الماضية، عمل حزب الله مع القوات المسلحة السورية لحماية خطوط إمداد النظام من خلال المساعدة علىٰ إخلاء المدن الخاضعة لسيطرة الثوار علىٰ امتداد قسم الطريق السريع M-٥ الرابط بين دمشق وحمص[4]، كما لعب أفراد حزب الله في ٢٠١٣ أدوارًا كبيرة في المعارك حول منطقة القصير وجبال القلمون، والتي كان وجود قوات الثوار فيها علىٰ امتداد الطريق السريع يمثل تهديدًا لقدرة الحكومة علىٰ نقل القوات والوصول إلىٰ معاقل العلويين الحصينة علىٰ الساحل[5]، ووَفقًا لتقارير؛ فإنَّ قوات حزب الله علىٰ الجانب اللبناني من الحدود تقوم بمراقبة واستهداف مواقع الثوار القريبة من الحدود والتي تساعد علىٰ تسهيل الهجمات في سوريا ولبنان.

شهدت السنة الماضية ارتفاعًا طفيفًا في العنف ضد أهداف لحزب الله داخل لبنان، ويبدو أنَّ دعم الميليشيا للأسد يساهم في زيادة العنف الطائفي والتوتر في لبنان، وأعلنت جبهة النصرة وداعش مسؤوليتهما عن الهجمات علىٰ المناطق

---

(١) مقال تحليلي لنيكولاس بلانفورد بتاريخ ١٦ يونيو ٢٠١٤ علىٰ صحيفة *The Daily Star* اللبنانية بعنوان: *ISIS' Iraq offensive could trigger Hezbollah to fill gap left in Syria.*

(٢) تقرير OSC رقم LIR2014082258507908.

(٣) مقال لإيزابيل كيرشنر بتاريخ ١٠ مارس ٢٠١٤ في صحيفة النيويورك تايمز بعنوان: *Israel watches wearily as Hezbollah gains battle skills in Syria.*

(٤) مقال لنيكولاس بلانفورد بتاريخ ٢ ديسمبر ٢٠١٣ في صحيفة كريستيان ساينس مونيتور بعنوان: *Syrian Army goes all-in to take back strategic highway.*

(٥) تقرير لمعهد دراسة الحرب الأمريكي بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠١٣ بعنوان: *Hezbollah and the fight for control in Qalamoun.*

الخاضعة لسيطرة حزب الله في بيروت وشرق لبنان، مع وصفهما للهجمات بأنها ثأر لتدخلات حزب الله في سوريا[١].

★ الميليشيات العراقية:

يقدر المحللون أن هناك ما بين ٢,٠٠٠ و٥,٠٠٠ شيعي عراقي يقاتلون في سوريا نيابة عن الحكومة السورية[٢]. ينحدر الكثيرون من جماعات وميليشيات شيعية عراقية تشمل عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله، ويُعَرِّف الأفراد هدفهم بأنه الدفاع عن المواقع المقدسة الشيعية مثل قبر السيدة زينب، حفيدة الرسول محمد، في جنوب دمشق، وتصف تقارير أخرىٰ هذه المجموعات بأنَّها تتولىٰ القيام بدور عملياتي واسع، وتشير هذه التقارير إلىٰ أنَّ الميليشيات قد كوَّنت فرق قناصة وقادة كمائن وأنشأت نقاط تفتيش وقدمت دعم مشاة للوحدات المدرعة السورية[٣].

من الصعب تقييم دوافع أفراد المقاتلين العراقيين في سوريا أو تحديد ما إذا كان بقاء الأسد هو هدفهم الأساسي. يبدو علىٰ بعض المقاتلين أنَّهم متطوعون شباب تدفعهم رغبة في حماية المواقع المقدسة الشيعية بينما يبدو آخرون رجال ميليشيات مدربين قد قاتلوا من قبل قوات التحالف في العراق، وتشير التقارير إلىٰ أنَّ المقاتلين العراقيين يتلقون التدريب في إيران قبل نقلهم جوًّا في دفعات صغيرة إلىٰ الداخل السوري، وأنَّهم يعملون بالتعاون مع حزب الله اللبناني[٤]، لكنه ليس من الواضح من يمارس القيادة والسيطرة الكلية علىٰ هذه الميليشيات، وأدت الصدامات بين

---

(١) مقال لحسين دكروب بتاريخ ٦ يناير ٢٠١٤ في صحيفة *The Daily Star* اللبنانية بعنوان:
Hezbollah undeterred by ISIS claim, threats.

(٢) مقال لنيكولاس بلانفورد بتاريخ ٢٣ سبتمبر ٢٠١٣ في صحيفة **كريستيان ساينس مونيتور** بعنوان:
Leaked video: Iran guiding thousands of Shiite fighters to Syria.

ومقال بتاريخ ٦ مارس ٢٠١٤ في صحيفة **آل مونيتور الإليكترونية** بعنوان
From Qusair to Yabrud: Shiite foreign fighters in Syria.

(٣) مقال لفيليب سميث بتاريخ ٢٧ أغسطس ٢٠١٣ في مجلة CTC Sentinel بعنوان:
From Karbala to SayyidaZaynab: Iraqi fighters in Syria's Shia militias.

(٤) مقال لفيليب سميث بتاريخ ٢٧ أغسطس ٢٠١٣ في مجلة CTC Sentinel بعنوان:
From Karbala to SayyidaZaynab: Iraqi fighters in Syria's Shia militias.

الميليشيات العراقية والميليشيات السورية المحلية في أواسط ٢٠١٣ إلىٰ رفض بعض المقاتلين العراقيين القتال تحت القيادة السورية[١]، كما حضت المكاسب الأخيرة لداعش في العراق بعض المقاتلين في سوريا إلىٰ العودة إلىٰ الوطن للانضمام إلىٰ الميليشيات المحلية[٢].

⋆ الدعم الإيراني:

منذ ٢٠١١، وفرت إيران الدعم الفني والتدريب والتمويل لكل من الحكومة السورية والميليشيات الشيعية الموالية للنظام والعاملة في سوريا، وفي فبراير ٢٠١٢، فرضت وزارة الخزانة الأمريكية العقوبات علىٰ وزارة الاستخبارات والأمن الوطني الإيرانية لتوفيرها دعمًا فنيًّا ضخمًا للمخابرات السورية، مشيرة إلىٰ أن وزارة الاستخبارات والأمن الوطني الإيرانية قد شاركت أيضًا في عدة مشروعات مشتركة مع حزب الله[٣]، كما أدرجت وزارة الخزانة الأمريكية فيلق القدس التابع لقوات الحرس الثوري الإسلامي الإيراني علىٰ نفس القوائم لتدريبهم القوات السورية، وقد نسبت الميليشيات الشيعية العراقية المقاتلة في سوريا إلىٰ إيران تقديم التدريب وتنسيق سفرهم إلىٰ داخل البلاد، وأقر محمد علي جعفري قائد قوات الحرس الثوري الإيراني في سبتمبر ٢٠١٢ بوجود بعض الأفراد من فيلق القدس في سوريا[٤]، ووصفهم مسؤولون أمريكيون أيضًا بأنَّهم يعملون في التعاون مع حزب الله.

قدَّر المراقبون في مارس ٢٠١٤ أنَّ ما بين ١,٠٠٠ و١,٥٠٠ من أفراد الحرس الثوري الإيراني كانوا موجودين في سوريا[٥]، أمَّا من حيث الدعم غير الفتاك، فقد

---

(١) مقال لسؤدد الصالحي بتاريخ ١٩ يونيو ٢٠١٣ علىٰ روترز بعنوان:

Iraqi Shiites flock to Assad s side as sectarian split widens.

(٢) مقال لأليسا روبين وررود نوردلاند بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠١٤ في صحيفة النيويورك تايمز بعنوان:

Seeing their gains at risk Shiites flock to join militias.

(٣) بيان صحفي لوزارة الخزانة الأمريكية، ١٦ فبراير ٢٠١٢.

(٤) مقال لباباك ديجانبشه بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠١٢ في صحيفة الواشنطن بوست بعنوان:

Elite Iranian unit s commander says his forces are in Syria.

(٥) مقال في صحيفة المونيتور الإليكترونية بتاريخ ٦ مارس ٢٠١٤ بعنوان:

From Qusair to Yabrud Shiite foreign fighters in Syria.

أمدت إيران سوريا ببلايين الدولارات علىٰ سبيل القرض لشراء النفط والطعام واستيراد البضائع من إيران[1].

★ الأسلحة الكيميائية ونزع الأسلحة[2]:

كان من بين مصادر القلق الأساسية للولايات المتحدة من الناحية السياسية هو استخدام أو فقد السيطرة علىٰ مخزونات الأسلحة الكيميائية في سوريا أثناء الحرب الأهلية الجارية، وكانت الولايات المتحدة ودول أخرىٰ قد قدرت استخدام الحكومة السورية للأسلحة الكيميائية بشكل متكرر ضد قوات المعارضة والمدنيين في البلاد، يعتقد بأنَّ سوريا امتلكت أكثر من ١,٠٠٠ طن متري من مواد الحرب الكيميائية والمواد الكيميائية الأساسية لصناعتها. احتوىٰ هذا المخزون علىٰ عدة مئات من الأطنان المترية من مادة الأعصاب السارين والتي مثلت الجزء الأكبر من مخزون سوريا من الأسلحة الكيميائية، وكان لدىٰ سوريا أيضًا عدة مئات من الأطنان المترية من مادة الخردل في صورة معدة للاستخدام وعدة أطنان مترية من مادة الأعصاب VX[3].

بحسب التقارير، كان أكبر استخدام حتىٰ اليوم لهذه المواد هجومًا باستخدام غاز للأعصاب في ٢١ أغسطس ٢٠١٣، والذي قدَّرت الحكومة الأمريكية أنَّه قتل أكثر من ١,٤٠٠ شخص[4]. أصدرت بعثة الأمم المتحدة للتحقيق في مزاعم استخدام الأسلحة الكيميائية في سوريا تقريرها في ١٦ سبتمبر ٢٠١٣، حيث انتهت إلىٰ أنَّ صواريخ أرض. أرض تحتوي علىٰ مادة الأعصاب السارين استخدمت ضد المدنيين في منطقة

---

(١) مقال لفارناز فصيحي وجاي سولومون وسام داغر بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠١٣ في صحيفة وول ستريت جورنال بعنوان: Iranians dial up presence in Syria.

(٢) من إعداد ماري بيث نيكيتين، متخصصة في شؤون الحد من انتشار الأسلحة النووية.

(٣) رينظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية رقم R42862 من إعداد دانا شيا بعنوان: *Chemical Weapons: A Summary Report of Characteristics and Effects*، والصفحة الإليكترونية لمركز السيطرة علىٰ الأمراض الأمريكي بعنوان: *Facts about Sarin* علىٰ الرابط: http://www.bt.cdc.gov/agent/sarin/basics/facts.asp

(٤) بيان صادر عن مكتب السكرتير الصحفي للبيت الأبيض بتاريخ ٣٠ أغسطس ٢٠١٣ بعنوان: *Government Assessment of the Syrian Government's Use of Chemical Weapons on August 21, 2013.*

الغوطة في دمشق علىٰ «مستوىٰ واسع نسبيًا»، ولم تكن بعثة الأمم المتحدة للتحقيقات مضطلعة بمهمة تحديد الجهة المفترض توجيه اللوم إليها علىٰ الهجمات.

كما أبلغ في تقارير متكررة عن هجمات بغاز الكلور في الشمال السوري منذ أواسط أبريل ٢٠١٤، وقد أطلقت منظمة حظر الأسلحة الكيميائية بعثة تقصي حقائق للتحقيق في هذه المزاعم، وفي تقريرهم الثاني الذي صدر في ١٠ سبتمبر، انتهىٰ المحققون إلىٰ أنَّ هناك «براهين مقنعة» بأنَّ مواد كيميائية سامة قد استخدمت «بشكل منتظم ومتكرر» كسلاح ضد قرىٰ في الشمال السوري[1].

وتؤكد بعثة تقصي الحقائق أنه تم استخدام «الكلور، نقيًا أو في مخلوط» في هجمات علىٰ قرىٰ تلمنس واللطامنة وكفر زيتا، وتعتمد نتائج التقرير علىٰ مقابلات وأدلة أخرىٰ، وقد تعرضت البعثة للهجوم أثناء جمع الأدلة في أحد المواقع في شهر مايو، ولا يعد الكلور من المواد المطلوب الإعلان عن وجودها أو تدميرها وفقًا لمعاهدة الأسلحة الكيميائية إلَّا أنَّ استخدامه في الحرب لا يزال محظورًا وفقًا للمعاهدة.

وبحلول منتصف أغسطس ٢٠١٤، كانت البعثة قد أزالت ودمرت مخزونات الأسلحة الكيميائية السورية المعلن عنها بما في ذلك مواد الأعصاب، وقبل ذلك بعام، وفي أغسطس ٢٠١٣، كانت إدارة أوباما قد هددت باستخدام القوة العسكرية ضد سوريا كردٍّ علىٰ هجمات غازات الأعصاب المزعومة من قبل قوات الحكومة السورية، وكجزء من حل دبلوماسي للأزمة مبني علىٰ مقترح أمريكي - روسي مشترك، سحبت الإدارة تهديدها باستخدام القوة العسكرية، ووافقت سوريا علىٰ التخلي عن الأسلحة الكيميائية والانضمام إلىٰ معاهدة حظر الأسلحة الكيميائية، والتي تحظر استخدام أي مواد كيميائية سامة في الحرب، وتطالب سوريا بتدمير جميع مخزوناتها من الأسلحة الكيميائية ومنشآت الإنتاج وذلك تحت الإشراف الدولي، ووافق المجلس التنفيذي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية، وهو كيان حكومي مشترك بين

(١) بيان صحفي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ١٠ سبتمبر ٢٠١٤ بعنوان: *OPCW Fact Finding Mission: 'Compelling Confirmation' that Chlorine Gas Used as Weapon in Syria*.

الدول مكلف بتنفيذ معاهدة حظر الأسلحة الكيميائية، وافق علىٰ خطة تدمير تطالَب سوريا بموجبها بتدمير جميع أسلحتها الكيميائية في فترة زمنية أقصاها ٣٠ يونيو ٢٠١٤، وبحسب المدير العام؛ فإن سوريا لم تلتزم بالموعد الأقصىٰ وهو ٣٠ يونيو لتدمير جميع الأسلحة الكيميائية ومنشآت الإنتاج[١]، لكن جميع الأسلحة الكيميائية المعلن عنها كانت قد أزيلت من البلاد بحلول يوم ٢٣ يونيو ٢٠١٤، وكانت نسبة مائة بالمائة من أخطر المواد الكيميائية الرئيسة التي أعلنت عنها سوريا قد دمرت بحلول يوم ٨ أغسطس ٢٠١٤ إضافة إلىٰ نسبة ٩٦٪ من جميع المواد الكيميائية الأخرىٰ[٢]، لكن، وعلىٰ الرغم من هذا التقدم؛ فإن تدمير المنشآت ما زال قيد التنفيذ وقد أثارت الولايات المتحدة بعض التساؤلات حول ما إذا كانت سوريا قد أعلنت عن جميع أسلحتها الكيميائية.

⭑ إزالة الأسلحة الكيميائية:

تم تكوين بعثة مشتركة من أفراد الأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية لمراقبة وتسهيل عملية نزع الأسلحة الكيميائية السورية[٣]، ووصل خبراء البعثة إلىٰ دمشق في ١ أكتوبر ٢٠١٣، وبدؤوا في تفتيش منشآت الأسلحة الكيميائية السورية المعلن عنها. ركزت المرحلة الأولىٰ من أنشطة التدمير علىٰ تدمير «المعدات الحساسة» في منشآت إنتاج الأسلحة الكيميائية، وقال المتحدث باسم منظمة حظر الأسلحة الكيميائية للصحفيين في يوم ٣١ أكتوبر ٢٠١٣ إن الحكومة السورية قد التزمت بالموعد الأقصىٰ لتعطيل معدات الإنتاج عن العمل وأن جميع مواد ومخزونات الأسلحة الكيميائية في سوريا مغلقة بأختام مضادة للتلاعب.

---

(١) بيان صحفي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠١٤ بعنوان:
8% of Syrian chemicals still remain to be removed; Fact-Finding Mission in Syria: Some progress on Syrian production facilities.

(٢) بيان صحفي للبعثة المشتركة للأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ٤ سبتمبر ٢٠١٤ بعنوان: Ninety-six percent of Syria's declared chemical weapons destroyed - UN-OPCW mission chief.

(٣) ينظر الرابط: http://opcw.unmissions.org/.

وتضمنت المرحلة الثانية من عملية تدمير الأسلحة الكيميائية نقل وإزالة المواد الكيميائية من البلاد. كانت تلك هي المواد الكيميائية السائلة التي لم تعبأ في وسائل نقل، وفي ١٤ نوفمبر ٢٠١٣، وافق المجلس التنفيذي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية علىٰ تدمير الأسلحة الكيميائية السورية (المواد الكيميائية «من درجة الأولوية ١») خارج سوريا نتيجة للحالة الأمنية في البلاد، وقامت الولايات المتحدة وآخرون بتوفير المعدات للبعثة المشتركة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية والأمم المتحدة للمساعدة في عملية النقل الآمن لهذه المواد من منشآت التخزين إلىٰ ميناء اللاذقية السوري.

وبمجرد وصول المواد الكيميائية إلىٰ الميناء قامت سفن دنماركية ونرويجية بحمل المواد الكيميائية وإزالتها من سوريا، وتم نقل أول كمية من المواد الكيميائية ذات الأولوية القصوىٰ إلىٰ ميناء اللاذقية في بدايات يناير ٢١٠٤، وتم نقل آخر شحنة في ٢٣ يونيو ٢٠١٤، كانت تلك أول مرة تتم فيها إزالة كل الأسلحة الكيميائية المعلن عنها من قبل دولة إلىٰ خارج أراضيها.

وبينما تم إكمال هذه المهمة خلال ستة أشهر، فقد أخفقت سوريا في الالتزام بعدة مواعيد سابقة لاستكمال العملية، وَوفقًا للمدير العام لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية، فقد نتجت التأخيرات عن «مشاكل أمنية وشراء وإيصال كميات كبيرة من مواد ومعدات التغليف والنقل والظروف الجوية السيئة»[١].

وقد كانت هناك اشتباكات عسكرية نشطة في المناطق القريبة من مواقع التخزين. لقد أثارت هذه التأخيرات أسئلة حول نوايا الحكومة السورية، ففي فبراير، دعا مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة سوريا إلىٰ تعجيل عملية إزالة المواد الكيميائية، وكانت الولايات المتحدة بالذات منتقدة للتقدم البطيء من قبل الحكومة السورية، وكما قال روبرت ميكولاك، سفير الولايات المتحدة لدىٰ منظمة حظر الأسلحة الكيميائية؛ فإنَّ المجتمع الدولي قد قام بتوفير كل الأشياء الضرورية؛ لنقل وتدمير هذه المواد الكيميائية. لقد تم تقديم معدات ومواد كافية إلىٰ سوريا، والسفن المعدة لنقل

---

(١) بيان صحفي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ٨ يناير ٢٠١٤ بعنوان:
Director General says removal of priority chemicals in Syria marks important new phase in work of Joint Mission.

المواد الكيميائية من سوريا في الانتظار، والسفينة الأمريكية المعدة لتدمير الأسلحة الكيميائية والمواد المستخدمة في تصنيعها موجودة الآن وتنتظر في المنطقة، وقد تم اختيار المنشآت التجارية المخطط لقيامها بتدمير المواد الكيميائية الأخرىٰ والتعاقد معها؛ وهي في الانتظار، ولكن سوريا تستمر في التلكؤ[(١)].

وفي مارس، وصف سيجريد كاج المنسق الخاص للبعثة المشتركة «تقدمًا مهمًّا» في جهود تسريع عملية نقل وتدمير المواد الكيميائية وحضِّ الحكومة السورية «علىٰ المحافظة علىٰ سرعة التقدم الحالية»[(٢)]، وفي يوم ٢٩ أبريل، قدرت البعثة المشتركة أنَّ الحكومة السورية قد نقلت ١٨ شحنة من المواد الكيميائية إلىٰ ميناء اللاذقية، وهو ما يمثل حوالي ٩٢,٥% من مجموع المخزونات المستهدف إزالتها (بزيادة عن قيمة منتصف مارس المقدرة بـ٥٣,٦%)[(٣)]، وقال السفير ميكولاكفي ٢٩ أبريل ٢٠١٤: إن «حوالي ١٠٠ طن من المواد الكيميائية من درجتي الأولوية ١ و٢ ما زالت متبقية في سوريا»، وقال أيضًا: إنَّ موقع التخزين حيث تقع المخزونات المتبقية كان مسيطرًا عليه من قبل قوات الحكومة السورية، ولذا فكان من المفترض أن تبدأ عمليات التعبئة والإعداد للنقل علىٰ الفور[(٤)].

وكان القتال الجاري في منطقة موقع التخزين، الواقعة شمال شرق دمشق، قد أثار القلق بشأن مسألة النقل البري للمواد، وقالت الحكومة السورية إنَّه لا يمكن نقل المواد بسبب القلق الأمني في المنطقة المحيطة، لكن، وفي ٢٣ يونيو ٢٠١٤، أعلنت

---

(١) روبرت ميكولاك في لاهاي، هولندا، ٢١ فبراير ٢٠١٤:
Statement to the Thirty-Ninth Meeting of the Executive Council.
الرابط: http://m.state.gov/md221891.htm.

(٢) مركز أخبار الأمم المتحدة بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠١٤: *Over half of Syria's chemical weapons removed or destroyed, says joint OPCW-UN mission.*

(٣) شهادة وزير الخارجية جون كيري أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، ٨ أبريل ٢٠١٤؛ وروبرت ميكولاك، *Statement to the Fortieth Meeting of the Executive Council* في لاهاي، هولندا، ٢٩ أبريل ٢٠١٤.

(٤) روبرت ميكولاك، *Statement to the Fortieth Meeting of the Executive Council* في لاهاي، هولندا، ٢٩ أبريل ٢٠١٤.

منظمة حظر الأسلحة الكيميائية أنها قد أشرفت علىٰ إزالة آخر شحنة من المواد الكيميائية إلىٰ ميناء اللاذقية وأنه قد تم نقلها بنجاح وإزالتها من الميناء(١).

★ تدمير الأسلحة الكيميائية خارج سوريا:

لم توافق أي دولة علىٰ إجراء عمليات التدمير علىٰ أراضيها نتيجة للقلق الشعبي حول أخطار المواد، وأيضًا بسبب الجدول الزمني القصير لعملية التدمير والذي، في بعض الحالات، لم يكن ليسمح بإجراء تقييمات الآثار البيئية والصحية اللازمة، لذلك؛ فقد عرضت الولايات المتحدة أن تقوم بإجراء عملية معادلة لمواد الأسلحة الكيميائية السائلة علىٰ متن السفينة كيب راي (MV Cape Ray) ذات المحركات الدافعة التابعة لإدارة البحرية الأمريكية باستخدام أنظمة تحليل مائي يمكن استخدامها ميدانيًا، استقبلت هذه السفينة ٦٠٠ طن متري من كل من مادة الخردل ومركب الـDF، مكون أساسي في تصنيع مادة السارين(٢).

أشرف علىٰ العملية أفراد أمريكيون من بينهم ٦٤ أخصائيًّا كيميائيًّا بالجيش، وبمجرد إزالة المواد من اللاذقية، تم نقل المركبات الأشد خطورة في حوالي ٦٠ حاوية إلىٰ السفينة كيب راي في ميناء جويا تورو الإيطالي للتدمير في المياه البحرية الدولية، وسيتم شحن المواد الكيميائية الأقل حساسية إلىٰ منشآت معالجة تجارية في فنلندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، وتم التعاقد مع شركات في فنلندا والولايات المتحدة لمعالجة الفضلات السائلة الناتجة عن عملية التدمير(٣).

ومنذ ٢٤ يوليو ٢٠١٤، كانت كمية الـ١٣٠٠طن متري التي تمت إزالتها من

---

(١) بيان صحفي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ٢٤ يونيو ٢٠١٤ بعنوان:
Announcement to the media on last consignment of chemical leaving Syria.

(٢) خدمة أخبار الجيش الأمريكي بتاريخ ٣ يناير ٢٠١٤:
Army to destroy Syrian chemical weapons aboard ship.

(٣) بيان صحفي للبعثة المشتركة للأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ١٤ فبراير ٢٠١٤ بعنوان: *OPCW awards contracts to two companies for destruction of Syrian chemical and effluents.*

الجمهورية العربية السورية قد أوصلت بنجاح إلىٰ منشآت التدمير خارج سوريا[١]، وفي يوم ٢ يوليو ٢٠١٤، تم تحميل ٦٠٠ طن متري من الأسلحة الكيميائية من درجة الأولوية ١ بنجاح علىٰ متن السفينة الأمريكية كيب راي في ميناء جويا تورو الإيطالي، في ١٨ أغسطس ٢٠١٤، اشتمل ذلك علىٰ ٥٨١ طنًا متريًا من مادة الـDF و١٩ طنًا متريًا من غاز الخردل[٢].

كما تم نقل كمية الـ٧٠٠ طن متري المتبقية من المواد الكيميائية بنجاح إلىٰ مواقع منشآت تجارية علىٰ اليابسة في كل من ريهيماكي في فنلندا وإيليسمير بورت في إنجلترا وبورت آرثر في ولاية تكساس الأمريكية، وفي ٧ أغسطس ٢٠١٤ أعلنت المملكة المتحدة عن تدمير شحنتها من الأسلحة الكيميائية من سوريا - ١٩٠ طنًّا متريًّا من المواد الكيميائية من درجة الأولوية ١- في إيليسمير بورت[٣].

★ تدمير منشآت الإنتاج:

لم تلتزم الحكومة السورية بالموعد المحدد بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠١٤ لتدمير منشآت إنتاج الأسلحة الكيميائية الـ١٢ التابعة لها واقترحت ألا يتم تدمير المنشآت الواقعة تحت الأرض بشكل كامل ولكن أن يتم منع الوصول إليها[٤]، لكن معاهدة حظر الأسلحة الكيميائية تتطلب أن يتم «التدمير المادي» لمنشآت الإنتاج. قال سفير الولايات المتحدة لدىٰ منظمة حظر الأسلحة الكيميائية روبرت ميكولاك في بيان له في فبراير: إنَّ المجلس التنفيذي يجب أن يطالب سوريا بأن تدمر ماديًّا المنشآت تماشيًا

---

(١) بيان صحفي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠١٤ بعنوان: *OPCW maritime operation completes delivery of Syrian chemicals to commercial destruction facilities.*

(٢) مقال لـDefense News بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٤ بعنوان:
Hagel Congratulates Cape Ray for Syria Mission.

(٣) بيان صحفي لوزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٦ أغسطس ٢٠١٤ بعنوان:
UK Completes Incineration of Syrian Chemicals.

(٤) مقال لأنتوني دويتش في صحيفة روترز بتاريخ ٦ مارس ٢٠١٤ بعنوان:
Syria to miss deadline to destroy 12 chemical arms sites.

مع المعاهدة[1]، وكانت المنظمة تقوم بوضع خطة تدمير لهذه المنشآت بالتعاون مع سوريا، وقال السفير ميكولاك في بيان في ٢٩ أبريل ٢٠١٤: إنَّ ١٢ منشأة إنتاج للأسلحة الكيميائية معلن عنها من قبل سوريا لا تزال «سليمة هيكليًا». كانت سوريا قد طالبت أن يتم تحويل المنشآت لأغراض عسكرية أخرىٰ، وأشار ميكولاك إلىٰ أنَّ سوريا يجب أن تلتزم بنفس المعايير التي تلتزم بها الدول الأخرىٰ التي قامت بتدمير منشآت أسلحتها الكيميائية مثل الولايات المتحدة.

وبعد مفاوضات مع الأمانة الفنية لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية، وافقت سوريا علىٰ الالتزام بمنهجية تدمير منشآت إنتاج الأسلحة الكيميائية الموجودة فوق الأرض في حظائر الطائرات، بحسب تصريحات المدير العام[2]، وفي يوم ٢٤ يوليو ٢٠١٤، قرر المجلس التنفيذي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية أنَّ ٧ من حظائر الطائرات الـ١٢ سيتم «تسويتها بالأرض» أما الحظائر الخمس الباقية فسيتم «إغلاقها تمامًا لجعلها غير متاحة للوصول إليها»[3].

وقال المنسق الخاص كاج: إنَّه في يوم ١ أكتوبر، ستقوم منظمة حظر الأسلحة الكيميائية «ببدء تدمير جميع منشآت الأسلحة الكيميائية الـ١٢ المتبقية - سبعة مما يطلق عليه حظائر الطائرات وخمسة أنفاق»[4]، ويتوقع أن يكتمل هذا العمل في مارس ٢٠١٥.

---

(١) بيان روبرت ميكولاك أمام الاجتماع التاسع والثلاثين للمجلس التنفيذي، لاهاي، هولندا، ٢١ فبراير ٢٠١٤.

(٢) بيان صحفي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠١٤ بعنوان:
8% of Syrian chemicals still remain to be removed; Fact-Finding Mission in Syria: Some progress on Syrian production facilities.

(٣) بيان صحفي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠١٤ بعنوان:
OPCW maritime operation completes delivery of Syrian chemicals to commercial destruction facilities.

(٤) بيان صحفي للبعثة المشتركة للأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية بتاريخ ٤ سبتمبر ٢٠١٤ بعنوان: *Ninety-six percent of Syria's declared chemical weapons destroyed - UN-OPCW mission chief.*

★ **مدى شمولية عملية الإعلان عن المواد الموجودة:**

أمَّا مجال آخر مثير للقلق المستمر فهو مدىٰ صحة إعلان سوريا عن جميع مخزوناتها من الأسلحة الكيميائية إلىٰ منظمة حظر الأسلحة الكيميائية بحسب ما هو مطلوب في معاهدة الأسلحة الكيميائية. قال السفير الأمريكي ميكولاك في بيان في يوم ٨ يوليو: إنَّ «سوريا يجب أن تستجيب لجميع الأسئلة والطلبات المعلقة عن المعلومات وتظهر أنَّها قد أعلنت بشكل كلي عن جميع أوجه ترسانة أسلحتها الكيميائية وبرنامجها»[١]، قال بيان صادر عن البيت الأبيض في يوم ١٨ أغسطس مواكبًا لنهاية عمليات التدمير علىٰ متن السفينة كيب راي: إنَّ «ثمة أسئلة خطيرة لا تزال مطروحة بشأن السقطات والتعارضات في إعلان سوريا الصادر إلىٰ منظمة حظر الأسلحة الكيميائية وبشأن المزاعم المستمرة حول استخدام الأسلحة»[٢].

قالت سفيرة الولايات المتحدة لدىٰ الأمم المتحدة سامانثا باور في يوم ٤ سبتمبر: إنَّ «الولايات المتحدة قلقة بشأن كل التعارضات، وكذلك بشأن الاحتمال أنه ما زالت هناك سقطات حقيقية في عملية الإعلان»[٣]، وفي يوم ٤ سبتمبر، قال المنسق الخاص كاج: إنَّ الحوار مستمر مع الحكومة السورية حول التعارضات في الإعلان.

ووَفقًا لتقارير صحفية، فستعود البعثة المشتركة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية - الأمم المتحدة إلىٰ سوريا في سبتمبر للمزيد من التحقق من أنَّ سوريا قد أعلنت عن جميع مخزوناتها، وكما قد أشير إليه أعلاه؛ فإنَّ الكلور لا يُعدُّ من المواد المطلوب الإعلان عن وجودها أو تدميرها وَفقًا لمعاهدة الأسلحة الكيميائية إلَّا أنَّ استخدامه في الحرب لا يزال محظورًا وَفقًا للمعاهدة.

---

(١) بيان روبرت ميكولاك أمام الجلسة السادسة والسبعين للمجلس التنفيذي، لاهاي، هولندا، ٨ يوليو ٢٠١٤.

(٢) بيان للبيت الأبيض بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٤:

Statement by the President on the Completion of M/V Cape Ray Destruction of Syria's Declared Chemical Weapons.

(٣) بتاريخ ٤ سبتمبر ٢٠١٤:

Remarks at the Security Council Stakeout Following Consultations on Syria; US Permanent Representative to the United Nations Samantha Power.

★ تمويل جهود التخلص من الأسلحة الكيميائية:

لقد قدم المجتمع الدولي، بما فيه الولايات المتحدة، المساهمات الفنية والمالية إلىٰ البعثة المشتركة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية - الأمم المتحدة. وتشتمل المساعدة الفنية العينية المقدمة حتىٰ الآن علىٰ التغليف المتخصص من الولايات المتحدة لنقل الأسلحة الكيميائية في سوريا، والدعم المتعلق بالأمن من روسيا لحركة المواد علىٰ الأراضي السورية، وسفن البضائع والسفن الحربية من الدنمارك والنرويج[1]، وقد تطوعت إيطاليا بتقديم ميناء لنقل المواد من سفن البضائع إلىٰ السفينة كيب راي، وقدمت كل من المملكة المتحدة وألمانيا منشأة معالجة كيميائية لتدمير بعض المواد الكيميائية.

ووَفقًا لوزارة الخارجية؛ فإنَّ الولايات المتحدة قد أعطت حوالي ٦ ملايين دولار كدعم مالي إلىٰ البعثة المشتركة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية والأمم المتحدة من خلال اعتماد مالي لنزع الأسلحة ومنع الانتشار يدار من قبل وزارة الخارجية. كما قدمت الولايات المتحدة أيضًا دعمًا عينيًا كبيرًا إلىٰ المراقبين الدوليين.

وقد جاءت أكبر مساهمة في المجهود الدولي من برنامج التقليل التعاوني للتهديد (CTR) التابع لوزارة الدفاع، وفي يوم ٨ أبريل قالت نائبة مساعد وزير الدفاع لمكافحة أسلحة الدمار الشامل ريبيكا هيرسمان: إنَّ برنامج التقليل التعاوني للتهديد كان قد حدد ١٦٠ مليون دولار أمريكي لدعم جهود إزالة الأسلحة الكيميائية، كما قبل البرنامج التابع لوزارة الدفاع ١٩ مليون دولار كمساهمات من ألمانيا والمملكة المتحدة وكندا للمساعدة في برامج التقليل التعاوني للتهديد، بما في ذلك المجهودات في سوريا، وبما أن غالب هذا التمويل قد أنفق أثناء إعداد السفينة كيب راي وتزويد المفتشين بالمعدات؛ فإنَّ طلب الميزانية للعام المالي ٢٠١٥ أقل مما أنفق في السنة الماضية -١٥,٧ مليون دولار للخبرات الفنية والموارد لدعم البعثة المشتركة للأمم المتحدة- منظمة حظر الأسلحة الكيميائية للعام المالي ٢٠١٥.

---

(١) صفحة «الأسئلة الشائعة» علىٰ الموقع الإليكتروني لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية. الرابط:
http://www.opcw.org/special-sections/syria-and-the-opcw/frequently-asked-questions/.

للمزيد من المعلومات عن الأسلحة الكيميائية السورية والمشاركة الأمريكية والدولية في عملية نزع الأسلحة، ينظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية:

R42848, Syria's Chemical Weapons: Issues for Congress

من تنسيق ماري بيث نيكيتين.

★ السياسة الأمريكية والدعم:

لقد رجعت الجدالات بشكل متكرر حول سياسة الولايات المتحدة تجاه سوريا منذ ٢٠١١ إلىٰ الأسئلة حول الدعم للمعارضة والتدخل العسكري الأمريكي المحتمل، وهل نقوم بحماية المدنيين، أم نستهدف الجماعات الإرهابية، أم نعاقب القوات السورية المشتبه في مشاركتها في هجمات بالأسلحة الكيميائية، أو غيرها من الهجمات علىٰ المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة؟!

إنَّ أطر هذه الجدالات تتغير وسط مناقشة محتدمة حول مدىٰ الحكمة والمجال والتكاليف والمخاطرات للمشاركة المحتملة في جهود جديدة مقترحة متعددة الأطراف لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق أو سوريا أو في كليهما. حتىٰ هذا التاريخ، صرَّح مسؤولو الإدارة بأنَّ التدخل العسكري الأمريكي لتشكيل نتيجة الصراع الأهلي في سوريا أو لتغيير النظام في سوريا قد لا يحقق الأهداف الأمريكية، وقد يؤدي إلىٰ نتائج سلبية غير مقصودة.

وفي تعليقات حديثة حول التهديدات التي تمثلها الدولة الإسلامية، أعلن المسؤولون الأمريكيون عن جهود جديدة متعددة الجوانب والأطراف لمحاربة التنظيم، قال الرئيس أوباما في يوم ١٠ سبتمبر: إنَّه «لن يتردد في اتخاذ إجراء ضد داعش في سوريا إضافة إلىٰ العراق، ومنذ بدايات سبتمبر ٢٠١٤، لم يتم الإعلان عن تغيرات تذكر في الأهداف المعلنة للسياسة الأمريكية تجاه الصراع الأوسع في سوريا وكان الرئيس أوباما قد راجع طلبه الذي قدم إلىٰ الكونجرس في يونيو ٢٠١٤ للحصول علىٰ التصريح والتمويل لإقامة برنامج تدريب وتجهيز معلن تابع لوزارة الدفاع لسوريين مختارين (انظر قسم «طلب الإدارة «للتدريب والتجهيز» وردود الكونجرس»).

كان المسؤولون الأمريكيون قد رفضوا مطالبات للحكومة السورية للتعاون في

الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية، قائلين: بأنَّ الولايات المتحدة لن «تطلب الإذن من النظام السوري»؛ لتواصل سعيها نحو أهدافها المضادة للدولة الإسلامية، وفي يوم ٢٥ أغسطس قال المتحدث باسم البيت الأبيض جوش إيرنيست للصحفيين: إنَّه، من وجهة نظر الإدارة الأمريكية، لا يوجد «أقل الشرين» في المقارنة بين الدولة الإسلامية وحكومة بشار الأسد، وقال إيرنيست: في تقدير هذه الإدارة، يجب أن تتاح الفرصة للشعب السوري لتحديد مستقبل بلاده، يجب أن تتاح لهم الفرصة ليمارسوا بعض التأثير علىٰ نوع الدولة التي يريدون أن يعيشوا فيها، إنَّ ذلك حق أساسي من حقوق الإنسان، وقيمة أساسية تؤيدها هذه الإدارة، وهذا هو السبب في أنَّنا قد أيَّدنا وبقوة المعارضة المعتدلة في سوريا، وهذا هو السبب في أنَّنا قد ألححنا علىٰ الرئيس الأسد في المغادرة، وهذا هو السبب في أنَّنا لا نعتقد بأن داعش ستعمل لتحقيق المصلحة العُليا للشعب السوري لو أنَّهم كانوا ليحصلوا علىٰ قيادة تلك البلاد.. نحن لسنا مهتمين بالحصول علىٰ مساعدة نظام الأسد، لقد كنا في الحقيقة ننادي لسنوات عدة بتنحي نظام الأسد.

ومع إدانة الأسد بأنَّه سفاح وقاتل ومساعدة بعض خصومه، استمر مسؤولو الإدارة الأمريكية في التأكيد علىٰ ضرورة الوصول إلىٰ حل سياسي تفاوضي للصراع علىٰ أمل الإبقاء علىٰ وحدة الدولة السورية، وتأمين مخزونات أسلحتها وحدودها ومقاتلة الجماعات المتطرفة النشطة الآن فيها. ذكر مسؤولو الإدارة الأمريكية عدة أسباب لترددهم في اتخاذ إجراءات تدخل عسكري مباشر في سوريا أو توفيردعم كبير الحجم لتغيير موازين القوة هناك، ومنها المخاوف من مفاقمة العنف؛ أو استدعاء المزيد من الفيضان الإقليمي للعنف أو التدخل الإقليمي؛ أو فتح فجوة قوة قد تستغل من قبل المتطرفين[1].

وربما كانت التكاليف غير المؤكدة والقيود العسكرية والمعارضة السياسية المحلية

---

(١) لقد أثرت أولويات منافسة أخرىٰ لدىٰ السياسة الخارجية علىٰ موقف الإدارة، ومنها الرغبة في المحافظة علىٰ التأييد الروسي والصيني للعقوبات الدولية المفروضة علىٰ البرنامج النووي الإيراني والقلق من أن التنافس الطائفي والاستراتيجي في سوريا قد يشعل صراعًا إقليميًا ويهدد مصالح حلفاء الولايات المتحدة ومصالح الأمن العالمي.

لمثل هذه المشاركة من بين العوامل الأخرىٰ التي شكلت اعتبارات الإدارة الأمريكية في هذا الشأن.

ويجادل بعض منتقدي سياسة الإدارة بأنَّ كثيرًا من هذه النتائج السلبية تحدث بالفعل حتىٰ مع غياب التدخل الأمريكي ويشيرون إلىٰ أن صورة وتأثير الولايات المتحدة يتعرضان للإضعاف بسبب رفض التدخل لحماية المدنيين أو الرد علىٰ استفزازات الأسد أو القوىٰ المتطرفة، ويُعرِب آخرون عن قلقهم من أن التدخل العسكري سيفاقم من الظروف السلبية الموجودة علىٰ الأرض ويشيرون إلىٰ أن الولايات المتحدة لا يمكنها التأكد من أن مثل هذا التدخل أو الدعم المقدم إلىٰ جماعات المعارضة لن يفيد المتطرفين.

وقد أدت التصريحات الأخيرة للإدارة فيما يتعلق بالتهديدات الإرهابية المحتملة المنبعثة من سوريا إلىٰ إعادة النظر في كثير من هذه الأسئلة من قبل بعض أعضاء الكونجرس والعامة، لقد أشار طلب الإدارة في يونيو ٢٠١٤ بالحصول علىٰ التمويل والتصريح بتسليح وتدريب قوات معارضة سورية مختارة أن هذه الإعادة للنظر قد حدثت، ويبدو أن النظر في أمر حملة أوسع ضد الدولة الإسلامية يدفع إلىٰ المزيد من إعادة النظر.

لقد تضمنت عملية تنفيذ استراتيجية الولايات المتحدة في سوريا حتىٰ هذا التاريخ توفير الدعم الفتاك وغير الفتاك إلىٰ مجموعات معارضة سورية مختارة، وجهدًا دبلوماسيًا دوليًا مستمرًا لإنشاء مرحلة انتقالية تفاوضية، وتوفير الدعم الإنساني في سوريا والدول المجاورة، وخلال عام ٢٠١٣، نفذت هذه المبادرات تحت حماية سلسلة من إخطارات الدعم غير مسبقة الإعداد إلىٰ الكونجرس تنص علىٰ التنازل عن بعض القيود علىٰ استخدام موارد مالية أمريكية للدعم في سوريا والتأكيد علىٰ سلطات طوارئ لإعادة برمجة وتعيين الموارد المالية للاستخدام في مواجهة الأزمة.

وفي عام ٢٠١٤، بَدَا أنَّ ثمة تحولًا نحو برامج الدعم المصرح بها والممولة بشكل مستقل عندما بدأت بنود الجدل تتحول في رد فعل لحملة الدولة الإسلامية الهجومية في العراق، وبشكل تراكمي؛ فإنَّ إخطارات الكونجرس والطلبات المقدمة حتىٰ هذا التاريخ توضح تطورًا في انخراط الولايات المتحدة في اتجاه السعي نحو شراكات

أعمق مع فاعلين مختارين من المعارضة علىٰ الأرض في سوريا بينما تسعىٰ إلىٰ تعزيز وتوحيد شخصيات المعارضة المتمركزة خارج سوريا.

لقد كان الهدف المعلن لهذه الجهود هو وضع ضغط أكبر علىٰ الرئيس الأسد ومؤيديه للتفاوض بشأن اتفاق انتقالي يمكن أن ينهي الصراع في سوريا. وفي حالة استمرار الاتجاهات الحالية؛ فإن محور تركيز هذه الجهود قد يشتمل بشكل متزايد علىٰ دعم كيانات داخل سوريا يمكنها المساعدة في عمليات مكافحة الإرهاب متعددة الأطراف أو يمكنها الأخذ بزمام السيطرة علىٰ الأراضي والموارد الخاضعة للدولة الإسلامية في أعقاب أي عمليات عسكرية للتحالف تستهدف التنظيم.

ومنذ سبتمبر ٢٠١٤، خصصت الولايات المتحدة أكثر من ٢٨٧ مليون دولار لدعم المعارضة غير المسلحة (بما فيها ائتلاف المعارضة السورية ونشطاء محليون)، كان أكثر من نصفها قد تم تقديمه بالفعل منذ أواخر مارس[١].

وتواصل تقديم بعض الدعم إلىٰ مجموعات مختارة بعد تعليقه نتيجة لسيطرة جبهة النصرة علىٰ منشآت التخزين التابعة لائتلاف المعارضة السورية - مجلس القيادة العسكرية العُليا والتصارع الداخلي بين فصائل المعارضة في شمال سوريا[٢]، وقد وفر مشروع قانون المخصصات المجمعة للعام المالي ٢٠١٤ (قرار المجلس٣٥٤٧، القانون العام ١١٣-٧٦) سلطة جديدة للإدارة لاستخدام أموال العام المالي ٢٠١٤ والأموال السابق تخصيصها في حساب صندوق الدعم الاقتصادي لتوفير الدعم غير الفتاك لبعض الأغراض في سوريا (انظر المربع النصي).

قانون المخصصات المجمعة للعام المالي ٢٠١٤ والدعم غير الفتاك في سوريا

---

(١) صحيفة حقائق من إصدار وزارة الخارجية الأمريكية بعنوان: *U.S. Assistance and Support for the Transition*، ١٧ يناير ٢٠١٤؛ وشهادة مساعدة وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنىٰ آن باترسون أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، ٢٦ مارس ٢٠١٤.

(٢) لقد صرحت وزارة الخارجية بأن خطوط الإمداد بالدعم غير الفتاك لعناصر المعارضة المسلحة «تتعرض للنزاع عليها بشكل دوري من قبل النظام السوري أو المقاتلين المتطرفين». في أعقاب ذلك، «قررت إدارة أوباما أنه من المخاطرة توفير الدعم إذا كان يذهب إلىٰ المتطرفين». ينظر ملاحظات وزير الخارجية جون كيري مع وزير الخارجية القطري خالد بن محمد العطية، باريس، فرنسا، ١٢ يناير ٢٠١٤؛ والمؤتمر الصحفي المنفرد لوزير الخارجية جون كيري في مؤتمر جنيف ٢ الدولي حول سوريا، ٢٢ يناير ٢٠١٤.

القسم ٧٠٤١ (i) من المقطع K من قانون المخصصات المجمعة للعام المالي ٢٠١٤ (قرار المجلس ٣٥٤٧، القانون العام ١١٣-٧٦) يوسع بشكل كبير سلطة الإدارة لتوفير الدعم غير الفتاك في سوريا لأغراض معينة باستخدام حساب صندوق الدعم الاقتصادي.

كان مثل هذا الدعم مقيدًا بسلسلة من بنود القانون (ومنها بعض البنود المتعلقة بالإرهاب) والتي كانت تتطلب تأكيد الرئيس لسلطات الطوارئ لتقديم مثل هذا الدعم إلىٰ المعارضة السورية والمجتمعات في سوريا. السلطة الجديدة تجعل تمويل صندوق الدعم الاقتصادي للعام المالي ٢٠١٤ والعام السابق متاحًا «مع وجود أي بنود أخرىٰ للقانون لتوفير الدعم غير الفتاك للبرامج التي تعالج حاجات المدنيين المتضررين بالصراع في سوريا والبرامج الساعية إلىٰ:

(أ) تأسيس حكم في سوريا يعد ممثلًا وغير إقصائي وخاضعًا للمحاسبة.

(ب) تطوير وتنفيذ عمليات سياسية تتسم بالديمقراطية والشفافية وتلتزم بحكم القانون.

(ج) تدعيم شرعية المعارضة السورية من خلال البرامج العابرة للحدود.

(د) تطوير مجتمع مدني وإعلام حر في سوريا.

(هـ) تعزيز النمو الاقتصادي في سوريا.

(و) توثيق خروقات حقوق الإنسان في سوريا والتحقيق فيها وملاحقة القائمين عليها، بما في ذلك تفعيل برامج العدالة الانتقالية ودعم المنظمات غير الحكومية.

(ز) مضادة الأيديولوجيات المتطرفة».

ويطالب القانون وزير الخارجية بأن «يتخذ كل الخطوات المناسبة للتأكد من أن الآليات معدة للرقابة والإشراف والسيطرة الكافية علىٰ مثل هذا الدعم في سوريا»، ويطالب وزير الخارجية بأن «يبلغ علىٰ الفور لجان الكونجرس المناسبة بكل حالة واضحة من توفير هذا الدعم وَفقًا للسلطة الواردة في هذا القسم حيث يحدث فيها خلل، وبأن يضمن نوع وكمية الدعم المتأثر، ووصفًا للحادث والأطراف المشاركة فيه ووصفًا لرد فعل وزارة الخارجية بشأن هذا الخلل».

كما يطالب القانون أيضًا إدارة أوباما بتقديم استراتيجية تفصيلية للعلاقة بين الوكالات قبل استخدام هذه السلطة والتي ينبغي أن تشتمل علىٰ «بيان رسالة وأهداف

قابلة للتحقيق مصحوبة بجداولها الزمنية ووصف لكيفية التنسيق بين الوكالات ومع الجهات المانحة والتنفيذ لتلك الاستراتيجية».

ويجب أن تشتمل الاستراتيجية، والتي قد تكون سرية، علىٰ «وصف لإجراءات الرقابة وعمليات الاختيار لتجنب إساءة استخدام المخصصات». وتخضع جميع المخصصات الملتزم بها وَفقًا للسلطة الجديدة لإجراءات إخطار الكونجرس المعتمدة.

⋆ طلب ميزانية لسوريا في العام المالي ٢٠١٥:

يعكس طلب الدعم الأجنبي الأساسي للعام المالي ٢٠١٥ لسوريا العنصرين الأساسيين في رد فعل سياسة إدارة أوباما:

(١) الدعم الإنساني لتلبية احتياجات السوريين النازحين داخليًا واللاجئين في الدول المجاورة.

(٢) الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري غير الفتاك لمجموعات المعارضة الوطنية والمحلية، تجاوزت الموارد الموفرة منذ ٢٠١١ في سوريا والدول المجاورة لهذه الأغراض المجمعة قيمة ٢,٦ بليون دولار حتىٰ هذا التاريخ.

ومن بين مجموع ١,٢٦ بليون دولار مطلوبة للتمويل في العام المالي ٢٠١٥ بشكل خاص لسوريا ضمن طلب ميزانية العمليات الأجنبية الأساسية، سيدعم مبلغ ١,١ بليون دولار موجهة نحو تمويل عمليات الطوارئ الدولية، سيدعم احتياجات الاستجابة الإنسانية من كل من حساب دعم الهجرة واللاجئين (MRA-OCO) وحساب دعم الكوارث الدولي (IDA-OCO)، وستساهم قيمة ١٥٥ مليون دولار أخرىٰ من حسابات عمليات الطوارئ الدولية لصندوق الدعم الاقتصادي وعمليات الطوارئ الدولية للبرنامج الدولي للمكافحة، وإنفاذ القانون بالنسبة إلىٰ المخدرات وبرامج منع الانتشار ومكافحة الإرهاب وإزالة الألغام والبرامج ذات العلاقة، ستساهم في دعم المعارضة السورية والمبادرات المرتبطة بالعملية الانتقالية، ولم تقدم مقترحات محددة بعد لاستخدام هذه الموارد المالية. ستمدد صيغتَا الكونجرس (قرار المجلس٥٠١٣) ومجلس الشيوخ (قرار مجلس الشيوخ ٢٤٩٩) من مشروع قانون العمليات الخارجية للعام المالي ٢٠١٥، ستمددان سلطة الدعم للموارد المالية للعام المالي ٢٠١٥، مشروطة بتحديث استراتيجية مطلوب تحت القانون العام ١١٣-٧٦.

التوسيع المقترح للدعم الفتاك وغير الفتاك

الاقتراحات إلى الكونجرس

في دورة الكونجرس رقم ١١٣، تم التقدم بمقترحات للتصريح بزيادة تقديم الدعم الفتاك وغير الفتاك في سوريا مع فقرات شرطية عدة أو تمت دراستها في اللجان وستضع عددًا من الاشتراطات علىٰ الدعم وتحديد متطلبات الإبلاغ وإعطاء السلطات المختلفة ووضع قيود زمنية مختلفة.

* في يوم ١٥ سبتمبر، وافقت لجنة قواعد المجلس علىٰ النظر في تعديل اقترح من قبل النائب هوارد «بوك» ماككيون (والمشار إليه فيما يلي بتعديل ماككيون)[١] علىٰ القرار المستمر المقترح للعام المالي ٢٠١٥ (قرار المجلس المشترك ١٢٤)، والذي يمثل مقترحًا مضادًا لطلب الرئيس المعدل للحصول علىٰ سلطة الدعم.

* ستصرح صيغة لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ المعلن عنها من قانون إقرار الدفاع الوطني للعام المالي ٢٠١٥ (القسم ١٢٠٩ من المجلس ٢٤١٠)، ستصرح لوزارة الدفاع، بالتعاون مع وزارة الخارجية، بتدريب وتجهيز أعضاء مختارين من قوات معارضة سورية مختارة لأغراض محدودة حتىٰ العام ٢٠١٨.

* في المجلس ٩٦٠، تمت الموافقة علىٰ قانون دعم انتقال سوريا لعام ٢٠١٣ من قبل لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، كما تم تعديله بنسبة تصويت ١٥-٣ في مايو ٢٠١٣.

* قرار المجلس ١٣٢٧، قانون سوريا الحرة لعام ٢٠١٣، تم إعماله في مارس ٢٠١٣.

---

(١) متاح علىٰ الرابط:

http://www.rules.house.gov/amendments/MCKEON021915141612381238.pdf.

* كما تمت الإشارة أعلاه، سيمدد مشروعا قانون مخصصات العمليات الأجنبية بكل من مجلس النواب ومجلس الشيوخ، سيمددان سلطات العام المالي ٢٠١٤ لتقديم الدعم غير الفتاك في سوريا لأغراض مختارة (قرارا مجلس النواب ٥٠١٣ ومجلس الشيوخ ٢٤٩٩).

* سيحظر القسم ١٠٠١٠ من مشروع قانون مخصصات وزارة الدفاع للعام المالي ٢٠١٥ الذي تمت الموافقة عليه في مجلس النواب (قرار المجلس ٤٨٧٠)، سيحظر استخدام الموارد المالية الخاصة بالدفاع «في إيصال أنظمة الدفاع الجوي المحمولة (MANPADS) إلىٰ أي كيان داخل سوريا».

* تسعىٰ المقترحات الأخرىٰ مثل قرار المجلس ٢٥٠٣ وقرار المجلس ٢٤٣٢ إلىٰ حظر أي دعم عسكري إلىٰ أي مقاتلين خارج سوريا.

★ طلب الإدارة «للتدريب والتجهيز» وردود الكونجرس:

لقد أنعشت طلبات الرئيس أوباما من الكونجرس التصريح بالسلطة والموارد لتدريب وتجهيز أعضاء مختارين من المعارضة السورية في تأييد لجهود الولايات المتحدة لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية، أنعشت الجدل في الكونجرس مرة أخرىٰ حول الموضوع.

للاطلاع علىٰ مقارنة وتحليل للبنود المحددة للطلب والمقترحات المقدمة إلىٰ الكونجرس انظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية:

R43727, Proposed Train and Equip Authorities for Syria: In Brief

من تأليف كريستوفر بلانشارد وإيميبيلاسكو.

احتوت الموارد المالية المتضمنة في طلب الإدارة في يونيو ٢٠١٤ لعمليات الطوارئ الدولية للعام المالي ٢٠١٥ علىٰ طلبات لتمويل وسلطات بقيمة مقترحة ١,٥ بليون دولار ضمن مبادرة الاستقرار الإقليمي السوري، ستدعم ٥٠٠ مليون دولار منها برنامج تدريب وتجهيز معلن لسوريين مختارين[١].

---

(١) Estimate #2 - FY 2015 Budget Amendments: Department of Defense (DOD) and

وفي سبتمبر، راجع الرئيس ذلك الطلب وطلب تصريحًا من الكونجرس «لتقديم الدعم بما في ذلك توفير مواد دفاعية وخدمات دفاعية، إلىٰ عناصر مختارين جيدًا من المعارضة ومجموعات سورية وأفراد آخرين مختارين جيدًا»؛ للأغراض التالية:

(١) الدفاع عن الشعب السوري ضد هجمات الدولة الإسلامية في العراق والشام والنظام السوري، وتسهيل توفير الخدمات الأساسية ودفع الاستقرار في الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة.

(٢) حماية الولايات المتحدة وأصدقائها وحلفائها والشعب السوري من التهديدات التي يمثلها الإرهابيون في سوريا.

(٣) تعزيز وجود الظروف لتسوية تفاوضية لإنهاء الصراع في سوريا.

ومنذ بدايات سبتمبر، كانت عملية دراسة الكونجرس لهذا الطلب قد أدمجت مع عملية دراسة قرار مستمر مقترح لتمويل عمليات الحكومة بعد ٣٠ سبتمبر ٢٠١٤ (قرار المجلس ١٢٤). يمثل تعديل ماككيون لقرار المجلس المشترك ١٢٤ مقترحًا مضادًا لطلب الرئيس المعدل للحصول علىٰ سلطة الدعم. تختلف الصيغتان بصور كبيرة.

لتحليل هذه الاختلافات والمقترحات الأخرىٰ المقدمة إلىٰ الكونجرس انظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية:

R43727, Proposed Train and Equip Authorities for Syria: In Brief

من تأليف كريستوفر بلانشارد وإيمي بيلاسكو.

لو أنَّ مقترح الرئيس كان قد قبل من الكونجرس كما كان؛ فإنَّ استخدام سلطة التدريب والتجهيز لم يكن سيحد بقيمة قصوىٰ للإنفاق، في يوم ١٦ سبتمبر، قدم وزير الدفاع هيجيل ملخصًا محدثًا لمقترح الإدارة، قائلًا: طلب الـ ٥٠٠ مليون دولار الذي

Department of State and Other International Programs (State/OIP) to update the FY 2015 Overseas Contingency Operations funding levels; for both DOD and State/OIP to implement the Counterterrorism Partnerships Fund and the European Reassurance Initiative; and for State/OIP peacekeeping costs in the Central African Republic.

متاح علىٰ الرابط: http://www.whitehouse.gov/omb/budget_amendments.

كان الرئيس قد طلبه في يونيو لبرنامج التدريب والتجهيز هذا يعكس تقدير القيادة المركزية الأمريكية لتكلفة تدريب وتجهيز وإعادة إمداد أكثر من ٥,٠٠٠ من أفراد قوات المعارضة علىٰ مدىٰ عام واحد، ستحتوي حزمة الدعم التي نقدمها مبدئيًّا علىٰ أسلحة خفيفة ومركبات ومعدات أساسية مثل معدات الاتصالات بالإضافة إلىٰ التدريب التكتيكي والاستراتيجي، ومع استمرار هذه القوات في إثبات فاعليتها في ساحة المعركة، سنكون مستعدين لتقديم أنواع أكثر تعقيدًا من الدعم إلىٰ القادة الأكثر استحقاقًا للثقة والقوات المظهرة للبراعة(١).

سيحتاج إلىٰ المزيد من التمويل للمحافظة علىٰ استمرار البرنامج وتوسيعه، وبحسب ما هو مطلوب؛ فإنَّ السلطة ستمكن الحكومة الأمريكية من قبول المساهمات الأجنبية لجهود مصرح بها لتقديم مثل هذا الدعم.

سعىٰ طلب الإدارة في يونيو ٢٠١٤ أيضًا للحصول علىٰ التمويل والسلطة لبذل جهود موسعة «لبناء قدرة المعارضة السورية والدول المجاورة ومنها الأردن ولبنان وتركيا والعراق لاستيعاب فيضان التأثيرات الناتجة عن الصراع السوري»، ووَفقًا لطلب يونيو؛ فإنَّ الإدارة تهدف إلىٰ استخدام أي موارد مالية يتم توفيرها من الكونجرس لصالح مبادرة الاستقرار الإقليمي «لتفعيل برامج التعاون الأمني والدعم الحالية وتوسيع التدريب والبنية التحتية ذات العلاقة وتكييف حزم الدعم لتلبي الاحتياجات الإقليمية المحددة للمناطق التي تكافح مع تأثيرات اللاجئين والتأثيرات الأخرىٰ الباعثة علىٰ عدم الاستقرار الناتجة عن الصراع السوري».

وبعد دراسة القرار الجاري النظر فيه للعام المالي ٢٠١٥، قد يرجع أعضاء الكونجرس أيضًا إلىٰ دراسة المقترحات الأخرىٰ المقدمة إلىٰ الكونجرس التي ستوفر سلطة موسعة أو تمويلًا للدعم الأمريكي المعزز للمعارضة السورية.

* كما تمت الإشارة أعلاه، ستصرح صيغة لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ المعلن عنها من قانون إقرار الدفاع الوطني للعام المالي ٢٠١٥ (القسم ١٢٠٩ من المجلس ٢٤١٠)، ستصرح لوزارة الدفاع، بالتعاون مع وزارة الخارجية، بتدريب

(١) شهادة وزير الدفاع تشاك هيجيل أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، ١٦ سبتمبر ٢٠١٤.

وتجهيز أعضاء مختارين من قوات معارضة سورية مختارة لأغراض محدودة حتىٰ العام ٢٠١٨.

* سيصرح القسم ٩٠١٥ من صيغة لجنة المخصصات بمجلس الشيوخ لمشروع قانون مخصصات الدفاع للعام ٢٠١٥ (قرار المجلس ٤٨٧٠)، سيصرح بتقديم الدعم بما في ذلك توفير مواد دفاعية وخدمات دفاعية، إلىٰ عناصر مختارين جيدًا من المعارضة السورية لأجل، من بين أغراض أخرىٰ، «حماية الولايات المتحدة وأصدقائها وحلفائها والشعب السوري من التهديدات التي يمثلها الإرهابيون في سوريا».

تحت هذا القسم، تحدد اللجنة أنَّه حتىٰ ٥٠٠ مليون دولار من حساب العمليات والاستمرارية لوزارة الدفاع، وهو حساب شامل تابع لوزارة الدفاع، يمكن أن تستخدم في برنامج دعم، درست اللجنة الفرعية لمخصصات الدفاع بمجلس الشيوخ ورفضت تعديلًا مقترحًا كان سيؤدي إلىٰ نزع السلطة والتمويل لبرنامج سوريا من مشروع القانون.

إضافة إلىٰ ذلك، تحتوي صيغة لجنة المخصصات بمجلس الشيوخ من قرار المجلس ٤٨٧٠ علىٰ مخصصات عمليات واستمرارية يمكن أن تستخدم «للسداد لحكومة الأردن، بقيم تخضع لتقدير وزير الدفاع، للحفاظ علىٰ قدرة القوات المسلحة الأردنية علىٰ المحافظة علىٰ الأمن علىٰ امتداد الحدود بين الأردن وسوريا».

أخيرًا، تحتوي صيغة لجنة المخصصات بمجلس الشيوخ من قرار المجلس ٤٨٧٠ علىٰ بليون دولار لتمويل عمليات الطوارئ الدولية لصندوق الأزمات المعقدة (CCF) التابع لوزارة الخارجية والتي يمكن توفيرها لأغراض «القيام بجهود شراكات مكافحة الإرهاب والاستجابة للأزمات والتعامل مع عدم الاستقرار الإقليمي الناتج عن الصراع في سوريا».

⋆ العمليات المحتملة ضد تنظيم الدولة الإسلامية والقضايا التي تشكل مستقبل السياسة الأمريكية تجاه سوريا:

لقد صرَّح الرئيس أوباما أنَّ الولايات المتحدة تسعىٰ إلىٰ «إضعاف وتدمير» الدولة

الإسلامية[١]، وقد أشار مسؤولو مكافحة الإرهاب والدفاع والدبلوماسية الأمريكيون إلىٰ عناصر عدة من استراتيجية للإدارة تهدف إلىٰ تحقيق تلك الأهداف المعلنة في التصريحات للرأي العام، وبتعبير عام؛ فإنَّ الإدارة تسعىٰ لتعزيز المجهودات المجمعة، والمحددة بشكل كامل في الوقت ذاته، لائتلاف دولي متعدد الأطراف لاستخدام الآليات الدبلوماسية والعسكرية والاستخباراتية وغيرها المعنية بإنفاذ القانون «لهزيمة» تنظيم الدولة الإسلامية.

وما زلنا سنرىٰ في المستقبل ما إذا كان الرئيس سيستخدم العمل العسكري ضد الأهداف التابعة للدولة الإسلامية داخل سوريا. لمناقشة أسئلة قوىٰ وسلطات الحرب ذات العلاقة بالعمل العسكري المحتمل، انظر تقرير خدمة الكونجرس البحثية:

IN10147, Considerations for Possible Authorization for Use of Military Force Against the Islamic State.

من تأليف ماثيو ويد.

وتقرير خدمة الكونجرس البحثية:

R43720, U.S. Military Action Against the Islamic State: Answers to Frequently Asked Legal Questions

من تأليف مايكل جون جارسيا وجنيفر إلسي.

في يوم ٥ سبتمبر، أشار الرئيس أوباما ووزير الخارجية جون كيري إلىٰ أنَّه قد يتوقع من الفاعلين المحليين والإقليميين أن يستمروا في حمل عبء تنفيذ عمليات حربية برية إضافة إلىٰ الدعم المستقبلي المحتمل للائتلاف، الذي قد يوفر أعضاؤه التدريب أو المعدات أو التوجيه أو الدعم أو تنفيذ عمليات عسكرية داعمة أو جميعها معًا[٢]، قال الرئيس أوباما: بالنسبة إلىٰ الوضع علىٰ الأرض في سوريا، فنحن لن نقوم بإرسال قوات برية أمريكية لمحاولة السيطرة علىٰ المناطق التي تعد جزءًا من الصراع في

---

(١) ملاحظات الرئيس أوباما في المؤتمر الصحفي لقمة حلف الناتو، ٥ سبتمبر ٢٠١٤.

(٢) ملاحظات وزير الخارجية جون كيري قبل لقاء بشأن بناء تحالف مضاد لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ٥ سبتمبر ٢٠١٤.

سوريا، أنا لا أعتقد أن ذلك أمر ضروري لنا لكي نحقق هدفنا، سيكون علينا أن نجد شركاء فاعلين علىٰ الأرض لمواجهة داعش، والائتلاف المعتدل هناك يعد ائتلافًا يمكننا أن نعمل معه، ولنا خبرة في العمل مع كثير من أعضائه، لقد كانوا، إلىٰ حد ما، مغلوبين تسليحًا وعددًا، وهذا ما يجعل من المهم لنا أن نعمل مع أصدقائنا وحلفائنا لدعمهم بشكل أكثر فاعلية[١].

وكما تمت الإشارة أعلاه، فأثناء خطابه للأمة في يوم ١٠ سبتمبر، أكد الرئيس أوباما علىٰ طلبه من الكونجرس «سلطات وموارد إضافية لتجهيز هؤلاء المقاتلين [السوريين المختارين]».

وحتىٰ هذا التاريخ، تظل قوات الأمن العراقية والميليشيات الكردية السورية والعراقية والميليشيات الشيعية العراقية والقوات الحكومية السورية وسلسلة واسعة من ميليشيات المعارضة السورية، تظل هي القوات العسكرية الأساسية المشتبكة في الصراع علىٰ الأرض ضد قوات تنظيم الدولة الإسلامية، وما زال سيتحدد في المستقبل أي أنواع الدعم ستكون هذه الكيانات مؤهلة لتلقيه من ائتلاف نامٍ مضاد للدولة الإسلامية وتحت أي شروط.

جادل مؤيدو استمرار الدعم الأمريكي لمجموعات مختارة من المعارضة في سوريا بأن إيقاف أو تقليل مثل ذلك الدعم سيعزز الجماعات الأقل تعاونًا وصداقة، وقد جادل هؤلاء المؤيدون أيضًا بأنَّه في حالة إيقاف أو تقليل الولايات المتحدة لدعمها، فقد «تدفع» الجماعات المعتدلة إلىٰ الالتفات إلىٰ الجماعات المتطرفة للحصول علىٰ التمويل والدعم، ممَّا يؤدي إلىٰ تقوية نفوذ المتطرفين بينما يقل النفوذ الأمريكي.

أما المنتقدون للاستمرار أو التوسع في الدعم الأمريكي، فقد جادلوا بأن مثل هذا الدعم يزيد من خطر مفاقمة العداوة بين مجموعات المعارضة وتقليل مصداقية الجماعات والأفراد الذين ينظر إليهم باعتبارهم مصطفين في جانب الولايات المتحدة، كما أشار المنتقدون لمقترحات الدعم إلىٰ المشكلات المتعلقة بالتأكد من

---

(١) ملاحظات الرئيس أوباما في المؤتمر الصحفي لقمة حلف الناتو، ٥ سبتمبر ٢٠١٤.

هوية ونوايا المستخدمين النهائيين للدعم المقدم واستخدامات المواد الموفرة من قبل الولايات المتحدة.

كما أنَّ الأغراض من أي توسع في الدعم المقدم من الولايات المتحدة أو الائتلاف إلىٰ مجموعات المعارضة المسلحة قد يكون مثيرًا للجدل بين السوريين أيضًا. أشار الرئيس أوباما إلىٰ أن مشاركة الولايات المتحدة ستظل مركزة «بشكل ضيق» علىٰ دعم السوريين في محاربة الدولة الإسلامية بينما تواصل «البحث عن الفرص» لدعم حل سياسي للصراع السوري[١].

وقد تستاء بعض قوىٰ المعارضة السياسية والعسكرية السورية من مثل هذا التركيز الضيق، وتصر علىٰ دعم أوسع لأهدافها المضادة للأسد كشرط للعمل مع ائتلاف مدعوم من الولايات المتحدة ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

وقد تُثار أسئلة سياسية واستراتيجية وجيهة نتيجة اقتراحات قد تفيد أكثر فاعلين معينين من غير الدول مقارنة بالحكومات الوطنية (مثل المجموعات الكردية)، أو التي قد تُؤدِّي بشكل غير متوقع إلىٰ تغيير الديناميكيات السائدة بين الخصوم في سوريا، وكما تمت الإشارة أعلاه، فقد أصبح احتمال التعاون أو التنسيق الدولي مع حكومة الأسد أمرًا مثيرًا للجدل بالفعل.

وقد يتأثر توقيت ومدة أي عمليات عسكرية ضد الدولة الإسلامية أيضًا بحسابات الفائدة المحتملة من هذه العمليات لقوات المعارضة والحكومة في سوريا، فأي عمليات تهدف إلىٰ إضعاف قدرات الدولة الإسلامية بشدة قبل إجراء تحسينات؛ لتنظيم وقدرات الجماعات المسلحة المفضلة لدىٰ الولايات المتحدة قد تؤدي إلىٰ مكاسب عسكرية كبيرة للقوات المؤيدة للأسد أو الجماعات المتطرفة الأخرىٰ، خاصة جبهة النصرة، ولم يقدر المسؤولون الأمريكيون بشكل علني المدة التي قد

---

(١) قال الرئيس أوباما: «إنَّ سلوكنا تجاه الأسد يستمر في كونه أننا نعلم، من خلال أفعاله، من خلال استخدام الأسلحة الكيميائية ضد شعبه، وإلقاء البراميل المتفجرة التي تقتل الأطفال الأبرياء أنه قد تخلىٰ عن شرعيته، لكن عندما يتعلق الأمر بسياستنا وبالتحالف الذي نقوم ببنائه؛ فإن تركيزنا ينصب بالتحديد علىٰ داعش. إنه وبشكل ضيق مركز علىٰ داعش».

مقابلة للرئيس أوباما مع برنامج *Meet the Press* علىٰ قناة NBC News، ٦ سبتمبر ٢٠١٤.

يستغرقها تدريب وتجهيز قوات الشركاء السوريين.

ومن وجهة نظر عملية، وكما هو الأمر مع الدعم الإنساني؛ فإنَّ جهود الولايات المتحدة للدعم المباشر للأمن وتوفير الخدمات داخل سوريا حتىٰ هذا التاريخ قد أعيقت بسبب قلة الوصول المنتظم إلىٰ المناطق المحتاجة.

فوَفقًا لمسؤولي الإدارة؛ فإن إغلاقات الحدود والقتال المستمر والمخاطر من الجماعات المتطرفة قد سببت تحديات فريدة، كما يسبب القتال الداخلي بين صفوف قوات المعارضة وتحقق السيطرة للدولة الإسلامية في شرق سوريا وشمال وغرب العراق المزيد من التعقيدات، ومن المحتمل أن تعرقل مشاكل الوصول المشابهة الجهود الهادفة؛ لتوسيع الدعم للقوات التي تحارب الدولة الإسلامية.

سيمثل توفير دعم عسكري معلن للقوات المضادة للدولة الإسلامية أو لحكومة الأسد تطورًا ملحوظًا في مجهودات الولايات المتحدة لدعم عناصر المعارضة المسلحة. قال الرئيس أوباما في يوم ٦ سبتمبر: إنَّه «من حيث السيطرة علىٰ الأراضي؛ فإنَّه سيكون علينا أن نطور معارضة سنية معتدلة يمكنها السيطرة علىٰ الأراضي كما يمكننا العمل معها»[1]، وحتىٰ هذا التاريخ، لم يصف المسؤولون الأمريكيون بشكل علني أي عناصر المعارضة السورية قد تكون حصلت بالفعل علىٰ تدريب من الولايات المتحدة، أو ما الذي انطوىٰ عليه أي تدريب، أو أي أنواع الأسلحة قد تم توفيرها، أو أي ضمانات أمان تعد موجودة بالفعل لمراقبة توفير المعدات وعمل أي أفراد تم تدريبهم من قبل الولايات المتحدة[2].

---

(١) الرئيس أوباما في مقابلة مع برنامج Meet the Press علىٰ قناة NBC News، ٦ سبتمبر ٢٠١٤.

(٢) في يونيو ٢٠١٣، قال نائب مستشار الأمن القومي للاتصالات الاستراتيجية بن رودز إن الرئيس كان «قد صرح بتوسيع الدعم الذي نقدمه إلىٰ مجلس القيادة العسكرية العليا»، وقال وزير الدفاع تشاك هيجيل في جلسة أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ في سبتمبر ٢٠١٣ إن الإدارة كانت تتخذ خطوات لتوفير أسلحة لبعض الثوار السوريين وفق سلطات للعمل السري. قال الوزير هيجيل: «لقد كان في يونيو من هذا العام حين اتخذ الرئيس قرارًا بتأييد المساعدات الفتاكة للمعارضة. وكما تعلمون جميعًا، لقد كنا داعمين بقوة بمئات الملايين من الدولارات من المساعدات غير الفتاكة. لقد كانت عملية الفحص والاختيار التي أشار إليها الوزير كيري هامة وكبيرة، لكن ـ سأسأل الجنرال ديمسي إن كان لديه ما يود إضافته ـ لكننا، كوزارة الدفاع، لم نكن مشاركين في ذلك. إن هذا، كما تعلمون، عمل سري. وكما أشار الوزير كيري، فمن المحتمل أن [الدخول] في المزيد من التفاصيل سيتطلب جلسة استماع مغلقة أو سرية».

لقد ظل الدعم الأمريكي المعلن لقوات المعارضة السورية محصورًا في عناصر غير فتاكة، وفي أواخر سبتمبر ٢٠١٣، أخطرت الإدارة الكونجرس بنيتها استخدام سلطات الطوارئ المتاحة للرئيس وَفقًا لقانون المساعدات الخارجية لتوفير المزيد من «البضائع والخدمات غير الفتاكة» إلىٰ مجلس القيادة العسكرية العُليا، وفي يوم ٢٢ أكتوبر ٢٠١٣، قال وزير الخارجية كيري إن مجموعة «لندن ١١» قد «وافقت علىٰ توفير الدعم العسكري المباشر بشكل حصري من خلال مجلس القيادة العسكرية العُليا . . . للحد من تأثير المتطرفين، ولعزل المتطرفين ولتغيير التوازن علىٰ الأرض»(١).

وفي يناير ٢٠١٤، أشارت وزارة الخارجية إلىٰ إتمام عمليات إيصال طعام ومعدات طبية ومركبات و«عمليات إيصال مخططة لمعدات اتصال بالقمر الصناعي وحواسب محمولة ومعدات اتصال راديو وعدد طبية إلىٰ عناصر معتدلة من مجلس القيادة العسكرية العُليا» في ملخص لجهودها في تقديم الدعم غير الفتاك حتىٰ هذا التاريخ(٢).

وكما ذكر أعلاه، تستمر جماعات ميليشيا إسلامية معروفة في تنسيق عملياتها بشكل مستقل وقد رفضت القيادة السياسية والعسكرية لائتلاف المعارضة السورية/ مجلس القيادة العسكرية العُليا. وهناك جماعات غير إسلامية أخرىٰ تعمل أيضًا بشكل مستقل لتعزيز عملياتها وائتلافات صاعدة تسعىٰ لتوحيد بعض الجماعات المسلحة الإسلامية وغير الإسلامية.

كما قد تلعب الخلافات علىٰ القيادة بين القيادات السابقة لمجلس القيادة العسكرية العُليا دورًا في تعقيد الجهود الدولية للتعامل مع مجلس القيادة العسكرية العُليا كقناة للدعم للعناصر المسلحة المعتدلة، سواء لزيادة الضغط علىٰ الرئيس الأسد أو لمحاربة الدولة الإسلامية والجماعات المتطرفة الأخرىٰ.

وما زلنا سنرىٰ في المستقبل ما إذا كانت هذه الصور من إعادة الاصطفاف

---

(١) ملاحظات وزير الخارجية جون كيري، لندن، المملكة المتحدة، ٢٢ أكتوبر ٢٠١٤.

(٢) مكتب المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٧ يناير ٢٠١٤:
The Syrian Crisis: U.S. Assistance and Support for the Transition.

والخلافات والتصريحات السياسية قد غيرت بشكل حاسم السياق الذي تقدم فيه الولايات المتحدة وحلفاؤها الدعم للمعارضة المسلحة أو ما إذا كان هذا الدعم قد يتغير في المستقبل وكيف سيتم ذلك، وفي الأشهر الأخيرة، أشار مسؤولو الإدارة، بما فيهم الرئيس أوباما، إلىٰ عدم تنظيم المعارضة المسلحة باعتباره عائقًا، أثناء وصف خطط الولايات المتحدة لزيادة الدعم لعناصر مختارة من المعارضة سعيًا لتحقيق الأهداف الأمريكية.

★ أسئلة محتملة لرقابة الكونجرس:

- أي سلطة دولية أو محلية قد تسعىٰ الإدارة إليها أو تفرضها لتنفيذ عملياتها العسكرية ضد الدولة الإسلامية أو المجموعات المتطرفة الأخرىٰ في سوريًا؟ كم يمكن أن تكلف مثل هذه العمليات؟ كم يمكن لها أن تستغرق؟ أي توجيهات أو قيود جغرافية أو زمنية أو مالية أو تكتيكية قد يرغب الكونجرس في تفعيلها، إن وجدت؟

- أي المقاييس يمكن أن تستخدم لحساب مدىٰ النجاح النسبي للعمليات ضد الدولة الإسلامية؟ كيف ينبغي لمصادر القلق الأمريكية الموازية بشأن الاستقرار السوري الأوسع ومستقبل معارضتها الديمقراطية، كيف ينبغي أن تشكل أي عمليات للولايات المتحدة أو التحالف ضد الدولة الإسلامية في سوريا؟

- كيف يحتمل أن تستجيب قوات الدولة الإسلامية للعمليات المتوسعة للولايات المتحدة أو التحالف ضدها في سوريا؟ ما مدىٰ احتمال أن يستهدف عملاء الدولة الإسلامية الدول المساهمة أو المستضيفة للقوات المسلحة؟ علىٰ المدىٰ القصير، أي القوات في سوريا ستستفيد من المجهودات لإضعاف قدرات الدولة الإسلامية؟

- أي التأثيرات يمكن لتوفير الدعم العسكري المعلن للجماعات المسلحة والأفراد المقاتلين من غير الدول في صراع سوريا المسلح غير الدولي أن يحدثها علىٰ مجهودات الولايات المتحدة لإعاقة الفاعلين الآخرين عن توفير الدعم العسكري للحكومة السورية أو توفير مثل هذا النوع من الدعم لفاعلين في صراعات أخرىٰ؟ أي سابقة، إن وجدت، سيضع الكونجرس إذا صرح بمثل هذا البرنامج المعلن ومموله تحت الظروف الحالية؟

- إلىٰ أي الجماعات أو الكيانات أو الأفراد تنوي الإدارة أن توفر الدعم الموسع، بما في ذلك البضائع والخدمات الدفاعية؟ لأي أغراض محددة؟ ما هي أهدافهم السياسية للمستقبل السوري؟ أي أنواع السلاح أو التدريب يمكن أن تقدم للمتلقين؟ ما الذي لا يمكن أن يقدم؟ لماذا؟ كم يستغرق الحد الأدنىٰ من الوقت لتكوين قوة تحقق أهداف الولايات المتحدة؟

- أي الآليات ستوضع لمراقبة توفير أي بضائع دفاعية من الولايات المتحدة؟ ما هي معايير الاختيار الدقيقة التي ستستخدم في تقييم مدىٰ جدوىٰ المتلقين المراد توفير الدعم لهم؟ أي الشروط أو المعايير يمكن أن تمنع مجموعة أو فردًا من التأهل للحصول علىٰ الدعم الأمريكي؟

- أين سيتم توفير مثل هذه الجهود للتدريب والتجهيز؟ وبأي توابع لهذه الدولة أو الدول المضيفة؟ كيف تتوقع الإدارة أن يكون رد فعل الحكومة السورية الحالية وحلفائها علىٰ أولئك الذين يساعدون أيًا من هذه الجهود الأمريكية؟

- كيف يمكن لتوفير الدعم العسكري المعلن إلىٰ المعارضة السورية أو لتنفيذ العمليات العسكرية في سوريا ضد أهداف للدولة الإسلامية دون إذن أو تعاون الحكومة السورية أن يؤثر علىٰ استعداد حكومة الأسد في الأمور ذات الأهمية للولايات المتحدة، بما في ذلك مكافحة الإرهاب والأمن الإقليمي والصراع في العراق؟ كيف يمكن لتوفير الدعم العسكري الأمريكي لجماعات مختارة أن يؤثر علىٰ توازن القوىٰ والعلاقات السياسية بين جماعات المعارضة السورية المختلفة؟

- أي الدول يُرجح أن تساهم ماديًا أو عسكريًا في جهود الولايات المتحدة أو التحالف المحتملة ضد الدولة الإسلامية في سوريا؟ كيف يحتمل أن تستجيب الولايات المتحدة إذا قامت حكومات أخرىٰ بعمليات مضادة للدولة الإسلامية أو حكومة الأسد خارج إطار عمل تحالف تقوده الولايات المتحدة؟ هل سترحب الولايات المتحدة بدعم إيران أو حزب الله للعمليات المضادة للدولة الإسلامية في سوريا؟

- علىٰ أي أساس وبأي بنود ينبغي علىٰ الإدارة أن تبلغ الكونجرس بالحالة والإنجازات والأهداف غير المتحققة للعمليات ضد الدولة الإسلامية في سوريا؟ أي

تكاليف إضافية من الناحية الإدارية أو الإدارية للبرامج أو الرقابية، إن وجدت، يمكن أن ترتبط بمقترحات توسيع الدعم للجماعات المسلحة في سوريا فيما يتعلق بالأهداف الجديدة المضادة للدولة الإسلامية؟

★ استشراف المستقبل:

بالنظر إلىٰ المستقبل؛ فإنَّ صانعي السياسة الأمريكيين يواجهون خيارات صعبة بينما يحاولون المحافظة علىٰ مطالباتهم بترك الأسد الكامل للسلطة، والتعبير عن رغبتهم في بقاء الحكومة السورية متعاونة مع تنفيذ التزاماتها المتعلقة بالأسلحة الكيميائية والمشاركة في المفاوضات مع المعارضة وتسهيل وصول المساعدات الإنسانية، والسعي لتحقيق مبادرات جديدة لإضعاف وهزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، من خلال السعي إلىٰ حل تفاوضي وغير عسكري للصراع في سوريا؛ فإن صانعي السياسة الأمريكيين قد حاولوا أن ينهوا الصراع بينما يحافظون علىٰ الفوائد الأمنية المرتبطة بالحفاظ علىٰ مؤسسات الدولة السورية، ويبدو أن هذه الاهتمامات الأمنية قد انعكست في تصريحات الرئيس أوباما الأخيرة المشيرة إلىٰ أن المشاركة الأمريكية الأوسع في سوريا ستظل مركزة «بشكل ضيق» علىٰ تنظيم الدولة الإسلامية. غير أنه، وحتىٰ أبريل الماضي، فقد ألمح وزير الخارجية جون كيري إلىٰ الحاجة إلىٰ جعل حكومة الأسد تشعر بأنها أقل أمانًا وتوسيع الدعم للمعارضة لتعزيز فرصها في المفاوضات الناجحة. قد يثبت أنَّ الأمر صعب التحقيق بينما يتم اتخاذ إجراءات ضد عملاء الدولة الإسلامية والمتطرفين الآخرين في سوريا.

سيصرح تعديل ماككيون لقرار المجلس المشترك ١٢٤ بالدعم لسوريين مختارين لحماية السوريين من الهجمات من قبل الدولة الإسلامية بينما كانت الإدارة سابقًا تسعىٰ إلىٰ الحصول علىٰ تصريح بتوفير الدعم الذي يمكن أن يساعد السوريين علىٰ حماية أنفسهم ضد هجمات نظام الأسد. لا يقوم أي من الاقتراحين بتعريف «تحفيز الظروف لتحقيق تسوية تفاوضية لإنهاء الصراع في سوريا»، والذي يشير كل منهما إليه كهدف للدعم الأمريكي، وبتعبير أشمل؛ فإنَّ الإدارة تجادل بأن الضغط يجب أن يعمل علىٰ أن يؤثر علىٰ حكومة بشار الأسد لإقناع قادتها بالتفاوض من أجل تسوية للصراع ستؤدي إلىٰ مغادرتهم السلطة.

لم يصف مسؤولو الإدارة بشكل معلن الطبيعة المحددة لمثل هذا الضغط المرغوب في إحداثه أو الشروط المتعلقة بممارسته أو القياسات المحتملة لنجاحه في تحقيق أهدافه الاستراتيجية ذات العلاقة، في يوم ١٦ سبتمبر، أشار الجنرال مارتن ديمسي إلىٰ «استراتيجية أولىٰ تجاه داعش» في إجابة علىٰ سؤال حول أولويات الولايات المتحدة خلال جلسة استماع للجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، لا يصرح أي من الاقتراحين بشكل واضح بأن مغادرة بشار الأسد أو أعضاء من حكومته للسلطة يعد شرطًا أساسيًا لتسوية تفاوضية.

وفي غياب تغير في الظروف يدفع إلىٰ مغادرة الأسد للسلطة أو يقوي جماعات المعارضة بالشكل الكافي للإطاحة التامة بالأسد؛ فإنَّ المطالبات الأمريكية الحالية لتسوية تفاوضية تؤدي إلىٰ تأسيس كيان حكم انتقالي سيبدو أنها تطالب قيادات الحكومة الحالية بالموافقة علىٰ مغادرة السلطة طواعية، وهو الأمر الذي ربما يستمرون في مقاومته دون الحصول علىٰ ضمانات بالسلامة أو الحصانة أو كليهما معًا، وقد يكون أعضاء المقاومة غير قادرين أو غير مستعدين لإعطاء مثل هذه الضمانات، وقد أثار المسؤولون الأمريكيون احتمال إجراء ترتيبات حفظ سلام دولية لضمان عناصر تسوية تفاوضية، لكن مثل هذه الترتيبات قد تتطلب انتدابًا دوليًّا وقوات عسكرية ومساهمات مالية قد يثبت صعوبة توفيرها، وفي غضون ذلك، ترفض قوات معارضة إسلامية مسلحة قوية التفاوض، وتسعىٰ إلىٰ إنشاء دولة إسلامية، وقد تعهدت بالاستمرار في القتال حتىٰ إسقاط كامل الحكومة السورية.

إنَّ التوفيق بين الاستراتيجية الدبلوماسية الأمريكية الحالية والرغبة في التعاون لتدمير منشآت الأسلحة الكيميائية مع التوفير المتزامن للدعم الأمريكي إلىٰ عناصر مختارة من المعارضة يمكن أن يصبح أكثر صعوبة في حال بدأت المفاوضات وبدت واعدة، أو في حال تحقيق القوات الإسلامية المعادية للولايات المتحدة أو المرتبطة بالقاعدة لمزيد من المكاسب علىٰ حساب نظرائها، وفي ضوء هذه الظروف؛ فإن الاستجابة للاحتياجات الإنسانية الناشئة عن الأزمة والعمل علىٰ منع المزيد من عدم الاستقرار في الدول المجاورة لسوريا ستظل نقاطًا أساسية علىٰ أجندة صانعي القرار في الولايات المتحدة في المستقبل المنظور.

(٥)

المقاتلون الأجانب في سوريا

ريشارد باريت[١]

ترجمة: هيثم سمير

تُقدِّم مجموعة صوفان هذه الورقة علىٰ خلفية تزايد القلق الدولي إزاء تدفق المقاتلين الأجانب إلىٰ سوريا والإجراءات التي يمكن اتخاذها للعودة، نظرًا للحجم المحتمل للمشكلة ومحدودية الموارد المتاحة للتعامل معها؛ فإنَّ مجموعة صوفان ترىٰ أن تبنىٰ علىٰ فهم متكامل بقدر الإمكان للظاهرة. هذه الورقة هي مساهمة لهذا الغرض. ريتشارد باريت، نائب الرئيس الأول لمجموعة صوفان، هو مؤلف هذه الورقة البحثية، مع مدخلات إضافية من روبرت مكفادين، نائب الرئيس الأول وباتريك سكينر، مدير المشاريع الخاصة.

---

(١) نائب رئيس مجموعة صوفان، يونيو ٢٠١٤.



المحتويات



النتائج الرئيسة

- من المرجح أن تكون الحرب السورية حاضنة لجيل جديد من الإرهابيين.

- أكثر من ١٢,٠٠٠ من الأجانب المقاتلين ذهبوا إلىٰ سوريا منذ بداية النزاع منذ ٣ سنوات، وهم أكثر ممن سافروا إلىٰ أفغانستان خلال سنوات الحرب العشر وما تلاها من أحداث عنف، ووصول المزيد منهم مازال مستمرًا.

- ذهب إلىٰ سوريا مقاتلون أجانب من ٨١ بلدًا من جميع أنحاء العالم.

- حوالي ٣,٠٠٠ من المقاتلين الأجانب من دول غربية.

- دوافع الذهاب مختلفة، ولكن يشيع أتباع السرد «الجهادي» بين أولئك الذين ينضمون إلىٰ الجماعات الجهادية المتطرفة، وهم يشكلون الأغلبية.

- المجموعات الجهادية الثلاث التي تجذب معظم المقاتلين الأجانب، علىٰ الرغم من القتال الدائر بينهما هم: أحرار الشام، جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام (ISIS)، وجميع هذه التنظيمات تأسست من قبل أناس كانوا أعضاء في تنظيم القاعدة في السابق، وهذه المجموعات تميل إلىٰ أن تكون أكثر شمولية، وأفضل تنظيمًا، وأفضل ماليًّا، من نظرائهم الأكثر اعتدالًا.

- اهتمت قيادة القاعدة بسوريا بشكل خاص، والنظر إليها باعتبارها فرصة للتعافي من الضربات التي عانت منها منذ ٢٠٠١، وأرسلت نشطاء بارزين هناك للعمل وتحفيز الجماعات التابعة لها.

- إذا نحَّيْنا جانبًا ما قد يحدث في سوريا، نجد أنَّه إذا استطاع تنظيم القاعدة المحافظة علىٰ شبكة مكونة حتىٰ ولو من عدد قليل من العائدين المتحمسين، أو تجنيد مقاتلين لجداول أعمالها الإرهابية أثناء فترة تواجدهم في سوريا، حينئذٍ، يمكن لها أن تشكل تهديدًا عالميًّا كبيرًا.

- بعض المقاتلين الأجانب ربما لا يعودون إلىٰ بلدانهم كإرهابيين، لكنهم جميعًا تعرضوا لبيئة مجهولة من التطرف والعنف المتواصل، لكن مع ذلك لها عواقب مقلقة. الهجوم من قبل مقاتل عائد في بروكسل في مايو الماضي، هو مجرد مثال.

- التقدم في التكنولوجيا، الاتصالات، السفر، والتكتيكات (الناتج عن عشر سنوات من القتال في المنطقة) يعني أنه يمكن أن يكون، حتىٰ لنسبة ضئيلة جدًّا من المقاتلين الأجانب العائدين تأثير كبير علىٰ أوطانهم.

- الموارد الوطنية في معظم البلدان غير كافية لمراقبة أكثر من حفنة من العائدين.

- الدروس المستفادة من أفغانستان تحث علىٰ المزيد من الاهتمام لاحتمال السقوط من الحرب السورية.

- تدفق المقاتلين للانضمام إلىٰ الجماعات المرتبطة بالقاعدة في سوريا يثير تساؤلات حول فاعلية ما تم عمله لتقويض جاذبية الإرهاب منذ ٢٠٠١، وفهم أسبابه بشكل عام.

- أفغانستان جديدة في بلاد الشام؟ للأسف، كلما استقر الانقسام في سوريا؛ فإنَّ الجماعات المتطرفة ستغرز جذورًا أعمق وتنشئ ملاذات آمنة، وهناك خطر آخر ينمو في البلدان التي تستضيف اللاجئين السوريين، كلما زاد وقت وجود الشباب في مخيمات اللاجئين أو بعيدًا عن منازلهم ومدارسهم في أي أماكن أخرىٰ، كلما تعرضوا لتجنيد الإرهاب الطائفي أو غيرها.

تأثير وسائل الإعلام الاجتماعية علىٰ المقاتلين الأجانب في سوريا والأيديولوجيا المتطرفة:

وسائل التواصل الاجتماعية كتويتر أو فيس بوك هي فعالة للغاية في نشر الأيديولوجيا المتطرفة العنيفة. إنها تلعب دورًا مهمًّا في التجنيد وجهود جمع الأموال للجماعات المتطرفة مثل داعش وجبهة النصرة.

ولكن ثلاثة عوامل غالبًا ما يتم التغاضي عنها وهي أن أي حملة لمكافحة الراديكالية تحتاج إلىٰ الفهم والنفوذ:

- يمكن للقدرة علىٰ الاتصال الفوري والتواصل من أي مكان أن تفرق بين

المجموعات المتطرفة، مثلما يحدث بين داعش وجبهة النصرة، فالقتال بينهم يتزايد باستمرار باستخدام نفس وسائل التواصل الاجتماعي التي ساعدت في بروزهم في السابق. قيادة القاعدة والنصرة يميلون إلىٰ التحدث باللغة العربية في تويتر وفيس بوك، في حين تستخدم داعش لغات متعددة في تقديم خدماتهم الإرشادية لأتباعها.

- يختلف استخدام وسائل التواصل الاجتماعي باختلاف المناطق، فالجمهور المستهدف للشباب في الشام موجود بأغلبية ساحقة من خلال فيس بوك؛ في الخليج من المرجح أن يتم التواصل من خلال تويتر.

- بغض النظر عن الوسائل، فالجمهور المستهدف (شباب ومتحمس عاطفيًا) ولا يتحصل علىٰ الأخبار والمعلومات عن الحرب من المصادر التقليدية. المقاتلون الأجانب المحتملون مرتبطون داخل فقاعات ذاتية مختارة، ومعزولون عن أي شيء في الخارج.

صُنَّاع القرار في كثير من الأحيان يُقلِّلون من تأثير ما يحدث في هذه الدوائر المغلقة وأيضًا يُبالغون في تقدير تأثيرهم الخاص.

الملخص

أكثر من ١٢,٠٠٠ مقاتل أجنبي من ٨١ دولة انضم إلىٰ الحرب المدنية في سوريا، والرقم مستمر في الازدياد[1]، حوالي ٢,٥٠٠ من بلدان غربية، معظمهم من دول الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة، كندا، أستراليا، ونيوزيلاندا، وهناك المئات من روسيا، لكن الغالبية العظمىٰ من العالم العربي، معظمهم يقاتل مع الجماعات الثائرة، وبشكل متزايد مع الأكثر تطرفًا بينهم؛ ولكن كثيرين أيضًا يقاتلون مع الحكومة، أو مع الجماعات العرقية أو الدينية التي تحاول الدفاع عن نفسها من كلا الجانبين، وأكثريتهم من الشباب، وأحيانًا كثيرة من المراهقين، ونسبة من أولئك الذين يصلون من البلدان ذات الأغلبية غير المسلمة هم من المتحولين إلىٰ الإسلام. هؤلاء وغيرهم الذين يشتركون إيمانهم بالتعبير عن دوافعهم كواجب ديني لحماية إخوانهم المسلمين من الهجوم، وشعورهم بوجوب مساعداتهم تلك يستمد من الاستخدام غير المنضبط لكلمة «جهاد».

هناك قلق دولي كبير حول ماذا سيفعل هؤلاء الشباب -وبعض النساء- عندما يغادرون سوريا، وعلىٰ الرغم مما يبدو (من خلال الحوارات معه ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي) أنهم يذهبون من دون التفكير في ماذا بعد سوريا من خطوات؛ فإنَّ تجربة الوجود في منطقة حرب والتعرض لتأثيرات المتطرفين الراديكاليين والصور الأخرىٰ من التطرف لا بد أن يكون لها تأثير علىٰ قدرتهم واستعدادهم لاستئناف حياتهم السابقة.

ردود الفعل السياسية حتىٰ الآن ركزت بشكل أكبر علىٰ المنع والعقاب بدلًا من

---

(١) كما في ٢٨ مايو ٢٠١٤

النصح بالعدول وإعادة الاندماج، لكن حيث أن عدد العائدين في ازدياد، والموارد اللازمة لمراقبة أنشطتهم وصلت لحافة الانهيار، فسيكون من المهم الدراسة عن كثب لأسباب ذهاب الأفراد إلىٰ سوريا، وماذا حدث لهم هناك، ولماذا عادوا. تحاول هذه الورقة تقديم سياق للإجابة علىٰ هذه الأسئلة، وتقدم اقتراحات لتطوير السياسات.

مُقَدِّمَة

تقديرات عدد المقاتلين علىٰ جانبي الحرب الأهلية في سوريا، سواء كانوا مواطنين أو غير مواطنين، لا يمكن معرفتها إلا من خلال التخمينات. التقديرات السابقة لعدد المقاتلين الأجانب في جانب المتمردين تختلف من ٥٠٠٠ إلىٰ ١١٠٠٠، مع تفاوت بسيط بين أولئك الذين يمكن أن يقاتلوا مع مجموعات أكثر «اعتدالًا» وأولئك الذين يقاتلون مع المتطرفين[١]، في نهاية يناير ٢٠١٤، قدر جيمس كلابر، مدير المخابرات الوطنية في الولايات المتحدة، أن هناك ما يزيد عن ٧٠٠٠ من المقاتلين الأجانب في سوريا من حوالي ٥٠ بلدًا[٢]، كل من هذه الأرقام ارتفعت بشكل كبير منذ ذلك الحين.

يبدو أن الغالبية العظمىٰ من المقاتلين الأجانب تنضم إلىٰ المجموعات المتطرفة[٣]، أحد أسباب ذلك هو الفشل المزمن من القوات المتمردة الرئيسة للقتال علىٰ نحو فعال والعمل معًا، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ تعدد الجماعات الصغيرة

(١) انظر علىٰ سبيل المثال:

Zelin, A. Y. et al. (2013) 'ICSR Insight: Up to 11,000 Foreign Fighters in Syria; Steep Rise AmongWestern Europeans' The International Centre for the Study of Radicalisation, 17 December.

http://icsr.info/2013/12/icsrinsight-11000-foreign-fighters-syria-steep-rise-among-western-europeans/; and Hegghammer, T. (2013) 'Syria's Foreign Fighters', Foreign Policy, 9 December.http://mideastafrica.foreignpolicy.com/posts/2013/12/09/syrias_foreign_fighters.

(٢) http://www.reuters.com/article/2014/01/29/us-usa-security-syria-idUSBREA0S1XL20140129

(٣) بالتالي فتلك الجماعات تمثل الجانب الأهم من القوة الأجنبية المقاتلة، وقد قدرت السلطات في الولايات المتحدة عددهم بحوالي ٢٦٠٠٠ مقاتل في فبراير ٢٠١٤.

العاملة محليًا والانضمام إلىٰ التحالفات باعتبارها وسيلة للحفاظ علىٰ نفوذها بدلًا من بناء قوة قادرة علىٰ هزيمة الجيش السوري، وعلىٰ النقيض من ذلك؛ فإنَّ الجماعات الأكثر تطرفًا، بالأخص تلك التي لديها عدد كبير من المقاتلين الأجانب، هي الأفضل موردًا، تقاتل بضراوة، والأكثر انضباطًا، ولديها دوافع أفضل. هذا يعطيهم ميزة، كلتاهما ضد قوات الحكومة وعند التنافس علىٰ المجندين أو الإقليم مع الجماعات المتمردة الأخرىٰ.

وهناك سبب آخر هو أن الجماعات المتطرفة أكثر قدرة علىٰ استيعاب الأجانب الذين قد لا يتحدثون اللغة العربية وليس لديهم أي تدريب عسكري عمومًا[1]، إن رؤيتهم للقتال لحماية المجتمع العالمي من العدوان، بالرغم من وجودها في سياق محلي، إلَّا أنَّ طبيعتها أكثر شمولية من رؤية مجموعات الجيش السوري الحر والتي تركز فقط علىٰ ما يحدث في الداخل السوري[2]، علىٰ المستوىٰ العملي، فالمتطرفون هم غالبًا أوائل المتمردين الذين يقابلهم أولئك المسافرون عند عبور الحدود، وذلك يمنحهم أولوية في استغلال حماسة المقاتلين الجدد الذين يريدون المشاركة في أسرع وقت ممكن، ومجرد أن ينخرطوا في ديناميكية المجموعة، فمن غير المرجح أن يترك المقاتل الأجنبي مجموعته والانضمام لجماعة منافسة.

تركز هذه الورقة علىٰ المقاتلين الأجانب في صفوف المتمردين، ولكن هناك العديد في جانب الحكومة أيضًا. كلهم تقريبًا من ثلاث دول فقط هي: إيران، والعراق، ولبنان.

المقاتلون الأجانب الذين شاركوا في التمرد بقرارهم الشخصي، هم جزء من حملة إيران لدعم النظام. تقديرات هذا الدعم تختلف، ولكن يعتقد أن مشاركة حزب الله تتراوح بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ بنهاية مارس ٢٠١٤[3]، علىٰ أي حال؛ فإنَّ الدعم

---

(١) علىٰ تويتر فقط كانت المشاركات حول الحرب في مايو ٢٠١٤، بأكثر من ٧٥ لغة مختلفة، أكثرهم رواجًا كانت الإنجليزية، ثم العربية، الهوسا، الصومالية، والهولندية. الاستخدامات لم تكن متناسبة مع التعداد العالمي. علىٰ سبيل المثال، الهندية لم تظهر علىٰ الإطلاق، بينما الهوسا (نيجيريا) كانت في المرتبة الثالثة والصومالية في الرابعة. هذا يرجح اهتمامًا واضحًا من الدول التي تعاني من عدم الاستقرار.

(٢) قال بعضهم إنهم لا يريدون مقاتلين أجانب، هم يريدون فقط بعض الدعم والتسليح.

(٣) وهو رقم أقل من سابقه في فترة الحرب. فقد تم استبدال مقاتلي حزب الله في مناطق كثيرة بعراقيين.

الأجنبي للنظام كبير وقد أثبت أنه حاسم في عدة انتصارات للنظام، بالأخص في منطقة القصير في أبريل ٢٠١٣، وفضلًا عن القتال؛ فإنَّ أعضاء من قوة الحرس الثوري الإيراني فيلق القدس، قدموا تدريبات لا تقدر بثمن لكل من الجيش السوري النظامي ووحدات الشبيحة غير النظامية[١]، وساعدوا أيضًا في تدريب الميليشيات العراقية، والتي لعبت دورًا بارزًا في دعم النظام، وخاصة منذ بداية عام ٢٠١٤[٢].

تدخل المقاتلين الأجانب علىٰ حد سواء في جانب المتمردين والحكومة كان له نطاق تأثير أوسع من سوريا. إقليميًا، زاد الصراع القائم في العراق سوءًا، حين أصبحت القوات المعارضة للحكومة قادرة علىٰ إقامة قواعد عبر الحدود في سوريا، وقادرة علىٰ نقل الموارد في كلا الاتجاهين[٣]، في لبنان، التوازن السياسي الهش صار مهددًا بسبب نمو التوترات الطائفية وتأسيس الجماعات المتطرفة السورية لفروع وتنفيذ هجمات[٤]، والأكثر من ذلك؛ فإنَّ الطائفية تفاقمت بسبب التنافس بين السعودية وإيران، وجعلت مشاكل الشرق الأوسط أكثر صعوبة للحل، بما في ذلك الجدل حول مزايا الإصلاح السياسي والنظم المناسبة للحكومة.

إنَّ تبعات وجود المقاتلين الأجانب في سوريا من المرجح أن تكون نشر العنف، سواء في المنطقة أو في الخارج، والحرب الأهلية لا تظهر أي علامة للنهاية، وكذلك تدفق المقاتلين الأجانب. إنَّ من شأن الوحشية الشديدة للصراع أن تؤدي إلىٰ أن يصبح عدد أكبر من الشباب المصدوم نفسيًا أكثر اعتيادًا علىٰ العنف وعلىٰ استعداد لجلب نظراتهم المزدوجة للعالم [بين الخير والشر] إلىٰ أوطانهم أو إلىٰ جبهة جديدة. ليس فقط سوف يكونون قادرين وعلىٰ استعداد لارتكاب أعمال إرهابية، لكنهم أيضًا سيكونون علىٰ تواصل مع شبكة واسعة من زملائهم المقاتلين الذين يشعرون بالانتماء لهم بشكل أكبرمن أي مجتمع آخر.

---

(١) الشبيحة هم مناصرون غير عسكريين للنظام تحركهم أسرة الأسد. ويشتهرون بالوحشية تجاه المدنيين.

(٢) علىٰ سبيل المثال: عصائب الحق.

(٣) أيضًا فإن التدخل المتزايد للجماعات الشيعية في جانب النظام السوري قد زادت من الانقسام الطائفي العراق.

(٤) كل من جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) يزعمان وجود أفرع لهم في لبنان، وقد تم الربط المباشر بين الهجمات علىٰ الأماكن الشيعية هناك وبين الحرب في سوريا.

بلدان المنشأ

وفرت بعض الدول علنًا أو سرًا التقديرات الرسمية لأعداد مواطنيها أو المقيمين الذين ذهبوا للقتال في سوريا. تستند هذه الأرقام عادة علىٰ المعلومات التي تم جمعها من وسائل التواصل الاجتماعي، الجمعيات الأهلية أو التحقيقات، حتمًا؛ فإنَّها تميل إلىٰ التقليل من شأن الأرقام الحقيقية؛ لأنَّ من سيصيرون لاحقًا مقاتلين أجانب في سوريا، يصعب عليهم الوصول هناك من دون أن يكتشف أحد سرهم، وحين يصلون هناك يمكن لهم إخفاء هوياتهم. علاوة علىٰ ذلك، لا يعلم عن المجموعات أنفسها أنها تحافظ علىٰ سجلات مفصلة عمن ينضم إليهم[1]، وغالبًا فقط عندما يموت شخص تعلم عائلته أنه ذهب إلىٰ سوريا، إما عن طريق مكالمة هاتفية من صديق كلفه المقاتل المقتول بذلك أو من خلال إشعار وفاة منشور علىٰ الموقع الإلكتروني للمجموعة، صفحة فيس بوك أو تغريدات تويتر.



صورة لمقاتل هولندي تم تعميمها علىٰ نطاق واسع من قبل زملائه المقاتلين بعد وفاته.

---

(١) علىٰ كلٍ، فإن الاكتشاف غير المتوقع لبعض التقارير عن المقاتلين الأجانب في سنجار بالعراق في ٢٠٠٧، الذين كانوا لدىٰ الدولة الإسلامية في العراق، وهي مجموعة مرتبطة بالقاعدة، وقد صارت لاحقًا داعش، ترجح قيام بعض المجموعات في سوريا الشيء نفسه.

وقد اعترفت الدول الأخرىٰ أن لديهم مواطنين أو مقيمين في سوريا، لكن ليس لديهم فكرة عن أعدادهم، أو لا يودون التصريح. هناك مجموعة ثالثة قد لا تكون علىٰ علم بأي شخص قد ذهب إلىٰ سوريا من أراضيها إلا حين يتم التبليغ عن ذلك من أماكن أخرىٰ، بالجمع بين الفئات الثلاث، نجد أن هناك أدلة قوية علىٰ أن المقاتلين سافروا من ٨١ بلدًا[١] علىٰ الأقل. الأرقام الرسمية المتوفرة هي لـ ٢٥ من هذه الدول، بالرغم من أن تلك البيانات قديمة نسبيًا، إلا أنها تقدم بعض المؤشرات التوضيحية لمقارنة أعدادهم.

وقد وفرت الدول التالية أرقامًا أو تقديرات لمواطنيها أو المقيمين الذين ذهبوا إلىٰ سوريا للقتال، علىٰ الرغم أن بعضهم عاد الآن أو توفي:

الجزائر: حوالي ٢٠٠ (تقديرات رسمية مايو عام ٢٠١٤، بالإضافة إلىٰ ما يصل إلىٰ ٢٠٠ المساعدين).

أستراليا: حوالي ٢٥٠ (ASIS أبريل ٢٠١٤).

بلجيكا: حوالي ٢٥٠ (الرقم الرسمي أبريل عام ٢٠١٤، لا يزال ٢٠٠ في سوريا).

كندا: ٣٠ (CSIS فبراير ٢٠١٤).

الدنمارك: ١٠٠ (PET مايو ٢٠١٤).

فنلندا: أكثر من ٣٠ (SUPO مارس ٢٠١٤).

فرنسا: أكثر من ٧٠٠ (الرقم الرسمي أبريل عام ٢٠١٤، لا يزال ٢٧٥ في سوريا).

ألمانيا: ٢٧٠ (BFV يناير عام ٢٠١٤، «نحو ٣٠٠» مارس ٢٠١٤).

إندونيسيا: ٣٠ - ٦٠ (تقديرات رسمية مايو ٢٠١٤).

أيرلندا: ٢٥ - ٣٠ (وزارة العدل في فبراير ٢٠١٤).

كوسوفو: ١٠٠-١٢٠ (تقرير منظمة الأمن والتعاون مارس ٢٠١٤).

---

(١) في سبتمبر ٢٠١٣، قالت السلطات السورية: أنه قد انضم للمعارضة مقاتلون من أكثر من ٨٣ دولة:
http://gadebate.un.org/sites/default/files/gastatements/68/SY_en.pdf

قيرغيزستان: عدة (١٠+) (جهاز الأمن Krygyz مايو ٢٠١٣).

المغرب: حوالي ١,٥٠٠ (الرقم الرسمي أبريل ٢٠١٤).

هولندا: ١٢٠ (وزارة العدل في فبراير ٢٠١٤).

النرويج: ٤٠-٥٠ (NIS فبراير ٢٠١٤).

روسيا الاتحادية: أكثر من ٨٠٠ (FSB أبريل ٢٠١٤).

المملكة العربية السعودية: حوالي ٢,٥٠٠ (التقدير الرسمي مايو ٢٠١٤؛ وزارة الداخلية ١,٢٠٠).

سنغافورة: واحد (الرقم الرسمي مارس ٢٠١٤).

إسبانيا: ٥١ (الرقم الرسمي أبريل ٢٠١٤).

السويد: حوالي ٣٠ (سابو أبريل ٢٠١٣).

سويسرا: حوالي ١٠ (جهاز المخابرات السويسري مايو ٢٠١٣).

تونس: حوالي ٣,٠٠٠ (الرقم رسمية أبريل ٢٠١٤).

تركيا: حوالي ٤٠٠ (تقديرات الرسمية أبريل ٢٠١٤).

المملكة المتحدة: حوالي ٤٠٠ (تقديرات رسمية مارس ٢٠١٤).

الولايات المتحدة: عشرات (٧٠+) (FBI مايو ٢٠١٤).

الدول الأخرىٰ والتي أبلغ عن مواطنين أو مقيمين قد ذهبوا للقتال في سوريا تشمل[١]:

أفغانستان	بلغاريا	أستونيا	اليابان
ألبانيا	تشاد	جورجيا	الأردن
أرمينيا	تشيلي	المجر	كازاخستان
النمسا	الصين	الهند	الكويت

(١) تم إعداد تلك القائمة بالاستعانة بالتصريحات الرسمية وبالدلائل المتحصل عليها من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

أذربيجان	كوت ديفوار	إيران	لبنان
البحرين	جمهورية التشيك	العراق	ليبيا
بنغلاديش	مصر	إسرائيل	لوكسمبورغ
البوسنة والهرسك	إريتريا	إيطاليا	يوغوسلافية السابقة
جمهورية مقدونيا	عمان	قطر	طاجيكستان
ماليزيا	باكستان	رومانيا	ترينيداد وتوباغو
جزر المالديف	فلسطين	السنغال	تركمانستان
موريتانيا	الفلبين	صربيا	أوكرانيا
الجبل الأسود	بولندا	الصومال	الإمارات العربية المتحدة
نيوزيلندا	البرتغال	سودان	أوزبكستان
جمهورية مقدونيا	عمان	قطر	طاجيكستان
اليمن			

بما أن التقديرات الرسمية تشير إلىٰ ما مجموعه أكثر من ١١٠٠٠ مقاتل، وهذا فقط في جانب المتمردين، فمن المنطقي أن نستنتج أن ١٢٠٠٠ مقاتل أجنبي علىٰ الأقل قاتلوا في سوريا خلال السنوات الثلاث الأولىٰ من الحرب. يمكن مقارنة هذا مع تقدير غير دقيق أيضًا، قدر عدد المقاتلين طوال مدة عشر سنوات من «الجهاد» الأفغاني ضد الاحتلال السوفيتي بالإضافة إلىٰ فترة حكم طالبان من عام ١٩٩٦ إلىٰ عام ٢٠٠١ بحوالي ١٠٠٠٠مقاتل. بالرغم من وجود فترات صعود وهبوط[١]، فقد ظل تدفق الأجانب للحرب السورية ثابتًا إلىٰ حد ما منذ أواخر عام ٢٠١١[٢].

---

(١) يقدرهم البعض بما يصل إلىٰ ٢٠٠٠٠ مقاتل، لكنه من غير المرجح وجود أكثر من ٣٠٠٠ إلىٰ ٤٠٠٠ مقاتل هناك في الوقت نفسه، إذا استبعدنا الباكستانيين.

(٢) الاقتتال الداخلي بين جماعات المعارضة أدىٰ إلىٰ تراجع تدفق المقاتلين الأجانب في بدايات ٢٠١٤.

الغالبية العظمىٰ من هؤلاء المقاتلين هم من العالم العربي منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ولكن في أبريل ٢٠١٤، قدر جيل دي كيرشوف، منسق مكافحة الإرهاب في الاتحاد الأوربي، أن أكثر من ٢٠٠٠ مقاتل ذهبوا إلىٰ سوريا من ٢٨ دولة عضوة في الاتحاد الأوربي[(١)]، ويقارن هذا مع تقديراته لـ ٥٠٠ شخص في وقت سابق[(٢)]، في مارس ٢٠١٤، الجنرال لويد أوستن، قائد القيادة الأمريكية CENTCOM قال للجنة الخدمات المسلحة في مجلس الشيوخ الأمريكية إن أجهزة الاستخبارات الأمريكية قدرت أن هناك ما يزيد عن ٧٠٠٠ من الجهاديين في سوريا، ولم يذكر كيفية تقدير أجهزة الاستخبارات لهذا الرقم، ولا بالضبط ما يعنيه مصطلح «الجهاديين» في مقابل أنواع أخرىٰ من المقاتلين الأجانب، لكنه قارن هذا الرقم مع تقدير تم في السنة الماضية من ٨٠٠ إلىٰ ١٠٠٠ مقاتل[(٣)]، جيمس كومي، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي، علق أيضًا علىٰ التدفق المتزايد من الولايات المتحدة. في يناير ٢٠١٤ قائلًا: إن «العشرات» قد ذهبوا، ومع الاستمرار في تجنب الرقم الأكثر دقة، في مايو ٢٠١٤ قال: إن «بضع عشرات أخرىٰ» قد انضموا إليهم[(٤)].

بعض البلدان المشاركة بشكل عرضي تقريبًا في الحرب، مثل سنغافورة واليابان، علىٰ حد سواء مع واحد فقط من المقاتلين المسجلين في سوريا كما في مارس ٢٠١٤[(٥)]، ولكن الأرقام من دول أخرىٰ، مثل تونس وبلجيكيا، تبدو غير متناسبة مع عدد سكانها. في كل الأحوال، مع ذلك، الأرقام غير دقيقة وتغطي مجموعة واسعة حتىٰ عندما تقدم من قبل السلطات الحكومية. علىٰ سبيل المثال، قال مسؤول في وزارة

---

(١) Briefing on 29 April 2014.

(٢) http://www.bbc.com/news/world-middle-east-22275456

لكن هذا ربما يعكس وعيًا أكبر ممن وصلوا في البدايات.

(٣) http://www.armed-services.senate.gov/imo/media/doc/Austin_03-06-14.pdf

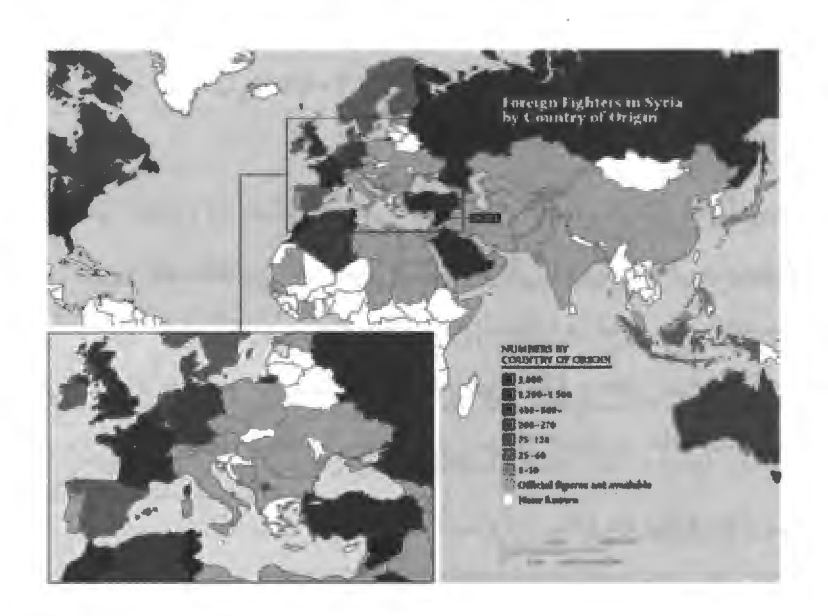
(٤) http://www.washingtonpost.com/world/national-security/fbi-director-number-of-americans-traveling-to-fight-in-syriaincreasing /2014/05/02/6fa3d84e-d222-11e3-937f-d3026234b51c_story.html

(٥) كلمة موجزة للسلطات السنغافورية في مارس ٢٠١٤.

الخارجية في الاتحاد الروسي في نيسان عام ٢٠١٣: إنَّه يوجد بين ٦٠٠ و٦٠٠٠ مقاتل من مواطنيه يقاتلون في سوريا[١]، علىٰ الرغم من مضي سنة واحدة في وقت لاحق أعطىٰ ألكسندر بورتنيكوف، رئيس الأمن في روسيا الاتحادية، تقديرًا لـ «أكثر من ٨٠٠ [مقاتل]»[٢]، ولكن هذا الرقم لا يشمل أيًّا من القوات الروسية التي ربما تقاتل مع الجيش السوري.

وكمثال علىٰ ذلك التنوع والمزيج من المقاتلين الأجانب، يقول قائد في الجيش السوري الحر، تم مقابلته في هذه الورقة في أبريل ٢٠١٤:

«بعضهم قاتلوا معي في كتيبتي في حلب، وكانت جنسياتهم كما أذكر من السعوديين، التونسيين، والليبيين والمصريين والباكستانيين والروس والشيشان والألمانيين. كما التقيت بأمريكي. جميع الذين التقيتهم كانوا مسلمين، وكانت غالبيته من المتحولين إلىٰ الإسلام».



(١) فلاديمير كولتيار Vladimir Kotlyar، عضو مجلس وزارة الخارجية الروسية للقانون الدولي، في حوار مع محطة: Kommersant-FM، في ١٩ أبريل ٢٠١٣.

(٢) كلمة موجزة لرؤساء الخدمات الخارجية الخاصة وهيئات تنفيذ القانون، سوتشي، أبريل ٢٠١٤.

الذاهبون

إذا حكمنا من خلال الملف الشخصي للأفراد الذين يعرفون بذهابهم إلىٰ سوريا أو عرفوا أنفسهم كمقاتلين أجانب، الفئة العمرية الغالبة هي ١٨-٢٩ رغم أنَّ هناك كثيرًا من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-١٧ سنة، وكذلك أفراد في سن ٣٠، وهذا يجعل متوسط أعمارهم أصغر من نظرائهم في «الجهاد» الأفغاني في وقت سابق حيث كانت تتراوح أعمار المتطوعين النموذجية بين ٢٥-٣٥، وهو نتيجة اتجاه عام منذ منتصف عام ٢٠٠٠ إلىٰ تجنيد المتطرفين الصغار سنًا. تقريبًا جميعهم من الذكور، علىٰ الرغم من وجود عدد من النساء، ولا سيما من الدول الغربية[١]، تفيد التقارير أنهم انضموا إلىٰ أصدقائهم أو ذهبوا مع أزواجهم أو حتىٰ سافروا إلىٰ سوريا بمفردهم.

في مارس عام ٢٠١٤، وصف عضو في أحرار الشام، وهي مجموعة مرتبطة بتنظيم القاعدة، زوجين سويديين سافرا بسيارتهم بشكل مستقل إلىٰ تركيا ومن ثم انضما إلىٰ قافلة إنسانية ذاهبة إلىٰ إدلب. كرئيس للكتيبة المحلية، سألهم الرجل كيف يمكن لأحرار الشام المساعدة. متحدثًا بعربية ركيكة، قال الرجل السويدي إنه جاء لـ«الجهاد» وأراد بندقية. تم تزويده بـ AK ٤٧ وزوجته بمسدس. كان عمر الزوج ٢٢ عامًا وقد تحول إلىٰ الإسلام، وزوجته ٢١ عامًا. امرأة بريطانية اعتنقت الإسلام قبل أربع سنوات ذهبت بنفسها إلىٰ سوريا في عام ٢٠١٣ بدافع مماثل، بعد أن لم تتمكن من إيجاد أي شخص للذهاب معها. بعد وقت قصير من وصولها تم ترتيب زواجها لمقاتل سويدي[٢].

معظم المقاتلين الأجانب يصلون دون أي تدريب عسكري أو خبرة سابقة في

---

(١) تقدير نسبة أعضاء الاتحاد الأوروبي هو ١٨٪ تقريبًا.

(٢) http://www.channel4.com/news/syria-rebels-jihad-british-foreign-assad

القتال، علىٰ الرغم من وجود بينهم عدد من المقاتلين المتمرسين في حروب سابقة. علىٰ سبيل المثال، هناك نحو ٥٠٠ من المواطنين السعوديين مع اثنين من الجماعات الرئيسة المتطرفة، جبهة النصرة وداعش، كانوا نشطين لعدة سنوات في العراق[١]، وبالمثل، هناك العديد من الروس الذين حاربوا في القوقاز، وهؤلاء الرجال انضموا إما إلىٰ جماعات متطرفة أو شكلوا وحداتهم الخاصة التي تحارب معهم[٢]، بعض الشبان الأجانب يأتون أيضًا بعد تدريب أساسي. علىٰ سبيل المثال هناك تقرير عن معسكر تدريب في ليبيا يديره الفرع المحلي لأنصار الشريعة التي توفر المهارات البدائية للمتطوعين من تونس وليبيا. من جانب الحكومة، يتم تدريب مقاتلي حزب الله جيدًا قبل وصولهم، وكذلك أعضاء قوة القدس للحرس الثوري الإيراني والعراقيين الذين يحمونهم.

فضلًا عن كونهم جددًا علىٰ الحرب، عدد كبير من المجندين المتمردين من دول غربية اعتنقوا الإسلام حديثًا. علىٰ سبيل المثال، في المتوسط ٦% من المقاتلين الأجانب من دول الاتحاد الأوربي هم من المتحولين إلىٰ الإسلام[٣]، العديد من المقاتلين من الدول الغربية هم من المهاجرين من الجيل الثاني أو الثالث، ولكن ليسوا جميعًا[٤]، عدد قليل جدًّا لديهم اتصال مسبق في سوريا.

في حين أنهم أقل بروزًا وأقل متابعة من أولئك الذين انضموا إلىٰ جماعات أكثر تطرفًا، فالمقاتلون الأجانب انضموا أيضًا إلىٰ الأجزاء المكونة للجيش السوري الحر. علىٰ سبيل المثال، يلاحظ فيرناندو ريناريس، الذي يدرس تدفق المقاتلين من إسبانيا، أن حوالي ٢٥ قد انضموا إلىٰ الجيش السوري الحر مقابل ٢٠ انضموا إلىٰ جماعات متطرفة، بحلول نوفمبر ٢٠١٣[٥]، هناك تقارير تفيد بأن مقاتلًا أجنبيًا، كان

---

(١) معلومات تم الحصول عليها من السلطات الرسمية السعودية، مايو ٢٠١٥.

(٢) علىٰ سبيل المثال جيش المجاهدين والأنصار، جند الشام وجماعة سيف الدين أزبك، مجموعة من وسط آسيا ترتبط بالحركة الإسلامية في أوزباكستان.

(٣) موجز في ٢٩ أبريل ٢٠١٤.

(٤) علىٰ سبيل المثال، ٨٠% من المقاتلين البلجيكيين المعروفين لهم أصول مغربية.

(٥) CTC Sentinel, January 2014. http://www.ctc.usma.edu/posts/the-spanish-foreign-fighter-contingent-in-syria

عقيدًا سابقًا في الجيش السويسري قد انضم إلىٰ إحدىٰ المليشيات المسيحية(١).

في كثير من الأحيان، ينضم الأجانب إلىٰ مجموعة لمجرد أن لديهم صلات هناك أو سمعوا عنها بطريقة إيجابية. علىٰ سبيل المثال، هناك الكثير من الأشخاص كـ«الجهادي» الهولندي، يلماز، الذي نشر تحديثات حول أنشطتهم والرد علىٰ الأسئلة حول طبيعة القتال في سوريا عبر Kik، Tumblr وask.fm(٢)، الصورة المرسومة هي صورة ترحيبية ومطمئنة وترد علىٰ مخاوف غير المعتادين علىٰ القتال، علىٰ سبيل المثال، هناك العديد من المنشورات للمقاتلين مع القطط الأليفة.

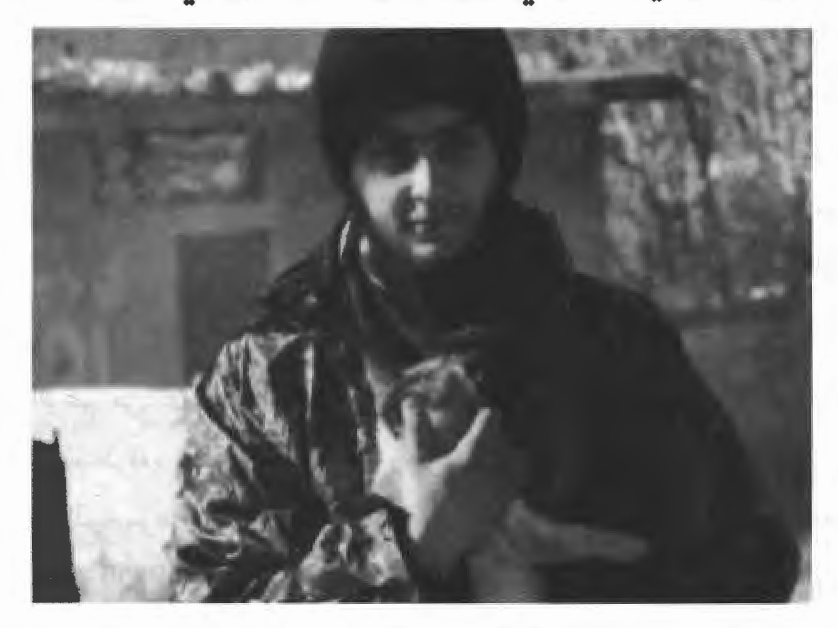
وعلىٰ الرغم من أن هناك الكثير من المقاطع المتاحة التي تظهر المقاتلين مع الجماعات المتطرفة. هذا بالرغم من وجود كم كبير من المقاطع المرئية تظهر المقاتلين مع المجموعات المتطرفة، بعضهم من الأجانب، يرتكبون أعمالًا بشعة من القتل والقمع؛ فإنَّ الصورة العامة التي يقدمها المقاتلون الأجانب عن حياتهم في سوريا توحي بالألفة، والروح المعنوية الجيدة والنشاط الهادف، جميعها ممزوجة بنوع من البطولة المصممة لجذب أصدقائهم وكذلك لتعزيز ثقتهم في أنفسهم.

---

(١) http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/06/syria-syriacs-assyrians-kurds-pyd.html

(٢) See: Mackey, R. (2014) 'A Dutch Jihadist in Syria Speaks، and Blogs'
http://thelede.blogs.nytimes.com/2014/01/29/adutch-jihadist -in-syri a-speaks-a nd-blogs/?_ph§t rue&_type §blogs&_ph p§true&_t ype§blo gs&_php §true&_t ype§blo gs&pa rtner§ rss&emc =rss& _r=2

★ منشور تقليدي تطميني حول حياة المقاتلين في سوريا:



وكمثال علىٰ ذلك تجربة بلد واحد، قدرت السلطات الفرنسية أن أكثر من ٧٠٠ فرد قد سافروا من فرنسا للقتال في سوريا بحلول منتصف عام ٢٠١٤، ويقارن ذلك العدد مع أقل من ٢٠ مقاتلًا ذهبوا إلىٰ أفغانستان طوال تلك الفترة بين الغزو السوفيتي لعام ١٩٧٩ وسقوط نظام طالبان في ٢٠١١ وعدد مماثل ممن ذهب إلىٰ القتال في الساحل. المتطوعون الفرنسيون ليس لديهم روابط ثقافية أو عرقية في سوريا؛ هم أساسًا من الشباب (١٨-٢٨) في المناطق الحضرية، وليس لديهم سجل سابق بالضلوع في التطرف، ولا سجل كبير من السلوك الإجرامي أو السلوك المعادي للمجتمع. حوالي ٢٥% منهم من المتحولين إلىٰ الإسلام[١]، وفي سياق مماثل، ذكرت السلطات المغربية في فبراير أن أكثر من ٨٠% من مواطنيها الذين عرف الآن أنهم ذهبوا إلىٰ سوريا لم يكونوا في السابق تحت ملاحظة السلطات[٢].

---

(١) Briefing to OSCE participating states, April 2014.

(٢) http://www.thegctf.org/documents /9547 2/0/14 Mar19 _Summar y_Openi ng+Meet ing+of +FTF+In itia tive_19-20+Feb+2014+The+Hague.pdf

لماذا؟

السلطات الفرنسية أيضًا تعتبر المتطوعين من فرنسا ساخطين، لا هدف لهم ويفتقرون إلىٰ الإحساس بالهوية أو الانتماء، ويبدو أن هذا شائع في معظم الجنسيات ويناسب عددًا كبيرًا من المتحولين إلىٰ الإسلام، حيث يفترض أنهم أناس يبحثون عن درجة كبير من الهدف والمعنىٰ في حياتهم. الواقع أن السرد الإسلامي لسوريا علىٰ أنها أرض «الجهاد» يحتل مكانة بارزة في الدعاية للجماعات المتطرفة في كلا الجانبين من الحرب، تمامًا كما هو الحال في تعليقات وسائل التواصل الاجتماعي لمجنديهم الأجانب[1]، الفرصة والرغبة في المشاهدة والمشاركة في المعركة التي تنبئ عنها في وقت سابق من ١٤٠٠ سنة هو حافز قوي. وبالنسبة إلىٰ البعض، هذه أيضًا فرصة للموت كـ «شهيد»[2] مع شيوخ التطرف والنقاد الدينيين الآخرين الذين نصبوا أنفسهم لإعلان أن أي شخص يموت في محاربة العدو «الكافر»، أيًا كان، سوف يكون له فضل وخاصة في الآخرة[3].

مما يرتبط أيضًا بالبروغاندا «الجهادية» هو الاعتقاد بكون مساعدة الجماعة المسلمة التي تتعرض للهجوم من فروض العين، وقدكان هذا الاعتقاد مركزيًا في السرد الجهادي للتطرف الإسلامي منذ الأيام الأولىٰ للقاعدة في التسعينيات [١٩٩٠]. ليس هناك نقص في التقارير المباشرة المرسلة بواسطة مقاتلين للفظائع التي ارتكبها الجانب الآخر، أو من قصص أخرىٰ للحرب الأهلية، والمقاتلون الاجانب

---

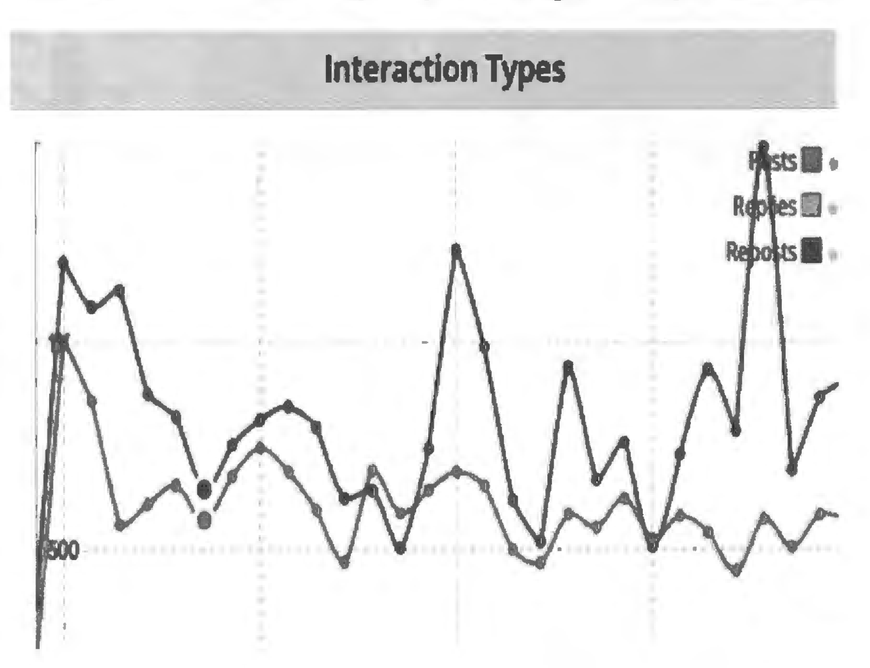
(١) العديد من الأحاديث تشير إلىٰ سوريا كأرض للمعارك الملحمية بين الجيوش المسلمة قبل نهاية الزمان.

(٢) لقد توفىٰ عددًا كبيرًا نسبيًا من المقاتلين الأجانب في سوريا، علىٰ سبيل المثال فوفق تقديرات رسمية في مايو ٢٠١٤، قتل من ٥٠ إلىٰ ٦٠ جزائريًّا، ١٣ هولنديًا، ١٥ إسبانيًا، ١٠٠ تركي.

(٣) في استغلال يدعو للسخرية، تسعىٰ المجموعات للتأثير علىٰ المناصرين السهل التأثير عليهم، عن طريق نشر صور للقتلىٰ في حالة تشبه الابتسام من أجل تدعيم القول بأنهم ذاهبون إلىٰ الجنة.

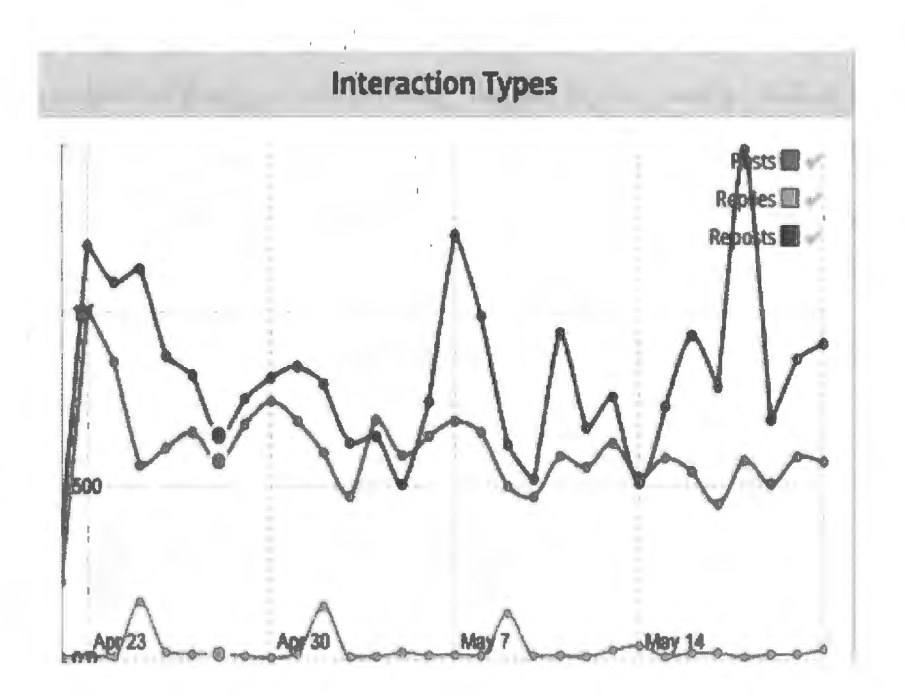
المحتملون يعتمدون بدرجة كبيرة علىٰ منصات وسائل التواصل الاجتماعي للحصول علىٰ أخبار ما يحدث. يجعل التفاعل الكبير مع تلك المنشورات قوة رد فعل الناس تجاه الأخبار السورية أمرًا ملحوظًا، ليس فقط عن طريق إرسالها إلىٰ الآخرين ولكن أيضًا من خلال التعليق علىٰ محتواها وسياقها.

لأغراض المقارنة، تم تحليل لـ ٤٤٠٠٠ تغريدة حول القضايا في منطقة الخليج، بما في ذلك السياسية في الشرق الأوسط والرياضية، الهجمات الإلكترونية، ومخاوف الطاقة، في الفترة بين ٢٢ أبريل و٢٢ مايو ٢٠١٤ تظهر نسبة المحتوىٰ الأصلي (المنشورات أو التغريدات) إلىٰ إعادة نشر التغريدات والمشاركات والتعليقات.



كما يظهر، نادرًا ما يرد المستخدمون علىٰ بعضهم البعض، بالرغم من ذلك يمكن أن يصلوا لما أرادوا الحصول عليه.

تم عقد مقارنة، بعد تحليل لـ ٢٢٠٠٠ تغريدة خلال نفس الفترة المتعلقة بالحرب الأهلية السورية، ولا سيما أنشطة المقاتلين الأجانب، أظهرت عددًا من الردود المباشرة يتجاوز المشاركات وإعادة المشاركات، وهو مؤشر قوي علىٰ درجة الاهتمام والمشاركة.



يظهر أن تغريدات الحرب السورية تفعل شيئين: **أولًا**، توليد شعور المشاركة الشخصية -والعاطفة- التي يمكن أن تترجم بسهولة جدًّا إلىٰ عمل، وثانيًا، لخلق فقاعة المعلومات التي تستبعد الأصوات الخارجية.

رسم بياني آخر يقارن مناقشة الحرب في سوريا علىٰ تويتر بين الخبراء يوم ٢٨ مايو ٢٠١٤[١] مع مناقشة الحرب في الإطار الزمني نفسه بين متابعي الناشرين المشهورين من المقاتلين الأجانب والمتعاطفين معهم، والهاشتاجات المتعلقة[٢]، وهذا يدل علىٰ أمرين: **أولًا**، الاختلاف الكبير في عدد الردود، **والثاني**، التباين الشاسع في الفائدة الناتجة عن المشاركات.

يعلق المقاتلون علىٰ نطاق واسع علىٰ المشاركات ويقومون بإرسالها إلىٰ العديد من

(١) مبني علىٰ كلمات مفتاحية بالعربية: جهاد، جهد، فرض، حماية أطفال ونساء المسلمين، فرص الحرب، الواجب، سوريا.

(٢) مثل:

@khorasani, @abu_qaqa, @shamiwitness, @korkutbhdr, @abumuadh0, @abuhafsak, and #greenbirds, #jihadfitness.

الآخرين، في حين أن الخبراء ينتجون مواد أكثر بكثير ولكن نادرًا ما يعلقون أو ينشرون أعمال الآخرين. هذا يدل علىٰ الطريقة التي من خلالها خلقت الحرب مجتمعًا متماسكًا من أنصار الجماعات المتمردة المتطرفة التي هي ذاتية التعزيز وصماء تجاه التأثيرات الأخرىٰ؛ فالمقاتلون المحتملون -وكبار الخبراء- كل مجموعة منهم تتواصل مع نفسها.

أحد عناصر جذب الإسلاميين الأخرىٰ هو فرصة العيش في مكان حيث القوانين والسلوكيات كلها وفقًا للشريعة الإسلامية فقط. العديد من المجندين الشباب من أوروبا الشمالية لديهم ماضٍ مضطرب ومشاكل في العلاقات الأسرية، ويتفاعلون بشكل جيد مع القواعد والانضباط في تنفيذها. معرفتهم بالدين غالبًا ما تكون سطحية ولذلك لا يشككون في مصداقية قادتهم ويصدقون ما يُقال لهم. الأكثر نضجًا من بينهم فقط هم الذين يدركون أن واقع الحياة في ظل جماعة متطرفة بعيد أشد البعد عن أي مثالية دينية، وهذا أحد الأسباب التي تجعل المقاتلين الأجانب يرجعون إلىٰ بلادهم أو ينتقلون إلىٰ مكان آخر، أحيانًا بعد فترة قصيرة جدًّا[١].

الأشخاص الأقل انخراطًا في تلك الأحداث ربما يكون لديهم واحد -أو مزيج- من المحفزات الأخرىٰ. ربما يرىٰ البعض في الحرب فرصة للمغامرة والهروب من حياتهم الحالية، خاصة مع توفر العديد من التنظيرات التي تبرر الذهاب هناك والقليل

---

(١) مع ذلك فهو ليس السبب الوحيد لخيبة أمل البعض وعودتهم، فقد نقلت هيئة الأمن الدنماركية PET تقارير تفيد بأن بعض المقاتلين الأجانب تركوا سوريا بعد يوم أو يومين فقط.

من التنظيرات المقابلة. الكثيرون ربما لا يقدرون علىٰ صياغة أسباب قرارهم بالمشاركة بشكل واضح. القليلون هم من يتملكون كثيرًا من المعرفة، الفهم، أو حتىٰ الاهتمام بالمواقف السياسية التي قد اتخذها أي من الجانبين في الحرب.

أحد المقاتلين البريطانيين المعروف بأبي مهاجر ربما يعتبر نموذجًا للكثير في وصفه لمحفزاته:

هناك العديد من الأسباب التي جعلتني أترك حياتي وآتي إلىٰ هنا. أولًا الأسباب الدينية -حيث إنه فرض علىٰ كل مسلم أن يحمي أراضي ودماء المسلمين إن اعتدي عليها. ثانيًا الأسباب الإنسانية- فأثناء اشتراكي في الحرب أسعىٰ للاشتراك في المساعدات الإنسانية أيضًا[1].

---

(١) Cuffe, J. (2013) 'Who are the British Jihadists in Syria?'. BBC News 15 October [Online]. http://www.bbc.co.uk/news/ 41 uk-24520762

التهديد

التطور من مقاتل أجنبي إلىٰ إرهابي ليس تطورًا خطيًّا حتميًّا، وليس عصيًّا علىٰ المنع، وأغلب الأشخاص الذين يعودون بعد أن يحاربوا في ليبيا يمكن ألا يمثلوا أي خطر، لكن الصعوبة تكمن في كيفية التفريق بين من سيكونون مصدرًا للخطر ومن لن يكونوا. يتعرض المقاتلون الأجانب، علىٰ نحو متزايد، لآراء راديكالية تجعل من أي مخالف لفهمهم للإسلام عدوًا يجب القضاء عليه. تعد وفاة مواطن أمريكي في مايو ٢٠١٤، كان عضوًا في عملية تفجير انتحارية لجبهة النصرة ضد قوات الحكومة السورية، والهجوم، في وقت لاحق من الشهر نفسه، من قبل مقاتل عائد كان عضوًا في داعش، علىٰ المتحف اليهودي في بركسل ببلجيكا، هما؛ مثالين علىٰ درجة الراديكالية التي يمكن أن يصل إليها المقاتلون العائدون. لم يبدِ قادة أكثر الجماعات تطرفًا أي تردد في التهديد بشن هجمات إرهابية في كل من الدول ذات الأغلبية المسلمة وتلك التي لا توجد بها أغلبية مسلمة، ولا يوجد أي سبب للتشكيك في قدرتهم علىٰ القيام بذلك أو للتقليل من شأن نواياهم المعلنة[١].

لا يمكن بأي وجه القول بأن كل هؤلاء الذين حاربوا الاتحاد السوفيتي في أفغانستان أصبحوا إرهابيين فيما بعد، لكن الظروف هناك كانت مختلفة. حين ذهبوا إلىٰ أفغانستان، حتىٰ في فترة حكم طالبان، لم يكن لديهم أي فهم متقدم لأقوال القاعدة، ولا لمفهوم الإرهاب العالمي بدلًا من الإرهاب المحلي، لكنهم تعرفوا علىٰ

---

(١) في منتصف مايو ٢٠١٤ قامت المجموعات المعارضة المكونة للجبهة الإسلامية، والتي تضم جبهة أحرار الشام، وأربعة حلفاء إسلاميين بتوقيع «وثيقة الثورة» والتي قيل فيها من بين أشياء متعددة بأنهم لا توجد لديهم نية في مهاجمة أهداف خارج سوريا، وضموا داعش من بين أهداف هجماتهم في الداخل. لم يتم استشارة جبهة النصرة في صياغة تلك الوثيقة ورفضت التوقيع عليها.

أطروحات أسامة بن لادن التي تفضل محاربة العدو البعيد فقط بعد وصولهم هناك[1]، أما المقاتلون الأجانب الذين يذهبون إلىٰ سوريا فهم علىٰ النقيض من ذلك، حيث إنَّهم علىٰ دراية تامة بماهية القاعدة ويعلمون ماذا تمثل تلك الجماعات المتطرفة، ولذا؛ فإنَّهم حتىٰ وإن ذهبوا فقط لمحاربة النظام فهناك احتمالية أكبر لقبولهم معتقدات القاعدة والجماعات المرتبطة بها أكثر من سابقيهم من المحاربين في أفغانستان.

حتىٰ مع افتراض أن بعض المحاربين يذهبون إلىٰ سوريا من دون التدبر في تبعات الانخراط مع جماعات متطرفة، يبقىٰ السؤال لماذا يمكثون هناك إذن؟[2] بعض الجماعات، ومن بينهم داعش، جعلوا من بعض الفارين للعودة لبلدانهم عبرة بقتلهم لهم، لكن هناك أشخاص قرروا العودة، أما من قرروا البقاء فيستحقون نظرة ملاحظة أكبر حين يقررون العودة إلىٰ بلدانهم، إن قرروا ذلك يومًا ما. فلا يمكن أن تمضي وقتًا بين مجموعة من المحاربين المدفوعين عقائديًا، وأن تشاركهم تجربة الحرب، من أكثرها مللًا إلىٰ أكثرها إثارة للإعجاب، من دون أن تتأثر ببعض أفكارهم، وينطبق هذا بشكل أكبر علىٰ المجندين الذين كان دافعهم الأولي هو تحقيق نوع من الصلة والهدف. فحين ترتبط بالجماعة يكون من السهل جدًّا أن ترتبط أيضًا بأقوالها.

ولذا؛ فإنَّ الحرب في سوريا تعد بشكل أكبر، حاضنة لجيل جديد من الإرهابيين. وبالتالي، فهي تعيد السؤال حول الجهد الذي بذل في إضعاف جاذبية الإرهاب منذ عام ٢٠٠١، والفهم العام لأسبابه. عدم وجود أي سياسة فعالة لإنهاء الحرب، وغياب أي سياسات متناسقة للتعامل مع المقاتلين العائدين، وأيضًا الفشل في إيجاد سرد مضاد يعمل علىٰ ثني المتطوعين من السفر إلىٰ سوريا في المقام الأول، كل ذلك يرجح استمرار التخبط الدولي والقومي في التعامل مع مشاكل التطرف الديني.

العديد من المقاتلين الأجانب يقولون إنهم لا ينوون العودة إلىٰ بلادهم حتىٰ بعد مغادرة سوريا، وهناك العديد من الفيديوهات لهم يحرقون جوازات سفرهم للرمز إلىٰ

---

(١) الرسالة المميزة للقاعدة كانت أنه ينبغي علىٰ الجماعات الجهادية ألا تشن حملات منفصلة ضد الحكام المحليين «العدو القريب» لكن عليها أن تشن حملة موحدة ضد الولايات المتحدة «العدو البعيد»، التي من دونها ستنهار كل تلك الحكومات.

(٢) بعض من يعودون إلىٰ بلادهم ثم يعودون لسوريا ربما يفعلون ذلك بانتظام

رفض حياتهم السابقة[١]، بالرغم من ذلك فبعض المقاتلين الأجانب تزوج من سوريات وأسسوا حياة لهم هناك، الكثير منهم يبدو أكثر استعدادًا للموت محاربًا من بناء عالم جديد شجاع[٢].

المجموعات التي جذبت أكبر عدد من المقاتلين الأجانب هم، أحرار الشام، جبهة النصرة وداعش، تم تأسيسهم من قبل أشخاص كانوا جميعًا يومًا ما أعضاء في القاعدة، ومن المنطقي افتراض أنهم إن عاجلًا أو آجلًا يمكن أن يتبعوا أهداف القاعدة وينفذوا هجمات في كل العالم[٣]، في مارس ٢٠١٤، ربما ترجح واقعتان، واحدة في الجنوب والأخرىٰ في إسطنبول، اشتبكت فيهم الشرطة التركية أعضاء مسلحين من داعش، أن داعش تقوم بالفعل بتثبيت أفرع لها خارج الشام.

قيادة القاعدة أيضًا أبدت اهتمامًا بسوريا، فقد رأت فيها فرصة للتعافي من الضربات التي عانت منها منذ ٢٠٠١، وأرسلت قياديين لها هناك من أجل العمل مع والتأثير علىٰ الجماعات المرتبطة بهم[٤]، بالرغم من أن سلطة، شرعية وأهمية القاعدة تم تحديهم بشكل كبير من أبو بكر البغدادي، زعيم داعش، إلّا أنَّ قيادة القاعدة الآن تعد في أفضل حالاتها منذ أكتوبر ٢٠٠١. إن سارت الأمور جيدًا بالنسبة إلىٰ الظواهري، فإن عدم الاستقرار في كل من العراق وسوريا سيطول بشكل كافٍ حتىٰ تسيطر جبهة النصرة والجماعات الأخرىٰ المرتبطة بالقاعدة علىٰ أراض، وتؤسس معسكرات، وتعود للظهور مرة أخرىٰ في رؤوس العناوين، وتعيد بناء شبكة دولية من

(١) علىٰ سبيل المثال http://www.youtube.com/watch?v=fRqJHq1MjSw, وفيه روسي يحرق جواز سفر.

(٢) في ٢٠١٣ كان هناك ما يقرب من ٥٣ عملية انتحارية في سوريا، ومن بين ٣٠ شخصًا تم التعرف عليهم كانتحاريين، كان هناك ٢٣ غير سوريين، ١٣ منهم من المملكة العربية السعودية
http://www.terrorism-info.org.il/en/article/20622

(٣) توقع جيمس كلابر James Clapper مدير الاستخبارات الوطنية، أن بعض المقاتلين يتم تجهيزهم بالفعل للقيام بهجمات.

(٤) في منتصف مايو ٢٠١٤، عينت وزارة الخزانة الأمريكية اثنين من قادة القاعدة الذين أرسلوا من علىٰ الحدود الباكستانية الأفغانية لتوطيد الصلة مع أحرار الشام وجبهة النصرة والتخطيط لعمليات خارجية
http:// www.treasury.gov/press-center/press-releases/Pages/jl2396.aspx

المؤيدين. بالنظر إلىٰ سهولة الحصول علىٰ موارد، فإن العراق وسوريا تعدان ذوي جاذبية مركبة بالمقارنة مع اليمن والصومال.

إحدىٰ نتائج الترويج الجيد للوحشية المفرطة والتطرف الداعشي هو أن تبدوا بعض الجماعات الأخرىٰ التي هي مطابقة لداعش في الأهداف والمنهجيات أكثر اعتدالًا بالمقارنة معهم. جبهة النصرة اتبعت نصيحة الظواهري في تجنب الكشف عن نفسها بشكل كامل حتىٰ تثبت أقدامها بشكل قوي. بالرغم من ذلك؛ فإنَّ الظواهري دعم قتل الشيعة، إلَّا أنَّه حثَّ أتباعه علىٰ عدم مهاجمة المساجد والأسواق، أو أي أماكن مدنية واضحة. ليس لأنَّه يرفض ذلك من حيث المبدأ، لكن لأنَّه يرىٰ حاجتهم إلىٰ الدعم الشعبي، فبالرغم من كون جبهة النصرة أحد أفرع القاعدة، إلَّا أنَّها تجنبت الحديث عن أي خطط مستقبلية لمهاجمة أهداف غربية خارج سوريا، مشددين علىٰ أن مهمتهم العاجلة هي التخلص من حكومة الأسد؛ وتعاملت بحرص مع المواطنين في الأماكن التي يسيطرون عليها، متجنبين الإعدامات أمام الجماهير وإقامة الحدود الصادمة المنفرة سواء كانت بسبب جرائم حقيقية أو متخيلة مثلما تفعل داعش، وبالرغم من كونها جماعة تكفيرية متشددة، إلا أنها سعت إلىٰ تقديم نفسها كجماعة إصلاحية[1].

قال أحد المدرسين باللاذقية:

المقاتلون الأجانب في منطقتنا معظمهم مغاربة وشيشانيون، وهم مرحب بهم، فهم لا يتدخلون في حياتنا ولا يحاولون فرض أي شيء علينا، فهم يساعدون في تنظيف الشوارع وإزالة المخلفات، ويدفعون رواتب المدرسين بعد أن توقفت الحكومة عن دفعها. كل المشاكل التي عانينا منها من قبل، في كل الأماكن، كانت مع داعش. الحمد لله أن غادروا، أنا لا أعرف لماذا؛ ربما لأنَّ الناس لم تكن تطيق بقاءهم أكثر من ذلك. في منطقتنا قام المواطنون بالإضراب العام لعدة أيام من أجل طردهم.

---

(١) التكفير أو الحق في إعلان مسلم آخر ككافر بسبب عدم موافقته لنفس التفسيرات للإسلام، هو العلامة المميزة للقاعدة والجماعات المرتبطة بها.

قام ناشط في الشمال بإبداء ملاحظة مماثلة:

جبهة النصرة لم تعدم أحدًا أو تطبق الحدود، ربما لديهم خطة طويلة الأمد لفعل ذلك، لكننا نتحدث من خلال الوقائع. جبهة النصرة تختلف تمامًا عن داعش، التي تمارس ممارسات مؤذية بشدة.

لذا؛ فإنَّ سلوك داعش كان له أثر إضفاء شرعية وقبول علىٰ الجماعات الأخرىٰ، حتىٰ أكثر تلك الجماعات ارتباطًا بالقاعدة.

إن تحول اهتمام جماعة من العدو المحلي إلىٰ العدو البعيد سيكون حافزًا مهمًا في تحويل مقاتل أجنبي إلىٰ إرهابي محلي، وكلما كان التحول من الحالة الأولىٰ إلىٰ الثانية أكثر سهولة، كلما ازداد عدد الأشخاص المحتمل أن يترجموا إحساسهم بالارتباط بالجماعة إلىٰ فعل وانخراط في الحدث. إن تم تدعيم القول بأن الغرب لم يفعل إلا القليل لمساعدة السوريين في مواجهتهم لنظام الأسد، وهو قول منتشر بين المتطرفين بالفعل، بواقع دولي يسمح للأسد بالاستمرار في الحكم، حتىٰ ولو مؤقتًا، سيكون الانتقال من الحالة الأولىٰ إلىٰ الثانية أسهل نسبيًا.

وما يمكن أن يجعل الوضع أسوأ هو أن يترجم القلق الذي يعبر عنه الغرب ودول أخرىٰ من صعود الجماعات المتطرفة في سوريا إلىٰ هجمات مباشرة ضدهم تقوي الجماعات المنافسة لهم بشكل يشجعهم علىٰ محاربتهم، أو تجعلهم يشتركون مع الحكومة السورية في الحرب ضد المتطرفين، كجزء من اتفاقيات ما بعد الحرب.

إذا نحينا جانبًا ما يمكن أن يحدث في سوريا، نجد أن القاعدة إن استطاعت أن تنظم شبكة ولو حتىٰ بعدد قليل من المقاتلين العائدين [إلىٰ الغرب]، أو أن تجند مقاتلين لأجندتها الإرهابية أثناء وجودهم في سوريا، ستمثل مرة أخرىٰ تهديدًا علىٰ الصعيد العالمي. احتمالية أخرىٰ هي أن عددًا من المقاتلين الأجانب في سوريا لن ينهوا معسكراتهم بعد توقف الحرب في سوريا؛ بل سوف ينتقلون إلىٰ أماكن أخرىٰ لجعل صراعاتها أسوأ مصبحين مجموعة من المتطرفين المتجولين، موفرين بذلك

فرصة أكبر للجماعات الإرهابية في توسيع مدىٰ قدرتهم علىٰ تنفيذ أهدافهم[1].

من المزعج أنه كلما تمتد الحرب، ينتقل الكثير من المقاتلين الأجانب من الجماعات المعارضة الرئيسة إلىٰ المتطرفين، خاصة داعش. قال أحد أفراد أحرار الشام في أحد اللقاءات الصحفية:

حين تكونت داعش انضم إليهم ٤٠% من المقاتلين الأجانب. ٦٠% إلىٰ ٧٠% من المقاتلين الذين كانوا في جبهة النصرة انضموا لداعش وبين ٣٠% إلىٰ ٤٠% من جماعتنا أحرار الشام انضموا لداعش.

قال رئيس إحدى اللواءات المقاتلة في حلب تقريبًا الكلام نفسه:

بعض المقاتلين الأجانب انضموا للواء، لكن حين قوت شوكة جبهة النصرة وداعش، أغلبهم انضم إليهم. أعتقد أن داعش تضلهم. في المعركة الأخيرة ضد داعش في حلب أسرنا اثنين من المقاتلين الأجانب وكانوا يعتقدون أننا من قوات النظام. أحدهم كان ألمانيًا والآخر مغربيًا أو جزائريًا.

بعد أن أصبح اهتمام داعش مركزًا علىٰ بناء الدولة الإسلامية أكثر من محاربة النظام، ربما يتحول اهتمام المقاتلين الأجانب بشكل مماثل، لكن الوضع مازال ديناميكيًا؛ فالمقاتلون، بغض النظر عن جنسياتهم أو دوافعهم وأيديولوجياتهم، ينتقلون من مجموعة لأخرىٰ، أو من وحدة لأخرىٰ، حسب الظروف العاجلة. في بعض الحالات ستعجبهم مجموعة أو وحدة بسبب قوة مصادرها (سلاح، ومساحة الأرض المسيطرة عليها، إلخ) وليس لسبب أيديولوجي؛ أو لأن لديها قائدًا ذا كاريزما؛ أو لأن بها زملاء من الجنسية نفسها أو أصدقاء جددًا، وبالتالي هناك الكثير من المقاتلين الأجانب الذين لا يتوافقون مع أيديولوجيات جماعاتهم لكنهم يظلون بها لأسباب أخرىٰ.

أيًا كان معدل الانضمام أو الانشقاق عن داعش، وأيًا كانت أسباب تلك

---

(١) انظر أيضًا، جنكيس (2014) Jenkinsm B. M. (2014) 'The Dynamics of Syria's Civil War', Perspective, Rand Corporation. Available, نشر مؤسسة راند، علىٰ الرابط: http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE100/PE115/RAND_PE115.pdf.

الانتقالات، تبقىٰ حقيقة أن الجماعات المتطرفة هي التي تجذب المقاتلين الأجانب بشكل أكبر، بالرغم من اقتتالهم الداخلي.

تسعىٰ تلك الجماعات إلىٰ أن تكون أكثر شمولية، وأغنىٰ ماليًا من نظرائها المعتدلين. تسعىٰ أيضًا لأن تكون أكثر حسمًا وأن يكون لها أثر أكبر في ساحة المعركة، وبالتالي أن تتمتع بمكانة شعبية أكبر، وهو ما يجعلهم أكثر جذبًا للمقاتلين الأجانب الباحثين هم أيضًا لنيل مكانتهم. أيضًا فإنَّ الجماعات المتطرفة ترتكز بشكل أكبر في الشمال، وبالتالي فهم أول من يقابلهم المقاتلون الأجانب حين يعبرون الحدود التركية، أو في الشرق، حيث يكونون قريبين من المجندين العراقيين والسعوديين. أيضًا فإنَّ المظهر القوة الأيديولوجية للجماعات المتطرفة أكثر جاذبية للمقاتلين لبعض المقاتلين الأجانب الذين يصلون سوريا غير مدركين تحديدًا لسبب وجودهم هناك. الجماعات المتطرفة مفيدة بشكل خاص في إيجاد مبرر لهم لقرارهم بالاشتراك في الحرب ويساعدهم في تحويل مفهومهم الفضفاض لجهاد الدفع إلىٰ اعتقاد متوهج بأنهم ينفذون مشيئة الله.

مؤشر آخر علىٰ خطر خارجي محتمل هو تنامي الشبكات التي تؤسس لنقل المقاتلين إلىٰ سوريا. في منتصف ٢٠١٤، قالت الشرطة في كل من الجزائر، بلجيكا، فرنسا، ماليزيا، المغرب، المملكة العربية السعودية، إسبانيا، تركيا، وآخرين، إنهم فككوا شبكات تجنيد ونقل، وإن كانت هناك شبكات أخرىٰ أو تم استبدال تلك الشبكات، فهم يمكن أن ينقلوا المجاهدين خارج سوريا كما نقلوهم إلىٰ الداخل.

في حوار مع أحد قادة المعارك في أحرار الشام في ضواحي حماه، في حوار معه تم من أجل إتمام تلك الورقة البحثية، حكىٰ تفاصيل رحلة قام بها لمصر لمقابلة قادة مجموعات إسلامية تعمل علىٰ مساعدة من يريدون الانضمام للمعارك:

هناك لجنة معينة لتنظيم ذلك، هناك بعض جهات الاتصال هنا في سوريا تطلب عددًا من معلمي الفقه، المقاتلين أو أشخاص مستعدين لتنفيذ هجمات انتحارية. يأتون هنا من خلال تلك الدائرة وأعتقد أن هذا هو الحال في كل الأماكن الأخرىٰ.

شخص آخر ممن أجرينا لقاءً معهم، هو صحفي يعمل في سوريا، لاحظ أن العديد من المقاتلين الأجانب يبدو أنهم كانوا أعضاء في جماعات أخرىٰ قبل قدومهم إلىٰ سوريا، ثم تواصلوا مع شبكات يسرت وصولهم.

تسكين الخطر

من الجلي أن أكثر الطرق فاعلية بالنسبة إلىٰ المجتمع الدولي في مواجهة خطر المقاتلين العائدين هو أن يبذلوا كل ممكن من أجل إيقاف الحرب، لكن مع تزايد التوتر العالمي، يستمر ذلك الخيار في أن يكون غير مفضل. لا يوجد شك في أنه كلما تطول الحرب، كلما ستكون تبعاتها أعظم. ليس فقط سيتم عبور عدد أكبر من المقاتلين الأجانب إلىٰ سوريا، لكن أيضًا ستصبح الشبكات التي تجندهم وترسلهم هناك أكر أهمية وأكثر قدرة علىٰ إعادتهم إلىٰ بلدانهم الأم أو إرسالهم إلىٰ أي مكان آخر. كلما يستمر الانقسام في سوريا، كلما تتجذر الجماعات المتطرفة هناك وتؤسس لأنفسها ملاذات آمنة. وأيضًا، سيكون هناك تهديد أكبر علىٰ البلاد التي تؤوي اللاجئين السوريين. فكلما يمضي الصغار فترة أطول في معسكرات اللاجئين أو أي مكان آخر بعيدًا عن الوطن والمدرسة، كلما يكونوا أكثر عرضة للتجنيد الطائفي أو صور التجنيد الأخرىٰ.

معاملة سلطات الدول التي يرجع إليها العائدون من سوريا سيكون لها أكبر الأثر علىٰ سلوكهم المستقبلي، فالعائدون الذين ذهبوا إلىٰ سوريا لأسباب إنسانية من دون الاشتراك في أي معارك، ربما يتطرفون وينعزلون إن تم معاملتهم بشكل قاس حين وصولهم إلىٰ أوطانهم. مع ذلك، سيكون من العسير علىٰ الحكومات معرفة أفعال الأفراد في سوريا، وأسباب ذهابهم هناك. بعض العائدين يستحقون تحقيقات حذرة ومراقبة، أو ربما المقاضاة بتهم الانضمام لداعش أو جماعات متطرفة أخرىٰ، لكن لا يمكن التعرف عليهم جميعًا إلا حين يعودون مرة أخرة.

في حين أن أغلب الدول لا تمتلك المصادر الكافية إلا للتعرف علىٰ عدد قليل من العائدين ومراقبتهم، نجد أن أغلب المقاتلين لا يميلون إلىٰ الاختباء. من المرجح أكثر أن يتحدثوا عن أعمالهم البطولية بدلًا من كتمانها، إلا في حالة التهديد بعقوبات

قاسية من قبل السلطات. هذا يعني أن مجتمعاتهم سوف تعرف من هم، وتكون قادرة علىٰ الحكم علىٰ أثر تجاربهم علىٰ آرائهم السياسية والاستقرار المجتمعي، ومراقبة سلوكهم في المستقبل. حتىٰ من اعتنقوا أفكارًا متطرفة لن يكون سهلًا عليهم التصرف من دون لفت الأنظار إلا لو كانت تجربتهم في سوريا شملت تدريبات علىٰ مهارات الكتمان المطلوبة لإرهابي ناجح[1]، وأيضًا؛ فإنَّ الخدمات الأمنية في تطور متزايد في قدرتها علىٰ اكتشاف الصلات والتحالفات. علىٰ كلٍّ؛ فإنَّ المصادر قليلة، والمصداقية التي يتمتع بعها الفرد كمحارب قديم في سوريا سوف تجعل للعائدين أثرًا علىٰ الآخرين في الميل إلىٰ التطرف العنيف.

حتىٰ الدول ذات المصادر الكبيرة التي يمكن تخصيصها لمسألة المقاتلين العائدين من سوريا سوف تواجه مشاكل. علىٰ سبيل المثال، في نهاية أبريل ٢٠١٤، السلطات الفرنسية كانت شبه غارقة. قضاء مواجهة الإرهاب في باريس كان يناقش ٥٠ قضاية تخطيط وأكثر من ٢٦ فردًا محبوسين علىٰ ذمة التحقيقات. عدد الأشخاص تحت المراقبة كان في تزايد، وأجهزة الأمن كانت تشعر بالضغط.

سيكون من المهم إذن أن يكون لدىٰ السلطات في دول الأصل فهم جيد لأسباب ذهاب المقاتل العائد من سوريا إليها في السابق، ماذا فعل هناك وماذا حدث له هناك، ولماذا عاد. الإجابات علىٰ تلك الأسئلة الثلاثة، سوف تساعد في وضع تقييم للمقاتل العائد علىٰ مقياس للخطر وتساعد قوات الأمن ومؤسسات تطبيق القانون علىٰ توظيف مصادرها وفق ذلك. الحصول علىٰ الإجابات سيكون من الصعوبة بمكان، وفهم ما تعنيه تلك الإجابات بالنسبة إلىٰ توقع السلوك المستقبلي ربما يكون أصعب، لكنها خطوة أولىٰ مهمة.

---

(١) من أجل تقييم أكبر لقدرة القاعدة أو الجماعات المرتبطة بها علىٰ تنفيذ هجمات علىٰ الغرب، انظر علىٰ سبيل المثال:

Hegghammer, T. (2013) 'The Future of Anti-Western Jihadism', Global al-Qaeda Affiliates, Objectives, and Future Challenges 18 July. House Foreign Affairs Committee, Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation and Trade.

http:// docs.house.gov/meetings/FA/FA18/20130718/101155/HHRG-113-FA18-20130718-SD001.pdf

⋆ ما هي الخطوات المتخذة بالفعل:

بشكل عام، هناك نهجان لردع الناس من المحاربة في سوريا أو التعامل معهم حين يعودون، **الأول**: هو تجريم كل صور المشاركة والتهديد بالتبعات القانونية والإدارية، مصادرة جوازات السفر أو سحب الجنسية، **والآخر**: هو عمل كل ما هو ممكن لمساعدة العائدين علىٰ إعادة الاندماج. بعض البلدان تطبق النهجين معًا.

العديد من البلدان الأوروبية، علىٰ سبيل المثال، تفكر في تجريم المشاركة غير المصرح بها في أي حروب خارجية، والكثير منهم لديهم قوانين تجرم الاشتراك في بعض الجماعات بعينها، مثل داعش أو جبهة النصرة، لكن توفير الأدلة في الحالة الثانية صعب، خاصة في البلاد التي يقتضي فيها القانون إثبات أن تلك الجماعات تنوي إيذاء المصالح القومية[1]، جرمت روسيا في نهاية ٢٠١٣ الاشتراك في أي جماعة مسلحة خارج البلاد بما يخالف السياسة الروسية[2]، لكن مثل تلك القوانين لا تعمل كروادع، وصياغاتها تعقد التعاون القانوني بين الدول. وربما أيضًا تثني المقاتلين من العودة إذا أدركوا أنهم كانوا مخدوعين أو حتىٰ إذا شعروا بالنفور مما رأوه، أو إذا رأوا أنهم أتموا ما ذهبوا من أجله ويريدون العودة إلىٰ أوطانهم.

⋆ نقل عن أحد منسقي جبهة النصر في منتصف مارس ٢٠١٤:

منذ الأسبوع الثاني من يناير وحتىٰ الآن ... عاد مئات إن لم يكن آلافًا من المقاتلين الأجانب إلىٰ أوطانهم[3].

أحد قادة أحرار الشام كان له قول مشابه:

أغلب المقاتلين الأجانب يصلون بنوايا طيبة يتراجعون حين يرون التكتيكات العنيفة

---

(١) سويسرا كمثال.

(٢) القانون الفدرالي رقم ٢ لسنة ٢٠١٣.

(٣) انظر:

Solomon, E., Jones, S. (2014) 'Disillusioned Foreign Fighters Abandon Rebel Ranks in Syria', Financial Times, 18 57 March. http://www.ft.com/cms/s/0/a26ffc5c-adfc-11e3-bc07-00144feab7de.html#axzz2xXFrYQ1E.

أو الأعمال العدوانية للجماعات التي انضموا إليها. ربما يدفعهم ذلك إلىٰ الانضمام إلىٰ جماعة أخرىٰ، أو ببساطة إلىٰ العودة إلىٰ أوطانهم بعد أن تتغير قناعاتهم السابقة.

من غير المرجح أن يمثل العائدون تهديدًا، خاصة علىٰ المدىٰ القصير، لكن تظل المشكلة هي كيف يمكن غربلة والتفريق بين من يعودون لحياتهم القديمة، أو من يريدون قليلًا من المساعدة للعودة للاندماج في المجتمع، من هؤلاء المحتمل أن يمثلوا تهديدًا له.

حاولت المملكة العربية السعودية منع من يريدون الذهاب للحرب هناك وأيضًا تشجيع من ذهبوا بالفعل علىٰ العودة عن طريق إصدار قانون جديد، وتحديد فترة عفو من العقوبة قبل دخول ذلك القانون حيز التنفيذ. في مرسوم ملكي نادر في ٣ فبراير ٢٠١٤ ينص بعقوبة كل من يرتكب أي من الأفعال الآتية:

«المشاركة في أعمال قتالية خارج المملكة، بأي صورة كانت، محمولة علىٰ التوصيف المشار إليه في ديباجة هذا الأمر. الانتماء للتيارات أو الجماعات -وما في حكمها- الدينية أو الفكرية المتطرفة أو المصنفة كمنظمات إرهابية داخليًّا أو إقليميًّا أو دوليًّا، أو تأييدها أو تبني فكرها أو منهجها بأي صورة كانت، أو الإفصاح عن التعاطف معها بأي وسيلة كانت، أو تقديم أي من أشكال الدعم المادي أو المعنوي لها، أو التحريض علىٰ شيء من ذلك أو التشجيع عليه أو الترويج له بالقول أو الكتابة بأي طريقة».

سيعرف المواطنون السعوديون ماذا يعني هذا المرسوم وأهميته كوثيقة سياسة وإعطائه الصلاحية للسلطات لاتخاذ إجراءات موسعة. علىٰ كلٍ، فكلما تحول التدخل السعودي في سوريا من دعم الجماعات المعارضة للنظام إلىٰ دعم الجماعات التي تحارب المتطرفين، كلما زاد اعتبارهم لمملكة كجزء من أعدائهم.

السعودية سوف توفر مساعدة للعائدين. منذ أن أصدر الملك مرسومه، عاد علىٰ الأقل ٣٠٠ مقاتل إلىٰ المملكة، والخضوع لبرنامج إعادة التأهيل المعد جيدًا للتعامل مع المنضمين للجماعات المتطرفة. قليل من الدول تمتلك إمكانيات مثيلة لتلك التي لدىٰ المملكة، لكن كثير من الدول الأخرىٰ التي لديها مقاتلون في سوريا يتمتعون ببعض برامج إعادة الاندماج، بعضها قومي وبعضها أهلي. تلك البرامج يجب أن

تأخذ في حسبانها احتمالية تعرض المقاتلين العائدين إلىٰ التدمير النفسي والمعاناة من أعراض التوتر والاضطراب التالية للصدمات النفسية. أيضًا مع ازدياد اشتراك النساء في القتال، يجب علىٰ الدول أن تقرر ما إذا كان يتوجب عليها تعديل برامج التأهيل أو استحداث برامج جديدة توافق المتطلبات المستجدة.

هناك مبادرة في الجزائر، التي لديها خبرة طويلة في التعامل مع العنف والتطرف تعود إلىٰ بدايات التسعينيات من القرن الماضي، تشمل التعامل مع عائلة المقاتل الجزائري فور معرفة وجوده في سوريا. غالبًا ما تكون العائلات في حالة صدمة من ذهاب أحد أعضائها للقتال وبالتالي يكونون علىٰ استعداد للنقاش مع السلطات عن الأسباب المحتملة لسفره وما هي الإجراءات المتوجب اتباعها حال عودته. وهذا يسمح بوزن احتمالية الخطر المحتمل والعمل علىٰ إيجاد إجراءات أكثر فاعلية.

هناك أيضًا تركيز علىٰ الدعم الأسري في تطوير برامج إعادة الاندماج الأوروبية، بما فيها من أمور تتعلق بالتخلص من التطرف de-radicalization والرعاية الصحية، وأيضًا مواجهة التأثيرات المتطرفة الخارجية. توجد تلك البرامج بالرغم من اللغة الصارمة التي تخرج من المتحدثين الحكوميين، لكن تلك البرامج تعتمد علىٰ رغبة الأسرة والعائد في الاشتراك فيها، وأيضًا تفترض تلك البرامج نوعًا من الترابط الأسري وهو ما لا يوجد غالبًا عند أسر المقاتلين الأجانب. هناك دول أخرىٰ تراقب تلك البرامج لمعرفة ما إن كانت ستطبقها هي أيضًا.

المجتمع الدولي متفق علىٰ الاعتراف بالحاجة إلىٰ تجميع وتبادل المعلومات عن المقاتلين الأجانب، لكن ميكانيكيات تنفيذ ذلك لم تتطور بشكل جيد بعد. لقد اشتكت تركيا بأنها لم تكن قد حصلت علىٰ معلومات كافية حول اثنين من أعضاء داعش الثلاثة الذين قتلوا ضابطين وعسكريًا في جنوب تركيا في مارس ٢٠١٤[١]، بالرغم من معرفة دولهم بذهابهم إلىٰ سوريا[٢]، في واقعة أخرىٰ، علمت تركيا من خلال الإنتربول بوصول أحد المقاتلين الأجانب إليها مع ظن بنيته للعبور إلىٰ سوريا

(١) وقع الهجوم في مدينة نيغدة في ٢٠ مارس ٢٠١٤.

(٢) في اجتماع منظمة الأمن والتعاون في أوروبا OSCE عن التغيرات الإرهابية الراهنة، في أبريل ٢٠١٤.

وكان ذلك بعد ما يقرب من عام من وصوله[١]، مع ذلك، فلدىٰ تركيا قائمة مراقبة تضم ٣٨٠٠ اسم لمقاتلين أجانب محتملين قدمتهم حكومات أخرىٰ حتىٰ نهاية أبريل ٢٠١٤[٢].

★ ماذا أيضًا يمكن فعله؟

كما يتضح بشدة من خلال البرامج الحالية؛ فإنَّ دور المجتمع ضروري للغاية، لكل من إعادة الاندماج الناجحة للمقاتلين الأجانب وللتعرف علىٰ أي منهم يمكن أن يمثل تهديدًا أكبر. في الغالب لا تستطيع السلطات الرسمية القيام بذلك بنفسها. فسوف تحتاج إلىٰ مساعدة المجتمع في أي مراقبة طويلة المدىٰ لسلوكيات وأفعال أولئك المقاتلين الأجانب المتوقع تمثيلهم تهديدًا. العديد من البلدان الأوروبية مثل، بلجيكا، الدنمارك، ألمانيا، هولندا والمملكة المتحدة قد سلكوا ذلك المسلك بالفعل، وخصصت فرنسا خطًا ساخنًا للعائلات للإبلاغ عن مخاوفهم من تطرف أحد أعضائهم.

نشرت شبكة الوعي بالتطرف *Radicalization Awareness Network:* المكونة من مجموعة من المهتمين، والباحثين، والمنظمات غير الحكومية، والتي أسسها المجلس الأوروبي في أكتوبر ٢٠١١، موجزًا مفيدًا به العديد من الممارسات الجيدة في هذا المجال[٣].

زيادة الوعي بالحقائق في سوريا، وطمس صورة الجهادي المثيرة للإعجاب "jihadi cool" المرتبطة بالحرب، وهي الصورة التي يتم نشرها علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي، يعد مهمًا أيضًا لزيادة قدرة المجتمعات المعرضة للأخطار علىٰ المواجهة. علىٰ كلٍّ، فكما هو حال أي حملة استراتيجية، يكون من المهم معرفة

---

(١) في اجتماع منظمة الأمن والتعاون في أوروبا OSCE عن التغيرات الإرهابية الراهنة، في أبريل ٢٠١٤.

(٢) وقد رحلت ما يزيد عن ٧٠٠ شخص منهم إلىٰ بلدانهم.

(٣) The RAN Declaration of Good Practices for Engagement with Foreign Fighters for Prevention, 62 Outreach, Rehabilitation and Reintegration. Available at:
http://www.icct.nl/download/file/RAN-Declaration-GoodPractices-for-Engagement-with-Foreign-Fighters.pdf.

كيفية استقبال الجمهور للمعلومة. اعتماد المقاتلين الأجانب المحتملين علىٰ منشورات أفراد من سوريا في فهم ماذا يحدث هناك يجعلهم محصنين وغير مهتمين بحالة التوعية الواسعة تلك. أحيانًا يتجاهل الإعلام وصناع القرار السياسي تلك الحقيقة، ويقللون من وقع ما يحدث داخل تلك الفقاعات، كما يبالغون أيضًا في الاعتقاد بتأثير فقاعاتهم الخاصة.

لقد كثر الحديث عن الطاقة التبشيرية لوسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيس بوك وهناك اقتراحات لمنع المتطرفين من الانتفاع بهذه الوسائل. العديد من موفري خدمات التواصل الاجتماعي الخاصة علىٰ استعداد لحجب أي محتويات غير ملائمة حين يتم اختبارها من قبل السلطات أو العامة، لكن هناك تداعيات قانونية في تنفيذ ذلك، وأيضًا لا يكون التمييز بين التحريض علىٰ العنف وحرية التعبير سهلًا في كل حال، الجماعات المتطرفة قادرون فنيًا علىٰ التأكد من أن أنظمتهم لديها تماسك كافٍ لتجنب مثل تلك الإجراءات الاحترازية، أو علىٰ الأقل تستطيع التقليل من أثرها.

من الأفضل التشجيع علىٰ استخدام وسائل التواصل الاجتماعي من أجل تقويض جاذبية المتطرفين وتوسيع الانقسام بينهم، مثلما هو الحال بين داعش والجماعات المتطرفة الأخرىٰ. في هذا السياق يكون من الجيد أن نعرف أين يبحث المتطرفون عن الدعم. علىٰ سبيل المثال، بينما تميل جبهة النصرة والقاعدة إلىٰ استخدام اللغة العربية علىٰ تويتر وفيسبوك، تستخدم داعش منشورات بلغات متعددة لتوسيع مدىٰ وصولها. من المفيد أيضًا ملاحظة أن فيسبوك هو وسيلة التواصل الاجتماعي الأكثر انتشارًا في الشام، بينما في الخليج الغلبة لتويتر.

أي حملة مواجهة للتطرف يجب عليها أن تدرك وتفعل تلك العوامل وأن تجد طريقة لاختراق دوائر الاتصال الضيقة بين المقاتلين المحتملين، وبعد اختراقها يجب عليها أن تكون فاعلة في الترويج للخلاف السياسي والتنافس الداخلي بين الجماعات المتطرفة. فداعش علىٰ سبيل المثال تهتم كثيرًا بالسيطرة علىٰ الأرض في العراق وسوريا أكثر من اهتمامها بإسقاط الأسد، وبالفعل تتهمها الجماعات الأخرىٰ بالتحالف مع النظام بسبب ندرة اشتباكها معه في معارك قتالية.

إنَّ محاولة البغدادي لتنصيب نفسه أميرًا للمؤمنين تجعل منه متحديًا ليس فقط

لشرعية الظواهري لكن أيضًا لشرعية زعيم الحركة الملا عمر. لقد قتل العديد من المقاتلين الأجانب في الصدامات بين الجماعات المتطرفة في سوريا، والاستفادة من تعريض قادة تلك الجماعات لهم لتلك المخاطر يمكن إثباته بسهولة. فإن أسلوبهم سلطوي وتحكمي وليس محترمًا ولا مشجعًا.

المقاتلون العائدون أنفسهم يمكن أن يلعبوا دورًا مهمًا في مساعدة دولهم أو مجتمعاتهم في فهم تلك المسائل وتسكين المخاطر والتهديدات، وهذا أيضًا يحث علىٰ التعامل بعناية مع كل عائد بطريقة خاصة لكل حالة. فالمقاتل العائد سيكون له مصداقية كبيرة عند الدوائر المتطرفة في بلده، وإن تكلم ضد الاشتراك في الحرب، وضد رواية القاعدة بشكل عام، سيكون لهذا أثر أكبر من أي دور يمكن أن تلعبه الحكومة.

بعض الحكومات تدرك أن بعض أفرادها ربما يذهب لسوريا لاهتمامات واقعية بالسوريين والأشخاص هناك، وتحاول توفير أعمال غير قتالية يمكن أن يفعلوها هناك. علىٰ سبيل المثال، فإن الاتحاد الأوروبي يسعىٰ لتدشين موقع علىٰ الشبكة يخبر الأفراد بالمنظمات الإنسانية التي تعمل في الإغاثة في سوريا(١)، من الممكن فعل المزيد في هذا الدرب لتوضيح الأعمال البديلة للعنف والتأكيد عليها وبالتالي إعادة توجيه طاقات أصحاب النوايا الحسنة بعيدًا عن القتال.

بعض أنظمة تسجيل الراغبين في الانضمام للمنظمات الإغاثية أو الأهلية يمكن أن يكون لها نشاط في التفريق بين المحاربين من غيرهم، فتجميع البيانات الدقيقة عن المقاتلين الأجانب وأنشطتهم في سوريا أمر مثبتة صعوبته ويمكن للدول بذل مزيد من الجهد في هذا الصدد عن طريق استجواب، سواء بطريقة مباشرة أو من خلال جهات اتصال مجتمعية مناسبة، العائدين حول خبراتهم هناك. وهذا من شأنه أن يضع سياقًا يمكن من خلاله الحكم علىٰ ما ينقله المقاتل الأجنبي عن أعماله هناك، فمن دون معرفة ماذا يعني أن يكون فرد ما عضوًا في جماعة معينة في مكان معين وزمن معين، يكون من الصعب تقدير التأثيرات المتطرفة التي تعرض لها المقاتل الأجنبي. لن

---

(١) لقد ساهم الاتحاد الأوروبي ب ٦.٢ مليارات دولار في المساعدات الإنسانية في سوريا حتىٰ مايو ٢٠١٤. والمساهمة من الولايات المتحدة تزيد علىٰ ٧.١ مليارات دولار.

يتعاون جميع المقاتلين مع مثل تلك البرامج، لكن مع الوقت، وإن تمت مشاركة المعلومات بين الدول، سينتج ذلك قاعدة بيانات مفيدة.

يمكن أن يستفاد في متابعة الخطر والتهديد الذي يمثله المقاتلون العائدون، وفي سياسات التعامل معه، من دراسة المقاتلين العائدين من معارك مشابهة، مثل أفغانستان، البلقان، العراق، مالي، الصومال واليمن. وبالرغم من أن سوريا لها ظروفها الخاصة، إلا أنه من المحتمل جدًّا أن نتعلم أمورًا نافعة من مثل تلك الدراسة.

في كل الحالات فإنَّ التحدي يتطلب تفاعلًا كليًا لنظام الحكم يشمل قطاعات تطبيق القانون والخدمات الأمنية مع الخدمات المجتمعية والسلطات المحلية، وأيضًا الجمعيات الأهلية، والقطاع الخاص والأفراد. يجب أن تنطلق السياسات من فهم المحفزات الأساسية للمقاتلين الأجانب على القتال في سوريا، وديناميكية ظاهرة وجودهم هناك، والضغط المجتمعي الذي يمارسونه.

خلاصة

مع وجود أكثر من ١٢٠٠٠ مقاتل أجنبي سافروا إلىٰ سوريا، يكون من السهل تخيل أن العالم سيواجه سنوات من الإرهاب كنتيجة لذلك. بحلول نهاية مايو ٢٠١٤، وقعت حادثتان في الدول الغربية اشترك فيهما مقاتلون سابقون، لكن ليس من الواضح إن كانت تجربتهم السابقة في سوريا عاملًا حاسمًا في تلكما الوقعتين[١]، وهناك أيضًا حادثة إطلاق نار في بلجيكا في مايو، يزعم تورط أحد العائدين فيها. من المتوقع أن يعود مقاتلون آخرون متطرفون للغاية، أو مصابون بصدمات نفسية أو كلاهما معًا وأن يمثلوا خطرًا، وحتىٰ إن كان عددهم أقل بكثير من نسبة واحد لتسعة التي وضعها توماس هيغهامر Thomas Hegghammer لتحول المقاتلين الأجانب الغربيين إلىٰ إرهابيين محليين في الفترة بين ١٩٩٠ و٢٠١٠[٢]، يظل العدد كبيرًا.

إنَّ كيفية تعامل المجتمع الدولي مع تلك التهديدات هي التي ستحدد مسار الإرهاب في السنوات القادمة. لن يكون ممكنًا أبدًا محو الإرهاب بالكامل، لكن جاذبيته كأداة سياسية سوف تتقلص بشكل أكثر يقينًا إن نمت قدرة المجتمعات التي يخرج منها الإرهابيون علىٰ التعامل معها. يمكن للحكومات ويتوجب عليها أن توضح الظروف التي توصل إلىٰ الإرهاب، لكن المجتمعات هي أفضل أماكن منعه. وهنا يكون من المهم أن يعمل قطاعا المجتمع معًا ضد التحدي الذي يضعه المقاتلون الأجانب في سوريا، وأن يفعلوا ذلك بنوع من العجلة.

---

(١) واحدة في فرنسا، وكان أحد مرتكبيها مقاتلًا أجنبيًا كانت له صلات مكثفة بإرهابيين قبل ذهابه إلىٰ سوريا، والأخرىٰ، في المملكة المتحدة، ويبدو أن صلتها بالحرب الأهلية بعيدة.

(٢) وجد هيغهامر أن ١٠٧ من بين ٩٤٥ مقاتلًا أجنبيًا عائدين اشتركوا في أعمال إرهابية في الفترة المذكورة:

http://hegghammer.com/_files/Hegghammer_-_Should_I_stay_or_should_I_go.pdf

★ إذا كان «لا يوجد حل عسكري» في العراق فما هو الحل غير العسكري؟[1]

وزير الخارجية جون كيري يتحدىٰ جميع القوىٰ الدبلوماسية في الجهد الرامي إلىٰ تعزيز تحالف دولي لمحاربة الدولة الإسلامية (ISIS أو ISIL)، ولكن سلسلة من المشاورات في أنقرة، القاهرة، جدة والجمعية العامة للأمم المتحدة -ناهيك عن مجلس الشيوخ الأمريكي- لا تضيف ما يصل إلىٰ جهد غير عسكري هو مطلوب «لتتحلل وفي النهاية تدمر» الدولة الإسلامية في العراق والشام ISIS. فمن الدبلوماسية دعم استخدام القوة. لوضع استراتيجية حقيقية، يجب أن تعكس الأدوار: العمل العسكري يجب أن يكون مصممًا لدعم الجهود الدبلوماسية والأهداف.

في حين أنه من المتأخر جدًّا أن يؤثر إلىٰ حد كبير نهج الحكومة الأمريكية لهذه الأزمة؛ فإنها توفر الفرصة لرسم كيف ستبدو مثل هذه الاستراتيجية.

قبل كل شيء، يجب أن تهدف إلىٰ تقويض «إرادة القتال» عند الخصم، وكما قال مؤخرًا ديفيد أغناطيوس في صحيفة واشنطن بوست؛ فإنَّ أجهزة الاستخبارات قد أخطأت باستمرار في حساب العامل. وأضاف «إننا نقلل من الفيتكونغ والفيتناميين الشماليين ونبالغ في تقدير إرادة الفيتناميين الجنوبيين. في هذه الحالة، فإننا نقلل من الدولة الإسلامية في العراق والشام ISIL ونبالغ في تقدير القدرة القتالية للجيش العراقي . . . إنها تتلخص في تنبؤ إرادة القتال، وهو متأرجح».

إلا أنه ليس مثل هذا متأرجح. الحكومات التي تديرها زمر التعامل الذاتي -سواء كانت فيتنام الجنوبية أو في العراق- لا تلهم إرادة القتال.

عندما بدل رئيس الوزراء، الذي دفعت التحذيرات المتكررة من القادة الأمريكيين إلىٰ ممارسته الفاسدة وطائفيته، محل الضباط المدربين تدريبًا جيدًا بالمقربين، فإن

---

(١) Defense One, (2015). If There Is 'No Military Solution' in Iraq, Where Is the Non-Military Solution?. [online] Available at: http://www.defenseone.com/ideas/2014/09/if-there-no-military-solution-iraq-where-non-military-solution/94769/?oref=search_chayes [Accessed 11 Feb. 2015].

انهيار القوة الأمنية يمكن التنبؤ به. عندما يتم تجريد أقلية الحكم السابقة ليس فقط من السلطة ولكن من الوصول إلىٰ السلطة أو الموارد أو الانتصاف من المظالم، أو حتىٰ الحماية من فرق الموت، فينبغي أن يكون استعدادها للقتال من أجل تلك الأمور أمرًا يمكن التنبؤ به.

بعد كل شيء، الدولة الإسلامية في العراق والشام لا تحارب وحدها في العراق. من دون دعم الآلاف من السنة، بما في ذلك قادة المجتمع المحلي وضباط الجيش المحنكون، فإن المتشددين لم يكونوا ليحققوا أبدًا ما لديهم.

لذلك يجب أن يكون العنصر الأول من الاستراتيجية هو تخصيص أصول استخباراتية كبيرة لمهمة فهم الدوافع وأسباب دفع المقاومة العنيفة إلىٰ بغداد، كيف كان يجري نزع هيكل الجيش في أعقاب الانسحاب الأمريكي؟ ما هي الأدوار الوظيفية في القبض علىٰ مصادر الدخل التي احتلت من خلالها شبكة أعضاء المالكي؟ كيف يتم تغيير هذا تحت قيادة العبادي؟ ما هي المظالم أو التطلعات التي تحفز معظم السنة؟

ثم، جنبًا إلىٰ جنب مع الجهود لثني الناس عن الانضمام إلىٰ المقاومة العنيفة، يجب أن يكون هناك جهد مواز لتعديل هياكل الحكومة العراقية الهجومية والممارسات التي تدفع بهم إلىٰ ذراعيها.

وكان الرئيس باراك أوباما محقًا في الامتناع عن تقديم الدعم العسكري الأمريكي إلىٰ بغداد طالما بقي رئيس الوزراء السابق نوري المالكي في السلطة، ولكن مجرد الإزالة لا يعالج مخاوف السنة. رئيس الوزراء الجديد حيدر العبادي -عضو سابق في دائرة المالكي الداخلية- ما زال عليه تعيين وزيري الدفاع والداخلية اللذين يتمتعان بالكفاءة، والقبول كذلك من قبل السنة والشيعة المتشددين والمنشطين حديثًا. وحتىٰ لو أنه خرج ببعض الأسماء؛ فإن تعيين اثنين من الأفراد لا يزال غير كاف. الأنظمة الفاسدة والمحاباة من أفغانستان إلىٰ سوريا وخارجها عادة ما تشارك في اختيار عدد قليل من أعضاء النخبة «خارج المجموعة» في شبكة المجموعة كوسيلة لإجبارهم علىٰ الفرار. السكان المتضررون -هذا النوع من الناس الذين ينضمون إلىٰ الحركات العنيفة- لا يزالون ساخطين.

وينبغي أن يكون العنصر الثاني والرئيس من الاستراتيجية الأمريكية لنشر كل من مواهب وطاقة كيري بالنيابة عن عملية جادة للتوصل إلىٰ إطار تسوية عراقية سياسية مستدامة. القضايا التي يتم تناولها من المرجح أن تشمل توزيع عائدات النفط، والحدود الداخلية والبنية وامتيازات القوات المسلحة. مصداقية هذه العملية وقوة التحالف الدولي الملتزمة بالرعاية؛ فإنها ستكون أكثر أهمية من نتيجة محددة قد تتحقق، علىٰ الأقل في البداية.

بدلًا من التركيز حصرًا علىٰ تملق حلفاء للانضمام إلىٰ عمل عسكري ضد الدولة الإسلامية في العراق والشام، ينبغي لكيري أن يحث البعض لرعاية واستضافة مثل هذه العملية. معظم الوسطاء الأكثر موهبة في العالم ليسوا أمريكان. وينبغي أن تكون جهود الولايات المتحدة الحركية مشروطة بقبول العبادي في العملية والمشاركة بحسن نية. الجنرال جون ألين، الذي يعرف زعماء السنة أفضل من أي شخص تقريبًا، ينبغي له العمل ليس فقط في حشده لمكافحة ميليشيات الدولة الإسلامية في العراق والشام ولكن أيضًا لتحديد المخاوف المعقولة وتجنيد المشاركين في هذه العملية.

أما بالنسبة إلىٰ إيران؛ فإنَّ قيمتها الحقيقية ليست في الانضمام إلىٰ الكفاح ضد جماعة سنية، مهما كانت شريرة. من المرجح أن تؤدي مشاركتها إلىٰ تأجيج المتطرفين السنة بتأجيج تصورهم الخاص للنقاء الديني المحاصر. الأصل الفريد لإيران هو تأثيرها الواضح علىٰ الشيعة في كل من العراق وسوريا. يجب علىٰ القيادة الإيرانية أن تفهم أن السلوك المتطرف السادي من جانب الرئيس السوري بشار الأسد والحكومة العراقية هو أمر خطير ليس فقط مع السنة المحليين، وربما إلىٰ الغرب، ولكن في نهاية المطاف إلىٰ إيران نفسها، وإذا كان الزعماء الإيرانيون يريدون استعادة المكانة الدولية التي يعتقدون أنهم يستحقونها، فيجب عليهم الاستفادة من نفوذها بطرق بناءة.

يتم وضع الولايات المتحدة بشكل فقير لهذه المحادثة مع الرئيس الإيراني حسن روحاني، ناهيك عن رجال الدين الذي يمتلكون الكثير من السلطة في طهران. ولكن قد يكون لحلفاء الولايات المتحدة الآخرين أو الأفراد قنوات أفضل.

يبدو أن أيا من هذه الإجراءات لن تكون علىٰ ورقة اللعب، وبدلًا من الحد من دوافع الانضمام إلىٰ الدولة الإسلامية في العراق والشام؛ فإنَّه يبدو أن خطة أمريكية متجهة لإضافتهم. المملكة العربية السعودية -التي يبغض العالم العربي نظامها- عضو له قصب السبق في الائتلاف. المناطق التي تسيطر عليها الدولة الإسلامية في العراق والشام والتي من المرجح أن تتعرض للقصف، هي مناطق يسيطر عليها بشكل كبير السنة من غير الدولة الإسلامية في العراق والشام. عندما يقتلون؛ فإن ولاء أبناء عمومتهم وآبائهم سيكون أقل عرضة للتحول إلىٰ بغداد. وأخيرًا، من خلال تجنيد تخالف واسع خلف العبادي، فإن واشنطن تخفض حافزًا له أن يؤلف مع العراقيين السنة.

في النهاية، من أجل مجتمع الاستخبارات، ووزير الخارجية وغيرهم من أجل ابتكار هذا النوع من النهج البديل المبين أعلاه وتمسكهم بذلك، يتعين علىٰ الرئيس المطالبة به ومن ثم تقديمه للشعب الأمريكي، ولكن علىٰ الرغم من اعترافه بغياب «استراتيجية تقلل من منابع التطرف، والحرب الدائمة ستثبت هزيمتها الذاتية» فما زال علىٰ أوباما القيام بذلك.

(٦)

ديناميكية الحرب الأهلية السورية

براين مايكل جنكيس

ترجمة: خالد بن مهدي



المحتويات



الملاحظات الرئيسة

★ لن تتمكَّنَ أيَّـةُ حكومةٍ في المستقبلِ القريبِ من السيطرةِ على ما كان يُعتبرُ الدولةَ السوريَّةَ الحديثةَ:

يبدو أنَّ قوات الأسد، وبفضل دعم خارجي، قد تمكنت من شلِّ أركان حركة ثورية متمزقة، غير أنَّ الأسد لن يتمكن من استعادة سلطته علىٰ البلاد.

تُسيطر قوات التمرد شكليًّا علىٰ المناطق التي انسحبت منها القوات الحكومية، ولكنَّهم هم أيضًا لن يتمكَّنُوا من فرض سيطرتهم في أرجاء سوريا حتىٰ وإن سقط الأسد.

★ لكونِهِ مُكبَّلًا بمخاوفِهِ من الانشقاقاتِ، يعتمدُ الأسدُ على وحداتِ الصفوةِ العلويَّةِ، وعلى قوةٍ ناريَّةٍ ساحقةٍ، وعلى الموالِينَ له من مُختلفِ الطوائفِ:

لقد أُجبِرت الحكومة بسبب نقص في القوة البشرية المتنقلة علىٰ مغادرة مساحات شاسعة من البلاد من أجل الدفاع عن مناطق استراتيجية، وربما هذا ما يُفسِّر التقدُّم المبدئي السريع لقوات التمرد.

رغم الانقسامات المبكرة في صفوف حركة التمرُّد المسلحة، فقد تمكَّنت قوات الأسد من الحفاظ علىٰ حجم مهم وعلىٰ الأفضلية علىٰ مستوىٰ القوة النارية مقارنة بالمتمردين.

لقد اعتمدت الاستراتيجية السورية في مكافحة التمرد علىٰ خبرة نظام الأسد في قمع تمرد الإخوان المسلمين ما بين عاميِّ (١٩٧٧-١٩٨٢م)، وعلىٰ العقيدة الروسية/ السوفياتية التي تطوَّرت خلال احتلال الاتحاد السوفياتي لأفغانستان والحربين التي خاضتهما روسيا ضد الشيشان.

لقد فرَّ ثلث السكان من البلاد أو تم تهجيرهم داخليًّا، ومع نهاية سنة (٢٠١٤م)،

يمكن لأكثر من نصف السكان أن يصبحوا لاجئين؛ وضعية مؤدية إلىٰ ظهور الإرهاب في المستقبل.

★ مِنَ المُرجَّح: أن تلعبَ الميليشياتُ المساندةُ للحكومةِ دورًا مُهيمنًا -بشكلٍ متزايدٍ- في الصراعِ:

تُعتبر المليشيات المحلية الآن «**أسلحة الدمار الشامل**» لسوريا، فمن خلال عملهم بعيدًا عن قوانين المعركة، يستطيع رجال المليشيات القيام بمجازر تحت أعين الرادار، ولكن هناك خطر من أنَّ هذه الميليشيات المحلية يمكن أن تنحدر لتصبح عصابات إجرامية، متسببة بذلك في مشكلة أمنية طويلة الأمد.

★ إنَّ تورُّطَ الداعمين الأجانبَ للأسدِ كان لأجلِ مصالِحِهِمُ الخاصَّةِ:

إنَّ سقوط الأسد سيُمثِّل ضربة استراتيجية لإيران، لن تخسر إيران حليفًا مهمًا في المنطقة فحسب، بل إنَّ قادتها يخشون أنَّ سقوط الأسد يمكن أن يلهم حركة محلية تهدف إلىٰ إسقاط الجمهورية الإسلامية نفسها.

إنَّ دوافع روسيا لدعم الأسد معقدة، وتشمل احترام تحالف طويل، والحفاظ علىٰ موضع استراتيجي، ودعاوىٰ امتلاك قوة عظمىٰ، تعارض روسيا التدخل الغربي من جهة المبدأ، كما أنَّ ميلها نحو الأقلية المسيحية وعداءها للمتشددين المسلمين متجذر بعمق.

لقد كان تدخُّل حزب الله بغرض حماية تحالفاته الاستراتيجية وطرق إمداداته بالأسلحة، فبفضل استفادتهم من الخبرة المكتسبة خلال سنوات من القتال في الحرب الأهلية اللبنانية والحربين ضدَّ إسرائيل، كان لمقاتلي حزب الله أهمية خاصة في جهود نظام الأسد.

★ إنَّ رغبةَ الأسدِ في تسليمِ أسلحتِهِ الكيميائيَّةِ لن تُنهِيَ الصراعَ، كما أنَّها لن تُضعِفَ قوةَ نظامِهِ:

إنَّ إزالة الأسلحة الكيميائية من سوريا لن يفيد شيئًا يُذكر في الحدِّ ممَّا يُرجَّح أن يصبح مواجهة طويلة ودامية.

يبدو أنَّ أيَّ أملٍ في أنَّ تخليص سوريا من أسلحتها الكيميائية سوف يُضعف الأسد وسيُؤدي إلىٰ زواله لاحقًا = لا أساس له من الصحة إلىٰ حدٍّ كبير، كما أنَّ فيه تجاهلًا للتأثير الهائل، الذي لا جدال فيه، للأسلحة التقليدية للأسد.

فمن خلال موافقته علىٰ التخلي عن أسلحته الكيميائية، يُحسِّن الأسد من فرص صموده خلال مهمات التنظيف الطويلة والمعقدة، أحيانًا، ينبغي للسحلية أن تفقد ذيلها لتعيش.

ستتطلب إزالة الترسانة الكيميائية السورية وقفًا مُؤقَّتًا لإطلاق النار، وقد يُمثِّل ذلك مشكلة للمتمردين أكثر من الحكومة التي تستفيد من غياب القتال.

إنَّ اتفاقًا عالميًّا يُبقي علىٰ الأسد في السلطة دون أسلحة كيميائية قد يكون أمرًا مرغوبًا فيه بالنسبة إلىٰ لداعمين الغربيين للمتمردين أكثر من بذل جهود متواصلة لطرده في حال عرضت هذه الجهود عملية نزع الترسانة الكيميائية للخطر.

★ لا يُمكنُ سحقُ المتمردينَ أبدًا، غيرَ أنَّهم يَعتمدونَ على غيرِهِم في إسقاطِ النظامِ:

يعكس التمرد كثيرًا من الانقسامات داخل العالم الإسلامي الأوسع؛ عالم متمزق وفي حرب مع نفسه. بفضل المساعدة الخارجية، تمكَّن خصوم الأسد من تحقيق انتصارات تكتيكية، غير أنَّهم ظلُّوا عاجزين عن ترتيب كلٍّ ذلك بغية تحقيق تغيير استراتيجيٍّ.

لقد شنَّ المتمردون حرب عصابات واسعة النطاق، إلَّا أنَّ أنشطتهم ظلَّت ذات صبغة محليَّة وغير منظمة بدلًا من أن تكون موجهة من خلال استراتيجية وطنية، بل ظلُّوا عاجزين عن الانتقال من مقاتلي حرب عصابات إلىٰ قوة ميدانية قادرة علىٰ تحدي القوات الحكومية في ساحة المعركة.

ينشط المتمردون محليًّا، ويتعاونون أحيانًا فيما بينهم، لكنَّهم يفتقرون للقدرة علىٰ التنقل وللخدمات اللوجستية للانتشار بعيدًا عن قواعدهم لأي مدة زمنية. إنَّ أيَّ تجمُّع للمتمردين سيكون عرضة للقوة النارية الحكومية الهائلة.

بإمكان المتمردين حيازة والاحتفاظ ببلدات صغيرة واختراق محيط المدن الكبيرة،

كما يُمكنهم شنُّ هجمات إرهابية مذهلة ليصرفوا الاهتمام قِبَلَهم، إلَّا أنَّ هذه الأعمال لوحدها لن تُؤدِّي إلىٰ إسقاط الأسد، فليس باستطاعة المتمردين إلَّا الأمل في خلق وضع لا يُحتمل، الذي إمَّا أن يحدث تغييرًا في النظام من الداخل أو أن يثير تدخلًا من الخارج.

إنَّ الحذر الأمريكي في توفير الدعم للمتمردين يعكس عدم يقين حول تطور الصراع، ومخاوف من إمكانية وقوع الأسلحة المتطورة في أيد الجهاديين الذين سيستخدمونها في هجمات إرهابية موجهة ضد الغرب.

★ سوفَ يُهيمِنُ الإسلامويُّونَ المتشدِّدُونَ -بشكلٍ مُتزايدٍ- على التمرُّدِ:

من خلال تجنيد المقاتلين الأجانب والانشقاقات عن مجموعات متمردة أخرىٰ، تسبب الدور المتنامي للمجموعات الجهادية في انقسام حركة التمرد، وتثبيط الغرب عن توفير دعم عسكري مهم، وبقدر ما يتواصل القتال؛ يزداد الخوف من أنَّ العناصر المتأثرة بالقاعدة سوف تتمكَّن من توحيد موقفها، ممَّا من شأنه أن يُوفِّر لهم معقلًا جديدًا لمواصلة حملة القاعدة الإرهابية ضد الغرب.

رغم مساندة القائد العام للقاعدة لفروعها السورية المحلية علىٰ منافسها ذي الذهنية الأكثر دموية، إلَّا أنَّ هناك توترًا بين القيادة العامة للقاعدة، وهي طليعة ثورية لا ترىٰ نفسها تستجيب إلَّا للرب، والفروع المحلية التي تهتم أكثر بالمحافظة علىٰ ولاء السكان المحليين. لقد ظلَّت جبهة القاعدة -علىٰ المدىٰ الطويل- محليَّة في كل عملياتها.

★ بسببِ غيابِ مصدرِ استفزازٍ كبيرٍ؛ فإنَّ التدخلَ العسكريَّ الغربيَّ لا يبدُو مُحتمَلًا:

إنَّ تحييد القوات السورية المسلحة لن يُنهي القتال، كما لا يُمكن للقوات الأجنبية المتدخلة التعويل علىٰ أيِّ جيش وطني سوري من أجل الدفاع عن النظام الداخلي.

إنَّ تسامح المجتمع الدولي في وجه الفظائع المرتكبة خلال الصراع السوري ليس واضحًا، ولقد أنتجت الصراعات الداخلية السابقة كوارث إنسانية دون التدخل الأجنبي.

لقد ورثت التجربة المرة في العراق وأفغانستان تثبيطًا للتدخل العسكري الغربي، بيد أنَّ هجمات إرهابية منطلقة من معاقل الجهاديين في سوريا قد تثير هجمات عسكرية ضدَّهم.

قد يضطر الدخلاء إلىٰ التعامل مع أجزاء سوريا، عوضًا عن التعامل من دولة سوريا.

★ لقدْ أَصبحتِ التيَّاراتُ الطائفيَّةُ الكامنةُ التي تُفرِّقُ البلادَ والمنطقةَ العِلَّةَ المركزيَّةَ (Central Pathology) للصراعِ السوريِّ، وهي التي ستعرقِلُ حلَّهُ:

تقوم الكيانات الطائفية ذات الولاءات المتجاوزة للحدود السورية بتعويض المؤسسات الوطنية السورية.

يتم تجنيد الميليشيات الشيعية ليس للقتال نيابة عن الأسد، وإنَّما للدفاع عن الأماكن الدينية الشيعية، ممَّا يُؤكِّد علىٰ الدافع الديني للقتال، مثل حزب الله، فقد يكونون مراعين لإيران أو لقادة شيعة خارج سوريا أكثر من مراعاتهم للأسد.

لقد تحوَّل ما بدأ كتمرُّد علىٰ نظام الأسد إلىٰ حرب وجودية طائفية، حيث لا يعتقد أحدٌ أنَّ بإمكانه البقاء في سوريا خاضعة لهيمنة خصومه.

بقدر ما يطول القتال بين السوريين؛ يصير القتال أكثر طائفية، وبقدر ما تشتدُّ وحشية القتال؛ تصير عمليات التطهير أكثر طائفية، وبقدر ما تتراكم أسباب الانتقام؛ تقلُّ إمكانية التوصل إلىٰ حلٍّ سياسيٍّ.

بينما يتم تجميع اللاجئين في جيوب طائفية؛ فإنَّ القتال سيصبح أكثر دفاعية، وأقلَّ سيولة: حرب بين حافَّتين.

يُمكن للجيوب الطائفية أن تصبح هي الحدود الواقعية، وبذلك تمحو بشكل فعَّال تلك الحدود التي رسمتها القوىٰ الاستعمارية منذ قرن خَلَا.

إنَّ الطبيعة الطائفية للصراع السوري يُمكن أن تتوسع في اتجاه مجتمعات الشتات.

★ إنَّ المؤسساتِ الوطنيَّةَ السوريَّةَ في تآكلٍ: إذ يتمُّ تعويضُها بولاءاتٍ محليَّةٍ وأجنبيَّةٍ:

تقوم الحرب الأهلية السورية بطحن المؤسسات الوطنية للدولة، بينما تهيئ الظروف الملائمة لاستمرار الصراع المحلي.

إذ لا تُمارس حكومة الأسد سيطرة مباشرة علىٰ حزب الله، كما أنَّ سيطرتها علىٰ المتطوعين الأجانب مجهولة، وقد تفقد سيطرتها علىٰ ميليشياتها.

رغم أنَّ الحكومة الوطنية سوف تظلُّ موجودة علىٰ الورق، إلَّا أنَّ المؤسسات الوطنية، بما في ذلك القوات المسلحة، سوف تنهار وتضمحل، ليحلَّ محلَّها خليط من كيانات محلية تحقق استقلالها بشكل متزايد.

★ مِنَ المُستبعدِ حصولُ تسويةٍ سياسيَّةٍ:

لقد غدت الحرب الأهلية السورية صراعًا وجوديًّا بالنسبة إلىٰ كل المعنيين. أرجح السيناريوهات صراع مسلح متواصل يستمر لسنوات عديدة.

فحتىٰ سقوط الأسد لن يُنهيَ القتال؛ إذ قد تستمر جميع العناصر في القتال، ومن المرجح أن يفعلوا ذلك.

إنَّ ارتكاب الفظائع في حقِّ المدنيين السُّنَّةِ يضمن ولاء القوات الأمنية للنظام، فمن غير المتوقع أن يصمد جنود الأسد ورجال الميليشيات التابعة له في ظلِّ أيِّ حكومة أخرىٰ، وسيستمرون في القتال حتىٰ إذا سقط الأسد.

في بعض الأحيان، يبدو أنَّ القوَّات المتحاربة داخل سوريا ومؤيِّديهم من الخارج أقلُ اهتمامًا بالمعركة الحاليَّة من اهتمامهم بمناوراتٍ لكسب بعض المواقع في فترة ما بعد الأسد، من خلال تأسيس لموطئ قدم لهم، والاستيلاء علىٰ الأراضي، وتعزيز المكاسب، وتخزين الأسلحة من أجل القتال المستمر.

فعلىٰ المدىٰ القريب: يتوجَّب علىٰ صانعي السياسات أن يفترضوا استمرار الصراع، وأن يسعوا في تخفيف نتائجه بدل اتباع سياسات تهدف إلىٰ تغيير النتيجة.

إنَّ محاولات الولايات المتحدة وحلفائها اعتماد سياسات متَّسقة قد تضطر في

بعض الأحيان إلىٰ الرضوخ لمناورات براجماتية.

★ يُمكنُ للحربِ الأهليَّةِ السوريَّةِ أنْ تَتطوَّرَ إلى حربٍ إقليميَّةٍ أوسع:

إنَّ هذا الصراع الذي طال أمده في سوريا يثير احتمال نشوب حرب إقليمية أوسع بين السنة والشيعة، وسوف تتواجه روسيا والولايات المتَّحدة عبر هذا الانقسام الطائفي.

لن تتضمَّن حرب إقليمية أوسع بالضَّرورة حربًا مفتوحة بين القوىٰ الإقليمية العظمىٰ (إيران، والعربية السعودية، وتركيا)، فالقوىٰ الإقليمية لن تتجوَّل في الصَّحراء، بدلًا من ذلك، يُمكن أن تكون حربًا علىٰ جبهات عديدة، وتوغلات عسكرية محدودة، وحرب عصابات مستمرة، وحملات إرهابية متعددة.

★ يُشكِّلُ المُقاتلُونَ الأجانبُ الَّذينَ يتدفَّقُونَ على سورِيًّا تهديدًا إرهابيًّا دوليًّا مُستقبليًّا:

يُعدُّ المقاتلون الأجانب في سوريا -بسبب قربهم وحجمهم- مشكلة أكبر بكثير من تلك التي شكَّلها الجيل السابق من الجنود العائدين من أفغانستان.

ليس جميع المتطوعين الأجانب الذين انضموا إلىٰ قوات التمرد السورية مصممين علىٰ القتال؛ إذ يبدو البعض كالجهاديين السيَّاح، يبتعدون عن المخاطر في حين يقومون بأخذ صور لأنفسهم مفتخرين أمام أصحابهم في الوطن عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ورغم ذلك، هناك قلق أنَّه بمجرَّد وصولهم إلىٰ سوريا، يمكن أن يُعاد توجيه المقاتلين الأجانب نحو القيام بأعمال إرهابية في الغرب، كُنْ علىٰ ذِكْرٍ أنَّ محمد عطاء جاء أصلًا للقتال في أفغانستان، ولكن وقع تجنيده من قبل تنظيم القاعدة لقيادة عملية (٩/١١).

★ يُواجِهُ السُّوريُّونَ مُستقبلًا مُظلمًا:

إنَّه من المستبعد التوصُّل إلىٰ تسوية سياسية تكفل للاجئين حقَّ العودة إلىٰ أوطانهم الأصلية، بل يبدو من الأرجح أنَّ إعادة التجميع وإعادة الاستيطان سوف تجعل من

الجيوب الإثنية والطائفية السورية الميزة الدائمة للمشهد، وهذا ما سيبطّئ انتعاش الاقتصاد السوري.

سيضيف اللاجؤون السوريون إلىٰ التوترات الطائفية في البلدان المجاورة، وسيمثلون خزانات لتجنيد أجيال جديدة من المقاتلين والمجرمين.

سوف نتعامل مع النفايات السامة للحرب الأهلية السورية لعقود من الزمن.

ديناميكية الحرب الأهلية السورية

ما عدىٰ كونها قصاصة ملونة علىٰ الخريطة، لم يعد لسوريًّا وجودٌ. لن تتمكَّن أيَّةُ حكومة -في المستقبل القريب- من السيطرة علىٰ ما كان يعتبر الدولة السورية الحديثة.

- إنَّ الحرب الأهلية السورية تدور حول ما إذا كان بشار الأسد سوف يستمرُّ في قيادة الحكومة السورية، غير أنَّ الحرب تعكس -بشكلٍ متزايدٍ- تيَّارات طائفية كامنة أوسع تفرِّق البلاد والمنطقة، هذه هي العلة المركزية (Central Pathology) للصراع السوري، وهي التي ستعرقل حلَّهُ.

- بعد ما يُناهز عن ثلاث سنوات من القتال، أكثر من (١٢٥,٠٠٠ نسمة)، من العدد الأصلي للسكان السوريين الذي يُقارب (٢٢ مليون) نسمة، لقوا حتفهم في الصراع، لقد فرَّ ثلث السكان من البلاد أو تمَّ تهجيرهم داخليًّا، ومع نهاية سنة (٢٠١٤م)، يُمكن أن يعيش أكثر من نصف السكان لاجئين، وهو وضع مُفضٍ إلىٰ ظهور الإرهاب في المستقبل[١].

- يبدو أنَّ قوات الأسد، وبفضل دعم من روسيا، وإيران، وحزب الله، والمتطوعين الشيعة من الخارج، قد تمكَّنت من شلِّ أركان حركة تمرد ممزقة، غير أنَّ الأسد لن يتمكَّن من استعادة سلطته علىٰ البلاد.

- في حين أنَّ حركة التمرد قد تنامت لتصل قوتها إلىٰ (١٠٠,٠٠٠)؛ فإنَّها تعكس العديد من الانقسامات داخل العالم الإسلامي الأوسع، عالم ممزق وفي حرب مع

---

(١) وفق الأمم المتحدة (UN)، فقد فرَّ أكثر من ٢,٢ مليون شخص من البلاد، بينما تم تهجير أكثر من (٤,٥ ملايين) آخرين داخليًّا. هذه الأرقام ترتفع بسرعة. وتتوقع الأمم المتحدة، نظرًا لاستمرار القتال، أنَّ أكثر من نصف سكان سوريا يمكن أن يصبحوا لاجئين وذلك مع نهاية سنة (٢٠١٤ م) (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، دون تاريخ).

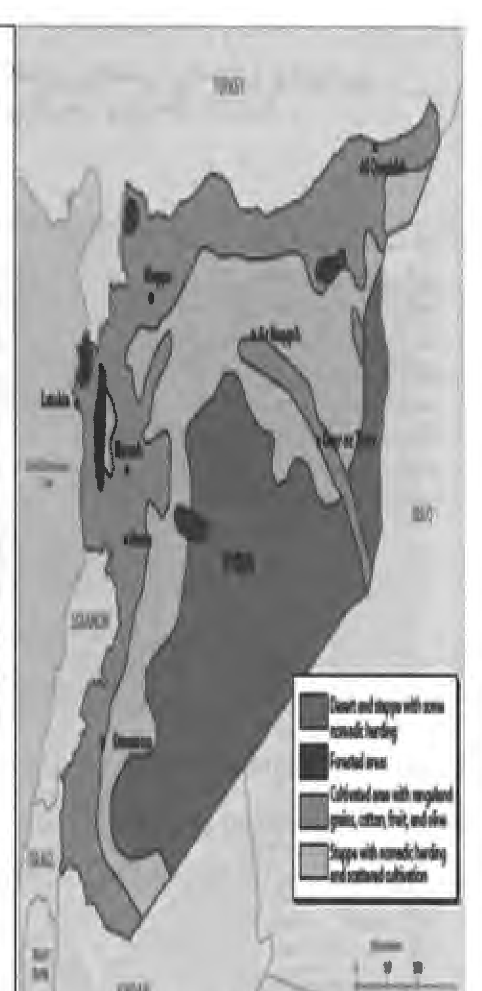
نفسه، تسيطر قوات المتمردين شكليًّا علىٰ المناطق التي انسحبت منها القوات الحكومية، ولكنَّهم لن يتمكنوا هم أيضا من فرض سيطرتهم في أرجاء سوريا.

- إنَّ تنامي دور العناصر الجهادية، مع تزايد أعدادهم خلال عمليات تجنيد المقاتلين الأجانب والانشقاقات في صفوف مجموعات متمرِّدة أخرىٰ، أدَّىٰ إلىٰ انقسام حركة التمرُّد وتثبيط الحكومات المعادية للأسد في الغرب عن توفير دعم عسكري مهم.

- باعتبار هذه الديناميكية؛ فإنَّه ليس هناك متغيرات ظاهرة للعبة، فالتدخل العسكري الأمريكي المباشر، والذي بدا -للحظة- مُحتملًا عِقِب استخدام الحكومة السورية للأسلحة الكيميائية، أو تجريد سوريا من تلك الأسلحة الكيميائية لن يُفيد شيئًا يذكر، إن أفاد شيئًا أصلًا، للحدِّ ممَّا يبدو أنَّه سيكون مواجهة طويلة ودامية، وقد تتطور لتصبح صراعًا إقليميًّا أوسع.

- إنَّ الوصول إلىٰ تسوية سياسية لا يبدو أمرًا مرجحًا.

الرسم (١): استخدام الأرض في سوريا.



- تُفهم هذه الخريطة التي تُبرز مَن يُسيطر على كُلّ جزء من سوريًا خلال الحرب الأهلية الحاليّة عند النظر إليها في ضوء خرائط أخرى.

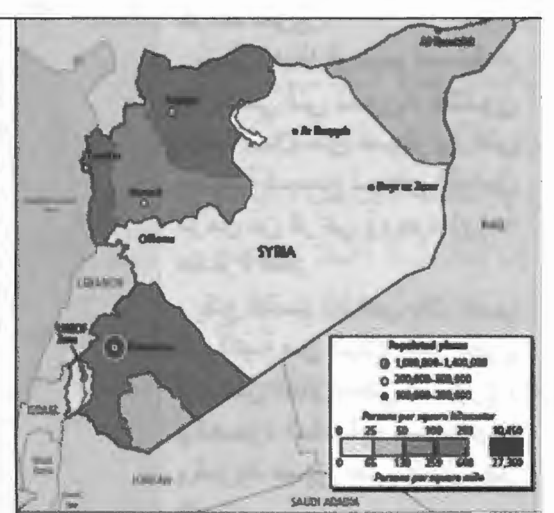
- يُبيّن هذا الرسم استخدام الأراضي في سوريًا، فتتكون أغلب البلاد من صحارٍ وأراضٍ سهليّةٍ تسمح لبعض القبائل الرُّحّل من الرعي ووجود زراعة متناثرة فقط.

- يقع القسم الخاصّ بالأراضي الزراعيّةِ من البلاد على طول الساحل المتوسطي السوري، والحدود الشمالية مع تركيا، وشريط ضيق على طول نهر الفرات.

الرسم (٢): السكان في سوريا.

صحارٍ وأراضٍ سَهلِيّة تشمل الرعي الرحل.	
مناطق غابات.	
أراضٍ زراعيّة ومراعي القمح، والقطن، والغلال، والزيتون.	
سهول تحتوي على الرعي الرحل وزراعة متناثرة.	

ليس من المستغرب أن يتركّز معظم السكان في المناطق الداعمة تاريخيًا للزراعة، وقد تركّز القتالُ في هذه المناطق الثلاثة: (ساحل البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الحدود الشمالية، والبلدات على طول نهر الفرات).



* **ملاحظة**: «الأماكن المأهولة بالسكان» "Populated places" وفق التقدير السكاني لسنة (١٩٨٩ م)، «عدد السكان لكل كيلومتر مربع/ميل» "Persons per square kilometer/mile" وفق بيانات تعداد سنة (١٩٨١م) التابع للمستوىٰ الأول من التقسيم الإداري.

⋆ مَا مَوْضُوعُ هَذَا الْمَقَالِ؟

يستكشف هذا المقال ديناميكية الصراع السوري: التيارات تحت السطح المتقلب للعناوين المحيرة، فهي تهدف إلىٰ تقديم تقدير للوضع دون أن تدَّعي القدرة علىٰ ملءالفراغات العديدة في ما نعرفه حول الظروف علىٰ أرض الواقع؛ إذ يُعتبر عدم اليقين في الحرب السورية أكثر من مجرَّد استثناء، بل يلقي بظلاله علىٰ كل تحليل ويلوِّن كل قرار متعلق بالسياسات.

ولقد استقيتُ الملاحظات المذكورة هنا من نقاشات مع مسؤولين حكوميين

ومُحلِّلين في الشرق الأوسط، وأوروبا، والولايات المتحدة، كما استفدتُ من التعليقات المفيدة للزملاء في (راند) وغيرهم[١]، ولكن تظلُّ هذه الورقة تقييمًا شخصيًّا مأخوذًا من تجربتي الخاصة والأبحاث على مدار السنين، ولكي أكون منصفًا للقارئ؛ فإنَّ التعليقات التي تُستمَدُّ من حدسي الخاصِّ، أو تخميني تمت الإشارة إليها على هذا النحو.

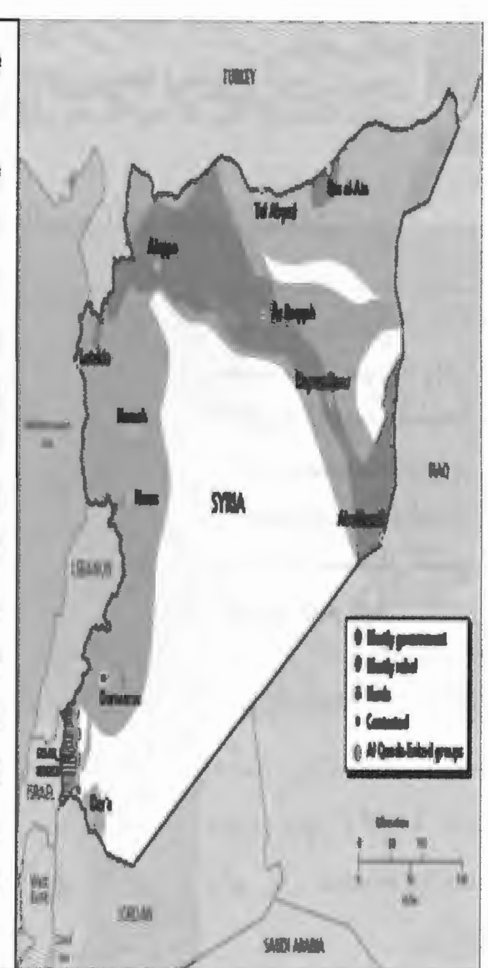
الرسم (٣): التوزع الإثنوطائفي للسكان.



(١) أنا مدين للزملاء في راند: كريس تشيفيز، وبروس هوفمان، وساث جونز، وداليا كاسا كاي، وأندرو ليبمان؛ وللقراء من الخارج: كانطا أحمد، ولورنس سانشاز، ورباكا واينر على تعاليقاتهم ونصائحهم المفيدة.

الرسم (٤): المتمردون في مواجهة السيطرة الحكومية، جوان/ حزيرن (٢٠١٣م).

يظهر الوضع في منتصف عام (٢٠١٣ م) تقريباً من يسيطر على أي جزء في سوريا. تهيمن الحكومة على مناطق العلويين، والشيعة، والمسيحيين، والدروز، والمناطق السنية المختلطة في الغرب، بينما يُسيطر المتمردون على جزءٍ كبير من الممر الممتد على طول نهر الفرات ومناطق في جنوب غرب البلاد. بينما كان الأكراد يدافعون على مناطقهم الخاصة في الشمال.



الْمُتَحَارِبُونَ

★ قوات الأسد.

الحالة الراهنة:

عند بداية الانتفاضة في سوريا، كانت الحكومة تمتلك إحدىٰ أعتىٰ القوات المسلحة في الشرق الأوسط؛ إذ تتجاوز قوتها الإجمالية (٣٠٠,٠٠٠)، بما في ذلك (٢٢٠,٠٠٠) في الجيش، و(٧٠,٠٠٠) آخرون في القوات الجوية وقيادة الدفاع الجوي، وهؤلاء كانوا مدعومين بـ(٣٥٠,٠٠٠) من جنود الاحتياط (تختلف الأعداد حسب المصدر)، إجماليًّا؛ فإنَّ التقديرات تُشير إلىٰ أنَّ الدولة -من الناحية النظرية- يمكنها استدعاء (١,٧ مليون) مقاتل[١].

لقد كان الجيش السوري مُسلَّحًا بشكلٍ جيِّدٍ، مع عدة آلاف دبابة قتال رئيسة، وأكثر من (٤,٠٠٠) ناقلة جنود مدرعة، كما كان لسلاح الجو أكثر من (٣٠٠) مقاتل وطائرة هجوم أرضي، بالإضافة إلىٰ (١٦٥) طائرة مروحية[٢].

رغم الانقسامات المبكرة في صفوف التمرُّد المسلح، فقد تمكَّنت قوات الأسد من الحفاظ علىٰ حجم مهم وعلىٰ أفضلية علىٰ مستوىٰ القوة النارية مقارنة بالمتمردين، لقد تمكَّنت قوات المتمردين من حيازة، والآن من السيطرة، علىٰ مناطق واسعة من البلاد، إلَّا أنَّ قوات الأسد لا تزال تحتفظ بدمشق، وجميع عواصم المحافظات، وقواعد الجيش الرئيسة.

---

(١) المعلومات حول نظام المعركة في سوريا متوفرة في عدة مصادر، بما في ذلك: Holliday, 2013a.
وانظر أيضا: IHS, Jane's، 2013 والمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية (International Institute for Strategic Studies), 2013.

(٢) Holliday, 2013a.

★ قُصُورٌ في نشرِها خلالَ الثورةِ:

بسبب خوفه من الانقسامات، لا يستطيع الأسد إلَّا أن ينشر ثلث قواته؛ والتي تتكون -في المقام الأول- من وحدات النخبة، بما في ذلك الفرقة المدرعة الرابعة، التي لعبت دورًا رئيسًا في قمع التمرُّد، والحرس الجمهوري، وأفواج القوات الخاصة المُتكوِّنة من الجنود العلويين المتمرسين بدلًا من المجندين السُّنَّة والتي تُدار بشكل حصري من قِبل ضباط مقربين من الرئيس[1]، أمَّا الوحدات المتبقية، والتي تتألَّف إلىٰ حدٍّ كبيرٍ من المُجنَّدين السُّنَّة، فلا تزال محتفظًا بها في الحاميات، وهناك تقارير حول احتجاز الكثير من الضباط في السجن.

إنَّ توزيع الأسلحة السوريَّةِ المتطوِّرة يعكس موثوقيَّة سياسيَّة؛ إذ تقوم القوات الموالية بقيادة الوحدات المدرعة، وبطاريات المدفعية، وأنظمة الصواريخ، والقوة الجوية، بما في ذلك الطائرات المروحية، في حين يشكل المجندون السُّنَّة الأقل موثوقية الجزء الأكبر من المشاة. تعتمد القوات الحكومية علىٰ القوة النارية الثقيلة لقمع التمرد، وهذا أيضًا متماهٍ مع العقيدة السوريَّة لمكافحة التمرُّد، ثم إنَّ الطائرات السورية، والطائرات المروحية، والعربات المدرعة سوف تتعرَّض للتلف جرَّاء الاستعمال المتواصل، الأمر الذي سيضطر الحكومة إلىٰ الاعتماد بشكل كبير علىٰ التموين الروسي، وحتىٰ في ذلك الوقت؛ فإنَّ الصيانة والمشاكل المتعلقة بالروح المعنوية سوف تنهك القوات النظامية السورية تدريجيًا.

باستثناء وحدات النخبة؛ فإنَّ معظم الجيش السوري يتكوَّن من المجندين، الذين

---

(١) العلويون هم، من الناحية التقنية، طائفة من المذهب الشيعي الإسلامي، مع أنَّهم لا يعدون أنهم من الشيعة، بينما يُعبرون طائفة خاصة من قبل مسلمين آخرين؛ بعض المسلمين يعتبرهم زنادقة (Heretics). ورغم أنَّهم يشكلون ما يقرب من (١١ %) من عدد السكان السوريين، إلَّا أنَّهم يسيطرون علىٰ النظام السياسي؛ فالأسد علوي. قرابة (٧٤ %) من السوريين هم من السنة. أما المسيحيون، الذين ينقسمون بدورهم إلىٰ مذاهب عدة، فيشكلون من (١٠ %) إلىٰ (١٢ %). يشكل الأكراد، بكونهم أقلية إثنية سنية، (٩ %)، ويشكل الدروز، بكونهم مجموعة إثنية دينية (An Ethno-Religious Group)، قرابة (٥ %). بالإضافة إلىٰ ذلك، هناك شيعة غير علويين، وتركمان، ويزيديون. وللحصول علىٰ مقدمة للتركيبة السكانية السورية المعقدة، انظر: Kessler, 1987.

يقضُّون -في العادة- ثلاثين شهرًا في الخدمة، ممَّا يعني أنَّ هؤلاء الجنود -عندما بدأ التمرد- كانوا قد قضَّوْا أكثر من فترة الخدمة المعتادة، وليس من المحتمل أن يتمَّ تسريحهم، لقد قلَّل التمرُّد من عدد السكان الخاضعين لسيطرة الحكومة، ممَّا سيحدُّ من وصولها إلىٰ مجندين جدد، فالمسألة ليست مجرَّد أرقام، إنَّما هي مسألة موثوقية. لقد أصبح ولاء المجندين السُّنَّة محلَّ ريب، قد يتمُّ صياغتهم بطريقة تمنع من انضمامهم إلىٰ المتمردين، ولكن لا يُمكن استخدامهم في المعركة.

لقد أجبِرت الحكومة بسبب نقص في القوة البشرية المتنقلة علىٰ مغادرة مساحات شاسعة من البلاد من أجل الدفاع عن مناطق استراتيجية، وربما هذا ما يُفسِّر التقدُّم المبدئي السريع لقوات التمرُّد، الأمر الذي لا يُمكن أن تحققه المعارك الكبرىٰ، وهذا ما أجبر النظام علىٰ طلب الدعم من الميليشيات المحلية والمحاربين الأجانب كالذين يوفرهم حزب الله.

يبدو من المرجح أن تلعب الميليشيات دورًا مهيمنًا -بشكل متزايد- في القتال؛ إذ بإمكانها حلُّ مشاكل القوة البشرية والروح المعنوية، كما يُمكن توظيفها لحماية الجيوب الموالية للحكومة، وطرد المتمردين ومؤيديهم من المناطق المتنازع عليها.

إنَّ استخدام الميليشيات المحلية يُمكِّن من استغلال الانقسامات الطائفية وتوفير فرص إضافية لتصفية الحسابات. يُمكن للميليشيات المحلية، بفضل عملها خارج قواعد الاشتباك والدعم الذي تتلقَّاه -عند الضرورة فقط- من قبل القوة الجوية أو المدفعية الحكومية، أن ترتكب مذابح تحت الرادار في حين يتعلَّل النظام بحجاب رقيق من الإنكار، غير أنَّ خطر الميليشيات المحلية يكمن في إمكانية تحولها بسهولة إلىٰ عصابات إجرامية، ممَّا من شأنه أن يخلق مشكلة أمنية طويلة الأمد. إنَّ هذا النوع من القتال يتسبب -كذلك- في تراكم أسباب الانتقام، الأمر الذي لا يُشكِّل مصدر قلق آنيٍّ لنظام يُقاتل من أجل بقائه.

هناك نوعان من الميليشيات في سوريًّا، تشابهت أسماؤها واختلفت أصولها، تعتبر الشبيحة (أي الأشباح) ميليشياتٍ مستَمَدَّة من العصابات الإجرامية المحلية التي تشارك في عمليات التهريب، وسرقة الآثار، وأنشطة إجرامية أخرىٰ، وباعتبار غالبيتهم العلوية، يقوم أقرباء الرئيس الأسد بقيادة الشبيحة، فيقاسمونهم الأرباح ويوفرون لهم

الحماية. هم -بشكل أساسي- بلطجية متعاقدون، ويشمل ذلك مساجين سابقين تم إطلاق سراحهم في مقابل ولائهم لنظام الأسد، والذين يُستخدمون الآن في تنفيذ هجمات وحشية ضدَّ المعارضين للحكومة.

النوع الثاني من الميليشيا هو جيش الشعب المنبثق من المنظمة الشعبية التابعة لحزب البعث، والذي أنشئ للدفاع عن المدن والأحياء الموالية خلال ثورة الإخوان المسلمين في أواخر السبعينيات. تم إحياء هذه «اللجان الشعبية»، كما يسمون أنفسهم، خلال الحرب الأهلية الحالية للدفاع عن معاقل العلويين، والمسيحيين، والدروز ضدَّ المتمردين، وحسب ما يُشاع؛ فإنَّه يجري تنظيمها، وتسليحها، وتدريبها من قبل الحرس الثوري الإسلامي الإيراني وحزب الله، وتُقدَّر قوتهم -حسب أحد التقارير- بنحو (٥٠,٠٠٠)[١].

إنَّ الميليشيات المحلية هي «**سلاح الدمار الشامل**» لسوريًا، فهي تخدم نفس الغرض الذي من أجله استخدم الأسد الأسلحة الكيميائية: بثُّ الرعب وطرد المدنيين الذين قد يدعمون المتمردين. بدعم من وحدات القوات الجوية والمدرعات، تقوم الميليشيات المحلية باستبدال جنود المشاة السُّنَّة، لقد أصبحت هي القوة الضاربة للنظام، من خلال اقتلاع المقاتلين المتمردين، وترويع أنصار المتمردين المشتبه بهم، وتنفيذ عمليات التطهير العرقي، ومع تحلحل المؤسسات الوطنية، صارت المليشيات هم الحماة المقدَّمين للجيوب التابعة للنظام. إنَّ دورهم في الفظائع المرتكبة في حق المدنيين السنة هو ما يضمن ولاءهم للنظام؛ إذ لا يمكنهم أن يتصوروا أنَّه باستطاعتهم البقاء في ظلِّ أيِّ حكومة أخرىٰ، وسيستمرون في القتال حتىٰ وإن سقط الأسد، وهذا ما يُقلِّل احتمال التسوية السياسية، كما أنَّ لتورِّط الميليشيات انعكاسات علىٰ أيِّ تدخل عسكري مستقبلي. إنَّ تحييد القوات المسلحة السورية لن ينهي القتال، كذلك لا يمكن للقوات المتدخِّلة الاعتماد علىٰ أي جيش وطني للمحافظة علىٰ النظام. بدلًا من ذلك، فستواجه القوات الأجنبية مجموعة من التشكيلات العسكرية المستقلة، وجماعات إجرامية.

---

(١) Anzalone, 2013: DeYoung and Warrick, 2013; Blanford, 2013.

⭑ الدَّعمُ الأجنبيُّ للأسدِ:

دون أن يردعها الخطاب الغربي بوجوب رحيل الأسد، قدَّمت روسيا وإيران المساعدة للأسد علنًا من خلال تزويده بالغطاء السياسي والمالي والدعم العسكري في منعطف حاسم عندما بدا وكأنَّ الفرصة سانحة لقوات المتمردين للاستيلاء علىٰ دمشق.

لقد كان قرارًا سهلًا بالنسبة إلىٰ حلفاء الأسد. إنَّ سقوط الأسد سيمثل ضربة استراتيجية لإيران، فليس فقط أنَّ إيران سوف تخسر حليفًا مهمًّا في المنطقة، بل إنَّ القادة الإيرانيين يخشون أن يشكل زوال الأسد مصدر إلهام لحركة محلية تهدف إلىٰ إسقاط الجمهورية الإسلامية، كما أنَّ سقوط الأسد سوف يمثل ضربة استراتيجية لحزب الله حليف إيران. في مقابل ذلك، فإنَّ بقاء الأسد سيزيد في هيبة إيران وحزب الله ونفوذهما في المنطقة.

ظلَّت روسيا حليف الأسد الصامد، إلَّا أنَّ دوافعها قد تكون أكثر تعقيدًا. يُعتبر الأسد الحليف الأخير المتبقي لروسيا في الشرق الأوسط، وهو أيضًا المستهلك الرئيس للأسلحة الروسية، والمستضيف للقاعدة البحرية الروسية الوحيدة في المياه الدافئة، رغم قيمتها الاستراتيجية المتواضعة، كما تتمسك روسيا بدعاوىٰ القوة العظمىٰ؛ إذ إنَّها تعارض التدخل العسكري الغربي من جهة المبدأ. إنَّ شعورها بالتقارب من الأقليات المسيحية وعداوتها للمتطرفين المسلمين، وهي الصورة التي عليها المتمردون السوريون، متجذرة بعمق.

وبالإضافة إلىٰ توفير الغطاء السياسي للأسد من خلال عرقلة قرارات مجلس الأمن الدولي التي من شأنها أن تدين الحكومة السورية بارتكابها عمليات قتل جماعي واستخدامها للأسلحة الكيميائية، فقد استمرت روسيا في شحن الإمدادات العسكرية للجيش السوري، بما في ذلك الطائرات المروحية، وأنظمة الدفاع الجوي، والوقود، كما وفرت مستشارين عسكريين لإدارة أنظمة الدفاع الجوي، ولتعليم ضباط الجيش السوري كيفية استخدام الأسلحة الروسية الأخرىٰ.

لقد تكفَّلت إيران بتوفير الدعم المالي وتدريب الميليشيات السورية، كما قامت بنشر عناصر من حرسها الثوري الإسلامي بصفتهم مستشارين، ويُقال بأنَّها تقوم بتجنيد متطوعين أجانب من الشيعة للقتال في سوريا.

★ **دورُ حزبِ اللهِ:**

لقد انضم حزب الله أيضًا إلىٰ صفِّ الأسد، وذلك بتحريض من إيران. تراوحت أعداد مقاتلي حزب الله في سوريا بين (٢,٠٠٠) إلىٰ (١٠,٠٠٠)، ومهما كان العدد الفعلي؛ فلا شكَّ أنَّ حزب الله يُوفِّر للجيش السوري قوة من مقاتلين أشداء مدربين ومسلحين بشكل جيد، فبفضل استفادتهم من الخبرة المكتسبة خلال سنوات من القتال في الحرب الأهلية اللبنانية والحربين ضدَّ إسرائيل، كان لمقاتلي حزب الله أهمية خاصة في مساعي النظام السوري لاستعادة السيطرة علىٰ المدن المهمة علىٰ طول الحدود اللبنانية مثل القصير.

غير أنَّ التدخل في الشأن السوري قد يجعل حزب الله في مأزق لما يسببه ذلك من استنزاف كبير لموارده وتركيزه، وتشويه لسمعته من خلال قتله لإخوانه المسلمين، تُشير التقارير الأخيرة إلىٰ أنَّ حزب الله ينسحب الآن تدريجيًّا، وسواء فعل ذلك لأنَّ مهمته، بعد أنَّ عزَّز القوات السورية وأمَّن خطوط إمداده عبر سوريا، قد اكتملت الآن إلىٰ حدٍّ كبير، باستثناء مواصلة تدريب الميليشيات السورية، أو أنَّ ذلك يعكس مخاوفه بشأن التهديدات المحتملة في لبنان، ليس الأمر واضحًا.

تقوم إيران كذلك بالمساعدة في حشد المتطوعين الشيعة من العراق ولبنان، فقد ظهر عدد من الميليشيات الشيعية في سوريا في صيف عام (٢٠١٣م)، وقد لعبت، منذ ذلك الحين، دورًا متصاعدًا في القتال معوِّضة وحدات المشاة السنية التابعة للأسد الموسومة بكونها أقلَّ موثوقية. إنَّ تجنيد الميليشيات الشيعية ليس للقتال نيابة عن الأسد، وإنَّما للدفاع عن الأماكن الدينية الشيعية في سوريا، الأمر الذي سيعمِّق مسألة الطائفية[١]، فعلىٰ الرغم من قلة المعلومات المتوفرة حول قيادتهم ومناطق سيطرتهم؛ فإنَّهم مثل حزب الله، قد يكونون مراعين للقادة الإيرانيين أو الشيعة في العراق أو لبنان أكثر من مراعاتهم للأسد، وهذا له انعكاسات علىٰ مستقبل سوريا؛ كيانات طائفية ذات ولاءات تتجاوز الحدود السورية هي التي تعوِّض المؤسسات الوطنية السورية.

---

(١) Smyth, 2013.

★ القوات المعارضة.

الجيش السوري الحرُّ:

بدلًا من حرب أهلية بين جهتين، أصبح القتال في سوريا مشهدًا للصراعات الداخلية. يضم «جيش» المتمردين أكثر من ألف وحدة مستقلة، وكثير منها تسمي أنفسها كتائب وألوية، إلَّا أنَّ هذه المصطلحات العسكرية لا تعني المنظمة أو القوة المعادلة لها، يتم تجميع هذه الوحدات المستقلة في كيانات أكبر علىٰ أساس الأيديولوجيا والولاء الشكلي لإحدىٰ الفصائل المتمردة الرئيسة، غير أنَّ أعدادهم وولاءاتهم لا تزال تتصف بالسيولة، فتتوحد الجماعات وتنقسم، وقد ينشق القادة من أجل تشكيل مجموعات جديدة، ومن ثَمَّ ينقل المقاتلون المتمردون ولاءهم من مجموعة إلىٰ أخرىٰ، وبالتالي؛ فإنَّ لقرار المتمردين بخوض معركة صلاحية محدودة.

يعتبر الجيش السوري الحر (FSA) مجموعة مظلية (Umbrella Group) لمنظمات قتالية، ويُمثِّله شكليًّا في الخارج الائتلاف الوطني السوري (SNC) الذي يضم الجيل الأول من المتمردين والذين تضاعف عددهم، مع انتشار التمرد واشتداد القتال، من خلال انشقاق عشرات الآلاف عن القوات المسلحة السورية. لقد كان العديد من المنشقين من المجندين السُّنة الذين عارضوا الهيمنة العلوية وربما حسبوا أنَّ النظام سوف يسقط بسرعة.

لقد انتهت الموجة الأولىٰ من عمليات الانشقاق (ذات الأغلبية السنية) عن الجيش، كما أنَّ عدد المنشقين عن القوات الحكومية -الآن- في تضاؤل. إنَّ أولئك الذين يرغبون في الانشقاق أو يُمكنهم أن ينشقوا إمَّا أنَّهم قد فعلوا ذلك أو أنَّهم قتلوا وهم يحاولون، وفي الوقت نفسه، يبدو أنَّ احتمالات بقاء النظام قد تحسَّنت، كما أنَّ الجهود المبذولة لضمان ولاء القوات المتبقية قد تنامت، وللمفارقة، قد تُمكِّن التكتيكات الحكومية الوحشية المتعمدة من تثبيط المزيد من الانشقاقات. إنَّ الانشقاق دائمًا ما يكون محفوفًا بالمخاطر، غير أنَّ الجنود السوريين الذي يفكرون في الانشقاق أصبحوا الآن يخشون القتل الفوري إذا ما ظهروا في معسكر للمتمردين، فما لم يكن هناك تغيير جذري في ساحة المعركة، فإنَّ قوات المتمردين تظلُّ مجبرة علىٰ الاعتماد علىٰ المقاتلين الأجانب والتجنيد في المناطق التي تحت سيطرتها.

ركزَّ الجيش السوري الحر بما يناهز عن (٥٠,٠٠٠) مقاتل منضوين شكليًّا تحت قيادته -تقريبًا نصف مجموع القوة المتمردة- علىٰ حملات حرب العصابات المنتشرة في كافة أنحاء البلاد والتي تركز علىٰ إضعاف قوات الأسد وبنيتها التحتية، غير أنَّ أنشطتها، عوض أن تكون خاضعة لاستراتجية وطنية، كانت ذات صبغة محلية وغير منسقة، فبعد ما يناهز عن ثلاث سنوات من القتال، تتراوح التقديرات المتعلقة بالأراضي السورية التي تسيطر عليها جميع القوىٰ المناهضة للأسد، بما في ذلك الأراضي التي تسيطر عليها القوات الكردية، بين (٦٠ %) إلىٰ (٧٠ %)، إلَّا أنَّ أقل من (٥٠ %) من السكان يُقدَّر أنَّهم تحت سيطرة المتمردين. (يقدم الرسم (٤) فكرة تقريبية حول مَن يُسيطر علىٰ ماذا، وذلك منذ جوان/ حزيران ٢٠١٣م).

يبدو أنَّ تزايد التأييد للقوات الحكومية من قبل حلفاء الأسد الروس والإيرانيين، إلىٰ جانب تزايد القتال الداخلي بين قوات المتمردين = قد أعطىٰ الأفضلية للحكومة السورية، في الوقت الحالي علىٰ الأقل، كما يبدو أنَّ الائتلاف الوطني السوري قد بدأ يفقد السيطرة علىٰ المنظمات الأكثر إسلامية، ففي أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣ انسحبت إحدىٰ عشرة منظمة إسلامية متمردة، بما في ذلك «**جبهة النصرة**» المتصلة بالقاعدة، وثلاث منظمات إسلامية قوية أكثر اعتدالًا والتي كانت -فيما مضىٰ- تابعة للجيش السوري الحر، من الائتلاف الوطني السوري، ونادت بمساعي موحَّدة ضمن «إطار إسلامي»[١]. تلت ذلك جولة أخرىٰ من الانشقاقات عن الائتلاف الوطني الحر من قبل وحدات متمردة أخرىٰ أقلَّ شأنًا، وذلك في شهر تشرين الأول/ أكتوبر[٢].

إنَّ المعارضة غير منظمة وغير قادرة علىٰ تشكيل حكومة وطنية مؤقتة ذات مصداقية للمناطق التي تسيطر عليها رغم أنَّ بعض الجماعات المتمردة قد أرست الماكينة من أجل حكومة محلية، كما أنَّ القتال المتزايد في صفوف المعارضة يضاعف عدد الصعوبات التي يواجهها المتمردون، لقد نشأ الانقسام الأكبر بين المكونات الأكثر علمانية في صفوف المعارضة، المتمثلة ميدانيًّا في الجيش السوري الحر، ومختلف الجماعات الجهادية، التي بعضها مرتبط مباشرة بتنظيم القاعدة. في الوقت ذاته؛ فإنَّ

---

(١) Lister, 2013b.

(٢) Roggio, 2013.

المنظمات السنية، التي كانت سابقا مرتبطة بالجيش السوري الحر، بدت أكثر ارتياحًا مع السلفيين الأكثر تشددًا أو مع الجهاديين، إلَّا أنِّي أشكُّ أنَّ تعاونهم مع أيٍّ من القوات المتمردة كان رهينًا بالوضع في أي لحظة، وفي الأثناء، تطور الشقاق بين الجيش السوري الحر والجهاديين إلىٰ أكثر من مجرد خلافات بين «شركاء في السلاح». إنَّ القتال بين الفصائل المتمردة في سوريا يذكرنا بالاقتتال الداخلي الذي أضعف المدافعين عن الجمهورية الإسبانية خلال الحرب الأهلية الإسبانية في الثلاثينيات.

في منتصف شهر أيلول/ سبتمبر تمكَّن مقاتلو الدولة الإسلامية في العراق والشام (ISIL) المرتبطون بالقاعدة من إخراج مقاتلي الجيش السوري الحر من بلدة إعزاز علىٰ الحدود التركية، وفي الآونة الأخيرة تصاعدت الاشتباكات بين الجيش السوري الحر و(ISIL) عندما حاول مقاتلو (ISIL) السيطرة علىٰ طرق الإمدادات الممتدَّة عبر المعابر الحدودية الرئيسة بين سوريا وتركيا.

لقد أفرزت حركة التمرد السورية انشقاقات من قبل مسئولين حكوميين رفيعي المستوىٰ، غير أنَّه ما من وحدة عسكرية غيرت موقعها؛ إذ من النادر أن يفعلوا ذلك إلَّا أن يكون انهيار النظام وشيكًا، يمتلك المتمردون وفرة من الأسلحة الصغيرة، ويمتلكون أيضًا بعض الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات، إلَّا أنَّهم يفتقرون إلىٰ الترسانة التي تخولهم تحدي تفوق القوات الحكومية من جهة التسليح. لقد استطاع المتمردون، بفضل المساعدة الخارجية، تحقيق انتصارات تكتيكية، ولكن إلىٰ الآن لم يتمكَّنوا من ترتيب كل ذلك بغية تحقيق تغيير استراتيجي للوضع.

★ مُنظماتٌ مُتمرِّدةٌ أُخرى:

تشمل الجبهة الإسلامية (الجبهة الإسلامية السورية سابقًا) عددًا من المنظمات، بما في ذلك: جيش الإسلام، وأحرار الشام، وصقور الشام، ولواء التوحيد، ولواء الحق، وأنصار الشام، وعدة كتائب وألوية أخرىٰ صغيرة. هذه المجموعات يُمكن أن تُوصف بكونها سلفيَّةً، أي: إنَّها تُؤمن بالتفسير الحرفي للقرآن، وترفض المفاهيم الغربية التي تضع الإنسان فوق الرب (مثل الديمقراطية)، وتُؤيِّد فرضًا صارمًا للقانون الإسلامي، أو الشريعة.

فهُم يعتبرون إسقاط الأسد مؤديًّا إلىٰ دولة إسلامية. ليس كُلُّ السلفيين يُسلِّمون بمفهوم الجهاد العنيف، غير أنَّ المتمردين السلفيين السوريين هم ملتزمون -بداهة- بالإطاحة العنيفة بنظام الأسد، ولكن لا يُمكن أن يُسموا جميعًا جهاديين؛ أي: إنَّهم لا يعتنقون جميعًا أيديولوجيا القاعدة المتعلقة بجهاد عالمي لا ينتهي ضد الكفار.

يسعىٰ أعضاء الجبهة الإسلامية إلىٰ تمييز أنفسهم عن الجماعات المرتبطة بالقاعدة في سوريا، آملين أن يتمكَّنوا من طمأنة المجتمع الدولي، ولكنَّهم في بعض الأحيان يتعاونون مع الجهاديين، كما يفعل الجيش السوري الحر، ومن ثمَّ؛ يعتبر البعضُ الجبهة الإسلامية معتدلة، غير أنَّ هذا لفظ نسبي، فمن بين المجموعات التي تُشكِّل الجبهة، يُوجد طيف من المعتقدات السلفية والمعتقدات الجهادية. وهذا ما يُميزهم عن الجيش السوري الحر، ولكن حتىٰ الجيش السوري الحر ليس علمانيًّا محضًا. يدعي البعض أنَّ الجبهة الإسلامية لها أكثر من (١٠٠,٠٠٠) مقاتل في الميدان، ولكن يبدو أنَّ هذا مبالغ فيه[١]؛ إذ إنَّ تقديرًا أكثر واقعية يضع الرقم عند (٤٥,٠٠٠)[٢]، ومع ذلك، يقع دفع المقاتلين المتمردين نحو الإسلاميين، الذين يمتلكون المال والأسلحة للقتال. كذلك يتوجه المقاتلون الأجانب أوَّلًا نحو المجموعات الإسلامية التي تَعِدُ بالحركة.

★ الأهميَّةُ المتنامِيةُ للجهاديِّينَ:

سوف يُهيمِنُ الإسلاميُّون المتشدِّدُون علىٰ التمرُّد بشكل مُتزايد، الأمر الذي سيعزز دعاية الحكومة السورية بأنَّ الحرب بينها وبين أرض جهادية وعرة. تمثل سوريا الفرصة الأفضل أمام تنظيم القاعدة لإثبات تواصل أهميته ولإنشاء قاعدة جديدة في الشرق الأوسط، فبقدر ما يستمر القتال، بقدر ما يزداد الخوف من أنَّ العناصر المتأثرة بالقاعدة سوف تتمكن من توحيد موقفها، ممَّا من شأنه أن يوفر لهم معقلًا جديدًا لمواصلة الأعمال الإرهابية ضد الغرب.

في الوقت الحالي، يبدو أنَّ الجهاديين قد أصبحوا رُوَّاد حركة التمرُّد. يعزو البعض

---

(١) Kayed, 2013.

(٢) "Leading Syrian Rebel Groups From New Islamic Front", 2013.

ذلك إلىٰ الدعم الخارجي الذي يتلقوّنه، في مقابل الدعم الغربي الحذر الذي يتلقَّاه المتمردون الأكثر علمانيَّة، ويعزو البعض الآخر ضراوة الجهاديين إلىٰ الحماس الأيديولوجي، في حين لا يزال آخرون يُؤكِّدون علىٰ أنَّ وسائل الإعلام الغربية الحريصة علىٰ الروايات المروعة عن الفظائع الجهادية، ولكنَّها غير قادرة علىٰ التحقق من الوقائع، تُبالغ في أهميتهم. قد تتظاهر بعض المجموعات المتمردة بكونها جهاديَّة فقط لأجل جذب الرعاة الخليجيين الأغنياء؛ المصدر الرئيس لتمويل المجموعات الجهادية[1]، وعليه؛ فمن العسير التوصل إلىٰ تقييم شامل.

هناك مجموعتان مرتبطتان بالقاعدة: جبهة النصرة و(ISIL). بدأت جبهة النصرة في الانتظام سنة (٢٠١١)، فمن خلال شِدَّة بأسها في أرض المعركة والعمليات الانتحارية المثيرة، تمكَّنت من استقطاب الدعم المالي والمجندين؛ لتصبح ما يعتبره الكثيرون أكثر القوات المتمردة فاعلية، بما يناهز عن (٥,٠٠٠) إلىٰ (٦,٠٠٠) مقاتل، ولقد عدَّتها الولايات المتحدة جماعة إرهابية.

تعتبر الدولة الإسلامية بالعراق والشام أحدث تجسيد لتنظيم القاعدة في العراق، والتي ظهرت بعد الغزو الأمريكي، فمنذ انسحاب الولايات المتحدة، تابعت المجموعة حملتها الإرهابية هناك، بينما وسَّعت منطقة عملياتها لتشمل سوريا. تظهر الدولة الإسلامية في العراق والشام (ISIL) كذلك باسم الدولة الإسلامية بالعراق وسوريا (ISIS). الشام تعني ببساطة «الشمال»، ممَّا يعكس وجهة المسلمين الفاتحين الأصليين الذين جاؤوا من شبه الجزيرة العربية في الجنوب، وهذا يتفق مع ممارسة القاعدة المعتادة في تسمية الجبهات تبعًا للمنطقة الجغرافية، وليس تبعا للدول الحديثة، إلَّا أنَّ الشام تشير أيضًا إلىٰ منطقة بلاد الشام (The Region Of Greater Syria) والتي تشمل الدول الحالية: سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين، وبطبيعة الحال، إسرائيل، وهذا يُعرب عن الطموح.

في أبريل عام (٢٠١٣م)، أعلن قائد (ISIL) دمج (ISIL) وجبهة النصرة، مُدَّعيًا أنَّ الأخير تمَّ إنشاؤه وتمويله من قبل (ISIL). قُوبل هذا التقرير برفض فوري من قبل زعيم النصرة، والذي من خلال تأكيده مجددًا علىٰ ولائه للزعيم العام لتنظيم القاعدة، أيمن

(١) Zisser, 2013.

الظواهري، حافظ علىٰ استقلال جماعته عن (ISIL). لقد حكم الظواهري لصالح النصرة، وبالتالي حصر امتيازات (ISIL) في العراق. رفض زعيم (ISIL) بدوره حكم الظواهري، وبالتالي تواصلت الخلافات بين فرعي القاعدة في سوريا، بوجود مقاتلين من كلا الجانبين يغيرون مواقعهم، بينما انحازت وجوه جهادية أخرىٰ في المنطقة في النقاش[1].

يقوم كُلٌّ من (ISIL) والنصرة بتوظيف الإرهاب، بيد أنَّ الخلاف بين المجموعتين قد يعكس خلافًا حول التكتيكات؛ إذ يمثل (ISIL) المتشددين الذي يفضلون العنف دون ضوابط، بينما تُصرُّ النصرة علىٰ عدم التفريط في الدعم الشعبي، وهذا يذكرنا بنزاع سابق بين الظواهري، الرجل الثاني في تنظيم القاعدة حينئذٍ، الذي انتقد أبا مصعب الزرقاوي، الذي كان في ذلك الوقت زعيم تنظيم القاعدة في العراق، حيث مثَّلت المذابح التي ارتكبها في حق إخوانه المسلمين تهديدا بإثارة ردة فعل مضادة ضد تنظيم القاعدة. رفض الزرقاوي حينئذٍ سلطة الظواهري، تمامًا كما يفعل زعيم (ISIL) اليوم. إنَّ تأييد (ISIL) للعنف غير المنضبط منحه ميزة تسمح له بجذب المقاتلين الأجانب.

في الوقت ذاته، يُبدي بعض المراقبين شكوكًا في كون كلٍّ من (ISIL) والنصرة يهتمان أكثر بتثبيت سيطرتهما علىٰ الأراضي السورية الشرقية أكثر من اهتمامهما بالإطاحة بالأسد، فكلاهما يتصرف مثل الكثير من مقاتلي حرب العصابات التقليديين (Classic Guerrillas)، حيث يُقال: إنَّهم يقومون بتسيير المدارس والمحاكم، وبتوفير المساعدة الاجتماعية للسكان في المناطق التي يسيطرون عليها، وهذه هي بذور الحكم. يُعَدُّ التلقين (Indoctrination) جزءًا من البرنامج، غير أنَّ العمل المدني يُمكن أن يكون كذلك استجابة لتكتيكات الحكومة في التدمير المتعمد للإمدادات الغذائية، والخدمات الطبية، وجميع الأنشطة الاقتصادية في المناطق التي يسيطر عليها المتمردون.

تُعتبر هذه أرضًا جديد بالنسبة إلىٰ تنظيم القاعدة، الذي يتمكن في العادة، بسبب تعصبه، من عزل السكان الخاضعين لسلطانه المؤقت. قد تشترك القيادة المركزية

---

(١) وقع وصف جذور الانقسام وتعقيداته بشكل مفصل في: Barfi, 2013.

للقاعدة وفروعها في سوريا في الهدف علىٰ المدىٰ الطويل المتعلق بتحكيم الشريعة في جميع أنحاء العالم، ولكن هناك توتر متأصِّل بين طليعة ثورية ملهمة دينيًّا والتي لا ترىٰ نفسها لا تستجيب إلَّا للرب وبين حركة تمرد محلية يجب عليها أن تحاول المحافظة علىٰ ولاء السكان المحليين.

من الممكن أن تتبع الجبهات المستقبلية لتنظيم القاعدة سبيل مجموعات مثل حماس وحزب الله، ويتحولوا إلىٰ مؤسسات سياسية أكثر تعقيدًا، في مقابل منظمات إرهابية محضة، وهذا ربما يجعل مواجهتهم صعبة من جهات عدة، لكنَّه سيفتح آفاقًا جديدة. هل يمكن للجهاديين أن ينفطموا عن الحملة الإرهابية العالمية للقاعدة؟ التاريخ يشير إلىٰ خلاف ذلك.

تقريبا لم تحافظ أيٌّ من فروع القاعدة علىٰ محليَّتها؛ إذ تفرض القيادة المركزية للمنظمة التمسك بخطها الاستراتيجي، كما تستقطب الفروع المحلية المقاتلين الأجانب الذين ليس لهم اهتمام كبير إلَّا بالقتال؛ إذ يأتي المتشددون ليهيمنوا. إنَّ الهجمات الموجهة ضدَّ القيادة والنكسات الميدانية التي سببها التدخل العسكري الأجنبي تثير دواعي الانتقام.

ما أهمية الجهاديين بالنسبة إلىٰ حركة التمرد؟ شهد وزير الخارجية الأمريكي جون كيري في الرابع من أيلول/ سبتمبر (٢٠١٣ م) أمام الكونغرس بأنَّ الجهاديين لا يهيمنون علىٰ قوات التمرد السورية، وأنَّهم لا يُمثِّلون أكثر من (١٥ %) إلىٰ (٢٥ %) من عدد المقاتلين المتمردين الذي يقدَّر به (١٠٠,٠٠٠)[١]، لقد وقع التشكيك في هذه الدعوىٰ حينها وتواصل ذلك إلىٰ الآن، فالبعض اختلف معه في الأرقام التي قدَّمها، في حين تساءل آخرون ما الفرق الذي يحدثه ذلك إذا بقيَ الجهاديون هم أشرس العناصر المتمردة وأحسنهم تنظيمًا بلا منازع.

قدَّرت دراسة جاين التي قُدمت في أيلول/ سبتمر عام (٢٠١٣ م) عدد الجهاديين بـ(١٠,٠٠٠)، ويشمل ذلك المقاتلين الأجانب، والمجموعات الداخلية المرتبطة بالقاعدة، بالإضافة إلىٰ ما بين (٣٠,٠٠٠) إلىٰ (٣٥,٠٠٠) من الإسلاميين المتشددين

(١) Hosenball and Stewart, 2013.

الذين يشتركون علىٰ الأقل مع بعض الأيديولوجيات الجهادية غير أنَّهم يركزون علىٰ الحرب الأهلية في سوريا أكثر من تركيزهم علىٰ الأجندة العالمية للقاعدة، وهذا من شأنه أن يضع قرابة نصف قوات المتمردين في المخيم السلفي/ الجهادي المتشدد[١]، وَفقًا للدراسة، تشمل القوات المتمردة أيضًا (٣٠,٠٠٠) من الإسلاميين الأكثر اعتدالًا، وبالتالي؛ لم يبقَ إلَّا (٢٥,٠٠٠) مرتبطون بالمجموعات الأكثر علمانية أو المجموعات الوطنية المحضة.

يكمُن التناقض بين وزارة الخارجية الأمريكية ودراسة جاين -بكل بساطة- في الاختلافات في تعيين من هو الجهادي، الأمر الذي يضيف طبقة أخرىٰ من التعقيدات لفهمنا لنظام المعركة عند المتمردين.

إنَّ معرفتنا بالنقاط الدقيقة المتعلقة بمعتقدات المتمردين مستمَدَّة من بياناتهم علىٰ المواقع الإلكترونية أو التي يتم تناقلها عبر منشوراتهم في مواقع التواصل الاجتماعي، فاللغة المستعملة في تصريحاتهم، وصورهم الجماعية مع الأعلام السوداء، وأدلة بصرية أخرىٰ، تُنبِّئنا بموضعها علىٰ الطيف الثيولوجي. لقد أصبح تفسير هذه الكتابة الجدراية (Graffiti)، المعروضة جميعها علىٰ العلن، حقلًا استخباراتيًّا جديدًا رائعًا.

★ الأكرادُ:

رغم أنَّ الأكراد، الذين يُشكِّلون ما يناهز عن (٩ %) من عدد السكان في سوريا، قد تعرَّضوا لمظالم لمدة طويلة من قبل حكومة الأسد، إلَّا أنَّهم كانوا بطيئين في الانضمام إلىٰ المقاومة، فلم تبدأ الاشتباكات المسلحة بين القوات الحكومية والمقاتلين الأكراد إلَّا في جوان/ يونيو (٢٠١٢ م)، وهذا ما أدَّىٰ إلىٰ انسحاب الوحدات الحكومية من بعض المناطق الكردية، إلَّا أنَّ القتال قد استمر في مناطق كردية أخرىٰ، ومنذ ذلك الحين، قاتلت وحدات حماية الشعب الكردية (YPG) للحفاظ علىٰ أراضيها ضد القوات الحكومية، ومتمردي الجيش السوري الحرِّ، وبشكل متزايد، ضد المقاتلين الجهاديين الذي أعلنوا أنَّ الأكراد قد خانوا الجهاد، ومع ذلك، هناك مكون كردي داخل الجبهة الإسلامية.

---

(١) Lister, 2013a.

يَعُدُّ الأكراد أنفسهم محايدين في الحرب الأهلية، فرغم وجود بعض المقاتلين الأكراد في الجيش السوري الحر، إلَّا أنَّ الأهداف الرئيسة للأكراد هي الدفاع عن النفس وتحقيق حكم ذاتي بعيد عن أي تدخل خارجي، سواء من قبل الحكومة السورية أو من قبل القوات المتمردة، وربما، في نهاية المطاف، الاستقلال الكردي؛ إذ قد تتوَّحد المعاقل الكردية في سوريا، التي تتعرض لضغط متواصل من قبل القوات الحكومية والجهاديين المتأثرين بالقاعدة، مع المناطق الكردية المستقلة في العراق بغية تحقيق دفاع مشترك (رغم أنَّه ليس من الواضح أنَّ الأكراد العراقيين والسوريين يتفقون مع بعضهم البعض، فقد ظلَّت الوحدة الكردية دائمًا بعيدة المنال)، وهذا بدوره قد يحيي فكرة كردستان، أمة كردية مستقلة، الأمر الذي تعارضه الحكومة التركية بشدة؛ لأنَّه يشجع الانفصاليين الأكراد في تركيا.

★ الدعم الأجنبي للمتمردين:

في الوقت الحالي، توفر العربية السعودية وقطر الأموال للمتمردين من أجل شراء الأسلحة، ولكن يُقال بأنَّ وحدات الجيش السوري الحر لا تزال تعاني نقصًا في الأموال والسلاح، فكما أشرنا سابقًا؛ فإنَّ الأطراف الخاصة المحافظة الداعمة في الخليج، والشام، ومن خارج المنطقة هم المصدر الأساسي لتمويل المجموعات الجهادية، كذلك تستفيد بعض المجموعات المتمردة من الأموال التي يتم جمعها في مجتمعات الشتات، كما يوجد هناك تقارير حول التمويل من خلال أنشطة إجرامية.

لقد تحرَّكت الولايات المتحدة بحذر شديد في توفير الدعم للمتمردين، فقد سمحت واشنطن بالمساعدات غير القاتلة، وبالمساعدات الإنسانية منذ وقت مبكر، ولكنَّها لم تنتقل إلىٰ توفير الأسلحة إلَّا بعد تَرَوٍّ وبطريقة سرية. يعكس هذا الحذر عدم يقين حول تطور الصراع ومخاوف من إمكانية وقوع الأسلحة المتطورة في أيدي الجهاديين الذين سيستخدمونها في هجمات إرهابية موجهة ضد الغرب. في جوان/ يونيو عام (٢٠١٣م)، أعلن البيت الأبيض أنَّه بعد قرار الحكومة السورية باستخدام الأسلحة الكيميائية بكميات صغيرة، فإنَّ الولايات المتحدة ستبدأ بتقديم «دعم عسكري» للعناصر المعتدلة ضمن قوات المعارضة السورية، ولأنَّ هذه كانت نتيجة بحث استخباراتي يسمح بتقديم مساعادت سرية؛ فإنَّه لم يتم الإعلان عن التفاصيل حول ما

سيتم إدراجه. كان الظنُّ أنَّ المساعدات اشتملت علىٰ دعم استخباراتي وعلىٰ مستوىٰ وسائل الاتصال، فضلا عن الأسلحة الخفيفة والذخيرة، وقد قِيل: إنَّ المساعدات الأمريكية لن تشمل، في البداية علىٰ الأقل، الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات، غير أنَّ مضادات الدبابات يمكن أن تأتي لاحقًا[1]. لقد واجه هذا الاحتمال مقاومة من قبل الكونغرس.

عقب صدور تقرير الأمم المتحدة الذي أكد استخدام غاز السارين في ٢١ أوت/ أغسطس في هجوم تسبب في وقوع خسائر فادحة في صفوف المدنيين، تنازلت إدارة أوباما عن أحكام قانون مراقبة تصدير الأسلحة (Arms Export Control Act)، وهو قانون فيدرالي يمنع تزويد الإرهابيين بالمال والأسلحة، مما من شأنه أن يفتح الباب لتزويد المعارضة السورية بالسلاح[2]، ورغم أنَّ هذا التنازل سيخلق سبيلًا لمساعدة المتمردين بشكل علنيٍّ، إلَّا أنَّ هناك ترددًا مستقرًّا في واشنطن وأغلب عواصم دول حلف الشمال الأطلسي (NATO) لتوفير أسلحة أكثر تطورًا، بسبب الدور المتنامي للعناصر الجهادية.

خلال فترة الاحتلال السوفياتي لأفغانستان، قامت الولايات المتحدة بتسليح المقاومة المحلية بمضادات الدبابات وصواريخ أرض -جو محمولة، ممَّا ساهم في الانسحاب النهائي للقوات السوفياتية، ولكن ذلك كان في الثمانينيات. لقد أصبح الخوف من الإرهاب، منذ ذلك الحين، عاملًا رئيسًا في التخطيط لكل الحروب؛ إذ يوجد هناك قلق بين الحكومات الغربية من أن تُستخدم هذه الأسلحة في هجومات إرهابية مستقبلية من قبل عناصر جهادية موالية للقاعدة، فعقب استيلاء المتمردين الإسلاميين علىٰ مستودعات الجيش السوري الحر، حيث تمَّ تخزين الأسلحة الممنوحة من قبل الولايات المتحدة، أعلنت الولايات المتحدة في ١١ كانون الثاني/ ديسمبر (٢٠١٣م) أنَّه سيكون هناك تعليق مؤقت للمساعدات غير القاتلة الممنوحة لحركة التمرد.

---

(١) Talev, Walcott, and Atlas, 2013.

(٢) The White House, 2013.

مَسِيرَةٌ لا مَفَرَّ مِنْهَا لِلأَحْدَاثِ

لقد وصلت الحرب الأهلية السورية إلىٰ طريق مسدود؛ إذ لا يُمكن لأيٍّ فصيل هزيمة الآخرين، ولكن هذا لا يفتح الطريق للتوصل إلىٰ تسوية سياسية، فحتىٰ سقوط الأسد لن يُنهي الصراع، بل يُمكن لجميع العناصر أن تواصل القتال، ومن المرجح أن تفعل ذلك بغية تحقيق أهدافها الخاصة. إنَّ ما بدأ كتمرد ضد نظام الأسد تمَّ تحويله عمدًا ليصبح حربًا طائفية وجودية؛ إذ لا يمكن لأحد منهم الصمود في سوريا بقيادة خصومهم؛ لذلك فحتىٰ سوريا نفسها لا يمكنها الصمود.

⋆ العقيدةُ السوريَّةُ لمكافحةِ التمرُّدِ:

لقد اعتمدت الاستراتيجية السورية في مكافحة التمرد علىٰ الخبرة السابقة لنظام الأسد في قمع تمرُّد الإخوان المسلمين ما بين (١٩٧٧-١٩٨٢م)، وعلىٰ العقيدة الروسية/ السوفياتية التي تطورت خلال احتلال الاتحاد السوفياتي لأفغانستان والحربين التي خاضتهما روسيا ضد الشيشان[١].

إنَّها لمقاربة قاسية تختلف بشكلٍ كبيرٍ عن العقيدة الغربية لمكافحة التمرد، التي تركز علىٰ حماية السكان وتجنب الخسائر في صفوف المدنيين والأضرار الجانبية، كل ذلك مقرونًا بمساعي لكسب قلوب وعقول الناس. تلك العقيدة تعكس حقيقة أنَّ حركات التمرد تلك في الأراضي البعيدة لا ينظر إليها علىٰ أنَّها تهديدات وجودية للحكومات الغربية. علاوة علىٰ ذلك؛ فإنَّ مثل هذه المهمات تأتي من المزالق المثقلة بالذنب الناشئ عن تاريخ استعماري أو تساؤلات حول شرعيتها.

يختلف تاريخ سوريا عن غيره، وكذا الدروس التي يستمدها النظام من تلك

---

(١) وقع وصف العقيدة السوفياتية في مكافحة التمرد بشكل مفصل في:
Russian General Staff, 2002.

التجربة، فقد توِّجت انتفاضة (١٩٨٢م) بحماة بخمس سنوات من حرب العصابات والاغتيالات الإرهابية، فعندما استولىٰ المتمردون الإسلاميون علىٰ مدينة حماة في المواجهة النهائية مع حكومة حافظ الأسد في عام (١٩٨٢م)، أغلقت القوات الحكومية المدينة وقصفتها بالمدفعية قبل أن ترسل مغاوير الجيش والجنود غير النظاميين التابعين لحزب البعث للتخلص من المقاومة. لقد استمرت العملية العسكرية ثلاثة أسابيع، حيث تمَّ سحق أحياء سكنية بكاملها وقتل آلاف المدنيين[١].

لقد نجحت الاستجابة السورية الوحشية، رغم ما لاقته من شجبٍ واسع النطاق من قبل المجتمع الدولي، في إخماد أي مقاومة أوسع في دمشق، حيث حالت دون وقوع فوضىٰ شبيهة تمامًا بما يحصل اليوم. إنَّ مربط الفرس الآن هو بقاء النظام؛ فإن لم يكن بالإمكان إنقاذ سوريا؛ فإنَّ أولئك الذين يُوالون الأسد سيلتزمون بحماية أنفسهم من الإبادة التي يعتقدون أنَّها ستكون مصيرًا لهم إذا انتصر المتمردون.

تميَّز الحملة السورية ضد التمرد بدفاع ثابت عن المراكز السكانية الرئيسة، والجيوب الطائفية، والقواعد العسكرية، وخطوط الاتصالات الاستراتيجية، وهذا ما تطلَّب انسحابهم من مناطق كبيرة من البلاد؛ إذ تظهر العمليات الهجومية في المناطق الرئيسية التي ينبغي للحكومة أن تحكم سيطرتها عليها قصفًا جويًّا ومدفعيًّا كثيفًا، تتلوها عمليات تطهير تقوم بها القوات الخاصة أو الميليشيات. إنَّها عمليات مدمرة وعشوائية.

تُستخدم القوات الجوية والمدفعية أيضًا في دكِّ المناطق التي لا تخضع لسيطرة الحكومة؛ إذ تتعمَّد استهداف المحاصيل، والمخابز (مصدر غذاء مهم للكثيرين)، والمستشفيات، وبذلك تدمر التجارة والبنية التحتية الداعمة للحياة. كان الهدف إجبار الناس علىٰ الخروج من مناطق المتمردين، وبالتالي يُحرمون من الدعم الشعبي. هذه التكتيكات تفسر العدد الضخم للاجئين.

يدعم العمليات العسكرية برنامجُ دعاية مكثف يصور المعارضين للنظام كإرهابيين، وجهود لنشر ثقافة سياسية تهدف إلىٰ ضمان الولاء المستمر للنظام. من المرجح أن

---

(١) تجد وصفًا مفصَّلًا لثورة الإخوان المسلمين والحصار علىٰ حماة في: Lefevre, 2013 وSeale, 1988. وانظر أيضًا: Van Dam, 2011.

تستغل هذه البرامج الانقسام الطائفي بشكل متزايد بدلًا من القضايا السياسية؛ فهي لن تُعنىٰ بشرعية الأسد، وإنَّما ستحذر من التهديد السني لبقاء العلويين والمسيحيين. (يُمارس الجهاديون نوعًا مماثلًا من التلقين (Indoctrination) في المدن التي يسيطرون عليها).

⋆ قصورُ المتمرِّدينَ:

لقد عجز المتمردون عن الانتقال من مقاتلي حرب عصابات إلىٰ قوة ميدانية قادرة علىٰ تحدي القوات الحكومية في ساحة المعركة. من المتصور أنَّهم يمكن أن يفعلوا ذلك في المستقبل البعيد، ولكنهم في الوقت الراهن يعانون من عدد من النقائص.

ليس هناك قيادة مركزية؛ إذ ليس بوسع القائد العسكري الصوري للتمرد إلَّا محاولة تنسيق الأنشطة حتىٰ بين تلك الوحدات التي تعترف شكليًّا بسلطته.

يزاول المتمردون نشاطًا محليًّا، ويتعاونون أحيانًا فيما بينهم، لكنَّهم يفتقرون للقدرة علىٰ التنقل وللخدمات اللوجستية للانتشار بعيدًا عن قواعدهم لأي مدة زمنية، فأي تجمُّع لقوات المتمردين يكون عرضة للقوات المدرعة والقوة الجوية الحكومية الساحقة. إنَّ التدفق المستمر للأسلحة الصغيرة والإمدادات المحدودة من أسلحة المشاة الأكثر تطورًا سيغير ذلك بشكل هامشي فقط.

يمكن للتدخل العسكري الخارجي (من خلال تدمير المطارات، وفرض منطقة حضر طيران) أن يُقلِّل من التقدُّم الذي تُوفِّره القوة الجوية الحكومية، غير أنَّ الحدَّ من تقدم القوات الحكومية علىٰ مستوىٰ القوات المدرعة والقوات المدفعية يتطلَّب حملة جوية أكثر طموحًا.

يُمكن للمتمردين حيازة والاحتفاظ بالبلدات الصغيرة، إلَّا أنَّهم أظهروا أنَّه بإمكانهم التسلُّل إلىٰ محيط المدن الكبرىٰ، ممَّا اضطر الحكومة إلىٰ استعمال الأسلحة الثقيلة والقوة الجوية لطردهم، متسبِّبة بذلك في خسائر كبيرة في صفوف المدنيين وأضرار جانبية، كما يُمكنهم شنُّ هجمات إرهابية مذهلة ليصرفوا الاهتمام قِبَلَهم وليظهروا عدم قدرة الحكومة علىٰ ضمان الأمن، ولكن من غير المرجح أن تُؤدِّي هذه الأعمال لوحدها إلىٰ إسقاط النظام، فليس باستطاعة المتمردين إلَّا الأمل في خلق

وضع لا يُحتمل، الذي إمَّا أن يحدث تغييرًا في النظام من الداخل أو أن يثير التدخل من الخارج.

⋆ الدولةُ تنهارُ:

لقد أصبحت الحرب الأهلية -بشكل متزايد- منافسة طائفية بين المتمردين السنة والعلويين المساندين للحكومة (إلىٰ جانب المسيحيين والشيعة)، في حين يدافع الأكراد والدروز عن أراضيهم، إنَّ التوترات الطائفية ليست بجديدة علىٰ سوريا، وإنَّما لها جذور عميقة في التاريخ الاستعماري وما قبل الاستعماري لسوريا. لقد أبقتها أربعين سنة من حكم الأسد الاستبدادي تحت السيطرة، بينما وفي الوقت نفسه اشتدَّ اعتماد النظام علىٰ قاعدته العلوية، ومن ثَمَّ وقع إقصاء كثير من الغالبية السورية السنية.

رغم أنَّ الحكومة الوطنية ستظلُّ موجودة علىٰ الورق، إلَّا أنَّ المؤسسات الوطنية، بما في ذلك القوات المسلحة، سوف تنهار وتضمحل، ليحلَّ محلها خليط من كيانات محلية تحقق استقلالها بشكل متزايد، بعضها موالٍ شكليًّا للحكومة المركزية، وبعضها معارض لها.

لقد أصبح الجيشُ الحرسَ البرتيوري العلوي (Alawite Praetorian Guard)[1] مع المدرعات، والمدفعية، والقوة الجوية؛ إذ لم يعد بإمكان الحكومة التجنيد في نصف

---

(١) «اللاتينية Cohors Praetoria، هم القوات المنزلية لأباطرة الرومان. وُجد Cohors Praetoria في القرن الثاني ق.م، ويعملون كحراس شخصيين للجنرالات الرومان. في عام ٢٧ ق.م، أنشأ الإمبراطور أوغسطس Augustus فيلقا دائما متكونا من تسعة Cohors متمركزين في أنحاء روما. وفي العام الثاني قبل الميلاد، عين اثنين من الحكام الفرسان equestrian prefects لقيادتهم، ولكن في عام ٢٣ م أصبح سيجانيس Sejanus حاكم طبريا Tiberius القوي قائدهم الوحيد. وقد قام بتركيزهم في ثكنات محصنة خارج أسوار روما، ممكِّنًا إياهم من نفوذ سياسي كبير.
وفي وقت لاحق، شاركوا بشكل عام في تعيين الأباطرة وكانوا المسؤولين عن تنصيب كلاوديوس Claudius (٤١)، واضطرابات ٦٨-٦٩، وإعدام قتلة دوميتيان Domitian (٩٧)، وقتل بارتيناكس Pertinax (١٩٣) وإيلاغبالوس Elagabalus (٢٢٢) وبالبينوس، وماكسيموس Balbinus and Maximus (٢٣٨). بينما قام سيبتيموس سيفيروس Septimius Severus في عام ١٩٣ بإعادة تنظيم الحرس وتجنيد أعضائها من الفيالق، قام قسطنطين الأول Constantine I بتسريحهم في عام ٣١٢».
المصدر: Encyclopedia Britannica. (المترجم).

البلاد -وبخاصة في المناطق السنية- التي لم تعد تحت سيطرتها. يمكن للتجنيد أن يستمر في المناطق العلوية، التي لديها ما يكفي من القوة البشرية للحفاظ علىٰ جيش سوري كبير الحجم، كما تستفيد الحكومة من مقاتلي حزب الله وعدد مجهول من المتطوعين الشيعة الأجانب، ومع ذلك؛ فإنَّ حكومة الأسد لا تمارس رقابة عملياتية مباشرة علىٰ حزب الله، وسيطرتها علىٰ المقاتلين الأجانب غير معروفة؛ إذ قد تفقد السيطرة علىٰ مليشياتها.

ومع إعادة تجميع اللاجئين في جيوب طائفية، ممَّا يقوض المشاعر والمؤسسات الوطنية بشكل أكبر؛ فإنَّ القتال سيكون أكثر دفاعية، وأقلَّ سيولة، وسوف تصبح الحرب حرب جهات، يُعنىٰ فيها أكثر بحماية السكان، رغم أنَّ القوة الجوية والمدفعية الحكومية سوف تظلُّ قادرة علىٰ جعل الحياة الطبيعية لا تحتمل في المناطق الخارجة عن سيطرتها، أمَّا الميليشيات الحكومية؛ فإنَّها سوف تخوض معظم القتال علىٰ الأرض، وسوف تقوم بعمليات تطهير عرقي في مناطق سيطرتها، ومع ذلك؛ فإنَّ هذه الميليشيات لن تستطيع الاختراق عميقًا أو المحافظة علىٰ سيطرتها علىٰ المعاقل السنية.

مُتَغَيِّـرَاتُ اللُّعْبَةِ الْـمُحْتَمَلَةُ

بالإضافة إلىٰ الدينامكية الداخلية والخارجية للصراع؛ فإنَّ هناك عوامل ومتغيرات تساهم في تعقيد أيِّ تكهُّن بخصوص مساره المستقبلي أو احتمال حلٍّ واقعيٍّ، إمَّا علىٰ المدىٰ القريب أو البعيد.

⋆ التَّدَخُّلُ العسكريُّ الأجنبيُّ:

يُمكن للتدخل العسكري الأمريكي، مع مشاركة محتَملة من قبل حلف الشمال الأطلسي (NATO) (أو علىٰ الأقل من قِبل المملكة المتحدة وفرنسا)، أن يُغيِّر مجرىٰ الأحداث لفائدة المتمردين، غير أنَّ دينامكية الدعم الأجنبي للأسد، مقرونة بالشقاق، أو -في بعض الأحيان- بالصراع المباشر في صفوف المتمردين تشير إلىٰ أنَّ إمكانية انتهاء القتال في سوريا شبه معدومة.

علاوة علىٰ ذلك، يبدو أنَّه من غير المرجح أن ترغب القوات الأجنبية في القيام بالاستثمار اللازم للقوة العسكرية لطرد الأسد، بل الأرجح أنَّ أيَّ حملة عسكرية أجنبية سوف تركز علىٰ الحدِّ من قوته الجوية، بما في ذلك المروحية الحربية، وعلىٰ تدمير الوحدات المدفعية للحكومة السورية. وعليه؛ فإنَّ كل هذا سوف يساهم في تكافؤ نسبي للفرص علىٰ أرض المعركة وسيحقق الإصرار الغربي (المدعوم عربيًّا) علىٰ وجوب رحيل الأسد. إنَّ مثل هذه الحركة يمكن بدورها أن تضعف معنويات أولئك الذي يلتفون حول الأسد، وأن تزيد من فرص الإطاحة به من داخل معسكره؛ رغم أنَّ هذه ورقة جامحة.

لقد نافح بعض الأشخاص في الولايات المتحدة عن هذه المقاربة، لاسيَّما السيناتور جون ماكاين، وكذلك بعض الأشخاص في أوروبا بما فيهم فرونسوا هايزبورغ، المستشار السابق لدىٰ وزارة الدفاع الفرنسية ورئيس المعهد العالمي

للدراسات الاستراتيجية بلندن، الذي صرَّح بأنَّه لن يكون «إعلانًا للحرب . . . وليس تحالفًا عالميًّا يدخل سوريا للإطاحة بالأسد». سوف تكون «عملية سريعة جدًّا، يوم أو يومان وسينتهي الأمر»[١]، ولكن هل ستثبت العملية العسكرية أنَّ الأمر بتلك السهولة، يبقىٰ هذا أمرًا مشكوكًا فيه.

من دون شكٍّ سوف يناقش المؤرخون في المستقبل فكرة أنَّه ربما لو كان دور الولايات المتحدة أقلَّ احتشامًا، من خلال توفير الأسلحة المناسبة وتقديم المساعدة للمتمردين بطرق أخرىٰ منذ بداية الصراع، وقبل اكتساب الجهاديين مَنْعَةً؛ لتمكنت من الحفاظ علىٰ هيمنة الديمقراطيين العلمانيين وسرَّعت عملية إسقاط الأسد، إلَّا أنَّ حركة التمرد وجدت الوقت الكافي لأجل إعادة التنظيم، ومن ثَمَّ ظهر الإسلاميون المتطرفون علىٰ المشهد بسرعة، فقد تضمَّنت الحركة كذلك بعض الإسلاميين المتعصبين منذ البداية، بالإضافة إلىٰ ذلك فحتىٰ لو انتصر المتمردون انتصارًا حازمًا، فلن يُؤدِّي بالضرورة إلىٰ إنهاء المقاومة المسلحة من قبل العلويين الأشداء والمسيحيين اليائسين، وبالتالي؛ فإنَّ أيَّ دعم للمتمردين حتىٰ وإن أدَّىٰ إلىٰ إزاحة الأسد في الحاضر أو في المستقبل فإنَّه لن يُنهيَ الصراع، بل من المرجَّح أنَّه سيُؤسس لمرحلة انتقالية طويلة المدىٰ من مهمات مقاومة التمرُّد ومقاومة الإرهاب.

بالإضافة إلىٰ ذلك؛ فإنَّ عددًا من العوامل والمتغيرات والأمور المجهولة تُعقِّد نجاح تدخُّل الولايات المتحدة؛ إذ يتميَّز هذا الصِّراع بسرعة الأحداث، وتعقيد التيَّارات المتقاطعة، وأعداد غير مؤكدة، ومرونة الولاءات، وبالتالي؛ فإنَّ قدرة الجهات الخارجية علىٰ فهم التطورات، فضلًا عن التأثير فيها، محدودة جدًّا، فحتىٰ مع الاهتمام العالمي المنصبِّ علىٰ سوريا، من خلال حضور مراقبي الأمم المتحدة، وتركيز جميع الأقمار الصناعية -التابعة لنا والأقمار الصناعية الروسية والإسرائيلية- علىٰ هذه الدولة الصغيرة نسبيًّا، لا يزال هناك الكثير ممَّا نجهله عن الوضع هناك:

- لماذا اتَّخذت الحكومة القرار الذي اتَّخذته؟

- ما أساس الولاء المتواصل للنظام بغض النظر عن العداء الطائفي والخوف المتزايد؟

---

(١) Walt, 2013.

- ما الحجم الحقيقي لقوة الجهاديين؟

إنَّ التقييمات المستنيرة تتطلب معرفة محلية مُفصَّلة، والتي لا يُمكن الظفر بها إلَّا من خلال دخول البلاد في حد ذاتها، لقد كان للولايات المتحدة في كلٍّ من أفغانستان والعراق آلاف الأفراد علىٰ الأرض، وقد كانت ملاحظاتهم مدعومة بشكل مباشر بشبكة أوسع من العملاء المحليين الذين ما كانوا ليرغبوا في توفير المعلومات لو لم يكن الأمريكيون متواجدين هناك، ولكن ليس هناك حضور مماثل في سوريا.

فبسبب ديناميكية الوضع؛ فإنَّ عمر هذه التقييمات لا يطول كثيرًا، فقد لا يستمر ترتيب المعركة بالنسبة إلىٰ اللمتمرِّدين مدة يوم واحد، وبالتالي؛ فليس من المفاجئ أن يَثبت خطأ كلٍّ من التوقعات السابقة المبنية علىٰ خبرات إقليمية، والفرضيات المبنية علىٰ الوقائع، فقبل أقل من عامين، كان الاتفاق قائمًا علىٰ أنَّ أيام الأسد كانت معدودة؛ إذ لم يتوقَّع أحد أن يبقىٰ في السلطة كل هذا الوقت؛ ويبدو أنَّه يزداد قوة الآن، غير أن ذلك قد يتغيَّر سريعًا، بل حتىٰ المتورطين مباشرة لا يعلمون ما قد يحدث في المستقبل.

وأخيرًا؛ فإنَّ التاريخ يشير إلىٰ أنَّ التدخل العسكري الأجنبي لا يُمكِّن من خلع الحكام المستبدين المتورطين في أعمال بلطجة. لقد شنَّت الولايات المتحدة هجمات جوية محسوبة علىٰ كلٍّ من ليبيا وإيران والعراق وصربيا والسودان وأفغانستان كردة فعل علىٰ هجمات إرهابية أو من أجل البرهنة علىٰ شدة البأس الأمريكي، وأحيانًا بهدف تسريع تغيير النظام، رغم أنَّ حملات حلف الشمال الأطلسي (NATO) الجوية قد ساهمت في الإطاحة بالحاكم الليبي سنة (٢٠١١م)، إلَّا أنَّه من النادر أن تتمكَّن الهجمات الجراحية من الإطاحة بنظام مستعد للقتال؛ لأنَّ ذلك يتطلب استثمارًا عسكريًّا أكبر[١]، فقد تتمكَّن الولايات المتحدة من الحدِّ من التفوق العسكري للأسد، لكنَّ ذلك يتطلَّب تعهدات عسكرية كبيرة مع احتمال نشوب قتال عنيف من أجل تغيير النظام في سوريا، بل إنَّ عددًا كبيرًا من قوات المتمرِّدين تعارض ذلك.

إنَّه من غير المرجح أن تثير مذبحة ذات وتيرة بطيئة التدخل العسكري الخارجي،

---

(١) Jenkins. ٢٠١٣ ،

فقد أدخلت مشاهد قتل المسلمين والعرب بعضهم بعضًا، والتي لا يبدو أنها سوف تنتهي، الوهن علىٰ الغضب الأخلاقي العالمي؛ إذ إنَّ التدخل الأجنبي يتطلب شيئًا أكثر ظهورًا وأكثر درامية من هجمات ٢١أوت/ أغسطس الكيميائية، غير أنَّ الاستيلاء علىٰ الأسلحة الكيميائية من قبل أيٍّ من المجموعات الجهادية أو من قبل حزب الله، الذي ربما قد يرغب في الحصول عليها، يمكن أن يثير أزمة عالمية ويزيد في إمكانية وقوع عمل عسكري أجنبي.

يزعم بعض المراقبين في الولايات المتحدة وفي الخارج أنَّه لو كان هناك حاجة وقضية عادلة للتدخل الدولي؛ فإنَّها ستكون هذه هي، ولكن من الواضح أنَّ ذكريات الإبادة الجماعية في رواندا تطفو بظلالها علىٰ هذا النقاش، غير أنَّ تسامح المجتمع الدولي تجاه الفظائع التي تُرتكب في الصراع السوري لا يبدو واضحًا، لقد تسببت الصراعات الداخلية في كوارث إنسانية دون التدخل الأجنبي، فقد وقف العالم مُتفرِّجًا علىٰ الإبادة الجماعية في كمبوديا، حيث تم قتل ما يقارب علىٰ (١,٧ مليون) شخص علىٰ مدىٰ (٤ سنوات)، أمَّا في رواندا؛ فقد تم قتل أكثر من نصف مليون شخص في مدة مائة يوم، كما قامت المليشيات الحكومية بقتل (٣٠٠,٠٠٠) شخص في دارفور سنة (٢٠٠٣م).

أمَّا الصراع السوري؛ فإنَّه بأي حالٍ لا يُداني ذلك القدر من المذابح، غير أنَّ القتال المستمرَّ علىٰ مدىٰ السنوات القليلة القادمة قد يتسبب في ارتفاع أعداد القتلىٰ إلىٰ مئات الآلاف، ولكن يصعب جدًّا إثارة أيِّ تحرُّك دولي ضد مجازر ذات حركة بطيئة، إلَّا أنَّه يمكن الدفع بالمجتمع الدولي إلىٰ التحرك من خلال حدث أكثر تركيزًا، أي ما يعادل مجزرة حماة أخرىٰ، بشرط أن تتم تغطيته بشكل جيد من قبل وسائل الإعلام العالمية، رغم أنه لم تكن هناك استجابة مماثلة سنة (١٩٨٢م)، وباعتبار حالة الحرب الأهلية السورية المتواصلة، وخاصة إذا تمَّت المذابح عن طريق الميليشيات، وليس عن طريق الصواريخ، وبالتالي؛ فإنَّ عدد القتلىٰ لن يكون فوريًّا أو ظاهرًا جليًّا؛ فإنَّ ذلك قد يُنظر إليه علىٰ أنَّه حدث مأساوي إلَّا أنَّه ليس سببًا لإعلان الحرب، وبالتالي؛ فقد يبدو أنَّ الأسد يميل إلىٰ اجتناب مثل هذه الاستفزازات إلَّا أنَّ استعماله للأسلحة الكيميائية يفرض الحذر في الخوض في مثل هذه التوقعات.

باعتبار الخبرة الأمريكية في التدخلات العسكرية الأخيرة، وخطر الإرهاب المستمر، وجميع المعلومات التي لديها عمَّا قد يتطلبه الأمر من الإعداد والتأكد من أنَّه إذا -أو متىٰ- تمَّت الإطاحة بالأسد؛ فإنَّ الحكومة الجديدة سوف تتمكَّن من الحفاظ علىٰ القانون والنظام؛ فإنَّه لم يوجد قطُّ أي دعم جدِّي سواء محليًّا أو دوليًّا لأي تدخل أمريكي واسع النطاق، حتىٰ عندما بدا أنَّ نوعًا ما من العمل العسكري كان وشيكًا في أوت/ أغسطس، وأيلول/ سبتمبر سنة (٢٠١٣م).

لقد أورثت أمريكا تجربتها المرَّة في أفغانستان والعراق -أطول حربين خاضتهما- إحجامًا عن أيِّ تدخل عسكري، وفي الوقت ذاته؛ فإنَّ حضور القاعدة في سوريا يجعل من فكرة تسليح المتمردين دون تمييز يعتبر أمرًا خطيرًا، غير أنَّ البحث عن الثوار الجيدين، وتدريبهم وتسليحهم قد يستغرق بعض الوقت؛ وأمَّا تأثيرهم في ساحة القتال؛ فلن يكون ظاهرًا لعدة سنوات، وقد لا يكون كافيًا لتغيير مسار الصراع.

إنَّ الدروس الصعبة التي تعلَّمتها في أفغانستان والعراق، بالإضافة إلىٰ المتغيِّرات الجديدة في سوريا، كل ذلك يجعل الأمورَ أكثر تعقيدًا بالنسبة إلىٰ دولة كالولايات المتحدة التي أعلنت عن رغبتها في إزاحة الأسد دون أن تعرب عن استراتيجية مقنعة حول كيفية تحقيق ذلك أو عن من يمكنه أن يحلَّ محلَّه.

يزعم بعض الناقدين أنَّ عدم رغبة أمريكا في التدخُّل تدلُّ علىٰ أنَّ الولايات المتحدة لن تعود إلىٰ خوض حروبها علىٰ الأرض، الأمر الذي تسبب في تنامي الازدراء الخارجي نحو أمريكا، وشجَّع علىٰ مزيد من التفكك العلني داخل الولايات المتحدة، والأهم من ذلك كله أنَّه جعل أمريكا تبدو أقلَّ التزاما تجاه حلفائها.

في الوقت الراهن لا توجد خيارات جيدة واضحة، أمَّا علىٰ المدىٰ القريب؛ فإنَّه يتوجَّب علىٰ صانعي السياسات أن يفترضوا استمرار الصراع والسعي في تخفيف تبعاته بدل اتباع سياسات تهدف إلىٰ تغيير النتيجة، وأمَّا في الوقت الحالي؛ فإنَّه من المرجح أن تعتمد الولايات المتحدة علىٰ توفير المساعدة السرية، وقد تضاف إليها مهمات خاصة تهدف إلىٰ الحيلولة دون سقوط المتمردين وإلىٰ التأثير في سير الأحداث علىٰ المدىٰ البعيد، وليس تغييرها علىٰ المدىٰ القريب، ولذلك؛ فكل ما يتمُّ في هذا المجال يجب أن يكون مدعومًا سياسيًّا وبطريقة متواصلة علىٰ المدىٰ

الطويل، بشكل لا يُؤدِّي إلىٰ التخلِّي أو إلىٰ التصعيد إذا ما كانت النتائج أقلَّ من متواضعة.

ينبغي للولايات المتحدة وللجهات الخارجية الفاعلة الأخرىٰ المعارضة للأسد أن تتصرف بمرونة وبانتهازيَّة؛ إذ إنَّ أي محاولة لاعتماد سياسات متَّسقة قد تضطر في بعض الأحيان إلىٰ الرضوخ لمناورات براجماتية، وأحيانًا ماكيافالية.

ولكن هل يُمكن لتلك المناورات البراجماتية أن تمتدَّ إلىٰ التدخل الغربي لصالح الأسد؟ في الوقت الحاضر، يبدو أنَّه لا يُمكن تصور مثل هذا الانقلاب الدرامي في الأدوار. (رغم أنه يمكن تصوُّره بالنسبة إلىٰ الإسرائيليين؛ إذ إنَّهم يخشون استمرار الفوضىٰ، أو أسوأ من ذلك، أن تشهد حدودهم منافسة بين فصائل القاعدة)، إلَّا أنَّ الحسابات الغربية قد تتغير إذا تعرَّض الغرب إلىٰ هجمات كبرىٰ من معاقل الجهاديين في سوريا، في ظلِّ مثل هذه الظروف؛ فإنَّ الدول المتضرِّرة، دون أن تدعم نظام الأسد، قد تقرِّر شنَّ هجمات عسكرية ضدَّ الجهاديين.

ربما يضطرُّ الدخلاء إلىٰ التعامل مع سوريا كأجزاء، في مقابل التعامل مع دولة سوريا. في الحقيقة، تقوم إسرائيل بهذا من خلال شنِّ هجمات علىٰ سوريا قصد منع حزب الله من توسعة ترسانة صواريخه.

★ تحييدُ الأسلحةِ الكيميائيَّةِ السوريَّةِ:

قد لا ندرك السبب وراء قرار الحكومة السُّورية استخدام أسلحتها الكميائية، فقد رجَّح بعض المحلِّلين الاستخباراتيين، قبل هجوم ٢١ أوت/ أغسطس، احتمال أنَّ الأسد ربما لن يقوم باستعمالها، وإنَّما سيحتفظ بها كقصاصة مفاوضة لتأمين هروبه في حالة صار ذلك متأكِّدًا.

إلَّا أنَّ الأسلحة الكيميائية هي أيضًا أدوات لإثارة الرُّعب؛ فهي وسيلة لإضعاف معنويات المتمردين، وعزلهم عن مؤيِّديهم، وتطهير أحياء بأسرها من منشقِّين محتملين، فبعد هجوم ٢١ أوت/ أغسطس، فرَّ السُّكَّان من المنطقة، لقد وافق الأسد -الآن- علىٰ التخلِّي عن سلاح الرُّعب هذا، رغم أنَّه قد يحاول إخفاء جزء من ترسانته الكيميائية، كما حاول صدَّام حسين أن يفعل في العراق، وبالتَّالي؛ فإنَّ الأمر سيتطلَّب

جهدًا استخباراتيًا كبيرًا للتَّأكُّد من أنَّ سوريا لم تعد تملك أسلحة كيميائية.

غير أنَّ هناك من يزعم أنَّ تجريد سوريا من أسلحتها الكيميائية يعتبر خطوة أولىٰ في طريق إيقاظ هِمَّة الأسد لارتكاب جرائم قتل جماعية في حقِّ الشَّعب السُّوريِّ، وهو المسار الذي سيؤدِّي إلىٰ نهايته لاحِقًا، ولكن يبدو أنَّ هذه الحجَّة، في أحسن أحوالها، لا تعدو أن تكون مجرَّد تفكير مبنيٍّ علىٰ الأماني، فهي ضعيفة ولا أساس لها إلىٰ حدٍّ كبير، نظرًا للحجج المضادة وللأحداث منذ ٢١أوت/ أغسطس.

فمن وجهة نظرٍ عمليَّةٍ وسياسيَّةٍ، من الأرجح أنَّ الأسد سوف يعتبر تخلِّيه عن أسلحته الكيميائية خطوة ذات تأثير طفيف علىٰ قدرته علىٰ مواصلة معركته مع المتمردين، ولكنَّها ستُشكِّل وسيلة لإضعاف الزَّخم الذي يحظىٰ به المتمردون وتوهين عزمهم؛ وقد تُوجِد له، في النِّهاية، سبيلًا للبقاء ولبقاء نظامه.

لقد تسبَّبت الأسلحة الكيميائية في جزء صغير من عدد القتلىٰ الذي تجاوز (١٠٠,٠٠٠) خلال الحرب الأهلية، فبعد حرمانه من سلاحه الأوَّليِّ للرعب، بقيَ للأسد سلاح الجو وسلاح المدفعية، والتي غالبًا ما يُسمع صوت دكِّها لحصون الثوَّار بشكل شبه متواصل.

رغم كونها تُعتبر من الأسلحة المناسبة للدَّمار الشَّامل؛ فإنَّ للأسلحة الكيميائيَّة تطبيقات عسكرية محدودة؛ إلَّا أنَّ المسئولين السوريين قد يلجؤون إليها كوسيلة لطرد المقاتلين المتمردين من المناطق الحضرية، باعتبارها أسهل من القتال من بيت إلىٰ بيت، وأكثر فعالية من تسوية المدينة بنيران المدفعية والقصف الجوِّي.

يُساورني الشكُّ أنَّ الرُّوس قد بيَّنوا للأسد أنَّ مزيد استعمال للأسلحة الكيميائيَّة قد يُثير مزيدًا من الضَّغط نحو عمل دوليٍّ ضدَّ النِّظام السُّوريِّ، الأمر الذي حتىٰ الرُّوس أنفسهم لا يستطيعون دفعه، وبالتَّالي؛ فإنَّ أسلحته الكيميائية ستصبح بلا فائدة، ولكن من خلال موافقته علىٰ التخلي عنها، قد يتمكَّن الأسد من الظهور بمظهر الرَّجل المنطقي، وبالتالي سوف يزيد من فرص بقائه خلال مهمَّات التنظيف الطويلة والمعقَّدة. أحيانًا ينبغي للسِّحلية أن تفقد ذيلها لكي تعيش.

لقد غدت عملية تأمين ونزع الترسانة السُّوريَّة للأسلحة الكيميائية -الآن- عاملًا استراتيجيًّا مُهِمًّا في المسار المستقبلي للحرب الأهلية؛ إذ ستتطلَّب مشاركة مفتِّشين

دوليِّين ومقاولين مختصِّين، الأمر الذي سوف يتطلَّب بدوره بيئة آمنة يمكن القيام فيها بهذه المهمة الخطيرة.

وهذا يعني: وقف القتال في المناطق التي تتمركز فيها -حاليًّا- الأسلحة والمنشآت الكيميائية، إنَّ وحدات التخزين المعنيَّة علىٰ قدر كبير من الأهمية، فوفقًا لتقرير استخباراتي فرنسي تم الإعلان عنه مؤخَّرا؛ فإنَّ سوريا تمتلك مئات الأطنان من غاز الخردل، ومئات الأطنان من غاز السارين، وعشرات الأطنان من الـ(VX)، أكثر المواد الكيمائية المعروفة خطورةً[1]، بالإضافة إلىٰ المرافق حيث يتم تصنيع أسلحة كيميائية وتخزينها؛ فإنَّ الأسلحة الكيميائية أصبحت في حوزة وحدات الجيش السوري، فقد صرَّح الجنرال مارتن ديمبسي، رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية، في نيسان/ أبريل أنَّ الحكومة السورية تواصل نقل الأسلحة الكيميائية من مواقع التخزين إلىٰ الشَّاحنات[2]، ولكن هل تمَّ القيام بذلك من أجل إبعادها عن قبضة المتمردين أم لأجل تهريبها عن عمليات التفتيش؛ يبقىٰ الأمر غامضًا، يجب أن يتمَّ تحديد الترسانة الكيميائية السُّورية برمَّتها، وفهرستها، ونقلها، وتدميرها في مرافق خاصَّة؛ وهو أمر يصعب القيام به في حال السِّلم، وسيكون محفوفًا بالمخاطر في خضمٍّ حرب مستمرَّة.

فبعد أن اعتمدت الأمم المتحدة قرارًا يدعو إلىٰ القضاء علىٰ الأسلحة الكيميائية السُّوريَّة، صرَّح وزير الخارجية الرُّوسي سيرجي لافروف بالأمر البدهي عندما أشار إلىٰ أنَّ تنفيذ هذا القرار سوف لن يتطلَّب فقط موافقة الحكومة السُّوريَّة، بل كذلك تعاون المعارضة، إلَّا أنَّ أهمية هذا الأمر قد لا يتمُّ إداركها بشكلٍ جيدٍ؛ فإنَّ روسيا سوف تدَّعي أنَّ حماية جهود نزع السِّلاح تعني حماية النِّظام السُّوريِّ، ففي حالة انهياره قبل نزع الأسلحة الكيميائية؛ فإنَّ الخطر لا يتمثَّل فقط في تحييد الأسلحة، بل أيضًا في فقدان الوصاية عليها في خضمِّ الفوضىٰ المؤكدة. إنَّ إزالة الترسانة الكيميائية في سوريا سوف يتطلب كحدٍّ أدنىٰ وقف إطلاق النار بشكل مؤقت في بعض المناطق

---

(١) Rچpublique Fran»aise, 2013.

(٢) Vandiver, 2013.

المحليَّة[١]، وهذا قد يُمثِّل مشكلة أكبر بالنسبة إلىٰ المتمردين ممَّا عليه الأمر بالنسبة إلىٰ الحكومة التي تستفيد من غياب القتال.

يُمكن أن نتوقَّع حصول ضغوطات دوليَّة علىٰ قوَّات المتمردين لمسايرة قرار وقف إطلاق النَّار علىٰ أساس أنَّ نشاطهم علىٰ مقربة كبيرة من عمليَّات التَّنظيف ممَّا من شأنه أن يجازف بوقوع خسائر بشرية أجنبية، أو الأسوأ من ذلك، فقد يتسبَّب في تسرُّب مواد كيميائية قاتلة، قد يكون الجيش السُّوريُّ الحرُّ أكثر المتأثرين بهذه الضُّغوطات لاعتماده علىٰ التعاطف والدَّعم الغربيِّ أكثر من العناصر الجهاديَّة المتطرِّفة، التي قد تكون أقلَّ مَيْلًا لتعليق العمليَّات بما أنَّ استمرارها في القتال هو ما يجذب إليها المجنَّدين أصلًا. السَّبب الوحيد الذي قد يدفع الجهاديِّين إلىٰ قبول هدنة مؤقَّتة هو حاجتهم إلىٰ فترة راحة أو اعترافٍ بممتلكاتهم الإقليمية.

فإذا تعرَّضت عمليَّة نزع الأسلحة الكيميائية للخطر من قبل المتمرِّدين؛ فإنَّ ذلك قد يخلق تردُّدًا كبيرًا لدىٰ الحكومات الغربية في توفير الدَّعم وممارسة الضغوطات الممكنة علىٰ أهمِّ الدَّاعمين لهم ماليًّا، مثل المملكة العربية السعودية وقطر، للحدِّ من الدَّعم الذي يوفرونه في الوقت الحالي؛ رغم أنَّه ليس من الواضح أنَّ هذا من شأنه أن يكون له تأثير كبير، ومع ذلك، يمكن لهذا الأمر أن يُغيِّر تركيبة التمرُّد نفسها من خلال جعل الأعمال العدائية المستمرة تبدو كمنافسة بين الأسد والمتعصِّبين الجهاديِّين الذين هم علىٰ استعداد لتعريض عملية تنظيف المواد الكيميائية للخطر، إنَّ هذا التصوُّر يصبُّ في فائدة الأسد.

إنَّ الخوف من استمرار القتال يُمكن أن يُعرِّض عملية التخلُّص من الأسلحة الكيميائية السُّوريَّة للخطر، وربما يدفع بأوروبا وأمريكا، اللَّذين قد سبق وأبديا تردُّدًا واضحًا في التَّدخُّل في الحرب الأهلية، أكثر في اتِّجاه محاولات للتفاوض علىٰ حلٍّ سياسيٍّ. إنَّ أيَّ اتفاقٍ يُفضي إلىٰ الإبقاء علىٰ الأسد دون أسلحة كيميائية قد يكون هو الحلَّ التي تُفضِّله تلك المساعي المتواصلة للإطاحة به في حال تسبَّبت في تعريض عمليَّة نزع ترسانته الكيميائية للخطر.

---

(١) "Syrian War Overtakes Crucial Chemical-Arms Shipping Route", 2013.

يبدو من المشكوك فيه أنَّ اتفاقًا سياسيًّا دوليًّا سوف يتمكَّن من إقناع العناصر الجهادية بوقف حملتهم، لقد تنامت قوَّتهم، وبالتَّالي؛ فإنَّهم لن يتوقَّفوا، فالسَّيطرة الواقعية علىٰ أحد جيوب الجهاديِّين في شرق سوريا من شأنها، علىٰ أقصىٰ تقدير، أن توفر وقفًا مؤقَّتا، وليس حدًّا، لأعمال العنف العدائيَّة. إنَّ الحرب الأهليَّة السُّوريَّة سوف تستمرُّ في المستقبل القريب، وهذا ما سيتسبّب في مزيدٍ من التَّفرُّق بين الجيش السُّوريِّ الحرِّ والجهاديّين: «شركائه في السِّلاح»، وهو ما سيزيد كذلك في مزيد شيطنة للجهاديين في أعين المجتمع الدُّولي باعتبارهم إرهابيين، وليسوا مقاتلين من أجل الحريَّة.

الْقِتَالُ سَوْفَ يَسْتَمِرُّ

مِمَّا سَيَخْلُقُ حَالَةً مِنْ عَدَمِ الِاسْتِقْرَارِ سَوْفَ تَمْتَدُّ لِعُقُودٍ

في بعض الأحيان، يبدو أنَّ القوَّات المتحاربة داخل سوريا ومؤيِّديهم من الخارج أقلُّ اهتمامًا بالمعركة الحاليَّة من اهتمامهم بمناوراتٍ لكسب بعض المواقع في فترة ما بعد الأسد من خلال تأسيس لموطئ قدم لهم، والاستيلاء علىٰ الأراضي، وتعزيز المكاسب، وتخزين الأسلحة. ولكن كيف يمكن أن يكون الوضع؟

⋆ تسويةٌ سياسيَّةٌ؟

هل يُمكن توسيع نطاق الاتفاق الدولي الراهن علىٰ نزع الأسلحة الكيميائية السُّورية ليَخْلُص إلىٰ تسوية سياسيَّة، أو علىٰ الأقلِّ إلىٰ الخفض من نسق القتال؟ هناك بعض التداخل في المصالح بين الجهات الخارجيَّة الفاعلة: روسيا، وإيران، والولايات المتحدة، وأوروبا، والممالك الخليجية[(١)].

إنَّ توفير الدَّعم لنظام الأسد يُعدُّ أمرًا مُكلِّفًا؛ إذ ليس من الواضح أنَّ هناك علاقة شخصية تربطه بمؤيِّديه الأجانب، بل يُقال: إنَّ لقادة إيران وجهات نظر متباينة بشأن سوريا، خاصَّة بعد استعمال الأسد للأسلحة الكيميائية ضدَّ شعبه[(٢)]. ربما يعتبره مؤيِّدوه الأجانب عبئًا عليهم، وبالتَّالي؛ قد يرغبون في التقليل من خسائرهم إذا استطاعوا أن يضمنوا وجود نظام متعاطف في دمشق يحمي مصالحهم مع الأقلِّيَّات العَلَوِيَّة والمسيحية في سوريا.

من ناحية أخرىٰ؛ فإنَّ الغرب ليس مهتمًا كثيرًا برؤية مذبحة للعلويين والمسيحيين،

---

(١) Oliker, 2013.

(٢) Nader, 2013, and "What to Do Now? Iran Torn on Syria", 2013.

أو في رؤية نشطاء القاعدة قد حلُّوا محلَّ حكومة الأسد، مصمِّمين علىٰ جعل سوريا قاعدة لجهادهم المستمرّ ضدَّ الغرب.

ولكن نظرًا لارتفاع قوس العنف؛ فإنَّ أيَّ تسويَةٍ تبدو صعبة المنال، فبقدر ما يطول القتال بين السُّوريين، بقدر ما يصبح الصراع أكثر طائفية، وبقدر ما تشتدُّ وحشية القتال، بقدر ما تتراكم أسباب الانتقام أكثر، بقدر ما تضعف إمكانية وجود حلٍّ سياسيٍّ.

لقد تمَّ إراقة الكثير من الدِّماء، وليس السَّلام من ضمن الأوراق المطروحة، فقد أصبح الصراع صراعَ وجودٍ بالنسبة إلىٰ جميع المعنيين بالأمر، وأرجح السيناريوهات: صراع مسلح يتواصل لسنوات عديدة؛ إذ يوجد سوابق تاريخية كثيرة، بما في ذلك الحرب الأهلية اللبنانية، والتي امتدَّت علىٰ خمس عشرة سنة، والفوضىٰ المسلَّحة في الصومال، والتي استمرَّت لأكثر من عقدين.

★ استعادةُ حكومةٍ «وطنيَّةٍ» بقيادةِ زعيمٍ جديدٍ:

قد يتمكَّن زعيم مستقبلي عديم الرَّحمة من استعادة النَّظام لأمَّة منهكة، فقبل كلِّ شيء، كان تاريخ سوريا بين (١٩٤٦، و١٩٦٩ م) فوضاويًّا تَخَلَّلتْهُ العديد من الانقلابات ونوبات من الحروب الدَّاخلية -ولكن ليس بنفس نطاق الحرب الأهلية الحالية- إلىٰ أن تمكَّن نظام الأسد (الأب والابن) من فرض وحفظ النِّظام لأكثر من أربعة عقود، لكن نفس هذا التَّاريخ يشير إلىٰ أنَّ حالة عدم الاستقرار السُّورية يمكن أن تستمرَّ لعقود.

إنَّ حالة عدم الاستقرار هي المنصَّة التي تسمح لكل اللاعبين بالحصول علىٰ فرصتهم في تعزيز أجنداتهم، فالنَّتائج يمكن أن تؤدِّي إلىٰ وجود قوَّة واحدة أكثر تقليدية تحكم سوريا؛ هجين متكوِّن من مجموعة اللاعبين الحالية، أو إلىٰ وجود مجال إقليمي مفتوح للجميع.

★ تقسيمٌ دائمٌ:

عندما سُئل عن ماذا يمكن أن يحدث إن لم تكن هناك تسوية سياسية أو تدخُّلٌ دوليٌّ لإزاحة الأسد، أجاب القائد العام للجيش السوري الحر سالم إدريس بقوله: «سوف

يستمرُّ تخريب سوريا، وسوف نعيش مزيدًا من الكراهية والانهيار التَّام»[١].

هذا الصِّراع الذي طال أمده سوف يضمن بَلْقَنَةَ (Balkanization) سوريا في المدن التي تسيطر عليها الحكومة، بالإضافة إلىٰ نشأة مَعْقَلٍ للعلويين في الغرب، وسيطرة السُّنة علىٰ الشرق. بيد أنَّ الخطوط الطائفية في سوريا ليست منظمة مثل التي في العراق؛ إذ تُعتبر سوريا -بدرجة أكبر- أكثر فسيفسائية من خلال التحوُّل الذي يطرأ علىٰ مناطق السَّيطرة والجبهات، وهذا يعني وجود حاجةٍ أكبر لتطهيرٍ عرقيٍّ محليٍّ بغية خلق جيوبٍ أنقىٰ، وهذا يعني -في النهاية- مزيدًا من عمليات الثأر، وبذلك صار تحقيق التوحُّد -بشكل متزايد- أمرًا صعبًا.

من المستبعد التوصُّل إلىٰ تسوية سياسية تُعيد سوريا إلىٰ حالة ما قبل الحرب، ويُسمح بموجبها بعودة اللاجئين إلىٰ ديارهم الأصلية. يبدو أنَّ إعادة التجمُّع وإعادة الاستيطان سوف تجعل الجيوب الإثنية والطائفية السُّورية مُميِّزات دائمة للمشهد، وهذا ما سيُعقِّد التِّجارة المستقبليَّة والانتعاش الاقتصادي.

★ معقلٌ إرهابيٌّ:

بقدر ما يتواصل القتال؛ يتزايد الخوف من أنَّ العناصر المتأثرة بالقاعدة سوف تتمكن من تعزيز موقفها من خلال توفُّر حصونٍ جديدة تواصل من خلالها عملياتها الإرهابية ضدَّ الغرب، كما أنَّها تعتبر فرصة لمجموعات جهادية محليَّة -مثل جبهة النُّصرة- لإقامة وتنظيم خلافة إسلامية جديدة، وهذا يعني: السَّير ببطء في تنفيذ تدابير من شأنها أن تعزل السُّكَّان المحليين، وتجنُّب الإجراءات التي يُمكن أن تثير التَّدخُّل الغربي.

أصبحت الرَّغبة في الحكم تمثِّل توجُّهًا استراتيجيًّا جديدًا للحركة، لأسباب عديدة، يمكن أن يكون هذا تطوُّرًا مثيرًا يساهم في تعقيد المساعي الدُّوليَّة في القضاء علىٰ القاعدة؛ إلَّا أنَّه كذلك يفتح احتمالات جديدة أمام خصومها. هل يمكن للدِّبلوماسيَّة الخلَّاقة أن تستغلَّ الخلافات بين الظلال الجهادية المختلفة؟ وهل يمكن أن ينفطم الجهاديُّون المحليُّون عن الحملة العالمية الإرهابية للقاعدة؟ التَّاريخ يشير

---

(١) "Free Syrian Army Chief: Why is the West Just Looking On?", 2013.

إلىٰ خلاف ذلك. تقريبًا لم يحافظ أيُّ فرع تابع للقاعدة علىٰ صبغته المحليَّة. بمرور الزَّمن، تمكَّنت القيادة المركزية للقاعدة من تجنيد فروعها المحليَّة في جهادها العالمي.

تقدِّم حركة الشَّباب المتمركزة في الصومال خير مثال علىٰ التَّحوُّل في المسار من حركة تمرُّد محليٍّ إلىٰ منظمة إرهابية عالمية، مثالٌ يمكن للجهاديين السُّوريين أن يحتذوه، كانت بداية الشباب كحركة إسلامية، ولكن ذات أيديولوجيا صومالية بحتة، وهي أيضا حاولت -في بداية الأمر- إعمال يدها في الحكم المحلِّي، ثمَّ سيطر عليها المتشدِّدون تدريجيًّا إلىٰ أن ارتفعت مكانتها من خلال إعلانها عن ولائها للقاعدة.

بعد أن أُلجئت للانسحاب بفعل الضغط من قبل القوات المشتركة للحكومة الصومالية وبعثة الاتحاد الإفريقي في الصومال، قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، ردَّ الشباب من خلال هجمات انتحارية في أوغندا أودت بحياة (٧٢ شخصًا). سُجِّل تطوُّرها المتواصل من حركة تمرُّد إسلامية محليَّة إلىٰ منظمة إرهابية عالمية بشكل دراميٍّ في نيروبي عندما قتل مسلَّحو الشباب (٦٧ شخصًا) في مركز تسوُّقٍ انتقامًا لمشاركة قوَّات كينية في العملية الصومالية. لقد سرَّع التدخُّل الأجنبيُّ عمليَّة تحوُّل الحملة الإرهابية للشباب إلىٰ نطاق عالمي، وهو ما تسبَّب في حصول انتكاسات في هذا المجال.

هل سيتَّبع الجهاديون في سوريا سبيل طالبان أفغانستان، ولكن مع تجنُّب الحملة الإرهابية العالمية التي أسقطت حكومة طالبان، أم سيتَّبعون -بدلًا من ذلك- سبيل حركة الشباب، أو القاعدة في شبه الجزيرة العربية من خلال الانضمام إلىٰ حملة إرهابية عالمية تفضِّلها القيادة المركزية للقاعدة؟ سوف نرىٰ ذلك.

★ صراعٌ إقليميٌّ:

إنَّ هذا الصراع الذي طال أمده في سوريا يثير احتمال نشوب حرب إقليمية أوسع بين السنة والشيعة، مع قوات الأسد والعلويين السُّوريين، ومقاتلي حزب الله، والميليشيات العراقية الشيعية وإيران من جانب، والمتمرِّدين السُّريِّين الجهاديِّين وجبهات القاعدة في لبنان والعراق وتركيا والعربية السعودية والممالك الخليجية من

جانب آخر. سوف تتواجه روسيا والولايات المتَّحدة عبر هذا الانقسام الطائفي، طبعًا فإنَّ الوضع فوضاويٌّ أكثر من ذلك. لقد طلبت الحكومة العراقية التي يهيمن عليها الشيعة مساعدة الولايات المتحدة في التَّعامل مع الإرهابيين السُّنَّة، بينما تعادي كلٌّ من الولايات المتحدة وروسيا القاعدة تمامًا مثل المملكات الخليجية.

كيف يمكن لحرب إقليمية أوسع أن تكون؟ لن تتضمَّن بالضَّرورة حربًا مفتوحة بين القوىٰ الإقليمية العظمىٰ -إيران، والعربية السعودية، وتركيا، فالقوىٰ الإقليمية لن تتجوَّل في الصَّحراء؛ بدلًا من ذلك، يمكن أن تكون حربًا علىٰ جبهات عديدة، وتوغلات عسكرية محدودة، وحرب عصابات مستمرة، وحملات إرهابية متعددة.

لن يكون هناك اندلاع لحرب طائفيَّة أوسع، بل سوف تتصاعد وتيرة القتال تدريجيا ولن يختلف عمَّا هو عليه الآن سوىٰ في شِدَّته، وسوف تستمرُّ الحرب الأهلية في سوريا مع تدعيم قوات الأسد بشكل متواصل من قبل حزب الله و«المتطوِّعين» الذين بعثت بهم إيران محتشدين ضدَّ المتمرِّدين العلمانيين، والسَّلفيين، والجهاديين السُّوريين المدعومين من قبل مقاتلين تابعين لحركة طالبان الباكستانية وجماعات سُنِّيَّة أخرىٰ متشدِّدة.

سوف تغدو الجيوب الطائفية الحدود الفعلية الجديدة، وسوف تمحو بذلك -بشكل فعَّال- الحدود التي رسمتها القوات الاستعمارية منذ قرن من الزمن، وسوف ينتقم السُّنَّة في لبنان، بما في ذلك مجنَّدو القاعدة الجدد في المعاقل السُّنِّية التَّقليدية كالتي في طرابلس وفي مخيَّمات اللاجئين الفلسطينيين حيث يقوم الجهاديون المتأثرون بالقاعدة بتعويض التنظيمات الإرهابية الفلسطينية القديمة، من حزب الله لأجل الحرب الأهلية التي عاشتها تلك البلاد في الثمانينيات، وقد تصبح العربية السعودية والمملكات الخليجية أهدافًا للتآمر المحَرَّض عليه من قبل إيران، ولعمليات التخريب، وللإرهاب.

يعتبر الإسرائيليون نظام الأسد نظاما بلطجيًّا، لكن ولمدة أربعين سنة حافظ ذلك النظام علىٰ السَّلام علىٰ الحدود الإسرائيلية. حاليًّا، سوف يثير انتصار الأسد قلق إسرائيل؛ إذ هو بذلك يزيد في نفوذ حزب الله وقوته، غير أنَّ سقوطه قد يجلب

مجموعة من المتعصّبين التّابعين لتنظيم القاعدة إلىٰ الحدود الإسرائيلية، تتنافس جميعها لإحداث المتاعب، وفي الوقت نفسه؛ فإنَّ اتفاقية الأسلحة الكيميائية السُّورية ركَّزت اهتماما غير مرغوب فيه علىٰ الترسانة الإسرائيلية نفسها. في الوقت الحاضر، السِّيناريو الأقلّ سوء، من وجهة نظر إسرائيل، هو استمرار القتال الذي سيستنزف قوىٰ جميع المشاركين.

تَهْدِيدُ الْمُقَاتِلِينَ الْأَجَانِبِ

أغلب من (٦,٠٠٠) إلىٰ (٨,٠٠٠) من المقاتلين الأجانب ضمن صفوف المتمردين السوريين جاؤوا من بلدان عربية: (العراق، وليبيا، وتونس، إلىٰ جانب البعض من المملكات الخليجية)، ويُقال: إنَّ فيهم عددًا كبيرًا من الشيشانيين، ومتطوِّعين من باكستان كما هو مبيَّنٌ أعلاه، وتُبيِّن آخر التقديرات أنَّه ما بين (١,٥٠٠) إلىٰ (٢,٠٠٠) مقاتل متطوع رحلوا من أوروبا في اتجاه سوريا[١]، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذه الأعداد سوف ترتفع باستمرار القتال.

بعض المتطوعين مصممين علىٰ القتال، بينما يبدو البعض الآخر كالجهاديين السيَّاح؛ إذ يبتعدون عن المخاطر في حين يقومون بأخذ صور لأنفسهم مفتخرين أمام أصحابهم في الوطن عبر وسائل التواصل الاجتماعي[٢].

تعتبر تركيا الطريق الرئيس للدخول، يُقال: إنَّ معظم المقاتلين الأجانب ينضمون إلىٰ النصرة، التي تقوم بدعوة نشطة لأولئك المقاتلين، وبترتيب لقاءات معهم علىٰ الحدود التركية؛ لكنَّهم في الوقت الحالي قد يفضِّلون الاتجاه نحو (ISIL)، والتي هي في ترقٍّ عندهم.

بشكل عام، يتمتَّع هؤلاء المقاتلون الأجانب بمظهر دولي، فهُم يذهبون أينما كانت المعركة، ويستمدُّون شرعيتهم من دورهم في القتال المستمر، كما أنَّهم لا يُعنَوْنَ كثيرًا بالتسويات التي تسعىٰ لاستعادة السلم، وهذا من شأنه فقط أن يبعث بهم إلىٰ ساحة معركة أخرىٰ، علىٰ الرغم من أنَّ البعض -لا شكَّ- يأمل في اكتساب تجربة وبناء

---

(١) "Thousands of Young European Jihadists are Fighting in Syria", 2013.

انظر أيضًا: Pantucci, 2013; "Syrian's Foreign Fighters: Dissecting the Next Decade of Conflict"; Holden, 2013; and Chasmar, 2013.

(٢) Reuter, 2013.

شبكات في سوريا تُمكِّنهم من القيام بحركات تمرُّد مشابهة في بلدانهم.

تُبدي أوروبا قلقًا بشأن ما قد يحدث عندما يعود هؤلاء المقاتلون، الذين يتمتَّع البعض منهم بمهارات عسكرية وخبرة قتالية، إلىٰ أوطانهم؛ إذ من الممكن أن ينخرطوا في أنشطة إرهابية. يُعدُّ المقاتلون الأجانب في سوريا -بسبب قربهم وحجمهم- مشكلة أكبر بكثير من تلك التي شكَّلها الجيل السابق من الجنود العائدين من أفغانستان.

علىٰ حسب علمنا، فقد انضم عدد قليل من الأميركيين إلىٰ المتمردين السوريين -ربما العشرات بدءًا من نوفمبر (٢٠١٣م)- ولكن بعد بداية بطيئة، يبدو أنَّ الزخم آخذ في الازدياد. تُبيِّن الحوارات بين المحاربين المحتَملين علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي وجود تطلُّعات، ويبدو أنَّ مفهوم المنتجعات الجهادية الآمنة حيث يمكن للمرء التظاهر بالمشاركة = جذاب، علىٰ الرغم من وجود مصدر قلق دائم أنَّه بمجرَّد وصولهم يمكن للأفراد أن يزدادوا تطرفًا، وقد يعاد توجيههم نحو المشاركة في أعمال إرهابية في الداخل[١]. هناك أيضًا قلق من أنَّ الطبيعة الطائفية المتزايدة للصراع السوري سوف تنتشر في مجتمعات الشتات.

في الوقت الراهن، قد لا يكون الإغراء الذي تتمتع به الحرب الأهلية السورية أمرًا سيِّئًا؛ إذ يمكن أن يجذب بعض المتهورين الذين لولا ذلك لربما تسببوا في المتاعب في الداخل، علاوة علىٰ ذلك؛ فإنَّ المجموعات الجهادية السُّورية قد لا ترغب في خوض صراع مع البلدان الغربية التي هي كذلك تعارض الأسد، ولكن قد يتغيَّر هذا الموقف إذا قبِلَ الغرب ضمنيًّا بالأسد باعتباره أهون الشرين، وتخلوا عن حركة التمرد، أو إذا تحرك المتمرِّدون المدعومون من الغرب ضدَّ الجهاديين خلال الحرب الأهليَّة أو في بيئة ما بعد الأسد.

إنَّ هذه ليست مشكلة حِينيَّة، حيث إنَّ تدفق المجندين هو في اتِّجاهِ سوريا، وليس في اتِّجاهِ غيره، ومع ذلك، قد يتمَّكن نشطاء القاعدة من تجنيد أفراد من مجموع المتطوِّعين الواصلين للقيام بعمليات إرهابية في الغرب. كُنْ علىٰ ذِكْرٍ أن محمد عطاء

(١) Jones, 2013.

جاء أصلًا للقتال في أفغانستان ولكن وقع -حينها- تجنيده من قبل تنظيم القاعدة لقيادة عملية (١١/ ٩).

من المرجَّح أنَّ المحاربين السوريين القدامىٰ القادمين من أوروبا لن يعودوا عبر المطارات الأوروبية لِعِلْمِهم أنَّهم سيتعرضون لعمليات فحص دقيقة. بدلًا من ذلك؛ فإنَّهم قد يحاولون التسلل إلىٰ أوروبا من الخلف عبر الحدود وخاصة عبر تركيا في اتجاه بلغاريا، وهذا ما سيُؤدِّي إلىٰ تعقيد قضية اللاجئين؛ فإنَّ بعض اللاجئين السُّوريين هم بالفعل تحت الشُّكوك، وفقًا لبعض المسؤولين الأوروبيين، فإنَّ تركيا ليست مفيدة خصوصا في قضية اللاجئين، فبدلًا من قبول المزيد من اللاجئين السوريين علىٰ أراضيها، يشتبه في ضلوعها في تسهيل نقلهم سرًّا إلىٰ أوروبا. هناك أيضًا قلق من أنَّ أعداد اللاجئين السوريين في أوروبا يمكن أن تصبح أرضًا خصبة لتجنيد المقاتلين الذين سيعودون إلىٰ سوريا أو للقيام بأنشطة إرهابية محلية.

بَعْضُ الْآثَارِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى السِّيَاسَاتِ

لقد ركَّز هذا المقال علىٰ ديناميكية الصراع المستمر في سوريا، وكيف أنَّها من المحتمل أن تُؤثِّر علىٰ مساره المستقبلي، غير أنَّه لم يكن في نيَّتي تقديم توصيف للسياسات، ومع ذلك؛ فقد يكون من المفيد أن نُؤكِّد علىٰ بعض الآثار (والأسئلة) المتعلِّقة بالسياسات التي تنشأ إذا اتَّبعت الحرب الأهلية السورية المسار الذي وصفناه.

⋆ عدمُ اليقينِ أمرٌ لا مفرَّ منه:

هناك الكثير ممَّا نجهله الآن، ولكن هذا ليس نتيجة قصور في الجهود الاستخباراتية؛ ففي ظلِّ هذه الظرُّوف السَّائلة (Fluid Circumstances) في سوريا، حتىٰ المشاركين أنفسهم ليسوا متأكدين ممَّا سيحدث لاحِقًا. يمكن أن نصف الوضع بأنَّه مرتهنٌ بالأحداث (Event-Driven)، فقد تغيَّر بشكل دراميٍّ خلال السنوات الثلاث الماضية، ومن المرجَّح أن يستمرَّ في التغيُّر.

⋆ للقُوى الخارجيَّة نفوذٌ محدودٌ:

في ظلِّ غياب أي أهمية للالتزام العسكري؛ فإنَّ قدرة الولايات المتحدة وحلفائها علىٰ التأثير في مجرىٰ الأحداث في سوريا محدودة، وسوف تترتب علىٰ أيِّ تدخلٍ عسكريٍّ كبير نتائج لا يمكن التَّنبُّؤ بها.

⋆ الحذرُ في مَحَلِّهِ:

تُوجب العوامل المذكورة أعلاه الحذر في تشكيل التوقعات، ورسم الخطوط الحمراء، وتقرير الالتزامات. يميل الأمريكيون إلىٰ المضي قدمًا انطلاقًا من حتمية عمل مفترضة تتمثل في خشية الولايات المتحدة من أن تفقد مصداقيتها وموضعها في

العالم، تتمثل هذه الحتمية -هنا- في عدم التسبب في مزيد من الضرر، وهذا لا يعني بالضرورة عدم العمل.

★ الأهدافُ التي ينبغِي أن تُجعلَ من الأولويَّاتِ:

هناك العديدُ من الأجندات المتنافسة: الإطاحةُ بالأسدِ، وضمان بديل ديمقراطي، والبرهنة علىٰ مصداقية الولايات المتحدة، وتأمين الأسلحة السورية للدمار الشامل، ومنع وقوع كارثة إنسانية (رواندا جديدة)، وعدم السماح لتنظيم القاعدة بالحصول علىٰ أسلحة متطورة أو إقامة قواعد جديدة في قلب الشرق الأوسط، ومنع الصراع الطائفي الإقليمي، وتحدي الطموحات الروسية والإيرانية في الهيمنة. كلها مهمة، ولكن هل يمكن تحقيقها جميعا بشكل متساوٍ؟

★ سوفَ يتواصلُ الصِّراعُ في سوريَّا:

في حين أنَّ هذا لا يقلِّلُ من الالتزام للتوصُّل إلىٰ حلٍّ سلميٍّ، إلَّا أنَّه ينبغي للتوقعات أن تكون واقعية. إنَّ الرغبة في التسوية لا ينبغي أن تدفع بالولايات المتحدة إلىٰ الموافقة علىٰ عرض سيئ، بل يجب أن تكون السياسة الأمريكية انتهازية، ومرنة، وبراغماتية؛ إذ لا يعني غياب الخيارات الجيدة اليوم أنَّه لن يكون هناك أي خيارات جيدة غدا.

★ مواصلةُ الدعمِ للمتمردين:

هناك نتائج أسوأ من الوضع الحالي؛ إذ إنَّ الولايات المتحدة تريد ضمان وجود لها علىٰ الأرض في سوريا، فوجود الجهاديين في سوريا لا يجعل المعارضين الآخرين لنظام الأسد غير جديرين بالمساعدة المستمرة، غير أنَّهم يُعَدُّون الآن الأصدقاء المحليِّين الوحيدين للولايات المتحدة في سوريا، وقد تحتاج الطبيعة الدقيقة للمساعدة المستمرة لحركة التمرد أن تكون هذه الأخيرة خفيةً وذلك لأسباب عملياتية، وليس لأسباب سياسية.

★ يجبُ أن تكونَ الجهودُ الأمريكيَّةُ مُستدامةً ومدعومةً:

يبدو من البديهي من التدخلات الأمريكية في الخارج أنَّ الاستثمارات واسعة

النطاق تميل إلىٰ أن تكون قصيرة العمر، وهذا سيكون المسعىٰ علىٰ المدىٰ الطويل؛ إذ إنَّ التقييم لجهود الولايات المتحدة بوصفها غير مجدية لا ينبغي أن يؤدي إلىٰ التعجيل في التخلي أو التصعيد الفوري.

⋆ التعاملُ مع سوريَّا كأجزاء، وليس ككلٍّ:

لقد أصبحت سوريًّا فكرةً مجرَّدةً؛ إذ قد يتطلَّب تحقيق الأهداف الأمريكية التعامل بشكل منفصل مع المشاكل المختلفة في مناطق التوتر والجغرافيا المختلفة، فمثلًا: إذا كان هناك عملٌ إرهابيٌّ ثبت ضلوع مجموعات جهادية سورية فيه، فلا المخاوف بشأن السيادة السُّورية ولا استمرار الدعم للمتمرِّدين من شأنه أن يقيد العمل المباشر ضدَّ الجهاديين، فيجب أن لا يُسمح لتصرفات الجهاديين أن تقوِّض المساعدة الأمريكية للجماعات المتمردة لأخرىٰ.

⋆ احتواءُ الصراعِ:

ينبغي منع الحرب الأهلية السورية من أن تتحول إلىٰ صراع إقليمي ذي نطاق أوسع، وهذا ما سيجعل المصالح الأمريكية ومصالح أخرىٰ في المنطقة محفوفة بالخطر. قد لا يكون بالإمكان الحيلولة دون توسُّع الصراع السوري، لكن هذا ينبغي أن يكون الهدف، وهذا سوف يتطلب العمل بشكل وثيق مع دول مجاورة مثل الأردن والعراق وتركيا، ولبنان، وإسرائيل، وكذلك مع القوىٰ المعْنية بشكل مباشر مثل المملكة العربية السعودية.

⋆ القاعدةُ لن تذهبَ بعيدًا:

لقد تدهورت القدرات العملياتية للقاعدة؛ بيد أنَّه، وكما هو بيِّنٌ من خلال الوضع في سوريا؛ فإنَّ مشروعها الجهادي العالمي يتَّسم بالمرونة والانتهازية، ولكن هل بإمكان الجبهات المحلية الجديدة لتنظيم القاعدة أن تنفطم عن حرب القاعدة علىٰ الغرب، يظلُّ هذا يمثل تحديًا للدبلوماسية الأمريكية، ومع ذلك فلا تزال القاعدة وفروعها تشكل تهديدا علىٰ أمن الولايات المتحدة.

★ يُشكِّل اللاجئون السُّوريون مصدرَ قلق إنسانيٍّ وأمنيٍّ:

يُمكن للعدد المتزايد للاجئين الناجم عن الصراع السوري أن يزعزع استقرار الدول المجاورة من خلال توفير خزَّانات جديدة للتطرف وتجنيد الإرهابيين، وقد يتسبب في استشراء مشاعر الكره نحو الأجانب (Xenophobia) وردَّات فعل عنصرية في أوروبا، وهذه أحد المجالات التي تتطلب استجابة أكثر نشاطًا وتماسكًا.

خاتمة

إنَّ الحروب الأهلية مدمِّرة؛ إذ إنَّ كلا الطرفين يقومان بتدمير البنية التحتية، وخوض حرب اقتصادية، ممَّا من شأنه أن يتسبَّب في حصول الدمار والتفكك، وبعيدًا عن قضية ضحايا الحرب؛ فإنَّ غياب الخدمات الصحية والتعليم، وذلك بسبب تحوُّل الاستثمارات نحو الأسلحة، هو ما تسبب في تدمير رأس المال البشري، كذلك ساهمت الصراعات الطائفية، وهي الحالة التي تحوَّلت إليها الحرب الأهلية السورية، في تمزيق النسيج الاجتماعي للبلاد، والتي ستستمر لوقت طويل.

تقوم الحرب الأهلية السورية بطحن المؤسسات الوطنية للبلاد بينما تهيِّئ الظروف لصراع محلي مستمرٍّ، كما تتسبب التكتيكات الوحشية الحكومية لمكافحة التمرد، وانتشار الانفلات الأمني الذي يأتي مع انهيار السلطة، وفرض حكم إسلامي قاسٍ في بعض المناطق الخاضعة لسيطرة المتمردين، تسبب كل ذلك في تشريد جزء كبير من السكان، وليس من الواضح -إلىٰ الآن- أيُّ طرفٍ في المنافسة سوف يكون قادرًا علىٰ توفير الحماية لأولئك الذين يرغبون في الهروب من الطغيان الإسلامي، ولكنهم غير قادرين علىٰ البقاء علىٰ قيد الحياة في جيوب طائفية موالية للنظام، وبالنسبة إلىٰ كثيرٍ من السُّوريين؛ فإنَّ رحلة إلىٰ الخارج مع احتمالٍ ضئيلٍ للعودة تُعتبر الحلَّ الوحيد، ولكن هؤلاء اللاجئين أنفسهم سيُضيفون إلىٰ التوترات الموجودة في البلدان المجاورة، وسوف يمثلون أرضية لتجنيد أفواج جديدة من المتطرفين، والذين سيشكلون أهدافا لأعدائهم، وهذا ما سيُؤدِّي إلىٰ إعداد أجيال جديدة من المقاتلين والمجرمين للعمل في سوريا وأماكن أخرىٰ، وبالتالي؛ سوف نتعامل مع النفايات السائلة للصراع السوري لسنوات قادمة.



المصادر

Anzalone, Christopher, "Zaynab's Guardians: The Emergence of Shi'a Militias in Syria", CTC Sentinel, Combating Terrorism Center, West Point, July 2013. As of December 9, 2013:

http://www.ctc.usma.edu/posts/zaynabs-guardians-the-emergence-of-shia-militias-in-syria

Barfi, Barak, "Jihadist Organizations in Syria", testimony before the House Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation, and

Trade, U.S. Congress, November 20, 2013.

Blanford, Nicholas, "Leaked Video: Iran Guiding Thousands of Shiite Fighters to Syria", The Christian Science Monitor, September 23, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.csmonitor.com/World/Security-Watch/2013/0923/Leaked-video-Iran-guiding-thousands-of-Shiite-fighters-to-Syria

Chasmar, Jessica, "French Intelligence Sees "Steep Rise" in Western Jihadists Flocking to Syria ", The Washington Times, October 22, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.washingtontimes.com/news/2013/oct/22/french-intelligence-sees-steep-rise-western-jihadi£

DeYoung, Karen, and Joby Warrick, "Iran and Hezbollah Build Militia

Networks in Syria in Event That Assad Falls, Officials Say", The Washington Post, February 10, 2013. As of January 9, 2014:

http://www.washingtonpost.com/world/national-security/iran-hezbollah-build-militia-networks-in-syria-in-event-that-assad-falls-officials-say/2013/02/ 10/ 257a41c8-720a-11e2-ac36-3d8d9dcaa2e2Ôstory.html

"Free Syrian Army Chief: "Why is the West Just Looking On"? Interview with General Idriss, Spiegel Online International, September 24, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.spiegel.de/international/world/free-syrian-army-head-gen-idriss-rebels-need-western-support-now-a-923933.html

Holden, Ming, "What I Learned on the Ground in Syria", Huffington Post, The Blog, September 9, 2013. As of January 9, 2014:

http://www.huffingtonpost.com/ming-holden/im-antiwar-thats-why-i-suO-bÔ3887378.html

Holliday, Joseph, The Syrian Army: Doctrinal Order of Battle, Washington, D.C.: Institute for the Study of War, February 2013a.

————, The Assad Regime: From Counterinsurgency to Civil War. Washington, D.C.: Institute for the Study of War, March 2013b. As of December 9, 2013:

http://www.understandingwar.org/sites/default/files/TheAssadRegime-web.pdf

Hosenball, Mark, and Phil Stewart, "Kerry Portrait of Syria Rebels at Odds with Intelligence Reports", Reuters, September 5, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.reuters.com/article/2013/09/05/us-syria-crisis-usa-rebels-idUSBRE98405L20130905

IHS Jane's, "Armed Forces, Syria", Jane's Sentinal Security Assessment Eastern Mediterranean, March 25, 2013.

International Institute for Strategic Studies, "Middle East and North Africa", The Military Balance 2013, London: Routledge, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.iiss.org/en/publications/military%20balance/issues/the-military-balance-2013-2003/mb2013-07-middle-east-4a26

Jenkins, Brian Michael, "Limited Military Interventions Do Not Unseat Dug-In Dictators", Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, September 9, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.rand.org/blog/2013/09/limited-us-military-strikes-do-not-unseat-dug-in.html

Jones, Seth, "The Terrorist Threat from Syria", testimony before the House Committee on Homeland Security, Subcommittee on Counterterrorism and Intelligence, U.S. Congress, May 22, 2013.

Kayed, Omar, "A Cross-Section of Islamist Rebel Force in Syria", Al Monitor, December 2, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.al-monitor.com/pulse/security/2013/12/syria-map-islamic-forces.html

Kessler, a Neff, Syria: Fragile Mosaic of Power, Washington, D.C.: National Defense University Press, 1987.

"Leading Syrian Rebel Groups Form New Islamic Front", BBC News Middle East, November 22, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-25053525Lefevre, Raphael, Ashes of Hama: The Muslim Brotherhood in Syria, Oxford, UK: Oxford University Press, 2013.

Lister, Charles, "Syria's Insurgent Landscape", Jane's Terrorism and Security Monitor, IHS Jane's, September 13, 2013a.

———, "Syrian Militant Islamists Denounce SNC and Form "Islamic Alliance", Syria Deeply, September 27, 2013b. As of December 9, 2013:

http://beta.syriadeeply.org/op-eds/syrian-militant-islamists-denounce-snc-form-islamic-alliance/#.UqIzuGRDt30

Nader, Alireza, "Rouhani's Syrian Dilemma", Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, August 30, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.rand.org/blog/2013/08/rowhanis-syria-dilemma.html

Oliker, Olga, "The Road on from Damascus: What the Syria Deal Means for the U.S. and Russia", Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, September 23, 2013. As of December 9, 2013: of December 9, 2013:

http://www.rand.org/blog/2013/09/the-road-on-from-damascus-what-the-syria-deal-means.html

Pantucci, Raffaello, "British Fighters Joining the War in Syria", CTC Sentinel, Combating Terrorism Center, West Point, February 2013. As of December 9, 2013:

http://www.ctc.usma.edu/posts/british-fighters-joining-the-war-in-syria

République Francaise, Synthèse Nationale de Reseignement Déclassifié: Programme Chimique Syrie; Cas d'Emploi Passés d'Agents Chimiques par le Régime; Attaque Chimique Conduit par le Régime le 21 aoÛt 2013, September 2013.

Reuter, Christopher, "Jihad Tourists: How Dangerous Are Syria's Foreign Fighters?"

Spiegel Online International, September 27, 2013. As of December 9, 2013:
http://www.spiegel.de/international/world/syrian-jihadist-problem-is-real-but-reports-often-exaggerated-a-924900.html

Roggio, Bill, "Free Army Continues to Fracture as More Units Defect", The Long War Journal, October 17, 2013. As of December 9, 2013:
http://www. longwarjournal.org/archives/2013/10/free_syrian_army_con.php

Russian General Staff, The Soviet Afghan War: How a Superpower Fought and Lost, translated and edited by Lester W. Grau and Michael A. Gress, Lawrence, Kans.: University of Kansas Press, 2002.

Seale, Patrick, Assad of Syria: The Struggle for the Middle East, Berkeley and Los Angeles, Calif.: University of California Press, 1988.

Smyth, Phillip, testimony before the House Foreign Affairs Committee's Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation, and Trade, U.S. Congress, November 20, 2013.

"Syrian War Overtakes Crucial Chemical-Arms Shipping Route", NTI Global Security Newswire, December 3, 2013. As of December 9, 2013:
http://www.nti.org/gsn/article/syrian-war-overtakes-crucial-chemical-arms-shipping-route£

Talev, Margaret, John Walcott, and Terry Atlas, "Obama Said to Order Arming Syrian Rebels Amid Setbacks", Bloomberg, June 14, 2013. As of December 9, 2013:
http://www.bloomberg.com/news/2013-06-14/u-s-backs-syrian-rebel-military-aid-as-chemicals-used.html

"Thousands of Young European Jihadists Are Fighting in Syria", Euronews, May 12, 2013. As of January 9, 2014:

http://www.euronews.com/2013/12/05/thousands-of-young-european-jihadists-are-fighting-in-syria£United Nations High Commissioner for Refugees, "Syria Regional Refugee Response", Inter-Agency Information Sharing Portal, undated. As of December 7, 2013:

http://data.unhcr.org/syrianrefugees/regional.php

Van Dam, Nikolados, The Struggle for Power in Syria: Politics and Society Under Asad and the Ba'th Party, London: I. B. Taurus & Co., Ltd., 2011.

Vandiver, John, "Troops Needed to Secure Syria's Chemical Weapons, Some Experts Say", Stars and Stripes, May 29, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.stripes.com/news/troops-needed-to-secure-syria-schemicalweapons-some-experts-say-1.223510

Walt, Vivian, "A Coalition of the Willing: Europe's Role in Possible Intervention",

Time, August 28, 2013. As of December 9, 2013:

http://world.time.com/2013/08/28/a-coalition-of-the-willing-europes-rolein-possible-syrian-intervention£"What to Do Now? Iran Torn on Syria", Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, September 11, 2013. As of December 9, 2013:

http://www.rand.org/blog/2013/09/what-to-do-now-iran-torn-on-syria.html

The White House, "Presidential DeterminationSyria", September 16, 2023. As of December 9, 2013:

http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2013/09/16/presidential-determination-syria

Zisser, Eyal, "The Deadlocked Syrian Crisis: The Fable of the Ants and the Elephant", Strategic Assessment, Vol. 16, No. 2, July 2013.

(٧)

من أين تأتي الدولة الإسلامية بأسلحتها؟[١]

ترجمة أحمد شاكر

(١) http://foreignpolicy.com/2014/10/06/where-does-the-islamic-state-get-its-weapons



العديد من الأسلحة التي تستخدمها الميليشيات المقاتلة في العراق وسوريا تأتي من الولايات المتحدة.

جمعت مجموعة بحثية مستقلة أدلة تثبت أن المقاتلين في الدولة الإسلامية الموصوفة بـ«شبكة الموت» من قبل الرئيس أوباما، يستخدمون الأسلحة والذخائر المصنعة في ٢١ بلدًا مختلفًا من ضمنها الصين، روسيا، والولايات المتحدة.

التقرير الذي صدر في ٦ أكتوبر من بحوث صراع التسلح يشير إلىٰ أن قوة الدولة الإسلامية الجديدة نسبيًا لديها بعض الصعوبات في الدخول في الصراع في العراق وسوريا، مدعومة ليس فقط من قبل القوىٰ العالمية الكبرىٰ، ولكن أيضًا من الخبراء الوافدين والقادمين من السودان.

الكثير من أسلحة وذخائر الدولة الإسلامية تم العثور عليها في ساحات المعركة، ولكن التقارير الاستخباراتية اقترحت أن مصدر تمويل المجموعة الذي يأتي من قبل مبيعات النفط والمصادر الأخرىٰ هو كافٍ لتمويل شراء الأسلحة الإضافية مباشرة من الشركات والتجار المستفيدين بشكل روتيني من صراعات الشرق الأوسط.

يقول الخبراء: حقيقة إنَّ المسحلين لديهم مثل هذه المصادر المتباينة -بعضها حتىٰ صنع في مصنع ذخيرة أمريكي كبير في ولاية ميسوري- يعطي مذكرة تحذيرية بينما تستعد واشنطن لإجراء شحنات موسعة من الإمدادادت العسكرية، بما فيها الأسلحة الصغيرة، إلىٰ الجماعات المتمردة في سوريا ولإحياء الجيش العراقي.

«لقد واجهنا تحديًا هائلًا عندما امتلكنا العراق وكان لدينا عدة قواعد تُمَكِنُنا من إجراء هذا النوع من التدريبات» يقول جوزيف كريستوف Joseph Christoff الذي أدار الشؤون الدولية وقضايا التجارة في مكتب المحاسبة الأمريكي بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١١، عندما حدد جاو GAO مرارًا أوجه القصور في السيطرة علىٰ استخدام الأسلحة الأمريكية في العراق وأفغانستان.

يقول كريستوف: «لا أعلم كيف سنقوم بإنجاز ذلك بشكل آمن في هذا البرنامج الجديد»، يعني تسليح القوات المتمردة المتحالفة مع الغرب في سوريا.

تم جمع البيانات الحديثة من قبل مجموعة تبلغ من العمر ثلاث سنوات ومقرها لندن تُدعىٰ Conflict Armament Research والتي ترسل محققين إلىٰ مناطق

النزاع لتحديد أنواع وأصول الأسلحة. يسرد تقريرها الأخير، الممول من قبل الاتحاد الأوربي، أكثر من ١٧٠٠ خرطوش تم جمعها في شهري يوليو وأغسطس في شمال العراق وشمال سوريا من قبل محققين يعملون جنبًا إلىٰ جنب مع القوات الكردية التي حاربت الدولة الإسلامية.

الخراطيش التي عثروا عليها بعد أربع معارك تمت صناعتها من أجل الآلات والبنادق الرشاشة، البنادق، والمسدسات. إحدىٰ الخراطيش سوفيتية الصنع تعود إلىٰ عام ١٩٤٥، وهذه شهادة قاتمة للآثار طويلة الأمد لإنتاج الأسلحة.

بحسب التقرير، حققت الشركات المُصنِعة في روسيا والاتحاد السوفيتي السابق ما مجموعه ٤٩٢ من القذائف المستردة، كانت روسيا موردًا رئيسيًا للأسلحة لنظام بشار الأسد السوري، الذي تقاتله قواته الدولة الإسلامية أيضًا.

وجود هذه الأسلحة بأيدي الدولة الإسلامية يعني بوضوح أن مقاتليه قد استولوا علىٰ أسهم كبيرة ليس فقط من القوات العراقية، ولكن من القوات السورية أيضًا. يشير التقرير إلىٰ أن ٢٦ من القذائف المستردة تم صنعها في إيران، حليفة الأسد، و١٨ تم صناعتها في سوريا نفسها.

ثاني أكبر بلد لمنشأ أسلحة الدولة الإسلامية كان الصين. ٤٤٥ من الخراطيش التي تم استردادها من قوات الدولة الإسلامية جاءت من الصين.

وبحسب التقرير؛ فإنَّ ثالث أكبر دولة موردة هي الولايات المتحدة بـ٣٢٣ خرطوشة. بعض هذه القذائف، أي أم ١٦ أي ٤، تمت صناعتها في مصنع الذخائر للجيش الأمريكي المستقل في ولاية ميسوري، بحسب التقرير.

شريط فيديو ترويجي لمصنع الجيش تم رفعه علىٰ موقع يوتيوب[1] في ٢٠٠٩، ينقل علىٰ لسان أحد عماله المجهولين قوله: «أشعر أنني بحالة جيدة لأنني أفعل أفضل ما أستطيع، لأني أعلم أنهم يقاتلون من أجلي، في الخارج، الخردة لا تخرج من هنا [أي المصنع]».

أكدت جوستين باراتي، المتحدثة باسم القيادة المشتركة للذخائر التابعة للجيش،

(١) http://www.youtube.com/watch?v=Glqe٥UM3r90

أن المصنع يقوم بصناعة ذخيرة ٥,٥٦ ملم كما هو مبين في التقرير، لكنها قالت إنها لا تستطيع التعليق بأكثر من ذلك حتىٰ صدور التقرير علنًا.

ووفقًا لتقرير مركز بحوث صراعات التسلح، وهو علامة تجارية لشركة مقرها كاليفورنيا، فإن شركة دولية للمعدات الرياضية وجدت في العديد من القذائف، وهو ما قيل يبدو أنه صنع في روسيا للشركة. «كميات كبيرة» من 7.62 X 54 R mm خراطيش لآلات الحرب والرشاشات، كما أشار التقرير.

الشركة الخاصة لصناعة اللوازم الرياضية لا يظهر أن لديها موقعًا إلكترونيًا عامًا، لكنها جعلت ١٤ من مبيعات الذخيرة المنفصلة إلىٰ وزارة الدفاع بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٠، تساوي أكثر من ٥,٧ ملايين دولار، وفقًا لنظام قاعدة بيانات المشتريات الاتحادية.

محام للتجهيزات الرياضية، مايكل فوكيت Michael Faucette، لم يرد علىٰ أسئلة حول ملكية الشركة أو عملها للبانتغون، لكنه قال: «هناك العديد من الشركات للولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك تجار الجملة والمصنعون، التي تزود الذخائر وغيرها من المنتجات للولايات المتحدة الأمريكية. للأسف، نحن ندرك أن قوات [الدولة الإسلامية] قد تجاوزت الذخائر ومعدات المستودعات في العراق وبناء علىٰ ذلك، فمن الممكن تمامًا أن هذه المستودعات في الولايات المتحدة قد قدمت الذخيرة التي تم استخدامها لأغراض أخرىٰ ضد الحكومة العراقية».

وأضاف Faucette أن الشركة «لا تملك علامة تجارية إلىٰ علامة WOLF في روسيا، ولذلك، فإذا كان هناك نباتات مختلفة في روسيا تصنع وتوزع الذخيرة مع العلامة التجارية الرئيسة WOLF؛ فإن هذا سيكون من دون معرفة أو موافقة شركة اللوازم الرياضية الدولية.

تم إنتاج عشرة في المئة من الخراطيش الموثقة في تقرير مركز بحوث صراع التسلح بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٤، مع بلغاريا والصين وهو ما يمثل أكثر من نصف هؤلاء.

تجسد الطبيعة المتغيرة للملكية علىٰ أرض المعركة، وذكرت مجموعة المراقبة أن الكثير من أسلحة الدولة الإسلامية وتسلحها التي وجدت وفحصت، كانت تستخدم في وقت لاحق من قبل القوات الكردية.

عندما وصل المحققون إلىٰ قاعدة كردية في شمال سوريا في ١٣ يوليو، علىٰ سبيل المثال، توقف الجنود من حفر الخنادق لإظهار بعض من رصاصهم الذي تم العثور عليه مؤخرًا. يقول داميان سبليتيرز، محقق ميداني مع المجموعة: «لقد وضعوا الذخيرة علىٰ بطانية أمامنا، بأدب جدًّا، ولكن أيضًا علىٰ وجه السرعة، علىٰ سبيل» نحن بحاجة إلىٰ هذا الآن بينما كنا نصور كل قطعة.

يقول سليبتيرز: إنه عندما انتهىٰ التوثيق، عزز المقاتلون الذخيرة في سيارة ونقلوها مرة أخرىٰ إلىٰ خط الجبهة.

وحدد تقرير صدر في شهر سبتمبر من قبل مجموعة مراقبة الأسلحة، الأسلحة الصغيرة الإضافية التي استولىٰ عليها المقاتلون الأكراد من قوات الدولة الإسلامية، بما في ذلك خمس بنادق M 16. سلاح أم ١٦ وأسلحة أخرىٰ أمريكية الصنع تم الاستيلاء عليها في شمال العراق بعد ما يقرب من أسبوعين بعد سيطرة مقاتلي الدولة الإسلامية علىٰ مدينة الموصل العراقي في ١٠ يونيو، مما يدل علىٰ «الكفاءة اللوجستية» كما يقول التقرير.

ذخيرة بندقية M 16 لا تتوفر بسهولة في سوريا، يقول سليبتيرز، لذلك «عند استخدام هذا النوع من السلاح في معركة، فإن هذا يعني أنك واثق من الإنفاق علىٰ المعركة باستمرار علىٰ المدىٰ الطويل مع الذخيرة التي تحتاجها، وأن لديك سلسلة توريد قوية لجلبها هناك».

⋆ جهود الولايات المتحدة لتعقب الأسلحة:

يوم ١٨ سبتمبر، أصدر الكونغرس قانونًا يجيز وزارة الدفاع ليس فقط لإعادة تجهيز القوات العراقية التي فقدت الأراضي وتخلت عن أسلحتها من أجل الدولة الإسلامية، ولكن أيضًا لتوفر الأسلحة من أجل «التدقيق بشكل مناسب لعناصر من المعارضة السورية». يشترط القانون وضع خطة مع وزارة الخارجية لمراقبة الأسلحة الصاعدة مع الرياح، وفي نهاية المطاف، للتخفيف من سواء استخدامها من قبل المقاتلين غير المصرح لهم. من المفترض أن يعيد النواب النظر في خطة الرصد قبل أسبوعين من الصادرات الجديدة.

لكن وزير الدفاع روبيرت وورك أخبر مركز النزاهة العامة في ٣٠ سبتمبر أن هذه التدابير لا تزال قيد التطوير. جوشو أم. بول، وهو ضابط سابق في السفارة الأمريكية في العراق الذي هو الآن الناطق باسم مكتب وزارة الخارجية التي تشرف علىٰ صادرات الأسلحة، رفض التحدث إلىٰ مركز النزاهة العامة كما يبين السجل.

وفي الوقت نفسه، قالت الدولة الإسلامية: إنها ترحب بفرص جديدة لتضع يدها علىٰ الذخائر الإضافية الموردة من الغرب. «انظروا كم كم الأموال التي تنفقها أمريكا لمحاربة الإسلام، وهو ينتهي إلىٰ جيوبنا» يقول أبو صفية، المتحدث في فيديو دعائي للدولة الإسلامية والمرفوع علىٰ يوتيوب بتاريخ ٢٩ يونيو، ومشيرًا بيديه إلىٰ شاحنة فورد F-350 كانت متوقفة في قاعدة للشرطة العراقية التي استولىٰ عليها المسلحون المتطرفون خلال الصيف، يقول أبو صفية: «سوف يهزمون في سوريا أيضًا، إن شاء الله، عندما يأتون. ونحن بانتظارهم إن شاء الله لأخذ المزيد من المال منهم».

يُفترض بأن القانون الأمريكي يقوم بحراسة ضد تسريب الأسلحة التي تحملها السفن الأمريكية للخارج. منذ عام ١٩٧٦، يطلب قانون مراقبة تصدير الأسلحة من الكونغرس أن يتم إخطاره بالصادرات الكبيرة للأسلحة الصغيرة والأسلحة الخفيفة. وإعطاء فرصة لتقييمها مقدمًا.

بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠١٣، كان توماس مور عضو كبار الموظفين في لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ المسؤول عن عملية المعالجة. قال مور: إن التجربة جعلته حذرًا حول خطة واشنطن لتسليح المعارضة السورية الآن، وقال إن القيادة المركزية للجيش حاولت مرارًا تخطي الإجراءات العسكرية المعتادة للمبيعات الأجنبية ومجرد بداية تسليم الأمور إلىٰ الناس، مع التبرير «إننا في حرب، لذلك نحن بحاجة للحصول علىٰ هذه الأشياء خارج الباب».

في ظل الظروف العادية، أشار إلىٰ أن مبيعات السلع بين حكومة وحكومة وسلع الدفاع والخدمات -الأسلحة والتدريبات- يتم تنسيقها مع وكالة التعاون الأمني الدفاعي التابعة للبنتاغون. عند بيع سلاح أو إعطائه من قبل وزارة الدفاع إلىٰ حكومة أجنبية؛ فإنَّ الوكالة تشرف علىٰ كل شيء من العقد الأولي مع مورد أسلحة إلىٰ تتبع الاستخدام النهائي للسلاح.

المصدر يترك ذيلًا في أعقابها، والذي يتضمن «خطاب قبول» أو «التوريد» من المتلقي الأجنبي مفوضًا وزارة الدفاع لمراقبة دورية السلاح والتأكد من عدم حدوث أي شيء غير مصرح به، ولكن في منتصف ٢٠٠٠، يقول موور، بدأت الوكالة باستخدام شيء أطلقت عليه تسمية «التوريد الزائف» متطلبات أضعف لرصد الاستخدام النهائي، للحفاظ علىٰ الأسلحة التي تتدفق إلىٰ العراق بسرعة.

يقول مور: «لديك مساءلة محدودة حتىٰ عندما كان لديك حكومة مروضة ستتيح لك أن ترسل في شاشات»، وأضاف «لكن نحن نتعامل مع الجماعات المتمردة، وفكرة أنه يمكن أن يكون هناك توريد زائف مع مجموعة متمردة غريب إلىٰ درجة السخافة».

علىٰ مدىٰ العقد الماضي، أنفقت واشنطن حوالي ٣٠ مليار دولار لتدريب وتجهيز قوات الأمن العراقية وفقا لبوين، وهناك قسم كبير من الأسلحة الصغيرة ونظم الأسلحة الأخرىٰ التي سلمت هي في عداد المفقودين في أعقاب استيلاء الدولة الإسلامية لمدن: الموصل والفلوجة وتكريت وكذلك الأراضي المحيطة.

حتىٰ في بداية الاحتلال الأمريكي للعراق، أبقىٰ القادة الأمريكيون علىٰ الأرض من حيث حجم الأسلحة التي تقدمها الولايات المتحدة لأعلىٰ؛ يشير تقرير المحاسبة الحكومي عام ٢٠٠٧ إلىٰ أن ١٩٠,٠٠٠ من الأسلحة لا يمكن أن تكون موجودة آنذاك.

قال جون هولي، وهو عقيد بحرية متقاعد شغل منصب مدير الخدمات اللوجستية لإعمار سلطة التحالف المؤقتة بقيادة الولايات المتحدة وفيلق مهندسي الجيش الأمريكي في العراق من ٢٠٠٣ إلىٰ ٢٠٠٨، إنه خلال هذه الفترة، ناضل لفهرسة جميع شحنات أسلحة البنتاغون الممولة التي وصلت إلىٰ البلاد في حالة غير منظمة. تفتقر بعض الأرقام التسلسلية أو البيانات ولكن مع ذلك كان لا بد من شحنها علىٰ الفور للدفاع أو قوات الأمن العراقية.

لم يكن هناك قاعدة بيانات مركزية لما قد تم شراؤه للعرقيين، يقول هولي في مقابلة مع مركز النزاهة العامة. كنت أسلم الأسلحة والذخائر إلىٰ مراكز الشرطة من خلال الأبواب الخلفية في حين كان لديهم اشتباكات مسلحة خارج الباب الأمامي - ومحاولة الحصول علىٰ إيصال من قائد الضباط العراقيين الذي أستطيع أن أقول لكم إنه كان متحمسًا حقيقة من ذلك.

في نهاية المطاف، في نهاية إدارة بوش، وضع الرصد في مكان العتاد الأكثر حساسية، ولكن يقول مسؤولون إنها لا تشمل أسلحة بسيطة مثل M16s. «كان عليك قبول بعض المخاطر في هذا»، يقول الجنرال المتقاعد مايكل بابيرو، الذي أشرف علىٰ تدريب وتجهيز الشرطة العراقية ووحدات الجيش الأمني من **٢٠٠٩** إلىٰ **٢٠١١** ويفضل إعادة تسليح العراقيين الآن. «سوف يحدث. إنه قتال. إذا هزمت من الناحية التكتيكية فإنك ستفقد المعدات».

حذر ستيورات بوين، الذي شغل منصب المفتش الخاص لإعادة تعمير العراق بين عامي **٢٠٠٤** و**٢٠١٣**، أنه علىٰ الرغم من مراقبة الولايات المتحدة أصبحت أفضل خلال هذه الفترة، فإن القوات الأمريكية في العراق يمكنها تتبع معظم المعدات فقط حتىٰ تصل إلىٰ أيدي العراقيين. رصد الاستخدام النهائي بعد كل نقطة كان هو «التحدي الحقيقي» كما يقول.

يقول بوين: «إنه شيء واحد ما إذا كان لدينا أنظمة تتبع الرقم المسلسل؛ وشيء آخر تمامًا ما إذا كان الجيش العراق لديه القدرة علىٰ علم ما إذا كانت الأسلحة قد فقدت»، وأضاف «وأظن أنه لم تكن لديهم تلك القدرة الكاملة».

ربما توقع مقاتلو الدولة الإسلامية أن البنتاغون سوف يبذل جهودًا متجددة لتتبع ما إذا كانت شحنات الأسلحة المستقبلية ستبقىٰ في اليد اليمنىٰ، وفقًا لمجموعة بحوث صراع التسلح؛ فإن الأحزاب مجهولة الهوية ربما استخدمت مشاعل الأكسجين والأستيلين لإزالة الرقم التسلسلي الأصلي من بعض الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها من قبل الدولة الإسلامية. وأضافوا رقمًا تسلسليًا ثانويًا علىٰ بعض الأسلحة الأخرىٰ.

أوضح Spleeters أن حجب الأرقام التسلسلية الأصلية هو وسيلة للمعنيين لإخفاء النقطة التي تم تحويل السلاح إليها ومن هو المقصود باستخدامه الأصلي.

نشرت هذه القصة من قبل مركز النزاهة العامة، وهي منظمة إخبارية تحقيقية غير حزبية، غير ربحية، في واشنطن[1].

---

(١) ساهم أليكس كوهين من مركز النزاهة العامة في كتابة هذه المقالة.



(٨)

استخدام الذبح في الإسلام الأصولي

ليزا ج. كامبل[1]

---

(١) GLOBAL CRIME VOLUME 7 NUMBER 3-4 (AUGUST-NOVEMBER 2006)

الجريمة الدولية، عدد ٧، رقم ٣ - ٤ (أغسطس - نوفمبر ٢٠٠٦)



المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة



عمليات قطع الرؤوس نظرة تاريخية

لقد تصاعدت وتيرة قطع الرؤوس بشكل دراماتيكي في السنوات الأربع الأخيرة، خاصة بعد استحداث فكرة نشر مقاطع مصورة لتلك العمليات من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية. إنَّ لاستخدام قطع الرؤوس تاريخًا طويلًا. وقد تم استخدامه من قبل سلطات حكومية وغير حكومية، كوسيلة للعقاب أو للإرهاب، ضد قادة، ومدنيين ومحاربين، سواء في أوقات السلام أو أوقات احتدام الصراع. إنَّ عمليات قطع الرؤوس الحالية تعيد إنتاج العمليات القديمة بقدر ما تحيد وتختلف عنها. فالعمليات الحالية لها طابع أكثر إجرامية، بينما في الماضي كانت لها شرعية أكبر، بل كان بعضها يعتبر عملًا مشرفًا.

تستهدف تكتيكات قطع الرؤوس الحالية أهدافًا غير متوقعة وغير قانونية، فهي تكتيكات غير سوية وبربرية، وتعرض بشكل غير منضبط علىٰ جمهور غير مستعد لها. بالرغم من أنَّ الميليشيات الإسلامية هم أصحاب السطوة فيما يخص عمليات قطع الرؤوس، فهناك أدلة علىٰ أنَّ قطع الرؤوس تفعله أيضًا كيانات غير إسلامية في أماكن غير متوقعة. إنِ استمرت عمليات قطع الرؤوس تلك، سيكون من الضروري اتخاذ تدابير عكسية، يجب أن تدعم بفهم للدوافع السياسية، الثقافية والإجرامية لمرتكبي تلك الجرائم، وأيضًا فهم تكتيكاتهم.

كلمات مفتاحية:

قطع الرؤوس، الإسلام الأصولي، الدول، الميليشيات الإسلامية، التكتيكات الإسلامية، العصابات.

When you're wounded and left on Afghanistan's plains,

And the women come out to cut up what remains,

Jest roll to your rifle and blow out your brains An' go to your Gawd like a soldier.

Go, go, go like a soldier,

Go, go, go like a soldier,

Go, go, go like a soldier,

So-oldier of the Queen!

Rudyard Kipling

حين تصاب وتترك في سهول أفغانستان،

ثم تأتي امرأة وتقطع ما تبقىٰ،

اجذب زنادك مداعبًا إياه، ثم فجر رأسك،

واذهب إلىٰ ربك كمقاتل،

اذهب، اذهب كمقاتل،

اذهب، اذهب كمقاتل،

اذهب، اذهب كمقاتل،

يا من تقاتل باسم الملكة!

[جزء من قصيدة بريطانية، بعنوان: المحارب البريطاني الشاب *The Young British Soldier*، *لروديارد كيبلينج* *Rudyard Kipling*]

إنَّ استخدام قطع الرؤوس عند الأصوليين الإسلاميين لهو تكتيك يستخدم منذ آلاف السنين في ساحة الحروب وفي غيرها، من قبل كيانات حكومية وغير حكومية. منذ

عام (٢٠٠٢م)، لجأ الأصوليون الإسلاميون، عن عمد، إلىٰ عمليات قطع رؤوس أمام جمهور واسع جدًّا. تلا ذلك، نقاشٌ حول أسباب استخدام الميليشيات لقطع الرؤوس، كيف يُبررونها، وكيف يستفيدون من وسائل الإعلام في إبراز أثر تلك العمليات علىٰ مستوىٰ عالمي. إنَّ أسباب وكيفية استخدام الأصوليين الإسلاميين لقطع الرؤوس، وأيضًا استخدام بعض الثقافات غير الإسلامية لها، له سوابق تاريخية، وتوظيف عملي غير متناظر، لكنَّه يمكن أن يفسر لنا بعض جوانب حروب الجيل الرابع.

يُمكن أن تكون عمليات قطع الرؤوس الحالية مؤشرًا علىٰ أنَّ العالم في حالة من التوتر المتصاعد. بالرغم من أنَّ الأصوليين الإسلاميين سوف يزعمون أنَّ عمليات قطع الرؤوس لها مبررات دينية، من القرآن والحديث[١]، إلَّا أنَّ غالبية المسلمين لا يوافقونهم في ذلك الفهم. والأكثر من ذلك، هو أنَّ الأصوليين الإسلاميين غير متسقين مع أنفسهم في استخدامهم لعمليات قطع الرؤوس، ويروجون لاستخداماتهم وتكتيكاتهم تلك برغبتهم علىٰ أي مستوىٰ، سواءٌ عالميٌّ أو محليٌّ.

في (٢٠٠٤م) وبداية (٢٠٠٥م) -وهي بداية فترة ما بعد صدام- كانت هناك موجة من عمليات قطع الرؤوس تبث علىٰ الإنترنت، كان من شأنها أن تضع تلك التكتيكات أمام نظر العامة، وتذكر العالم أجمع بطبيعتها البشعة. بينما كان لعمليات قطع الرؤوس المنشورة أثرٌ عظيمٌ، إلَّا أنَّ العدد القليل جدًّا من العمليات غير المنشورة له أهمية مساوية أو ربما أكبر. في (يونيو ٢٠٠٦م)، تم اعتقال اثنين من أفراد الميليشيات، واحدًا تلو الآخر في فترة لا تزيد عن بضعة أيام. الأول، هو أحمد حسين دباش البطاوي، ووجد أنَّه ذبح، بيده، مئات العراقيين[٢] والآخر، حمزة

---

(١) Several works on this topic have been accomplished. See 1(Jones, R. H. (2005) Terrorist Beheadings: Cultural and Strategic Implications, Carlisle: Strategic Studies Institute, US Army War College, June; 2 (Furnish, T. (2005) 'Beheading in the Name of Islam', Middle East Quarterly, Spring, vol. 7, no 2, pp. 3-4; 3) Islam and Beheading, available at: www.muhammadism.org, (accessed 3 April 2005).

(٢) A narrative record of the sayings or customs of Muhammad and his companions, or, the collective body of traditions relating to Muhammad and his companions; Mirriam-Webster Dictionary.

خيري العاني، الذي وفق الوثائق الرسمية في بغداد، تمت إدانته بقتل وقطع رؤوس عشرات المواطنين(١)، وبالرغم من استحالة جمع بيانات كل حالة من حالات قطع الرؤوس التي قام بها هذان المجرمان، إلَّا أنَّه في حالة الحصول علىٰ مثل تلك المعلومات، ربما تلقي الضوء علىٰ العمليات الحالية، وربما أيضًا المستقبلية. عمليات قطع الرؤوس المعاصرة ظهرت في كل من تايلاند، إندونيسيا، الهند، باكستان والصومال. يبقىٰ السؤال ما إذا كانت مثل تلك التكتيكات سوف تخرج خارج نطاق تلك المناطق، وعلىٰ أي مقياس، ومن قبل من.

★ عمليات قطع الرؤوس: نظرة تاريخية

منذ عصور الكتاب المقدس، كان يستخدم قطع الرؤوس أثناء الحروب أو الثورات، للعقاب، للتحذير، ومن قبل كل من الدول وغيرها من الكيانات. كانت تقطع رؤوس القادة العسكريين، المقاتلين الحربيين، الملوك وأيضًا عامة الشعب -لم يكن يستثنىٰ أحد. حتىٰ النساء كان من العادي أن تقطع رؤوسهم. لم يكن من المعتاد أن يتم قطع رؤوس أفراد أو أعداد قليلة. ففي عام (١٠٨٦م) قام يوسف ابن تشفين، قائد إمبراطورية المرابطين، بقتل (٢٤٠٠٠) من الكاستيليين في معركة الزلاقة. ثم أمر ابن تشفين بقطع رؤوس كل آل (٢٤٠٠٠)، ثم جمع رؤوسهم أكوام تشبه المآذن، ثم أمر المؤذنين بأن يصعدوا عليها ويكبروا(٢).

كانت تُعتبر عمليات قطع الرؤوس التي تقوم بها الدول نوعًا من العقاب الجماعي. خلال القرن الثامن عشر، كانت تُعلق الرؤوس المقطوعة وتبرز من أجل ردع المجرمين. ثم تلاشت تلك الممارسة مع الوقت. كانت عمليات قطع الرؤوس التي تمارسها الدول تتم بوساطة سيف أو بلطة، وهو ما كان رخيصًا وعمليًّا، لكنَّه كان في نظر الكثيرين، منهم اليونانيون والرومان، أمرًا إنسانيًّا وأكثر شرفًا. وبعد أن اختفت تقريبًا تلك الممارسة بنهاية القرن الثامن عشر، عادت مرة أخرىٰ للحياة بشكل مفاجئ.

---

(١) See David Frum's Diary, National Review Online, June 4, 2006, reviews news stories from AP and Gulf Times.

(٢) bid.

في عام (١٧٩٢م)، استحدث الفرنسيون المقصلة، كماكينة لقطع الرؤوس. وبالرغم من أن المقصلة كانت تعتبر أداة إعدام متطورة وحضارية، إلَّا أنَّ البريطانيين، في رد فعل غير اعتيادي، أعادوا إحياء عادتهم التقليدية في قطع الرؤوس مستخدمين السكين والبلطة[١]، وقد استخدمت الدول الأوروبية والآسيوية قطع الرؤوس بشكل متقطع خلال القرن العشرين. مع تناقص الجريمة، وتزايد الإنسانية، والازدياد العام لحساسية العامة تجاه هذا العرف أدت كل تلك العوامل إلىٰ تراجعه. بينما مرت عمليات قطع الرؤوس بفترات ظهور وفترات اختفاء، إلَّا أنَّ أدوات قطع الرؤوس لم تمر بذلك التأرجح المنطقي. علىٰ سبيل المثال، لماذا لم يستخدم البريطانيون المقصلة حين استخدمها الفرنسيون؟ ولماذا لجأوا لأدوات أكثر بدائية؟

⋆ مقتل الحسين بن علي

لقد تم قطع رؤوس الكثير من المشاهير، من ثقافات عديدة، عبر التاريخ. في عصور الكتاب المقدس، كان أشهر الشخصيات هو يوحنا المعمدان. قبل ذلك كان قطع رقبة جالوت بأيدي داوود. أشهر حالات قطع الرؤوس التي اشتملت علىٰ رؤوس كثيرة كانت في إنجلترا، ثم تلاها في العدد فرنسا (أثناء الثورة الفرنسية). اشتملت حالات قطع الرؤوس الشهيرة علىٰ قديسين سلتيين، صينيين، ومستعمرين أمريكان. أشهر مسلم قطعت رأسه هو الحسين ابن علي، حفيد الرسول محمد، مؤسس الإسلام. كان لموت الحسين أهمية كبيرة للغاية. فلم تكن فقط مجرد علامة فارقة في الانقسام بين السنة والشيعة، لكن كان محمد [ﷺ] بنفسه قد تنبأ باستشهاده في كربلاء.

لقد قتل الحسين ابن علي وقطعت رأسه في معركة كربلاء عام (٦٨٠ م). كانت مدينة كربلاء قريبة من الكوفة، أحد حصون أبو علي السابقة. كان يبدي سكان الكوفة تأييدًا كاملًا للحسين. ذهب الحسين من مكة إلىٰ الكوفة لمواجهة يزيد بن معاوية، الخليفة آن ذاك، بتعيين من والده، الخليفة السابق. كان تحرك الحسين ذلك استجابة

---

(١) Regina Janes, R. (2005) Losing Our Heads: Beheadings in Literature and Culture, New York University Press, New York, p. 43.

لمؤيديه وفي الوقت نفسه توافقًا مع مبادئه. لا يوافق الكثير من المسلمين علىٰ طريقة تعيين يزيد كخليفة بأسلوب مخالف للتقليد وحقيقة إنَّ هذا التعيين كان بداية لأسرة حاكمة لا مثيل لها، وهي تعتبر أولىٰ الأسر العربية الحاكمة. الخليفة، بحسب تعريفه، له كل من السلطة الدنيوية والروحية. أما يزيد فكان يتمتع فقط بالسلطة الدنيوية، وهو ما كان يعيه جيدًا، ولذا طلب مبايعة الحسين الذي كان يعتبره الناس القائد الروحي. رفض الحسين مبايعته؛ لأنَّه كان يعتقد أن عليه الحفاظ علىٰ قيم الإسلام. بعد رفض الحسين، أمر يزيد جيشه بمنع الحسين من دخول الكوفة، حيث كانت له هناك شعبية طاغية. لقي الحسين وعدد قليل من أشياعه مصيرهم في كربلاء، وتمت قطع رؤوسهم. وعلق اثنان وسبعون رأسًا علىٰ أسنة الرماح وأخذت إلىٰ الكوفة، ثم إلىٰ دمشق حيث عرضوا علىٰ يزيد.

قطع الرؤوس خلال الثورة المهدية

يكون هناك ميل متزايد لقطع الرؤوس خلال فتات الثورات والاضطرابات. خلال الثورة الفرنسية والحرب الأهلية في جواتيمالا، علىٰ سبيل المثال، كان لقطع الرؤوس دور أساسي. وكان هناك ميل مماثل نحو قطع الرؤوس خلال الثورة المهدية، التي نتجت حين ظهر قائد، زاعمًا أنَّه المهدي. فوفق التقليد الإسلامي، المهدي، سوف يظهر قبل يوم القيامة ليقيم دولة إسلامية مثالية عالمية موحدة. كل عدة أجيال يخرج أحدهم مدعيًا أنه المهدي. وغالبًا ما يكون التهكم علىٰ هذا الإعلان سببًا في انقسام العالم الإسلامي بين المهديين الجدد ومعارضيهم. كل منهم يكفر الآخر، وهو ما يتيح لهم قطع رؤوس بعضهم البعض، ويستشهدون بالآية القرآنية (٤٧ : ٣) في معرض دفاعهم[1]، عمليات قطع الرؤوس كانت إما للترهيب، أو لإظهار النصر، أو لكليهما. في كل حالاتها، كانت تسبب الحركات المهدية خلافات متطرفة وتحركات ميليشياتية تستخدم قطع الرؤوس. في عام (١٨٨٥ م)، أثناء الثورة المهدية في السودان، تم حتىٰ قطع رأس جنرال بريطاني اسمه تشارلز جوردون (Charles Gordon). آخر الحركات المهدية كانت في (١٩٧٩ م)، ونتج عنها محاولة

---

(١) Furnish (2005), p. 4.

لإسقاط نظام الحكم في السعودية. كان زعيم الحركة هو جهيمان العتيبي نيابة عن أخيه غير الشقيق محمد بن عبد الله القحطاني الذي ادعىٰ أنه المهدي. لقد نادت الحركة بقطع العلاقات مع الغرب، وإسقاط النظام السعودي غير الشرعي وإعادة توزيع الثورات، وطرد كل الأجانب من شبه الجزيرة العربية. لقد هاجم العتيبي وبضع مئات من الرجال معه مكة المعظمة، وحاصروها لفترة حتىٰ استعاد السعوديون سيطرتهم عليها. تم إعدام كل من نجا من المعتدين، وتم قطع رؤوس العديدين منهم.

★ الحروب الأنجلو - أفغانية

احتلت بريطانيا أفغانستان في العقد الأول من القرن التاسع عشر ثلاث مرات **لكنها** لم تستطع الحفاظ عليها أبدًا -بالرغم من تطويرهم لمعداتهم وزيادة أعدادهم بشكل ناجح. خلال فترات الاحتلال، كان يقلل البريطانيون من شأن سوء الترحيب بهم. في الحرب الأنجلو- أفغانية الأولىٰ، اختار النائب البريطاني، ألكساندر برنز (Alexander Burns)، أن يعيش في كابول، بدلًا من المعسكرات الأكثر أمنًا. وجد الأفغان، الذين كانوا يراقبون كل حركة بريطانية من فوق التلال، أن النائب المنفصل يعد صيدًا سهلًا. تجمعت عصابة عند سكن برنز وتم تقطيعه قطعًا صغيرة. لقي السير ويليام مكنوتن (William McNaughten)، المبعوث السامي، المصير نفسه حين ذهب إلىٰ اجتماع مريب. وُجد جسده من دون رأس ولا أطراف مُعلقًا علىٰ عامود أحد البازارات. كان ذلك النوع من القتل عاديًا بالنسبة إلىٰ الأفغان نظرًا لاستمرارهم في حروب متتالية. وكنتيجة لذلك كان غالبًا ما يتم القبض علىٰ بريطانيين من دون حراسة، وهو ما أدىٰ إلىٰ فقدانهم لعدد كبير من القوات والمدنيين المصاحبين لهم. أثناء الانسحاب البريطاني من الحرب الأنجلو - أفغانية الأولىٰ، كان هناك ناجٍ واحدٌ فقط من بين (١٧٠٠٠) ذهبوا هناك. في (١٨٧٨م)، أثناء الحرب الأنجلو - أفغانية الثانية، أوقع الأفغان البريطانيين مرة أخرىٰ في فخاخهم وأجبروهم علىٰ ترك كابول بعد دعوتهم للجهاد، متحركين نحوها بـ(١٠٠ ألف مجاهد). في (١٩١٩م)، الحرب الأنجلو -أفغانية الثالثة بدأت الحرب الأفغانية بالجهاد حين هاجم الأفغان البريطانيين

بطول الحدود مع الهند، مستغلين فترة الاضطراب هناك[١].

★ **موت أميرة**

في عام (١٩٨٠) أذاعت قناة (PBS) فيلمًا وثائقيًا، فيه حادثة قطع رأس شهيرة للغاية نفذته الدولة السعودية، بعنوان موت أميرة. كان الفيلم عبارة عن مجموعة من اللقاءات أجراها صحفي اسمه أنتوني توماس (Antony Tomas) عن الإعدام أمام الجماهير لأميرة سعودية والرجل الذي زنت معه. تم إطلاق الرصاص علىٰ الأميرة بينما تم قطع رأس محبوبها. توثيق حالة الإعدام تلك أثار جدلًا واسعًا. حين تم عرض الفيلم أول مرة، قال تيد كوبل (Ted Koppel) إنَّ فيلم موت أميرة يُعد أكثر الأفلام إثارة للجدل في تاريخ التلفزيون، فيلمًا أثار عاصفة دولية. كان أغلب الجدل متركزًا حول شعور السعوديين بكون الفيلم يعتبر هجومًا علىٰ الإسلام. أيضًا؛ فإنَّ التحدي الذي واجهه السيد توماس للوصول للحقيقة كان نفسه محل جدل. فخلال رحلته في البحث عن الحقيقة، قابل توماس شاهدًا قام بوصف قطع رأس **الدولة** لمحبوب الأميرة بطريقة لا تتفق مع الطريقة التقليدية التي تتبعها الدولة. ممَّا ظهر أيضًا في الفيلم الوثائقي، هو أنَّ قطع الرأس لم ينفذه الموظف المختص بتنفيذ الإعدامات، لكن أحد الحراس الملكيين. ربما كان السبب في إعدام الأميرة ومحبوبها بتلك الطريقة، وبعد أن تم القبض عليهم مباشرة، هو جعلهم عبرة للعامة. لقد تم تنفيذ حكم الإعدام ذلك في الفترة التي كانت تسافر فيها النساء خارج المملكة العربية السعودية بتردد أكبر وكانوا يحصلون علىٰ أفكارٍ من المجتمعات الغربية. ربما كان نية الأسرة الملكية في إعدام أحد نبلائها، هو الحفاظ علىٰ مجتمعهم من الخروج عن التقاليد الإسلامية[٢].

---

(١) 'The Young British Soldier', Analysis section, www.cs.rice.edu/ ,ssiyer/minstrels/poems/ 1146.html.

(٢) Death of a Princess, Frontline, PBS Video, 1983-2005, WGBH Educational Foundation.

★ محاربو الساموراي وقطع الرؤوس

قطع الرؤوس كان جزءًا مُهمًّا من طابع الحياة لدىٰ محاربي الساموراي. المعارك والسيبوكو (انتحار طقسي) للساموراي كانوا غالبًا ما ينتهون بقطع الرأس. كان من المعروف أن معارك الساموراي دائمًا ما تنتهي بقطع الرأس للحفاظ علىٰ الكرامة. كان يجب أن يكون الموت جميلًا ونبيلًا. كان الساموراي يقطعون الرؤوس لسببين: (١) لإعلان الانتصار علىٰ الآخر. و(٢) لإكمال الانتحار (إن طالت فترة معاناة أحد محاربي الساموراي بعد طعنه لنفسه من أجل الانتحار كان علىٰ أحد زملائه أن يقطع رأسه). كان الساموراي يعتبرون منافسيهم مساويين لهم وفق قوانين الساموراي. بعد انتهاء الساموراي بفترة طويلة نتيجة الأسلحة الحديثة والاستعمار الغربي، أُعيد إحياء تشريعاتهم علىٰ يد الجنود اليابانيين. عام (١٩٣١م) حين احتلت اليابان منشوريا والصين، كان المجندون اليابانيون يحملون سيوف الساموراي جنبًا إلىٰ جنب مع بنادقهم، لكنَّهم لم يستخدموا السيوف كما استخدمتها الساموراي. بل قاموا بغير شرف بذبح وطعن رؤوس المدنيين وأسرىٰ الحرب. أيضًا، فحين بدأ اليابانيون في خسارة الحرب العالمية الثانية، لجأوا للانتحار، وعلىٰ عكس طريقة انتحار الساموراي، كانت انتحارات اليابانيين في الحرب العالمية الثانية هجومية. في (١٩٤٣م)، أصبح الانتحار إحدىٰ وسائل الحرب عند اليابانيين. طريقتهم الخاصة في الانتحار كانت بالهبوط بالطائرات وتفجيرها في البوارج البحرية الأمريكية، وهو تكتيك غير تقليدي وغير معتاد في ذلك الوقت.

★ الاستخدام النازي لقطع الرؤوس

خلال حكمه، كان هتلر يقطع الرؤوس بالمقصلة. كان الإعدام بقطع الرأس هو القانون الألماني لكل المجرمين المدانين، لكن استخدامه زاد بشكل دراماتيكي مع النظام النازي، خاصة في الفترة بين (١٩٣٨، و١٩٤٥م). لم يكن هتلر يكتفي بقطع رؤوس المجرمين، بل كان يفعل ذلك أيضًا مع معارضي النظام. كان قطع الرؤوس ينفذ من خلال محاكمات تنتهي غالبًا بالشنق أو المقصلة. زاد أيضًا هتلر من عدد

الجرائم التي تستدعي الإعدام. وقلل من السن القانوني للإدانة الجنائية، وكانت لديه (٢٠ مقصلة) بُنيت ووزعت علىٰ السجون في ألمانيا والنمسا. بينما كانت عمليات قطع الرؤوس النازية تتم داخل أسوار السجون، إلَّا أنَّ عمليات الشنق كانت تستخدم بشكل أكبر في العلن لإرعاب العامة والترفيه عن القوات.

⋆ حالات قطع الرؤوس المعاصرة

الاستخدام المعاصر لقطع الرؤوس يعكس الاستخدام التاريخي علىٰ مستويات متعددة. تتم عمليات قطع الرؤوس المعاصرة بشكل أساسي علىٰ الجنود، المدنيين (الأبرياء)، ضباط البوليس، المجرمين المنافسين، وهذا فقط مثال.

⋆ المستهدفون من الشخصيات المرموقة

بالرغم من أنَّ قطع رأس رئيس دولة ما، يعد تصعيدًا خطيرًا، إلَّا أنَّه تم من قبل. في (يونيو ٢٠٠٦م)، تم القبض علىٰ (١٧ مشتبهًا) في كونهم إرهابيين في تورنتو. علىٰ الأقل واحد منهم كان يخطط لقطع رأس مسؤولين في البرلمان الكندي، من ضمنهم رئيس الوزراء. كانت واقعة قطع رأس رئيس الوزراء الكندي ستصبح أول حالة قطع رأس لشخص مشهور في فترة ما بعد الحداثة. يجب الأخذ في الاعتبار أنه بالرغم من فشل تلك الخطة، إلَّا أنَّها تُعدُّ مؤشرًا علىٰ احتمالية التخطيط لعمليات مماثلة لمسئولين رفيعين.

⋆ السُّنة مقابل الشيعة

الانقسام بين السنة والشيعة، والذي يمتد تاريخه إلىٰ الحسين بن علي، مازال مستمرًا في يومنا هذا ومازال مصدرًا للصراع الطائفي وقطع الرؤوس في العراق. إنَّ عمليات قطع الرؤوس الحالية التي تنفذها الميليشيات الإسلامية تحاكي قطع الرؤوس في معارك **الإسلام الأولىٰ**. تستلهم الميلشيات أفعالها وتتمادىٰ فيها وتبررها من خلال روايات عن المعارك التاريخية التي أصبح بعضها يعتبر أحاديث نبوية. أيضًا؛ فإنَّ العدد الكبير للرؤوس المقطوعة في المعارك التاريخية، مثلًا: يمكن اعتبار الاثنين

وسبعين رجلًا من أشياع الحسين نموذجًا للمليشيات ورغبتهم في قطع رؤوس أكبر عدد ممكن من رؤوس أعدائهم، بما فيهم كل الكافرين.

★ مهدي جديد؟

قد يدعي البعض أنَّنا الآن في منتصف حركة مهدية جديدة. مع العلم بأن كلًا من المسلمين الشيعة والسنة يقبلون فكرة قدوم المهدي. لم يدعِ أسامة بن لادن أنَّه المهدي، لكن صفاته الفيزيائية، وأيضًا فلسفته قريبة جدًّا ممًّا وصف عن المهدي. أيضًا؛ فإنَّ عبارات ابن لادن، تشبه عبارات استخدمتها الميليشيات الإسلامية عام (١٩٧٩م) أثناء الثورة المهدية[1]، أيضًا، هناك الكثير من الأساطير حول المهدي، وبالتالي؛ يُمكن التغاضي عن أي عدم تشابه بينه وبين ابن لادن. يبقىٰ ادعاء ابن لادن كونه المهدي ليس في صالح العالم العربي، ولن يؤدي إلَّا إلىٰ مزيد من الانقسام والمعارضة وليس الوحدة.

★ حرب أنجلو - أفغانية رابعة؟

إنَّ وجود ابن لادن في أفغانستان والذي هو سبب وجود التحالف الأمريكي الحالي، ربما يكون السبب فيما يمكن تسميته بالحرب الأنجلو -أفغانية الرابعة. الفرق هو أنَّ القوات الأجنبية سوف تستخدم أسلحة حديثة، بينما الأفغان تغيروا قليلًا جدًّا. مثل الحروب الأنجلو- أفغانية السابقة؛ فإنَّ قطع الرؤوس أخذ مكانته مرة أخرىٰ في أفغانستان، وأيضًا في أماكن النزاع الممتد علىٰ حدودهم مع باكستان، تلجأ طالبان كثيرًا إلىٰ قطع الرؤوس، لمزيج من المقاتلين المحليين والأجانب. ويساعدهم في ذلك بعض الميليشيات المناصرة لطالبان والتي تضم مقاتلين محليين وأجانب. حتىٰ الآن لم يكن من بين ضحاياهم بريطانيون. وأغلبهم ليسوا من الأجانب الغربيين، بل عمال مثل سائقي الشاحنات أو أفغان بما فيهم ضابط شرطة، جنود ومدنيون. العديد من الضحايا تكون تهمتهم التعاون أو التجسس لصالح الولايات

---

(١) Furnish, T. R. (2002) 'Bin Ladin: The Man Who Would Be Mahdi', Middle East Quarterly, Spring, p. 3.

المتحدة (انظر الجدول رقم ١). حتىٰ يومنا هذا، لم يتم نفي قطع رأس أحد المتعاونين مع الولايات المتحدة أو التحالف الأمريكي في أفغانستان. قطع الرؤوس في منطقة أفغانستان وباكستان يتم علىٰ ثلاث جبهات: (١) الحرب ضد المحتل. و(٢) معارك طالبان المحلية ضد المجرمين. و(٣) ضد المدنيين الأفغان الذين يخالفون الشريعة في المناطق القليلة التي تسيطر عليها طالبان. يرجح التزامن بينهم، أن عمليات قطع الرؤوس في أفغانستان ما هي إلَّا امتداد لما يحدث في العراق. لكن هذا الامتداد لم يؤدِّ إلىٰ تقليد أعمىٰ كما هو حال نزوح المقاتلين الأجانب من العراق لمساعدة الأفغان.

⋆ التاريخ الياباني وعمليات قطع الرؤوس الإسلامية الحالية: مقارنة

الظروف التي أدَّت لاستخدام التفجيرات الانتحارية وقطع الرؤوس من قبل اليابانيين في الحرب العالمية الثانية، ومن قبل الإسلاميين اليوم متشابهة للغاية. في كلتا الحالتين، تم التغلب عليهم من قبل قوة أعظم، عدو أكثر حداثة وأصيبوا بالإحباط. مثل الجنود اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثاني؛ فإن الميليشيات الإسلامية ناجحة في استخدام التفجيرات الانتحارية في محاربة عدو أكثر تطورًا بفرق كبير (مثال: حماس ضد إسرائيل، و١١ سبتمبر). ولاستخدام قطع الرؤوس نجاح مساو. فكل من اليابانيين والإسلاميين يحاكون تراثهم -اليابانيون يحاكون تراث الساموراي، الإسلاميون يحاكون تراث محمد [ﷺ]- لكن من طريق آخر مزيف. مثل **المسلمين الأوئل**؛ فإنَّ الميليشيات الإسلامية تذبح (تقطع رؤوس) المدنيين والجنود الذين يأسرونهم. ويعد قطع الميليشيات الإسلامية لرؤوس الأبرياء، بطريقة غير قويمة مماثلًا لاستخدام اليابانيين للسيف في الحرب العالمية الثانية، حيث كانوا يقطعون رؤوس المدنيين بطريقة مماثلة.

⋆ تصدير الذبح

يلقىٰ اللوم علىٰ تعليم السعودية للوهابية الراديكالية في الكثير من العنف المنتشر اليوم في العالم الإسلامي. يلقىٰ اللوم علىٰ السعوديين ومقاتلين أجانب آخرين في إدخال قطع الرؤوس في العراق. بالرغم من كون عمليات قطع الرؤوس في العراق لا تنفذها الدولة، فهي ولو جزئيًا مستوردة من النسخة السعودية التي ينفذ بها القضاء

الحكومي الإعدامات، ولكن بترتيبات وطرق مختلفة. العنف الطائفي وعمليات قطع الرؤوس في العراق يوجد جنبًا إلىٰ جنب مع قطع رؤوس المقاتلين الأجانب، ولا تدعم الدولة أيًّا منهما.

⋆ ممارسة قطع الرؤوس على مستوى الدول في الوقت الحالي

إنَّ استخدام الدول حاليًّا لقطع الرؤوس كوسيلة لعقاب المجرمين له امتداد تاريخي. في يومنا هذا لا توجد إلَّا بلاد قليلة تعد علىٰ أصابع اليد الواحدة التي تشرع هذا الفعل.

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٢٢ فبراير ٢٠٠٢	دانيال بيرل	الحركة الوطنية من أجل استعادة السيادة الباكستانية	باكستان	القبض علىٰ أربعة من المشتبه بهم في وقت لاحق، السبب المعلن، للقيام بضربة في الولايات المتحدة وإحراج الحكومة الباكستانية (شريط فيديو)
أغسطس ٢٠٠٢	اثنان من شهود يهوه	ربما أبو سياف	S. الفلبين	**رؤوس** وجدت في الحقائب، **وملاحظات مرفقة** تدعو إلىٰ الجهاد، ومشيرًا إلىٰ أن هذا هو ما سيحدث لأولئك الذين لا يؤمنون بالله.
مايو ٢٠٠٤	نيك بيرغ	تنظيم القاعدة في العراق	العراق	**نُفِذت** ربما من قبل الزرقاوي (شريط فيديو)
يونيو ٢٠٠٤	بول جونسون	جماعة مرتبطة بتنظيم القاعدة	المملكة العربية السعودية	**تُدعىٰ لواء** الفلوجة (شريط فيديو)

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
١٣ يونيو ٢٠٠٤	روبرت يعقوب	غير معروف	العراق	إطلاق النار قبل قطع الرأس (شريط فيديو)
٢١ يونيو ٢٠٠٤	جندي أفغاني ومترجمه	طالبان	أفغانستان	القبض، قطع رأسه بعد انفصاله من دوريتهم
٢٢ يونيو ٢٠٠٤	كيم سون إيل	جماعة التوحيد والجهاد	العراق	رفضت كوريا الجنوبية تلبية مطالب الإرهابي (مقطع فيديو)
٢٢ يونيو ٢٠٠٤	أربعة من مقاتلي طالبان	جنود أفغان	أفغانستان	قطع الرؤوس انتقامًا لقطع الرؤوس لـ ٢١ يونيو ٢٠٠٤
٢٧ يونيو ٢٠٠٤	نائب رئيس القرية السابق	متمردون محليون	تايلاند	قبيل زيارة رئيس وزراء تاكسين
٢٦ يوليو ٢٠٠٤	رجل يبلغ ٥٥ عامًا واثنان من أطفاله	متمردون انفصاليون	كاشمير الهندية	اشتبه في كونهم جواسيس لقوات الأمن. دخل بيته تسعة من أفراد الميليشيات
٢٩ يوليو ٢٠٠٤	عثرت علىٰ رأس رهينة بلغاري	غير معروف	العراق	
أغسطس ٢٠٠٤	عمال من نابولي	جيش أنصار السنة	العراق	تسعة من الاثني عشر المخطوفين تم قطع رأسه (مقطع فيديو)
٨ أغسطس ٢٠٠٤	محمد متولي	غير معروف	غير معروف	(شريط فيديو)

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٩ أغسطس ٢٠٠٤	رهينة بلغاري	غير معروف	العراق	عُثر علىٰ جثته في نهر دجلة
٩ أغسطس ٢٠٠٤	الرهينة البلغاري جورجي لازوف	غير معروف	العراق	(شريط فيديو)
١١ أغسطس ٢٠٠٤	وكيل بالسي أي إيه	غير معروف	العراق	(شريط فيديو)
٣١ أغسطس ٢٠٠٤	خالد عبد المسيح	غير معروف		(شريط فيديو)
١٣ سبتمبر ٢٠٠٤	سائق الشاحنة التركي دورموس دركيلي	التوحيد والجهاد	العراق	(شريط فيديو)
١٥ سبتمبر ٢٠٠٤	عثرت علىٰ ثلاث جثث	غير معروف	العراق	كانت جثث المقطوعة رؤوسهم كلها من الذكور، مع الوشم، ومن دون وثائق
٢٠ سبتمبر ٢٠٠٤	يوجين أرمسترونغ	التوحيد والجهاد	العراق	Hosting Anim الموقع الذي أظهر الفيديو دافع بـ «حرية التعبير» (شريط فيديو)
٢٠ سبتمبر ٢٠٠٤	ثلاثة أكراد	جيش أنصار السنة	العراق	قطع رأس للتعاون مع القوات الأمريكية (شريط فيديو)

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٢١ سبتمبر ٢٠٠٤	جاك هنسلي	التوحيد والجهاد	العراق	(شريط فيديو)
أكتوبر ٢٠٠٤	ثلاثة من عناصر الحرس الوطني العراقي	كتائب أبو بكر الصديق	العراق	يقال إن الجزيرة رفضت جزءًا من الشريط الذي أظهر قطع الرؤوس.
٢ أكتوبر ٢٠٠٤	الوطني العراقي	جيش أنصار السنة	العراق	
٧ أكتوبر ٢٠٠٤	كينيث بيجلي	التوحيد والجهاد	العراق	أبقىٰ لمدة أسبوعين، وتم طلب فدية (شريط فيديو)
١١ أكتوبر ٢٠٠٤	لقمان محمد الكردي حسين	جيش أنصار السنة	العراق	يعمل مترجما لتيتان كورب
١١ أكتوبر ٢٠٠٤	ماهر كمال	جيش أنصار السنة	العراق	مقاول تركي يعمل في قاعدة البكر الجوية
١٢ أكتوبر ٢٠٠٤	علاء المالكي	جيش أنصار السنة	العراق	وصف بأنه عضو في حركة مقتدىٰ الصدر (شريط فيديو)
١٣ أكتوبر ٢٠٠٤	اثنان من عملاء المخابرات العراقية	كتائب أبو بكر الصديق	العراق	(شريط فيديو)

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
١٤ أكتوبر ٢٠٠٤	سائق شاحنة تركي	التوحيد والجهاد	العراق	(شريط فيديو)
١٧ أكتوبر ٢٠٠٤	أحد عشر من عناصر الحرس الوطني العراقي	مجموعة أبو مصعب الزرقاوي	العراق	
٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤	سيف عدنان كنعان	جيش أنصار السنة	العراق	السبب المعطىٰ أنه كان موظفًا من قبل الجيش الأمريكي (شريط فيديو)
٢٣ أكتوبر ٢٠٠٤	عراقي	جماعة متشددة غير معروفة	العراق	متهم بالتعاون مع القوات الأمريكية، وادعىٰ الصور المنشورة علىٰ الإنترنت
٣٠ أكتوبر ٢٠٠٤	شوسي كودا	جماعة غير معروفة مرتبطة الزرقاوي	العراق	مواطن ياباني دخل العراق من تلقاء نفسه. عُذِب علىٰ ما يبدو (شريط فيديو)
نوفمبر ٢٠٠٤	زعيم قرية بوذي	مسلمون	تايلاند	قتل انتقامًا لمثيري الشغب المسلمين الذين قتلوا علىٰ يد قوات الحكومة
نوفمبر ٢٠٠٤	الرائد حسين شنون	جيش أنصار السنة	العراق	ضابط عراقي، «مرتد» (شريط فيديو)

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٣ نوفمبر ٢٠٠٤	عثرت على ثلاث جثث مجهولة الهوية	غير معروف	العراق	عشرات الرهائن في عداد المفقودين في ذلك الوقت، لم تحدد الهيئات.
٣ نوفمبر ٢٠٠٤	ثلاثة من عناصر الحرس الوطني العراقي	ألوية الكرامة العراقية	العراق	مجموعة غير معروفة سابقًا: أنتجت شريط فيديو الذي عرضت منه الجزيرة جزءًا (حذفت قطع الرأس)
٩ نوفمبر ٢٠١٤	عامل مزرعة بوذي	مسلمون	تايلند	
١٨ نوفمبر ٢٠١٤	مقاول عراقي	«جهاديون»	العراق	
٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤	وجدت اثنتا عشرة جثة مقطوعة الرأس	غير معروف	العراق	تناثرت الجثث التي عثر عليها حول مدينة الموصل
٢ ديسمبر ٢٠٠٤	رجل مسيحي	متشددون إسلاميون	العراق	الموصل
٨ ديسمبر ٢٠٠٤	جندي عراقي	متشددون إسلاميون	العراق	
١٧ ديسمبر ٢٠٠٤	أجنبيًا	غير معروف	العراق	قتل مسلحون ثلاثة أجانب وسائقهما، وقطع رأس واحد حاول الهرب

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٣ يناير ٢٠٠٥	مواطن عراقي	جيش أنصار السنة	العراق	جثة مقطوعة الرأس في وقت لاحق مفخخة مع قنبلة تقتل ضابط شرطة
٢١ يناير ٢٠٠٥	عامل عراقي	متشددون إسلاميون	العراق	واحد من اثنين
٢١ يناير ٢٠٠٥	عامل عراقي	متشددون إسلاميون	العراق	الثاني في عداد المفقودين
٢٢ يناير ٢٠٠٥	اثنان من سائقي الشاحنات	متشددون إسلاميون	العراق	خطف، قطع رأسه علىٰ الشارع العام في حين هتف الجلادون «الله أكبر»
٨ مارس ٢٠٠٥	قس مسيحي	متشددون إسلاميون	بنغلاديش	العودة إلىٰ المنزل من العمل
٩ مارس ٢٠٠٥	الجثث التي عثر عليها	الجهاديين	العراق	مجموع ٤١ جثة، كثير منها مفصول الرأس بما في ذلك العديد من النساء والأطفال الصغار
٤ أبريل ٢٠٠٥	الحرس الوطني العراقي	تنظيم القاعدة في العراق	العراق	
٩ أبريل ٢٠٠٥	جندي روسي	المتمردين الشيشان	الشيشان	
١٤ مايو ٢٠٠٥	ثلاث جثث عثر عليها	غير معروف	العراق	ثلاث جثث مقطوعة الرأس مع وجود أدلة علىٰ التعذيب
١٥ مايو ٢٠٠٥	جثث عثر عليها	«جهاديون»	العراق	العثور علىٰ ٣٤ جثة ملقاة في ثلاثة مواقع. البعض في الأصفاد، وكثيرون تم تعذيبهم وقطع رؤوسهم.

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
يونيو ٢٠٠٥	رجل بوذي مسن، كامول تشانتر	المتمردون بنت	تايلاند	مدرس متقاعد، ٦٥ سنة، وجدت رأسه في كيس كيلومترين من منزله
يونيو ٢٠٠٥	رجل بوذي، ليك بونجبلا	المتمردون بنت	تايلاند	رصاصة في الظهر بينما كان في متجر لبيع الشاي. رأسه وضعت في كيس سماد، وجدت في وقت لاحق، بعد ميل واحد.
٢ يونيو ٢٠٠٥	أربعة مدنيين	المجاهدون	الهند	أعضاء مخطوفون من عائلتين
٦ يونيو ٢٠٠٥	العامل الزراعي	المتمردون بنت	تايلاند	ترك الرأس علىٰ جانب الطريق مع ملاحظة
٧ يونيو ٢٠٠٥	مدني	المجاهدون	الهند	اختطف من منزله
٩ يونيو ٢٠٠٥	شيعة العراق	غير معروف	العراق	العثور علىٰ جثث ١٧ مقيدة ومنفذ عليها الإعدام، البعض مقطوع الرأس
٢٤ يونيو ٢٠٠٥	اثنان من العمال المهاجرين بلاو	المتمردون المسلمين	تايلاند	زوجان شابان
يوليو ٢٠٠٥	سورين سومجيت	متشددون إسلاميون	تايلاند	غيض يغلب المسلمين علىٰتايلاندي بوذي. ولم تعلن أي جهة مسؤوليتها
٤ يوليو ٢٠٠٥	مدني	المسلحون السنة	العراق	تم تعذيبه أيضًا

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٥ يوليو ٢٠٠٥	الرقيب سامفان أونيالا	الإسلاميون	تايلاند	اختطاف عضو قوات الأمن
٧ يوليو، ٢٠٠٥	عشرة جنود أفغان	طالبان	أفغانستان	آخر ١٥ تمكنوا من الهرب
٩ يوليو، ٢٠١٥	٦ من الشرطة	طالبان	أفغانستان	الجثث والرؤوس وجدت ملقاة
١٨ يوليو، ٢٠١٥	مزارع	المتمردون الإسلاميون	تايلاند	
أغسطس، ٢٠١٥	جثث ملقاة	طالبان	أفغانستان	رأىٰ شهود عيان ١١ جثة علىٰ الأقل ألقيت من شاحنة، بعضها معصوبة الأعين وعليها طلق ناري، البقية مقطوعة الرأس
٢ أغسطس، ٢٠١٥	ثلاثة من الأفغانيين	طالبان	أفغانستان	متهم بالتجسس. أخبر عبد اللطيف رويترز: العقاب جائز في الإسلام والذبح اليوم يجب أن يكون درسًا للمشتركين في نشاطات التجسس لصالح الأمريكان.
١٥ أغسطس ٢٠٠٥	امرأة مسيحية	المجاهدون	العراق	
٢٩ أغسطس ٢٠٠٥	مدني	المتمردون الإسلاميون، علىٰ الأرجح.	العراق	

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٣١ أغسطس ٢٠٠٥	رجل دين	طالبان	أفغانستان	للمشاركة في الانتخابات
٥ سبتمبر ٢٠٠٥	امرأة مسنة	المجاهدون	الهند	
١٢ سبتمبر ٢٠٠٥	اثنان من الذكور	جماعة أنصار السنة في الجيش	العراق	(شريط فيديو)
١٧ سبتمبر ٢٠٠٥	مدني	المجاهدون	الهند	
أكتوبر ٢٠٠٥	ثلاث طالبات مسيحيات	مسلم	إندونيسيا	المجتمع ضد المسيحيين، والدوران في الآونة الأخيرة من السكان والسياسة للمسلمين
أكتوبر ٢٠٠٥	خمسة جنود ومدني واحد	متمردون إسلاميون	تايلاند	
٥ أكتوبر ٢٠٠٥	اثنان من الذكور	جيش أنصار السنة	العراق	(مقطع فيديو)
٥ أكتوبر ٢٠٠٥	مدني	متمردون إسلاميون	تايلاند	
١٤ أكتوبر ٢٠٠٥	راعي ماشية بوذي	متمردون إسلاميون	تايلاند	سن ٦٨

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٢٢ أكتوبر ٢٠٠٥	عضو كتائب بدر	تنظيم القاعدة في العراق	العراق	(شريط فيديو)
٢ نوفمبر ٢٠٠٥	خمسة من رجال الشرطة	طالبان	أفغانستان	الهجوم المفاجئ علىٰ وحدة شرطة مكافحة المخدرات، القبض علىٰ خمسة/ قطع رأسه
٦ نوفمبر ٢٠٠٥	عثر علىٰ خمس جثث مقطوعة الرأس	غير معروف	العراق	تم قطع رؤوس خمسة من إحدىٰ عشرة جثة التي عثر عليها.
مارس ٢٠٠٦	وجدت ٣٠ جثة مقطوعة الرأس	متشددون إسلاميون	العراق	قرية شمالي بغداد
٦ مارس ٢٠٠٦	اثنان من المسؤولين السابقين في الحكومة الأفغانية	طالبان	أفغانستان	وكان أحد قادة ميليشيا الجنجويد الموالية حكومي. لكل طالبان: نحن نقطع رؤوسهم لأنهم كانوا يرتكبون فظائع بشعة
١١ مارس ٢٠٠٦	اثنان من رجال الشرطة	مليشيات طالبان الإسلامية علىٰ الأغلب	أفغانستان	

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
أبريل ٢٠٠٦	العثور على جثة مقطوعة الرأس	متشددون إسلاميون	باكستان	منطقة وزيرستان. المذكرة المرفقة تقول أن الضحية جاسوس أمريكي، محذرة للآخرين
١٧ أبريل ٢٠٠٦	اثنان من المدنيين الباكستانيين	متشددون إسلاميون	باكستان	المتعاونين مع/ الولايات المتحدة
٢٥ أبريل ٢٠٠٦	سائق سيارة أجرة	متشددون موالون لطالبان	باكستان	اتهم بأنه مخبر للولايات المتحدة
٣٠ أبريل ٢٠٠٦	مهندس هندي	طالبان	أفغانستان	طلب فدية، حاول الهرب
١١ مايو ٢٠٠٦	رجل	متشددون موالون لطالبان	باكستان	منطقة قبلية قرب أفغانستان
١٤ مايو، ٢٠٠٦	مسؤولون إداريون			Baluchistan Liberation Army (BLA)- @claimed@باكستان@ملاحظة تركت مع الجثة.
١٦ مايو، ٢٠١٦	اثنان من المدنيين	طالبان	أفغانستان	
١٧ مايو، ٢٠١٦	مقاتلون صوماليون	مسلحون صوماليون	الصومال	اجتاح تحالف أمراء الحرب المدعومة من الولايات المتحدة خارج مقديشو، قطعت رؤوس العديد.

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
٢٨ مايو ٢٠٠٦	ثلاثة من رجال الشرطة	طالبان	أفغانستان	معارك ضارية وقعت في المنطقة
٤ يونيو ٢٠٠٦	وجدت ثمانية رؤوس	غير معروف	العراق	رؤوس وجدت محشوة في صناديق الفاكهة
٦ يونيو ٢٠٠٦	وجدت تسعة رؤوس	غير معروف	العراق	ملفوفة في أكياس بلاستيكية سوداء ودفعت في صناديق الفاكهة بعض الرؤوس كانت معصوبة الأعين.
١٠ يونيو ٢٠٠٦	ثلاثة أعضاء من فرق موت شيعية مزعومة	جيش أنصار السنة	العراق	نشرت فيديو بعد ثلاثة أيام من وفاة الزرقاوي (شريط فيديو)
١٣ يونيو ٢٠٠٦	مواطن أفغاني	طالبان	باكستان	الرسالة المرفقة: أي شخص يتجسس لصالح القوات الأمريكية والأفغانية سيلقىٰ نفس المصير
٢٠ يونيو ٢٠٠٦	واحد من اثنين من الجنود الأمريكيين	تنظيم القاعدة في العراق	العراق	ذكر أن خليفة الزرقاوي ذبحهم (شريط فيديو)
٢٢ يونيو، ٢٠٠٦	أربعة أفغان	طالبان	أفغانستان	اتهموا بأنهم جواسيس للولايات المتحدة والحكومة الأفغانية
٢٥ يونيو، ٢٠٠٦	عاملون في السفارة الروسية	القاعدة في العراق	العراق	بيان علىٰ شريط الفيديو: حكم الله... انتقامًا من تعذيب، قتل، وطرد الأخوة والأخوات

aFrom un-posted database: Beheadings in the Post-Modern Era, derived from Open Sources.

bOne of Zarqawi's groups

السعودية، إيران، اليمن وقطر. السعودية هي الدولة الوحيدة النشطة في تطبيق قطع الرؤوس علنًا. إيران تقطع الرؤوس في مناسبات نادرة، واليمن وقطر حاليًّا لا يقومون بهذا الإجراء. في (مارس ٢٠٠٦ م)، علماء دين بارزون في أفغانستان اقترحوا قطع رأس رجل تحول إلىٰ المسيحية، ممَّا يدفع إلىٰ التساؤل إذا ما كانت الحكومة الأفغانية المشكلة حديثًا ستتبنىٰ طريقة قطع الرؤوس كوسيلة رسمية لعقوبة الإعدام. كل سنة، تقطع السعودية رؤوس الرجال والنساء بسبب القتل، السرقة، اللواط، والمخدرات. في (٢٠٠٣م)، قطعت الحكومة السعودية رأس ٥٣ شخصًا، أحدهم كانت امرأة؛ في (٢٠٠٤م)، (٣٣ رجلًا، وامرأة واحدة) قطعت رؤوسهم. في إيران، رجل واحد قطع رأسه في (٢٠٠٣م)، الأولىٰ من نوعها بعد سنوات. الحكومة العربية السعودية تدين المتشددين الذين يقطعون رؤوس الرهائن أو الأبرياء. هم يعتقدون أن قطع الرؤوس الذي تديره الدولة مقرر من قبل التقليد الإسلامي.

★ إدارة الدولة السعودية لقطع الرؤوس

يتم إعطاء المجرمين المدانين المهدئات وأخذهم من قبل سيارة الشرطة إلىٰ ساحة عامة بعد صلاة الظهر، عادة يوم الجمعة. وهناك جمهور كبير يجتمع لمراقبة قطع الرؤوس. مع ربط أيديهم خلف ظهورهم وتقييد أرجلهم، يتم قود السجناء من قبل ضابط شرطة إلىٰ منتصف نقطة زرقاء بلاستيكية كبيرة، حيث إنَّها مصنوعة للانحناء إجلالًا للجلاد والركوع، مواجهة لمكة.

عادة ما يرتدي المجرمون المدانون الملابس الخاصة بهم، حفاة القدمين، ومعصوبو العينين. الغرض من عصب العينين هو عدم تحرك السجين عندما تتم أرجحة السيف. تتم قراءة أسماء السجناء والجرائم التي ارتكبوها بصوت عالٍ من قبل مسؤول في وزارة الداخلية. وتجري عملية قطع الرؤوس باستخدام السيف الضخم الحاد

جدًا، لذلك عادة ما يتم قطع الرأس تمامًا من الضربة الأولىٰ. يسلم الشرطي السيف للجلاد، الذي يرفعه عاليًا، يؤرجحه لمرتين أو ثلاث مرات، ثم يضرب السجين. صرخات الله أكبر! تسمع من المتفرجين بينما الجلاد يقطع رأس السجين. يتم إحضار رأس السجين المقطوعة في وقت لاحق إلىٰ الطبيب، الذي يخيطه مرة أخرىٰ علىٰ الجسم، ويتم دفن السجين في غير معلم في مقبرة السجن[(١)] علىٰ صعيد ذات صلة، ويُقال إنَّ الجلادين السعوديين يسلمون بكل فخر حرفتهم من جيل إلىٰ جيل.

★ اختلافات الدول في قطع الرؤوس

بعض الدول القومية تنفذ عمليات قطع الرؤوس، من بين غيرها من الأعمال الوحشية علىٰ شعوبهم، مثل الجماعات العرقية المتمردة. في عام (١٩٨٢م)، قادت الحكومة الغواتيمالية حملة ضد المقاتلين الأصليين والفظائع الجماعية التي وقعت، بما في ذلك قطع الرؤوس. بورما بلد آخر من هذا القبيل، حيث تشير التقارير اليوم إلىٰ أن القوات الحكومية تقوم بعمليات قطع الرؤوس علىٰ المتمردين. وقد تم اقتراح استخدام الأمفيتامينات (amphetamines) للعب دور في هذا السلوك الشنيع[(٢)].

وتتم عمليات قطع الرؤوس التي تديرها الدول غير النظامية في الدول القومية الأخرىٰ التي عادة ما تكون محكومة بشكل سيئ ومستبدة. استخدام قطع الرؤوس من قبل الحكومات يبدو صارمًا ولكن، مثل حملة مكافحة الإرهاب في الدولة الغواتيمالية عام (١٩٨٢م)، يمكن أن تساعد بشكل كبير في الحد من الجريمة. بسبب أن فظائع هذه الحكومة غالبًا ما تحدث في المناطق الريفية، فكان من الصعب إثبات ما إذا (١) حدث قطع الرؤوس فعلًا. و(٢) من قام بها، المتمردون أو الحكومة. لهذه الأسباب؛ فإن جماعات حقوق الإنسان أيضًا لم تكن قادرة علىٰ الرد كما أرادت.

يتميز نظام صدام حسين بالتعذيب كوسيلة للسيطرة، وأحد أشكال ذلك هو قطع

---

(١) Associated Press (2004) Riyadh, Saudi Arabia, Sunday Jun 27. Available at: http://www.taipeitimes.com/News/world/archives/2004/06/27/2003176725

(٢) New evidence backs claims of genocide in Burma - BBC & London Telegraph, Mar 06, 2006.

الرؤوس. قطع الرؤوس تحت حكم صدام عملية تديرها الدولة، ولكنَّها ليست جزءًا من عملية قضائية رسمية. هذا الانحراف في قطع الرؤوس الذي تديره الدولة التقليدية من بين الانحرافات الأخرىٰ من سلوك الدولة القومية المشروعة، وضع عراق صدام حسين في فئة الدولة الجنائية. بعد خسارته لحرب الخليج في وقت مبكر من عام (١٩٩٠م). في محاولة لتوطيد السلطة عاد صدام حسين إلىٰ كل من القبلية والتقاليد «الإسلامية» التي كانت أكثر إجرامًا من طراز حكمه المسبق. كوسيلة لمنع وتخويف المنشقين أو المنشقين الذكور، قطع صدام رؤوس زوجاتهم بشكل علني جدًّا. أخذ صدام خطوة أخرىٰ في هذا الترهيب عن طريق الدعارة معلنًا أنَّها جريمة يعاقب عليها بالإعدام، واتهم العديد من النساء بأنهم عاهرات مع ذلك، المزاعم الجنائية ضد هؤلاء النسوة، كانت في كثير من الأحيان لا أساس لها ومن دون تحقيق. تم قطع رؤوس مئات المؤسسات المزعومات من قبل فدائيي صدام[1]، وأجريت العديد من عمليات قطع الرؤوس شخصيًّا من قبل نجل صدام عدي. ويقع قطع الرؤوس في كثير من الأحيان في مكان أمام أسرة المرأة والجيران، بما في ذلك أطفالهم. طلب صدام أن يتم عرض الرأس لعدة أيام، وغالبًا ما يوضع علىٰ سياج خارج منزل العائلة. واستمر قطع الرؤوس في الألفية الجديدة؛ بين (يونيو ٢٠٠٠، وأبريل ٢٠٠١م)، تم قطع رأس ما لا يقل عن ١٣٠ امرأة.

قطعت رؤوس الرجال أمام أسرهم مثل النساء، ولكن أيضًا قطعت رؤوسهم في مكان خاص في السجون مثل أبو غريب. تميز قطع الرؤوس وغيره من ضروب التعذيب في عهد صدام في السجون بكتابة الآيات القرآنية والأناشيد والغضب غير الطبيعي والنشوة. وهناك فيديو من أربع دقائق للتعذيب في سجن أبو غريب يشمل علىٰ

---

(١) Fedayeen Saddam was the paramilitary organization led by Uday Hussein, Saddam's eldest son.

Fedayeen means those willing to die for Saddam. See Schulz, N. ،2004 Abu Ghraib on National

Review Online, June 17, and the Office of International Women s Issues, Fact Sheet, Washington, D.C., March 20, 2003.

غرار الأجداد رفع السيف وتلاوات من القرآن[١] الفيديو مليء بكل أنواع التعذيب ويتوج لطقوس في قطع الرأس. أيدي السجين مربوطة خلف ظهره وهو ملقىٰ علىٰ الأرض. وفدائيون يرتدون الأسود يحلون قميص السجين في حين أن الآخرين يقفون حاملي شفرة فضلة طويلة من مقبضها المنحني. يقوم المنفذ برفع يديه وضربه، قاطعًا الرأس عن الجسد. ثم يقوم بالتقاط الرأس ويضعه علىٰ ظهر الضحية في حين تقترب الكاميرا أكثر وأكثر من الوجه. يوفر هذا الفيديو الدليل علىٰ أن بقايا دولة صدام الجنائية مشاركة أو مؤثرة في قطع الرؤوس في العراق اليوم. علاوة علىٰ ذلك، قطع الرؤوس مؤخرًا في الفيديوهات في العراق (٢٠٠٤ م - حتىٰ الآن) يشبه بشكل لافت للنظر وصف قطع الرأس في فيديو سجن أبو غريب.

★ استخدام قطع الرؤوس اليوم في الدول غير (الجزائية)

قطع الرؤوس غير الحكومية هي ذخر للحرب غير المتماثلة؛ هو تكنولوجيا منخفضة، ولكنَّه وسيلة فعالة للغاية لشن حرب ضد أعداء أبعد بكثير. كما هو الحال مع التفجيرات الانتحارية، وأثر الجرافيك من قطع الرؤوس غير التابعة للدولة من قبل الجماعات الإرهابية هو ضد أن يتحمله الغرب المتحضر. قطع الرؤوس غير الحكومية يكمل مثل هذه التكتيكات مثل الخطف، ولكنَّه يستخدم أيضًا كبديل للتفجيرات الانتحارية، إطلاق النار، وإطلاق قذيفة صاروخية (آر بي جي)، وهجمات العبوات الناسفة (IED)، وكلها غزيرة في العراق وأفغانستان. وعلىٰ النقيض من قطع الرؤوس الذي تديره الدولة للرقابة علىٰ لعملية القضائية، قطع الرؤوس الإسلامية غير الحكومية هو دون حسيب أو رقيب من أي جهة حكومية. بدلًا من أن تكون عمليات الإعدام طقسية، قطع الرؤوس غير الحكومية هو طقوس قتل تنشأ عن التمرد أو الجهاد. قطع الرؤوس الإسلامية غير الحكومية هو مماثلة لقطع الرؤوس القانونية في حقيقة كونهما غارقين في التقليد الإسلامي. بالإضافة إلىٰ ذلك، مثل الدول القومية، الميليشيات الإسلامية تعرض أسراهم كمجرمين يستحقون أو يتطلبون العقاب. نظرًا؛ لأنَّ قطع الرؤوس غير التابع للدولة يحدث من ناحية فنية

---

(١) For a complete description of the Saddam-era torture video, see Schultz, N. (2004) 'Abu Ghraib', National Review Online, June 17.

في ساحة المعركة، ينبغي أن يُنظر للأسرىٰ ومعاملتهم معاملة المقاتلين. لكن المتشددين الإسلاميين لا يعتبرون أعداءهم مقاتلين، ولا حتىٰ مقربين من المعارضين المتساويين كما هو الحال في معارك الساموراي. بدلًا من ذلك فهي تعتبرهم كفارًا، دون البشر تقريبًا. ضحايا قطع الرؤوس يمكن أن يكونوا من الجنود، منفذي القانون، والمدنيين (علىٰ سبيل المثال، العمال الأجانب أو المواطنون المحليون). في معظم الدول، المدنيون ورجال الشرطة لا يمكن استهدافهم من الناحية القانونية في الحرب. لكن المتشددين الإسلاميين ينظرون إلىٰ جميع أعدائهم كأهداف مشروعة وأن قطع رؤوسهم هو وفقًا لإرادة الله. كجزء من الجهاد، قطع الرؤوس عقائدي. القانون الغربي، الأخلاق، والأصوات السياسية غير فعالة إلىٰ حدٍّ كبير ضد تصرفات المتشددين الإسلاميين؛ لأنَّ المتشددين يعملون تحت مجموعة مختلفة تمامًا من القواعد، ويتجاهلون معظم القوانين الدولية. في حين أن قطع الرؤوس غير الحكومية هو عقائدي، فهو أيضًا غارق في الكراهية وهو ممارسة بقدر ما هو عاطفة. يتم نشر الكراهية للغرب من قبل المتشددين الإسلاميين وكذلك في المدارس أو المدارس الدينية في الدول الإسلامية. أشرطة الفيديو الأخيرة لقطع الرؤوس تصور ضحايا الذبح مثل الحيوانات. بعض الآيات في القرآن تناقش القردة والخنازير، مشيرة إلىٰ أناس تكبدوا غضب الله فتحولوا إلىٰ هذه الحيوانات[١]. بعض الميليشيات الإسلامية تصور اليهود والمسيحيين كالقردة والخنازير، علىٰ التوالي، بسبب الترجمة الحرفية للقرآن التي يتم تدريسها في المدارس الإسلامية الأصولية. الترجمة الحرفية إلىٰ جانب وجود التوهج يمكن أن يفسر لماذا يقوم المسلحون بقطع الرؤوس بهذه الطريقة البدائية. علاوة علىٰ ذلك، إذا نظر المتشددون إلىٰ أسراهم كمقاتلين علىٰ قدم المساواة، فربما يقتلونهم بمهارة أكثر، أو السماح لهم بموت أكثر إنسانية أو تبجيلًا.

★ فيديوهات قطع الرؤوس

فيديوهات قطع الرؤوس من بين النجاحات الإسلامية الأخرىٰ، يتم إنتاجها، وتوزيعها، وبيعها علىٰ أقراص فيديو رقمية (DVD) في الأسواق في جميع أنحاء

(١) Koran 2: 62-65, and 5: 59-60.

العالم، وكذلك يتم بثها على شبكة الإنترنت. كل فيديو لقطع الرؤوس مختلف. يتم إنتاج بعضها بفجاجة في حين أنَّ البعض الآخر أكثر مهنية. قطع الرؤوس على أشرطة الفيديو غالبًا ما يكون من الصعب القيام به. علاوة على ذلك، من أشرطة الفيديوهات، لا يظهر أنَّ هناك أي إجراءات موحدة لأجراس طقوس قطع الرؤوس (وليس هناك دليل إسلامي عن كيفية تنفيذ قطع الرؤوس). لا تستخدم السكاكين قياسية الحجم؛ وهي تتراوح بين سكاكين الجيب إلى المناجل. ويفترض استخدام السكاكين كبديل عن السيوف، نظيرتهم القديمة. يُقال إن حمزة العاني، من الذباحين المتشددين الرئيسين المأسورين في العراق، استخدم المنشار[1]. في أشرطة الفيديو، استخدمت مجموعة متنوعة من التقنيات غير التقليدية لقطع الرأس، كثير منها فوضوية. ويبدو أنَّ العديد من أشرطة الفيديو يتم تحريرها لذا قطع الرأس يبدو أكثر احترافيًا في مجملها. القيام بالربط أو التحرير لجعل قطع الرأس يبدو أكثر احترفًا والقتلة أكثر كفاءة. في كل فيديو، نهج القطع عشوائي، بدءًا من الأمام أو الجانب من الرقبة؛ قطع الحبل الشوكي عادة ما يترك حتى النهاية. حركة القطع تختلف من القطع إلى القطع إربًا إربًا، من البطيء إلى السريع. في عدد قليل من أشرطة الفيديو، الضحية مُتوفى بالفعل قبل قطع الرأس الفعلي، ولكن في معظم الأحيان الضحية على قيد الحياة. كما حدث أثناء عمليات الإعدام التي تديرها الدولة السعودية، سماع صرخات الله أكبر في معظم شرائط فيديو عمليات قطع الرؤوس التي قام بها متشددون إسلاميون. في أشرطة الفيديو الصرخات من قبل المسلحين المشاركين، في حين أثناء عمليات قطع الرؤوس السعودية الصرخات تتبع حشدًا كبيرًا من المتفرجين. في العديد من أشرطة الفيديو، يتم تكرار الله أكبر قبل وأثناء وبعد قطع الرأس. هتاف الله أكبر بالمثل في أشرطة الفيديو التي أدلى بها المسلحون الشيشان في عملياتهم ضد الروس. في حين أنَّ كل فيديو مختلف، فهو يحتوي على العديد من القواسم المشتركة، مثل الشعارات على اللافتات والطقوس المماثلة التي تحدث قبل وبعد قطع الرأس. شعار صانع الفيديو غالبًا ما يُرى في زاوية الشاشة. وعادة ما يتم تصوير أشرطة الفيديو في الداخل؛ ثلاثة

---

(١) David Frum's Diary, National Review Online, June 4, 2006. Frum reviews news stories from AP and Gulf Times.

أو أكثر من المتشددين عادة ما يقفون وراء واحد أو أكثر من الأسرىٰ. المتشددون يغطون رؤوسهم تمامًا باستثناء عيونهم، يرتدون سترات عسكرية فوق ملابسهم التقليدية، ويحملون سلاحًا واحدًا علىٰ الأقل. غالبًا ما يقوم المسلح بالقراءة باللغة العربية بما يشبه صوت الحكم. في عدد قليل من أشرطة الفيديو، القارئ، الذي غالبًا ما يكون هو نفسه الذباح، والذي قيل إنه الزرقاوي. ومن غير المعروف ما هي الرتبة أو الوضع المطلوب لتصبح ذباحًا. الزرقاوي، الذي كان يعتبر زعيم تنظيم القاعدة في العراق، من بين ألقابه؛ وبالنسبة إلىٰ المسلحين كان شيخ المجاهدين. الضحايا في البداية غير معصوبي الأعين، وعادة ما يكونون جالسين. في بعض أشرطة الفيديو، يتكلمون أو يقرؤون. بعد إلقاء الخطب أو القراءات، يسحب المسلح بشكل دراماتيكي سكينًا من أمام أو جانب سترته، وواحد أو أكثر من المتشدد الآخرين يدفع الضحية، وفي حين أنه ممسك به يبدأ الذباح بالقطع. تظهر الضحية دائمًا تقريبًا معصوبة العينين أثناء الذبح. العديد من أشرطة الفيديو تحتوي علىٰ موسيقىٰ [أناشيد] في الخلفية أو في أوقات مختلفة. المشهد الأكثر شيوعًا في أشرطة الفيديو هو في النهاية: بعد الذبح، يتم وضع الرأس دائمًا تقريبًا علىٰ الجزء الخلفي من الجسم المتمدد. غالبًا ما يرفع الرأس أولًا، عاليًا من أجل الكاميرا، في الوقت الذي تكون فيه صرخات الله أكبر هي الأعلىٰ صوتًا.

الرموز

الصورة وفيرة، وجزء مهم من الثقافة الإسلامية. في العديد من أشرطة الفيديو الخاصة بهم، يرتدي المتشددون الإسلاميون اللون الأسود تمامًا، بما في ذلك أغطية رؤوسهم. يُقال إنَّ اللون الأسود له أهمية كبيرة جدًّا في التقليد الإسلامي. كثيرًا ما يستخدم اللون الأسود للتأكيد علىٰ أهمية أو واقعة من الجهاد وتستثير الحاجة المتصورة لإعادة تأسيس الخلافة السنية[١]. العلم الأسود، يُرىٰ في خلفية العديد من

(١) The Islamic Imagery Project (2005) Visual Motifs in Jihadi Internet Propaganda, West Point: The Combating Terrorism Center, Department of Social Sciences, United States Military Academy, p. 105.

أشرطة الفيديو ومع الكتابة العربية عليه، تتبع جذوره إلىٰ بداية الإسلام[١]. قام النبي محمد برفع العلم الأسود، كما فعل قائد الثورة العباسية، الذي هدف إلىٰ استبدال الخلافة الفاسدة مع بيت حكم إسلامي جديد. تستخدم الحركة الإسلامية المعاصرة راية سوداء ترمز إلىٰ كل من الجهاد وإعادة إقامة الخلافة الإسلامية[٢]. في خلفية فيديو قطع الرأس، غالبًا ما يظهر مسلحون يحملون أسلحة، بنادق عادة. الأسلحة أيضًا لها أهمية رمزية في الثقافة الإسلامية. السيف هو سلاح ما قبل الحداثة والذي يعتبر نبيلًا ومرتبطًا مع الأبطال الإسلاميين المتقدمين وجهادهم. البنادق، من ناحية أخرىٰ، تمثل الأسلحة الحديثة التي توضح الطبيعة العنيفة للحرب الجهادية وتدل علىٰ استعراض القوة. بالإضافة إلىٰ الألوان والأسلحة، الكثير من الرموز الإسلامية، قبل وما بعد الحداثة، تُرىٰ في أشرطة الفيديو المسجلة لقطع الرؤوس.

⋆ البلاغة الجهادية

كان هناك الكثير من الخطابات البلاغية من قبل المتشددين الإسلاميين تعطينا تحذيرًا كافيًا أنَّهم لا يبررون فقط ممارسة قطع الرؤوس، بل ينوون الاستمرار في استخدامها. في عام (٢٠٠٢م)، فيديو قطع رأس الصحفي الأمريكي دانيال بيرل تضمن نصًا يبشر بقطع رؤوس الأمريكيين في المستقبل. وفي بيان صادر في (مايو ٢٠٠٤م) من قبل متشددين إسلاميين التي تلىٰ قطع رأس الأمريكي نيكولاس بيرج، لم يقصد فقط تشجيع الأتباع والمجندين لقطع الرؤوس، ولكن كان رسالة قاتمة أخرىٰ إلىٰ الولايات المتحدة أيضًا.

ألم تكتف من حرب المؤتمرات ومعركة الكلمات؟ ألم يحن الوقت لكي تأخذ طريق الجهاد وحمل سيف نبي الأنبياء؟ . . . النبي، الرحيم، أمر (جيشه) بضرب أعناق بعض السجناء في (معركة) بدر وقتلهم . . . وكان قدوة حسنة بالنسبة إلينا . . . وسوف تحصلون علىٰ كفن بعد كفن ونعش بعد نعش مذبوح بهذه الطريقة[٣].

---

(١) Ibid., p. 95.

(٢) Ibid., p. 95.

(٣) Statement by militants who beheaded an American in Iraq, The San Diego Union Tribune, Reuters, SignOnSanDiego.com, May 11, 2004

بعد وفاة أبو مصعب الزرقاوي في (يونيو ٢٠٠٦م)، تعهد زعيم مجلس الشورىٰ في العراق إلىٰ الولايات المتحدة وحلفائها «بالنسبة إليكم، عباد الصليب، وأحفاد ابن العلقمي، وكل كافر من أهل السنة، لا يمكننا الانتظار لقطع رقابكم بسيوفنا»[1].

(١) Hendawi, H. (2006) 'Insurgents post videos of three beheadings', AP, The Washington Times, June 11.

⋆ خلايا قطع الرؤوس

في (أكتوبر ٢٠٠٥م)، قُتل إرهابي في العراق، نشوان مجحم مصليت (يُعرف باسم أبو طائر أو أبو زيد)، وقد ورد أنَّه كان زعيم خلية قطع الرؤوس. ليس فقط أنه ساعد شخصيًّا في ثلاث أشرطة لقطع الرؤوس علىٰ الأقل، كان قائد عمليات بارز في تنظيم القاعدة في العراق. ربما الأولىٰ من نوعها، خليته كانت معروفة كخلية أساسية لقطع الرؤوس لاثنين من أمراء القاعدة اللذين تم القبض عليهما وقتلهما في عام (٢٠٠٥م). العديد من قطع الرؤوس التي أجريت تحت قيادة نشوان، كانت مسجلة، وكما ورد فالأفلام كانت تستخدم ليس فقط لتخويف السكان المحليين في مدينة الموصل، لكن المواطنين في جميع أنحاء العراق[1]، ومن غير المعروف ما إذا كانت هناك خلايا أخرىٰ لقطع الرؤوس.

⋆ التكتيكات الإسلامية لقطع الرؤوس

المتشددون الإسلاميون يستخدمون مجموعة متنوعة من أساليب قطع الرأس التي تعكس الماضي، الحاضر، أو مزيجًا من الاثنين معًا. يمكن أداء قطع الرؤوس: (١) كما في القتل للانتقام. (٢) بالتزامن مع الاختطاف للحصول علىٰ فدية. (٣) للتخويف. (٤) كمثال عام. و(٥) كوسيلة لعرض التجنيد، المصادقة (للجهات المانحة للمال) و/أو الدعاية. العروض هي عادة (Spiked Heads)، أو شرائط الإعدام المسجلة (النسخة الحديثة من الـ Spiked head)، إما للتوزيع العالمي أو المحلي. علاوة علىٰ ذلك، التكتيك السادس قد يكون قطع أعداد كبيرة من الرؤوس، كما يتضح من الأعداد الكبير للرؤوس والأجسام مقطوعة الرأس التي عثر عليها في العراق (انظر

---

(١) Blackanthem Military News (2005) 'Mosul terrorist cell leader killed', October 26, www.blackanthem.com

الجدول ١). في الماضي، أعداد كبيرة من الرؤوس المقطوعة تقع أحيانًا في معركة واحدة. لحسن الحظ، مع حرب الوحدة الصغيرة اليوم، المسلحون ليسوا قادرين علىٰ اتخاذ أعداد كبيرة من الضحايا دفعة واحدة وقطع رؤوسهم.

⋆ قطع الرؤوس كوسيلة للانتقام

قطع الرؤوس للانتقام شوهد بشكل متقطع في عدة بلدان. في تايلاند، تم العثور علىٰ رأس زعيم القرية في كيس السماد مع ملاحظة تقول إنه انتقام لأجل أبرياء منطقة تاك باي. سبعة متظاهرين مسلمون قتلوا في تاك باي وألقي القبض واختنق أو سحق في شاحنات الجيش[١] (٧٨ إضافيًا). في العراق، شريط فيديو مختوم بشعار تنظيم القاعدة الذي نشر قطع رؤوس من الروس بدأ مع قراءة صوتية (فمن اعتدىٰ عليكم، فاعتدوا عليه)[٢]. عندما اختطف هؤلاء الروس في البداية، أدلي مطلب لموسكو للانسحاب من الشيشان والإفراج عن المتشددين الإسلاميين من سجونها. لم يتم الاستجابة للمطالب وقطعت رؤوس الروس. بعد قطع الرؤوس، يقرأ البيان: «قد تم تنفيذ حكم الله علىٰ الدبلوماسيين الروس . . . انتقامًا للتعذيب، قتل وطرد الإخوة والأخوات من قبل الحكومة الروسية الكافرة»[٣]. قصة من أفغانستان تصف القطع لأجل الانتقام المتعادل (tit-for-tat): جنود أفغان قطعوا رؤوس أربعة من مقاتلي طالبان الذين كانوا في وقت سابق قد قطعوا رأس جندي ومترجمه.

⋆ قطع الرؤوس كنتيجة لعمليات الخطف للحصول على فدية

قطع الرؤوس قد ينجم عن طلب فدية ضلت طريقها أو لم تلب. عندما يخطف المتشددون الإسلاميون للحصول علىٰ فدية؛ فإنَّ مطالبهم غالبًا ما تبدو مستحيلة عمدًا أو غير معقولة بطريقة أخرىٰ. ونتيجة لذلك، في أكثر الأحيان، إمَّا أن تلبىٰ أو أن بلد

(١) 'Thai Buddhist found decapitated,' Aljazeera.net, November 2, 2004.

(٢) Nadia Abou El-Magd, 'Qaeda Murders Four Russians, Then Posts Execution on the Web', AP, The New York Sun, June 26, 2006, http://www.nysun.com/article/35066.

(٣) 'Russian Hostages are Beheaded'. ABC, Blue Star Chronicles, weblog, June 25, 2006, www.bluestarchronicles.com

الضحية ببساطة لا تتفاوض مع الإرهابيين. في أي حال، عندما تنتهي المهلة المحددة، يتم قطع رأس المختطف/ المختطفين. عندما اختطف ثلاثة مهندسين مدنيين جاك هنسلي، يوجين أرمسترونج وكينيث بيغلي في العراق، كانت الفدية هي إطلاق سراح جميع السجينات العراقيات من قبل قوات التحالف. لم تتفاوض الولايات المتحدة ولا بريطانيا مع الخاطفين. تم قطع رؤوس جميع الأسرىٰ الثلاثة. الخطف، كوسيلة من وسائل الابتزاز هو أسلوب شائع ومربح في العراق وأماكن أخرىٰ، ويستخدم الآن في كثير من الأحيان أكثر من قطع الرؤوس.

★ قطع الرؤوس بمثابة تكتيك للتخويف

يستخدم طالبان الترهيب في المناطق التي يقدرون علىٰ تجاوز البلدات الصغيرة. لقد قتلوا وقطعوا رؤوس العديد من المعلمين لأجل الحفاظ علىٰ المدارس مغلقة. مؤخرًا، في قندهار، رسالة معلقة علىٰ مسجد تقرأ «الفتيات اللواتي يذهبن إلىٰ المدرسة يجب أن يكن حذرات علىٰ سلامتهن. إذا وضعنا حامضًا علىٰ وجوههن أو قتلوا فاللوم سيكون علىٰ والديهم»[١]، وهكذا تم ترويع المدرسين والأطفال من الذهاب إلىٰ المدرسة بسبب تهديد قطع الرأس وعدة طرق أخرىٰ للترهيب كذلك.

★ قطع الرؤوس كتكتيك للإعدام العلني

لم يتم تنفيذ قطع الرؤوس العلني فقط من قبل حكومات الولايات. المتمردون السنة في العراق وطالبان في أفغانستان أيضًا يقومون بإجراء قطع الرؤوس العلنية، وكان آخرها في المدن الصغيرة التي استولوا عليها (أو أعادوا اتخاذها). في زمن النبي محمد، كانت ممارسته جمع أكبر عدد من الناس من المجتمع ليشهدوا علىٰ الإعدام، تنفيذ القانون الإسلامي[٢]. القصص المنتشرة في الآونة الأخيرة أن قطع الرؤوس العلنية تحدث في العراق وأفغانستان؛ أحيانًا يوميًا؛ ويتطلب بعضها الحضور، حتىٰ بالنسبة إلىٰ الأطفال. في واحدة من هذه القصص، قالت إن أقراص الفيديو الرقمية في نفس يوم قطع الرأس كانت متوفرة في السوق[٣]. مع ضمان جمهور

---

(١) Coghlan, T. (2006) Taliban use beheadings and beatings to keep Afghanistan's schools closed', The Independent, July 11, http://news.independent.co.uk.

(٢) Answers by Dr. Abu Ameenah Bilal Philips, 'Question on Death', Militant Islam Monitor website.

(٣) Ackroyd, J. (2005) 'The New Yorker town hall meeting on Iraq', TPMCafe online, September 24.

واسع. بالإضافة إلىٰ ذلك، مراقبة قطع الرؤوس جذابة، حتىٰ للأطفال، ممَّا يجعله شكلًا مرغوبًا فيه أكثر من غيره، مثل الشنق أو الاغتيال، وبالتالي من المرجح أن يستمر. عملية قطع الرؤوس العلنية غير التابعة للدولة تساعد الجماعة المتمردة علىٰ تأكيد سيطرتها علىٰ أكثر من بلدة غير مأهولة أو غير محكومة وفرض قوانين الشريعة الإسلامية. وغالبًا ما يتم دعم الجماعة المتمردة أيضًا بالمقاتلين الأجانب. ونتيجة لتلك الاستحواذات للبلدان الصغيرة، الأسلمة ستنتشر ببطء، غير محسوس، لا سيما إذا تم تجاهل عمليات الاستحواذ أو لم توقف[١]، وعلىٰ النقيض من الجماعات التابعة لتنظيم القاعدة في العراق والتي تبث كتلة من عمليات قطع الرؤوس، نشطاء البلدة الصغيرة الذين يجرون عمليات قطع الرؤوس لا يريدون لفت الانتباه إلىٰ ما بعد الجمهور المحلي، وخاصة اهتمام وسائل الإعلام التي قد تجلب المعارضة الساحقة. رسالة تم اعتراضها من أيمن الظواهري إلىٰ الزرقاوي، شيخ الجزارين، تنصح الزرقاوي بوقف قطع الرؤوس المروعة. شعر الظواهري أن قطع الرؤوس كان يؤذي تنظيم القاعدة من خلال استعداء المسلمين. وبعد خطاب الظواهري، في الفترة من (أكتوبر ٢٠٠٥م)، وحتىٰ أوائل شهر (يونيو ٢٠٠٦م)، لم يكن هناك أي شريط فيديو علني لقطع الرؤوس. خلال ذلك الوقت، الممارسة العلنية للذبح لم تنخفض. كشفت رسالة الظواهري أن القاعدة تستجيب لرأي المسلمين، وأن كسب القلوب والعقول لا يقل أهمية للقاعدة كما هو الحال بالنسبة إلىٰ أي جماعة سياسية. واقعيًا، فمن غير المرجح أنَّ يكون كسب القلوب والعقول من خلال مناشدة عامة المسلمون لديه الكثير للفعل مع قتالهم، إلَّا كتكتيك مؤقت لكسب الوقت، والحفاظ علىٰ تدفق المجندين، وتجنب الرفض الواسع النطاق الذي قد يعجل الهزيمة، فهم دور وسائل الإعلام يترجم قول الظواهري: «أقول لك: نحن في معركة، وأن أكثر من نصف هذه المعركة يدور في ساحات الإعلام»[٢] التلاعب بوسائل الإعلام هو تكتيك متطور لتنظيم القاعدة. يضعون أشرطة فيديو قطع الرؤوس علىٰ الإنترنت عندما يريدون إعلان بيان،

---

(١) See various news stories on Somalia, where Fundamentalist Islamists have recently taken over one town at a time with fighting and immediately imposing their own Sharia laws.

(٢) 'Al Qaeda letter called 'chilling'', www.cnn.com, October 12, 2005.

في حين لا يبثون عمليات قطع الرؤوس عندما يكون هناك ضغط كبير جدًّا من الجمهور الذي يغلب عليه المسلمين.

★ الناس الذين لا تقطع رؤوسهم ولماذا؟

بعض الأسرىٰ لم يتم قطع رؤوسهم عندما يكون الخطف من أجل الابتزاز أو غرض آخر غير قطع الرأس. أيضًا ليس كل الجماعات الإرهابية الإسلامية أو الحركات المتمردة تمارس قطع الرؤوس. حماس وحزب الله لا يستخدمون قطع الرأس. بالإضافة إلىٰ ذلك، بعض المجموعات تقوم بقطع الرأس الانتقائي: مليشيا مقتدىٰ الصدر في العراق تقطع رؤوس السنة، ولكن ليس قوات التحالف بسبب تطلعاتهم السياسية هناك. قطع الرأس أولا يعتمد أيضًا علىٰ الضحية وبلدهم الأصلي. في (عام ٢٠٠٤م)، في ذروة من أشرطة قطع الرؤوس، أسر اثنان من الصحفيين الفرنسيين لمدة أربعة أشهر، ثم أطلق سراحهم من دون تحقيق مطالب الآسر الخاصة بهم. وكان الطلب هو رفع حظر الحجاب في المدارس الحكومية. بدلًا من الأسرىٰ، بمساعدة المفاوض الفرنسي، أقنع خاطفيهم أنه ليس لديهم أي انتماء مع الولايات المتحدة أو قوات التحالف في العراق[١]. قطع رؤوس الفرنسيين كان سيسبب عواقب سياسية لتنظيم القاعدة يفوق مصلحة الإفراج عنهم. اثنتان من الإيطاليات اللتان وقعتا في الأسر أيضًا خلال ذروة فيديو قطع الرؤوس، تم الإفراج عنهما في العراق ولكن بسبب دفع الفدية من الحكومة الإيطالية[٢]. جيل كارول، وهي صحفية من صحيفة كريستيان ساينس مونيتور، أسرت لمدة ثلاثة أشهر ثم أطلق سراحها. تحدث العشرات من الممثلين العرب ضد أسرها، والذي ربما يكون قد عجل إطلاق سراحها. من المرجح أن المسلمين قد تحدثوا بالنيابة عنها بسبب تعاطف كارول تجاه الشعب العراقي والمعروفة بممارستها الصحفية النزيهة. من غير المعروف ما إذا كانت المرأة لديها ميزة علىٰ الرجال في عدم قطع الرأس، ولكن في القضايا البارزة التي

---

(١) Interview with French reporter Christian Chesnot, Democracy Now)online(, June 8, 2005.

(٢) Villelabeitia, I. (2004) 'Chained hostage in Iraq renews appeal to Blair', Reuters, www.abcnews.com, September 29

تنطوي علىٰ النساء تم الإفراج عن الجميع عدا واحدة، والتي تم قتلها وليس قطع رأسها. أسير تركي ذكر مقتنع أنه تم إطلاق سراحه بسبب كثرة الصلاة. لقد «شعرت أنَّه إذا ما رأوني أصلي ربما يطلقون سراحي»، مشيرًا إلىٰ أن عرضه المرئي للإيمان كمسلم أنقذه[1]. في حين أنَّه يجري قطع رؤوس المسلمين بقدر إن لم يكن أكثر من غير المسلمين، مسلم صحيح مقابل وضع مسلم غير صحيح عامل مهم مؤثر علىٰ الخاطفين. علاوة علىٰ ذلك، فمن غير المعروف لماذا يقتل بعض الأسرىٰ في حين يتم قطع رأس الآخرين لكن السبب ربما ببساطة هو أن إطلاق النار أسهل من ذلك بكثير.

★ تكتيكات مضادة - تحدي

قد يكون من المفيد تحديد التكتيكات المضادة لقطع الرؤوس. مراجعة دراسات الحالة عن جميع الرهائن الذين أفرج عنهم قد تكون بنفس أهمية دراسة حالات قطع الرؤوس الفعلية. تظهر عمليات تصوير قطع الرؤوس وإخراجها بصبغة مسرحية، الغرض منها بوضوح. فكما قال أحد أستاذة جامعة جورج تاون: «إن الغرض منها ليس عقاب الأفراد، لكن استخدامهم»[2]. تطوير تكتيك مضاد، لمثل هذا السلوك الشديد التهور من الميليشيات لهو أمر عسير للغاية. في بعض الأحيان تكون حالة إطلاق سراح أحد الرهائن تعتمد فقط علىٰ الحظ - عنصر مصادفة لا نتحكم فيه. التكتيكات المضادة الفردية لأحد الرهائن، تعد تجربة خاصة صعبة، نتيجة لغياب الرغبة، شدة الخوف، التعرض للضرب، أو لعقاقير معينة. قيل إن دانيل بيرل (Daniel Pearl) رفض تناول عقاقير مهدئة قبل أن يلقىٰ حتفه. كان لأحد الرهائن الإيطاليين أيضًا انتصار مماثل، قبل واقعة قطع رأسه مباشرة، والتي تم تصويرها، قفز في الهواء، ثم حاول إزالة القناع عن وجهه، وقال: «الآن سأريكم كيف يموت الإيطالي». لم تعرض الجزيرة هذا الفيديو، لكنَّها نقلت محتواه، وكان ذلك بشعًا بما

---

(١) Jacinto, L. (2004) 'Death by Sword, Why Militants Prefer Beheadings - And Muslim Hostages Are No Longer Spared', www.abcnews.com, August 11.

(٢) bid.

فيه الكفاية[١]. يقال إن الرهينة الإيطالي دمر الفيديو، حيث أدت أفعاله إلىٰ ثلاثة أمور: (١) فقد منعت الفيديو من أن يعرض. (٢) أظهرت تمردًا علىٰ الموت المخيف. (٣) قللت من نجاح الميليشيات. أيضًا، فلم يغير ذلك من حقيقة أنَّه بالرغم من قتله قتلة بشعة، إلَّا أنَّه مات موتة بطولية. كل من تلك النجاحات الصغيرة تعد تكتيكات مضادة.

★ انتشار التكتيك

منذ أول واقعة قطع رأس مصورة عام (٢٠٠٢ م)، أصبحت تلك العمليات في تزايد علىٰ مستوىٰ عالمي. من قبل كيانات إسلامية وغير إسلامية. تعد العمليات المصورة لقطع الرؤوس مصدر إلهام لعمليات أخرىٰ علىٰ مستوىٰ العالم، بالرغم من أن مثل تلك العمليات ربما لا تكون جديدة علىٰ بعض الثقافات وربما يكون لها سوابق تاريخية. بينما تستند عمليات قطع الرؤوس الإسلامية الحالية علىٰ أسس دينية، غالبًا ما تستند العمليات غير الإسلامية علىٰ أسباب إجرامية.

★ تقليد عمليات قطع الرؤوس

عمليات قطع الرؤوس تلهم عمليات قطع رؤوس أخرىٰ. فهي آخذة في الازدياد والانتشار في بلدان مختلفة، ليست جميعها بلدانًا إسلامية (انظر الجداول ١ و٢). في (سبتمبر ٢٠٠٤م)، قامت العصابات الهايتية بقطع رؤوس ثلاثة من ضباط الشرطة خلال حملة مؤيدة لأريستيد، وقد سموا تلك العملية (العملية بغداد). في (٢٠٠٤-٢٠٠٥م) في المناطق المسيطر عليها إسلاميًّا، بدأت سلسلة من عمليات قطع الرؤوس، قيل إنَّها نسخ من مثيلاتها في العراق. مع ذلك ففي عام (١٩٩٠م) قد نفذت الميليشيات الإسلامية في الشيشان، كوسوفو والجزائر عددًا ضخمًا من عمليات قطع الرؤوس. لكن لم يتم تصوير تلك العمليات أو عرضها في وسائل الإعلام. إنَّ العرض في وسائل الإعلام لعمليات قطع الرؤوس في العراق، يجعل البعض يظن أن تلك العمليات بدأت في العراق، بينما في الواقع نجد أن العمليات في الشيشان،

---

(١) Italian hostage defied killers , BBC News, April 15 2004.

كوسوفو والجزائر، أسبق تاريخيًّا وتعد هي الأولىٰ في العصر الحديث. مع ذلك يصعب تحديد من ينقل من الآخر، حيث إنَّ الميليشيات في العراق أضافت بعدًا جديدًا لتلك العمليات عن طريق تصويرها. من المرجح أن تكون عمليات قطع الرؤوس هي محاكاة لما كان يفعله الأسبقون، وليست محاكاة لأي من العمليات الحديثة في دول أخرىٰ حالية.

التاريخ	حدث	مجموعة	موقع	ملاحظات
٣٠ سبتمبر ٢٠٠٤	ثلاثة من رجال الشرطة في هايتي	تشيميريز، عصابة الموالية لأريستيد	هايتي	الحملة المزعومة ضد الحكومة، أطلق عليها اسم «عملية بغداد».
٢٣ فبراير ٢٠٠٥	أحد الشباب	المتمردون الماويون	الهند (رانشي)	قطعت رأسه لمحاولته التصويت في صناديق الاقتراع. تم عرض رأسه كنوع من التحذير للآخرين.
٢٢ فبراير ٢٠٠٦	المسيحيون بقطع رؤوس المسلمين	المسيحيون	نيجيريا	سعت عصابات مسيحية للانتقام ردًا علىٰ أعمال عنف قام بها المسلمون لغضبهم من الرسومات الكارتونية
٢١ أبريل ٢٠٠٦	اثنان من الشرطة	الاتجار بالمخدرات	المكسيك (أكابولكو)	ملاحظة وجدت مع الجسد مقطوع الرأس كتب عليها: حتىٰ تتعلموا الاحترام. وجدت الرؤوس في أجزاء أخرىٰ من المدينة.
١٥ يونيو ٢٠٠٦	قام السجناء بشغب وقطعوا خمسة رؤوس	عصابات متنافسة	البرازيل	في أعمال شغب في السجن، قطع المساجين ما لا يقل عن خمسة رؤوس، وعلقوها علىٰ عمدان فوق سطح السجن

التاريخ	الحدث	المجموعة	الموقع	ملاحظات
١٦ يونيو ٢٠٠٦	واحد من الذكور	الناكساليون	الهند	تم جذب أحد القبليين خارج منزله، ثم تعرض للضرب المبرح قبل أن يتم قطع رأسه بسلاح حاد
١٧ يونيو ٢٠٠٦	ركاب حافلة مدنية	من الجماعة الانفصالية	نيجيريا	جماعة (MASSOB) الانفصالية، في حربها ضد هيمنة المسلمين، أنزلت الركاب المدنيين من حافلة، وقطعت رأس أحدهم.
٢١ يونيو ٢٠٠٦	ثلاثة رجال شرطة ومدني واحد	كارتل المخدرات	المكسيك	الجثث التي عثر عليها في روساريتو بيتش، وجدت الرؤوس بعد ساعات في تيخوانا
٢٤ يونيو ٢٠٠٦	شرطي	عصابة المخدرات	المكسيك (غيريرو)	تم اختطاف ثلاثة من أربعة من رجال الشرطة وإطلاق النار عليهم، والرابع قطعت رأسه.
٢٩ يونيو ٢٠٠٦	الرجل رأسه وجدت	كارتل المخدرات	المكسيك (أكابولكو)	وجدت رأس مقطوعة علىٰ بعد خطوات من سيتي هال، ومعها رسالة مكتوبة بخط اليد.
٣٠ يونيو ٢٠٠٦	اثنان من رؤساء وجدت	كارتل المخدرات	المكسيك (أكابولكو)	وضعت الرؤوس أمام أحد المكاتب الحكومية مع رسالة مكتوب فيها: رسالة أخرىٰ أيها الحثالة، حتىٰ تتعلموا الاحترام.

* عمليات قطع الرؤوس التي تنفذها كيانات غير حكومية، غير إسلامية، في الأمريكتين:

تأتي عصابات أمريكا اللاتينية وتجار المخدرات هناك في المرتبة الثانية بعد الميليشيات الإسلامية في اقتراف جرائم قطع الرؤوس، وهم يفعلون ذلك بوتيرة متزايدة. أكثر العمليات عددًا وأقربهم تمت في المكسيك (انظر الجدول ٢). بدأت تلك العمليات في المكسيك في (إبريل ٢٠٠٦م)، ويبدو أنَّها نتيجة للتنافس بين تجار المخدرات. قبل ذلك التاريخ كانت العمليات النادرة لقطع الرؤوس، يعتقد أنَّها كانت نتيجة لتطبيق عصابات المخدرات هناك تكتيكات جديدة في التعامل مع العصابات المنافسة أو نتيجة دخول منافس جديد لهم من وسط أو جنوب أمريكا. تزامن مع انتشار عمليات قطع الرؤوس الانتخابات الرئاسية، وأدىٰ ذلك إلىٰ أن تشمل تلك العمليات ضباطًا من الشرطة بما فيهم ضباط رفيعو المستوىٰ. أيضًا، قام المجرمون، بوضع الرؤوس والأجساد في مناطق مختلفة من المدينة. تلك الممارسة بالفصل الجغرافي بين الرؤوس والأجساد، تمارس أيضًا في العراق وتايلاند. بالرغم من أن السبب وراء تلك الممارسة، غير معروف، إلَّا أنَّ المؤكد في أغلب الحالات هو رغبة المجرمين أو الميليشيات، في أن يتم العثور علىٰ كل من الأجساد والرؤوس. ربما يتضاعف وينتشر الإرهاب والترويع بتوزيع الأجساد علىٰ منطقتين جغرافيتين. وقد يمنح ذلك للمجرم أو الميليشيا انتشارًا وحضورًا أوسع.

لم تكن عمليات قطع الرؤوس غير معروفة مسبقًا في أمريكا الوسطىٰ، وكانت تنتج عن مواجهات بين، العصابات والشرطة، عصابات وعصابات أخرىٰ أو الحماية الأهلية والعصابات. أعضاء الحماية الأهلية الذين تعرضوا لابتزاز أو ضغوط من العصابات، أو تجار المخدرات، أو القتلة، غالبًا ما كانوا علىٰ نفس الدرجة من العنف مثل أعدائهم. هجمات الحماية الأهلية تضمنت، عمليات قطع للرؤوس، قتلًا

بالرصاص، وكثيرًا من عمليات البتر والتعذيب[١]. إحدىٰ جماعات الحماية الأهلية في جواتيمالا قامت مؤخرًا بقطع رأس أحد أفراد جماعة مارا ١٨، إحدىٰ عصابات الشوارع في أمريكا الوسطىٰ التي تتميز بالعنف، وتركت رسالة علىٰ جثته. يعتبر ذلك الفعل، بترك رسائل مع الجثث من العادات عند جماعات الحماية الأهلية، وأيضًا عند العصابات. تستخدم جماعات الحماية الأهلية الرسائل من أجل الترهيب، وليس من أجل إعلان مسئوليتها. الجماعات الإسلامية علىٰ الجانب الآخر، غالبًا ما يعلنون مسئوليتهم عن أفعالهم. تستخدم جماعات الحماية الأهلية، الإنترنت في الترويج لمواقفهم، وهو مماثل لما تفعله الميليشيات الإسلامية. تستخدم جماعات الحماية الأهلية الإنترنت أيضًا لغرض نشر أسماء وعناوين أفراد العصابات، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلىٰ مزيد من القتل الداخلي بين العصابات. في أمريكا الوسطىٰ، كثيرًا ما تتضمن الصراعات الداخلية بين العصابات عمليات قطع للرؤوس وفقاً للأعين. عصابة مارا سالفاتروتشا، والمسماة أيضًا بـ(MS-13)، هي عصابه بدايتها كانت من لوس أنجلس وتشتهر باستخدامها لتكنيك قطع الرؤوس. تتألف عصابة (MS-13) من خلايا ومتورطة بشكل كبير في تجارة المخدرات والاتجار في البشر. غالبًا ما تجد الأجساد المفصولة والرؤوس المقطوعة في مسارح الجرائم التي ترتكبها عصابات (MS-13)، ومن المعتاد أن يتركوا رسالة بغيضة ملصوقة علىٰ الجسد. إنَّ عصابة (MS-13) آخذة في الازدياد عددًا والانتشار خارج الولايات المتحدة. تعد عصابة (MS-13) إحدىٰ عصابات المارا، التي يقدر عدد أعضائها بـ(١٠٠,٠٠٠ عضو) في أمريكا الوسطىٰ، ويقدر عدد أفراد الجماعات المرتبطة بها من (٨٠٠٠) إلىٰ (١٠,٠٠٠)، في أكثر من (٣٠ ولاية) من الولايات المتحدة[٢]. من غير المحتمل أن تكون عمليات قطع الرؤوس في أمريكا الوسطىٰ والمكسيك مجرد نقل من أفعال الإسلاميين في الشرق الأوسط وآسيا. لكن المرجح هو أنهم استلهموا منهم.

---

(١) Rosenberg, M.)2006 (Ten Dead in Suspected Guatemala Vigilante Killings , Reuters Foundation,Alertnet, February 10.

(٢) Lakshmanan, I. A. R. (2006) 'Gangs Roil Central America; Troubles Linked to US Deportees', TheBoston Globe, www.boston.com/news/world, April 17.

فالتاريخ الهيسباني [الإسباني الأصل] له تاريخه الخاص المتعلق بقطع الرؤوس، وهو ما يرجح تقليدهم له اليوم أكثر من تقليدهم لعمليات قطع الرؤوس الإسلامية. لكن من المثير للفضول هو أن عمليات قطع الرؤوس في الأمريكتين والشرق الأوسط في تزايد متزامن. أيضًا؛ فإنَّ عمليات قطع الرؤوس في المكسيك تعد ذات أهمية خاصة بالنسبة إلىٰ الولايات المتحدة، نظرًا لاشتراكهما في الحدود. هناك أمران يسببا قلقًا للولايات المتحدة وتهديدًا باحتمالية وصول تلك العمليات إليها: (١) وصول مثل تلك العمليات إلىٰ الشمال في المكسيك. و(٢) انتشار أعضاء (MS-13)، المعروفة بممارستها لقطع الرؤوس، المتزايد في الولايات المتحدة.

⋆ المسيحيون ومنتقمون آخرون:

في أواخر (يناير ٢٠٠٥م)، بدأ الغضب الإسلامي في التصاعد بعد رسومات الكارتون الدنماركية التي نشرت في الصحف، وفيها تمثيل للرسول محمد. ونشبت مظاهرات إسلامية غاضبة في الكثير من البلدان حول العالم، بما فيها نيجريا. أدت بكل وضوح إلىٰ واحدة من أسوأ الهجمات الإسلامية هناك، كان رد فعل الانتقام للعصابات المسيحية هو مهاجمة المحركين للهجمات الإسلامية وبعض التجار في أونيتشا، نيجريا؛ تم قتل أكثر من (٣٠ منهم)، وقد قطعت رؤوس بعضهم. كانت تلك الهجمات أولىٰ الهجمات المسيحية المضادة علىٰ الغضب الإسلامي الناتج عن الرسومات الكارتونية. تم وصفهم علىٰ أنهم جحافل من الرجال الغاضبين، المسيحيون كانوا مسلحين بالسيوف، والبنادق، وعصي مثبت بطرفها مساميرًا مدببة. يجب أن يؤخذ في الاعتبار ما إذا كانت أية أعمال ثأرية انتقامية مثل تلك أو ما تفعله جماعات الحماية المدنية في جواتيمالا، ستؤدي إلىٰ النتيجة نفسها. هل سيستمر المسيحيون وجماعات دينية أخرىٰ في الانجرار إلىٰ أن تكون ردودهم بمثل تلك الوحشية؟ في (يونيو ٢٠٠٦م)، تم عمل كمين لجنديين أمريكيين في العراق، وتم أسرهم من قبل الميليشيات؛ تم قطع أجساد الاثنين وقطع رأس أحدهم. ثم تلا ذلك نشر مقطعٌ مرئيٌّ شنيعٌ لتلك العملية علىٰ الإنترنت من إحدىٰ الجماعات التابعة للقاعدة في العراق. ازدياد الغضب بين القوات الأمريكية، من مثل تلك الأحداث، ربما يؤدي إلىٰ أن يتصرف الجنود الأمريكان برد فعل، ويبدؤوا في استخدام مزيد من

العنف، بما فيها عمليات قطع رأس ثأرية مماثلة لما فعله المسيحيون في نيجريا.

⋆ المؤشرات الحالية

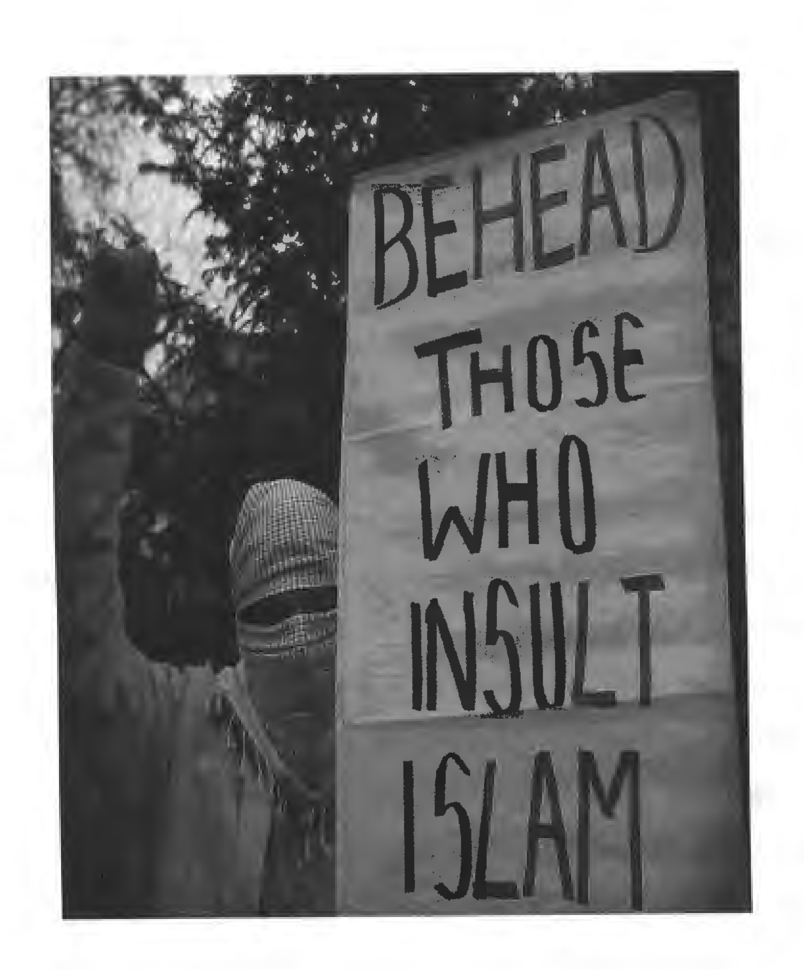
هناك أدلة وأحداث معاصرة ترجح أن عمليات قطع الرؤوس الإسلامية تتخذ طريقها إلىٰ الغرب، وأنها سوف تصل إلىٰ الولايات المتحدة. في أمستردام في (نوفمبر ٢٠٠٤م)، تم قتل ثيو فان جوخ، أحد صانعي الأفلام الشديدي الإثارة للجدل، كرد فعل علىٰ فيلمه الأخير، الخضوع، الذي أهان فيه الإسلام. قام أحد الإسلاميين الراديكاليين بنحر فان جوخ (وهي طريقة مغايرة لقطع الرؤوس). في (يناير ٢٠٠٥م) في الولايات المتحدة، تم قتل عائلة قبطية مصرية كاملة، كانت دائمًا ما تتحدث بشكل معادٍ للإسلام، فقد تم نحرهم من قبل مسلمين في هجمة بشعة. سرعان ما أعلنت أصوات علىٰ مواقع جهادية مسؤوليتها عن تلك الجريمة، وكبروا الله. أحد المنشورات الإسلامية، «لقد تم فصل رؤوس جميع أفراد تلك العائلة عن أجسادهم»[١]، منشور آخر كتب، «لقد بدأت ثمار التخطيط الجيد في الازدهار، وقريبًا، إن شاء الله، ستكون هناك ثورة إسلامية في أمريكا كلها تنصر الحق وتزهق الباطل الذي صنعوه»[٢]. كل من جريمة قتل فان جوخ والعائلة المصرية، كانت موجهة ضد أشخاص يتحدثون ضد الإسلام. كان ينظر إلىٰ واقعة قطع رأس دانيل بيرل في (٢٠٠٢م) علىٰ أنَّها حادثة فردية، حين كانت في الواقع بداية لسلسلة مستمرة حتىٰ اليوم. من الخطر جدًّا علىٰ الغرب اعتبار حادثتي فان جوخ والعائلة المصرية حوادث فردية معزولة. تم عرض رسمة لأوريانا فالاتشي، وهي صحفية وكاتبة إيطالية شهيرة، وتم عرض تلك اللوحة في ميلانو. لقد رسم الفنان جيوزيبي فينتسيانو رأس فالاتشي؛ لأنها انتقدت الإسلام للدرجة التي تجعل الأصوليين الإسلاميين يتمنون قطع رأسها في الحقيقة. بالرغم من أن رسمة الرأس المقطوعة لفالاتشي كانت أمرًا رمزيًا فقط، لكن يعتبر عرضها في معرض شهير مثل ذلك بجانب مجموعة من الأعمال اليسارية المعادية لأمريكا انتصارًا صغيرًا للإسلاميين في جهادهم. إن كلًا من رسمة فالاتشي

---

(١) Jihad Watch, www.jihadwatch.org/archives/004772.php, January 23, 2005.

(٢) Ibid.

مع مقتل فان جوخ والعائلة المصرية هما مؤشرات علىٰ هياج إسلامي مستقبلي يشتمل علىٰ عمليات قطع رؤوس في الغرب. من المقلق بشدة أن ينتج عن التحدث ضد الإسلام قطع للرأس. ومن المثير للسخرية أن تكون عمليات قطع الرؤوس هي وسيلة إخراس الأصوات. فترات التوتر والتغيير في التاريخ تتميز بوجود عمليات قطع للرؤوس. من الواضح أنَّنا في واحدة من تلك الفترات لكن بسبب أننا في مجتمع متحضر نندهش من رؤية تزايد عمليات قطع الرؤوس في أماكن مختلفة. مثلها مثل عمليات قطع الرؤوس الحكومية؛ فإنَّ عمليات قطع الرؤوس غير الحكومية، ترجع إلىٰ تقاليد قديمة. لكن عمليات قطع الرؤوس الغير حكومية هي أعمال إجرامية يمكن لها أن تلهم عمليات أخرىٰ، سواء جهادية أو غير جهادية. ما يميز إحدىٰ عمليات قطع الرؤوس الإجرامية عن الأخرىٰ هو طريقة استخدام الجماعة المنفذة لها لتلك العمليات من أجل تحقيق أهدافها. المكاسب قصيرة الأجل، من أعمال قطع الرؤوس، بجانب أعمال العنف الأخرىٰ، تساعد تلك الجماعات علىٰ تحقيق أهدافها طويلة المدىٰ. بينما تأخذ عمليات قطع الرؤوس المشهورة في الشرق الأوسط مكانتها، تتزايد عمليات أخرىٰ في مناطق مختلفة من العالم. كلما تظهر أو تنتشر، خاصة في بلاد كانت تلك الأفعال فيها نادرة في السابق، تعد مؤشرًا علىٰ اضطرابات أكبر أو مقدمة لعنصر آخر غير معلوم. بغض النظر عن حدوث عمليات قطع الرأس كنوع من التكتيك الجديد لإحدىٰ المجموعات، أو مع قدوم مجموعة جديدة لمنطقة، أو بشكل مرتبط مع تصاعد لكراهية موجودة بشكل مسبق، كل تلك الصور دائمًا ما تكون بشعة. (صورة ١).



صورة ١، دافيد بيبر، التايمز، لندن.

(٩)

داعش وإعادة التشغيل المخادعة للقاعدة[١]

د. محمد محمود ولد محمدو[٢]

(١) ورقة سياسة صدرت بعنوان: *ISIS and the Deceptive Rebooting of Al Qaeda* عن مركز جنيف للسياسة الأمنية في أغسطس ٢٠١٤. (المترجم) يمكن الاطلاع على الورقة الأصلية على الرابط: http://gcsp.ch/Regional-Development/Publications/GCSP-Publications/Policy-Papers/GCSP-Policy-Paper-ISIS-and-the-Deceptive-Rebooting-of-Al-Qaeda

(٢) د. محمد محمود ولد محمدو هو نائب المدير والعميد الأكاديمي لمركز جنيف للسياسة الأمنية وأستاذ زائر بمعهد الدراسات الدولية ودراسات التنمية للدراسات العليا بجنيف ومعهد باريس للدراسات السياسية (Sciences Pos Paris) وهو مؤلف كتاب: *Understanding Al Qaeda - Changing War and Global Politics* الصادر عام ٢٠١١.



المحتويات



النقاط الأساسية

- خلال عام منذ تكونها، أصبحت الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» تُمثِّل الجماعة الإسلامية السلفية الراديكالية الرئيسة علىٰ مستوىٰ العالم، متجاوزة للمدىٰ الذي وصلته فروع القاعدة الرئيسة (القاعدة في جزيرة العرب والقاعدة في المغرب الإسلامي، علىٰ وجه الخصوص)، حاولت داعش في (٢٠١٣-٢٠١٤) التشكيك في منظمة القاعدة الأصلية، وتمكنت من تجاوزها وهي التي كانت من قبل مرتبطة بها علىٰ نحو غير سلس.

- وفي حالة تحقق وجود داعش بشكل ملموس أكثر؛ فإن «نهاية» القاعدة لن تكون تحققت وقتئذٍ علىٰ يد الحرب العالمية علىٰ الإرهاب، أو مكافحة الولايات المتحدة للتمرد في كل من العراق وأفغانستان، أو كنتيجة للإزاحة الأيديولوجية من قِبل الليبراليين العرب في أعقاب الربيع العربي، ولكن بشكل مستقل كنتيجة للنمو والمنافسة القيادية ذاتية الإنتاج وداخلية التوليد التي ستؤدي إلىٰ جعل نموذج القاعدة الأصلي باليًّا، هذا إن بقي مؤثرًا لمزيد من الوقت.

- إن «سورياق»[١] تعتبر الأف - باك[٢] الجديدة وهذا التكوين المليء بالصراعات، والذي هو قيد الإنشاء الآن فيما بين سوريا والعراق مع سيطرة ضعيفة جدًّا للدولة قد وفر وبشكل هام القاعدة والظروف المناسبة لتحول المنظمة المركزية الجديدة والممتدة التأثير الذي سرعان ما يصبح داعش.

- ومع كل انتصاراتها الحديثة المهمة، واستيلائها الباهر علىٰ الأرض ورقعتها

---

(١) سورياق ترجمة لتعبير *Syriaq* المنحوت من لفظتي سوريا والعراق وقد ظهر حديثًا بعد الأحداث الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط. (المترجم)

(٢) أف-باك ترجمة لتعبير *AfPak* وهو تعبير جديد استخدم في دوائر السياسة الخارجية الأمريكية للتعبير عن أفغانستان وباكستان بوصفهما يمثلان مسرح عمليات واحدًا. (المترجم)

العملياتية المتسعة، إلَّا أنَّ استراتيجية داعش مليئة بالتناقضات التتابعية -أولًا تمركزها الإقليمي في مقابل طموحها العالمي إضافة إلىٰ عدم وجود سرد مشروع مقنع لبيئتها الاجتماعية- والتي لن تستطيع، علىٰ نحو قابل للجدل، أن تتجاوزها في المدىٰ البعيد لتحقق أهدافها المتمددة أكثر من اللازم.

- إنَّ قصة وصول داعش إلىٰ العالمية هي في جوهرها بمثابة مؤشر (رائد)[1] علىٰ تطور القاعدة، ولكنها بشكل مساو تعد علامة رئيسة علىٰ توجهات الأمن الإقليمي والعالمي في مطلع القرن الحادي والعشرين المتسمة بديناميكيات معكوسة من «دولنة» الجماعات المسلحة و«ملشنة» الدول التي تحدث فيما وراء حدود منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

من بين الدروس المهمة الكثيرة التي يمكن تحصيلها من صعود الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش من اختصارها العربي[2]» في (٢٠١٣-٢٠١٤) هو احتمال أن تكون الجماعة تسير بشكل متزايد، وإن كان متناقضًا، علىٰ طريق نوع الجماعة التي أنشأها أسامة بن لادن في أفغانستان في أواخر ثمانينيات القرن الماضي، القاعدة الأم، وبينما تُحكِم داعش سيطرتها علىٰ العراق وسوريا وتؤمّن سلطتها علىٰ رقعة كبيرة من الأرض وتباشر استراتيجية إقليمية أوسع؛ فإنَّ الظروف الناتجة تثير بالتحديد ذكرياتٍ لِمَا حدث قبل ربع قرن عند ذلك القوس الذي يربط أفغانستان بباكستان عندما قام ابن لادن وأيمن الظواهري وعبد الله عزام بتأسيس القاعدة في صيف ١٩٨٩ في أعقاب الانسحاب السوفيتي من أفغانستان.

لاحظوا التشابهات:

(أ) سياق من الصراع المسلح طويل المدىٰ المتولد من الاحتلال والصراع الداخلي (أفغانستان من ١٩٧٩ إلىٰ ١٩٨٩ والعراق منذ ٢٠٠٣ وسوريا منذ ٢٠١١).

---

(١) استخدم المؤلف هنا لفظة *bellwether* الإنجليزية التي تستخدم بشكل عامي للإشارة إلىٰ القائد وتعني أصلًا الكبش الذي يقود القطيع وعادة ما يعلق في رأسه جرس. (المترجم)

(٢) لا يوجد اتساق فيما يتعلق بكيفية الترجمة الإنجليزية لاسم التنظيم، حيث تستخدم كل من ISIS أو ISIL بشكل تبادلي للإشارة إلىٰ الشام أو سوريا أو الشرق. ينظر مقال إيشانثرور المنشور في صحيفة الواشنطن بوست بعنوان: *ISIS or ISIL? The Debate Over What to Call Iraq's Terror Group* بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠١٤.

(ب) جبهة مسلحة عابرة للحدود القومية ومتوسعة علىٰ مستوىٰ عالمي.

(ج) نسيج معقد من تدخل القوىٰ العظمىٰ الحقيقي وإن اتسم بالحذر.

(د) فاعلون إقليميون نشطون ومتنافسون وذوو أجندات متعارضة.

(هـ) ديناميكيات حرب وكالة غامضة.

(و) حركات تمرد محلية قوية.

(ز) انتصارات تكتيكية متفرقة لصالح الجماعة تولّدُ بشكلٍ تراكمي المزيدَ من الزخم الاستراتيجي.

إنَّ المجموع النهائي لهذه المتوازيات مرتبط منطقيًا، وخاصة مع تمتع الجماعة بعلاقة معقدة مع المنظمة الأم التي أنتجتها، مع كون داعش تبحث عن تكرار قالب القاعدة المسلح الناجح وإدخال ابتكارات من إبداعها هي.

غير أنَّ هناك اختلافات رئيسة في الحكايات المروية ولا بد أن المتماثلات ستقرن بعضها في النهاية.

أولًا: داعش مستغرقة في كفاح محدد إقليميًا (شام حالم هو حقيقة للكثير من المقاتلين، لكنه لم يوجد أبدًا في صورة إدارية، علىٰ وضعه الحالي) بينما كانت القاعدة الأصلية بشكل واضح عبارة عن سمو فوق الحدود، حيث كانت أفغانستان بمثابة منصة للقفز علىٰ «العدو البعيد» الأمريكي بدلًا من «العدو القريب» المتمثل في الأنظمة العربية.

ثانيًا: المكون الأيديولوجي لداعش هش ويأتي في المرتبة الثانية بعد بعديها الهوياتي (الشامي) والاعترافي (السني) بينما كان ابن لادن يؤكد بإصرار علىٰ الأهداف السياسية والوحدة بين الإسلاميين من مختلف الصبغات بما في ذلك غير العرب وغير السنة.

أخيرًا: فإنَّ الغزوات المتزايدة لداعش تجتذب في الغالب طاقمًا متعدد الألوان من المقاتلين من أنحاء العالم الذين أصبحوا يرون سوريا قضية الجهادية المشهورة الآن بينما بنيت القاعدة علىٰ مراحل عدة في آسيا وفقًا لمنطق يهدف إلىٰ مجانسة العملاء

وتصديرهم وفتح جبهات في عدة مراكز جغرافية أخرىٰ (شرق إفريقيا، غرب أوروبا، شمال إفريقيا، الخليج العربي).

بتعبير آخر: إنَّ داعش مهتمة بالتأمين الموجه نحو الداخل لمركز جاذبية إقليمي (يقع في نقطة ما بين الفلوجة في العراق والرقة في سوريا) لأغراض محلية في الأساس، بينما أعادت القاعدة صياغة كتاب قواعد عبور الحدود القومية هادفة في الأساس إلىٰ إشعاع حربها السياسية-الدينية علىٰ العالم.

وعلىٰ الرغم من قيامها بنشر تغريدة تحمل صورة لعلمها أمام البيت الأبيض[١]، فإن الغنيمة الكبرىٰ للجماعة هي بغداد ودمشق. أما بالنسبة إلىٰ الجماعة القديمة، فقد كانت الغنيمة نيويورك وواشنطن.

★ أصول داعش:

عندما صعد زعيم داعش أبو بكر البغدادي ظهيرة ٤ يوليو ٢٠١٤ درجات منبر الإمام -صاعدًا درجة درجة- لإلقاء خطبة الجمعة في الجامع الكبير بالموصل في العراق، كانت لحظةٌ مهمةٌ في ملحمةِ القاعدة التاريخية قيدَ الإنتاج. قبل ذلك بأيام قلائل، في يوم ٢٩ يونيو، كان المتحدث باسم داعش، أبو محمد العدناني، قد أعلن (في بيان صدر بالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية) عن ولادة «دولة إسلامية» يكون فيها البغدادي (معرفًا بسلسلة نسب طويلة يقصد بها تأكيد مؤهلاته الدينية وانحداره من شجرة نسب كريمة؛ إبراهيم بن عواد بن إبراهيم بن علي بن محمد البدري الهاشمي الحسيني القرشي) هو «الزعيم الخليفة إبراهيم».

وفي ١ يوليو، كان البغدادي بنفسه قد أصدر «رسالة إلىٰ الأمة الإسلامية» يدعو فيها المسلمين حول العالم إلىٰ الهجرة إلىٰ الإمارة الجديدة، لقد كان تزامن خطبة البغدادي مع أول جمعة في رمضان ومع عيد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية بالكاد تصادفًا، وأضاف ذلك التوقيت بالتأكيد إلىٰ قمة التصنع المسرحي الذي رتبته جماعة تقوم بالترويج لنفسها.

---

(١) كريس جود، في ABC News بتاريخ ١٤ أغسطس ٢٠١٤، في خبر بعنوان:
Secret Service 'Aware' of Apparent ISIS Flag Photo in Front of the White House.

وللتأكد؛ فإنَّ استثنائية داعش ضمن مسار القاعدة تعد أمرًا ذا تاريخ طويل، ولقد كانت مسألة وقت، وهو أمر قابل للجدل، حتىٰ تبحث الجماعة عن انعتاقها الكامل من المنظمة الأم. في الحقيقة، إنَّ الكيان الذي كان ليصبح داعش قد سبق تاريخيًا نموذج تفرع القاعدة في منتصف العقد الأول من هذا القرن، والتي انضمت إليها في عام ٢٠٠٤ بينما أخذت تنحت دائمًا جدار تأثير القاعدة وتحافظ علىٰ الاستقلال الوظيفي الذي هو متحقق بشكل كامل اليوم.

في عام ١٩٩٩، وعند عودته من أفغانستان، قام الإسلامي الراديكالي الأردني أبو مصعب الزرقاوي بتأسيس جماعة التوحيد والجهاد، وتعد إحدىٰ النقاط شديدة الأهمية أن تجربة الزرقاوي الأفغانية قد حدثت في وقت لاحق لتجربة بن لادن وبشكل منفصل عنها. كان الزرقاوي قد انتقل إلىٰ أفغانستان في وقت متأخر. بعد بن لادن والظواهري بحوالي اثني عشر عامًا. بعد خروجه من السجن في الأردن. قام الزرقاوي بإنشاء مجموعته الخاصة في محافظة هرات حيث قام بقيادة وتدريب حوالي مائة أردني وفلسطيني، بعيدًا عن معسكرات بن لادن في قندهار، وكان بالفعل يرسل بيانات قوة تفيد الاستقلال، كما كان قد فعل من قبل مع معلمه الديني في الأردن، محمد المقدسي[١]، الذي كان قد أصبح منعزلًا عنه أيضًا في نهاية الأمر.

من جميع الجوانب العملية، كان الزرقاوي في الواقع هو أول طراز من «قاعدة الشوارع». أقل انضباطًا، أكثر عنفًا وفي الغالب أكثر فاعلية من الناحية الإرهابية، نجح الزرقاوي في فتح المجال لمجموعات جديدة تحت القاعدة بفضل «سمعته» بين المقاتلين. لقد مكنت عملياته العالية الشهرة (وبالأخص هجمات العام ٢٠٠٣ في بغداد علىٰ السفارة الأردنية ومجمع الأمم المتحدة، في ٧ و١٩ من أغسطس علىٰ التوالي)، صعوده الحتمي والسريع والمشؤوم[٢]، وأطلقت إشارة البدء لتداعي سيطرة

---

(١) هكذا وردت في الأصل الإنجليزي والظاهر أن المؤلف أراد «أبو محمد المقدسي». (المترجم)

(٢) علىٰ سبيل المثال، في عام ٢٠٠٥، وعندما أرادت الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية والتي كان يسودها سابقًا صغار المجرمين، عندما أرادت الانضمام إلىٰ القاعدة، لتصبح فيما بعد تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في سبتمبر ٢٠٠٦، قامت بذلك من خلال مراسلة الزرقاوي الذي كانت فظاظته تخاطب طرق الجماعة أكثر من المحافظة التقليدية لابن لادن أو الظواهري.

القاعدة علىٰ ساحات المعارك الرئيسة مثل العراق و، مع مرور الوقت، في بلاد الساحل وسوريا.

في أكتوبر ٢٠٠٤، أعلن الزرقاوي أن جماعة التوحيد والجهاد التابعة له ستندمج مع القاعدة مكونة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين (والمعروفة بتنظيم القاعدة في العراق)، وعند مقتل الزرقاوي في ٧ يونيو ٢٠٠٦، حلَّ محلَّه أبو عمر البغدادي، ومنذ تلك النقطة فصاعدًا، دخل تنظيم القاعدة في العراق بثبات في نظام عراقي أكثر وضوحًا، مندمجًا لفترة قصيرة مع مجلس شورىٰ المجاهدين في يناير ٢٠٠٦، قبل أن تصبح دولة الإسلام في العراق في أكتوبر التالي. حاشدًا للمزيد من القتالية، قاد أبو عمر البغدادي دولة الإسلام في العراق بشكل عنيف لأربع سنوات حتىٰ مقتله في مايو ٢٠١٠، وحلول الشاب العراقي السامرائي المولد أبو بكر البغدادي محله والذي قد كان في أفغانستان من قبل أيضًا.

إنَّ فهم أهمية الصعود المتسارع في منتصف ٢٠١٤ لجماعة مولعة بالقتال والتي تفتخر الآن بامتلاكها لحوالي عشرة آلاف مقاتل (حوالي سبعة آلاف في العراق[1] وثلاثة آلاف في سوريا)، وتتحكم في رقعة عظيمة من الأرض عبر دولتين هو، أولًا وقبل كل شيء، نتيجة لما ذكر، أنَّ تسجل كيف صعدت داعش من العمل المدروس لجندي ابن لادن المستقل والأكثر شراسة لتصبح تحت سيطرة اثنين من العراقيين المتمرسين في المعارك واللذَيْن أعادا ضبط وجهة الجماعة نحو مسار محلي. إنَّ مثل هذا التوطين لطبيعة «مواجهة العدو البعيد والعودة مرة أخرىٰ» لجماعة عابرة للحدود القومية ينتج اليوم تحولًا غامضًا لمنظمة هجينة تقوم بدورها بـ(إعادة) التوسع تجاه الخارج بينما لا تزال منجذبة إلىٰ أهدافها المحلية.

⋆ الإطاحة بالقاعدة الأم من القيادة:

ويحمل الدرجة نفسها من الأهمية أن يُعاد بناء التسلسل الموحي الأخير والذي بواسطته، رغم هذا التوجه التحرري المتأصل، تمكن تنظيم دولة الإسلام في العراق

---

(١) من بين هؤلاء، يأتي ١٠٠٠ من المساحة ما بعد السوفيتية و١٥٠٠ من المملكة العربية السعودية و٢٠٠٠ من الأردن و٢٥٠٠ من العراق.

الذي كان يحتضر في ٢٠٠٨-٢٠١١ من أن يستحوذ علىٰ السيطرة الآن علىٰ تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي والقاعدة في جزيرة العرب، وهما علىٰ قوائم خطر خبراء الأمن الغربيين[١]، وهو في طريقه الآن نحو التحول بشكل متناقض إلىٰ كيان قيادي مشابه للقاعدة الأم وبطموحات واسعة عابرة للحدود القومية.

في فترة خلو العرش بين اختفاء أسامة بن لادن في مايو ٢٠١١ وصعود داعش في أبريل ٢٠١٣، تجسدت هنالك فترة انتقالية حيث كان جند القاعدة حول العالم يبحثون عن اتجاه استراتيجي أكثر من بحثهم عن قضية. ما الذي كان التنظيم الذي أنشأه المليونير السعودي في الطريق ليصبحه؟ إلىٰ أين كان يتجه بعد سقوط زعيمه الرمز؟ ماذا ينبغي أن تكون الأولويات مع انتشار الانتفاضات والارتباكات بلا توقف في أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؟ بينما حكمت التحليلات المدفوعة بأحداث الربيع العربي بنهاية القاعدة[٢] وصعد نائب ابن لادن، أيمن الظواهري، كقائد رسمي جديد ولكن ضعيف، تعمق فراغ قوة جهادي عالمي.

لقد استغرق الأمر عامين حتىٰ يسكن الغبار، في يوم ٩ أبريل، ومع ملاحظته لفرصة لأن يلتحم بالأزمة في سوريا، خرج أبو بكر البغدادي ليعلن تكوين الدولة الإسلامية في العراق والشام - مضيفًا سوريا في الواقع إلىٰ مجال هيمنته الموجود بالفعل في العراق، في ذلك البيان، أعلن البغدادي أن الجماعة الثورية المضادة لبشار الأسد، جبهة النصرة، التي نشأت في يناير ٢٠١٢، ستنضم إلىٰ الحركة باعتبارها الفرع السوري لدولة الإسلام في العراق، إلَّا أنَّه، وفي اليوم التالي، أعلن قائد جبهة النصرة أبو محمد الجولاني رفضه للاندماج قائلًا: بأنه «لم تكن قيادة النصرة، ولا مجلس شوراها، ولا مديرها العام علىٰ علم بهذا الإعلان، لقد بلغهم الخبر عبر

---

(١) لمعلومات عن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، ينظر علىٰ سبيل المثال مقال أليكساندرميليجرو-هيتشينز وبيتر نومان في صحيفة وول ستريت جورنال بتاريخ ١٠ مايو ٢٠١٢ بعنوان:
Al Qaeda's Most Dangerous Franchise.

(٢) ينظر علىٰ سبيل المثال مقال ميشيل موتو في وكالة فرانس بريس بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠١٢ بعنوان: *A Year after Bin Laden Slain, Al Qaida 'in Ruins'* ومقال مايكل س. شميدت وإريك شميت في صحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠١١ بعنوان: *Leaving Iraq, US Fears New Surge of Qaeda Terror.* ذهب شميدت وشميت في مقالهما إلىٰ أن الدولة الإسلامية في العراق «لن تستعيد قوتها السابقة علىٰ الأرجح».

وسائل الإعلام، وإذا كان الخطاب حقيقيًّا، فنحن لم تتم استشارتنا».

أدَّىٰ ذلك الأمر فيما بعد إلىٰ انقسام جبهة النصرة، حيث اختار جناح منها الاندماج مع داعش، والتي أمنت أيضًا دعم حركة أحرار الشام، إحدىٰ المجموعات الثورية القوية الأخرىٰ التي أنشئت في سوريا في ٢٠١١، وفي **٢٣** مايو، تدخل أيمن الظواهري ليهدئ النزاع وأنكر اندماج دولة الإسلام في العراق والنصرة «(لقد أخطأ الشيخ أبو بكر البغدادي حين أعلن عن الدولة الإسلامية في العراق والشام دون طلب إذننا، بل وحتىٰ دون إعلامنا. يجب حل الدولة الإسلامية في العراق والشام، بينما تستمر دولة الإسلام في العراق في العمل»)، ودعا مجددًا لحل داعش في يوم ٧ نوفمبر التالي.

إنَّ هذا التسلسل غير مسبوق في سجلات أحداث القاعدة التاريخية، وهو مؤشر في الحقيقة قبل أي شيء علىٰ التهديد الفظ الذي باتت داعش تمثله للقاعدة الأم بين عشية وضحاها. لم يسبق أبدًا للقاعدة أن نشرت خلافاتها بهذا الشكل الفاضح ولم يسبق أبدًا أن شُكِّك في قيادتها بهذا الشكل العلني وظهر مدىٰ اختلال سيطرتها علىٰ مقاليد الأمور بوضوح شديد، وفوق كون ذلك أكثر مما يكفي لإظهر الخصام، فقد كانت هذه، بشكل قابل للجدل، لحظة كاشفة عن انتهاء دورة من الزمن. ببساطة، لقد فشل الظواهري في وراثة القيادة من ابن لادن. غير أن تحرك داعش في الحقيقة كان أكثر تعقيدًا وإلىٰ الأفضل، نتيجة «لتهميش السنة من قبل الحكومة العراقية، والعجز الشديد لقوات الأمن العراقية وتغير كبير في التكتيكات العملياتية لداعش»[1].

لقد كانت داعش مدفوعة بالتأكيد في ذلك الحدث بطموحها الإقليمي والفرصة غير المتوقعة التي وفرها النزاع السوري وتدهور الحالة العراقية تحت حكم رئيس الوزراء نوري المالكي وبعدم القدرة علىٰ الحسم التي اتسمت بها القاعدة الأم فيما بعد أسامة ابن لادن.

---

(١) مقال حسن شفقات في موقع تحرير سوري (TahrirSouri) الإليكتروني بتاريخ ١٦ يونيو ٢٠١٤ بعنوان: *Examining the Causes of the Islamic State's Resurgence in Iraq*.

لا بد من التيقن أنَّ القاعدة بالكاد ميتة؛ ما زال هيكل القيادة الإقليمي موجودًا وأي فشل علىٰ جانب داعش من المرجح أن يفيد القاعدة فورًا. بالتأكيد، لا ينبغي للمرء أن يتمادىٰ في تقدير قوىٰ الدولة الإسلامية أو يقلل من شأن القاعدة[1]. للوقت الحالي، تظل القاعدة، بصورة أو بأخرىٰ، ملمحًا دائمًا للتركيب الجديد للأمن العالمي، وليست مجرد تأثير عابر لسياسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

ومن ذلك الجانب؛ فإنَّ عنصرًا رئيسًا في تطور سباق القاعدة - داعش سيكون الموقع الذي ستتخذه بقية محطات القوة في مجموعة نجوم القاعدة، وبالأخص تنظيما القاعدة في جزيرة العرب والقاعدة في المغرب الإسلامي. لم تتخذ أي من المجموعتين موقفًا قاطعًا بعد غير أن الاستياء من داعش يبدو واضحًا. في يوم ١٤ يوليو ٢٠١٤، رفض قائد تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي عبد المالك درودكال دعوة داعش وجدد تأكيد ولائه للظواهري. إلَّا أنَّه وفي يوم ٢٥ يونيو، أعلن قائد المنطقة الوسطىٰ لتنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي دعمه لداعش، وبشكل مشابه، كان مؤسس جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقية المنبثقة عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، حمادة ولد محمد خيرو، كان قد عبر في يوم ١١ يوليو عن تأييده للخلافة الإسلامية، كما فعل أبو بكر شيكاو زعيم جماعة بوكو حرام في يوم ١٣ يوليو. من ناحيتها، وبينما هي متورطة في التحول اليمني، ظلت القاعدة في جزيرة العرب صامتة رسميًا، غير أن قائدها ناصر الوحيشي نشر، وبشكل كاشف، يوم ٣ يوليو قصيدة في مدح الظواهري ومنتقدًا بشكل ضمني تصريحات داعش. إلَّا أنَّه ومرة أخرىٰ، كان القائد التابع للتنظيم الشيخ مأمون حاتم قد أعلن من قبل عن تأييده لداعش. أخيرًا؛ فإنَّ القوىٰ الصاعدة في مصر، أنصار بيت المقدس، وفي ليبيا وتونس، أنصار الشريعة، تعد قريبة عملياتيًا من داعش ومن المرجح أن تصطف معها، غير أنَّها لم تتخذ مواقف حاسمة غير مبهمة حتىٰ الآن في ذلك الشأن، وفي المجموع؛ فإنَّ الحكم النهائي ما زال لم يصدر بعد.

---

(١) مقال دافيد جارتنستاين-روس وتوماس جوسيلين في مجلة فورين بوليسي بتاريخ ٣١ يوليو ٢٠١٤ وعنوان: *Zawahiri's Revenge*.

★ تناقضات داعش:

بينما نجد أنفسنا في لحظة أساسية من تاريخ تطور الجماعات المسلحة الآخذة في التطور في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، يجب أن توضع قصة داعش بالترتيب ضمن تاريخ أوسع ليس من صنعها، وفي الحقيقة، بعيد تمامًا عن دوافعها وأساليبها. إنَّ تجسد داعش يعزىٰ أيضًا بشكل كبير إلىٰ السياقات المتغيرة للسياسات في المنطقة، وهذا، في الواقع، هو الطور الثالث من مشهد متشابك ولّدت فيه المعارك ما بعد الاستعمارية قوة دافعة أولىٰ عابرة للحدود القومية في سبعينيات القرن الماضي، وبذلك الاعتبار؛ فإنَّ ابن لادن لم يكن أول شخص يبتكر فكرة الكفاح العالمي التوجه. إنَّ أول من فعلوا ذلك كانوا الفلسطينيين وقد كانت أول قوة دافعة عابرة للحدود القومية -وإن كانت قوة علمانية لكفاح وطني نحو التحرر- قد حدثت في ما بين بدايات وأواسط سبعينيات القرن الماضي[1].

وقد أدّىٰ مولد القاعدة في أعقاب حرب أفغانستان إلىٰ صعود قوة دافعة ثانية عابرة للحدود القومية والتي كانت أكثر فاعلية وذات دوافع إسلامية راديكالية مختلفة تمامًا، وبينما بدأت القاعدة الأم في التراجع فيما بين العقد الأول من هذا القرن وبدايات العقد الحالي وبينما تحولت الثورة السورية إلىٰ حرب أهلية، ولدت قوة دافعة عالمية ثالثة، ومرة أخرىٰ لأسباب مختلفة لكن تعتمد في بنائها علىٰ نفس قواعد إضعاف الدول كما كان حال الموجات السابقة عليها، وبينما كان لمحاربي العصابات الفلسطينيين دوافع واضحة نحو التحرر الوطني وكانت لابن لادن أجندة سياسية- دينية، فإن دوافع داعش ليست واضحة ولا مقنعة لجنودها. في الواقع، إنَّ الدوافع ظرفية وعرضية. إنَّ الديناميكيات الحربية مثل المقاومة والنضال في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي والجهاد في التسعينيات ومطلع القرن الحالي قد استبدلت بمنطق السيطرة والسيادة للدولة في هذا العقد الأخير.

---

(١) لمعلومات عن هذه الحقبة الرئيسية، ينظر كتاب بول توماس تشيمبرلين الصادر في عام ٢٠١٢ عن مؤسسة *Oxford University Press* بعنوان: The Global Offensive - The United States, The Palestine Liberation Organisation, and the Making of the Post-Cold War Order.

غير أنَّه، وعلىٰ الرغم من أنَّها تعقد التحالفات في ثورات العراق وسوريا وتقتات علىٰ الفتنة الجديدة بين السنة والشيعة في العالم الإسلامي؛ فإنَّ داعش لا تشن في الحقيقة هجومًا عالميًّا علىٰ جبهات متعددة كما تتظاهر وتعتمد علىٰ قبول ذلك الموقف من قبل الحلفاء والأعداء علىٰ السواء، وكما فعلوا من قبل في أماكن أخرىٰ (وبالأخص في حالة استغلال تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي لحالة ليبيا في عام ٢٠١٢ للتغلغل أكثر في مالي)؛ فإنَّ المتشددين ينتفعون بموقف (أي سوريا) ليس من صنعهم، وفي فعل ذلك؛ فإنَّ لدىٰ داعش مثالين للإدارة الفاشلة يمكنها الاطلاع عليهما؛ طالبان في أفغانستان وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وشركاؤه في بلاد الساحل. كلا الاتجاهين التأديبيين في العلاقات مع المحليين أثبتا كونهما قاتلين للجماعتين.

لقد تصرفت داعش بوضوح في سوريا بشكل مماثل لتصرف تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في مالي، فبينما تفتقد إلىٰ بيئة مساندة وقبول ملائم، قامت بتمديد ارتباطاتها بشكل زائف مع السكان المحليين واعتمدت علىٰ سيطرة عنيفة وشرسة. إنَّ مثل هذا «المزيج من القوة والزبائنية والتلاعب بالمنافسات المحلية»[1] هو قيد ظاهر علىٰ تأثيرها علىٰ المدىٰ الطويل، وبالتمييز بالتضاد؛ فإنَّ القاعدة ولدت من مكتب للدعم في أفغانستان (مكتب الخدمات للمجاهدين).

أخيرًا، وفي حين أن نمط الحرب غير المتكافئة الممَكَّن بيئيًّا كان يكتسب قوة بكون حزب الله محطة قوة عسكرية إقليمية[2]، وسير حماس في أعقابها. فإنَّ العسكرية الإسرائيلية تبدو بشكل واضح في نمط خاسر في مواجهة هذا النوع من العدو العربي

---

(١) ورقة بحثية لفيليكسلوجراند بعنوان *The Colonial Strategy of ISIS in Syria* صدرت في يونيو ٢٠١٤ عن مبادرة الإصلاح العربي (Arab Reform Initiative) ضمن مجموعة أوراق بحثية وتحليلية شهرية تصدر بعنوان: *Policy Alternatives*.

(٢) ينظر مقال شاي أوسيران وستيفان كوهين المنشور في مجلة *The Tower* الإليكترونية بتاريخ ١٢ مارس ٢٠١٤ وعنوان: *Don't be Fooled -Hezbollah is Bigger and Badder than Ever*، ومقال إيزابيل كيرشنر في صحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ١٠ مارس ٢٠١٤ وعنوان: *Israel Watches Wearily as Hezbollah Gains Battle Skills in Syria.*

اللا دولتي، كما شهدنا في مواجهات يوليو - أغسطس ٢٠٠٦ ويوليو - أغسطس ٢٠١٤ - فإن توجه داعش/ القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي السلطوي المنفر قد أثبت فشله عسكريًا في بلاد الساحل وهو الآن قابل للتشكيك في بلاد الشام. بالفعل، لولا الدعم القبلي في العراق ووجود مجموعات أخرىٰ تحارب النظام في سوريا لأسبابها اللا إسلامية الخاصة، ربما لم تكن قوة داعش لتكفي لتغيير ديناميكيات منطقة «سورياق» بهذا الشكل الجذري.

إنَّه ليس تناقضًا ضئيلًا أنَّ داعش، وبالاستفادة من السياق الأكثر عالمية علىٰ الإطلاق، قد تصرفت بشكل متكبر محليًا. لقد استغلت داعش ظاهرة جذب موضوعية تتسم بها سوريا حيث يأتي المقاتلون من مجموعات إقليمية أخرىٰ ومن تجمعات الشتات في الغرب ومن بلاد أسلافهم، وفي خضم هذه الاحتمالات المخلوقة من جديد، تحمل كل من هذه الوفادات طبقات عديدة من الدوافع. إنَّ هذا الغموض يخدم داعش تكتيكيًا بلا شك، كما هو واضح في حالة المجموعات القوقازية والشيشانية[1]، لكنه لا يؤيد بالضرورة أهدافها الكبرىٰ.

إنَّ ذلك يفترض جدلًا إجابة السؤال المهم حول ما إذا لم تكن داعش في النهاية مجرد جماعة «سنية خارقة»؛ لأنَّه وبالفعل، في عام ٢٠٠٧، كانت حركة الصحوة القبلية السنية قد هزمت دولة الإسلام في العراق في مواجهات مشهورة في محافظات ديالىٰ والأنبار، وبعد سبع سنوات، مكنت الثورة السنية القبلية ضد المالكي داعش من الصعود. إلَّا أنَّ التحالف مع القبائل السنية لا يمكن أن يدوم والحديث عن الخلافة غير قابل للتصالح مع الوطنية العراقية. إنَّ الشأن الشيعي، وبشكل لافت للنظر، لم يكن مشكلًا بالنسبة إلىٰ القاعدة الأم وكان ابن لادن حريصًا دائمًا علىٰ عدم تنفير الشيعة حيث أنَّب الزرقاوي صراحة في عام ٢٠٠٥ علىٰ هجماته ضد الشيعة. غير أنَّ ذلك كان سياقًا مختلفًا قبل إعدام صدام حسين في ديسمبر ٢٠٠٦ وسط أناشيد دينية شيعية، وهو الأمر الذي مثل نقطة تحول في الصراع بين السنة والشيعة.

---

(١) ينظر ورقة بحثية تعليقيةلجيدوستاينبيرج بعنوان: *A Chechen Al-Qaeda?* نشرها المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية (StiftungWissenschaft und Politik) بتاريخ ٣١ يونيو ٢٠١٤.

★ وضع داعش في السياق:

إنَّ أبا بكر البغدادي قائد داعش يغلق صفحة عصر ابن لادن، ويحل محل أيمن الظواهري ويعلن نفسه خليفة («ولقد ابتليت بهذا الأمر العظيم، لقد ابتليت بهذه الأمانة،أمانة ثقيلة» بحسب قوله في خطبة ٤ يوليو)، غير أنَّ وضع داعش فقط داخل إطار منطق صراع مع القاعدة يُعد إخفاقًا في استيعاب الأهمية الموضوعية للجماعة، فعلىٰ الرغم من كون صعود داعش ظاهرة جديدة يجب أن تؤرخ جيدًا، كما كان الأمر دائمًا عندما يتعلق بالقاعدة، إلَّا أنَّ مصفوفة الصعود والسقوط قد أزيل عنها الغبار من جديد وفقدت الأهمية النوعية لقصة داعش في خضم تأطير الصعود والسقوط، وكما لاحظ باتريك كوكبيرن: «إنَّ السرعة العالية وصعوبة التوقع لصعود داعش ذاتهما يجعلان من السهل علىٰ القادة الغربيين والإقليميين أن يتمنوا أن سقوط داعش وانهيار الخلافة من الداخل قد يكون في مثل تلك المفاجأة والسرعة. لكن كل الأدلة تشير إلىٰ أن ذلك ما هو إلا تمنٍّ»[١].

فكل من التمكين الإقليمي والطموح العالمي قد استعرضا مبكرًا من قبل داعش[٢]. تمامًا كما كانت القاعدة فيضًا من كل من العولمة وعبور الحدود القومية في أواخر ثمانينيات وبدايات تسعينيات القرن الماضي؛ فإنَّ داعش في حوالي هذا العقد الأخير تعد شهادة علىٰ التجلي التحولي لانعدام الأمن علىٰ المستوىٰ العالمي في صورة دول ضعيفة، بل و«مملشنة» بشكل أكبر في الشام، وعلىٰ تلك «المساحات غير المحكومة»[٣] التي كانت في طور التجسد في الشرق الأوسط وإفريقيا وأماكن أخرىٰ،

---

(١) مقال لباتريك كوكبيرن بعنوان: *ISIS Consolidates* نشر في المجلد ٣٦ من *London Review of Books* تحت رقم ١٦ بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠١٤.

(٢) ينظر منشور لأيمن جواد التميمي بعنوان: *The Islamic State of Iraq and ash-Sham's Messages and Self-Presentation in Syria and Iraq* علىٰ مدونة *Jihadology* الإليكترونية بتاريخ ٩ سبتمبر ٢٠١٣.

(٣) ينظر كتاب من تحرير آن كلونان وهارولد ترينكوناس بعنوان: *Ungoverned Spaces - Alternatives to State Authority in an Era of Softened Sovereignty* صدر عن مؤسسة *Stanford University Press* عام ٢٠١٠.

وبالتالي، فكما أن البغدادي يعبر عن رغبة في التوحد «(لقد حان الوقت لكي تنهوا تلك الحزبية البغيضة والتشتت والتفرق)»، فإنَّ الاستراتيجية ضد جماعته هي استراتيجية الغرض منها تطوير واستغلال التصدعات[١] داخل الجماعة بينما تبني هي الزخم نحو التوسع، وفي ذلك الجانب، تشارك داعش القاعدة الأم في تشابه مهم، إنَّه عين وجودها وليس استراتيجيتها أو إيقاعها الذي يوازن عدوها، لذلك؛ فإنَّ عمليات القذف الجوي بالقنابل مثل تلك التي أمر بها الرئيس الأمريكي باراك أوباما في أغسطس ٢٠١٤ يرجح أن تحقق القليل في ذلك السياق، متفكرًا في علاقة فون كلاوفزفيتز بالثورة العربية التي شارك فيها في بلاد العرب منذ قرن من الزمان، اقتنص توماس إدوارد لورانس «لورانس العرب» مثل تلك العلامة الرئيسة للمواجهة غير المتكافئة: «كان كلاوزفيتز قد قال بأن مؤخرة الجيش تعدل أداء العدو مثل بندول الساعة، ليس بما تفعله، ولكن بمجرد وجودها»[٢].

في التحليل الأخير، داعش هي الذروة الطبيعية للتدخل الأمريكي في العراق ولتسلط المالكي ولقسوة الأسد ولبلبلة القاعدة فيما بعد ابن لادن. إنَّ السؤال ليس عن جاذبية داعش في نظر مقاتليها أو موقفها المؤثر بالنسبة إلىٰ الأمة بقدر ما هو عن مدىٰ تأثيرها ووصولها الحقيقي علىٰ الأرض، كما أعاد البغدادي إدخال طراز الشوارع الخاص بالزرقاوي وركز علىٰ اقتحامات السجون ليزود جماعته بالعاملين الشرسين، فقد مارس أيضًا أسلوبًا مركزيًّا معتمدًا علىٰ الاحتلال والسيطرة لكسب الأرض بدلًا من أسلوب تمرد مفتوح سريع الزوال. بعد اختبارها في العراق في ٢٠١٢-٢٠١٣، تم تطبيق الاستراتيجية في سوريا[٣]، وبالإعلان عن «الدولة الإسلامية» في ٢٠١٤؛ فإنَّ

---

(١) مقال إريك شميت وأليسا روبين في صحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠١٤ وعنوان:
US and Iraqis Try to Fragment Extremist Group.

(٢) مقال توماس إدوارد لورانس بتاريخ في أكتوبر ١٩٢٠ بعنوان: *The Evolution of a Revolt* المنشور في *The Army Quarterly and Defence Journal*.

(٣) ينظر تقرير تشارلز كاريس وصامويل رينولدز *ISIS Governance in Syria* الصادر عن معهد دراسة الحرب في ١ أغسطس ٢٠١٤.

ذلك الآن مقرون بدعاوىٰ متجاوزة عن «البناء الرمزي للدولة»[١].

إنَّ قصة داعش تشير إذن إلىٰ أنَّه مع كل عدم المركزية، يبقىٰ في الجهاديين حنين إلىٰ قيادة عالمية، كما كانت يومًا ما في أيام ذروة قاعدة ابن لادن الأم (١٩٩٥-٢٠٠٥)، إنَّ داعش تملأ بكل تأكيد فراغًا وتعيد إحياء شعار كان ناجحًا بين أولئك المقاتلين، إلَّا أنَّه ودون إنشاء القليل من المشروعية السياسية، فلن تستطيع داعش أن تبني حركة باقية. لقد كان نموذج إنشاء الفروع مقبولًا؛ لأنَّ ابن لادن كان هو الذي أصدر حكمًا به ولأنَّه كان منطقيًّا من الناحية التكتيكية حيث كانت القاعدة أيضًا تتجنب الانهيار الهيكلي بالترحيب بتبدل الأجيال. القاعدة التي تشير إلىٰ نفسها بشكل معبِّر باسم قاعدة الجهاد رأت نفسها كيانًا ممَكِّنًا، بينما تشير ديناميكيات داعش الطاردة إلىٰ العكس كاشفة عن القيود علىٰ نموذج تكوين الفروع.

إنَّ قسوة البغدادي الجريئة هي النتيجة لإلحاح مشهد المعركة التي هو مقيم فيها وحصيلة لإدارته المختلطة النتائج والمشحوذة في المعارك لدولة الإسلام في العراق منذ ٢٠٠٦. إنَّ الحملة العنيفة التي يقوم علىٰ تنسيقها ربما تستمر وربما لا تستمر لكنَّها وبلا نزاع نقلة نوعية في قصة القاعدة الأكبر. إذا كانت أغلب المجموعات المتمردة وباعتراف الجميع وليدة سياسات ما قبل الحرب[٢]؛ فإنَّ كُلًّا من القاعدة وداعش، من جانبهما، قد صيغتا في الحرب، إنَّ القتالية التي ترأست بشكل مميز علىٰ مولد القاعدة هي بالضبط ما يسمح للدولة الإسلامية بأن تأخذ تركة بن لادن، «القاعدية»، إلىٰ المستوىٰ التالي.

---

(١) مقال يزيد صايغ المنشور في جريدة الحياة بتاريخ ٢٤ يوليو ٢٠١٤ وعنوان «داعش: خلافة إسلامية عالمية أم دويلة إسلامية في العراق؟».

(٢) كتاب بول ستانيلاند بعنوان: *Networks of Rebellion - Explaining Insurgent Cohesion and Collapse* الصادر عن مؤسسة *Cornell University Press* عام ٢٠١٤.



(١٠)

فوضى بسبب عاصفة كاملة

تأليف: يعقوب عميدرور

نشر: مركز بيجين - السادات للدراسات الاستراتيجية، يونيو ٢٠١٥

ترجمة: أحمد البهنسي



فهرس



التعريف بالمركز

تأسس مركز بيجين - السادات للدراسات الاستراتيجية، علىٰ يد الدكتور توماس هاكت أحد أثرياء وقادة يهود كندا، ويخلد المركز ذكرىٰ كل من مناحيم بيجين وأنور السادات؛ نظرًا لأنه بفضل رؤيتهما تم عقد اتفاقية سلام هي الأولىٰ من نوعها بين إسرائيل ودولة عربية.

يُعد المركز هيئةً أكاديميةً مستقلةً بذاتها تطمح لدفع عملية السلام وتعزيز الأمن في منطقة الشرق الأوسط، من خلال الأبحاث السياسية المتنوعة في مجالات الأمن والاستراتجية والسلام، إلا أن المركز يعمل ضمن أنشطة قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية بجامعة بار إيلان الإسرائيلية.

يُصدر المركز مجموعةً من السلاسل البحثية منها سلسلة تحمل عنوان «**دراسات في أمن الشرق الأوسط**»، وتُقدم أعمالًا أكاديميةً تهمُّ الجمهور العادي، وسلسلة «**دراسات في الأمن القومي**» والتي تُقدم للجمهور خلاصةَ المحاضرات التي أُلقيت في المؤتمرات التي يُقيمها المركز.

يهدف المركز من خلال كل ما يقدمه من أنشطه علمية وجماهيرية إلىٰ لفت انتباه الجمهور لقضايا الأمن والاستراتيجية والسلام في الشرق الأوسط. كما يخص المركز بعضَ إصداراته وأبحاثه وكراساته الاستراتيجية لمجموعة محدودة من النخب الإسرائيلية، تقتصر علىٰ صنّاع القرار، وكبار الجنرالات، وضباط الاستخبارات، وأعضاء السلك الدبلوماسي، وأساتذة العلوم السياسية، وزعماء الجاليات اليهودية حول العالم.

كما يُنَظِّمُ المركزُ مُؤتمراتٍ، وورشَ عَمَلٍ، ومحاضراتٍ، وندواتٍ للباحثين الإسرائيليين والأجانب في مجالات الأمن والسلام ومستقبل منطقة الشرق الأوسط.

يتعاون المركز مع أهم مراكز الأبحاث حول العالم، وصدرت عنه منذ إنشائه أكثر من ٩٠ دراسة بالعبرية والإنجليزية، تتناول شتىٰ المجالات مثل: الفكر الاستراتيجي، ومفهوم الردع في الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية، ونظرية الأمن القومي الإسرائيلي، والبدائل الاستراتيجية لعملية السلام، كما يُولىٰ المركز اهتمامًا خاصًا -بطبيعة الحال- بدراسة آثار ومستقبل اتفاقية كامب ديفيد للسلام مع مصر.

التعريف بالمؤلف:

يعقوب عميدرور: لواء احتياط بالجيش الإسرائيلي، وهو أقدم الباحثين المشاركين في مشروع «روسنهدلر» البحثي بمركز بيجين - السادات للدراسات الاستراتيجية، وباحث رفيع المستوىٰ بمركز Gemunder التابع لـ Jinsa وهي مؤسسة بحثية أمريكية مستقلة تعنىٰ بالأمن الأمريكي وبالعلاقات الأمريكية- الإسرائيلية.

كما كان عميدرور المستشار الأمني السابق لرئيس الوزراء الإسرائيلي، ورئيس هيئة أركان الأمن القومي الإسرائيلي، وقائد الكلية الحربية الإسرائيلية، كما تولىٰ رئاسة وحدة البحث بالاستخبارات العسكرية الإسرائيلية «أمان».

ملخص الدراسة

يتعرض الشرق الأوسط لحركة عاصفة من «التغيير»، ذلك التغيير الذي بدأ من إيران بعد أن أحدثت الثورة بها دينامية شيعية لها تأثير كبير علىٰ مناطق واسعة ومهمة، وعلىٰ إثر ذلك توحدت قوىٰ الإسلام الراديكالي التي كانت تحت السطح منذ أن انهارت الخلافة الإسلامية الأخيرة وهي الخلافة العثمانية.

يَرىٰ الإسلام الراديكالي، بصوره المختلفة، أن سيطرةَ وحُكْمَ الإسلام هو الحلُّ لمشاكل المنطقة ولإخراج المسلمين من ضعفهم وعثرتهم في العالم، ولمواجهة قوىٰ العالم الحديث.

لقد أدَّىٰ تقسيم المنطقة، علىٰ أيدي البريطانيين والفرنسيين وفقًا لمصالحهم واحتياجاتهم، إلىٰ قيام دول بعضها لم يتمكن من الصمود والبعض الآخر لايزال صامدًا، وهو ما أدَّىٰ إلىٰ ظهور قوىٰ قديمة كانت قد اختفت بسبب قمع وقوة الدول القومية الديكتاتورية التي حكمت بالمنطقة، ففي الكثير من الأماكن بالشرق الأوسط تحولت العائلة، والقبيلة، والطائفة، والدين؛ إلىٰ بُؤَرِ القوة والهُوية بدلًا من الدولة.

وكانت الأحداث الأساسية التي شكلت المنطقة هي: الثورة الإيرانية، وظهور الإسلام الراديكالي بصورته السياسية، وهجمات ١١ سبتمبر علىٰ الولايات المتحدة، واحتلال العراق، علاوة علىٰ الربيع العربي الذي تسبب في انهيار دول أو علىٰ الاقل أدَّىٰ إلىٰ ضعفها بسبب زيادة قوة الشارع.

في ضوء ما سبق؛ فقد اجتمعت عوامل ضعف الولايات المتحدة مع ظهور قوىٰ ومنظمات «عابرة للدول وللقوميات»، وقوىٰ محلية شرسة، وهو ما أدَّىٰ إلىٰ الوضع الحالي الذي تحركه عدة عوامل، أحيانًا تكون متضادة وأحيانًا أخرىٰ يدفع بعضها الآخر.

ويدور الحديث حاليًا حول الصراع من أجل بقاء الأمة العربية بل والأمة الإسلامية كلها في مواجهة قوىٰ عديدة تحاول التغيير، بعضها «فوضوي» وبعضها يحاول الإبقاء علىٰ الوضع الحالي، في ظل زيادة العنف والإرهاب والتطرف والوحشية بين جميع الأطراف المتحاربة، وهو الصراع الذي قد يستمر بنفس قوته ولا يوجد توقع محدد حول كم من الزمن سيستمر أو موعد نهايته.

لقد تشكل الوضع الحالي نتيجة عدة عوامل تاريخية كبيرة في حجمها وعميقة في ماهيتها، لذلك من الصعب التأثير عليها إيجابيا من خلال مؤثرات خارجية، وعلىٰ دولة إسرائيل أن تحدد المخاطر الكبيرة والأساسية التي تتهددها وتحيط بها وأن تحوال مواجهتها بكل دقة.

مدخل

الحلم الضائع

يواجه العالم اليوم معضلات صعبة تتصل بما يجب فعله لمواجهة جماعات الإسلام الراديكالي ذات القوة والسيطرة، وعلىٰ رأسها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الذي يسيطر علىٰ دُوَلٍ ومناطق في الشرق الأوسط بالمعنىٰ الأشمل لهذا المصطلح (أي: مصطلح الشرق الأوسط) الذي يعني المناطق الممتدة ما بين مراكش حتىٰ بنجلاديش، وما بين المحيط الأطلسي حتىٰ جبال الهيمالايا.

خلال العقد الأخير من الألفية الماضية وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، بدا الأمر وكأن «نهاية التاريخ» قد حانت، وأن الإنسانية ستخطو بخطىٰ ثابتة نحو مستقبل أكثر ديمقراطية واقتصاد منفتح وعولمي، يتأثر إلىٰ حد كبير بما يُسمىٰ بـ«القيم الأمريكية». ولم يكن ذلك أمرًا عرضيًا، إذ كان «القرن الأمريكي» قد بدأ بصورة واضحة، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الأولىٰ، حين جاء الجيش الأمريكي لإنقاذ أوروبا، لتعود الولايات المتحدة مرة أخرىٰ إلىٰ أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك لإنقاذها من ألمانيا النازية، ومن ثم إلىٰ آسيا لتدمير الماكينة الحربية اليابانية التي كانت قد وصلت إلىٰ أستراليا وجزر هاواي.

ظلت الولايات المتحدة خلال القرن العشرين هي الدولة المهيمنة علىٰ النظام العالمي، فبعد الحرب العالمية الثانية نشرت قواتها في اليابان وألمانيا، وضمنت حماية تلك المناطق وإرساء الهدوء فيها، كما قادت «مشروع مارشال» لإعادة إعمار أوروبا المدمَّرة، وأعادت بناء اليابان كدولة ديمقراطية، وبعد ذلك أصبحت الولايات المتحدة هي القوة العظمىٰ الرئيسة إبَّان «الحرب الباردة» ضد الاتحاد السوفييي

والصين، كما أرسلت جنودها لخوض حروب دامية في كوريا وفيتنام، مستخدمة القوة العسكرية لكبح جماح القوىٰ الشيوعية.

كانت الولايات المتحدة الدولة صاحبة القوة العسكرية الأكبر في العالم خلال القرن الماضي، والقوة الاقتصادية الرائدة، والأكثر مساهمة في التطور التكنولوجي العالمي، فقد كان هبوط الإنسان علىٰ سطح القمر، والحاسبات الآلية (ابتداء من IBM وانتهاء بالآبل) إضافة إلىٰ الجي بي إس، والإنترنت؛ هي أمثلة علىٰ الريادة التكنولوجية الأمريكية علىٰ كوكب الأرض وفي الفضاء الخارجي؛ لذلك لم يكن عجيبًا أن يتوقع الكثيرون أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م سيتشكل عالَمٌ جديدٌ بقيادة الولايات المتحدة ووفقًا لمفاهيمها.

رغم ما سبق، فإنه بعد بداية الألفية الثالثة بقليل، وتحديدًا في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م؛ وقع علىٰ أرض الولايات المتحدة، الإعتداء الإرهابي الأكبر في التاريخ، وبنظرة سطحية بدت الأمور وكأن هذا الحادث لم يغير شيئًا في الولايات المتحدة، وعادت الحياة إلىٰ طبيعتها ظاهريًا، إلا أن ذلك كان خطأً جسيمًا؛ فقد غير أسامة بن لادن وتنظيمه «القاعدة» إلىٰ حد كبير أسلوب الحياة الأمريكي، وأصبحت الولايات المتحدة أكثر تشككًا، وهو ما أصبح يشعر به أي مواطن أجنبي يدخلها، بل استحوذ عليها هاجس احتمال وقوع اعتداءات إرهابية أخرىٰ، وهو ما يعلمه كل من ينظر إلىٰ ذلك الكم الهائل من المعلومات الاستخباراتية (التي جُمعت عن طريق التنصت) التي تجمعها واشنطن علىٰ مستوىٰ العالم، إضافة إلىٰ ذلك الهوس الذي أصابها -أي الولايات المتحدة- حول تأمين عناصرها وممثليها في أنحاء العالم.

وباختصار؛ فإن الولايات المتحدة باتت أكثر تخوفًا مما سبق، وبات مواطنوها يشعرون بعدم الأمان مقارنة بما مضىٰ (يقول بطل مسلسل تلفزيوني أمريكي شعبي لصديقه: «لن يصدّق أولادنا بأننا كنا نطير دون أن يتم النبش في كل أمتعتنا لمدة ٤٥ دقيقة قبل إقلاع الطائرة بساعتين» . . . والحقُّ معه).

لعل من أهم ما يلفت الانتباه حول هذه الهجمات للقاعدة علىٰ أراضي الولايات المتحدة؛ أنها غيرت وعي العديد من المسلمين في العالم، وهو تغيير أدَّىٰ من خلال مسيرة طويلة ومتعرجة إلىٰ إحداث هذه التغييرات الأخيرة في كل من العراق وسوريا،

فقد أشار الرئيس أوباما، خلال الإعلان عن قراره بشن حرب جوية علىٰ تنظيم الدولة الإسلامية، إلىٰ أن العالم قد دخل مرحلة جديدة في عصر «تصادم الحضارات». وحتىٰ إن كان الرئيس الأمريكي يرفض القول بذلك إلا أنه بات من الواضح أن العالم الغربي الديمقراطي دخل حربًا ضد الإسلام السني الراديكالي، وهي الحرب التي ظلت مستمرة لأكثر من ثلاثة عشر عامًا، في حين خاضت إسرائيل هذه الحرب لمدة ثلاثين عامًا منذ أن واجهت الإسلام الشيعي الراديكالي في جنوب لبنان.

تدور الحرب المستعرة حاليًا في العراق وسوريا علىٰ خلفية ما يسميه الأمريكيون بـ«عاصفة كاملة Perfect Storm»، أي: مجموعة من الأحداث التي تبدو غير مترابطة ظاهريًا، وأنها غير منسقة مسبقًا، لكن تجمعها وتراكمها يسبب حدثًا أكبر من مجموع أجزائه. وغالبًا ما يكون من الصعب التعرف علىٰ جميع الأجزاء الأساسية المكونة لهذه «العاصفة الكاملة»، وكلما زادت قوتها زادت هذه الصعوبة، ومع ذلك، فإن وصف هذه العاصفة من شأنه أن يُسْهِمَ في فهم صورتها وهيئتها، لذلك سوف أحاول الإشارة إلىٰ المصادر الأساسية -إن لم تكن الوحيدة- التي أدت إلىٰ حدوث ما هو ماثل أمام أعيننا اليوم في الشرق الأوسط، تلك «العاصفة الكاملة» التي يواجهها العالم حاليًا.

مصادر العاصفة

تعود جذور العاصفة إلىٰ ثلاثة أحداث متباينة ويتباعد كل منهم عن الآخر. وقد بدأت سلسلة هذه الأحداث قبل نحو مائة عام، فبعد قرون من الحكم العثماني/ التركي، انهارت الامبراطورية العثمانية نتيجة الحرب العالمية الأولىٰ، وظهرت ثلاثة أحداث ميزت نهاية هذه المرحلة وبداية مرحلة جديدة.

أول هذه الأحداث هو نهاية آخر خلافة إسلامية في العالم، وهي الخهلافة التي لم يكن لها خلافة أخرىٰ تنافسها عند اختفائها، لذلك لم تنشأ خلافة أخرىٰ أو دولة أخرىٰ تطالب بعرش حكم جميع المؤمنين.

أما الحدث الثاني فهو إدخال تركيا إلىٰ العصر الحديث بالقوة، وذلك بمحاولة رسم مستقبل مختلف لها كدولة علمّانية، ما زاد من أبعاد الأزمة؛ فقد اجتمع إلغاء الخلافة، وهي المؤسسة التاريخية والدينية التي كانت مطمح كل الشعوب الإسلامية، رغم خلوها من أي معنىٰ عملي/ واقعي، مع مسيرة تاريخية أوسع نطاقًا، فَقَدَ خِلالها الإسلام موقِعَهُ الرائد بالعالم. ولم يكن ذلك بسبب تحطم الامبراطورية التركية بل بسبب تعاظم الغرب وسيطرة قِيَمِهِ علىٰ العالم لاسيما الساحات المهمة به، ما أدَّىٰ إلىٰ فقدان الأمل في أن يكون للإسلام أيُّ دورٍ مركزي في العالم. وذلك رغم أن الاقتصاد العالمي أصبح مرتبطًا بمصادر الطاقة الموجودة في البلدان الإسلامية، إلا أن تأثير هذه الدول كان منعدمًا.

وكانت حالة الإحباط التي نبعت نتيجة كل هذه الظواهر ذات تأثير قوي علىٰ الروح المعنوية للجمهور الإسلامي وقياداته، ففي إحدىٰ خطابات بن لادن، ذكر النهاية الصادمة للخلافة الإسلامية ولم يدرك ما يتحدث عنه سوىٰ قلة قليلة في الغرب.

أما الحدث الثالث، فهو قرار القوتين العظمتين المنتصرتين في الحرب العالمية، وهما بريطانيا وفرنسا، إعادة رسم وتقسيم خارطة الشرق الأوسط بعد احتلال أجزاء

منها من الأتراك حسبما يناسب احتياجاتهما. وقد قطّع مسؤولان رسميان وهما (المستر سايكس والمسيو بيكو) المنطقة إلىٰ دول، علمًا بأن مفهوم «الدولة» كان مفهومًا جديدًا في أجزاء كبيرة من هذه المنطقة، وقد فعلا ذلك في الكثير من الحالات دونما الأخذ في الاعتبار للحدود الطبيعية أو طبيعة انتشار قبائل وطوائف معينة، إلا أنهما قاما بربط بعض المناطق ببعضها البعض بشكل رسمي، وقطّعا مناطق أخرىٰ عن بعضها البعض بشكل وحشي وغريب، بحيث أصبحت القبيلة البدوية الواحدة مقسمة بين دولتين، وأصبحت دُوَلًا مكوَّنة من عناصر متعادية تم وصل بعضها ببعض رغم رفضها لذلك.

وقد مرت علىٰ الشرق الأوسط منذ الخمس وتسعين عامًا المنقضية، الكثير من التغييرات، ولكنه ظل خلال طيلة هذه الفترات والتغييرات محكومًا تقريبًا علىٰ أيدي ديكتاتوريات من نوعين، أولهما: سلالات ملكية كانت تعتبر الدولة ملكًا خاصًا بها سواء حين كان ذلك في صالحها أو في غير صالحها، وثانيهما: حكام تَوَلّوا الحكم بقوة الجيش والأجهزة الأمنية الموالية لها.

وخلال هذه الفترة، وتحديدًا بعد عشر سنوات من انتهاء الحرب العالمية الأولىٰ، تأسست بالقاهرة حركة الإخوان المسلمين، والتي رفعت شعار «الإسلام هو الحل»، وهو رمز يشير إلىٰ تلك الأُمنية التي ظلت محفوظة لعقود طويلة في قلب الكثير من الدول الديكتاتورية، فرغم أن القانون الإسلامي كان جزءًا من قوانين هذه الدول إلا أن القرارات لم تتخذ من قبل المخلصين للإسلام وإنما من قبل المخلصين للحكم الديكتاتوري، وبدا الشرق الأوسط منطقة جامدة تمسك بها كماشة من حديد تلين أو تقسو باختلاف طبيعة الحاكم والحُكم، ولكن بلا تغييرات ملموسة، حتىٰ لو حل الضباط محل الملوك أو حل دكتاتور جديد محل آخر. وتحت السطح كانت هناك قوىٰ قوية جدًا ناشطة في مقدمتها قوىٰ الإسلام.

من وجهة نظري، فإن الحدث التأسيسي الأهم الذي ميز مسيرة التغييرات في الشرق الأوسط، كان هو الحدث التأسيسي الأول بالترتيب الزمني ضمن مسيرة التغيير التي نشهدها اليوم، وبتقديري كان هذا الحدث، هو نجاح آية الله الخميني في إسقاط

نظام الشاه في إيران سنة ١٩٧٩ وإنشاء دولة إسلامية يقودها ويدير شؤونها بشكل مطلق رجال الدين.

لقد حمل هذا الحدث رسالتين للمنطقة، الأولىٰ: للشيعة في أنحاء العالم الإسلامي ومفادها أنه كان حدثًا تاريخيًا خَلَّصَ الشيعةَ من قرون من الخضوع والتهميش لمكانتهم باعتبارهم أقلية (١٥٪ ضمن أغلبية العالم السني الإسلامي). وكانت الرسالة الثانية أهم من الأولىٰ، إذ كانت موجهة كذلك للسنة من المسلمين، ومفادها أنه يمكن إنجاح دولة إسلامية في العصر الحديث تستطيع إدارة أمورها سيرًا علىٰ المبادئ الإسلامية والخضوع لسلطة ورقابة رجال الدين.

وقد استغل الإيرانيون نجاحهم للنهوض بمصالح الشيعة في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وكانت من ضمن أنشطتهم الزج بقوىٰ دينامية جديدة أثارت السخط والاضطرابات والفوضىٰ في الدول العربية. كما أنه من غير المكشوك فيه أنهم أيقظوا قوىٰ نائمة عند السنة الذين أثيرت لديهم مخاوف من تزايد قوة الشيعة، وكذلك أيقظوا قوىٰ نائمة عند الشيعة الذين أدركوا أن وضعهم قابل للتغيير.

وقد طور الإيرانيون، وفي إطار مجهوداتهم الرامية للتغيير في الشرق الأوسط، القدرات الإرهابية الشيعية المتمثلة في «حزب الله»، وكذلك القوىٰ السنية المتمثلة في حماس والجهاد الإسلامي، فقد دفعوا بـ «الإرهاب» إلىٰ قلب العمل الإسلامي وأعطوه كل المبررات كعمل شرعي ناجح له قدرات عالية وإمكانيات تنفيذية علىٰ مستوىٰ عال وذات قدرات عالية جدًا، ولم يكن الإيرانيون هم الأوائل في ذلك فقد تمكن ياسر عرفات من تحقيق انجازات دولية من خلال استخدام العمليات الارهابية، لكن هذا الأمر لم يتم بحثه علميًا بالشكل الكافي حول ما إذا كان الإرهاب الذي مارسه عرفات والفلسطينيون له دور في إدخال الإرهاب المكثف إلىٰ المنظومة الإسلامية خلال العصر الحديث واعتبارًا من سبعينيات القرن الماضي تحديدًا.

أصبح الشيعة منذ ذلك الوقت، قوة دينامية فعالة داخل الإسلام؛ فالموجة الجديدة من النشاط والتأثير الإسلامي الراديكالي، بدأت في طهران، ومن حينها لم يتراجع الدافع الإيراني/ الشيعي. وفي الآونة الأخيرة صرح مسؤول إيراني كبير بأنها أول مرة خلال القرون الأخيرة أصبح لإيران حلفاء من الشيعة يملكون نفوذًا حاسمًا في أربع

عواصم عربية، هي بغداد ودمشق وصنعاء وبيروت، وأن هذا ليس نهاية التحرك الإيراني في المنطقة؛ فالدافع الإيراني للسيطرة علىٰ مناطق محيطة بإيران في الشرق الأوسط العربي يعود جذوره إلىٰ محاولات طهران لامتلاك سلاح نووي، والذي سيمكنها امتلاكه لها من حمايتها الكاملة بشكل يمكنها من تحقيق الحلم الشيعي المقموع منذ سنوات كثيرة.

بالنسبة للعرب المجاورين لإيران وأكثريتهم الساحقة من السنة، فإنهم يدركون جيدًا هذا الحلم الشيعي ويخشون من الهجمات الشيعية/ الإيرانية بشكل عام ومن القنبلة النووية بشكل خاص؛ إذ لا يمكن فهم طبيعة الشرق الأوسط في الوقت الحالي بدون الأخذ في الاعتبار تلك العدوانية العميقة التي تكونت علىٰ مر قرون طويلة بين السنة والشيعة وذلك التغيير التاريخي الذي حدث بعد الثورة الإيرانية، وهو التغيير الذي ما زال إلىٰ يومنا هذا يمثل قوة دفع شديدة للطرف الشيعي في الصراع، وهو الأمر الذي يتم التعبير عنه بشكل واضح في أي مكان بالشرق الأوسط يشهد صراعًا بين الشيعة والسنة.

وكان التعبير الأخير عن هذا الصراع بين الشيعة والسنة هو ما يحدث حاليًا في اليمن، وهو الجار الجنوبي الفقير للمملكة العربية السعودية، حيث اتحدت قبائل من الشيعة (الزيدية) تمثل أقلية مع أنصار الرئيس المخلوع الذي كان من ضحايا الربيع العربي، ليحتلا معًا العاصمة صنعاء. وقد رأىٰ السعوديون كيف أن حلفاء إيران والتي قدمت لهم دعمًا غير قليل بما في ذلك السلاح، وهم يسيطرون علىٰ اليمن شيئًا فشيئًا ليوجدوا نقطة ضغط جديدة علىٰ السعودية التي تعتبر نفسها قائدة للعالم العربي/ السني، لذلك قرر ملكها الجديد بعد تردد كبير التصدي للتحدي الشيعي، لذلك أقدم علىٰ قصف أهداف للقبائل الحوثية في اليمن، كما يقوم بتجهيز قوة غزو برية كبيرة تحسبًا لوضع لن يمكن فيه إنقاذ الموقف سوىٰ بالعملية العسكرية البرية.

وقد التحقت بالسعودية في حملتها العسكرية عدد من الدول العربية السنية الراغبة في الإبقاء علىٰ الوضع القائم بداخلها، ومنها دولة الإمارات العربية والأردن والمغرب ومصر، والأخيرة هي أهمهم جميعًا. رغم أن كل من هذه الدول لا تقدم إلا القليل من إمكانياتها -(علمًا بأن باكستان رفضت تقديم الدعم، وليست ثمة دولة

تشارك بقواتها البرية)- إلا أن هذه الدول جميعًا شكلت إطارًا هامًّا لمواجهة مستقبلية ممكنة للمد الشيعي، وهو سمة أخرىٰ من سمات الصراع المعاصر الذي يعود إلىٰ قرون كثيرة بين السنة والشيعة.

أما الرسالة الثانية للثورة في إيران فكان تأثيرها أوسع نطاقًا؛ إذ أدركت جهات الإسلام الراديكالي أن حلمها في السيطرة علىٰ مختلف الدول والسير بها علىٰ مبادئ الإسلام ليس يمكن وصفه بغير العملي، فإذا تحقق الحلم في طهران، فقد يتحقق في القاهرة والرياض أيضًا.

ورغم ما بينها من أوجه الاختلاف إلا أن جميع الحركات الأصولية أدركت أن الواقع قد تغير، وأن ثمة أفقًا «للحل الإسلامي» موجودًا في عالم الحاضر وفي الوقت الحاضر.

وكان الحدث الثاني في مسيرة تغيير الشرق الأوسط أكثر تعقيدًا، وتضمن عددًا من المراحل، وقد بدأ بتمكن المتطرفين السنة في أفغانستان من مواجهة القوىٰ العظمىٰ العلمانية الأكبر في العالم (الاتحاد السوفيتي السابق) في الفترة ما بين ١٩٧٨ و١٩٨٩، والتي كانت إحدىٰ أعظم قوتين في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، بل تمكنوا من جرها نحو الانهيار، بحسب تقديرهم.

كان ذلك من فعل (الطالبان) ومن خلال الحصول علىٰ دعم كبير نوعًا وكمًّا من الولايات المتحدة التي كانت تنظر إلىٰ صراعهم علىٰ أنه فرصة أخرىٰ للإضرار بالاتحاد السوفيتي، رغم أن هذا النجاح قد مثل بالنسبة لهم ولأمثالهم دليلًا علىٰ ما يتمتع به الإسلام السني الراديكالي من قوة غير مقهورة.

وكان التساؤل الذي طُرح بعد أول نجاح حققته قوة إسلامية أمام قوة أوروبية عصرية/ علمانية هو «ماذا الآن؟» و«ماذا بعد الآن؟»، وتبين فيما بعد أن النجاح قد حمل في طياته صحوة سنية قادت إلىٰ تأسيس القاعدة في السعودية ونقلها إلىٰ أفغانستان، وكان مضيفو هذه الحركة (أي: القاعدة) هم من انتصروا علىٰ القوىٰ العظمىٰ الشيوعية في العالم، وتحول الصراع نحو الدولة العظمىٰ الوحيدة المتبقية في العالم، وهي الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد كانت السعودية لسنوات طويلة دولةً مُصَدِّرَةً للأفكار الإسلامية الراديكالية

المتشددة من مدارسها الدينية التي يسطير عليها الوهابيون، وهم شركاء حكم آل سعود ومن يضفون علىٰ حكمهم الشرعية الدينية في شبه الجزيرة العربية. وقد شعر أسامة بن لادن الذي نشأ وتربىٰ في أحضان البيت الكبير للمتعصبين الوهابيين بأن الطريق الذي تسير فيه الوهابية مع الملكية السعودية جنبًا إلىٰ جنب لن يقوده إلىٰ شيء، ولذلك انفصل عن بلده وتحالف مع المنتصرين علىٰ الاتحاد السوفييتي، لمواصلة الحرب الشاملة علىٰ القوة العظمىٰ المتبقية في العالم.

ووفقًا لقراءة بن لادن وفهمه للواقع، فإن الدول الغربية العظمىٰ قد صاغت عالَمًا أُقصي فيه الإسلام إلىٰ هامش التاريخ ليكاد نفوذه يكون غير ملموسٍ. وفكر بن لادن في مصطلحات ثورية مفادها أن عدوه الرئيسي هو الولايات المتحدة الدولة العظمىٰ في العالم، ولم تكن قوة الولايات المتحدة السياسية والعسكرية هي وحدها ما يناهضه بن لادن وأنصاره، بل أيضًا ثقافة الغرب التي كانت تهدد الإسلام بحسب رؤيته المتعصبة.

وشكل المزيج بين الإحباط الناشئ عن وضع الإسلام كقوة غير مؤثرة في العالم من جهة، ومشاعر الكراهية نحو ثقافة الغرب الذي يقود العالم من جهة ثانية، مصدرًا للطاقة السلبية التي كانت تحرك بن لادن وتنظيمه، وكذلك تنظيمات متعصبة أخرىٰ كان أبرزها تنظيم الدولة الإسلامية.

كان التعبير الأبرز عن الصراع السني الذي يقوده بن لادن من أفغانستان، هو الهجوم الإرهابي الكبير الذي عرف بهجمات ١١ سبتمبر؛ إذ أعلنت الولايات المتحدة في أعقابه حربًا ضارية علىٰ الإرهاب السُني، وفي ذلك الإطار فعّلت الولايات المتحدة قواها العسكرية وقامت بغزو أفغانستان معقل القاعدة واحتلت العراق، ولم يكن لخروج قوات الولايات المتحدة من أفغانستان تأثير علىٰ الشرق الأوسط كله، في حين أن إحتلال قواتها للعراق كان له تأثير علىٰ الشرق الأوسط كله؛ إذ يمتد قلب الشرق الأوسط من الهلال الخصيب الذي يوجد العراق في وسطه وبين مصر الواقعة علىٰ امتداد النيل.

لقد تمكنت الولايات المتحدة في العراق من إنزال واحد من أقوىٰ الحكام العرب وأكثرهم نفوذًا من علىٰ كرسيه، لتُحدث سابقة من نوعها بالقضاء علىٰ حاكم مستبد

وبالتدخل الواضح في شؤون دولة أخرىٰ، مخلفة وراءها حمامًا من الدماء. وقد خلّفت الحرب الأمريكية علىٰ العراق وراءها عدة نتائج تمثلت في تفسخ العراق وتحريض الشيعة والسنة والأكراد علىٰ بعضهم البعض، ما أدَّىٰ إلىٰ انهيار سلطة الدولة وغياب أي سيطرة فاعلة علىٰ مناطق شاسعة جدًا تقع إلىٰ الشمال الغربي من بغداد، فالعراق لن يعود دولة متكاملة مثلما كان قبل الغزو الأمريكي، والمناطق الشاسعة غير الخاضعة إلي حكم الدولة دخلتها العديد من القوىٰ مثيرة الفوضىٰ كان آخرها قوات داعش.

وحتىٰ الآن، فإن النتيجة الإجمالية للحروب الدائرة ضد الدول العظمىٰ العالمية مشجعة جدًا من وجهة النظر الإسلامية، فقد حققت الحرب علىٰ الاتحاد السوفييتي نجاحًا ساحقًا، فيما تعرضت الولايات المتحدة لضربة قاسية عندما فشلت محاولاتها تحقيق الاستقرار في كل من أفغانستان والعراق، بل إن الدول العظمىٰ تعرضت للطرد من الأراضي الإسلامية في نهاية الصراع، وكان الشعور بالنجاح قويًا ومؤثرًا؛ إذ تبين أن فرض التغييرات علىٰ العالم الإسلامي شيء مستحيل علىٰ ما يبدو، ومن الصعب فرضه مثلما حدث مع كل من ألمانيا واليابان، فبالتأكيد بات واضحًا إنه من الصعب فرض إرادة الغرب بعد سنوات طوال من استخدام الكثير من الوسائل والتضحية بالكثير من البشر. فقد اتضح أن الجماعات التي تشكلت علىٰ أساس المفهوم الراديكالي للإسلام لن تتخلىٰ عن أحلامها بسهولة كما أنها نجحت في الصمود بالمواجهة الطويلة مع الغرب، بل إن جزءًا من هذه الجماعات نجح في الوصول إلىٰ قلب العواصم الغربية بطرق ملتوية وجعل من هذه العواصم منطلقًا آخر للعمل ضد العدو.

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن ما تراه الحركات الراديكالية في نفسها من زيادة لقوتها في نفس الوقت الذي تتراجع فيه قوة القوىٰ العالمية العظمىٰ وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة في مواجهتها، ساهمت وستساهم في التأثير سلبًا علىٰ سياسات القوىٰ المختلفة العاملة في مكافحة الحركات الراديكالية الإسلامية، إلا إذا حدثت ثورة كبيرة في هذا المجال نتيجة تراكم عدة خسائر بحق القوىٰ العظمىٰ بسبب الإرهاب.

لقد بات من الواضح أنه في المستقبل المنظور لن يتمكن أحد من الإضرار بقوة الحركات الراديكالية الإسلامية؛ فباعتقادهم أن الله يحارب إلىٰ جانبهم، وكل فشل لهم سيفسر من جانبه علىٰ أنه فشل مؤقت في سبيل وصولهم إلىٰ الانتصار الكبير؛ فهم يحاربون من أجل تغيير العالم الذي همّش الإسلام، ويدركون جيدًا أن هذا الصراع سيستمر لزمن طويل، ووفقًا لمفاهيمهم فإن الصبر والمثابرة في مثل هذا الصراع هو أمر ضروري وجزء من قوتهم ومِنْعتهم في هذا الصراع، وهي صفات تميزهم عن عدوهم الغربي؛ فمفهوم «الجدول الزمني» لتحقيق أهدافهم أمر يفرقهم بشكل كبير عن عدوهم الغربي، الذي تقوم خططه علىٰ إعداد تقرير بالربح والخسارة مرة كل ثلاثة شهور ووجوب تحقيق النصر في انتخابات تجرىٰ كل عدة سنوات.

كان الحدث الكبير الثالث الذي أثّر كثيرًا علىٰ الشرق الأوسط، هو سلسلة الأحداث التي أطلق عليها «الربيع العربي»، هذا «الربيع» الذي قضىٰ مرة واحدة علىٰ جزء كبير من تلك الاتفاقات والترتيبات الإقليمية التي أوجدتها القوىٰ الاستعمارية الكبرىٰ بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الأولىٰ، وفتح بذلك الباب لِقوىٰ ذات قوة كبيرة بعضها قوىٰ ظلامية كانت تعرضت للقمع علىٰ أيدي الأنظمة الشمولية في تلك الدول. كما أصبحت العائلة والقبيلة والطائفة والدين نقاط قوة وولاء بديلة لقيم الولاء للدولة التي كانت موجودة منذ سقوط الامبراطورية العثمانية.

في الوقت الحالي، سقطت في الكثير من مناطق الشرق الأوسط، قوة الدولة التي فرضت نفسها علىٰ المواطنين، وحالت دون ثورة تلك القوىٰ الظلامية في أجزاء كبيرة من الشرق الأوسط، ومن أبرز هذه المناطق ما حدث في ليبيا وسوريا واليمن والعراق، فيما تشعر دول أخرىٰ بأنها مهدَّدة وتخشىٰ من أن يؤدي تزايد الضغوط الداخلية التي تتعرض لها لإحداث ثورات بها، وتأتي في مقدمة هذه الدول المهددة من الداخل كل من لبنان والبحرين والأردن، بل حتىٰ الدول التي تبدو مستقرة ومنها مصر والسعودية فإنه تواجهها تحديات كبيرة بهذا الصدد.

وتواجه معظم دول المنطقة التي يوجد بها حكم ديكتاتوري، ربما باستثناء تونس، ضغوطًا جماهيريه داخلية كبيرة، تجعل قادتها يأخذون هذه الضغوط في الاعتبار عند اتخاذ أية قرارات، فقد أصبح للشارع تأثير حاسم حتىٰ في الدول التي حافظت علىٰ

إطار الدولة وأجهزتها وآلياتها السلطوية، وهو الوضع الذي أُقترح تسميته بـ streetocratia.

لقد كان السبب الكامن وراء ثورات الغضب الجماهيري سنة ٢٠١٠ التي طالت عدة دول ابتداء من تونس وحتىٰ سوريا، هو سبب داخلي يعود بالأساس إلىٰ طبيعة الأنظمة الديكتاتورية الحاكمة في المنطقة، وإن احتفظ كل نظام حاكم في كل دولة بسماته ومشاكله وأوضاعه الخاصة.

وقد قيل لي من جانب مثقف كويتي ذات يوم، أن أهم سبب وراء اندلاع الربيع العربي، هو الإضرار بكرامة المواطن في الدول العربية، ومصطلح «الكرامة» هو مصطلح عام يشير إلىٰ أن الحاكم نسي أن عليه إلتزامات تجاه جميع مواطني شعبه وليس تجاه أقاربه من عائلته فقط، إلا أن الحكم الديكتاتوري في تلك الدول أصاب المواطن بخيبة أمل تجاه تحقيق أي انجاز، في حين كان شديد الحرص علىٰ مصالح أقاربه ومقربيه، وكان ذلك هو بداية سيل عارم من الأحداث المفاجئة المتلاحقة والتي كانت بمثابة ثمرة العلاقة بين الحاكم والمحكومين، بدون أي تأثير خارجي.

في هذا الصدد، تجدر الإشارة إلىٰ أن الممالك العربية، سواء كانت غنية مثل السعودية والدول الخليجية، أم فقيرة مثل الأردن والمغرب، فلم تصب العلاقة فيها بين الحاكم والمحكومين بأي ضرر، ويبدو أن ذلك عائد إلىٰ أن «الشرعية» التي تحظىٰ بها أنظمة الحكم بهذه الممالك، شرعية ممزوجة بعوامل تاريخية وثقافية مختلفة ودينية في آن واحد.

تمثل أحداث الربيع العربي وتنامي الرؤىٰ الإسلاموية في المنطقة جزءًا من صراع يدور حول هوية المنطقة والمجتمعات التي تعيش فيها، وقد وقعت هذه الصراعات جميعها علىٰ خلفية من فقدان الثقة بالنظريات والمقاربات والمفاهيم العالمية التي تم استيرادها من الثقافة الأوروبية عبر حركات تحكمت في مجريات الأحداث في الشرق الأوسط منذ نهاية القرن الثامن عشر، حين احتل نابليون مصر عام ١٧٩٨ حتىٰ نجاح الديكتاتورات، التي قاد معظمها عسكريون، من الجزائر حتىٰ العراق في الاستيلاء علىٰ الحكم بمختلف الدول الواقعة في قلب المنطقة لعقود من السنين.

وكما أشرنا من قبل، فإن تقسيم المنطقة إلىٰ دول كان في معظمه ثمرة استيراد أوروبي، وقد تم هذا التقسيم بناء علىٰ احتياجات القوىٰ العظمىٰ الغربية، بمعزل عن سياق تاريخي ودونما اعتبار للمجتمع وثقافة المنطقة، وعليه فلا عجب في كون اللجوء إلىٰ المرجعية الشرعية والاعتماد علىٰ العنصر الإسلامي الديني، قد برز جدًا في أربع معارك انتخابية منفصلة عند الفلسطينيين وفي مصر وتركيا وتونس، فقد تم انتخاب الإخوان المسلمين أو من يشابههم وينتمي إليهم من غالبية السكان عن إرادة حرة وليس عن طريق الفرض بالقوة، وفي معظم هذه الدول اقتنع معظم الناخبين بأن «الإسلام هو الحل» للكثير من المعضلات التي كانت تواجههم سواء كبشر أو كمسلمين أو حتىٰ كدولة. ويدل هذا النجاح في أماكن شتىٰ من المنطقة علىٰ أن اختيار الإسلام السياسي الراديكالي كنهجٍ حياتي ليس واقعة عرضية محدودة، وإنما نتيجة مسيرة تضرب جذورها في أعماق التاريخ، والدليل علىٰ ذلك أن اختيار الإسلام الراديكالي تم في اثنتين من أكثر دول المنطقة والتي بهما جمهور متعلم ومثقف وهما تركيا ومصر، وإحداهما عربية والأخرىٰ غير عربية، كما تجلت هذه الظاهرة كذلك في دولة كانت خاضعة لنفوذ أوروبي شديد وعلىٰ مدار سنوات وهي «تونس»، كما عند الفلسطينيين، الذين يعتبرون من أكثر المجتمعات العربية في الشرق الأوسط ثقافة.

وقد أدرك الجنرالات في مصر، ولربما نتيجة خبرتهم بالتجربة التركية، أنهم إن لم يسارعوا إلىٰ وقف المسيرة الإسلامية، فإنهم سيفقدون مركزهم وقدرتهم علىٰ تغيير الموقف، ولذلك قاموا بثورة مضادة، ولكن الإخوان المسلمين ما زالوا أقوىٰ قوة مدنية في مصر، ففي الانتخابات الحرة الأخيرة فازوا بـ ٥٤% من أصوات الناخبين، فيما فازت الحركة السلفية بـ ٢٤%.

أما في تركيا فقد حدث التغيير الذي وضع حَدًّا لأطول وأنجح محاولة لتحويل دولة ومجتمع إسلاميين إلىٰ دولة مدنية علمّانية يدين مواطنوها بالإسلام، لكن المحاولة التي حدثت قبل حوالي مائة عام علىٰ أيدي أتاتورك لم تصمد بوجه قوة الديانة والثقافة الإسلامية الأصيلة والمتجذرة في أقرب دولة شرق أوسطية إلىٰ أوروبا.

بالنسبة لتونس فإنه بعد ثاني انتخابات تجرىٰ بالبلاد منذ وقوع الثورة، تم اختيار حكم علماني، وهو ما قد يمثل إشارة لتغييرٍ محتمل مستقبلًا.

قبل ما يزيد عن عشرين عامًا، حينما كنت رئيسًا لقسم الأبحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان»، سألني رئيس الوزراء الراحل إسحاق رابين عن لماذا أظن أن الخطر الإسلامي الذي حَذَّرْنا منه سابقًا من المتوقع أن يكون له عُمر أطول من مخاطر لنظريات معادية أخرىٰ مثل الناصرية والبعثية والقومية العربية، وهي نظريات كان يعرفها رابين وواجهها لسنين طوال؟، فكان ردي بأن الإسلام كقوة سياسية ينشأ من تحت الأرض، أي: من الثقافة الأصيلة لسكان المنطقة، وذلك خلافًا لغيره من الرؤىٰ والنظريات الأخرىٰ التي استوردتها النخب إلىٰ المنطقة لتفرضها علىٰ مختلف المجتمعات. وقد أثبت الواقع صحة ما قلته لرابين.

تمثلت مساهمة العالم الغربي في كارثة الربيع العربي بشكل قوي من خلال العملية العسكرية التي تم تنفيذها في ليبيا، فقد قضىٰ الغرب علىٰ قائد مضطرب وغير مريح لهم كانت قدرته علىٰ إلحاق الضرر بما خارج بلاده ضئيلة جدًا، إلا أن النتيجة كانت تفكك ليبيا كدولة ذات سيادة، وسادت حاليًا حرب يومية بين قبائل متنافرة وتحولت ليبيا إلىٰ «حانوت سلاح» ضخم، حيث تُصدّر منها الأسلحة إلىٰ جهات متطرفة في دول أفريقيا تقع جنوب الصحراء الكبيرة وإلىٰ مصر للاستخدام الداخلي وإلىٰ سيناء لصالح جهات متطرفة في شبه الجزيرة وقطاع غزة، وأصبح «تصدير السلاح» هو المساهمة الوحيدة التي تقدمها ليبيا ما بعد الثورة للإنسانية بوجه عام وللشرق الأوسط بوجه خاص.

كما تجلت المساهمة السلبية للعالم الغربي أيضًا في الشرق الأوسط، في عدم استعداد قوىٰ الغرب وقف التدخل الإيراني الهادف إلىٰ إنقاذ الأسد، وعدم الاستعداد لدعم الجهات المعتدلة في سوريا خلال المراحل الأولية من التمرد، إضافة لمساهتهم الضعيفة في دعم الأكراد في سوريا والعراق في مواجهة مقاتلي الدولة الإسلامية. ونتيجة ذلك تتعاظم الجهات المتطرفة في صفوف المعارضة السورية وفي المنطقة التي تقع علىٰ امتداد الحدود العراقية، كما يستمر القتال وأعمال القتل المتبادلة بها، وهو الأساس الذي تعتمد علية حركة الدولة الإسلامية التي تحتل الفراغ الناشئ عن ضعف النظام العراقي وإقصاء السنة من قبل حكومة الشيعة في بغداد بعد خروج القوات الأمريكية من العراق.

يضاف إلىٰ كل ما سبق؛ أن الجانب السوري قد اختفىٰ عمليًا من علىٰ الخط الحدودي مع العراق، في ظل فقدان الأسد للسيطرة علىٰ المناطق الشمالية الشرقية لسوريا وعجز المعارضة السورية عن التكتل لتمثل قوة حقيقية يمكنها السيطرة علىٰ هذه المناطق. بالتوزاري مع ذلك يقف العالم لا يحرك ساكنًا حين يُقتل نحو ربع مليون شخص في سوريا وقد يكون أكثر من ذلك، في حين يقارب عدد اللاجئين عشرة ملايين نسمة، يقيم أكثر من ثلثهم خارج سوريا ويعيش ظروفًا حياتية متردية.

حتىٰ الآن لا يمكن توقع أو تقدير مدىٰ إمكانية إسهام وقف الدعم الإيراني للأسد أو زيادة الدعم الغربي للمتمردين علىٰ الأسد الأقل تطرفًا، في التغيير الواقع علىٰ الأرض في سوريا، ولكن من الواضح أن الفراغ الذي أوجده هذا العجز هو الذي سهّل دخول تنظيم الدولة الإسلامية لمناطق عدة في سوريا والعراق.

لقد كان من حسن حظ الشرق الأوسط أن تفشل المجهودات الخارجية التي سعت لاحباط أو عرقلة الثورة المضادة للعسكر علىٰ الإخوان المسلمين، وهي المساعي التي لو حالفها النجاح وحافظ الإخوان المسلمون علىٰ السلطة في مصر، لكان ترتب عليها زيادة قوة الإسلام المتطرف عشرات الأضعاف، كما أن استمرار حكم الإخوان المسلمين في مصر وزيادة دعم ممثليه في أنحاء الشرق الأوسط، كان سيمثل عاملًا من عوامل إضعاف النظام الحاكم بالأردن ولربما كان سيؤدي إلىٰ حد إسقاطه، كما كان سيؤدي إلىٰ زيادة تدخل تركيا الأكثر فعالية بكثير في قلب الشرق الأوسط وتقديمها الدعم للقوىٰ الراديكالية في العالم العربي، وربما أيضًا لصمود الإخوان المسلمين في تونس في وجه التحرك الديمقراطي الذي فُرض عليهم.

ورغم أن المشاكل التي تعاني منها مصر هي مشاكل مزمنة لن يحلها العسكر بسهولة وفي المستقبل المنظور؛ إلا أن الثورة التي قاموا بها ضد الإخوان أعطت إشارة دعم قوية للقوىٰ المناهضة للراديكالية في المنطقة بأسرها، ما وفَّرَ فرصة أخرىٰ للتعامل مع مشاكل المنطقة بأسلوب بعيد عن أسلوب الإسلام الراديكالي.

يُضاف إلىٰ كل هذه الأحداث والعوامل السابقة عامل آخر مؤثر، ورغم أن أهميته أقل إلا أن تأثيره كبير بسبب زيادة قوة الشارع في الشرق الأوسط، وهذا العامل هو قطر، تلك الدولة الخليجية البالغة الصغر وصاحبة الكميات غير المحدودة من المال،

والتي استضافت ودعمت التنظيمات الإرهابية من أمثال حماس والتنظيمات المعارضة في سوريا ومنظمة الإخوان المسلمين في مصر، فقد بذلت كل مستطاع بمساعدة قناة الجزيرة التي تمولها لزعزعة أنظمة الحكم المعتدلة التي لا تخضع لإملاءات الإخوان المسلمين في دولهم، فقناة الجزيرة تَستغل إلىٰ آخر درجة تنامي تأثير الشارع لزعزعة الوضع القائم، دون أن تُسهم ولو قليلًا في بناء شيء بديل من شأنه الإسهام في الاستقرار المستقبلي. ورغم أن تزايد تعامل المجتمع العربي لوسائل الإعلام إثر ثورة الإنترنت أمرًا مُهِمًّا باعتباره عنصرًا اجتماعيًا جديدًا، إلا أن التحريض الذي قادته قطر يُعد أهم عامل من منظور التأثير علىٰ الشارع العربي. ويعمل السعوديون وبعض الدول الخليجية علىٰ تحجيم التأثير القطري، إلا أن الضرر الذي ألحقته باستقرار المنطقة من الصعب وقف مفعوله.

تجدر الإشارة فيما يتعلق بالأخطاء التي ارتكبها الغرب خلال أحداث الربيع العربي تحديدًا، أن القوىٰ الخارجية لم تكن هي السبب والمحرك لأحداث الربيع العربي وتبعاته المؤسفة، وإن كان لها في ليبيا بعض الاسهام السلبي؛ إذ لم تحل دون حدوث ظواهر سيئة فيها وربما كانت قادرة علىٰ منع ظهور هذه الظواهر في سوريا، بل قد تكون كذلك زادت من سرعة بعض التطورات السيئة في مصر. مع ذلك فالربيع العربي هو نتيجة مشكلات ومتاعب في المجتمعات العربية ونتيجة خيانة الحكام العرب لواجباتهم تجاه شعوبهم؛ إذ من الضروري حتىٰ بالنسبة للديكتاتوريين أن يوفروا لشعوبهم احتياجاتهم الأساسية، وبطبيعة الحال فإن العالم الخارجي ليس مُتَّهَمًا في حدوث كل هذه المشاكل.

لقد سمعتُ منذ أكثر من خمسة عشر عامًا تشخيصًا لأمرّاض الشرق الأوسط من مسؤول مصري كبير، فقد قال لي خلال حديث جرىٰ بيننا حول الشرق الأوسط: «إن المنطقة توجد فيها أربع دول حقيقية فقط، وهي مصر وتركيا وإيران وإسرائيل». وحين أبديت استغرابي لخلو قائمته من أي دولة عربية غير مصر، قال: «هي ليست دولًا، بل هي عائلات ترفع أعلامًا». إن هذا التشخيص الواضح، رغم عدم دقته الكاملة وتعميمه، إلا أنه يحدد بشكل جيد أحد أهم أسباب أحداث الربيع العربي الجارية

حاليًا، فقد كان ذلك -أي: الشرق الأوسط- عالمًا مصطنعًا تم بناؤه استجابة لاحتياجات الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولىٰ.

بشكل عام، ومن الناحية الفلسفية، فإن ما وصفناه سابقًا بما يتصل بالصراع الدائر في العالم الإسلامي ضد ظاهرة الحداثة، وهو الصراع الذي تقف «الدولة» بمفهومها القومي في القلب منه، فإن ذلك هو نفسه لب النزاع الداخلي الذي يشهده الإسلام، وهو إلىٰ حد بعيد جوهر صراع الإسلام الراديكالي ضد العالم بأسره، فالإسلام لم يخضع للتحول الذي خضعت له المسيحية منذ القرون الوسطىٰ ولم يخضع كذلك لذلك التحول الذي مرت به اليهودية.

إن الربط غير الممكن بين الفصل بين الدين والدولة ونمط الحياة الشخصية، يعد جانبًا من جوانب المشكلة التي تعترض سبيل المجتمعات الإسلامية للتعامل مع العالم المعاصر، وهو -إلىٰ درجة كبيرة- السبب في شعور هذه المجتمعات بأنها بعيدة عن هذا العالم الغربي. وهذا هو جوهر الأصولية الإسلامية التي تحاول أن تحيا اليوم -بدون أي تحديث يذكر- حياة القرن الذي عاش فيه النبي محمد، وهي مقاربة تصبح ذات أوجه في منتهىٰ القسوة والوحشية حينما تنتقل من حقل التنظير إلىٰ حقل التفعيل وبجدية وبدون أي تسامح، وهو نفس الأمر فيما يتعلق بصراع هذه الحركات ضد الحكام والخصوم من المسلمين أنفسهم، ونتيجة لذلك فإن حركات الإسلام الراديكالي سواء من السُنة أو من الشيعة، قتلت خلال السنوات العشر الأخيرة الكثير من أبناء ديانتها، وذلك رغم صراعها أيضًا مع القوىٰ الغازية الغربية الخارجية في أفغانستان والعراق وإسرائيل.

فقد كَلَّفَ هذا المزيج من التعصب والقسوة ثمنًا باهظًا مروعًا من دماء الشعوب الإسلامية عامة والسنة منهم خاصة، لكون الجمع بين التعصب الديني والإحساس بالظلم وعدم الإنصاف من جانب العالم، الذي لا يعطي أهمية لما تحمله هذه الجماعات من مصالح وأيديولوجية دينية إسلامية، قد أدَّىٰ إلىٰ أن يصبح صراع هذه الجماعات أكثر قسوة ووحشية.

الإطار العالمي

هناك أربع ظواهر عالمية كبرىٰ ميزت حالة عدم الهدوء بالمنطقة، اجتمعت كلها في أحداث الربيع العربي، وكان مصدرها جميعًا -كما أشرنا سابقًا- تطورات داخلية بالمنطقة، وهي:

١- لا توجد في الوقت الحالي منظمة دولية بارزة بإمكانها العمل بفعالية، ولها السلطة والسيطرة علىٰ تلك الدول التي تزعزع الاستقرار العالمي أو تتدخل في شؤون جيرانها، أو علىٰ تلك الدول التي تمول وترعىٰ الإرهاب مثل إيران وشمال السودان، وكوريا الشمالية، وسوريا، وهي دول في مقدمة القائمة لكنها ليست الوحيدة بها.

بالنسبة للأمم المتحدة، وهي المنظمة الأكبر التي علقت عليها آمال كثيرة بعد الحرب العالمية الثانية، فقد أفلست، وهو الإفلاس الظاهر بقوة سواء من الناحية العملية، فالدول الكبرىٰ يحيّد بعضها بعضًا فيما يتعلق بقرارات مجلس الأمن المهمة، كما تحيد أعمال الأمم المتحدة عند اقتضاء الحاجة. أو من الناحية الأخلاقية؛ إذ تعمل الجمعية العامة مستندة إلىٰ أغلبية «أوتوماتيكية»، تلك الأغلبية المنعزلة تمامًا عن الاحتياجات الأساسية للمجتمع الدولي.

ولكون كل دولة تملك حق التصويت في الأمم المتحدة، فإن مجموعات الدول المنظمة فيما بينها تعمل علىٰ تمرير أي قرار يروق لها في الجمعية العامة، مع العلم أن المجموعة الأكبر المتجانسة فيما بينها داخل الأمم المتحدة هي تلك التي تضم ما يقارب من ٥٧ دولة إسلامية، تكاد تمثل نصف «مجموعة دول عدم الانحياز».

في ضوء ما سبق؛ لم يكن عجيبًا أن تتخذ الأمم المتحدة قرارات غريبة ولا معنىٰ لها سواء فيما يتعلق بما يجري في الشرق الأوسط أو ما يتعلق بغيره من مناطق أخرىٰ في العالم. فمثلًا: إيران والسودان عضوان بلجنة حقوق الإنسان الأممية، التي توجه نحو نصف ما تتخذه من قرارات ضد إسرائيل، كما أن إيران عضو مهم في اللجنة

الأممية لمنع انتشار الأسلحة النووية، وبالتالي أصبحت الأمم المتحدة منظمة مثارًا للسخرية بل ومخزية لتوقعات من قاموا بتأسيسها وعلقوا عليها الكثير من الآمال.

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، توقع البعض أن العالم سيبتكر أدوات دولية قوية فاعلة في المجالين القانوني والسياسي علىٰ أساس معتقدات جديدة وقديمة أو كتطور طبيعي متحرر من قيود الصراع الذي كان دائرًا بين الكتلتين القويتين في العالم واللذَيْن عرقلا أيَّ عمل إيجابي للأمم المتحدة خلال الحرب الباردة، ولكن لم تتحقق أيّ من تلك التطورات الإيجابية، بل بالعكس، فإن المحكمة الدولية في لاهاي، شأنها شأن لجنة حقوق الإنسان الأممية، علىٰ وشك أن يتم «اختطافها» لخدمة الصراع الفلسطيني ضد إسرائيل، ولو تمكن الفلسطينيون من ذلك، ستصبح هي الأخرىٰ -أي المحكمة الدولية- مؤسسة غير ذات شأن، وليس لها أية أهمية.

٢- تحاول الولايات المتحدة الأمريكية تقليص التزامها تجاه حلفائها بشكل عام وحلفائها في الشرق الأوسط بشكل خاص، وفي بعض الحالات تكون غير مستعدة لدفع الثمن المطلوب للحفاظ علىٰ «السلام الأمريكي».

ورغم أن الولايات المتحدة ظلت هي القوة العظمىٰ الوحيدة في العالم حتىٰ في ظل صعود بعض القوىٰ الأخرىٰ مثل الصين، أو محاولة بعض القوىٰ الأخرىٰ الحفاظ علىٰ قوتها مثل روسيا، إلا أن واشنطن بدأت تنزعج من أن تقوم بدور «شرطي العالم»، رغم عدم وجود بديل لها للقيام بهذا الدور.

وبعد الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي تعرضت لها الولايات المتحدة عام ٢٠٠٨؛ أصبحت في وضع غير مسبوق ولم تَعُد مثلما كانت عليه من قبل من حيث قوتها ومناعتها الاقتصادية، وعلىٰ الرغم من تحسن وضعها الاقتصادي بداية من عام ٢٠١٥، إلا أن هذه الأزمة أثرت علىٰ علاقاتها مع حلفائها، لاسيما وأن واشنطن خيبت آمال حلفائها وفاجأت معارضيها حينما تخلت عن أصدقاء لها وتخلت عنهم وقت الضائقة (مثال: مبارك)، إضافة إلىٰ قرار الإدارة الامريكية الخروج مبكرًا من العراق بدون الانتظار لبناء الجيش العراقي بشكل جيد، وعلىٰ الانسحاب من أفغانستان من دون بناء نظام حاكم قوي بإمكانه مواجهة طالبان، كل ذلك أضر جدًا بمكانة الولايات المتحدة في المنطقة.

كما زاد من تدهور مكانة واشنطن بالمنطقة امتناعها عن توجيه ضربات للأسد بعد تجاوزه السافر للخط الأحمر الذي يمثله استخدام الأسلحة الكيماوية، وهو الخط الذي رسمه الرئيس أوباما نفسه، وكذلك اعتبار عدد من دول المنطقة أن مواقف واشنطن كانت «لينة» في المفاوضات الجارية مع إيران حول برنامجها النووي. إضافة إلىٰ تنازل الأمريكيين عن استخدام الخيار العسكري ضد برنامج إيران النووي، رغم أن ذلك أمر له أهمية قصوىٰ لعدد من حلفائها في المنطقة الذين عوّلوا علىٰ واشنطن لمنع وجود تهديدات وجودية لهم. كل ذلك أفقد الولايات المتحدة جزءًا من مصداقيتها وأهميتها لدىٰ الكثير من قادة وصناع القرار في المنطقة.

٣- لا وجود في الوقت الراهن لقوة صاعدة أخرىٰ، أو دولة تتزايد قوتها ولها استعداد لتحمل ولو نزر يسير من المجهود الذي تحملته الولايات المتحدة خلال المائة عام الأخيرة، بل لا تشعر أي من القوىٰ الصاعدة في الاقتصاد ومجالات القدرة العسكرية والتكنولوجية بأنها تتحمل ولو جزءًا بسيطًا من المسؤولية العالمية التي دفعت ثمنها الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الأولىٰ، كما لا يوجد في العالم زعيم جاهز للتضحية بجيشه من أجل «القيم الكونية»، لذلك يتبع جميع القادة سياسة «أنانية» لا تراعي إلا احتياجات الدول التي يحكمونها.

وقد قال لي مسؤول في دولة بطريقها لأن تكون دولة عظمىٰ: «تقتصر مسؤوليتنا علىٰ أمر واحد فقط، وهو أن يكون لمواطنينا ما يكفي من الطاقة للتدفئة في الشتاء»، موضحًا أن ذلك لن يدفع دولته للالتزام بالعقوبات المطلوبة ضد إيران في مجال النفط.

اختفت أوروبا من المعادلة الشرق أوسطية (وربما العالمية)، فلم تعد تمتلك لا الوسائل ولا الرغبة ولا البنية السياسية التي تمكنها من اتخاذ القرارات وتنفيذها، وذلك رغم قربها الجغرافي للشرق الأوسط، إلا أنه ليس لها تأثير يذكر عليه. ورغم وجود بعض الدول في الاتحاد الأوروبي التي تتمتع بأهمية تفوق أهمية الاتحاد نفسه باعتباره جسم سياسي واحد، إلا أن تخلي بعض هذه الدول عن قوتها العسكرية قد أبقاها خارج دائرة التأثير لاسيما في مواجهة تلك الأزمات التي يعاني منها الشرق الأوسط. وسيكون اليوم الذي صوّت فيه مجلس العموم البريطاني ضد استخدام القوة

ضد الأسد بعد استخدامه للسلاح الكيماوي ضد مواطنيه في أغسطس ٢٠١٣ رمزًا لخروج أوروبا عن دائرة التأثير الحقيقي فيما يجري في الشرق الأوسط.

رغم ما سبق، فقد بقيت أوروبا ذات أهمية كأكبر كتلة تقود الديمقراطية في الدول الغربية وكشريكة تجارية هامة لعدد من الدول، وبالتالي فإن سياساتها من شأنها التأثير علىٰ إسرائيل، التي ترىٰ نفسها جزءًا من الكتلة الديمقراطية، لكنها ذات قدرات خاصة وليست كأية دولة أو تكتل آخر لمجموعة دول في الشرق الأوسط.

خلافًا لما سبق، فقد بات من الصعب حاليًا تقدير كيفية تأثر الشرق الأوسط بالتغييرات الناشئة عن كون الولايات المتحدة أصبحت أقل اعتمادًا علىٰ استيراد الطاقة. وذلك رغم أن الشرق الأوسط مازال من أهم مصادر النفط والغاز وأكبرها بالنسبة للولايات والذي يُصدّر لها عبر آسيا وأوروبا، إلا أن الولايات المتحدة قد قل اعتمادها عليه كثيرًا. إضافة إلىٰ أن أسواق اليوم مشبعة بالنفط، ولو قررت الولايات المتحدة تصدير الغاز، فإنها ستضخ كميات كبيرة لكل من يحتاجه، خاصة وأن السوق تتراجع فيها أسعار الطاقة التي تعد مصدر أموال الدول الغنية في الشرق الأوسط، وهو ما من شأنه أن يزيد الولايات المتحدة تخليًا عن التزاماتها نحو الشرق الأوسط والدول المصدرة للنفط التي تتصدرها المملكة العربية السعودية.

لقد أصبح من الواضح أن قدرة الدول النفطية في الشرق الأوسط علىٰ تجنيد المزيد من دعم الولايات المتحدة ستقل، ومعها أيضًا قدرتها علىٰ استثمار مبالغ كبيرة من المال في إدارة سياساتها الخارجية، وهو المثال الذي ينطبق علىٰ سياسات السعودية والإمارات في دفع مبالغ كبيرة لمصر لتخليصها من حكم الإخوان المسلمين المكروهين في الخليج، وهو ما ينطبق كذلك علىٰ الاستثمارات الإيرانية في لبنان وحزب الله وسوريا.

وتجدر الإشارة إلىٰ أن تأثير التغييرات التي يشهدها اقتصاد الطاقة علىٰ العالم والمنطقة هو في بدايته، ومن المهم متابعة هذا التأثير في أعقاب تزايد مثل هذا السوق علىٰ دول رائدة في المنطقة.

من الواضح كذلك أنه حتىٰ لو أصبحت الولايات المتحدة مستقلة في مجال الطاقة واستغنت عن استيراد الطاقة من الشرق الأوسط، فإنه سيبقىٰ من مصلحتها الحفاظ

علىٰ علاقاتها الخاصة مع الدول النفطية الغنية بالمنطقة، سواء لكون هذه الدول عملاء مهمين في سوق السلاح وتستثمر فيه مبالغ ذات تأثير علىٰ الاقتصاد الأمريكي، أو لكون الولايات المتحدة لن ترغب في فقدان مصادر للقوة والنفوذ في العالم لصالح دول منافسة لها مثل الصين وروسيا.

علىٰ أرض الواقع، فإن السعودية تخوض منذ نهاية عام ٢٠١٤ حربًا اقتصادية، تشمل تخفيضًا حادًّا لأسعار النفط بهدف إخراج الدول المنتجة للنفط الأعلىٰ ثمنًا من دائرة الإنتاج والتسويق، وعلىٰ رأس هذه الدول الولايات المتحدة، حتىٰ لا تفقد حصتها من سوق النفط مستقبلًا. وحينما تنتهي هذه الحرب من أجل الحفاظ علىٰ مكانة وأهمية السعودية والشرق الأوسط بأكمله في مجال سوق الطاقة، ستتضح الصورة إلىٰ حد ما في هذا الصدد، وسيتضح أكثر موقع سوق الطاقة وتأثير متغيراته علىٰ العالم الجديد.

وكما أشرنا سابقًا، فإن تواكب الانفجارات الداخلية في الشرق الأوسط مع غياب قوة خارجية سواء قوة عظمىٰ أو قوة متعددة الجنسيات، والتي يمكنها تهدئة أو وقف القوىٰ البربرية بالشرق الأوسط، يزيد من قوة النتائج الفوضوية التي تحدث بالشرق الأوسط.

هل يمكن إعادة العجلة للوراء؟

هل تستطيع الجهود العسكرية الهادفة إلىٰ القضاء علىٰ تنظيم الدولة الإسلامية والتي أعلن عنها الرئيس أوباما في ١٩ سبتمبر ٢٠١٤، تغيير مجريات الأمور في الشرق الأوسط؟ بتقديري أن الإجابة سلبية، سواء فيما يتعلق بالمدىٰ القصير للحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية، أو علىٰ المدىٰ الطويل للصراع ضد الحركة الراديكالية الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط.

لا يمكن للولايات المتحدة تحقيق الانتصار في القتال ضد حركة «الدولة الإسلامية» دون بذل الكثير من الموارد، إذ يتطلب «تدمير التنظيم»، وهو الهدف الذي أعلنه الرئيس الأمريكي، نشر قوات برية بشكل أكبر لدعم الأكراد وغيرهم في مواجهتهم مع جيش الدولة الإسلامية الممتلئ بنشوة النصر والمتعطش للدماء. وإذا كان ثمة أمل في بناء مثل هذه القوات في العراق معتمدة علىٰ الجيش العراقي والقوات الكردية، فمن الواضح أن ذلك مستحيل في سوريا، وكانت تجربة استخدام قوة جوية في كوسوفو وحتىٰ في الحرب الأخيرة في غزة واضحة للعيان بأنه لا فائدة من تلك الهجمات ضد تنظيم ليس له أية مسؤولية تجاه السكان في المناطق التي يسيطر عليها، وأن مسؤوليته تنحصر فقط تجاه رجاله المقاتلين ضمن صفوفه، ففي هذا المرحلة «رجال التنظيم» هم فقط الطائفة الوحيدة التي سيهتم التنظيم بمصيرها، وهو ما يجعل الأمر مختلفًا في حال الحرب ضد جيش دولة معينة لها مسؤوليات محددة تجاه مواطنيها، بل إن الأمر يختلف حتىٰ فيما يتعلق بالحرب ضد حماس التي وإن كان التزامها نحو المواطنين في أدنىٰ حدوده، إلا أنه قائم.

أما فيما يتعلق بالحرب ضد الدولة الإسلامية فإنها بمثابة حرب «تدمير» بالمعنىٰ البسيط للكلمة، لذلك فإن التكنولوجيا المتقدمة للقرن الواحد والعشرين عليها التعامل مع تحدي الحروب القديمة، بالتالي فمن الطبيعي أن يكون قتل جنود الطرف الأخر،

لا يمكن النجاح فيه إلا من خلال قوات برية تتمتع بقدرة تنفيذية، وهي ليست موجودة في العراق باستثناء القوات الكردية، كما أنها غير موجودة بالتأكيد في سوريا، أما المسألة المهنية الخاصة بغياب معلومات استخباراتية علىٰ مستوىٰ جيد كشرط لا بد منه لنجاح عملية جوية ضد عدو من هذا النوع وكيفية الحصول عليها لحساب القوات الجوية، فهي مسألة تتطلب نقاشًا منفصلًا.

وعلىٰ المستوىٰ الأوسع؛ فإنه يمكن تشبيه جهود الولايات المتحدة وحلفائها علىٰ أنها مثل «إلقاء حجر في نهر المسيسيبي لتغيير مجراه». فالتيار الإسلامي الراديكالي هو تيار تاريخي يتعلق بتطورات ظل العالم الإسلامي يشهدها منذ عشرات السنين، ويتعلق كذلك بالصراع حول تحديد هوية وطابع العالم الإسلامي، وهي الأزمة التي تعود جذورها إلىٰ فترة سقوط الإمبراطورية العثمانية في أوائل القرن العشرين، أي: قبل مائة عام، وشهدت نزق انطلاقاتها منذ العام ١٩٧٩، أي: منذ أكثر من ٣٥ سنة، والتأثير علىٰ مثل هذا التيار الجامح أمر صعب جدًا وربما غير ممكن لاسيما من جانب الولايات المتحدة، فهو تيار واسع جدًا جغرافيًا وعميق جدًا دينيًا وثقافيًا.

وقد يتناقش البعض حول فيما إذا كان نجاح تنظيم الدولة الإسلامية في السيطرة علىٰ مساحات واسعة جدًا من سوريا والعراق أكثر خطورة من قتل ٢٥٠ ألف سوري أغلبهم علىٰ يد الأسد ورجال نظامه؟، والإجابة أنه من الواضح جدًا أنه لا جدال حول وحشية تنظيم الدولة الإسلامية فقد حاول القضاء علىٰ طوائف كاملة فقط لأنهم غير مسلمين، (وبالمناسبة، فإن مسيرة اختفاء المسيحيين من الشرق الأوسط هي مسيرة تاريخية ملحوظة، والتي تتواكب مع تزايد قوة حركات الإسلام الراديكالي، وثمة أماكن مثل مدينة بيت لحم ولبنان وغزة يغادرها المسيحيون بضغط من البيئة المحيطة بهم، وليس نتيجة ضغط سفك الدماء، وهناك أماكن يخيَّرون فيها بين اللجوء أو الإبادة، ومنها العراق علىٰ سبيل المثال).

لكن السؤال الأهم والذي يطرح نفسه لا يدور حول مَن الأكثر إثارة للمشاعر السلبية بسبب وحشيته، بل يدور حول مَن الأخطر والأشد تهديدًا لمصير العالم؟، ومن وجهة نظري، فإن إيران نووية هي التهديد الأكثر أهمية وتأثيرًا من تهديد الدولة الإسلامية في كل الأحوال.

لقد ازداد مركز إيران قوة إلىٰ درجة كبيرة خلال العقد الأخير، ولم يكن الإيرانيون من أطلق موجة الانفجارات الأولىٰ إلىٰ الشرق الأوسط عام **١٩٧٩** وحسب، بل كانوا مستعدين أكثر من غيرهم لبذل المال والدم من أجل تحقيق مصالحهم، وعرفوا كيفية الاستغلال الأمثل لنقاط الضعف التي اعترت النظام الإسلامي- العربي والدولي. ورغم التنافس بين الفرس والعرب عامة وبين الشيعة الفارسية والشيعة العراقية خاصةً، فقد عرف الإيرانيون جيدًا كيفية التأثير شبه المطلق علىٰ مراكز هامة للكتل الشيعية في أماكنها المختلفة بـ(اليمن، العراق، سوريا، لبنان، وحتىٰ غزة التي تخلو من أي شيعي...).

ويبدو أن إيران قد شعرت أيضًا بضعف الولايات المتحدة ومخاوفها من التورط في حدث يلزمها باستخدام القوة العسكرية في المنطقة. وبناء علىٰ هذا الإدراك تنشغل إيران حاليًا في محاولة تجنيد الولايات المتحدة باعتبارها «شريكا» جديدًا، عبر قدرتها علىٰ دعم الولايات المتحدة في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

ثمة مثال آخر علىٰ قدرة إيران علىٰ تجنيد الموارد المختلفة واستغلالها لضعف المنطقة المحيطة بها، فإيران تعتبر نفسها دولة عظمىٰ علىٰ المستوىٰ الإقليمي علىٰ الأقل، وأنهم أصحاب رسالة دينية تمتد إلىٰ خارج المنطقة، ولذلك يسعون لامتلاك سلاح نووي، وهو السلاح الذي سيشكل تهديدًا للمنطقة بأسرها ومنطلقًا لسباق تسلح فيها، وينتج عنه امتلاك أكثر من طرف سني في المنطقة خلال وقت وجيز سلاحًا نوويًا، فقد أعلن السعوديون أنهم سيحصلون علىٰ قدرة نووية فيما إذا امتلكتها إيران، فيما لمح المصريون إلىٰ أمر مماثل، وقالت جهات تركية الشيء ذاته لمعاوني عدد من أعضاء الكونجرس الأمريكي. بناء علىٰ ذلك فإن السلاح النووي سيكون قريبًا إلىٰ أيدي التنظيمات الإرهابية في هذه الدول السنية، لتكون حملة التسلح النووي في الشرق الأوسط نهاية ميثاق منع انتشار السلاح النووي في العالم، والذي يعد من الإنجازات القليلة للنظام الدولي في مجال منع انتشار هذا السلاح. وحينها سيتحول الشرق الأوسط، وتحت المظلة النووية الإيرانية، إلىٰ «جنة» للتنظيمات الإرهابية التقليدية التي لن تتردد في استخدام أسلحتها؛ إذ ستعلم أن العالم سيتردد كثيرًا قبل أن يعمل ضدها في بيئة يحتمل فيها حدوث مواجهة نووية، وسيسفر ذلك عن غرق

المنطقة بأسرها في مستنقع من العنف الممارس تحت مظلة نووية تقضي علىٰ أي قدرة للعمل ضد العناصر الراديكالية بالمنطقة.

يوضح كل ما سبق، أن إيران النووية -حتىٰ لو استبعدنا الحساسية الإسرائيلية من ذلك-، ستمثل بالنسبة إلىٰ المنطقة والعالم تهديدًا أشد بكثير من نجاح تنظيم الدولة الإسلامية، رغم دمويته الشديدة والمثيرة للاشمئزاز.

إن ما سبق وأن استعرضناه، هو بمثابة مثال للتحليل الذي من المهم والأجدىٰ القيام به للتركيز حول مكافحة العناصر الأكثر خطورة والتي من شأنها أن تتطور في ظل الصراع الدائر في المنطقة، وذلك من خلال إدراكنا أنه لا يمكن التغلب علىٰ كل مشاكل المنطقة.

المعاني المستخلَصة لإسرائيل

تقف دولة إسرائيل في هذا البحر الهائج مثل الجزيرة المعزولة، ففي المنطقة المترامية الأطراف والممتدة من مضيق جبل طارق حتىٰ الهند، تقع إسرائيل كدولة ليست إسلامية وليست عربية، بل إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي تعد ديمقراطية وتعتمد علىٰ المجتمع المنفتح بأعمق معاني الانفتاح، وهو المعنىٰ الذي يمثله الفيلسوف كارل بوبر حول لفظ «الانفتاح».

وقد جرت العادة أيضًا علىٰ وصف تركيا كذلك بالديمقراطية، أما اليوم فقد بات واضحًا أنها مقولة إشكالية من حيث مطابقتها للواقع. كما أنه في الأونة الأخيرة كذلك أصبح البعض يشير إلىٰ تونس علىٰ أنها بصيص من نور في ظلام الديكتاتوريات القديمة والجديدة، ولكن رغم ما تمثله من أمل، يجدر اختبار صلابتها كديمقراطية علىٰ مدىٰ حقبة أطول من الزمن، ولا شك أنها في الوقت الحاضر لا تمثل نموذجًا يحتذىٰ به لأية دولة أخرىٰ في المنطقة.

تعد قدرة إسرائيل علىٰ تغيير مجريات الأمور في المنطقة محدودة جدًا، فهي عاجزة عن تغيير الشرق الأوسط بالقوة العسكرية، كما لن يكون لأي اتفاق بينها وبين الفلسطينيين تأثير علىٰ ما يجري بالمنطقة، علمًا بأن نزاع إسرائيل مع جيرانها القريبين لم يكن له تأثير علىٰ مجريات الأحداث المهمة في المنطقة أو علىٰ العوامل الرئيسة المساهمة في الزلزال الذي أحدثته الأزمة الخطيرة الحالية في الشرق الأوسط، لذلك لا يجوز تعليق شيء علىٰ حل هذا النزاع يتجاوز مجرد الحل نفسه، فاتفاق فلسطيني - إسرائيلي لن يخفف من النزاعات الأخرىٰ في المنطقة، ولن يحل أية من الخلافات المغذية للأحداث الجارية في المنطقة حاليًا؛ ذلك أن مثل هذا الاتفاق ليست له أية أهمية بالنسبة للعناصر المسببة لتمزق الشرق الأوسط، رغم أن هذا الاتفاق مُهِمًّا لإسرائيل والفلسطينيين إلا أنه ليس له تأثير يتجاوزهما.

مع ذلك، يتوجب علىٰ إسرائيل أن تكون يقظة ومنتبهة تجاه احتمال أن تفتح التغييرات في البيئة الشرق أوسطية أمامها إمكانات جديدة للتعاون مع عدد من جيرانها الذين يفضلون الوضع القائم علىٰ التغييرات الرادكيالية في المنطقة والذين يخشون من إيران نووية. إلا أن الطريق نحو تعاون علني كذلك لاشك أنه يمر بالضرورة عبر اتفاق يتم التوصل إليه مع الفلسطينيين، وهو اتفاق لا بد منه لا لكون أي من القادة العرب يعتقد بأنه مهم، أو كون القادة العرب يهمهم مصير الفلسطينيين، ولكن لا يستطيع أي منهم تجاهل الشارع، ولا سيما في مثل هذه الفترة التي أعقبت أحداث الربيع العربي، فالشارع، ولأسباب كثيرة، ما زال يعتبر القضية الفلسطينية رمزًا تتركز حوله مشاعر الكثيرين. لذلك فالفائدة الوحيدة التي سيجنيها الشرق الأوسط من اتفاق إسرائيلي/ فلسطيني ستتمثل في إتاحة فرصة لتغيير منظومة العلاقات العلنية التي تقيمها إسرائيل مع بعض الدول العربية.

من المحتمل أنه بعد عقد اتفاق فلسطيني/ إسرائيلي، وفي ظل فقدان ثقة دول بعض المنطقة بالولايات المتحدة، ستبدو إسرائيل القوية والمستقرة في نظر بعض دول المنطقة بمثابة نوع من أنواع «البديل» للقوة الأمريكية الآخذة في الاختفاء والتآكل، وفي هذه الحالة، وإذا تحقق نمو في التعاون مع هذه الدول، يحتمل أن تدعم مرحلة ما بعد الاتفاق الاستقرار في الشرق الأوسط، ولكن من المهم التأكيد أيضًا علىٰ أن أيًا من المشاكل الأساسية للمنطقة لن يتم حلها ولن تتأثر بالاتفاق الذي سيحل النزاع الطويل القائم بين إسرائيل والفلسطينيين.

وسواء تحقق الاتفاق أو لم يتحقق، لا يمكن لإسرائيل تجاهل ما يحدث علىٰ امتداد حدودها وما ورائها، لكونها تقع في قلب العالم العربي والإسلامي الكبير. ورغم تلاشي جزء هام من الجيوش النظامية التي ظلت تهدد إسرائيل منذ تأسيسها مثل الجيش العراقي، وجزء آخر من هذه الجيوش أصيب بضرر جسيم مثل الجيش السوري. إلا أنه يقبع علىٰ حدود إسرائيل قوىٰ من عالم الظلام الشرق أوسطي الهائج، ففي شبه جزيرة سيناء توجد قوات السلفيين المتشددين وبقايا الدولة الإسلامية، أما غزة فيوجد بها الجناح الفلسطيني المسلح للإخوان المسلمين وهو حماس وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. وفي لبنان فقد أنشأ الإيرانيون تنظيم

حزب الله الذي يُعد أقوىٰ تنظيم إرهابي في العالم، ويمتلك إمكانات عسكرية متقدمة تتمثل فيما يزيد عن مائة ألف صاروخ وقذيفة صاروخية إضافة إلىٰ صواريخ أرض - بحر والصواريخ المضادة للطائرات وعشرات الآلاف من المقاتلين المسلحين والمنظمين تنظيمًا جيدًا، الذين اكتسب بعضهم تجربته القتالية عبر قتاله في سوريا. وفي الوقت نفسه تشهد سوريا حالة من الفوضىٰ العارمة، حيث تسيطر علىٰ بعضها جماعات سنية متطرفة إلىٰ حد ما، يمثل أكثرها تطرفًا تنظيم الدولة الإسلامية، الذي أعلن الرئيس أوباما الحرب عليه، في حين أن نظام الأسد يصمد بفضل قوة التدخل الإيراني ومقاتلي حزب الله وبدعم روسي هادئ ولكنه فعال. ولكون الأسد يعتمد علىٰ حزب الله، يقوم بدعمه قدر الإمكان باعتباره جسرًا بينه وبين إيران وينقل إليه جانبًا من قدراته العسكرية الأكثر تقدمًا، كما يسمح لحزب الله بإنشاء منظومة عسكرية جديدة له -أي للحزب- أمام إسرائيل في هضبة الجولان، وبالتالي فإن إسرائيل محاطة بتنظيمات إرهابية تملك القدرات الهجومية غير القليلة من جميع جوانبها تقريبًا.

ومع أن قدرات هذه التنظيمات القتالية والعسكرية قد لا ترتقي إلىٰ مستوىٰ قدرات الجيوش النظامية (ويمثل حزب الله استثناء من هذه الناحية فيما يتعلق بقوته الحربية)، ولكن تستوجب طبيعة هذه التنظيمات، أن تأخذ إسرائيل في الحسبان ضرورة الانتقال من الحياة الطبيعية إلىٰ القتال خلال وقت قصير جدًا ودون استعدادات كثيرة، أي الاستعداد لوضع «المفاجأة».

ستواجه إسرائيل خلال السنوات القادمة، تنظيمات مسلحة غير سياسية ومتأهبة وذات قوة متزايدة، وعلىٰ من يقاتلها أن يضع في اعتباره ويستوعب الصورة الأوسع للشرق الأوسط وصعود الإسلام الراديكالي. وسيوضح مثل هذا الاستيعاب -علىٰ ما يبدو- أن الحديث لا يدور حول حرب تبدو في نهايتها مشاهد الدمار والسلاح في ساحة القتال دليلًا علىٰ هزيمة الطرف الآخر، بل إننا بصدد صراع «عبثي» تختبئ من خلاله عناصر التنظيمات الارهابية المسلحة في أوساط المواطنين المتعاطفين مع الإرهاب أو المهتمين به، ووجود مثل هذه العناصر من شأنه تعقيد عملية القتال بهم كما من شأنه النيل من قدرة جيش الدفاع الإسرائيلي علىٰ العمل بلا معوقات.

من الجدير بالذكر أيضًا، أنه رغم كثرة الاختلافات بين شتىٰ التنظيمات الارهابية،

ورغم كون بعضها يعتبر البعض الآخر عدوًا له، بل يكون علىٰ استعداد لتدميره، إلا أن التنظيمات الإسلامية الراديكالية جمعيها لها قاعدة مشتركة، وهي: «أن الإسلام يجب أن يحكم العالم»، أما الجدل بينهم، والذي قد يصل لدرجة قتل بعضهما الآخر، فيدور حول مسألة ما هو هذا الإسلام الذي يجب أن يسود. وتتوحد معظم هذه الجماعات حول هذه القاعدة المشتركة حول سيادة الإسلام، كما تتوحد أيضًا حول كراهية إسرائيل (وليس إسرائيل وحدها)، بل تجعلها في بعض الحالات علىٰ استعداد لوضع الصراع الدائر فيما بينها جانبًا ودعم بعضها لبعض في القتال ضد إسرائيل، والبقاء في الوقت نفسه علىٰ طرفي الخلاف حول الإسلام.

وعلىٰ هذا النحو تستطيع إيران التي تقتل هذه الأيام السنة في سوريا والعراق وبلوشستان، بناء تنظيم الجهاد الإسلامي السني وإرسال ما تستطيع من الدعم إلىٰ حماس تلك الحركة السنية الراديكالية. وهكذا تجد المقولة العربية «أنا ضد أخي وأنا وأخي ضد ابن عمي وأنا وأخي وابن عمي ضد الجيران» معنىً تنفيذيًا علىٰ أرض الواقع، فالجميع تقريبًا يوحد قواه ضد الغرب وإسرائيل، رغم ما يكنه كل طرف من كراهية للآخر ورغم استعدادهم لقتل بعضهم بعضًا في المواقع التي يتنافسون فيها علىٰ الهيمنة، لأن ما يوحدهم أقوىٰ مما يفرقهم حالما يتعلق الأمر بعدو من خارج الإسلام، ولأن في نظرهم جميعًا «الإسلام هو الحل».

تُعد إسرائيل شاءت أم أبت، دولة غربية من حيث كافة عناصرها تقريبًا، لذلك ينظر إليها معظم سكان المنطقة علىٰ أنها عنصر دخيل استعماري مدعوم من العالم الآخر المعادي، الديمقراطي الليبرالي، والذراع الطولىٰ للغرب بقيادة الولايات المتحدة، وكما يقول الإيرانيون، فهي «الشيطان الأصغر» الممثل «للشيطان الأكبر».

علاوة علىٰ ذلك فإن غالبية الإسرائيليين يرغبون في البقاء علىٰ حالهم ويرفضون التشبه بجيرانهم من العرب، رغم أن هذا الأمر يفرض علىٰ إسرائيل قيودًا غير سهلة في سلوكها في أوقات السلم والحرب، وهو أمر جيد في رأيي المتواضع. ولكن لا يجوز نسيان حقيقة أن إسرائيل لن يكون لها مكان في عالم وحشي يستخدم فيه أعداؤها سلاح القرن الواحد والعشرين لكن وفقًا لقواعد وسلوك القرن السابع، فسوف تُدمَّرُ إسرائيل في حال فقدت شيئًا من قوتها أو فقدت إصرارها وجديتها

لاستخدام هذه القوة. وسيمر الكثير من الوقت وعدد غير قليل من الحروب، حتىٰ يمكن تطبيق القواعد الأوروبية الحالية أو قواعد العلاقات التي تربط بين كندا والولايات المتحدة في الشرق الأوسط، من دون أن تحدث «كارثة».

قال لي مؤخرًا أحد قادة الدول الغربية الذي ترك منصبه، «إنه -وإن لم يكن يقول ذلك علنًا لمواطني بلاده- مدرك لكون إسرائيل تقف في جبهة صراع العالم الديمقراطي العصري ضد قوىٰ الإسلام الراديكالي»، وهو إدراك سليم تنشأ عنه استنباطات عملية، تتمثل في أن ثمة أهمية كبرىٰ لقوة السيف الإسرائيلي والاستعداد لاستخدامه علىٰ السواء، وذلك ليس من أجل إسرائيل وحسب، حتىٰ وإن كانت الدول الديمقراطية في العالم غير مستعدة للاعتراف بهذا الفضل الإسرائيلي علىٰ العالم الغربي الديمقراطي.

لن يكون للاتفاقات التي سوف تتوصل إليها إسرائيل وتوقع عليها، معنىٰ عملي في العالم الذي يتم نسجه حاليًا في الشرق الأوسط، إذا لم يكن لإسرائيل القوة اللازمة للدفاع عن هذه الاتفاقات، بل أكثر من ذلك، إن التطورات الجارية مثل تزايد قوة القوىٰ الإسلامية الراديكالية، مثل تنظيم الدولة الإسلامية أو امتلاك إيران لقنبلة نووية، من شأنها أن تجعل الاتفاق مع الفلسطينيين «اتفاقًا إشكاليًا» عن حق، وفي مثل هذه الحالات تزداد كثيرًا فرص كون من يوقع علىٰ الاتفاق ليس هو بالذات من يحكم الأرض في نهاية المطاف ويحدد الموقف من إسرائيل. من الممكن، بل من المعقول أن تكون أكثر العناصر راديكالية هي من يحكم الضفة الغربية وغزة أيضًا سواء بشكل مباشر أو عبر مخالب قُط، وستكون هذه العناصر هي من يحدد قواعد السلوك مع إسرائيل.

يجب إذن أن يعتمد أي اتفاق مع الفلسطينيين علىٰ إدراك أنه ليس بوسع من يوقع علىٰ الاتفاق أو أي جهة أخرىٰ ضامنة له، منع توجه الفلسطينيين أيضًا نحو التطرف الإسلامي.

لقد انتصرت حماس في انتخابات حرة أجراها الفلسطينيون في عام ٢٠٠٦، وليس ثمة ما يدفع إلىٰ الاعتقاد بأن قوتها قد وهنت منذ ذاك الحين، بل بالعكس، يظهر أنها ازدادت قوة. وحتىٰ لو تم انتخاب خلف لأبي مازن من ضمن رجاله وأنصاره، فلن

يستطيع أحد ضمان قوة السلطة الفلسطينية وقدرتها علىٰ الصمود بوجه موجة الإسلام الراديكالي التي قد تقود إلىٰ حُكم في الضفة الغربية أكثر تطرفًا حتىٰ من حُكم حماس في غزة.

وتحسبا لسيناريو محتمل يتضمن حكمًا راديكاليًا في رام الله، التي تقع علىٰ مرمىٰ قذيفة هاون من مقر الكنيست في القدس، يجب أن تكون الوسائل الأمنية التي سيتم اتخاذها كجزء من الاتفاق مع الفلسطينيين شديدة الصلابة، علمًا بأن هذه المخاوف لم يحسب لها حساب في اتفاقات أوسلو، الأمر الذي قاد إلىٰ حالة تمكن فيها الفلسطينيون الواقعون تحت السيطرة الفلسطينية في الضفة الغربية، من قتل نحو ١٢٢ مواطنًا إسرائيليًا خلال شهر واحد من عام ٢٠٠٢؛ إذ لم تستطع إسرائيل تغيير الموقف قبل أن تعيد احتلال عموم الضفة الغربية مع بقاء السيطرة المدنية علىٰ الفلسطينيين في المنطقة لدىٰ السلطة الفلسطينية. وبالتالي لا يجب علىٰ إسرائيل أن تكرر تلك الأخطاء التي ارتكتبتها في علاقتها مع الفلسطينيين مستقبلًا مرة أخرىٰ.

ورغم أن اتفاقًا لا يلوح في الأفق، إلا أن علىٰ إسرائيل مواصلة محاولتها للتوصل إليه، ولا توجد طريق سهلة إلىٰ ذلك، كما أن الخلاف في الرأي بين إسرائيل والفلسطينيين لن يزول بسحر ساحر أو مقابل تنازل إسرائيلي حول مسألة أو أخرىٰ؛ فالمشكلة الرئيسة التي تشغل بال الفلسطينيين ليست ما احتل عام ١٩٦٧ والسيطرة الإسرائيلية علىٰ الضفة الغربية، فهم لا يقبلون بنتائج المواجهة التي أعقبت قرار الامم المتحدة سنة ١٩٤٧، ولا يقبلون بوجود إسرائيل داخل حدود وقف إطلاق النار لعام ١٩٤٩، إذ يتضح أن صيغة «الأرض مقابل السلام» كانت وهمًا، وليست هي لب القضية الفلسطينية فيما يتعلق بالنزاع، إنما هو وجود دولة يهودية في منطقة يعتبر الفلسطينيون أنها وطنهم، أي إن يافا وطبريا وصفد تحت الحكم الإسرائيلي أمر لا يتقبله الفلسطينيون أكثر من من عدم تقبلهم حواجز جيش الدفاع الإسرائيلي في مشارف الخليل أو نابلس.

لذلك يجب علىٰ الفلسطينيين أولًا استيعاب حقيقة استمرار إسرائيل في البقاء باعتبارها الدولة القومية للشعب اليهودي، ويجب علىٰ اللاجئين الفلسطينيين أن يقبلوا بحقيقة عدم رجوعهم إلىٰ إسرائيل، بل أكثر من ذلك، فعلىٰ خلفية الشرق الأوسط

الهائج والمتطرف في معظم أجزائه، ورغم ما ينطوي عليه الأمر من حساسية وصعوبة، فإنه ينبغي علىٰ الفلسطينيين إدراك أن جزءًا من ضمان أمن إسرائيل مشروط بانتشار جيش الدفاع الإسرائيلي في بعض المناطق الحيوية، وهي المناطق التي سيسفر تواجده فيها بالضرورة عن عزل حقيقي بين العالم العربي والدولة الفلسطينية، وإذا لم يحدث ذلك، فإن إسرائيل بتوقيعها علىٰ اتفاق وجلائها عن مناطق معينة، تكون ساعدت علىٰ بناء قوة متطرفة خطرة علىٰ مقربة من تجمعاتها السكانية، وهي القوة التي سوف تستغل الاستقلال الفلسطيني في بناء قدرات إرهابية هدفها تدمير إسرائيل. فمن غير المعقول افتراض أنه بجوار إسرائيل سيزدهر الكيان العربي الوحيد الذي سيكون ديمقراطيًا داعيًا للسلام.

من الممكن بعد جيل أو اثنين إعادة النظر في ضرورة وجود قوات إسرائيلية بمناطق فلسطينية معينة، أما اليوم، وعلىٰ خلفية الشرق الأوسط الحالي، فهي ضرورة لا مفر منها، وكما أسلفنا فإن مثل هذا الاتفاق مع الفلسطينيين لن يخفف من خطورة أي مسبب من مسببات أزمة الشرق الأوسط، ولكنه سيسمح لإسرائيل بتنمية علاقاتها مع عدد من دول المنطقة وحسب.

الخلاصة

كتب هنري كيسنجر في أحد كتبه[١]: «إن دوافع المواجهات في الشرق الأوسط تشبه الدوافع التي كانت في أوروبا بالقرن السابع عشر» . . . و«التي قادت إلىٰ حرب الثلاثين عامًا»، بمعنىٰ أن الشرق الأوسط يسلك نفس سلوك أوروبا قبل «صلح وستفاليا» الموقع عام ١٦٤٨م، وبعد حرب الثلاثين عامًا. بالتالي فإن الشرق الأوسط متخلف عن العالم الحديث أكثر من ثلاثمائة وخمسين عامًا فيما يتعلق بالحرب والسلام والعلاقات بين مختلف الدول والجماعات. ولكن العبرة ليست «كمية» تتمثل في عدد السنين، بل «كيفية» تتمثل في جوهر الأمور. ففي «صلح وستفاليا» رسمت الدول الأوروبية ذات الصلة صورة العلاقات بينها علىٰ أساس من الاعتراف بسيادة الدول واستثناء العنصر الديني من مجمل العناصر الحاسمة فيما يتعلق بإعلان الحرب. أما الشرق الأوسط فيسير في اتجاه معاكس، حيث تتحطم حدود الدول وتصبح السيادة لا معنىٰ لها، وتصبح الفوارق الدينية شديدة التأثير علىٰ العلاقات بين مختلف الجماعات، وتغلب في عدد ملموس من الأماكن علىٰ أي فوارق أخرىٰ، إذ تدور العديد من الحروب علىٰ خطوط التماس بين القبائل والفئات والديانات.

علاوة علىٰ ذلك، فإن التنظيمات غير السياسية تحل محل الدول في مناطق مختلفة من الشرق الأوسط، وحتىٰ في الدول التي تواصل السيطرة التامة ظاهريًا، تقوم تنظيمات قوية بإنشاء شبكات من الدعم الاجتماعي وجيوش لا تقل قوة عن الدولة.

وإن كانت مثل هذه الأوضاع ليست بالجديدة، إلا أنها ازدادت قوة بسبب ما يسمىٰ بـ«الربيع العربي»، ويعود ذلك أساسًا إلىٰ وهن العنصر السيادي وتعزيز القوىٰ المتفرقة في المجتمع العربي. وهذه الفوضىٰ تمثل عاملًا يبعد بشكل قوي عن التوصل إلىٰ

---

(١) Henry Kissinger, Does America Need a Foreign Policy? Toward a Diplomacy for the 21st Century, Simon and Schuster, New York, United States, 2001, p. 164-165.

نضج سياسي من طراز وستفاليا، فقد أنقذ «صلح وستفاليا» أوروبا من أن تصبح منطقة يعمها الدمار، لكن لا يُعرف من بإمكانه أن يقود الشرق الأوسط إلىٰ مثل هذا الصلح ومتىٰ سيحدث ذلك.

إذن إلىٰ أين يسير الشرق الأوسط؟

من الصعب جدًا الإجابة علىٰ هذا التساؤل في ظل الفوضىٰ السائدة في الشرق الأوسط، وكما قال البروفسور يوسيف دان عن مجمل الظواهر في عالم الطبيعة والمجتمع البشري فيما يتعلق بـ «مفهوم الفوضىٰ»: «ثمة أسباب، ولكن نتائجها لا يمكن التنبؤ بها بدقة، حيث تتطور من نظام قليل العناصر إلىٰ نتائج متنوعة تنوعًا لا متناهيًا، ليس من الممكن التنبؤ بها بدقة»[1].

واضح من ذلك أنه من الواجب التحلي بالتواضع فيما يتعلق بقدرتنا علىٰ تقدير التطورات المستقبلية في المنطقة، بمعنىٰ أنه حتىٰ لو امتلكنا معلومات جيدة ومفصلة حول مختلف مسببات الوضع الحالي، فإنه لا سبيل إلىٰ معرفة ماذا سيحدث من الآن فصاعدًا. علاوة علىٰ أن التدخل الخارجي في أحداث الشرق الأوسط قد يؤدي إلىٰ ظواهر مختلفة متنوعة لا تخطر اليوم ببال أحد، ومنها مثلا أن مهاجمة تنظيم الدولة الإسلامية من قبل التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة والتعاون العملي علىٰ الأرض بين الميليشيات الشيعية والولايات المتحدة قد يفضيان إلىٰ توحيد للقوىٰ السنية التي ستعتبر الولايات المتحدة عدوًا لجميع السنة، وأن الولايات المتحدة انحازت إلىٰ طرف من أطراف أقدم صراع في المنظومة الإسلامية، وهو الصراع بين الشيعة والسنة، ذلك أن امتناع الولايات المتحدة عن مهاجمة الأسد، وهو العلوي الذي قتل عشرات الآلاف من السنة واستخدم ضدهم الغاز، يبدو للعديد من السنة غير معقول وغير منصف، إذا قورن باعتداءات الدولة الإسلامية التي قتلت عددًا أقل بكثير. كما أن التعاون مع إيران أو مع ميليشيات شيعية ضد الدولة الإسلامية من شأنه أن يزيد هذا الشعور لدىٰ السنة عُمقًا، لكون الشيعة لا يُعتبرون مقاتلي الدولة الإسلامية وحسب بل أي سني من سنة العراق عدوًا محتملًا، لا بل إنهم يعملون وفق

---

(١) يوسيف سدان، نظرية الفوضىٰ ومعرفة التاريخ، دار دافير للنشر، تل أبيب، ص ١٧.

هذه القاعدة في جميع الأراضي المأهولة بالسنة. وفي المقابل سيحاول السنة توحيد الصفوف في مواجهتهم، إن لم يكن حبًا في الدولة الإسلامية، فسيكون كرهًا للشيعة.

إن هذا الشعور بالاضطهاد لدىٰ السنة قد يغير موازين القوىٰ في المنطقة لصالح التنظيمات السنية المتطرفة من أمثال الدولة الإسلامية، وذلك بما يتعارض تمامًا مع ما ترمي إليه الولايات المتحدة. علاوة أن ذلك علىٰ المدىٰ البعيد قد يؤدي إلىٰ صراع واسع المدىٰ ضد الولايات المتحدة، رغم أن الكثير من الدول السنية تؤيد الولايات المتحدة ومُؤيدة من قبلها أيضًا. وهذه هي مجرد احتمالات بعيدة لكنها ممكنة في آن واحد، فلم يكن يفكر فيها أحد حينما تمت مهاجمة تنظيم الدولة الإسلامية لوقف مخاطِره، ففي الأحداث التي وقعت مؤخرًا في المنطقة حدثت أحيانًا أحداث كان احتمال وقوعها قليلًا.

السؤال المهم من الناحية التاريخية هو هل سيشهد القرن القادم في الشرق الأوسط صراعًا ممتدًا لسنوات بين الإسلام الراديكالي من جهة، وبين الغرب الديمقراطي وبعض الدول الأقل ديمقراطية ولكنها وطن لأقليات إسلامية (مثل الصين وروسيا)، وصراعًا من جهة ثانية، بين الشيعة والسنة، وما إلىٰ ذلك من عمليات إبادة متبادلة ضمن الصراعات المميزة لكل منطقة، أم أن الأحداث التي تقع أمام أعيننا اليوم والتي تبدو صراعات مريرة تدور حول مستقبل المنطقة، ليست سوىٰ حدث عابر تخرج المنطقة بعدها من الأزمة نحو حقبة أكثر تفاؤلًا، وهو ما إذا تحقق فعلًا، فستكون هذه الأحداث التي تمر بها المنطقة بمثابة الأنفاس الأخيرة لقوىٰ الشر قبل أن تكون قد اختفت من المنطقة والتي ستزداد حرية واستقرارًا وأمانًا؟.

وفي الحالتين لا يمكن فهم ما يجري دون استيعاب كون جميع الأحداث الحالية في الشرق الأوسط ذات طابع معقد، ساهمت في تكوينها قوىٰ تسببت في توتير العلاقات بين السنة والشيعة قبل مئات السنين، وبين قوىٰ الإسلام الراديكالي الذي يبحث عن موقعه من العالم ضد قوىٰ أخرىٰ تنحو نحو الحداثة الاجتماعية وذات ولاءات محلية حلت محل الانتماء للدولة الذي فقد تمامًا تأثيره، أو خسر بعض قوته، وقوىٰ سياسية تحاول الإبقاء علىٰ الوضع القائم والحفاظ علىٰ مكانتها.

وكما قلنا سابقًا، **فإنه من الصعب تحديد من سيخرج في نهاية المطاف من كل هذه الصراعات المركبة، ووفقًا لتقديري وبناء علىٰ تجارب سابقة، فإن التقدير المرتسم -مع الأسف- هو تقدير ينحو نحو اتجاه أكثر تشاؤمًا.**

(١١)

أوديسا القاعدة والجهاد العالمي

تأليف

يورام شفايتسر وأفيف اورج

معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي، تل أبيب، يناير ٢٠١٤

ترجمة

أحمد البهنسي



فهرس

التعريف بالمعهد (الناشر) INSS

هو معهد تابع لجامعة تل أبيب عام ٢٠٠٦، ومع ذلك هيئة مستقلة غير حزبية، ومستقل في الآراء التي تعكسها الأبحاث والدراسات التي ينشرها، ووضع له هدفين أساسيين، **الأول**: عمل أبحاث، تتوافر بها المعايير الأكاديمية العليا، وتتعرض لمجالات الأمن القومي لإسرائيل، والشرق الأوسط، والمنظومة الدولية. **والثاني**: المساهمة في النقاش العام والعمل الرسمي فيما يتعلق بالموضوعات التي تقف -أو المقرر أن تقف- علىٰ رأس أولويات الأجندة الأمنية لدولة إسرائيل.

بالنسبة للجمهور الذي تستهدفه أنشطة المعهد فيتمثل في مستوىٰ صناع القرار، والمنظومة الأمنية، وصناع الرأي العام في إسرائيل، إضافة إلىٰ المؤسسات والهيئات الأكاديمية العاملة في مجال الأمن سواء في إسرائيل أو في العالم، علاوة علىٰ الجمهور العادي المهتم بمجالات بحث المعهد.

يعتمد المركز علىٰ مجموعة من الباحثين والخبراء من ذوي الخبرات المختلفة في المجالات الأكاديمية والأمنية والعسكرية والحكومية، وذلك بهدف المساهمة في النقاش الجماهيري والحكومي حول المسائل الاستراتيجية المركزية، وتقديم توصيات فيما يتعلق بالسياسات التي ينتهجها صناع القرار وصناع الراي العام سواء في داخل إسرائيل أو خارجها.

إضافة إلىٰ المجالات التقليدية التي يعمل بها المركز مثل الدفاع والأمن والسياسة، فقد وسع من مجالات عمله البحثي لتشمل أيضًا مجالات عمل وموضوعات «أقل تعقيدًا» تتعلق بالأمن القومي، مثل الرأي العام، والعلاقات بين المجتمع والجيش والعلاقات بين المستويين العسكري والمدني.

التعريف بالمؤلفيّن

يورام شفيتسر Yoram Schweitzer : هو باحث كبير بمعهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي ورئيس مشروع الحرب ضد الإرهاب بالمعهد، انضم لطاقم الباحثين بالمعهد منذ العام ٢٠٠٣، وكان قبل ذلك يعمل بجهاز المخابرات الإسرائيلية، كما تولىٰ منصب مستشار الشؤون الاستراتيجية والحرب ضد الإرهاب في مكتب رئيس الوزراء ومكتب وزير الدفاع، كما تولىٰ منصب رئيس وحدة الحرب ضد الإرهاب الدولي بالجيش الإسرائيلي، كما كان عضوًا في اللجنة الخاصة حول الأسرىٰ والمخطوفين الإسرائيليين، التي شكلها رئيس الوزراء الإسرائيلي.

يحمل شفيتسر شهادة الماجيستير في التاريخ العسكري ودبلومة في نفس التخصص من جامعة تل أبيب، وله الكثير من المنشورات حول الإرهاب الدولي وحقل اختصاصه هو تنظيم القاعدة وإرهاب الانتحاريين، ومن بين منشوراته القاعدة وعولمة إرهاب الانتحاريين. نشر في عام ٢٠٠٥.

أفيف أورج Aviv Oreg : باحث ومحلل سياسي ومترجم إسرائيلي، حاصل علىٰ بكالريوس في دراسات الشرق الأوسط من جامعة تل أبيب، وماجستير في الشؤون الدولية في أطروحة عن الإرهاب الدولي من كلية كوينيز بنيويورك بالولايات المتحدة، وقد تخصص في العامين الأخيرين في قضايا الإرهاب الدولي لاسيما ما يتعلق بتنظيم القاعدة. ومن المتوقع أن ينتهي من كتاب حول «القاعدة» سينشر العام القادم.

مُقدِّمة

وضعت الهجمات الإرهابية للقاعدة علىٰ الولايات المتحدة في سبتمبر ٢٠٠١، الإرهاب العالمي كمشكلة مركزية علىٰ أجندة متخذي القرار في دول كثيرة بالعالم، بل وحولته إلىٰ حجر اختبار ومقياس (Bench Mark) في منظومة العلاقات بين الولايات المتحدة وعدد من الدول رغم كون هذه الدول تحارب الإرهاب.

لقد تحول الإرهاب العالمي إلىٰ لاعب أساسي ومؤثر ومزعج متجاوز الحدود منذ سنوات الستينيات وحتىٰ السبعينات والثمانينات من القرن الماضي مع ظهور جماعات إرهابية قومية ظلامية من اليسار المتأثر بأيديولوجيا ماركسية - لينينية قام بشن هجمات إرهابية. لكن بعد هجمات سبتمبر ٢٠٠١ اتضح مدىٰ تأثير الإرهاب علىٰ منظومة العلاقات الدولية وعلىٰ الأمن والاستقرار والسلام العالمي ومدىٰ التهديد الذي يمثله علىٰ الأمن العالمي وعلىٰ عدد كبير من الدول. وكانت الأهمية الخاصة التي ميزت هذه الهجمات الإرهابية أنه تم شنها في قلب الولايات المتحدة وسببت الكثير من الدمار وقتلت الكثير من الأشخاص باستخدام مجموعة من الأشخاص الانتحاريين، وذلك بشكل غير مسبوق، وقد تسللت المشاهد المصورة للهجوم إلىٰ كل بيت في العالم وتم تكرار المشاهد أكثر من مرة سواء في الأخبار أو الأفلام التسجيلية أو الأفلام السينمائية التي تعرضت للهجوم أو للتنظيم الذي نفذه، وهو ما تم ربطه بإمكانية شن هجمات أخرىٰ ومتكررة كلما أراد تنظيم القاعدة ذلك، وبهذا نجح تنظيم القاعدة في إحداث موجة من عدم الاستقرار بسبب الهجمات المكثفة التي كان لها تأثير اقتصادي ومعنوي وأعطت للإرهاب العالمي صورة دموية غير مسبوقة وأنه يهدد العالم بأن يغرقه في أنهار من الدماء.

لقد جرّت هجمات القاعدة الولايات المتحدة وحلفائها إلىٰ أعمال عسكرية كبيرة ومستمرة في الشرق الأوسط في كل من أفغانستان والعراق، وقد استلزمت هذه

العمليات الكثير من الموارد الاقتصادية الكبيرة، كما كلفت الكثير من أوراح الجنود والمواطنيين الأمريكين الذين قُتلوا إما في المعارك بالدول التي حاربت بها الولايات المتحدة أو نتيجة الهجمات الإرهابية.

علاوة علىٰ ذلك، فإنه خلال السنوات التي أعقبت الهجوم الإرهابي علىٰ الولايات المتحدة، كانت مكافحة الإرهاب هي العمل المشترك الذي جمع الكثير من الدول المشاركة به، إذ أنه في السنوات الأخيرة بدأت تتعالىٰ الأصوات الناقدة من بعض الدول التي دفعت ثمنًا غاليًا نتيجة مشاركتها في الحرب ضد الإرهاب، وحتىٰ من بعض الدول الغربية التي شاركت جيوشها في عدد من العمليات العسكرية ضد الإرهاب. فقد ظلت المخاوف من شن المزيد من الهجمات الإرهابية بعد أحداث ١١ سبتمبر موجودة في الكثير من الدول الغربية لسنوات طويلة بعد شن الهجمات، وبمدىٰ كبير أصبح الإرهاب واحدًا من التحديات المطروحة علىٰ أجندة الأمن العالمي.

لقد اضطر تنظيم القاعدة إلىٰ الدخول في حرب دفاعية لمواجهة الحرب التي شنت عليه والتي راح ضحيتها الكثير من قادته الذين إما قُتلوا أو تم اعتقالهم، وكان من بينهم قائد التنظيم نفسه أسامة بن لادن، الذي رغم محاولاته -أي محاولات بن لادن- الكثيرة إلا أن التنظيم لم يتمكن من شن هجمات كبيرة لمدة ثماني سنوات في أي من الدول الغربية، في مقابل ذلك فقد تبوأت مكان الصدراة في العمليات الإرهابية حركات حليفة للقاعدة تعمل في مناطق بعيدة إلىٰ جانب محاولات معدودة لشن هجمات في عدد من الدول الغربية، فالتنظيم بقيادة الظواهري بات يحتل مكان الموجِّه والمساعد والمدرب لمثل هذه الهجمات وليس المنفذ.

استمرت المعركة الدولية ضد الإرهاب لسنوات طوال كلفت المزيد من الدماء ومئات المليارات من الدولارات، كما فتحت باب التدخل الغربي في دول عشوائية تعتصرها صراعات داخلية محلية ذات طابع إثني وديني وطائفي. ووجدت الولايات المتحدة وحلفائها أنفسهم يطاردون جماعات ومنظمات وشبكات وأحيانًا نشطاء إرهاب منفصلين، والذين تمكنوا من الحصول علىٰ موارد هائلة من الوقت والمال والقوة البشرية بما زاد من التهديد الواقعي لهؤلاء النشطاء.

نجح تنظيم القاعدة في تشويش نمط الحياة في عدد كبير من البلدان الغربية والتي

اضطرت لوضع الكثير من العراقيل الأمنية نتيجة حجم الدمار الذي خلفته الأعمال الإرهابية، وهو الأمر الذي انعكس في عدة مجالات، **أولها**: وضع التنظيم أكبر قوة في العالم أمام تحدٍّ حقيقي وهدد أمنها، وذلك بعد أن تجرأ وهاجمها في عقر دارها وفي مناطق سيادتها بشكل مباشر وغير مسبوق سواء في قوته أو فيما ألحقه من أضرار. **ثانيها**: تسبب في تشويش نمط الحياة والإدارة في العالم وفي وسائل النقل المحلية والعالمية في عدد من بلدان العالم عقب هذه الهجمات وتهديده باستمرار في شن هجمات أخرىٰ. **ثالثها**: تحول التنظيم إلىٰ رمز عالمي، وزعيمه الأسطوري أسامة بن لادن إلىٰ نموذج قوي للتهديد العالمي من جانب، كما تحول من جانب آخر إلىٰ رمز ذي رفيع الشأن للكثير من الشباب المسلم، لما يقوم به بن لادن من صراع ضد الغرب. **رابعها**: جذبت أفكار القاعدة إليها الكثير من الشباب المسلم في جميع أنحاء العالم، لكن عددهم مقارنة بعدد سكان العالم الإسلامي يعد قليلًا جدًا. **خامسها**: أصبح التنظيم بمثابة المحرك لحركة ذات انتشار عالمي واسع تسمىٰ «الجهاد العالمي» وفي النهاية تمكن التنظيم من البقاء وذلك رغم الحرب العالمية التي شنت ضده لأكثر من عقد من الزمان، ورغم المجهودات والموارد التي بذلتها الكثير من دول العالم وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة من أجل هزيمته، والتي باءت جميعها بالفشل حتىٰ الآن.

رغم النجاح البارز للتنظيم؛ إلا أن أنشطته لم تنجح في إثناء الدول الكبرىٰ وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة في سحب قواتها العسكرية وتدخلاتها ببلدان الشرق الأوسط، بل العكس هو ما حدث، فقد أدت أنشطة التنظيم إلىٰ تعميق التواجد والتدخل للدول الكبرىٰ وفي مقدتها الولايات المتحدة في البلدان الإسلامية علىٰ مستوىٰ العالم، فالكثير من الدول انضمت إلىٰ الولايات المتحدة في حربها ضد التنظيم وكونت تحالفًا خوفًا من تحول الإرهاب إلىٰ تهديد عالمي يتجاوز الحدود ويهدد مواطني هذه الدول وأنه بات من الضروري بذل الكثير من المجهودات والموارد للقضاء علىٰ هذا التهديد من جذوره. كما أن طموحات تحكيم أنظمة إسلامية تسير علىٰ نهج الشريعة ونهج النبي والسلف لم تتحق حتىٰ الآن، وفي الواقع تسبب تنظيم القاعدة في إسقاط نظام حكم طالبان الذي حكم في أفغانستان وهو التنظيم الذي كان

الأول علىٰ مستوىٰ العالم الذي يحكّم الشريعة وهو نوع من أنظمة الحكم التي دعا إليها القاعدة.

رغم كل ما سبق، فإن الضعف الذي أصاب تنظيم القاعدة كتهديد إرهابي عالمي خلال السنوات الأخيرة، ليس مؤشرًا علىٰ أن المجهودات المبذولة لعدم عودة هذا التهديد قد تمت واكتملت، اذ أن فهم نوايا وقدرات هذا التنظيم وشركائه وتطوراتها خلال السنوات القليلة القادمة وتركيز المجهودات المختلفة لعرقلتها من شأنه أن يحجم بشكل كبير من قدرات التنظيم علىٰ الاستمرار والبقاء ومضيّه قدمًا في معركة الجهاد المعولم

إن انضمام صفوف من المتطوعين الجدد وبعضهم من بلدان غربية لحركة الجهاد العالمي إلىٰ ساحات القتال في عدد من الدول المتباعدة والهامشية، ومن ضمنها أفغانستان وباكستان والصومال ومالي واليمن، وخلال السنوات الأخيرة في سوريا، تعد تعبيرًا عن محاولات تحديث قدرات الجهاد العالمي، لذلك فإن من الضروري علىٰ الدول الغربية، وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة، أن تستمر في شن عمليات ضد الإرهاب في داخل بلدانهم نفسها من أجل إحباط محاولة شن هجمات عن طريق شبكات وخلايا إرهابية، ما يسمىٰ «الذئاب المنفردة»، والتي تتبنىٰ مفاهيم الجهاد المعولم.

إن فعالية الهجمات الاستباقية التي تشنها الدول الغربية والولايات المتحدة بالتوازي مع منح دعم اقتصادي وعسكري وأمني ومعلومات استخباراتية للبلدان الضعيفة التي تحارب القاعدة وشركائها في أراضيها، بالتزامن مع شن معركة عامة ومنسقة لتحجيم قوة الأيديولوجيا السلفية الجهادية الراديكالية، كل ذلك من شأنه أن يحدد إلىٰ مدىٰ كبير ما إذا كان الإرهاب العالمي الذي يعتنقه مؤيدو الجهاد العالمي سيعود ويرفع رأسه مرة أخرىٰ، أم سيظل في نفس المستوىٰ من التهديد الذي سبق الهجمات الإرهابية علىٰ الولايات المتحدة.

مدخل

بعد خمسة وعشرين عامًا من تأسيس تنظيم القاعدة وبعد إثني عشر عامًا من الهجمات الإرهابية للتنظيم علىٰ الولايات المتحدة في سبتمبر ٢٠٠١؛ تحول التنظيم وحلفاؤه إلىٰ هدف لهجمات التحالف الدولي للدول الغربية والعربية ودول أخرىٰ، والتي تبذل مجهودًا موحدًا وموارد كثيرة لهزيمة التنظيم.

رغم الضربات القوية التي تلقاها التنظيم، إلا أن القاعدة وشركائها من تنظيمات الجهاد العالمي نجحت في أن تبقىٰ، بل وأن تهدد الكثير من حياة المواطنين في أنحاء كثيرة من العالم. فعلاوة علىٰ الهجمات الإرهابية التي تحدث كل شهر في أنحاء مختلفة من العالم؛ فإن تأثير القاعدة وحركة الجهاد العالمي كلاعبين في منظومة العلاقات الدولية، ارتفع في السنوات الأخيرة وذلك خلافًا لحجم عددهم وقوتهم العسكرية. لذلك جاء النقاش المهم حول إشكالية تحول التنظيم الإرهابي لأحد النماذج والمُثل علىٰ مستوىٰ العالم، والتي أدت لولادة ظاهرة عالمية سميت بـ«حركة الجهاد العالمي»، خاصة في ظل الأوضاع الفوضوية الحالية بالشرق الأوسط، والتي تؤثر علىٰ النظام العالمي.

تحاول هذه الدراسة تفسير كيف أن تنظيمًا إرهابيًا واحدًا، قام بعدد قياسي من الأنشطة والأعمال، ونجح في تكوين ظاهرة عالمية عابرة للحدود، ونجح أكثر من أي عنصر إرهابي آخر في التاريخ الحديث في ضرب القوىٰ العظمىٰ الوحيدة وجعلها تتخذ خطوات أحادية الجانب، والتي كانت لها نتائج ثقيلة تمثلت في عدد المصابين وفي التكفلة الاقتصادية العالية للمعارك التي شنت ضد الإرهاب من جانب الولايات المتحدة وشركائها في كل من أفغانستان والعراق، كما تسببت كذلك في تآكل تدريجي في التأييد الشعبي للأعمال العسكرية التي تشنها الولايات في ساحات تشهد أزمات أخرىٰ ظهرت في مناطق مختلفة بالعالم.

إن امتناع الولايات المتحدة عن التدخل العسكري في مناطق شهدت أزمات مثل ليبيا ومالي والصومال وأخيرًا في سوريا، تعكس ذلك الواقع الجديد الذي يعتري الرأي العام الأمريكي، وهو ما أثّر علىٰ منظومة العلاقات الدولية ومكّن للاعبين دوليين آخرين مثل الصين وروسيا أن تحمل علىٰ عاتقها ثقلًا كبيرًا من المشاكل الدولية، وهذه التطورات مقلقة جدًا لاسيما فيما يتعلق باستمرار إيران في محاولاتها لامتلاك سلاح نووي.

تستعرض وتحلل هذه الدراسة ثلاثة مراحل مركزية تشكل «**أوديسا القاعدة والجهاد الإسلامي**»، والأحداث والعوامل التي وقفت وراء أن تتبوأ القاعدة قمة حركة الجهاد العالمي من لحظة إنشاء التنظيم علىٰ يد أسامة بن لادن وعدد من شركائه في سبتمبر ١٩٨٨م، مرورًا بالحرب التي وقعت في أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي وحتىٰ يومنا هذا.

نستعرض في الفصل الأول الخلافات الأيديولوجية التي صاحبت عملية إدارة التنظيم وقت بدأت تتبلور أفكاره ونظرياته واستراتيجياته العملية وعمل البناء التنظيمي اللازم لبلورة هذه النظريات والمفاهيم.

ووفقًا للوثائق التي تركها رجال التنظيم، يتضح أن طريق تنظيم القاعدة لم يكن واضحًا ومرسومًا من البداية وبدأ يتضح ويتبلور علىٰ مر السنوات خلال الأحداث والفترات المختلفة التي مر بها التنظيم.

وقد برزت نظريتان مختلفتان ومتضادتان حول طبيعة إدارة منظومة الجهاد؛ **الأولىٰ**: طالبت باستغلال النصر الذي تحقق في أفغانستان بهدف تدعيم «الجهاد المحلي» ضد «أنظمة عربية كافرة» في الدول الإسلامية المختلفة، خاصة الدول العربية في الشرق الأوسط، بهدف إسقاط الأنظمة الحالية وإقامة أنظمة بديلة تسير وفق الشريعة. أما **النظرية الثانية** فطالبت بتقديم الدعم للأنشطة الإسلامية المناضلة في «ساحات الجهاد» المختلفة في العالم، خاصة في البلدان الإسلامية التي تم احتلالها علىٰ مر السنين من جانب جهات غير إسلامية، وتوجد بها معارك بين المسلمين وغير المسلمين.

من جانبه حسم أسامة بن لادن الأمر حينما تبنىٰ في أواسط التسعينات نظرية ثالثة،

والتي وفقًا لها يجب تركيز القتال في إطار الجهاد العالمي علىٰ الساحة الدولية ضد «التحالف الصليبي - اليهودي»، بمعنىٰ الإضرار بالولايات المتحدة وحلفائها في جميع أنحاء العالم. فقد اعتبر بن لادن أن الإضرار بالولايات المتحدة من شأنه تغيير سياساتها في الشرق الأوسط ووقف دعمها لأعداء الإسلام في الداخل والخارج، بمعنىٰ إسقاط الأنظمة العربية الكافرة واستبدالها بأنظمة إسلامية تتبنىٰ الشريعة، وفي هذه الساعة حسم بن لادن الأمر باعتبار أنه قد حان الوقت لاتخاذ مجموعة إجراءات لشن حرب عالمية دينية بين الإسلام والتحالف الصليبي - اليهودي، وبذلك وضع القاعدة في طليعة المعسكر الذي سيتحرك ويقود هذه المسيرة في جميع أنحاء العالم.
من أجل تحقيق هذا الهدف ومن أجل إعادة عظمة الإسلام؛ قرر بن لادن أن يتحول تنظيم القاعدة من تنظيم تتمحور معظم أنشطته حول الدعم اللوجيستي لعمليات «الجهاد الداخلي» و«الحرب في ساحات الجهاد» وتقديم دعم محدود لعدد قليل من الأعمال الإرهابية علىٰ الساحة العالمية؛ إلىٰ تنظيم يبادر ويشن معركة واسعة ضد المصالح الأمريكية والغربية بشكل ديناميكي ومُركز.

تتعرض الفصول التالية من الدراسة للماضي القريب والحاضر لتنظيم القاعدة. فعلىٰ سبيل المثال نستعرض ونحلل تلك الظروف التي عمل فيها التنظيم خلال العقد الذي أعقب هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ علىٰ الولايات المتحدة وحتىٰ مقتل مؤسس وقائد التنظيم أسامة بن لادن علىٰ أيدي القوات الأمريكية الخاصة في ٢٠١١.

كما سيتم تحليل الأعمال والأنشطة الإرهابية التي خطط لها التنظيم وشركاؤه، والتي تم تنفيذ جزء منها خلال هذا العقد وذلك علىٰ خلفية تلك المعركة الهائلة التي تم شنها ضد التنظيم من طرف التحالف العالمي، وتلك الضربات القوية التي تم توجيها للتنظيم وشركائه.

أما الفصل الثالث، فإنه علىٰ خلفية الفوضىٰ الإقليمية في الشرق الأوسط والتغييرات الحادثة في دول العالمين العربي والإسلامي، وأيضًا علىٰ خلفية قتل واعتقال عدد كبير من قادة التنظيم وعلىٰ رأسهم بن لادن، فإنه سيتم التعرض بالتحليل في هذا الفصل للوسائل المحتمل أن يستخدمها الظواهري، الزعيم الجديد للتنظيم، من أجل بقاء التنظيم وتحقيق أهدافه خلال العقد الرابع للتنظيم منذ إنشائه، كما

سنعرض خريطة التهديدات الآنية لعناصر الإرهاب وسنحاول الاجابة عن التساؤلات حول الأنشطة المستقلبية والأهداف الاستراتيجية القادمة لتنظيم القاعدة وشركائه في السنوات القليلة القادمة.

يتمحور الفصل الأخير من الدراسة حول التهديد الذي مثّله تنظيم القاعدة وشركائه لسنوات لإسرائيل واليهود، وهل من المحتمل أن يستمر هذا التهديد في المستقبل؟. وفي النهاية يتم استعراض النتائج المستخلصة من التحليل حول تنظيم القاعدة وتهديداته وتطوراته المحتملة خلال السنوات القليلة القادمة، وتقديم بعض التصورات حول كيفية مواجهته.

شكر وتقدير:

نتقدم بالشكر الواجب لزملائنا من باحثي المعهد وعلىٰ رأسهم دكتورة عنات كوريست، مديرة الأبحاث، وموشيه جروندمان مدير المطبوعات، والدكتور جودي روزان، محررة اللغة الانجليزية، كما نقدم شكرنا للخبراء المشاركين في مشروع «الإرهاب والحرب في قوتهما المنخفضة» الذين يبذلون مجهودات مخلصة ويساهمون كثيرًا في عمليات البحث الجارية في إطار هذا المشروع.

الفصل الأول

الجهاد العالمي .. أيديولوجيا دينية وتطورات تاريخية

بدأت أيديولوجيا القاعدة وحركة الجهاد العالمي في التبلور بالفعل خلال ثمانينات القرن العشرين، وهي الأيديولوجيا التي تتكون من مزيج من النظريات والأيديولوجيات والتفسيرات والآراء التي تطورت علىٰ مر السنين لتتلاءم مع طبيعة الأنشطة المختلفة، سواء الداخلية أو الخارجية علىٰ الساحتين العربية والإسلامية. ومثل أية حركة في العالم، فقد احتوت أفكار التنظيم وشركائه علىٰ عدد من النظريات والأفكار المتنوعة والمتناقضة أحيانًا، ففي بعض الحالات الاستثنائية خاصة تلك المتعلقة بترجمة الأيديولوجيا وتحويلها إلىٰ أفعال عملية علىٰ أرض الواقع وللأجندة اليومية، تتسبب هذه التناقضات في توتر أيديولوجي داخل التنظيم وداخل العناصر المنتمية للعالم الإسلامي.

إن المصادر الأيديولوجية لتنظيم القاعدة ومعسكر الجهاد العالمي مستمدة من المدرسة الحنبلية والمدرسة الحنبلية الجديدة لتفسير الإسلام، والتي طورها تقي الدين ابن تيمية في القرن الرابع عشر الميلادي(١)، والتي تستند عليها حركة الإخوان

---

(١) يوجد في الإسلام أربعة مذاهب، تمثل مدارس التفسير الإسلامي المختلفة، وهي المذهب الشافعي والحنفي والمالكي والتي تعد المذاهب الأساسية والأكثر تأثيرًا علىٰ غالبية المسلمين السنة في العالم الإسلامي، أما المذهب الحنبلي المسمىٰ علىٰ اسم الإمام أحمد بن حنبل (٧٨٠-٨٥٥) هو الأقل من بين هذه المذاهب. وهذه المدرسة الأكثر تشددًا وتحفظًا والتي ينتسب إليها ما يسمون بالحنابلة والحنابلة الجدد، يمثلها تقي الدين بن تيمية ١٢٦٣-١٣٢٨، ويعد هو المذهب الأكثر تشددًا في الإسلام، إذ يتعاملون مع كل فقرة وعبارة بالقرآن أو الحديث (التوراة الشفوية) كما هي بدون إتاحة أية فرصة لتفسير أو رأي. وكان بن حنبل متشددًا جدًا في تفسيراته، واعتبر أن القرآن والحديث هما المصدران الأساسيان للقانون. ويؤيد المذهب الحنبلي تطبيق الشريعة كدستور للدولة، كما أن المذهب الحنبلي هو مصدر =

المسلمين التي أسسها حسن البنا في مصر عام ١٩٢٨ وكذلك الحركة السلفية[١] التي تطورت منها.

كانت من الأسباب القوية التي تقف وراء تطور هذه الحركات هو تسلل العالم الغربي للبلدان الإسلامية، والذي بدأ مع حملة نابليون العسكرية علىٰ المنطقة عام ١٧٩٨ والسيطرة الفعلية والثقافية علىٰ جزء كبير من معظم سكانه من المسلمين في المرحلة ما قبل - الكولونيالية[٢]. فعلىٰ سبيل المثال فإن المدرسة السلفية التي تمثلها حركة الإخوان المسلمين، ولدت من خلال الحاجة لإيجاد سبيل لمواجهة تحدي التواجد الغربي في المنطقة الإسلامية والذي ميز الشرق الأوسط خلال القرنين الماضيين، فالأيديولوجيا الخاصة بالإخوان المسلمين تتمثل في أن خلاص الإسلام وعلاج تراجعه أمام قوىٰ الغرب يتمثل في العودة إلىٰ مصادر الإسلام وتنفيذ كل أوامره وأحكامه سواء علىٰ المستوىٰ الشخصي أو علىٰ المستوىٰ السياسي.

مع ذلك، فإن الدعوة لمثل هذا التصرف لم تأت كفعل ثوري أو راديكالي، فحركة الإخوان المسلمين ومثيلتها الحركة السلفية التي جاءت في أعقابها[٣]، أكدتا علىٰ أهمية ممارسة أعمال الدعوة والتنمية الاجتماعية من خلال المنظومة السلطوية، ومن خلال التعاون مع الحكام والسلطات الرسمية والاعتراف بتواجدهم كجزء من عملية التغيير المطلوبة.

= الوهابيين وهو المذهب الوحيد في السعودية ومصدر القانون السعوذي الوحيد.
أنظر: آسف مكليح وشاؤول شاي (٢٠٠٩) من كأبول إلىٰ أورشليم، تل أبيب، ميتر، صفحة ٨٣.

(١) كلمة «سلف» بالعربية معناها «الآباء القدامىٰ،» وهذا المصطلح ينسب إليه الأصدقاء المخلصون «الصحابىٰ» للنبي محمد، الذين انضموا إليه في رحلة الهجرة من مكة إلىٰ المدينة، والتي ترمز إلىٰ تأسيس الإسلام. وفي التراث الإسلامي تشير هذه الجماعة «النبي وأصحابه من السلف» إلىٰ الجماعة المختارة التي عاشت حياة الطُهر، وهي نموذج للمحاكاة والتقليد لكل الطوائف الإسلامية فيما يتعلق بنمط حياتها الطاهر الذي يطمح إليه. والسلفية تحاول محاكاة نمط حياة السلف الأوائل وجوهر هذه الحياة الأساسي هو العيش وفق النمط الوارد في القرآن والحديث.

(٢) المقصود بشكل أساسي هو تجميد الإمبراطورية العثمانية (الإسلامية) التي سيطرت علىٰ كل أجزاء الشرق الأوسط، لمئات السنين، وهو ما أدىٰ إلىٰ تفككها وفقدانها الكثير من الأجزاء التي سيطرت عليها لصالح القوىٰ الاستعمارية الكبرىٰ التي ظهرت في الغرب (بريطانيا، فرنسا، روسيا) حتىٰ انهارت هذه الإمبراطورية نهائيا عام ١٩١٧.

(٣) مثال حزب التحرير، وحركة التبليغ ومدرسة ديأبوندي بشبه القارة الهندية.

فقد رأىٰ مؤسس الحركة حسن البنا في النظام السياسي والديني الشرعي أمرًا مهمًا؛ فوفقًا لطريقة البنا فإن الإسلام بدون قائد سياسي وديني هو أمر غير ممكن، فقد أيّد البنا بعض الأفكار المهمة التي كُتبت في دستور الدولة العلمانية، مثل الحفاظ علىٰ الحريات الشخصية، وأساس التعاون مع مجلس الحكماء (الشورىٰ) والتزامات الحاكم تجاه شعبه، والفصل بين السلطات[1].

رغم أن شعار الإخوان المسلمين حدد أن القرآن هو الأساس التشريعي الأوحد والوحيد؛ إلا أن البنا رأىٰ أن بعض الأفكار العالمية هي جزء من فكر مصدره الإسلام، وقال بضرورة استثمار المنظومة البرلمانية المصرية حتىٰ إن لم تشتمل علىٰ أحزاب سياسية، كما آمن البنا أنه من أجل تغيير الوضع القائم ووفقًا لما سبق إليه النبي؛ فإن سلطة الإسلام تحتاج إلىٰ فرض الجهاد، مع ذلك، ووفقًا لنظرية البنا والإخوان المسلمين فإن هذا الفرض موجه فقط ضد «العدو الخارجي»، ذلك العدو الذي سيطر علىٰ مناطق كانت في الماضي تحت سلطة المسلمين ويجب طرده، لكن لا يوجد في أية حالة جهاد داخلي ضد الحاكم المسلم، وهذه النظرية تشير إلىٰ أن البنا لم يكن إرهابيًا اتخذ العنف سبيلًا ضد النظام الحاكم في مصر، إلا أنه حرك الإخوان المسلمين لإرسال قوات عسكرية للقتال في حرب ١٩٤٨ وبعد ذلك ضد القوات البريطانية في قناة السويس عام ١٩٥٦[2].

تطورت في مصر خلال ستينيات القرن العشرين، وعلىٰ قاعدة أيديولوجيا الحركة السلفية بقيادة الإخوان المسلمين، التي اعتنقت أفكار الإسلام السياسي، تطورت وتنامت أيديولوجيا متشددة وعنيفة جدًا، وهي «السلفية الجهادية». وكان المُنظّر الرئيسي لهذه الأيديولوجيا الجديدة المصري سيد قطب، الذي خرج بداية الستينات ضد سلبية حركته، الإخوان المسلمين، ودعا إلىٰ مزيد من التفعيل الذي يشتمل علىٰ عنف وجهاد متشدد[3]، بهدف تطهير المجتمع الإسلامي وإعادة مكانة الإسلام لما

---

(١) أوليفيا كارا، من البنا حتىٰ قطب، مجلة زمانيم، تل ابيب، العدد ٣٢ خريف ١٩٨٩، ص ٤٩.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٩-٥٠.

(٣) أفكار قطب كانت غامضة ولم تدع بشكل مباشر للجهاد، لكنها تركت مكانًا واسعًا للمزيد من التفسيرات خاصة من قبل أنصاره «القطبيين» لتطوير أفكار الجهاد الداخلي العنيف ضد النظام الكافر.

كانت عليه خلال عصوره الذهبية.

رغم وجود رابط أيديولوجي بين البنا وقطب، ونظرًا لأن كليهما عمل علىٰ تحقيق أفكار الإسلام السياسي والاجتماعي[1]؛ إلا أن جهاد سيد قطب وأنصاره هو جهاد داخلي موجه قبل أي شيء ضد الحكام المسلمين العلمانيين الكافرين[2]. ففي كتابه «فرسان تحت راية النبي» وقف الدكتور أيمن الظواهري[3] (طبيب مصري وأحد قادة تنظيم القاعدة وخلف بن لادن في قيادة التنظيم في يونيو ٢٠١١)، وقف علىٰ الدور الرئيسي الذي كان لقطب في بلورة وتشكيل فعالية الحركة السلفية الجهادية في مصر.

ووفقًا لكلام الظواهري؛ فإن الحركة الجديدة تأثرت جدًا بكتابات قطب حينما بدأ بأعمال العنف ضد الحكومة المصرية خلال النصف الثاني من عقد الستينات، وقال الظواهري أن حركة الإخوان المسلمين كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بحوالي ثلاثين عامًا إلا أن أنشطتها المسلحة كانت موجهة ضد العدو الخارجي ولم تكن موجهة ضد النظام المحلي، ووفقًا للظواهري فإن قطب ومن أيدوه رأوا في الحاكم المسلم الذي انحرف عن السلفية عدوًا أكبر وأخطر من العدو الخارجي، وهذه الأيديولوجيا نابعة من الاعتقاد بأن النظام الحاكم عدو للإسلام، وانحرف عن طريق الإله ويرفض أن يكون خاضعًا للشريعة. وفي أعقاب ذلك بدأ أنصار قطب في شن هجمات ضد الحكومة المصرية خلال النصف الثاني من الستينات[4]، والتي تواصلت خلال مراحل مختلفة إلىٰ أن وصلت ذروتها بقتل الرئيس المصري أنور السادات في أكتوبر ١٩٨١. وهذا الانحراف عن الأيدولوجيا التقليدية للإخوان المسلمين تم التعبير عنه عمليًا بقتال العدو الداخلي بدلًا من قتال العدو الخارجي[5].

---

(١) كارا، «من البنا حتىٰ قطب»، ص ٤٨.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٩.

(٣) من أهم وأكبر مناصري قطب، مؤسس وزعيم التنظيم الإرهابي «الجهاد» المصري، والذي أصبح منذ فبراير ١٩٩٨ نائبًا لزعيم تنظيم القاعدة.

(٤) المقصود بشكل خاص التنظيم الإرهابي المصري«الجماعة الإسلامية»، الذي أقيم خلال سنوات السبعينات علىٰ يد الشيخ عمر عبد الرحمن، والتنظيم الإرهابي المصري الذي أقامه بعد ذلك الدكتور أيمن الظواهري.

(٥) أيمن الظواهري، «فرسان تحت راية النبي» الفصل الثاني، وفق ما تم نشره في صحيفة الشرق الأوسط، ٣ ديسمبر ٢٠٠١.

بعد خمسة عشر عامًا من ذلك، وتحديدًا في الساحة الأفغانية غير المستقرة خلال سنوات الثمانينات، حدث تصادم بين الأيديولوجيات المختلفة؛ الأولىٰ الأيديولوجيا السلفية للإخوان المسلمين، والثانية الأيديولوجيا السلفية الجهادية لسيد قطب وأنصاره، وهو ما أدىٰ إلىٰ تصادم في معسكرات المتطوعين المسلمين الأجانب الذين جاؤوا لقتال قوات الاتحاد السوفيتي.

وخلال النصف الثاني من السبعينات؛ نشبت في أفغانستان حرب داخلية للسيطرة علىٰ الدولة بين عناصر شيوعية خاصة من الجيش الأفغاني وبين عناصر دينية إسلامية أفغانية تتبع المدرسة الدينية للإخوان المسلمين[١]. وفي ديسمبر **١٩٧٩** غزا الجيش السوفيتي أفغانستان بهدف تقديم الدعم لحلفائه للحفاظ علىٰ سلطتهم، وواجهتهم تنظيمات أفغانية مختلفة خاضت حربًا مصيرية. وكان العامل والمحرك المشترك للمتمردين الأفغان هو الأيديولوجيا الإسلامية الدينية. وكان جزءًا منهم من خريجي جامعة الأزهر التابعة للإخوان المسلمين في القاهرة، وهكذا بدأت حرب أفغانستان واستمرت لمدة عقد كامل من الزمان.

هذه الحرب التي اعتبرت في العالم الإسلامي الواسع كحرب دينية بين «امبراطورية صليبية» تحتل وتغزو بلاد الإسلام وبين عنصر إسلامي أصيل، شجعت الكثير من المسلمين للمجيء إلىٰ أفغانستان كمتطوعين ومشاركين في الحرب ضد الغازي السوفيتي.

كان الخلاف الأيديولوجي الذي تطور بين المتطوعين الأجانب المحاربين في أفغانستان هو حول الساحات التي يجب القتال فيها بعد هزيمة العدو السوفيتي، وحول توصيف «العدو» الذي يجب شن الجهاد ضده. وهو الصراع الذي تم التعبير عنه من خلال النظريات التي طرحها كل من عبد الله عزام الفلسطيني والدكتور أيمن الظواهري المصري وكانا من المعسكر الذي حمل علىٰ عاتقه جزءًا مهمًا من الحرب ضد السوفييت في أفغانستان.

---

(١) مجموعة مجاهدين أفغان، خرجوا ضد الثوريين الشيوعيين، مثل جماعة رباني- مسعود، وجماعة عبد الرسول سياف، وجماعة خالق يونس، وقلب الدين حكمتيار، وجزء من أعضاء هذه الجماعات هم من خريجي جامعة الأزهر بالقاهرة، التي تعد المرجعية الروحية الأعلىٰ لحركة الإخوان المسلمين.

وعبد الله عزام فلسطيني من مواليد قرية سيلة الحارثيه بمنطقة جنين بالضفة الغربية، كان قريبًا في نظريته السياسية- الدينية من نظرية الإخوان المسلمين ومؤسسها حسن البنا، وبعيدًا جدًا عن النظرية السلفية الجهادية لسيد قطب وأنصاره، فقد رأىٰ عزام في الغزو السوفيتي لأفغانستان حادثًا كلاسيكيا لـ«ساحة الجهاد»[١] التي تدار بها معركة ضد عدو خارجي غير مسلم وكافر غزا بلدًا مسلمًا، وبالفعل في عام ١٩٨٤ سافر عزام إلىٰ باكستان المجاورة ونشر بها فتوىٰ تعتبر أفغانستان «ساحة جهاد»، ودعا كل المسلمين للمجيء لقتال السوفييت[٢]. وبهذا تحول عزام إلىٰ المُنظّر والموجة لعامة المتطوعين العرب الذين استجابوا لدعوته للحرب ضد الجيش الأحمر تحت قيادة التنظيمات الأفغانية، وفي عام ١٩٨٤ انضم للقتال ضد السوفييت أسامة بن لادن، وهو مليونير سعودي شاب[٣] والذي شارك عزام في انشاء «مكتب الخدمات» من أجل رعاية وتمويل أنشطة المتطوعين العرب الذين استجابوا لعزام وجاؤوا إلىٰ أفغانستان بأعداد كبيرة من أجل الانضمام للقتال[٤].

وفي عام ١٩٨٠ جاء إلىٰ أفغانستان أيمن الظواهري، الطبيب المصري، والذي تبنىٰ في مصر أفكار السلفية الجهادية لسيد قطب، وجاء لأفغانستان كطبيب متطوع لرعاية اللاجئين الأفغان الذين هربوا من المعارك ضد السوفيت للمدينة الحدودية مع أفغانستان «بيشاور». وبعد مرور عام عاد الظواهري إلىٰ مصر واعتقل علىٰ أيدي

(١) ساحة الجهاد وصفها هي منطقة إسلامية تم احتلالها علىٰ يد عنصر غير مسلم وتدار بها معركة بين المسلمين وغيرهم، وهناك فرض ديني علىٰ كل المسلمين أن يأتوا إلىٰ هذه الساحة للانخراط في المعركة إلىٰ جانب إخوانهم، وكانت أفغانستان عقب الغزو السوفيتي هي ساحة جهاد كلاسيكية، في حين ظهرت ساحات جهاد أخرىٰ في البوسنة والشيشان وكشمير والصومال، والعراق وأفغانستان مجددًا، ومؤخرًا فإن ساحات الجهاد التي ظهرت عقب «الربيع العربي» هي في ليبيا وسوريا، أما ساحة الجهاد التي لها أولوية لكن الظروف السياسية تصعب من العمل بها عسكريا هي «فلسطين».

(٢) مليح شاي، من كأبول إلىٰ أورشيلم، ص ١٠٣. التحديث الأكبر في نظرية عزام هو وصفه فرض الجهاد ضد الغازي الأجنبي كفرض شخصي مفروض علىٰ كل مسلم ومسلمة، وليس كفرض جماعي يفرض إرسال قوات وميليشيات مدربة، مثلما طالب بذلك البنا والإخوان المسلمون.

(٣) كان بن لادن ابنًا لعائلة سعودية غنية عملت في مجال البناء، وحينما جاء إلىٰ أفغانستان كانت ثروته تقدر بـ ١٠٠ -٣٠٠ مليون دولار.

(٤) Peter Bergen, *The Osama Bin Laden I know*, Free Press, 2006, pp. 26-27, 39.

السلطات المصرية هناك في إطار موجة الاعتقالات التي نفذت بالدولة بعد مقتل الرئيس أنور السادات، وبعد الإفراج عنه عام ١٩٨٥ عاد إلىٰ أفغانستان وذلك بعد أن تحول داخل السجن إلىٰ وأحد من الزعماء الكبار في أوساط المتشددين المصريين.

وجد الظواهري في أفغانستان «منصة» لتحقيق وإشاعة أفكاره السلفية الجهادية المصرية، لذلك أقام في مدينة بيشاور تنظيم «الجهاد المصري» وعمل بالأساس علىٰ تجنيد متطوعين جدد لتنظيمه من أوساط المواطنين المصريين الذين جاؤوا لأفغانستان لقتال السوفييت[١].

وكلما اقترب القتال من نهايته في أفغانستان كلما زادت حدة الخلافات بين عزام والظواهري، وكان في لُبِّ هذا الخلاف تساؤل هل نستمر في الجهاد الخارجي ونحرك القوات إلىٰ ساحات جهاد يقاتل فيها مسلمون ضدَّ عدو خارجي مثلما دعا عزام وأنصاره[٢]؟ أم نستغل النصر المتحقق في أفغانستان لتطوير نظام داخلي والتركيز علىٰ الجهاد الداخلي ضد سلطات كافرة في دول إسلامية وعلىٰ رأسها مصر وفق نظرية سيد قطب وبقيادة الظواهري؟. وكان الهدف الأساسي لمحاولات الإقناع هذه للانحياز لإحدىٰ النظريتين هو الرجل الغني وصاحب التمويل أسامة بن لادن، الذي انضم في بداية الطريق إلىٰ نظرية عزام، لكنه تأثر في نفس الوقت بشخصية ونظرية الظواهري الذي دعا إلىٰ تحرير الدول الإسلامية من الأنظمة الكافرة[٣].

وقد شهد الكثير من المجاهدين في أفغانستان أن الظواهري نجح من خلال طرق متلاعبة مختلفة في استمالة بن لادن لتأييده[٤]، ووصل الصراع إلىٰ ذروته في ديسمبر ١٩٨٩ وذلك بمقتل عبد الله عزام، والذي أشار الكثير من أنصاره إلىٰ أن قتله كان

---

(١) نفس المرجع، ص ٦٤-٦٧.

(٢) تم ذكر فلسطين فيما يتعلق بهذا الموضوع، وكذلك جمهورية وسط آسيا، وإقليم كشمير، وجزر ماندناو الفلبينية وحتىٰ منطقة الأندلس في أسبانيا، والتي كانت تحت سلطة الإسلام حتىٰ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وهذا الأمر مشروح بالتفصيل في الكتاب المذكور للصحفي بيتر برجان.

(٣) Bergen, *The Osama Bin Laden I know*, p. 74.

(٤) خاصة بعد الكشف عن اسم عزام كمتهم بالتعاون مع المخابرات الأمريكية CIA ومع فرنسا، انظر: نفس المرجع، ص ٧١.

بتعليمات مباشرة من الظواهري[1].

يذكر أن مساهمة بن لادن القوية في الأعمال التنفيذية والمعارك ضد السوفييت في أفغانستان تسببت في إحداث «هُوة» بينه وبين عزام، ففي عام ١٩٨٧ وعلىٰ خلاف رأي عزام، أقام بن لادن قوة قتالية خاصة من العرب لم تكن جزءًا من إطار التنظيمات الأفغانية[2]. وبهدف إقامة هذه الوحدة تواصل بن لادن مع نشطاء مصريين مثل أبو عبيدة البنشيري ومحمد عاطف -اللذين أصبحا فيما بعد من قادة تنظيم القاعدة- وأقام معسكر «المأسدة» في جبهة القتال مع السوفييت في منطقة قرىٰ جاجي، ونقل بن لادن المجندين الجدد الذين جاؤوا للمشاركة في الحرب المقدسة في أفغانستان إلىٰ معسكر جبهة القتال، وهناك تلقوا تأهيلًا وتدريبًا وخرجوا لقتال السوفييت بشكل مستقل تمامًا[3]. وفي أبريل ١٩٨٧ حظي مقاتلو «المأسدة» بانتصار حربي وشهرة في جميع أنحاء أفغانستان والعالم العربي بعد معركة تسمىٰ «معركة جاجي» والتي نجح المقاتلون فيها في الصمود أمام القوات السوفييتية لمدة ثلاثة أسابيع حتىٰ صدوا الهجوم.

قام بن لادن فيما بين عامي ١٩٨٧-١٩٨٨ بجميع الإجراءات الخاصة لتكوين تنظيم عالمي جديد - جيش إسلامي عالمي هدفه تحقيق الرؤىٰ الإسلامية الجهادية في جميع أنحاء العالم بعد انتهاء الحرب في أفغانستان، وقد اعتمدت القوة التنفيذية الأساسية لهذا الجيش علىٰ مقاتلي «المأسدة»[4]، وفي البداية كان واضحًا لبن لادن أنه من أجل تأمين بقاء التنظيم لسنوات طوال عليه الاعتماد علىٰ التسلسل الهرمي ومنظومة واضحة المعالم سواء تنفيذيًا أو إداريًا للتنظيم، وبالفعل في بداية ١٩٨٧

---

(١) نفس المرجع، ص ٩٤-٩٥.

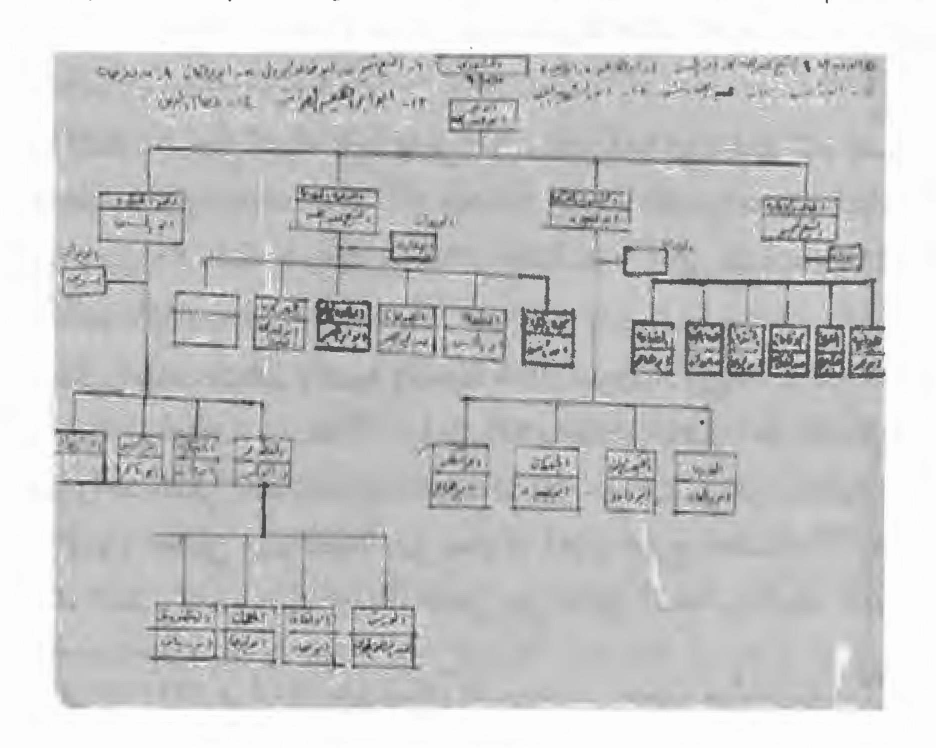
(٢) نفس المرجع، ص ٤٩.

(٣) طارق أسامة، اسم ورد في الوثيقة رقم (٧٦) في أرشيف حاسوب عصام أرنؤوط، وهو من الرجال المقربين من أسامة بن لادن، والذي كان مسؤولًا عن بناء تنظيم القاعدة خلال سنواته الأولىٰ والحفاظ علىٰ الوثائق المتعلقة به، وهذا الأرشيف الذي عثر عليه من قبل رجال الناتو بداية من عقد الألفينات في البوسنة احتوىٰ علىٰ عشرات الآلاف من الوثائق والقوائم التي تعود لفترة إنشاء التنظيم.

(٤) طارق أسامة، الوثائق أرقام ٩١-٩٤ التي وجدت في حاسوب عصام أرنؤوط.

وضع الرسم البياني الأولي الذي وصف البناء المستقبلي للتنظيم[1].

شكل رقم ١ : «القوة العسكرية الإسلامية» بناء تنظيمي مثلما تم اقتراحه عام ١٩٨٧.



وفي أغسطس ١٩٨٨ وخلال مناقشات استمرت لمدة عدة أيام في منزل بن لادن ببيشاور مع نشطاء كبار من وحدة «المأسدة»، تقرر إحداث تغيير راديكالي في طابع أنشطة مكتب الخدمات وإقامة تنظيم القاعدة أي: القاعدة المستقرة/ القيادة المستقرة[2]. وفي بداية الأمر لم يكونوا علىٰ علم بأن التنظيم الذي أقاموه سيتحول

---

(١) التاريخ المحدد للرسم الذي عثر عليه في أرشيف طارق أسامة، والتي ظهرت في وثائق عصام أرنؤوط، لم تظهر في الوثيقة، لكن الحقيقة أن عبد الله عزام كان من بين من تولوا المناصب الرسمية من هذا التاريخ حتىٰ الفترة التي سبقت الإنشاء الرسمي للقاعدة في عام ١٩٨٨. وقبيل الانفصال الرسمي بين عزام وبن لادن، انظر: الوثيقة ١٣٦ في أرشيف طارق أسامة، الذي وجد في حاسوب عصام أرنؤوط.

(٢) أول من استخدم اسم «القاعدة الصلبة» كان عبد الله عزام وذلك في إشارة منه لقاعدة المؤمنين التي سيقام عليها الجيش الإسلامي والتي ستخرج منها الدعوة للجهاد. انظر: عبد الله عزام، القاعدة الصلبة، مجلة الجهاد، العدد ٤١، أبريل ١٩٨٨، ص ٤-٦.

إلىٰ التنظيم الإرهابي الأكثر تأثيرًا في العصر الحديث؛ إذ أن هدف إقامة التنظيم تم وصفه بشكل محدود وضبابي وعام[١]، وكان هو البقاء في أفغانستان لفترة غير محدودة[٢] والإصغاء والانصياع لقوانين القاعدة، والأخلاق الطيبة، والرجوع لمصدر موثوق، وأخيرًا البيعة للتنظيم[٣].

بدأ التنظيم الجديد أنشطته الرسمية في ١٠ سبتمبر ١٩٨٨، وحينها كان يضم ١٥٠ ناشطًا منهم ٩ تولوا مناصب إدارية[٤]، وبعد ١٠ أيام من ذلك ضاعف التنظيم من قواه البشرية وعين ٣٠ ناشطًا جميعهم من مقاتلي «المأسدة»[٥] وفي نهاية عام ١٩٨٨ كان في التنظيم ما يقارب من ١٠٠ عضو[٦].

لم تكن أهداف التنظيم واضحة ومحددة خلال سنواته الأولىٰ، ولم تكن له أجندة عمل يومية أو أهداف واضحة[٧]. ووفقًا لكلام جمال الفضل أحد القادة الأوائل للتنظيم وأحد مقاتلي «المأسدة» فإن التنظيم تم اقتراحه كهيئة يتمحور نشاطها مستقبلًا حول الجهاد العالمي ويتم تكليفه بشن عملياتٍ أخرىٰ خارج أفغانستان[٨]، مع ذلك فإن بناء التنظيم كان واضحًا جدًاا واشتمل علىٰ الأمير أسامة بن لادن، الذي عمل

---

(١) وثائق ١٢٧ و١٢٧أ في أرشيف طارق أسامة، التي وجدت في حاسوب عصام ارنأوط.

(٢) نفس المرجع. ميّز أسامة بن لادن بين المجاهدين الذين جاؤوا إلىٰ أفغنستان وفق فترة بقائهم فيها. فالذين جاؤوا لفترة محددة كان من المقرر لهم أن يمروا بتدريبات علىٰ أيدي منظمة الاتحاد الإسلامي الأفغاني التابعة لعبد الرسول سياف، في معسكر سادا، وبعد ذلك يتم إرسالهم للقتال علىٰ الجبهة، في إطار المنظمات الأفغانية المقاتلة هناك. أما الذين جاؤوا لفترة غير محددة؛ فقد تم إرسالهم لمعسكر اختبار، والجيدون منهم تم ضمهم لمعسكر القاعدة. وقد جاء عدد من المتطوعين العرب إلىٰ معسكرات التدريب في أفغانستان لزمن محدود، مثل فترة قضاء أجازة نصف العام أو ما شابه ذلك.

(٣) أرشيف طارق أسامة، الوثائق ١٢٧-١٢٧أ.

(٤) نفس المرجع.

(٥) نفس المرجع، وانظر أيضًا شهادة جمال الفضل في محكمة نيويورك:
http://en.wikisource.org/wikiUnited_States_of_America_v._Usama_bin_Laden/Day_2_6 February_2001.

(٦) وثيقة «طريق المساعدات» وثائق ٨٦-٨٧-٨٨ التي تم الكشف عنها في حاسوب عصام أرنؤوط.

(٧) نفس المرجع، صفحة ١٩٧.

(٨) United States of America v. Usama bin Laden, http://en.wikisource.org/wiki/United_States_of_America_v._Usama_bin_Laden/Day_2_6February_2001, 192.

تحت رئاسته مجلس استشاري (مجلس الشورىٰ)، والذي كان دوره بمثابة الحكومة أو مجلس الوزارء، وكان مسؤولا عن الأنشطة الجارية للتنظيم بواسطة عدة لجان تم تشكيلها. ومن بين هذه اللجان كانت هناك اللجنة العسكرية، واللجنة الشرعية/ الدينية، ولجنة الإعلام ولجنة الإدارة(١)، وكأي تنظيم آخر فإن هذا البناء تطور مع الوقت وتم تنسيقه وفق الاحتياجات والأنشطة والأهداف المتجددة للتنظيم وللانطلاق نحو الطريق الذي رسمه له بن لادن، ومع ذلك فإن استراتيجية التنظيم وسياسات الهجمات الخاصة به تغيرت من وقت لآخر حسب الظروف المتغيرة.

كان تنظيم القاعدة في السنوات الأولىٰ من إقامته طرفًا في الحرب الأهلية الأفغانية التي وقعت بعد خروج السوفييت، وكان اشتراكه في هذه الحرب سببًا في أن يتلقىٰ التنظيم نقدًا شديدًا من قبل المتطوعين العرب في أفغانستان وخاصة من جانب أنصار عبد الله عزام(٢)، علىٰ إثر ذلك انتقل التنظيم وكل نشطائه إلىٰ السودان بعد أن أدرك أسامة بن لادن أن الحرب ضد العدو الأجنبي في أفغانستان قد انتهت، ومن أجل أن يكون قريبًا أكثر إلىٰ قلب الأحداث في الشرق الأوسط(٣).

وفي السودان كان بن لادن قادرًا أكثر علىٰ تنفيذ أنشطة التنظيم وعلىٰ تقديم الدعم اللوجيستي والتنفيذي لمعسكرات المجاهدين من أجل الجهاد الداخلي والخارجي(٤)

---

(١) نفس المرجع، ٢٠٥-٢١٢.

(٢) علىٰ سبيل المثال، كمال مصطفىٰ حمد، من أنصار عزام القدامىٰ، حول قرار بن لادن أن يدمج القوات العربية في الحرب الأهلية في أفغانستان وخاصة في المعركة حول جلال آباد، مثلما ظهر في الوثائق التي وجدت في أفغانسان وترجمت في ويست بوينت، انظر:

http://www.ctc.usma.edu/wpcontent/uploads/2010/08/AFGP-2002-600088-Trans-Meta.

(٣) انظر شهادة جمال الفضل من قادة تنظيم القاعدة:

http://en.wikisource.org/wiki/United_States_of_America_v._Usama _bin_Laden/Day_2_6_February _2001, pp' 216.

(٤) نجاح المجاهدين في أفغانستان ألهب حماس الكثيرين من المسلمين في عدد من الدول العربية، والتي نشأت بها العديد من المنظمات ذات الأيديولوجيات الإسلامية، وهو ما وضع سلطان العلمانيين أمام تحدٍّ حقيقي، وهذه المنظمات أقيمت علىٰ أيدي عدد من النشطاء الذي عادوا لبلدانهم عقب الانتهاء الحرب في أفغانستان، وبدأت هذه المنظمات في شن حرب إرهابية ضد الأنظمة المحلية من أجل زعزعة استقرارها، وبالفعل فإن كل بلدان المنطقة شهدت مرحلة عدم استقرار عقب أنشطة التنظيمات الإرهابية الإسلامية.

وللمقاتلين في ساحات الجهاد[1]. وخلال فترة تواجده في السودان قدم التنظيم تدريبات عسكرية أساسية للمقاتلين الذين تم تجنيدهم للانضمام لساحات الجهاد الداخلي وللمقاتلين الذي انضموا لساحات قتال جديدة، وبدأت تظهر بعد انتهاء الحرب في أفغانستان، وهذا الطريق لبن لادن كان -ربما عن غير قصد منه في البداية- عبارة عن طريق جمع بين نظرية الجهاد الداخلي لأيمن الظواهري ونظرية الجهاد الخارجي لعبد الله عزام، وفي هذه المرحلة من أنشطة التنظيم لم يكن واضحًا أي الطرق أو النظريات فضّل بن لادن، إلا أن غالبية موارد التنظيم تم بذلها في معسكرات تدريب المقاتلين في ساحات الجهاد الداخلي المختلفة وخاصة لصالح جماعة الجهاد المصرية[2]، كما اهتم التنظيم خلال هذه المرحلة بالجهاد في البوسنة[3] والشيشان[4]، كما زاد من محاولاته إرسال عناصر للقتال في الصومال بداية من عام ١٩٩٣ بعد دخول الأمريكيين إليه تحت ستار عملية «إعادة الأمل»[5].

إضافة إلىٰ ما سبق، فإنه لا توجد حتىٰ اليوم إشارات محددة حول مدىٰ تورط التنظيم في بعض الهجمات الإرهابية التي شنتها عناصر الجهاد العالمي في مناطق مختلفة بالعالم ضد الأهداف الأمريكية، علىٰ سبيل المثال؛ تلك الأعمال الإرهابية ضد الأهداف الأمريكية خلال فترة التسعينات والتي كانت بقيادة كل من رمزي يوسف

---

(١) عقب انتهاء الحرب في أفغانستان نشأت في جميع أنحاء العالم الإسلامي «ساحات جهاد» جديدة جذبت إليها العديد من المتطوعين الإسلاميين الذين خرجوا لقتال العدو الكافر في البوسنة وطاجيكستان والشيشان والصومال وجزر مولوكوس وسولافسي «إندونسيا» وكشمير وشبه جزيرة ماندينا والفلبينية، انظر: تقرير لجنة تقصي الحقائق لأحداث ١١ سبتمبر:

http://www.9-11commission.gov/ ,2011 report/911Report.pdf,

(٢) http://en.wikisource.org/wiki/United_States_of_America_v._Usama_bin_Laden/Day_2_6_ February_2001, pp. 221-223.

(٣) كتيبة كاملة في الجيش البوسني، كتيبة المجاهدين علىٰ اسم (أبو علي)، والتي تشكلت من خريجي معارك أفغانستان والذين تدربوا علىٰ يد القاعدة.

(٤) برزت في الشيشان أنشطة خطاب، وهو من خريجي حرب أفغانستان، وقد أقام في الدولة قوة عسكرية عملت مع المتمردين وتكونت من خريجي المعارك في أفغانستان.

(٥) Al-Qaeda (mis) adventure in the horn of Africa, http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2010/06/Al-Qaidas-MisAdventures-in-the-Horn-of-Africa.pdf, p. 78

وخالد شيخ محمد (الذي أصبح فيما بعد أحد قادة القاعدة ومسؤولًا عن هجمات ١١ سبتمبر). وكانت هذه المجموعة مسؤولة عن الهجمات علىٰ برجي التجارة في نيويورك في فبراير ١٩٩٣ الذي قتل فيه حوالي ٦ مواطنين أمريكيين وأصيب أكثر من ألف شخص، وكذلك عملية بوجينكا في الفلبين والتي أحبطت في اللحظات الأخيرة، وكان هدفها تحطيم ١١ طائرة ركاب أمريكية خلال يوم واحد. وكانت هذه بعض أنشطة إحدىٰ المجموعات التي تكونت في أفغانستان وعرفت بن لادن ورجاله وتنظيمه، إلا أن أنشطتها بعد انتهاء حرب أفغانستان لم تكن مرتبطة بالقاعدة.

ترك تنظيم القاعدة السودان وعاد إلىٰ أفغانستان عام ١٩٩٦ بعد ضغط دولي مورس علىٰ السودان علىٰ خلفية محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك التي وقعت في أثيوبيا قبل عام بدعم من بن لادن.

بعد عودته لأفغانستان اتحد بن لادن مع تنظيم طالبان[1]، وفي ذلك الوقت هزم طالبان الذراع العكسري لعناصر الجبهة الشمالية وهو عبارة عن اتحاد للمنظمات الأفغانية التي حاربت الغازي السوفيتي، وبهذا استكمل طالبان سيطرته علىٰ كامل أفغانستان.

وأقام تنظيم القاعدة برعاية طالبان قواعد تدريبات واسعة المجال في كل أنحاء الدولة وأعطىٰ خدمات تدريبية من نوعيات مختلفة لعشرات الآلاف من المقاتلين والنشطاء من عشرات البلدان الإسلامية المختلفة.

كانت فكرة إعطاء أولوية للقتال علىٰ الساحة الدولية وخاصة ضد الولايات المتحدة قد بدأت تحتل مكانة كبيرة داخل ذهن بن لادن خلال فترة تواجده في السودان، وبالفعل فإن عدد كبير من نشطاء التنظيم الذين شاركوا في «عمليات الصومال» ظلوا في منطقة القرن الأفريقي بعد انسحاب الامريكيين من مقديشيو، وعملوا علىٰ إقامة قاعدة من الخلايا النائمة للتنظيم في القرن الأفريقي والتي سيتم تفعيلها مستقبلًا ضد

---

(١) تكون تنظيم طالبان من طلبة أفغان درسوا في باكستان، وأقيم علىٰ أيدي المخابرات الباكستانية ISI من أجل تحقيق مصالح باكستان في المنطقة. هذا التنظيم لم يشارك في الحرب ضد السوفييت خلال سنوات الثمانينات، لكنه شارك في الحرب الأهلية التي اندلعت عقب خروج السوفييت من أفغانستان.

أهداف أمريكية وإسرائيلية في المنطقة[1].

بالتوازي مع ذلك كانت إيران تزيد من تواجدها الجوهري في السودان، وذلك بواسطة رجال «الحرس الثوري»، وذلك رغم التوتر بين تنظيم القاعدة السني والنظام الإيراني الشيعي، إلا أنه حدث تعاون بين القاعدة وعناصر إيرانية إرهابية شيعية مثل حزب الله اللبناني، إذ أن نشطاء كبار في تنظيم القاعدة تلقوا تدريبات في قواعد حزب الله في بقاع لبنان، والتي اشتملت بالتحديد علىٰ تدريبات لاستخدام المتفجرات لتفجير البنايات[2].

لقد تبلورت فكرة توجيه أنشطة التنظيم إلىٰ الساحة العالمية وخاصة ضد الولايات المتحدة في ذهن بن لادن خلال فترة التسعينات، ومن خلال ذلك تمكن من بلورة استراتيجية وتحديدها وكيفية تنفيذها، فتصريحاته العلنية تدل علىٰ أنه -أي: بن لادن- في بداية إقامته للتنظيم تعرض للتواجد المتزايد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، كتواجد «غازي لبلدان الإسلام» والذي يجب محاربته وإخراجه، وهي الفكرة التي تعكس أفكار ونظريات الإخوان المسلمين وعبد الله عزام، ووفقًا لنظرية بن لادن فإن تواجد الولايات المتحدة بالسعودية[3] منذ حرب الخليج الأولىٰ عام ١٩٩١[4] ودخول القوات الأمريكية إلىٰ الصومال تحت ستار عملية إعادة الأمل

---

(١) USA vs. Osama Bin Laden, http://cryptome.org/usa-v-ubl-12.htm, p. 1652.

(٢) شهاد جمال الفضل في محكمة نيويروك:

http://cryptome.org/usa-v-ubl-02.htm,

(٣) تواجد الجيش الأمريكي الكافر يحط من وضعية رجاله ونسائه في الأراضي المقدسة، التي هي مهد الإسلام، ويوجد بها أكثر مكانين مقدسين في الإسلام وقد رأىٰ بن لادن في هذا التواجد الأمريكي خطأً دينيًا حقيقيًا.

(٤) في أعقاب غزو صدام حسين للكويت في صيف ١٩٩٠ حدثت بالمنطقة فوضىٰ، أدت إلىٰ عدم الإحساس بالأمن في دول المنطقة وعلىٰ رأسها السعودية، وحينها توجه بن لادن نفسه للسعوديين وعرض عليهم تقديم الحماية من القاعدة في مواجهة قوات صدام حسين، والتي تستند إلىٰ القوة الإسلامية التي أقامها بن لادن، لكن السعودية رفضت مقترحه واختارت استدعاء القوات الأمريكية وإقامة قواعد عسكرية لها في مناطقها بغرض الحرب ضد الغازي العراقي. وهذه القواعد العسكرية الأمريكية ظلت موجودة حتىٰ بعد انتهاء حرب الخليج الأولىٰ وهزيمة العراق.

عام ١٩٩٣؛ جعلوا من هذه الدول ساحات جهاد تماثل الساحة الأفغانية، والتي بها يجب إقامة الجهاد ضد الأمريكيين.

أقام تنظيم القاعدة من أجل أنشطته في الصومال، قوة إنقاذ ذات مهام تنفيذية وكيفية، وبها نشطاء كبار من اللجنة العسكرية للتنظيم، وذلك من أجل تدريب رجال القائد المحلي الصومالي محمد فرح عيديد، والاشتراك في الحرب ضد الأمريكيين، وكانت ذروة أنشطة القاعدة في الصومال هو إسقاط مروحية أمريكية في سماء مقديشو وقتل ١٨ جندي مارينز كانوا بها، وهذه العملية، إضافة إلىٰ تعقد العملية العسكرية الأمريكية في الصومال عامة، أدت في نهاية الأمر إلىٰ خروج الجنود الأمريكيين من هذه الدولة الممزقة[١].

في مقابل ذلك كانت أنشطة التنظيم في السعودية بطيئة جدًا وتدريجية، وتم تنفيذها علىٰ مستويات منخفضة. فعلىٰ سبيل المثال في النصف الأول من عقد التسعينات خرج بن لادن علنًا ودعا المواطنين في السعودية للعمل ضد القوات الأمريكية وأعرب عن تأييدة لأعمال العنف ضدهم[٢]، ومن أجل تجسيد التنظيم لهذه النوايا التي أعلن عنها بن لادن قام في عام ١٩٩٥ وبواسطة تنظيم اسمه «حزب الله الحجازي» الذي تلقىٰ مساعدات من حزب الله اللبناني وقادته من إيران، بتفجير بناية كانت مخصصة لسكن الجنود الأمريكيين في الرياض، وتسبب التفجير في مقتل خمسة منهم وإصابة العشرات، كما نفذ عملية هجومية في أبراج الخُبر عام ١٩٩٦ وتسببت في مقتل ٢٤ جندي أمريكي[٣].

---

(١) Clint Watts, Jacob Shapiro, Vahid Brown Al-Qa'ida's (Mis) Adventures in the Horn of 50 Africa, Harmony project at the combating terrorism center at west point, July 2007, http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2010/06/Al-Qaidas-MisAdventures-in-the-Horn-of-Africa.pdf p. 5.

(٢) كان لابن لادن «بطل أفغانستان» تأثير كبير في أوساط البعض في السعودية، ودعواته لإخراج القوات الأمريكية من البلاد إطارت النوم من أعين الحكام السعوديين، وقد أدارت السلطات السعودية مفاوضات سرية مع بن لادن واتفقوا علىٰ عودته للسعودية ومنحه جواز سفره وإعادته لمكانته وثروته بشرط أن يتوقف عن تحريض الجمهور ضد الأمريكيين، وقد رفض بن لادن مقترح السعودية، وفي المقابل حاولت السلطات السعودية اغتياله وقت وجوده في السودان.

(٣) هذا الاحتمال ذكر في مقال «رونين برجمان» في صحيفة يديعوت احرونوت بملحق«الأيام السبعة»، =

مثّلت عدم استجابة الولايات المتحدة لمطلب الخروج من السعودية دافعًا لبن لادن ليعلن من خلال مقال أرسله عبر الفاكس إلىٰ هيئة تحرير الصحيفة اللندنية «الإصلاح» في سبتمبر ١٩٩٦ عن «جهاد عالمي» ضد الولايات المتحدة. وفي هذا المقال الحادِّ الذي حمل عنوان «إعلان الجهاد ضد الولايات المتحدة»، زعم بن لادن أن مشاكل العالم الإسلامي سببها الولايات المتحدة[١]، وشرح لمإذا يجب إصلاح هذه المشاكل بشكل عام، لكنه فصّل حول كيفية الإصلاح. فبأسلوب بلاغي متأثر باقتباسات من القرآن عرض بن لادن الأمريكيين وحلفائهم علىٰ هيئة متوحشين متعطشين لدماء المسلمين، ويشنون ضدهم حربًا، ويهدفون إلىٰ القضاء علىٰ العالم الإسلامي. ووفقًا لمفهومه؛ فإن البراهين علىٰ بربرية الولايات المتحدة موجودة في كل مكان بالعالم، مثل القنابل النووية التي ألقيت علىٰ هيروشيما ونجازاكي، والهجمات والعقوبات علىٰ العراق، والاحتلال الإسرائيلي للقدس، ووضع قوات أمريكية «نصرانية» في مكة والمدينة[٢]، والعقوبات المستمرة للأمم المتحدة علىٰ ليبيا وسوريا، إيران والسودان، وكذلك المجزرة التي ارتكبتها إسرائيل ضد المواطنين عام ١٩٩٦ بمعسكر اللاجئين في قانا بلبنان. ووفقًا لبن لادن؛ فكل ذلك وغيره هو جزء من الهجمات التي تقودها الولايات المتحدة ضد المسلمين[٣].

بعد ذلك بعدة شهور، وتحديدًا في نوفمبر ١٩٩٦، شرح بن لادن الدوافع التي تقف وراء إعلانه الجهاد ضد الولايات المتحدة، إذ قال: «توقعنا أن هجمات الخُبر

= في ٢٦ أغسطس ٢٠١١، ص ٢٨، إذ بدا أن هناك إشارات أن رجال القاعدة الذين تدربوا في معسكرات حزب الله في لبنان كانوا متورطين في الهجمات ضد السعودية، لكن حتىٰ الآن لا توجد معلومات موثقة حول علم إيران المسبق بنية القاعدة شن هجمات ضد الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أو ساعدت علىٰ تنفيذها، مثلما تم التلميح إليه في هذا المقال.

(١) Clint Watts, Jacob Shapiro, Vahid Brown Al-Qa'ida's (Mis) Adventures in the Horn of 50 Africa, Harmony project at the combating terrorism center at west point, July 2007, http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2010/06/Al-Qaidas-MisAdventures-in-the-Horn-of Africa.pdf p. 5.

(٢) يبدو أنه يقصد أراضي الجزيرة العربية بشكل عام لأنه لا وجود لغير المسلمين في مكة والمدينة طبقًا لنظام المملكة العربية السعودية. (المراجع)

(٣) نفس المرجع.

والرياض ستمثل إشارات تدفع العقلاء من متخذي القرار في الولايات المتحدة للامتناع عن شن صراع بين الأمة الإسلامية والأمريكيين، لكن من الواضح أنهم لم يفهموا هذه الإشارات، وفهم هذه الإشارات كان يجب التعبير عنه بانسحاب القوات الأمريكية من شبه الجزيرة العربية[1]».

وفي فبراير ١٩٩٨، وبعد زيادة الإجراءات الأمنية في السعودية، وعدم استجابة السعودية لدعوة تنظيم القاعدة للجهاد ضد الأمريكيين، أصدر بن لادن فتوىٰ وأعلن من خلالها عن إقامة «الجبهة الإسلامية للقتال ضد اليهود والنصارىٰ»، كما أعلن عن نقل القتال ضد الأمريكيين إلىٰ الساحة الدولية، ودعا للهجوم علىٰ الأمريكيين واليهود معًا.

بهذا خلق بن لادن أيديولوجيا ثالثة للجهاد، والتي تختلف في ماهيتها عن نظرية الجهاد ضد عدو خارجي في ساحات الجهاد لعبد الله عزام، وعن نظرية الجهاد الداخلي للظواهري، فالآن أصبحت أهم أنشطة القاعدة متعلقة بـ«الجهاد العالمي» الموجة ضد الولايات المتحدة والغرب، إذ كانت إقامة «الجبهة الإسلامية لقتال اليهود والنصارىٰ» وسياسة الهجمات التي تولدت عنها بمثابة تجسيد لدعوة بن لادن لشن حرب عالمية واسعة للجهاد، ذلك الجهاد الذي تم شنه لعشرات السنوات قبل ذلك ضد القوات السوفيتية في الساحة الأفغانية[2].

كان هناك عنصرًا آخر دفع بن لادن نحو بلورة قراره لإعلان الجهاد العالمي، وهو تأقلم القاعدة الجديد سريعًا مع حكم طالبان في أفغانستان، وما استفاده التنظيم من طالبان من استقرار وأمن. ففي ظل هذه الظروف كان للتنظيم قدرة علىٰ إجراء تدريبات علنية وأنشطة تنفيذية، لكن في عام ١٩٩٦ تحديدًا بدأ بن لادن في بلورة نظريته الموجبة للجهاد ضد الغرب والأمريكيين، لكنه حينها رفض[3] تمامًا مقترحات خالد

(١) Bin Ladin Interviewed on Jihad Against US, *AL-QUDS AL-"ARABI*، London (in Arabic), 27 55 November 96, p. 5.

(٢) Through Our Enemies' Eyes, By Anonymous, Brassey's، Inc. 2002, pp. 4.

(٣) 9/11 commission report, pp. 148-149.

شيخ محمد[١] لتنفيذ هجمات مكثفة ضد الغرب، ومن بينها اختطاف طائرات وتحطيمها في الجو ضد أهداف مختارة. ومن المؤكد أن وجهة نظره آنذاك كانت ضرورة التركيز أولًا علىٰ الساحة الأفغانية من جديد، وإعادة تأسيس البنية الأساسية للتنظيم تحت حكم طالبان، قبل أن يعاود العمل علىٰ الساحة الدولية. لكن في عام ١٩٩٨ شعر بن لادن أنه بات أكثر أمانًا وأكثر استعدادًا من الناحية التنفيذية لاتخاذ قرار بشأن عملياته علىٰ الساحة الدولية.

كان تبني أيديولوجية الجهاد العالمي ضد الغرب عامة، والولايات المتحدة خاصة، يتطلب تغيير البناء التنظيمي للتنظيم وموائمته مع الاستراتيجية الجديدة ومع التكتيكات والضروريات الناتجة عنها.

أولًا: أوضح بن لادن أنه من الضروري دمج منظمات إرهابية أخرىٰ للمعركة عدا تنظيم القاعدة، فقد أوضح بن لادن أن التنظيم في طريقه للنجاح وأنه قد يستعين ببعض الشركاء الذين ينبغي أن يُطلب منهم طهارة دينية كاملة أو إخلاص كامل لكي يصبحوا حلفاء أو مشاركين في الجهاد[٢]. في البداية توجه بن لادن إلىٰ شركائه التقليديين وفي مقدمتهم جماعة «الجهاد» المصرية، وهو التنظيم الذي اندمج نظريًّا وعمليًا مع القاعدة[٣]، وكوّنا معًا «قاعدة الجهاد»، وبهذا أصبح أيمن الظواهري زعيم تنظيم الجهاد المصري النائب الرسمي لبن لادن في القيادة الموحدة لتنظيمهما الجديد[٤]،

---

(١) تم تعيين خالد شيخ محمد مع المجموعة التي عملت في إطار شن هجمات ضد الولايات المتحدة خلال النصف الأول من سنوات التسعينات، وهذه المجموعة هي التي شنت الهجوم الأول ضد برجي التجارة العالمية في نيويورك، كما أن الاعمال القتالية في أفغانستان أدت لحدوث تعارف مسبق بين بن لادن وشيخ محمد، لكن في البداية تم تنفيذ هجمات هذه المجموعة بدون وجود صلة بينها وبين القاعدة.

(٢) Through Our Enemies' Eyes, pp. 55.

(٣) الاندماج مع القاعدة وتبني نظرية الجهاد الداخلي علىٰ حساب نظرية الجهاد الخارجي، أدىٰ إلىٰ تزايد الانتقادات داخل تنظيم الجهاد المصري، وهو النقد الذي توجه ضد الظواهري وتحول في حالات كثيرة إلىٰ نقد شخصي له تحديدًا. حول هذا الخلاف انظر: الرسائل التي تم الكشف عنها في الحاسبوب الشخصي للظواهري الذي تم العثور عليه في أفغانستان Alan Cullison, Inside Al Qaeda's hard drive, *The Atlantic Monthly*, September 2004, 294, 2, pp. 64-67.

(٤) التنظيمات الأخرىٰ التي وقعت علىٰ الفتوىٰ من أجل إنشاء «الجبهة الإسلامية للحرب ضد اليهود =

وفيما بعد انضمت للقاعدة منظمات أخرىٰ من جميع أنحاء العالم من الذين تبنوا نظريته الجديدة وسياسات الهجمات المنبثقة عنها.

ثانيا: أصبح تنظيم القاعدة مصدرًا ثريًا جدًا للمحاكاة من قبل الكثير من المسلمين، فقد سعىٰ بن لادن إلىٰ خلق قيادة تمتلك إمكانية تحريك مجموعات أو أشخاص منفردين للانضمام إلىٰ تنظيم القاعدة، فوفقًا لكلامه؛ فإنه ورجاله لا يسيطرون علىٰ كل رجال الجهاد لكنهم يعملون علىٰ تحريض وتدريب ومساعدة المسلمين للوصول لنقطة الإنطلاق(١). ففي مقابلة لشبكة ABC الأمريكية عام ١٩٩٨ قال بن لادن: (هذا واجبنا أن نقود الناس إلىٰ النور، وأنه وغيره من المسلمين يدعون المسلمين للانصياع إلىٰ الأسس الدينية الموجودة في أعماق الغالبية(٢))، وفي مقابلة تلفزيونة أخرىٰ أُجريت بعد هجمات ١١ سبتمبر قال بن لادن: (بعون الله، نهاية أمريكا اقتربت، ونهايتها ليست مرتبطة بوجود عبد الله أو غيره(٣)، فبغض النظر عن بقاء أسامة أو موته؛ فإن اليقظة بدأت . . . هذه كانت أهداف هذه الهجمات(٤)).

وبهذه المقولة وضع بن لادن -في حقيقة الأمر- الأساس الفكري لتلك السمات الاستراتيجية المتعلقة باستمرار الجهاد حينما حدد أن هدفه الاستراتيجي هو دفع المسلمين وتحريضهم علىٰ الصراع الذي وصل لذروته بشن هجمات ١١ سبتمبر ونقل معجزة الجهاد إلىٰ أناس آخرين، سينضمون للمسيرة علىٰ طول الطريق.

وبتوجيه أصابع الاتهام إلىٰ الولايات المتحدة، وبالعمليات التي شنها بن لادن ضدها؛ حاول بن لادن وضع صراع القاعدة كصراع بين الأمة الإسلامية ضد

= والنصارىٰ» كانت الجماعة الإسلامية في مصر، والتنظيم الباكستاني جماعة العلماء وحركة الجهاد في بنجلاديش، انظر:

.http://www.fas.org/irp/world/para/docs/980223-fatwa.htm

(١) Through Our Enemies' Eyes, p. 61.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٢.

(٣) في هذا الموضع قام بن لادن باللعب بالكلمات فقد استخدم الاسم العربي «عبد الله» الذي معناه عبد للإله لكن أبو عبد الله كان في نفس الوقت هو كنية بن لادن المعروف بها لدىٰ أنصاره.

(٤) Statement by Osama Bin Laden, Al-Jazeera Satellite Channel Television, 27 December 2001.

إمبراطورية الشر، التي هي غير إسلامية في جوهرها، وذلك في محاولة منه لتجنيد حالة «التضاد» التي نشأت في العالم الإسلامي لصالحه، والتي زادت وتطورت خلال النصف الثاني من القرن العشرين بسبب أنشطة وسياسات أمريكا الخارجية، فقد قال بن لادن: (لقد حذرت أنه في حال ما دخلت الولايات المتحدة في صراع مع أبناء بلاد الحرمين الشريفين «السعودية»؛ فإن أمريكا سترىٰ أهوالًا أعظم بكثير من أهوال فيتنام، وفي هذه الحالة، بحمد لله، سيكون القادم أكبر بكثير[١]).

ثالثا: وسيلة تفعيل القوة تم تغييرها وتم التأكيد علىٰ إرهاب الانتحاريين. فمن الناحية التنفيذية فَهِم بن لادن أن عليه تغيير أسلوب القتال العنيد والدامي الذي يميز القتال مع السوفييت في أفغانستان، والتوجه نحو صراع من القلب يكون أكثر حداثة وبهرجة، وهذا الصراع يهدف من جانبٍ إلىٰ إحداث أكبر قدر ممكن من الإصابات لدىٰ العدو وانهيار معنويات قواته، وحتىٰ داخل الرأي العام لديه، وفي نفس الوقت الإعلاء من شأن اسم القاعدة وأنشطتها بين عموم المسلمين من جانب آخر، بما يمكن استخدامه كمصدر من مصادر ضم المزيد من العناصر للصراع الذي يخوضه التنظيم. وفي هذا الإطار؛ زرع تنظيم القاعدة مفهوم «الاستشهاد» (إرهاب الانتحاريين) كأداة تنفيذية دعائية مركزية. ومن الناحية التنفيذية استُخدم مفهوم إرهاب الانتحاريين كسلاح فعال ومؤثر بشكل خاص، هدفه إحداث أكبر قدر من الأضرار لدىٰ العدو. ومن الناحية الدعائية؛ أعطىٰ إرهاب الانتحاريين لمن يقومون به جرعة من الثقة والقوة، بالإضافة إلىٰ حالة من تجاوز كل رهبة وخوف من الموت لأنهم هم من يبذلونها في مقابل ما يعتقدون. وعلىٰ الرغم من أن منظمات إرهابية أخرىٰ استخدمت إرهاب الانتحاريين قبل تنظيم القاعدة بسنوات طويلة، إلا أن القاعدة هو التنظيم الذي نجح في تحويله إلىٰ قيمة تنظيمية قوية وإلىٰ رمز دعائي للجهاد العالمي. علاوة علىٰ تضامن تنظيم القاعدة شكليًا مع إرهاب الانتحاريين؛ تأثّر الكثير من نشطاء الجهاد العالمي بذلك وتبنوا هذا الأسلوب ضمن عملياتهم التنفيذية.

رابعا: طمح تنظيم القاعدة إلىٰ الإضرار اقتصاديًا بالولايات المتحدة والغرب،

---

(١) First War of the Century: Statement by Al Qaeda Leader Osama Bin Laden, Al-Jazeera 66 Satellite Channel Television, 27 December 2001.

وذلك من خلال إشغاله الولايات المتحدة بمحاربة الإرهاب داخليًا وخارجيًا حتىٰ يؤدي ذلك إلىٰ أن تسقط[١]. فقد أدرك التنظيم أنه من الصعب هزيمة الولايات المتحدة عسكريًا من خلال مواجهة عسكرية، لذلك حاول إشغال قواتها في حروب مستمرة ودامية واستنزافية، لكنها في نفس الوقت ذات تكلفة اقتصادية منخفضة بالنسبة لتنظيم القاعدة. وذلك مثل الضرر الذي لحق بالولايات المتحدة نتيجة الهجوم علىٰ حاملة الطائرات USS-Cole والذي وصلت تكلفة ضرره الاقتصادي إلىٰ حوالي نصف مليار دولار، في حين كلفت العملية تنظيم القاعدة حوالي ٥٠٠٠ دولار فقط[٢]. وكذلك هجمات ١١ سبتمبر التي كلفت التنظيم حوالي نصف مليون دولار فقط، في حين كان الضرر المباشر علىٰ الولايات المتحدة من هذه العملية حوالي خمسة مليارات دولار. علاوة علىٰ ذلك؛ فإنه بعد عقد من الحرب ضد أفغانستان والعراق فإن تقديرات التكاليف العسكرية والمدنية المختلفة، سواء المباشرة أو غير المباشرة، لهذه المعارك تراوحت ما بين ٣ إلىٰ ٥ تريليون دولار[٣].

لقد حدد بن لادن وقادة تنظيمه صناعة النفط والطائرات كصناعات أساسية تحرك الاقتصاد الغربي العالمي، لذلك ركزوا عليهما في قلب سياسات الهجمات التي يشنها التنظيم[٤]، وفي أحيان كثيرة أطلق بن لادن وقادة القاعدة مصطلحات تعود لأيام ازدهار الإسلام في القرن السابع الميلادي، وساووا بين صناعة النفط في الوقت الحالي وبين حركة القوافل التجارية التي كانت تمر بمكة إبان فترة تكون الإسلام[٥].

---

(١) نفس المرجع.

(٢) الشرق الأوسط، ١٣ نوفمبر ٢٠٠٠.

(٣) Joseph E. Stiglitz, The Globalization of Protest, Project Syndicate, November 4, 2011; Idem The Price of 9/11, Project Syndicate, September 1, 2011, http://www.project-syndicate.org/commentary/the-price-of-9-11; Joseph E. Stiglitz and Linda J. Bilmes, The true cost of the

Iraq war: 3$ trillion and beyond, The Washington Post, http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/0210/09/03/AR2010090302200.htmlSunday, September 5, 2010.

(٤) Bin Ladin's Former Bodyguard Interviewed on Al-Qaeda Strategies GMP20040803000039, Al-Quds al-Arabi, London (in Arabic) 3 August 2004, p. 4.

(٥) في فترة تكون الإسلام اعتبر النبي محمد أن قوافل التجارة التي تمر في طريق صحراء مكة هي العنصر =

وقد ساعدهم مناصروهم في أنحاء العالم مرارًا وتكرارًا في الإضرار بصناعة النفط، علىٰ فرض أن ضربة موجهة في هذا المجال الحياتي الحيوي من شأنها أن تؤدي إلىٰ انهيار الاقتصاد الغربي، وبهذا تسرّع من انهيار الولايات المتحدة وحلفائها.

خامسًا: اشتمل تنظيم القاعدة علىٰ منظومة دعائية تدافع عن أيديولوجيته، فقد أعطىٰ لهذه المنظومة أهمية كبيرة، وهو ما تبدّىٰ في نوعية الأشخاص الذين تم اختيارهم لرئاسة اللجنة الإعلامية في التنظيم، والتي كانت مسؤولة كذلك عن وحدات العمليات الخاصة المسؤولة عن تنفيذ هجمات دولية، وكان الربط بين الوحدتين انعكاسًا لتلك الأهمية التي أولاها التنظيم للإدارة المشتركة لمعركة الهجمات ومعركة الإعلام في آن واحد، بالإضافة لضرورة مراقبة ذلك عن قرب(١). وقد تطورت مع مرور السنوات معركة نشر وتسويق الصورة القوية للتنظيم، فبالإضافة إلىٰ شركة الإنتاج الخاصة بالتنظيم والمسماة بـ«السحاب»؛ عمل أعضاء التنظيم والمناصرون له علىٰ إنتاج العديد من الأفلام الدعائية ونشرها في المئات من المواقع الإلكترونية.

علاوة علىٰ ما سبق؛ فقد حاول بن لادن تطوير كامل وسائل وقدرات التنظيم قائلا: (إن امتلاك سلاح غير تقليدي للدفاع عن المسلمين يُعد فرضًا دينيًا(٢))، وأكد علىٰ ضرورة امتلاك مثل هذا السلاح لإخراج الصليبيين من البلدان الإسلامية،

= الاقتصادي الأبرز للحياة في مكة. ووفقًا لذلك فإنه من أجل أن ينهار المورد الاقتصادي لمكة قبيل احتلالها؛ فقد قام مقاتلو الإسلام بمهاجمة هذه القوافل، وهو ما أدىٰ إلىٰ توقفها وانهيار اقتصاد مكة ومن يسكنوها، وبعد ذلك بشهور سقطت هذه المدينة في أيدي المسلمين الجدد

Marisa Urgo and Jack F. Williams, Al-Qaeda's Medinan Strategy: Targeting Global Energy Infrastructure, May 2008, Vol. 1, Issue 6, http://www.ctc.usma.edu/sentinel/ctcsentinel-vol1iss6.pdf.

(١) الفكرة التنفيذية الأساسية لهجمات ١١ سبتمبر كانت اختطاف عشرة طائرات ركاب أمريكية (خمسة من المطار) وتحطيم تسعة منها، في حين أن الطائرة العاشرة تهبط مع خالد شيخ محمد، والذي يقوم -أي: شيخ محمد- بشرح ظروف ودوافع هذا الهجوم للأمة الأمريكية. وفي نهاية الأمر فإن هذا الهجوم بهذا الشكل لم ينفذ بسبب صعوبات تنفيذية لكن هذا النوع من التخطيط يعكس الرابط بين التنفيذ والدعاية لدىٰ التنظيم، أنظر:

http://www.9-11commission.gov/report/911Report.pdf P154.

(٢) *Through Our Enemies' Eyes*, pp 66.

وللقضاء علىٰ الأنظمة المسلمة التابعة لهم. ووفقًا لبن لادن فإنه يرىٰ أن مثل هذا السلاح هو سلاح استراتيجي وليس سلاحًا تكتيكيًا، لأن هذا السلاح بإمكانه تحقيق النصر في الحرب، واستخدامه من شأنه تحقيق النصر الاستراتيجي علىٰ أعداء الإسلام.

بالتوازي مع هذه التغييرات؛ فقد ظل تنظيم القاعدة تنظيمًا هيراركيًا ومنظمًا، يعمل وفق قواعد عملية، ومؤسس علىٰ توزيع المهام والمناصب بشكل واضح بين لجانه ونشطائه، فمجلس المراقبة والاستشارة أو «مجلس الشورىٰ» كان بمثابة حكومة أو مجلس وزاري مصغر بالتنظيم، وكان بن لادن ونائبه الظواهري القادة الكبار فيه، وتنضوي تحت هذا المجلس مجموعة من اللجان التي عملت كوزارات حكومية بشكل ميّز تنظيمًا دون المستوىٰ السياسي (القاعدة)، وكانت هذه اللجان مسؤولة عن عدة موضوعات مثل العمليات العسكرية والإدارة والماليات، والدين والإعلام . . . إلخ، وكان النشطاء الكبار فقط هم من يتولون مناصب في مجلس الشورىٰ، لذلك كانت عضويته منحصرة في رؤساء اللجان والقادة البارزين في الوحدات المخلتفة. وعقب قرار الانتقال إلىٰ الجهاد العالمي؛ أضيف للتنظيم بناء قاعدي جديد ذو هيئتين ذاتا أهمية كبيرة فيما يتعلق بشن الجهاد ضد الغرب؛ **الهيئة الأولىٰ**: هي اللجنة الأمنية المسؤولة عن منع تسلل عناصر مخابراتية غربية إلىٰ صفوف التنظيم، وكانت مسؤولة كذلك عن تجنيد المزيد من العناصر للتنظيم لاسيما من البلدان الغربية بواسطة جهاز تجنيد فعال. وهذه الهيئة تُسمىٰ «جهاز الدعوة»، وكانت تابعة بشكل مباشر للجنة الأمنية في التنظيم[1]. واشتلمت علىٰ شبكة من الأئمة ورجال الدين، والتي انتشرت خلال سنوات التسعينات في عدد من العواصم المركزية في العالم. أما **الهيئة الثانية** فكانت وحدة العمليات الخاصة في الساحة العالمية التي أقيمت في إطار اللجنة العسكرية للتنظيم.

كان بين هاتين الهيئتين تعاون وارتباط وثيق، فجهاز الدعوة تكون من عناصر التنظيم التي قاتلت ضد السوفييت في أفغانستان، وأُلقي علىٰ عاتقها مسؤولية تجنيد

(١) Gunaratna Rohan and Oreg, Aviv "Al Qaeda's Organizational Structure and its Evolution", *Studies in Conflict & Terrorism*, Vol. 33 (2010).

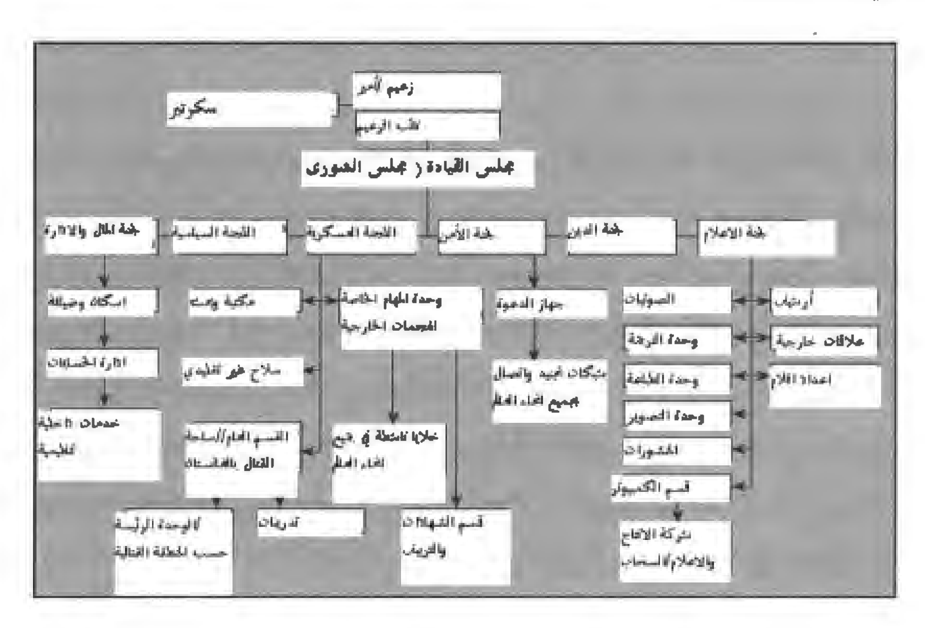
المزيد من الشباب من دول غربية وتدريبهم وإرسالهم إلىٰ أفغانستان، وهؤلا النشطاء استخدموا بشكل عملي كضباط اتصال (Point of Contact-POC) للتنظيم في مناطق مختلفة من العالم، وعملوا تحت رعاية رجال دين وأئمة مساجد ومراكز إسلامية لاسيما في بلدان أوروبا الغربية، وقد استغلوا الإحباطات الاجتماعية والاقتصادية في أوساط الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين المسلمين في غرب أوروبا والذين كان معظمهم، إن لم يكن كلهم، من مواليد الغرب، لكنهم تخرجوا من أنظمة تعليمية في بلدانهم الأصلية ولم ينجحوا في الاندماج بالمجتمعات الغربية.

إن التوجه نحو التشدد علىٰ خلفية الفجوات الاجتماعية والاقتصادية التي ميزت أوساط أبناء المهاجرين والتي عرفت لفترة ما بـ«مسيرة الراديكالية أو التشدد الإسلامي»، بدأت في الانتشار في أوروبا خلال التسعينيات وما بعدها، وازدادت بعد هجمات ١١ سبتمبر، وانتشرت كذلك في أمريكا الشمالية واستراليا، صب وهؤلاء الشباب جام غضبهم علىٰ الدولة والمجتع، حيث يعيشون، وتوجهوا للبحث عن أصولهم من خلال «التوبة والعودة» للإسلام وتبني نمط الحياة الشخصي والجماعي المنبثق منها. وخلال مسيرة هؤلاء الشباب لعودتهم لأصولهم الإسلامية الدينية نشأت خيوط اتصال بينهم وبين شبكة التجنيد التي نشرها تنظيم القاعدة في جميع أنحاء أوروبا، ونهاية المطاف أدت بهم إلىٰ الانضمام إلىٰ معسكرات التدريب التابعة للتنظيم في السودان وأفغانستان وإرسالهم إلىٰ ساحات الجهاد المختلفة التي كانت القاعدة ناشطة فيها خلال هذه الفترة مثل الشيشان والبوسنة وكشمير وأفغانستان نفسها من أجل العمل ضد عناصر الجبهة الشمالية.

علاوة علىٰ ذلك فإن قرار بن لادن شن جهاد عالمي جعلت من هؤلاء الشباب الغربيين وسيلة تنفيذية ذات قيمة عالية بالنسبة للتنظيم، علىٰ خلاف نشطاء القاعدة التقليديين الذين وصل معظمهم من الشرق الأوسط، إذ أن النشطاء الجدد كان يتحدثون اللغات الغربية ومن حملة الشهادات الأوروبية وكانوا من أصحاب الثقافات الأوروبية وعلىٰ دراية عميقة بالثقافة ونمط الحياة الغربيين، كل ذلك مكّن التنظيم من شن هجمات في البلدان الغربية، ولم يكن من الغريب أن تكون غالبية الخطط والعمليات التنفيذية للوحدة التنفيذية الجديدة برئاسة خالد شيخ محمد اعتمدت علىٰ

نشطاء غربيين تم تجنيد معظمهم عن طريق «جهاز الدعوة»، وكان الأبرز من بينهم «خلية هامبورج» التي استخدم ثلاثة من أعضائها كطيارين انتحاريين في هجمات ١١ سبتمبر.

شكل رقم ٢: بناء القاعدة نهاية سنوات التسعينات بعد إضافة اللجنة الأمنية ووحدة العلميات الخاصة[١].



إن الهجمات الأولىٰ التي شنت وفقًا لقرار الخروج في معركة إرهابية ضد الولايات المتحدة كان أبرزهما هجومين قويين ومؤثرين، وهما: الأول عام ١٩٩٨، والثاني عام ٢٠٠٠ واللذين نُفّذا من جانب وحدة العلميات الخاصة الجديدة للتنظيم.

كما اختار بن لادن في عام ١٩٩٨ شن عملياته الأولىٰ في أفريقيا، وتحديدًا في تنزانيا وكينيا، وذلك بالاعتماد علىٰ الخلية الأساسية للإرهاب التي كونها التنظيم هناك، وكان الهدف الذي تم اختياره هو سفارات الولايات المتحدة، وبهذا حدد بن لادن الممثليات الدبلوماسية الممثلة للذراع السياسي التنفيذي للإمبريالية الأمريكية، كهدف مفضل بالنسبة له ولعناصره، وقد أعدت علمية تستهدف تدمير السفارة الأمريكية

(١) Gunaratna, Oreg, p. 1055.

باستخدام حافلات مفخخة يقودها انتحاريون، وقد قام بتنفيذ العمليتين في نيروبي ودار السلام سائقان انتحاريان، وقد استهدف استخدام الانتحاريين إلىٰ إرساء سمة: أن هذا العمل هو رمز قوي للتنظيم، وكنموذج تنفيذي للمحاكاة.

وقد مثَّلت الهجمات التي شنها التنظيم شرق أفريقيا نجاحا كبيرًا للقاعدة، لأنها وضعت التنظيم علىٰ الخارطة العالمية كمنفذ للعمليات وليس فقط كموجه أو منظم لعمليات القتال (رغم أن الغالبية العظمىٰ من القتلىٰ في الهجومين كانوا من السكان المحليين).

ورغم أن التنظيم لم يعلن مسؤوليته عن الهجومين إلا أن بن لادن وبقية قادة التنظيم أرسلوا إشارات خفية حول مسؤوليتهم عن هذه الهجمات، كما أنهم هددوا بكون أن هذه فقط هي البداية، وأن الصراع ضد الولايات المتحدة سيستمر مستقبلًا. وبالفعل في أكتوبر من عام ٢٠٠٠ نفذ أعضاء الخلية اليمنية التابعة لوحدة العمليات الخاصة في القاعدة هجومًا انتحاريًّا بواسطة سيارة مفخخة ضد المدمرة الأمريكية يو اس اس كول، وقتل في الهجوم ١٧ شخصًا وأصيب ٣٩ ملاحًا وغرقت المدمرة. وبواسطة وسائل بسيطة ومنخفضة التكاليف نجح هذا الهجوم ضد هذه المدمرة الأمريكية (رمز الذراع العسكري للإمبريالية الأمريكية في شواطئ الشرق الأوسط)، في إحداث ضرر اقتصادي وعسكري كبير. كما أن قدرة ونجاح التنظيم في ضرب الأمريكيين استخدمت بشكل دعائي قوي من جانب التنظيم، ومثلت دافعًا للكثير من المسلمين للانضمام لصفوف التنظيم[١].

في مقابل ذلك، أعطىٰ التنظيم مباركته لجزء من نشطائه، وخاصة من أعضاء الخلايا والوحدات الإرهابية التي تكونت بعد أن تدرب أعضاؤها في معسكرات أفغانستان، لشن هجمات في الغرب بالاعتماد علىٰ قدراتهم التنفيذية ومن دون مساعدة أو موافقة مباشرة منه. وفي هذا السياق ظهرت محاولات لهجمات خلايا إرهابية في بلجيكا وهولندا، وكذلك محاولات لهجمات في مناطق مختلفة من

---

(١) شهد اثنان من كبار قادة التنظيم وهما خالد شيخ محمد وعبدالله نشيري أنهما قررا الانضمام للقاعدة بعدما تأكدا من نية التنظيم شن هجمات فعالة تبلور نظرية الجهاد الفعال بواسطة هجمات إرهابية ضد عدو الإسلام.

العالم، ومنها مطارات لوس أنجلوس علىٰ أيدي أحمد راسم، وفي عمّان علىٰ أيدي خلية إرهابية أردنية تأسست من خريجي معسكرات أفغانستان ضد سائحين أمريكيين وإسرائيليين خلال زيارتهم للأماكن المسيحية المقدسة، وفي المعبر الحدودي بين إسرائيل والأردن[1].

وكانت هجمات ١١ سبتمبر، أولًا وقبل كل شيء، تعبيرًا عن استراتيجية بن لادن لنقل الهجمات إلىٰ أراضي الولايات المتحدة والإضرار بقدراتها عبر هجمات ضد أهداف ذات قيمة رمزية، مثل برجي التجارة العاليمة، اللذين يرمزان للقوة الاقتصادية والتجارية للقوىٰ العظمىٰ والكبرىٰ في العالم، والبنتاجون الذي يُعد رمزًا للقوة العسكرية للولايات المتحدة وللأذرع العسكرية لأمريكا، والبيت الأبيض الذي تم التخطيط للهجوم عليه في البداية وبعد ذلك مبنىٰ الكابيتول، وكلها رمزيات للنظام السياسي الأمريكي[2]. وبهذا اتسمت هجمات التنظيم بـ «التجدد التكتيكي»، فبالإضافة إلىٰ نوعية الهجمات المعروفة في الماضي، مثل اختطاف الطائرات واتخاذ الرهائن، والهجمات الإرهابية، واستخدام وسائل قتالية مثل السكاكين؛ انضمت إلىٰ هذه القائمة كذلك نوعية هجمات أخرىٰ جديدة مثل استخدام الطائرات المملوءة بالوقود كقنابل قوية لتدمير أهداف محددة.

لقد نجح تنظيم القاعدة من خلال هجمات سبتمبر في أن يزيد من قوة التنظيم ويقدمه كقوة ساحقة وكنهج للجهاد العالمي. ليس هذا فحسب؛ بل إن تنظيم القاعدة تحول إلىٰ عدو مركزي للقوىٰ العظمىٰ الأكبر في العالم، بعدما هاجمها مباشرة وأضر برمزية هيمنتها، كما أنه نسف فكرة عدم السيمترية بين قوة الولايات المتحدة وقوة العالم الإسلامي، وكانت هذه الهجمات والرد القوي غير المتوقع من الولايات المتحدة عليها، هادفة لجر القوة العظمىٰ الأكبر في العالم للحرب ضد العالم

---

(١) يورام شفيتسر وشاؤول شاي، «المفاجأة المتوقعة: هجمات الإرهاب في الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياتها»، مركز هرتسليا متعدد المجالات ومعهد السياسات ضد الإرهاب، تل أبيب، ٢٠٠٢، ص ١٥٩-١٧٩.

(٢) الطائرة الرابعة التي تحطمت في مطار بنسلفانيا بسبب مواجهة الركاب للخاطفين، كانت ستتحطم في البيت الأبيض، وحينما ثبت أن الأمر غير ممكن؛ تم التخطيط إلىٰ أن تتحطم فوق مبنىٰ الكابيتول.

الإسلامي، وأدت في نفس الوقت إلىٰ زيادة غربة الشباب المسلم في الغرب وسحقه، وبالتالي تسريع وتيرة تجنيد المزيد من العناصر الشبابية للتنظيم من جميع أنحاء العالم[١]. وبهذا زادت هذه الهجمات داخل الشباب المسلم الإحساسَ بالازدواجية تجاه الصراع والصدام الحتمي بين «ثقافة الشر» الغربية، وثقافة الحق الإسلامية، وبين الاستبداد والظلم والفساد الأخلاقي الأمريكي والطهارة الإسلامية.

في إطار هذه الحرب بين الثقافات، تم تحديد اليهود والإسرائيليين كهدف خاص، فأيديولوجية القاعدة كانت ومازالت معادية لليهودية ومعادية لإسرائيل في جوهرها ولا تختلف عن أيديولوجيا عناصر الإسلام المتشدد الآخرين التي سبقت تنظيم القاعدة في الظهور. فوفقًا لفكرهم فإن اليهود هم رفقاء الأمريكيين وبالتالي هم جزء من تواطؤ عالمي لمؤامرات صليبية ويهودية[٢]. ووفقًا لهذا التفكير فإنه قد تم زرع دولة إسرائيل في المنطقة كشوكة في حلق العالم الإسلامي، وهي تجسيد سياسي لهذا التآمر العالمي، وبالتالي فإنه من الواجب خوض الحرب ضد هذا الكيان حتىٰ يتم تدميره وإخراج اليهود من هذه المنطقة، والطريق إلىٰ ذلك هو شن هجمات إرهابية مؤلمة تؤدي إلىٰ إضعاف الشريكة الرئيسة للدولة اليهودية، وهي الولايات المتحدة، وبشكل يثبت للجمهور الإسلامي وأنصاره أنه علىٰ العكس من التصور السائد باستحالة هزيمة إسرائيل، فإنها دولة ضعيفة وزائلة[٣].

وحتىٰ العام ٢٠٠١ ظلت النظرية المعادية لإسرائيل ولليهود بلا تنفيذ علىٰ أرض الواقع عدا بعض المحاولات القليلة للهجوم علىٰ اليهود في مناطق متفرقة من أوروبا والشرق الأوسط، والتي تم التخطيط لها بشكل أساسي علىٰ أيدي خلايا وجماعات إرهابية مدعمة من القاعدة في شمال أمريكا[٤]، إلا أن معظم هذه الهجمات تم إحباطها.

---

(١) شفيتسر وشاي، المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) ميميري: معهد دراسات الإعلام في الشرق الأوسط، «بن لادن في خطاب للشعب العراقي»، ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٤.

(٣) ميميري، خطب بن لادن في عيد الأضحىٰ، ٢٣ فبراير ٢٠٠٣.

(٤) شفيتسر وشاي المرجع السابق، ص ٤٩.

الفصل الثاني

عقد من الإرهاب: استراتيجية القاعدة

إن الانطباع الذي تركته هجمات ١١ سبتمبر علىٰ العالم كله، شكّل صورة جديدة للتنظيم (القاعدة) كـ «قوة إسلامية كبرىٰ» ومنح للإرهاب قوة كبيرة، وذات تأثير كبير علىٰ أنصاره، هذه الصورة زادت من حالة الحماس للانضمام للتنظيم في أوساط الشباب المسلم في جميع أنحاء العالم، وساعدت علىٰ انضمام المزيد من المتطوعين الجدد، وأدخلت القاعدة إلىٰ مرحلة من الزخم فوق العادي للعمليات ولتخطيط الهجمات، والتي كان يسعىٰ ويخطط لها عدد من قادة التنظيم قبيل شن هجمات ١١ سبتمبر علىٰ الولايات المتحدة.

وفي نظر قادة القاعدة، فإن نجاح هذا الهجوم أثبت نظرية أن الجهاد بإمكانه إحداث تغيير في وعي الكثير من نشطاء ومناصري التنظيم فيما يتعلق بفكرة إمكانية إحداث ضرر كبير من خلال هجمات منفردة. لذلك فإنه خلال العقد الذي بدأ بهجمات ١١ سبتمبر وانتهىٰ بتصفية بن لادن في مايو ٢٠١١ علىٰ أيدي القوات الخاصة الأمريكية في باكستان، أكد التنظيم ونشطاؤه علىٰ فكرة ضرورة شن هجمات إرهابية خاصة ومركزة ودموية وذات بعد استراتيجي، من خلال تنفيذ استراتيجية مهاجمة الغرب وحلفائه توائمًا مع الخط الذي رسمه بن لادن في أفغانستان خلال فترة منتصف التسعينات.

تمت إدارة هجمات التنظيم التنفيذية علىٰ الساحة الدولية علىٰ أيدي وحدة المهام الخاصة المسؤولة عن تنفيذ هجمات في الخارج، وتحت قيادة زعماء التنظيم من أمثال خالد شيخ محمد(١) الذي قاد هجمات ١١ سبتمبر. وقد أدارت وخططت هذه

(١) حتىٰ اعتقاله في مارس ٢٠٠٣ وحلفائه حمزة ربيع (حتىٰ مقتله في نهاية ٢٠٠٥) أبوعبيدة المصري (حتىٰ موته في ٢٠٠٧) وصلاح الصومالي (حتىٰ مقتله في نهاية ٢٠٠٩) وعدنان شكري جمعة (جعفر الطيار).

الوحدة للكثير من الهجمات الكبيرة ومحاولات الهجمات خلال العقد الأخير ضد الكثير من الأهداف المهمة، مثل المطارات والموانئ والمضائق البحرية وناقلات النفط والمراكز العسكرية والطائرات والبنىٰ الأساسية للطاقة إضافة إلىٰ أهداف سياحية وفنادق، كما خططت هذه الوحدة لشن هجمات كبيرة من خلال إخفاء قنابل وإطلاق نار، إضافة للتخطيط لهجمات ضد أهداف اقتصادية وتجارية وغيرها. ومثلما هو الحال في الهجمات علىٰ الولايات المتحدة؛ فإن الهجمات التي تلتها، والتي كانت من تخطيط التنظيم، تميزت بأنها كانت جديدة في فكرتها وتسببت في قتل الكثير من الأشخاص.

برزت أربعة محاولات مختلفة للمحاكاة وإعادة النجاح الذي حققته هجمات ١١ سبتمبر، وكانت في الساحل الغربي للولايات المتحدة، وفي بريطانيا، وفي الشرق الأقصىٰ، وفي الخليج الفارسي، اذ كانت هناك محاولات لشن هجوم إشعاعي علىٰ الولايات المتحدة، وإسقاط طائرات مسافرين أمريكيين وبريطانيين وإسرائيليين، ويصاحبها في نفس الوقت تحطيم عشر طائرات أمريكية وبريطانية وكندية خلال طيرانهم فوق المحيط الأطلسي[1]، وكانت هذه الهجمات جزءًا كبيرًا من خطط وحدة المهام الخاصة، وكان من المتوقع لها في حال تنفيذها بنجاح أن يكون عدد القتلىٰ كبيرًا جدًا ويصل إلىٰ الآلاف ولربما عشرات الآلاف من القتلىٰ.

وقد ارتكزت هذه الاستراتيجية حول تنفيذ هذه المخططات علىٰ أربعة ركائز أساسية: ١- إرهاب الانتحاريين، ٢- الحرب النفسية، ٣- الجهاد الاقتصادي، ٤- محاولة شن هجمات باستخدام أسلحة غير تقليدية وتطوير قدرات الإنترنت. وخلال هذا العقد من الزمان كانت القاعدة والمنظمات التابعة لها مسؤولة عن عشرات الهجمات الانتحارية والتي أدىٰ كل وأحد منها إلىٰ قتل أكثر من ٥٠ شخصًا. وبطبيعة الحال؛ فقد تسببت هجمات ١١ سبتمبر في مقتل حوالي ٣ آلاف شخصًا، وكانت هي الهجمات الأكثر خطورة من بين كل هجمات التنظيم[2].

---

(١) انظر الملحق: هجمات بارزة ومحاولات هجمات مركزية.

(٢) علاوة علىٰ الهجمات التي تسببت في الكثير من الضحايا علىٰ الساحة الدولية؛ اشترك التنظيم كذلك في عشرات الهجمات الإرهابية في ساحات الجهاد (أفغانستان وخاصة العراق) والتي استخدمت فيها =

يذكر أن استخدام الانتحاريين كسمة جديدة وأسلوب جديد فضلت المنظمات الإرهابية استخدامه، كان قد بدأ استخدامه بالفعل قبل ١٥ عامًا من ظهور تنظيم القاعدة، لكن تنظيم القاعدة هو الذي حوّل مفهوم التضحية بالنفس باسم الإله إلىٰ هدف في حد ذاته[١]، وساهم في زيادة نفوذ إرهاب الانتحاريين، وطوّر من زيادة فعالية وحجم الإرهاب، كما أن هذا النوع من الإرهاب تم تبنيه من قِبل الكثير من عناصر الإرهاب العالمي[٢]، ونشروه في بلدان وأماكن لم تكن تعاني من هذا التهديد حتىٰ هذا العقد من الزمان الذي تبنىٰ فيه تنظيم القاعدة هذا النوع من الهجمات، وذلك في مقابل العقدين الذين سبقاه. فقد زاد حجم الهجمات الانتحارية في العالم خمسة عشر ضعفًا، والتي نفذتها منظمات تنتسب للجهاد العالمي. ووصلت نسبتها إلىٰ ٨٥٪ باجمالي حوالي ٣٥٠٠ هجوم انتحاري حتىٰ عام ٢٠١٣[٣].

بالإضافة إلىٰ استخدام الهجمات الانتحارية كعنصر مركزي للقتل، فعَّل تنظيم القاعدة منظومة دعائية ونفسية لزيادة نفوذ أيديولوجيا التنظيم، فمع زيادة التطور التكنولوجي ووسائل الإعلام وفي مقدمتها مواقع الإنترنت وإمكانية نشر الأفلام من جانب أشخاص، فقد ظهرت الآلاف من مواقع الإنترنت المنسوبة لأفكار القاعدة والجهاد العالمي، وعرضت بها أعمالًا قام بتنفيذها التنظيم وتم تصويرها إبان حدوثها، وبمساعدة هذه المواقع وبنشر الكثير من الأفكار؛ انتشرت في جميع أنحاء

= طرق هجومية لزيادة عدد الضحايا، لكن هذه العمليات أثارت الكثير من الانتقادات وأضرت بشرعية التنظيم في أعين السكان المسلمين بسبب العدد الكبير من الضحايا من المسلمين الذين وقعوا جراء هذه العلميات.

(١) انظر علىٰ سبيل المثال أيديولوجيا هراون فازول والعشرة نشطاء الذين جاؤوا من أوروبا للصومال وهدفهم أن يصبحوا شهداء. هارون فازول: الحرب ضد الإسلام: الجزء الثاني صفحة ٩٧ (بالعربية) http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2013/10/The-Story-of-Fazul-Harun-Part-2-O.pdf.

(٢) علىٰ سبيل المثال الهجوم في بالي بأكتوبر ٢٠٠٢، والذي نفذه إرهابيون من تنظيم الجماعة الإسلامية في جنوب شرق آسيا، وهو الهجوم الذي قتل به ٢٠٢ شخصًا، معظمهم سائحون، وكان الهجوم الانتحاري الأول للتنظيم، والأول في أندونيسيا بشكل عام.

(٣) بيانات البحث حول الانتحاريين في خطة البحث للإرهاب في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي.

العالم صور لأعمال عسكرية وهجمات اشترك فيها أشخاص من الوحدات المختلفة للتنظيم مصاحبة برسائل أيديولوجية واستراتيجية وتفاخر بقوة التنظيم في مقابل ضعف أعدائه والهجوم عليهم.

كانت الركيزة الثالثة للاستراتيجية القتالية للقاعدة وشركائها خلال العقد الماضي هي ما يتعلق بالقتال علىٰ الساحة الاقتصادية، وهي من المفاهيم اللصيقة بفكر الجهاد العالمي ضد الغرب، فقد ركز تنظيم القاعدة وشركاؤه خلال عقد كامل كل جهودهم من أجل الإضرار بالاقتصاد العالمي كجزء من معركة شاملة هدفت إلىٰ إضعاف الغرب اقتصاديًّا، وذلك من خلال ضرب البنىٰ الأساسية للصناعة والتجارة والطاقة به، وكذلك عن طريق استنزافه عسكريًا عن طريق شن هجمات في ساحات قتالية تتباعد كل واحدة عن الأخرىٰ[١]. علىٰ سبيل المثال؛ تلك الأضرار الاقتصادية السلبية، سواء المباشرة أو غير المباشرة، لهجمات ١١ سبتمبر علىٰ الدول الغربية وعلىٰ رأسها الولايات المتحدة، وما حصل علىٰ إثر ذلك من إطلاق قوات عسكرية إلىٰ أفغانستان والعراق، وتمويل تواجدها هناك، والتي كانت تقدر بتريلونات الدولارات في كل العام[٢]. كما أن هذه الهجمات أدت إلىٰ تغيير نمط الحياة اليومية في الغرب، في حين أن البعض يقدر أنه كان لهذه الهجمات تأثير علىٰ تزايد حدوث انكماش اقتصادي حاد أصاب العالم منذ عام ٢٠٠٨، وهو الانكماش الذي لم تتمكن الاقتصاديات

(١) شهادات أخرىٰ حول أهمية الجهاد الاقتصادي وكلها علىٰ لسان بن لادن نفسه، مثلما قال ساد بادات، وهو من نشطاء القاعدة: كان من المقرر أن يحطم طائرة ركاب أمريكية خلال طيرانه باستخدام مواد متفجرة خبأها في حذائه وحصل علىٰ إرشاد شخصي من زعيم التنظيم: الاقتصاد الأمريكي هو مثل الشبكة اذا قطعت وصلة منها فقط ينهار الاقتصاد كله، لذلك فإنه بعد هجمات ١١ سبتمبر كانت هذه العملية التي كان سيقوم بها بادات من المقرر أن تؤدي إلىٰ انهيار صناعة الطيران، وبعد ذلك ينهار الاقتصاد الأمريكي كله.

(٢) Joseph Stiglitz, The Price of 9/11, Project Syndicate, 1 September, 2011, http://www.project-syndicate.org/commentary/the-price-of-9-11; idem and Linda J. Bilmes, The true cost of the Iraq war: 3$ trillion and beyond, The Washington Post, September 5, 2010, http://www.washingtonpost.com/wpdyn/content/article/2010/09/03/AR2010090302200.htmlSunday

الغربية التخلص منه حتىٰ الآن[١].

حدد تنظيم القاعدة الصناعات الأساسية التي تحرك الاقتصاديات الغربية مثل صناعة النفط والسياحة والنقل العام والطيران، وقام بمهاجمتها، كما بذل التنظيم جهدًا خاصًا لإغلاق بعض المضائق البحرية المركزية من خلال شن هجمات في مضيق جبل طارق عام ٢٠٠٢، ومضيق باب المندب في ربيع ٢٠٠٣، ومضيق هرمز في أغسطس ٢٠١٠. كما تم التخطيط للعديد من الهجمات التي لم تنفذ ضد أهداف مالية عالمية ومن ضمنها البنوك الكبرىٰ ومنشآت البورصة في أنحاء العالم ومنشآت مالية في وول ستريت[٢].

إضافة للهجمات التي تحدث ضررًا اقتصاديًا مباشرًا، رأىٰ التنظيم وشركاؤه ضرورة شن هجمات تحدث أضرارًا اقتصادية غير مباشرة، فعلىٰ سبيل المثال حدد تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية أن أحد أهداف شن هجوم علىٰ طائرة نقل أمريكية في أكتوبر ٢٠١٠ والتي سميت عملية ٤٢٠٠ (علىٰ اسم المبلغ المالي من الدولارات الذي تكلفته العملية) كان هو دفع الأمريكيين لاستثمار ملايين الدولارات في تطوير منظومة أمنية جديدة وتنفيذها في مناطق تتعرض لتهديدات متجددة[٣].

---

(١) أحد التفسيرات لحدوث انكماش اقتصادي في العالم كله وخاصة في الولايات المتحدة منذ العام ٢٠٠٨، هو أن هجمات ١١ سبتمبر أدت إلىٰ زيادة حالات التأمين في المطارات بشكل غير مسبوق، وهو ما أدىٰ إلىٰ تقلص منظومة السفر في الولايات المتحدة، وبالتالي فضل الكثيرون استخدام طائرات خاصة تم شراؤها علىٰ حسابهم الخاص بدلا من طائرات شركات الطيران، وكان الانخفاض الحاد في أعداد المسافرين بالطائرات وخاصة في الدرجات الخاصة مرتفعة الثمن أدىٰ بالكثير من شركات الطيران الصغيرة والمتوسطة خاصة في الولايات المتحدة إلىٰ الإفلاس وفصل الكثير من العمال والموظفين، وهؤلاء المفصولون من عملهم واجهتهم أزمة دفع ثمن أماكن سكنهم، وهو ما أدىٰ الىٰ حدوث أزمة السكن الكبرىٰ، التي يحاول الاقتصاد الأمريكي التعافي منها حتىٰ الآن. حول الآثار الاقتصادية بعيدة المدىٰ لهجمات ١١ سبتمبر؛ يمكن العودة علىٰ سبيل المثال لـ: اسحق بن حوريين، عقد علىٰ ١١ سبتمبر: بن لادن يضحك علىٰ أمريكا من جهنم،

http://www.ynet.co.il/articles/,7340, L-4110366,00.html.

(٢) انظر الملحق: هجمات بارزة ومحاولات هجمات مركزية.

(٣) ورد في إحدىٰ مقالات مجلة التنظيم إنسباير Inspire: (منذ هجمات ١١ سبتمبر استثمر الغرب الكثير من الوسائل لتحسين الأمن في طائرات المسافرين، فقد أجبرت هجمات ١١ سبتمبر وبعدها هجمات =

إضافة إلىٰ مجهودّات التنظيم في مجالات الهجمات غير التقليدية والجهاد الاقتصادي، بذل التنظيم مجهودًا كبيرًا في محاولة منه لامتلاك أو تصنيع قدرات غير تقليدية، إضافة إلىٰ المحاولات الحثيثة التي لم تنجح لامتلاك سلاح غير تقليدي(1)؛ فقد فعّل القاعدة مشروعًا سريًّا وخاصًّا لإنتاج مادة/ بكتيريا الجمرة الخبيثة أو الأنثراكس Anthrax hoaxes، وهو المشروع الذي تمت إدارته بإشراف مباشر من أيمن الظواهري وبعده خالد شيخ محمد، وتم إدارة العملية من جانب الميكروبيولوجي الماليزي «يازيد سوفات»، المنتسب لتنظيم الجماعة الإسلامية، والذي ساعد عددًا من التلاميذ في مجال الميكروبيولجي (معظمهم من الفلسطينيين الذين درسوا في باكستان مثال: سامر البراك، وهو فلسطيني من مواليد الكويت، الذي أصبح واحدًا من كبار العلماء وتم اعتقاله في إسرائيل عام ٢٠١٠)(2).

ونجح التنظيم من خلال هذا المشروع في إنتاج الأنثراكس في معامل مخصصة لذلك في قندهار وبعد ذلك في كراتشي، وحينما تم الاستيلاء علىٰ هذه المعامل من قبل قوات التحالف في ٢٠٠٢ وجدوا أن هذه المادة كانت في مرحلة «النسخ المتماثل(3)»، في حين قالت بعض التقارير عام ٢٠٠٤ إن تنظيم القاعدة حصل علىٰ منشأة نووية متوسطة الحجم من رجال المشروع النووي الباكستاني الذي برئاسة

= علىٰ الطائرات من قبل ريتشارد ريد وفاروق مطلب، ومحاولة الهجوم علىٰ مطار هيثرو، لصرف مليارات الدولارات لتحسين منظومة تأمين طائرات الركاب ... وماذا عن طائرات الشحن؟ إن صناعة طائرات الشحن هي صناعة ضخمة تدر المليارات من الدولارات، ونظرًا لأن هذه الصناعة ضرورية؛ فقد أجبرنا الغرب من خلال هذه الهجمات علىٰ تغيير وسائل أمنها بشكل جوهري لمواجهة التهديد المتجدد، وهو ما يثقل كثيرًا علىٰ الاقتصاد الغربي، وبهذا خلقنا احتمالين في مواجهة الغرب؛ إما أن يستثمر الغرب مئات المليارات من الدولارات لتأمين كل منطقة، أو لا يفعل ذلك، وفي هذه الحالة نقوم باستغلال ذلك لشن هجمات ...) .

(1) عن طريق عناصر مرتبطة بأبي مصعب الزرقاوي ومدحت مرسي أبو حباب.

(2) انظر رواية التحقيق مع خالد شيخ محمد في جوانتانامو التي تسربت من خلال ويكيليكس
http://wikileaks.org/gitmo/pdf/ku/us9ku-010024dp.pdf

(3) إحدىٰ الأفكار لاستخدام الأنثراكس هو نشرها في حقول قمح أمريكية كبيرة بواسطة طائرات رش يتم استئجارها، فقد اقترح محمد عطا قائد خلية الطيارين في هجمات ١١ سبتمبر دراسة هذه الفكرة. انظر:
Getman, Ross, Al-Qaeda, Anthrax and Ayman, http://cryptome.org/alqaeda-anthrax.htm.

أ. كيو خان، والمعروف بـ «أبو القنبلة النووية الباكستانية»[١]. ووفقًا لهذه المعلومات فإن هذه المنشأة كانت بحوزة القيادي في التنظيم سيف العدل[٢]، وخصصت ليستخدمها التنظيم في هجمات انتقامية ضد الولايات المتحدة في حال تم قتل زعيم التنظيم أسامة بن لادن، ووفقًا لهذه المعلومات كذلك فإن نشطاء التنظيم حاولوا نقل هذه المنشأة النووية بما تحتوية إلىٰ الولايات المتحدة[٣].

كما بذل التنظيم كذلك جهودًا لتطوير الهجمات والاختراقات الواقعة ضمن تقنيات الحرب الإلكترونية الخاصة به، فقد وجّه خالد شيخ محمد أحد نشطاء التنظيم في الولايات المتحدة لبحث إمكانية اختراق حسابات عدد من البنوك الكبرىٰ في الولايات المتحدة والاضرار بالحسابات البنكية الخاصة والتجارية[٤]، وفي عام ٢٠٠٢ تم الكشف عن تواجد اختراقات إلكترونية للقاعدة في منظومة SCADA، وهي المنظومة التي تدير البنية الأساسية للكهرباء والصرف الصحي في الولايات المتحدة[٥]، وبعد ذلك عُرف أن القاعدة مهتمة باختراق المنظومة التي تشغل

---

(١) معلومات تم تسريبها من وثائق ويكيليكس، مصدرها التحقيق مع أبو فرج الليبي الذي كان وقت اعتقالة رئيسًا للجنة العسكرية للقاعدة، وكذلك للناشط شريف المصري، الذي كان وقت اعتقاله قائدًا للوحدة الداخلية للتنظيم.

(٢) Sandee, Ronald Qaidat al-Jihad's Near Future, May 201,
http://nefafoundation.org//file/AQNearFuture51611.pdf.

(٣) تحتوي هذه المعلومات علىٰ بيانات غير واضحة، ومع ذلك فهي مقلقة وتم وصفها في ٢٠٠٨ من قبل عناصر استخباراتية أمريكية علىٰ إنها «فجوة استخباراتية».

Recommendation for Continued Detention Under DoD Control (CD) for Guantanamo Detainee, ISN US9LY-010017DPS) Abu Faraj Al-Libi, http://wikileaks.ch/gitmo/pdf/ly/us9ly-010017dp.pdf

(٤) انظر ملخص التحقيق مع خالد شيخ محمد في جوانتانامو:

Combatant Status Review Tribunal Input and Recommendation for Continued Detention under DOD Control (CD) for Guantanamo Detainee, ISN: US9KU-010024DP(S) http://wikileaks.org/gitmo/pdf/ku/us9ku-010024dp.pdf.

(٥) Timothy L. Thomas, Al-Qaeda and the Internet: The Danger of Cyberplanning Parameters, spring 2003, pp 112-123.

http://strategicstudiesinstitute.army.mil/pubs/parameters/articles/03spring/thomas.pdf

السدود في الولايات المتحدة[١].

رغم كل المجهودات السابقة لتنظيم القاعدة، إلا أنه بات واضحًا أن محاولاته لتصنيع أو امتلاك سلاح غير تقليدي باءت بالفشل، وفي هذه المرحلة اتضح أن تهديد التنظيم باستخدام سلاح غير تقليدي، سواء نووي أو كيماوي، لقتل الكثير من الأشخاص لم تتبلور بعد، وحتىٰ في الهجمات والاختراقات الإلكترونية، لم تظهر أية معلومات تفيد بنجاح التنظيم في هذا المجال، ومع ذلك فإنه من الضروري الانتباه لتلك التهديدات الإلكترونية المحتملة، والتي تتطور بوتيرة سريعة من قبل القاعدة وشركائها.

مواجهة التنظيم للحرب المحلية والدولية ضد الإرهاب:

بالتوازي مع النفوذ والنجاح القويين الذي تسببت فيه هجمات ١١ سبتمبر للتنظيم، وخاصة فيما بين عامي ٢٠٠١-٢٠٠٣، اضطر التنظيم لتوجيه القتال ضد الحرب علىٰ الإرهاب التي وُجهت بالأساس ضد بنيته الأساسية وقواعده في أفغانستان، وبعد ذلك في باكستان علىٰ طول الحدود بين الدولتين، وفي الفترة الواقعة بين ٢٠٠١ حتىٰ منتصف ٢٠٠٣ انشغل قادة التنظيم بالهروب والاختفاء من المطاردات والهجمات المكثفة لقوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، وبنهاية عام ٢٠٠١ تم استئصال التنظيم من عدة أماكن مركزية في أفغانستان، واضطر للبحث عن أماكن أخرىٰ للعيش بها في المناطق الواقعة علىٰ طول الحدود بين أفغانستان وباكستان. كما أن حركة طالبان، التي كانت ترعىٰ القاعدة، دخلت في معارك مع قوات التحالف وفقدت تمامًا، إن لم يكن بشكل مؤقت، قواعد القوة الخاصة بها في أفغانستان، وبدلا منها أقيمت في كابل حكومة جديدة تكونت من رجال «الجبهة الجنوبية» برئاسة حميد كرزاي، والتي اعتمدت علىٰ قوات الجيش الأمريكي.

وكانت المعركة المنهجية والمستمرة التي شنتها قوات التحالف المكونة من بلدان

---

(١) Testimony of Mr. Dan Verton, United States Senate Committee on the Judiciary, February 24, 2004, http://www.judiciary.senate.gov/hearings/testimony.cfm?id=4f1e0899533f7680e78d03281ff494d5&wit_id=4f1e0899533f7680e78d03281ff494d5-21

غربية وعربية وبلدان أخرىٰ ضد التنظيم، نابعة من حقيقة أن تهديد التنظيم الإرهابي تجاوز حدود دول معينة وأن التعاون المشترك غير المحدود وغير المسبوق بين عدد من الدول هو ما من شأنه أن يحد من الضرر الناجم عن معسكر الجهاد العالمي برئاسة القاعدة. وبالفعل فإن هذا التعاون الدولي أدىٰ إلىٰ تقليص حجم الهجمات التي يشنها ويخطط لها التنظيم[١]، خاصة تلك النتائج التي حققتها حرب الولايات المتحدة ضد التنظيم باستخدام الطائرات بدون طيار، والتي ضربت قادة التنظيم ونشطائه الكبار في أماكن اختبائهم في المناطق القبائلية بأفغانستان، وهي منظومة «هجمات إحباطية» تم تفعيلها خلال فترة رئاسة الرئيس الأمريكي بوش الابن، والتي زاد استخدامها خلال فترة الرئيس أوباما وأصبحت السلاح الأكثر فعالية في المعركة ضد نشطاء الجهاد. فبن لادن نفسه في خطاباته التي عثر عليها في المكان الذي تم تصفيته فيه حذّر نشطاء تنظيمه من هذا السلاح الذي تستخدمه الولايات المتحدة.

رغم فعالية هذا السلاح الكبيرة إلا أنه وجهت لاستخدامه المكثف انتقادات من داخل الولايات المتحدة نفسها، ومن داخل الدول التي استخدم فيها هذا السلاح، وخاصة في باكستان، ورغم هذه الانتقادات واستجابة الرئيس أوباما لها[٢]؛ إلا أنه يبدو أن نقل صلاحيات استخدامه من CIA إلىٰ الجيش الأمريكي علىٰ أيدي الكونجرس سيجعله سلاحًا أساسيًّا مستخدمًا في المستقبل في سياسات مكافحة الإرهاب، وسيمثل تهديدًا مركزيًّا للقاعدة وشركائها.

ورغم أن معظم تخطيطات الهجمات تم إحباطها؛ إلا أن التنظيم وشركائه لم يكفوا عن التخطيط لتنفيذ هجمات إرهابية كبيرة، ولم يكن السبب الأساسي في عدم نجاح هجمات مماثلة لهجمات ١١ سبتمبر هو الضغط الدولي علىٰ التنظيم فحسب؛ بل إن انتشار التنظيم في أنحاء واسعة من العالم وحربه القوية علىٰ ثلاث جبهات علىٰ

---

(١) انظر الملحق: هجمات بارزة ومحاولات هجمات مركزية.

(٢) Tom Curry, Obama reframes counterterrorism policy with new rules on drones, 104, National Affairs Writer, NBC News, May 23, 2013, http://nbcpolitics.nbcnews.com/_news/2013/05/23/18448515-obama-reframes-counterterrorism-policy-with-new-rules-on-drones? lite.

الأقل، وهي العراق وأفغانستان وباكستان، كان سببًا لعدم نجاح بعض المخططات، كما أن جزءًا كبيرًا من الطاقة التنظيمية للتنظيم تم نقله من دول الغرب إلىٰ ساحات أخرىٰ وتم التعبير عن ذلك باعتماد أنماط قتالية مختلفة خاصة في مجال حرب العصابات، وبسب ذلك كان من الصعب علىٰ التنظيم تنفيذ معظم مخططاته.

تسخير عناصر إسلامية أخرىٰ للصراع:

مثّل عام ٢٠٠٣ نقطة انطلاقة جديدة لتنظيم القاعدة، فالحرب التي شنتها الولايات المتحدة علىٰ العراق في هذا العام وجهت الكثير من موارد الولايات المتحدة وانتباه الكثير من قادتها من أفغانستان إلىٰ العراق، وهو ما ساعد تنظيم القاعدة نظرًا لتخفيف الهجمات العسكرية عليه، ومن ثم أتاح له فرصة لإعادة تنظيم قواه وصفوفه مرة أخرىٰ في المنطقة الحدودية بين أفغانستان وباكستان، بالإضافة إلىٰ أن عددًا من قادة التنظيم الذين نجحوا في النجاة من المطاردات الأمريكية نجحوا كذلك في إعادة التواصل بين طالبان في أفغانستان وحركتهم في باكستان واستئناف العمل في قواعد التدريب التابعة للتنظيم بالمنطقة الحدودية بين أفغانستان وباكستان بمنطقة وزيرستان، وهو ما أنعش مرة أخرىٰ فكرة تحديد أهداف هجومية ضد الولايات المتحدة في صفوف التنظيم.

من ناحية أخرىٰ، تحولت العراق إلىٰ محرك مركزي لنمط الحياة اليومية للقاعدة وتنظيم الجهاد العالمي؛ إذ تم نقل أنشطة القتال إليه، كما تم استغلال الساحة العراقية للدعاية وتدريب وتجنيد المزيد من العناصر القتالية الجديدة، وكل هذه الأحداث والتطورات ساعدت التنظيم علىٰ الاندماج مع تنظيمات أخرىٰ وعلىٰ رأسها طالبان في أفغانستان وشبكات إقليمية أخرىٰ، وعلىٰ رأسها شبكة حقاني في أفغانستان.

إن التغيير الاستراتيجي الذي أحدثه تنظيم القاعدة بوضعه الغرب والولايات المتحدة كأعداء مركزيين له، وما نبع عن ذلك من أنشطة نتيجة هذه الاستراتيجية؛ جعل من التنظيم في هذه المرحلة نموذجًا للمحاكاة والاقتداء من قبل الكثير من المنظمات والشبكات التي كانت تعمل بشكل منفصل، وكذلك في نظر الكثير من وسائل الإعلام والجمهور العام، فقد أُعتبر تنظيم القاعدة كمتحكم في غالبية عناصر الجهاد العالمي، يوجههم مباشرة للعمل في صالح تحقيق أهدافه وأيديولوجياته. وأصبح الآن شركاء التنظيم الجدد والقدامىٰ يطالبون بحمل اسم التنظيم «القاعدة»،

فجزء منهم نجحوا في إثبات قدرتهم الكبيرة واستعدادهم لتبني استراتيجية العمل الخاصة به، وحصلوا علىٰ موافقة من التنظيم، لذلك ضموا اسم «القاعدة» لاسم المنطقة التي ينشطون بها، ونسّقوا أنشطتهم وطوروها وفق نظرية القاعدة. وعلىٰ الرغم من أن قيادة تنظيم القاعدة كانت مسيطرة بشكل كامل علىٰ الوحدات التنظيمية له فقط، إلا أنها كانت مشاركة في بعض الأحيان في توجيه عدد من الهجمات لشركاء التنظيم القريبين منه في عدد من بلدان العالم وفي ساحات الجهاد المختلفة[1]. وبالفعل فإن الهجمات ومحاولات الهجمات التي شُنت خلال العقد الأخير تدل علىٰ التغيرات المفاهيمية والتنفيذية التي طرأت علىٰ التنظيم من جانب شركائه ومؤسسيه، وعلىٰ رأس هذه التغيرات تحويل نمط هجمات الانتحاريين إلىٰ جزء من نمط عمل التنظيم.

ساهمت هذه التطورات بشكل ملحوظ في مضاعفة تهديد إرهاب الانتحاريين خلال العقد الماضي في جميع أنحاء العالم مقابل العقدين السابقين له، وزيادة عدد الدول التي ذاقت الطعم المر لهجمات الانتحاريين الإرهابيين[2].

التنظميات المشاركة للقاعدة:

منذ سنوات التسعينات؛ تم إرساء جملة من الأسس للتعاون العملي مع منظمات محلية منتمية لنفس التيار الفكري، وذلك قبيل تحقيق القاعدة لنجاح باهر وتحولها إلىٰ نموذج للمحاكاة. ففي خلال هذه السنوات ساعد تنظيم القاعدة الكثير من التنظيمات المحلية في عمليات التدريب والتأهيل، وساهم جوهريًا في الجهاد الداخلي الذي تم شنه في بلدانهم من أجل إسقاط الأنظمة «الكافرة» وإقامة أنظمة متشددة ترتكن إلىٰ الشريعة كدستور للدولة، وقد عملت هذه التنظيمات بشكل تقليدي ضد أهداف حكومية وعسكرية وسياحية، كما أنهم قاموا بشن هجمات ضد المواطنين بهدف زعزعة الاستقرار وإضعاف قوة النظام الحاكم القائم.

---

(١) Gunaratna Rohan and Oreg, Aviv "Al Qaeda's Organizational Structure and its Evolution'، Studies in Conflict & Terrorism, 33 (2010), p. 1053.

(٢) يورام شفيتسر: القاعدة وإرهاب الانتحاريين، الرؤية والتنفيذ، الجيش والاستراتيجية، الجزء ٢، العدد ٢، أكتوبر ٢٠١٠.

إن منظومة العلاقات التي نُسجت بين قادة هذه التنظيمات المحلية وبين قادة تنظيم القاعدة خلال الحرب ضد السوفييت في أفغانستان استمرت حتىٰ بعد انتهاء هذه الحرب، وكل تنظيم من هذه التنظيمات أخذ طريقه الخاص في الجهاد سواء في إطار تنظيم القاعدة أو في إطار تنظيمات جهادية محلية أخرىٰ[١]. فعلىٰ سبيل المثال حينما تم تعيين خالد شيخ محمد لمنصب رئيس وحدة العلميات الخاصة للقاعدة نهاية عام ١٩٩٨ وبداية عام ١٩٩٩، أخذ معه مجموعة من أصدقائه القدامىٰ من خريجي معسكر عبد الرسول سياف، وحافظ شيخ محمد، الذي كان من كبار قادة معسكر سياف، علىٰ علاقاته التنفيذية الطيبة والني منها علاقته برضوان عصام الدين، الذي تولىٰ قيادة الذراع العسكري لتنظيم الجماعة الإسلامية في جنوب شرق آسيا، كما حافظ علىٰ علاقاته كذلك مع عبد الرازق جنجلاني، المؤسس والقائد الأول للتنظيم الفلبيني «جماعة أبو سياف»[٢]، وكذلك مع حافظ سعد الذي أسس التنظيم الكشميري «عسكر طيبة[٣]».

كان لنجاح تنظيم القاعدة مطلع القرن الوأحد والعشرين دورًا كبيرًا في أن يساهم هؤلاء النشطاء المنخرطون في حركة الجهاد الداخلي في بلدانهم بجزء من البنية الأساسية لمنظماتهم لصالح أعمال تنفيذية ضد الغرب في مناطق النشاط التقليدي لمنظماتهم، وذلك بالتنسيق مع سياسة الهجمات العالمية لتنظيم القاعدة، كما حاول نشطاء هذه التنظيمات تخفيف الضغط الواقع علىٰ تنظيم القاعدة في أفغانستان وذلك من خلال تشتيت انتباه الجهود المخابراتية والعسكرية لدول الغرب إلىٰ مناطق أخرىٰ في العالم، وذلك من خلال التركيز، حتىٰ نهاية عام ٢٠١٣، علىٰ تنفيذ هجمات ضد

(١) فيما يتعلق بهذا الأمر، تجدر الإشارة إلىٰ معسكر سادا التابع للاتحاد الإسلامي الأفغاني، بقيادة المقاتل الأفغاني عبد الرسول سياف، الذي أعطىٰ خدمات تدريب وتأهيل للنشطاء الذين جاؤوا من مناطق مختلفة، مثل بلوشتسان وباكستان واندونيسيا وماليزيا وسنغافورة والفلبين للاشتراك في الجهاد ضد السوفييت.

(٢) جماعة أبوسياف هي منظمة إرهابية ذات أيديولوجيا إسلامية راديكالية، تنشط في شبه جزيرة ماندناو في الفلبين، وقائد التنظيم ومؤسسه هو عبد الرازق جنجلاني الذي كان ضمن أعضاء معسكر سادا، وهو الذي دعا إلىٰ إقامة هذا التنظيم الجديد الذي اطلق عليه اسم قائد المعسكر عبد الرسول سياف.

(٣) Gunaratna and Oreg p. 1069.

أهداف ذات قيمة اقتصادية استراتيجية، وعلىٰ رأسها أهداف تتعلق بصناعة النفط والطيران والسياحة[١].

ومن بين عشرات المنظمات ذات التوجه السلفي الجهادي التي تعمل في أنحاء واسعة من العالم وتركز عملها علىٰ الإرهاب ضد أهداف محلية؛ وسعت حوالي عشر منظمات من أنشتطها ضد أهداف غربية، فقد كانت هناك هجمات ومحاولات هجمات ضد أهداف دولية في جنوب شرق آسيا (من جانب الجماعة الإسلامية، وجماعة أبي سياف كهجمات المناطق السياحية ببالي)، وكذلك في شبه القارة الهندية (علىٰ أيدي جماعة عسكر طيبة)، ومثل هجمات مومباي التي تسببت في مقتل حوالي ١٧٠ شخصًا ومن بينهم الكثير من الأجانب، وكان من بينهم ٦ إسرائيليين)، وكذلك في استراليا علىٰ أيدي الجماعة الإسلامية وعسكر طيبة[٢]).

وتأثرًا بروح السياسات الأساسية للقاعدة، والتي تستوجب وجود تعاون مثل الذي تم التعبير عنه عام ١٩٩٨ بإقامة جبهة دولية للجهاد ضد الصليبيين واليهود؛ فقد بدأ التنظيم خلال النصف الثاني من العقد الأول من الألفية الثالثة في بلورة اتحاد مع منظمات إرهابية كانت تعمل في ساحات قتالية محلية داخلية فقط، وكان هدف القاعدة من وراء هذا الاتحاد توسيع أعماله بالاعتماد علىٰ المزايا النسبية التي تتمتع بها هذه التنظيمات المحلية في ساحات القتال التقليدية التي تعمل بها، وذلك من أجل تعظيم قوة القاعدة واسمها، ومن أجل تطوير أجندة عمل الجهاد العالمي، كما أن هذا

---

(١) انظر الملحق: هجمات بارزة ومحاولات هجمات مركزية.

(٢) لمزيد من التفصيل، أنظر: ملحق الهجمات والإحباطات: مثال آخر للتعاون التنفيذي بين تنظيم القاعدة والتنظيمات المحلية علىٰ قاعدة العلاقات الشخصية بين عناصر من الجانبين وهو الذي تم التعبير عنه من خلال العلاقة مع التنظيم الأوزباكستاني IJU - Islamic Jihad Union، وقد نجح أبو ليث الليبي أحد قادة القاعدة في إطار القسم الاقتصادي للجنة العسكرية للتنظيم في التأثير علىٰ نشطاء من التنظيم الأوزباكستاني IMU Islamic Movement of Uzbekistan لترك هذا التنظيم وإقامة التنظيم الجديد IJU علىٰ خلفية المواقف المتعلقة بضرورة تغيير أيديولوجيا التنظيم والتحول من شن هجمات علىٰ أهداف حكومية محلية إلىٰ شن هجمات علىٰ أهداف غربية، وفي هذا الإطار شن أعضاء هذا التنظيم هجمات انتحارية علىٰ سفارة إسرائيل والولايات المتحدة في طشقند في يوليو ٢٠٠٤، وبعد ذلك تم الكشف عن نوايا التنظيم شن هجمات في أوروبا الغربية وخاصة في ألمانيا.

الاتحاد هدف إلىٰ تطوير القدرات القتالية للتنظيمات المحلية وتركيز عملها في الأهداف التي رسمها لها تنظيم القاعدة كأهداف ذات أولوية مطلقة.

وخلال هذا العقد من الزمان تم نسج الكثير من الاندماجات بين القاعدة وتنظيمات إرهابية محلية، وكان من أبرزها: اندماج التنظيمين اليمني والسعودي للقاعدة تحت اسم القاعدة في شبه جزيرة العرب (AQAP, ALQaeda in Arabian Peninsula)[1]، وكذلك الاتحاد الرسمي للتنظيم الجزائري GSPC (Global salafist group for preaching & combat)، وذلك بعد مفاوضات أجريت بين قادة هذا التنظيم وتنظيم القاعدة عام ٢٠٠٦، وتوجه القاعدة نحو النشاط في منطقة المغرب الإسلامي تحت مسمىٰ (AQIM) AL-Qaeda in the Islamic magherb[2]، إضافة إلىٰ إقامة بعض التنظيمات المحلية الأخرىٰ مثل القاعدة في العراق AQI AL-Qaeda in iraq الذي في إطاره تم تعيين أبو مصعب الزرقاوي أميرًا لفرع القاعدة في العراق، إذ أنه كان قائدًا لتنظيم التوحيد والجهاد النشيط في العراق منذ العام ٢٠٠٣ ضد القوات الأمريكية الغازية[3]، وكل هذه التنظيمات تبنت سياسة الهجمات الخاصة بالقاعدة، ووجهوا جزءًا من أنشطتهم لتنفيذ هجمات علىٰ أهداف غربية.

فعلىٰ سبيل المثال، قبل التوحد مع القاعدة، ركز التنظيم الجزائري AQIM هجماته ضد الجيش الجزائري ونظام عبد العزيز بوتفليقة، وبعد التوحد بدأ التركيز في هجماته علىٰ قواعد القوات الأممية، وبدأ في استهداف المواطنين الأجانب (بريطانيين، ألمان، إيطاليين، فرنسيين) المتواجدين في مناطق نشاط التنظيم، وكذلك نفذ هجومًا بواسطة إطلاق النار علىٰ سفارة إسرائيل في العاصمة الموريتانية نواكشوط في فبراير ٢٠٠٨[4].

أما تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية AQAP، الذي يعتمد في أنشطته علىٰ

---

(١) Gunaratna and Oreg, p. 1051.

(٢) نفس المرجع، ص ١٠٥١.

(٣) نفس المرجع.

(٤) نفس المرجع.

الخلية السعودية القديمة التي كانت تعمل مباشرة تحت قيادة وحدة العلميات الخاصة للقاعدة بقيادة خالد شيخ محمد، فقد بدأ في تنفيذ هجمات علىٰ أهداف غربية، وخاصة الأمريكية، حتىٰ خارج نطاق الساحة التقليدية لعملياته داخل شبه الجزيرة العربية، وقد اعتمد هذا التنظيم علىٰ التراث العملياتي الذي تركه قدامىٰ نشطاء التنظيم مثل يوسف العييري، وحمزة الجوفي، وعبد العزيز مقرن، من الذين خططوا لتنفيذ هجمات إرهابية علىٰ أهداف دولية داخل السعودية[١]، كما وصل قائد تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية ناصر الوحيشي المعروف باسم أبو بصير اليمني خلال سنوات التسعينات لمنصب كبير جدًا في تنظيم القاعدة وأصبح لسنوات طويلة السكرتير الشخصي والذراع اليمنىٰ لأسامة بن لادن في أفغانستان[٢].

وقد ظل هذا التراث العملياتي مستمرًا خلال فترة حتىٰ خلال بروز تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية كأبرز تنظيم من التنظيمات المتوحدة مع القاعدة وذلك بفضل محاولاته تنفيذ هجمات علىٰ أهداف دولية، مثال تلك المحاولة الانتحارية التي قام بها في يوم عيد رأس السنة عام ٢٠٠٩ فاروق عبد المطلب، المواطن النيجيري وطالب الاقتصاد في لندن، لتفجير طائرة ركاب أمريكية في سماء ديترويت ميتشجين بواسطة عبوة ناسفة تم إخراجها من سرواله الداخلي[٣]. وكذلك محاولة أخرىٰ للتنظيم لتفجير طائرتي شحن أمريكيتين بواسطة عبوات ناسفة وضعت في حقائب وتم إدخالها لطائرات شحن من دول الخليج الفارسي، وتم إحباط هذا الهجوم في اللحظات الأخيرة بفضل تعاون مخابراتي أمريكي -سعودي- بريطاني، وقد تم في

---

(١) في هذا الصدد يذكر محاولة الخلية السعودية بقيادة العييري وجوفي ومقرن لتنفيذ هجمات علىٰ غرار هجمات ١١ سبتمبر في أهداف مختارة في بريطانيا بواسطة اختطاف طائرات ركاب تقلع من شرق أوروبا وتحطيمها في أهداف محددة بلندن، وكل ذلك التخطيط لتحطيم طائرة مقاتلة سعودية يتم قيادتها بواسطة طيار سعودي، طيار في القوات الجوية السعودية، في أحد الفنادق بإيلات، انظر:
http://nefafoundation.org/file/qaidasaudi02-03.pdf. Document retrieved from NEFA - Nine Eleven finds and answers, Charlston, Carolina 2007-2013.

(٢) Gunaratna and Oreg, p. 1056.

(٣) Open Source Center, "Al-Qa'ida in the Arabian Peninsula Claims Attempted Attack in US", *Jihadist Websites - OSC Summary in Arabic*, 28 December 2009.

هذه العملية ضبط العبوات الناسفة بحيث يتم تفجير الطائرات في سماء الولايات المتحدة، وهو ما كان من شأنه تعظيم تأثير مثل هذه التفجيرات، بدلا من أن يتم تفجيرها علىٰ الأرض. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلىٰ أن التنظيم الذي نشر تفاصيل هذا الحادث وتباهىٰ بأفكارة العملياتية للهجوم علىٰ الطائرات بواسطة عبوات ناسفة كجزء من تجديد أفكاره العلمياتية؛ ادعىٰ مسؤوليته عن إسقاط طائرة شحن أمريكية أخرىٰ، تم تحطيمها قبل ذلك بعدة شهور في الخليج الفارسي، ونُسب سقوطها حينها إلىٰ خطأ فني[1].

ورغم أن تهديد التنظيمات الإرهابية المحلية كان حقيقيًا وموجودًا؛ إلا أن العامل الحاسم في قرار هذا التنظيم المحلي لتبني سياسة هجمات علىٰ أهداف دولية، وخاصة أهداف غربية في مناطق عمله الطبيعية أو خارجها، هو وجود علاقات شخصية وتقليدية بين زعماء هذا التنظيم وتنظيم القاعدة وقادته، فعلىٰ سبيل المثال يبدو أن تنظيم AQIM امتنع عن تفعيل كامل القوة التي يمتكلها والممتدة في مناطق واسعة في أوروبا وأمريكا الشمالية (كندا)، واكتفىٰ بتنفيذ عمليات منفردة ضد أهداف غربية في منطقة الساحل الذي يمتد فيها نشاطه، وعلىٰ خلفية ذلك تبلورت داخل تنظيم القاعدة حالة من عدم الرضا حول مساهمة التنظيم الجزائري المحدودة في سياسة هجمات تنظيم القاعدة، وكان تفسير وجود فارق في أنشطة هذا التنظيم وتنظيم آخر

(١) http://nefafoundation.org/file/NEFA20%AQAPliquidation1110.pdf. Document retrieved 119 From NEFA - Nine Eleven finds and answers, Charlston, Carolina 2007-2013.

سجل التنظيم نجاحًا آخر خاصة فيما يتعلق بالأعمال الدعائية وذلك من خلال أنشطة أنور العولقي، وهو إمام سلفي يحمل الجنسية الأمريكية، وكان لعدة سنوات إمامًا لمسجد «دار الهجرة» في فيرجينيا، بالولايات المتحدة، وجزء من المخربين الذين نفذوا هجمات ١١ سبتمبر زاروا هذا المسجد واستمعوا لعظاته خلال استعدادهم لشن الهجوم، وبعد شن الهجوم تم التحقيق مع العولقي من قبل رجال مكتب التحقيقات FBI ولم تثبت صلته بهجمات ١١ سبتمبر، وبعد ذلك هرب إلىٰ بريطانيا ومن ثم إلىٰ اليمن وبعدها انضم للقاعدة هناك. وفي اليمن استمر العولقي في أعمال دعائية واسعة، ومن ضمنها إنشاء موقع إنترنت عام يشرح فيه قواعد السلفية الجهادية. ودعا أقرانه لشن هجمات بقدر استطاعتهم في بلدانهم الأم، وأدار عمليات إقناع مع زائري الموقع، وبالفعل فإن الكثير من الهجمات ومحاولات الهجمات التي شنت في الولايات المتحدة وأوروبا كانت متأثرة بالعولقي. (أنظر ملحق الهجمات والإحباطات).

مثل AQAP هو أنه لا يوجد نشطاء من تنظيم القاعدة داخل قيادة هذا التنظيم الجزائري، ولا توجد معلومات متوفرة عن طبيعة العلاقات بين قادة هذا التنظيم وقادة تنظيم القاعدة.

كما زادت منظمتان أخريان من أعمالهما في الهجمات ضد أهداف غربية؛ وهما «كتائب عبد الله عزام»، والتنظيم الصومالي «حركة الشباب المجاهدين»، وقد تأسس الأول أيضًا على البنى الأساسية السعودية لتنظيم القاعدة، وضم قائمة بها حوالي ٨٥ مطلوبًا تم نشرها من جانب السلطات السعودية، وضمت هذه القائمة الكثير من نشطاء القاعدة الذين تم اعتقالهم بالفعل، لكن نجحوا في الهروب مستغلين فرصًا مختلفة، وقد أرسل التنظيم الكثير من الخلايا في أماكن كثيرة بالشرق الأوسط وبدأ في العمل من خلالهم في ساحات قتالية مختلفة، كالخلية اللبنانية للتنظيم «سرايا زياد جراح»[١]، والتي أطلقت عدة مرات صواريخ تجاه مستوطنات شمال إسرائيل، وفي أغسطس ٢٠١٢ أرسلت الخلية السعودية للتنظيم «سرايا يوسف العييري» (على اسم القائد السعودي للقاعدة في السعودية)، مخربًا انتحاريًّا لتنفيذ هجوم انتحاري بناقلة نفط يابانية في مضيق هرمز[٢].

أما التنظيم الثاني الصومالي «حركة الشباب المجاهدين»، الذي نشأ عام ٢٠٠٥ وانخرط في الحرب الأهلية بالصومال ضد الميلشيات الحكومية المحلية وضد القوات الأثيوبية التي دخلت الصومال في محاولة لوضع حد لأعمال العداء واستقرار البلد الممزق، إلا أنه بعد ذلك حدث تغير في توجهات التنظيم، خاصة بعد انخراط قادة كبار من تنظيم القاعدة الناشطين في المنطقة لصفوف هذا التنظيم (رجال خلية القرن الأفريقي لوحدة المهام الخاصة لتنظيم القاعدة)، وفي هذا الإطار برز «صلاح علي نبهان»، وهو من نشطاء تنظيم القاعدة ممن اشترك في الهجوم على أهداف إسرائيلية في مومباسا في نوفمبر ٢٠٠٢، وكان واحدًا ممن أطلقوا صواريخ أرض/ جو تجاه طائرة خلال إقلاعها من مطار المدينة، كما برز أيضًا «هارون عبد الله فازول»، قائد

---

(١) على اسم الناشط التابع للقاعدة الذي قاد الطائرة التي تحطمت ببنسلفانيا خلال هجمات ١١ سبتمبر.

(٢) أفيف اورج: انفجار متناقض، طيار انتحاري وكاتيوشا على نهاريا"

http://www.mysay.co.ilarticles/ShowArticle.aspx?articlePI = aaagxf.

الهجوم في مومباسا، والذي كان مسؤولا عن تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام في أغسطس ١٩٩٨.

وقد أثر انضمام الاثنين وخاصة نبهان -الذي تمت تصفيته علىٰ أيدي الأمريكيين في ربيع ٢٠٠٩- إلىٰ التنظيم بشكل عميق علىٰ نشطاء التنظيم الصومالي، والذين تبنوا مفاهيم الموروثات القتالية لديه وضموها إلىٰ أنشطة تنظيمهم، كما بدأ نشطاء التنظيم في تجهيز تدريبات تنفيذية لنشطاء من الولايات المتحدة وكندا وأستراليا وبريطانيا وبلجيكا[١]، وانخرط جزء منهم في القتال ضد الأثيوبيين، لكن بمبادرة من فازول تم تدريب معظمهم لإنشاء خلايا إرهابية في الدول الغربية الأم التي جاؤوا منها[٢]، وقد ركز نشطاء التنظيم الصومالي علىٰ البعد الإسرائيلي في أنشطتهم، وذلك بناء علىٰ الأساس الذي أرساه نبهان علىٰ خلفية الهجمات التي شارك فيها ضد أهداف إسرائيلية، فقد أعلن التنظيم في صيف ٢٠٠٩ عن إقامة قوة خاصة تحت اسم «قوة القدس» لقتال إسرائيل[٣]. وفي أواخر عام ٢٠٠٩ تم إلقاء القبض علىٰ اثنين من عرب إسرائيل من منطقة الناصرة في المعبر الحدودي بين الصومال وكينيا، كانوا في طريقهم لمعسكرات التدريب لتنظيم شباب المجاهدين في الصومال، والاثنان كانا من المنتمين لمجموعة إرهابية لعرب إسرائيل من منطقة الناصرة التي تكونت من أجل تنفيذ هجمات باسم الجهاد العالمي، والتي قتلت سائق تاكسي إسرائيل شمال البلاد[٤].

كما حدث تقدم ملحوظ في القدرات التنفيذية لتنظيم شباب المجاهدين وتوجه نحو ساحة القتال العالمية، وكان مع انضمام تنظيم فازول كمدعم لأنشطة التنظيم

---

(١) Evan F. Kohlman ،Shabaab al-Mujahideen: Migration and Jihad in the Horn of Africa, http://nefafoundation.org//file/FeaturedDocs/nefashabaabreport0509.pdf.

(٢) Fazul, *War Against Islam*, part two, section 2, p. 97, http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2013/10/The-Story-of Fazul-Harun-Part-2-O.pdf

(٣) Document retrieved from NEFA - Nine Eleven finds and answers, Charlston, Carolina 2007-2013.

(٤) *Somalia's New Role in Light of Recent Arrests*, CeifIt, August 4, 2009, 125, http://www.ceifit.com/?categoryId=41108&itemId=79326

ونشطائه، وفازول، الذي تمت تصفيته في صيف ٢٠١١[١]، كان فيما يبدو المسؤول التنفيذي للهجمات الانتحارية التي نفذت بالتوازي من جانب مخربين انتحاريين من صفوف التنظيم الصومالي وسط مواطنين غربيين في مناطق سياحية عامة في كامبيلا عاصمة أوغندا في يوليو ٢٠١٠ خلال بث مباراة النهائي لكأس العالم[٢]، وقتل خلال هذه الهجمات أكثر من ٧٠ شخصًا معظمهم مواطني دول غربية كانوا يشاهدون هذه المباراة[٣].

أعلن كل من تنظيم القاعدة وتنظيم شباب المجاهدين في بداية عام ٢٠١٢ عن اندماج رسمي فيما بينهما، وعن تبعية التنظيم الصومالي وكل نشطائه إلىٰ قيادة تنظيم القاعدة[٤]، وفي سبتمبر ٢٠١٣ نفذ التنظيم هجومًا فدائيًا عن طريق إطلاق النار في مركز تسوق كبير في العاصمة نيروبي، الذي اعتاد أن يزوره مواطنون محليُّون أثرياء ومواطنون غربيُّون[٥]، استمر الهجوم حوالي ٤ أيام وانتهىٰ بمقتل أربعة مهاجمين، وكان من بين المجموعة صوماليون يعيشون في النرويج والولايات المتحدة والسودان وكينيا، وقتل خلال الهجوم ما لا يقل عن ٦٧ شخصًا، ووفقًا لما أعلنه التنظيم، فإن الهجوم نفذ كانتقام من كينيا التي شنت هجمات ضد التنظيم في الصومال.

---

(١) Death of Harun Fazul - East African al-Qaeda leader, Mogadishu, 12 June, Asiantribune. Com, June 12, 201. http://www.asiantribune.com/news/2011/06/11/death-harun-fazul-east-african-al-qaeda-leader.

(٢) هجوم ثلاثي كان مخططًا له لكن لم ينفذ في نهاية الأمر لأن المخرب تراجع في اللحظات الأخيرة.

(٣) http://nefafoundation.org//file/ShabaabUganda٠710.pdf; http://www.nation.co.ke/News/-128/1056/1017114/-/11k9rajz//index.html; http://www.newvision.co.ug/detail.php?newsCategoryId=12&newsId=732933. Document retrieved from NEFA - Nine Eleven finds and answers, Charlston, Carolina 2007-2013.

(٤) Thomas Joscelin and Bill Rogio, Shabaab formally joins al Qaeda, http://www. 129 longwarjournal.org/archives/2012/02/shabaab_formally_joi.php, February 9, 2012.

(٥) التفريق بين العملية الفدائية والعلمية الانتحارية حدث علىٰ أيدي رجال المخابرات والأمن والجيش الإسرائيليين خلال انتفاضة الأقصىٰ، ففي العلمية الانتحارية يكون الشخص الذي يضع عبوة ناسفة في جسمه يعرف تمامًا أنه سيموت، لكن في العملية الفدائية يكون هناك احتمال ولو بسيط أنه سيظل علىٰ قيد الحياة.

إضافة إلىٰ التنظيمات التي تم ذكرها سابقًا، والتي تضمنت أنشطتها هجمات علىٰ أهداف دولية؛ يوجد كذلك ما يقارب ٢٥ تنظيمًا إسلاميًا متعصبًا تتركز كل جهودها علىٰ الساحات المحلية الناشطة بها، يبد أنه من المحتمل أن ينضموا للصراع الخاص بحركة الجهاد العالمي وقد ينفذون هجمات ضد أهداف غربية في الدول التي ينشطون بها[١].

استراتيجية «القتل بآلاف الطعنات» وتمثلاتها في نموذج «الجهاد الفردي»

شرح مصطفىٰ ست مريم نصار المعروف بكنية «أبو مصعب السوري» الذي يُعد من القادة العسكريين الاستراتيجيين للجهاد العالمي، في دراسة نشرها عام ٢٠٠٤ تحت عنوان: «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية The Global Islamic Resistance Call»، وتقع الدراسة في حوالي ١٦٠٠ صفحة، ويشرح فيها استراتيجية «القتل بآلاف الطعنات» (Death by a Thousand Cuts)[٢].

أوضح السوري في كتابه أنه بسبب سيطرة الولايات المتحدة علىٰ المجال الجوي والتعاون الواسع بينها وبين عدة دول أخرىٰ في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر، فإنه أصبح من الصعب علىٰ الكثير من نشطاء الجهاد العالمي امتلاك منطقة معينة وإقامة قاعدة تنظيمية بها كما كان الحال في الماضي. ووفقًا لوجهة نظره؛ فإن البديل لذلك هو إقامة الجهاد الشخصي أو تكوين خلايا صغيرة ومنفصلة، وفي هذا الجهاد سيتم تفعيل نشطاء مسلمين في أنحاء كثيرة من العالم، بدون تواصل بينهم، ضد أهداف

---

(١) من بين هذه التنظيمات: التنظيم التايلاندي PULO والمنظمات الفلبينية MILF]RSM والتنظيم الهندي SIMI والتنظيمات الباكستانية SSP، LEJ، HUMA، HM، HUM، HUJI، JEM والتنظيم الايغوري الناشط في غرب الصين ETIM والتنظيم الكردي العراقي Ansar al Islam وتنظيم الجماعة الإسلامية المصري وتنظيم أنصار بيت المقدس الناشط في سيناء والتنظيم الفلسطيني مجلس شورىٰ المجاهدين في أكناف بيت المقدس الذي يوحد كل تنظيمات الجهادية السلفية في قطاع غزة، والتنظيمات اللبنانية عصبة الأنصار وفتح الإسلام، والتنظيم الجنوب افريقي PAGAD والتنظيم الصومالي AIAI والتنظيم الاريتري EJIM والتنظيم المغربي GICM والتنظيم النيجيري «بوكو حرام» الذي ينشط ويسيطر علىٰ شمال البلاد.

(٢) نظرية القتال المعروفة باسم حرب العصابات أو حرب البراغيث، والتي ذكرها السوري في كتابه تحت تفصيلات «الجهاد الفردي والخلايا السرية الصغيرة». (الناشر).

ومصالح غربية، وبالتالي فإن العنف الاعتباطي والعرضي سيبدو كما لو كان حركة عامة ومنسقة من قبل، ووفقًا لكلام السوري فإن الحجم الحالي للهجمات غير كاف للإضرار بالغرب بفعالية، وأنه من خلال استخدام أنشطة متسارعة بواسطة هذه الخلايا الكثيرة حتىٰ لو تم استخدام واحد كل منها كل شهر، فإنه سيكون من الممكن الوصول إلىٰ حجم غير مسبوق من الهجمات لا يمكن أن ينجح ولو تنظيم وأحد في الوصول إليها، وهذا التزايد في الهجمات من شأنه أن يزيد من الصعوبات التي يواجهها العدو ومواطنيه وفي نفس الوقت سيدفع الكثير من المسلمين للانضمام للصراع[١].

ووفقًا لذلك فقد دعا السوري كل المسلمين في كل العالم للانضمام للصراع والعمل علىٰ نشر ساحات القتال حتىٰ لا يتمكن العدو من السيطرة علىٰ ساحة قتال واحدة[٢]، ووفقًا لهذا الأسلوب فإن كل مدينة ودولة في العالم ستتحول إلىٰ ساحة قتال محتملة للهجمات، وستغرق المنظومة الأمنية بالكثير من المعلومات والأحداث حول أحداث أمنية من خلال نشر الكثير من المعلومات حول النشطاء التنفيذيين، والأهداف والمسارات المختلفة للهجمات[٣].

تبنىٰ أيمن الظواهري نظرية الجهاد الفردي للسوري[٤]، كما تبناها كذلك أنور العولقي[٥]، وأصبحت نظرية الجهاد الرسمية لحركة الجهاد العالمي، والتي من أهم

---

(١) Taken from a partial translation of Abu-Musab al-Suri The Global Islamic Resistance Call.

http://www.archive.org/download/The Glo balIslamicRe sistanceC all/The_Global _Islamic_Resistance_Call__Chapter_8_sections_5_to_7_LISTÔOFÔTARGETS.pdf.

(٢) Lia Brynjar, Architect of global jihad: the life of al-Qaida strategist Abu Mus‘ab al-Suri, (New York: Columbia University Press, 2008), pp. 367-371.

(٣) Bruce Hoffman, Al-Qaeda has a new strategy. Obama needs one, too, Washington Post, January 10, 2010, http://www.washingtonpost.com/wpdyn/content/article/2010/01/08/AR2010010803555.html.

(٤) Abu Musab al-Suri's Military Theory of Jihad, SITE, October 14, 2010, https://news.siteintelgroup.com/component/content/article/21-suria-mili.

(٥) AQAP Outlines Strategy against West, Middle East News line, November 22, 2010 http://www.menewsline.com/article-21330-AQAP-Outlines-Strategy-Against-We.aspx.

سماتها هو الاعتماد علىٰ قدرات ومبادرات شخصية للخلايا الإرهابية الدموية التي سيتم تفعيلها كـ «ذئاب منفردة» في كل ساحة بالعالم، بدون الانخراط في جهاز تنظيمي محدد أو تحت قيادة أو سيطرة معينة وبدون أي دعم خارجي من القاعدة أو من شركائها التنظيميين[١]. علىٰ خلفية ذلك سجل ارتفاع كبير في عدد الهجمات، ومحاولات الهجمات التي تم الكشف عنها في كل من شمال أفريقيا وغرب أوروبا وأستراليا، والتي تم التخطيط لها علىٰ أيدي مجموعات صغيرة أو مخربين منفصلين من أصحاب الأيدلولوجيات الراديكالية الإسلامية، والذين عملوا في إطار الجهاد العالمي[٢].

تطورت هذه الظاهرة، التي عرفت في الغرب باسم «خلايا الإرهاب الداخلي/ المحلي» Homegrown Cell، والتي بدأت في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر، بشكل ملحوظ خلال العقد الأخير، وكانت بمثابة التطبيق لاستراتيجية «القتل بآلاف الطعنات» أو «الجهاد الفردي» لأبي مصعب السوري، والتي تركز علىٰ الجهاد الخلايا الإرهابية المحلية، والأشخاص المنفردين، والتي يتم تفعيلها في كل الساحات القتالية بالعالم[٣].

هدفت هذه الاستراتيجية إلىٰ استنزاف الغرب عملياتيًا واقتصاديًا عن طريق زيادة الهجمات والتهديدات من جانب[٤]، وتطوير الرسائل الدعائية والإعلامية للتنظيم تجاه الجمهور الإسلامي في جميع أنحاء العالم من جانب آخر. كما هدفت هذه الاستراتيجية أيضًا إلىٰ تحويل انتباه العناصر الأمنية الغربية عن تنظيم القاعدة وشركائه من بقية التنظيمات الأخرىٰ في جميع أنحاء العالم[٥]. علاوة علىٰ ذلك فإنه علىٰ

---

(١) Raffaello Pantucci, A Typology of Lone Wolves: Preliminary Analysis of Lone Islamist Terrorists, The International Center for the Study of Radicalism, March 2011, http://www.icsr.info/publications/papers/ 1302002992ICSRPaper_ATypologyofLoneWolves_Pantucci.pdf.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع.

(٤) Hoffman, Al-Qaeda has a new strategy. Obama needs one, too.

(٥) Bruce Hoffman and Peter Bergen, Assessing the terrorist threat, *Bipartisan Policy Center*, September 10, 2010.

الرغم من أن بعض أنشطة الجهاد الفردي قد باءت بالفشل؛ الا أن تنظيم القاعدة استفاد منها فيما يتعلق باحتياجات التجنيد والدعاية، وذلك عن طريق تنفيذ هجمات منفردة وصغيرة، وهي الهجمات التي تم إحباطها أو فشلت بشكل عام، إلا أن هذه الوحدات والمجموعات تمكنت من الحفاظ علىٰ العنوان العريض لحركة الجهاد العالمي(١)، وحافظوا علىٰ إبقاء حالة الخوف وحاولوا تعظيمها(٢)، وذلك من خلال الحفاظ علىٰ أهمية القاعدة والجهاد العالمي في أعين الجمهور الإسلامي العام الذي تحارب القاعدة من أجله.

علاوة علىٰ ما سبق، فإن مروجي الدعاية للتنظيم يعروفون جيدًا أن الهجمات علىٰ الأراضي الغربية، والتي نشأت في معظمها من «الداخل»؛ تتسبب في حالة كبيرة من الخوف أكثر من تلك الهجمات التي يتم شنها في ساحات أخرىٰ بعيدة، فشبكات التلفزة والسياسيون المستقلون والجمهور الخائف؛ كلها أشياء يصب نشرها للهجمات وأخبارها في صالح التهديد المتزايد، وفي الواقع تدعم الحرب النفسية التي يديرها التنظيم(٣).

تتضمن منظومة الجهاد الفردي «الإرهاب المحلي»، الذي يعني محاولات شن هجمات تنفيذية في دول غربية علىٰ أيدي مواطني هذه الدول التي يسكنون بها، وتعرضوا لعملية تحول إلىٰ الراديكالية، وتبنوا مفهوم الجهاد المعولم، وكذلك عن طريق النشطاء الإرهابيين من الداخل من مواطني الدول العربية/ الإسلامية الذين يتسللون إلىٰ الدول الغربية بغرض تنفيذ الهجمات الإرهابية. ويمكننا تعداد جملة من الأساليب العملية التي تستخدم في تفعيل الإرهاب المحلي كالتالي:

١- **«العمل من بعد»**: النشطاء الإرهابيون من الداخل يمرون بمرحلة الراديكالية

---

(١) مثال: الصدىٰ الإعلامي الكبير الذي أحدثه هجوم قليل إلىٰ حد ما في تأثيره وقتل فيه ثلاثة مواطنين أمريكيين، وهو الهجوم الذي قام به أخوان أمريكيان من أصل شيشاني في أبريل ٢٠١٣ في مارتون بوسطن، وكانت تغطية الحادث متسارعة واستمرت لمدة أسبوع كامل في كل وسائل الإعلام الأمريكية، ووفقًا للمعلومات المتوفرة فقد اتضح أن هذا الهجوم نفذ بدون الحصول علىٰ دعم خارجي.

(٢) Hoffman and Bergen, Assessing the terrorist threat.

(٣) Brian Michael Jenkins, Would-Be Warriors: Incidents of Jihadist Terrorist Radicalization in the United States Since September 11, 2001, RAND Corporation, 2010.

وينضمون لتنظيم القاعدة أو لأحد فروعه من أجل تنفيذ النظرية الجهادية علىٰ أرض الواقع، ومن خلال تنفيذ هجمات إرهابية علىٰ أراض غربية بإشراف وتوجيه مباشر من هذه التنظيمات. ويمكن التمثيل علىٰ ذلك بالبريطانيين الأربعة الذين كانوا ضمن من نفذوا هجمات لندن في ٧ يوليو ٢٠٠٥، فبعد أن مروا بمرحلة الراديكالية انضموا في نهاية الأمر إلىٰ تنظيم القاعدة وحصلوا علىٰ تأهيل قوي من نشطاء التنظيم في منطقة وزيرستان، تحت إشراف ومصاحبة اثنين من وحدة العمليات الخاصة للتنظيم، وبالتالي فإن هجوم هؤلاء الشباب في لندن اعتبر من الهجمات التابعة للقاعدة.

٢- «**عمليات محلية**»: وهم النشطاء الإرهابيون الذين قرروا في نهاية المطاف تنفيذ هجمات إرهابية علىٰ أساس قدراتهم الشخصية وبمباردة شخصية منهم وفي التوقيت الذي اختاروه هم. فالشبكة الإرهابية الإسبانية التي نفذت الهجوم علىٰ القطارات بمدريد في مارس ٢٠٠٤، عملت بدون أية مساعدة أو اتصال خارجيين، ولكنهم تأثروا بالأيديولوجيا السلفية الجهادية، لذلك فإن هذا الهجوم اعتبر بمثابة «عملية محلية».

٣- «**الذئاب المنفردة Lone Wolves**»: الأشخاص الناشطون في بلدان غربية ودرجة الاتصال بينهم وبين تنظيمات إرهابية مثل القاعدة أو غيرها قليلة أو غير قائمة؛ هؤلاء الأشخاص يشنون هجماتهم بدون دعم خارجي، واعتمادًا علىٰ قدرات شخصية. فأحيانًا يرتبط أحد نشطاء الإرهاب بأحد عناصر الإرهاب في ساحات الجهاد خارج منطقة نشاطه من أجل الحصول علىٰ تدريب أو تأهيل أكثر، وبعد عودته إلىٰ بلاده، ينفذ هجمات بالشكل والتوقيت الذي يختاره، وذلك بالاعتماد علىٰ ذلك التدريب والتأهيل الذي تلقاه بدون حصلوه علىٰ دعم أو توجيه من أية منظمة حول تنفيذ هذا الهجوم. علىٰ سبيل المثال؛ نضال مالك حسن الذي نفذ بنفسه هجوم إطلاق النار الدموي في قاعدة الجيش الأمريكي ببورت هود في نوفمبر ٢٠٠٩، كان قد تلقىٰ دعمًا دينيًا لخططه من الواعظ المتشدد أنور العولقي، المواطن الأمريكي ذو الأصول اليمنية، وبهذا يعتبر مالك بمثابة «ذئب منفرد».

نتيجة للصعوبات التي واجهت القاعدة في سبيل تنفيذ هجمات في الدول الغربية؛ فقد اعتبرت أنشطة المنتمين لاستراتيجية الإرهاب من الداخل، وكذلك الذين تلقوا

تدريبات في معسكرات التدريب التابعة لحركة الجهاد العالمي، وكذلك أولئك الناشطون الذي عملوا بشكل مستقل؛ كلهم بمثابة رأس الحربة التنفيذية للجهاد العالمي من خارج ساحات القتال في الشرق الأوسط وجنوب آسيا. فالنشطاء المحليون هم الذين في نهاية الأمر يضغطون علىٰ الزناد ويمسكون بالسكين ويشغلون عبوة ناسفة. وفي حالة واحدة فقط من بين الآلاف من الهجمات ومحاولات الهجمات التي نفذت خلال العقدين الأخيرين، التي يمكن نسبتها إلىٰ حركة الجهاد العالمي، والتي شارك نشطاء منها لتنفيذ هجمات من خارج المكان الذي نفذ فيه الهجوم[١]. إلا أن غالبية هذه الهجمات اتسمت بطابع ضبابي وتضمنت محاولات تحريض ونشر للعنف وإلقاء زجاجات حارقة، وأيضًا محاولات قتل باستخدام سكين[٢]، في حين أن هجمات أخرىٰ اتسمت بطابع «تنفيذي مركب جدًا» من خلال استخدام وسائل قتالية مختلفة، ومن ضمنها مواد ناسفة، وأغلب هذه المحاولات تم إحباطها عن طريق أجهزة الأمن المحلية[٣]. وفي حالات أخرىٰ فشلت محاولات الهجوم عقب فشل تنفيذي أو تقني نبع من عملية تأهيل تقني وتنفيذي معيب[٤]، إلا أن الهجوم الذي نفذ في مدريد في مارس عام ٢٠٠٤ لم يكن من هذه النوعية من المحاولات الهجومية التي أحبطت[٥].

---

(١) إشارة إلىٰ الخمسة عشر عضوًا في تنظيم القاعدة من السعودية الذين دخلوا الولايات المتحدة وقاموا بدور المساعدين/ الداعمين في عملية اختطاف الطائرات لتنفيذ هجمات ١١ سبتمبر، بينما مثّل الطيارون الذين قادوا العلمية نموذجًا للإرهابيين المعدين محليًا home-grown.

(٢) تياو فان جوخ، إعلامي هولندي انتقد الإسلام الراديكالي ذبح علىٰ أيدي شخص ينتمي لجماعة إسلامية راديكالية التي تم تشكيلها في أحد مساجد أمستردام.

NYPD Report: Mitchell D. Silber and Arvin Bhatt Senior Intelligence Analysts: Radicalization in the West: The Homegrown Threat, NYPD Intelligence Division. pp. 49-50.

(٣) محاولات الهجمات علىٰ أيدي هذه الجماعات تم إحباطها في أستراليا، وكندا والولايات المتحدة بعد أن نجحوا في امتلاك كميات كبيرة من المواد الصلبة لإعداد متفجرات، نفس المرجع ص ٥٣-٥٤.

(٤) محاولة الهجوم علىٰ وسائل المواصلات في لندن، ٢١ يوليو ٢٠٠٥، علىٰ أيدي أربعة نشطاء، وكانت هناك هجمات مماثلة قبل أسبوعين من ذلك لكن لم توقع أية إصابات، ، وكان الذين قاموا بالمحاولة الفاشلة لم يتلقوا تدريبًا مناسبًا واعتمدوا علىٰ معلومات جمعوها من الإنترنت.

(٥) NYPD, pp 48-49.

هناك أيضًا بعض الهجمات الأخرىٰ التي تمثل مظهرًا لظاهرة الإرهاب من الداخل، وهي عملية السيارة المفخخة في ميدان تايمز بمنهاتن نيويورك في ابريل ٢٠٠٤ من جانب فيصل شيخ زاد، وهو مواطن أمريكي من أصول باكستانية، وهذا الهجوم أحبط بسبب تقني. وكذلك الهجوم بإطلاق النار في مطار فرانكفورت في ٢ أغسطس ٢٠١١ والذي تم تنفيذه من جانب عريف يكا، وهو ألباني مسلم من كوسوفو يبلغ من العمر ٢١ عامًا، وقتل في العملية جنديان أمريكيان وأصيب اثنان آخران إصابات بالغة(١). كذلك هجوم زياد قارا، وهو مواطن فرنسي من أصل مغربي، قتل سبعة أشخاص في محيط تولوز في ربيع ٢٠١٢ من بينهم أربعة يهود (بينهم ٣ اطفال). كذلك هجوم مارتون بوستون في ابريل ٢٠١٣ الذي قتل فيه ثلاثة مواطنين أمريكيين وأصيب المئات، والذي قام به مواطنان أمريكيان من أصول شيشانية. وكذلك الهجوم الذي ذبح فيه جندي بريطاني علىٰ أيدي مواطنين بريطانيين من أصول نيجيرية في إحدىٰ الأحياء جنوبي لندن.

مصادر المال والتمويل:

إن مصادر التمويل التي تستخدمها معظم منظمات حركة الجهاد العالمي غير معروفة في معظمها حتىٰ الآن، فعلىٰ مدار سنوات، ذُكرت الكثير من المصادر التمويلية لحركات الجهاد العالمي، لكن معظم التقارير التي تتحدث عن ذلك لم يتم فحصها أو تدقيقها، ومع ذلك فإن معظم التقارير تذكر أنه مع فقدان بن لادن لثروته الشخصية (التي ورثها عن أبيه) خلال أنشطته في السودان منتصف التسعينات، اعتمدت القاعدة علىٰ التبرعات كمصدر أساسي للتمويل، ومعظم هؤلاء المساهمين هم أشخاص مستقلون معظمهم من بلدان الخليج، من الذين ساهموا بالأموال بغرض المساهمة في تنفيذ هجمات معينة. كما يبدو كذلك أن معظم نشطاء الإرهاب الذين انضموا للصراع مع القاعدة اعتمدوا لسنوات طويلة علىٰ المساهمات والتبرعات كعنصر أساسي لتمويل نشاطهم.

---

(١) David Gordon Smith, Germans Have to Distinguish between Muslims and Murderers, Der Spiegel, March 4, 2011, http://www.spiegel.de/international/germany/0,1518,749173,00.html.

أما مصادر التمويل الأخرىٰ، فهي: منظمات وصناديق الصدقة الإسلامية، والتي تنجح منظمات الجهاد العالمي في الوصول إليها بطرق التفافية ثم تنقل جزءًا من هذه الأموال لنشاطاتها، إضافة إلىٰ الأعمال والشركات الخاصة، والتمويل الخاص للعمليات علىٰ أيدي النشطاء أنفسهم، خاصة في إطار الأعمال المتعلقة بالجهاد الفردي أو أنشطة الخلايا الإرهابية الصغيرة جدًا. كما أن جزءًا من أنشطة الجهاد العالمي يتم تمويلها عن طريق أعمال إجرامية مثل تزوير بطاقات الائتمان، وتزوير الشيكات، والابتزاز تحت التهديد، واختطاف المواطنين الأجانب والحصول علىٰ فدية مقابل تحريرهم، خاصة في المناطق البعيدة مثل الصحراء ومنطقة حضرموت باليمن وشبه جزيرة ميندناو في الفلبين(١).

أما بالنسبة لطرق نقل الأموال فهي متنوعة، بدءًا من استخدام منظومات رسمية مثل منظومة نقل الأموال البنكية Swift(٢)، والشركات العالمية العاملة بذلك بشكل رسمي وقانوني مثال PayPal أو Union ،Western وأحيانًا يتم استخدام منظومات تقليدية وساذجة مثل منظومة «الحوالات النقدية(٣)» خاصة في المناطق البعيدة، ويبدو أن الأسلوب الأساسي الذي تستخدمه منظمات الجهاد العالمي لنقل الأموال هو استخدام سعاة أو رُسل لذلك.

تأثير الحرب ضد الإرهاب علىٰ تنظيم القاعدة وشركائه:

استمرت الولايات المتحدة وشركائها في مطاردة قادة تنظيم القاعدة بشكل مستمر وذلك علىٰ خلفية تزايد ظاهرة الإرهاب العالمي، وقد اشتملت المعركة ضد الإرهاب

---

(١) Financial action task force Terrorist finance, FATF/OECD 2008, pp 11-19.

(٢) كل الأموال التي خصصت لهجمات ١١ سبتمبر تم تحويلها من قيادة التنظيم إلىٰ الولايات المتحدة عن طريق المنظومة البنكية العالمية. أنظر

http://www.gpoaccess.gov/911/pdf/fullreport.pdf, P 224-225.

(٣) حوالة: هي منظومة تقليدية لنقل الأموال التي تعتمد علىٰ المعرفة الشخصية والانتماء القبلي وتدار بدون أي تسجيل بنكي أو غيره. فالشخص الراغب في تحويل أموال لشخص آخر في نفس منطقته يتوجه إلىٰ الشخص «الحوال» في منطقته ويسلمه المبلغ المطلوب إرساله، والشخص المرسل له المبلغ يتجه للشخص «الحوالة» في منطقته «ويتسلم منه المبلغ المطلوب، والشخصان المنتميان لمنظومة الحوالة وينتميان لنفس القبيلة يتقابلان كل فترة ويتحاسبان».

علىٰ إجراءات قانونية ووسائل قضائية واقتصادية ضد تنظيم القاعدة، بالتوزاي مع المجهودات المخابراتية والعسكرية وعمليات الكوماندوز ضد التنظيم، وهو ما أثر علىٰ طريقة عمل التنظيم وعلىٰ قدرته علىٰ الاستمرار في الأعمال الإرهابية في جميع أنحاء العالم، وفي هذا الإطار برزت في السنوات الأخيرة سياسات الإحباط الاستباقية بشكل مكثف، والتي قادتها الولايات المتحدة ضد قادة تنظيم القاعدة ونشطائه الكبار في دول مختلفة ومن بينها باكستان، وأفغانستان والعراق واليمن والصومال، ومن بين هذه العمليات عملية إلقاء القبض وتصفية ثلاثة من قادة الذراع العسكري للتنظيم، وهم محمد عاطف، وأبو فرج الليبي (اعتقل) وخالد حبيب، وثلاثة من قادة وحدة العمليات الخارجية، وهم خالد شيخ محمد (اعتقل) وحمزة ربيع، وصلاح الصومالي[١]، كما تمت تصفية الكثير من النشطاء المنتسبين لمجلس شورىٰ التنظيم وعلىٰ رأسهم مصطفىٰ أبو يزيد (شيخ سعيد)، وخليفته شيخ عطية الله، وعشرات المقاتلين بدرجات مختلفة في الوحدات القتالية الداخلية للتنظيم في باكستان، من الذين انخرطوا في القتال المستعر علىٰ طول الحدود الباكستانية الأفغانية، وعلىٰ رأسهم قائد الوحدة القتالية عبد الهادي العراقي، وعبد الله سعدي، وكذلك عشرات النشطاء التنفيذيين واللوجيستيين من التنظيم في جميع أنحاء العالم.

رغم هذه الضربات القوية التي تلقاها التنظيم، ومن خلال اعتماده علىٰ البناء التنظيمي لأنشطته علىٰ مدار سنوات، نجح التنظيم في ترتيب صفوفه مرة أخرىٰ، وملأ الفراغ الذي خلَّفه غياب قادته الذين اعتقلوا أو تمت تصفيتهم، والمحافظة علىٰ وتيرة أعماله ومكانته التهديدية علىٰ الساحة العالمية. مع ذلك، فإنه بمرور السنوات حدث انخفاض في قدرات التنظيم، ويشير خبراء الإرهاب إلىٰ أن عمليات الإحباط المتتالية والمستمرة أدت إلىٰ تناقص عدد القادة القدامىٰ بالتنظيم، بينما تضاءل عدد النشطاء الذين ظلوا تحت سيطرة التنظيم مقارنة بعدد القادة القدامىٰ[٢].

---

(١) الرابع هو «أبو عبيدة المصري»، وقد مات موتة طبيعية.

(٢) Lee Ferran, Al Qaeda "Shadow of Former Self", US Counter-Terror Official Says, ABC News, April 30, 2012, http://abcnews.go.com/blogs/headlines/2012/04/al-qaeda-shadowof-former-self

كما بذلت الدول الغربية جهودًا خاصة لمكافحة ظاهرة الراديكالية الإسلامية في أوساط الطائفة الإسلامية ومكافحة الإرهاب من الداخل، وذلك علىٰ خلفية حقيقة مفادها أن معظم الهجمات والمحاولات الإرهابية التي وقعت في دول غربية في أعقاب ١١ سبتمر ٢٠٠١؛ وقعت علىٰ أيدي عناصر إرهابية من داخل هذه البلدان، وقد اضطرت هذه البلدان للعمل علىٰ مواجهة هذا التهديد، وتبني سياسات تناسب الطوائف الإسلامية والمواطنين من ذوي الأصول الإسلامية في هذه البلدان الغربية.

أثارت عملية بلورة هذه السياسات الكثير من الإشكاليات الأخلاقية والاجتماعية والقانونية داخل البلدان الغربية، وهي الإشكاليات المرتبطة بالحقوق الأساسية للمواطنين والتمييز وفق الأصل والدين والعرق، والتي تتعارض مع دساتير معظم الدول الغربية، وبعد مسيرة طويلة من البحث تم تبني نظريتين مركزيتين فيما يتعلق بمتابعة ومواجهة ظاهرة الإرهاب من الداخل وإحباطه، وهما: النظرية الأمريكية: التي تؤكد علىٰ ضرورة إحباط العمليات الإرهابية، ووفقًا لهذه النظرية فإن التعرف علىٰ المفاهيم والنظريات الراديكيالية المتشددة يتم من خلال المراقبة والمتابعة الكاملة لمواقع الإنترنت والمنتديات المعروفة المخصصة لنشر أفكار الجهاد العالمي، والبحث عن كلمات مفتاحية منتشرة علىٰ الشبكة العنكبوتية مثل «الجهاد» والسلفية، والقاعدة، وبالتوزاي مع هذه المنظومة من المراقبة فإن رجال الأمن الأمريكيين وخاصة الـFBI يطمحون لتنفيذ منظومة تحقيقات ومراقبة توفر في نهاية المطاف براهين قانونية تمكن من اعتقال العنصر وتقديمه للمحاكمة بتهم متصلة بتخطيطه لهجمات إرهابية وسجنه لفترة طويلة.

أما النظرية الثانية فهي أوروبية: التي تؤكد علىٰ البعد الطائفي- الاجتماعي لعلميات مكافحة الإرهاب وأن عمليات إحباطها هي نابعة من هذين البعدين، فعملية تحديد العناصر الراديكالية المتشددة يتم بمساعدة العناصر المؤثرة من داخل الطوائف الإسلامية مثال رجال الدين مدراء المدارس الإسلامية ومعلميها وحتىٰ الشرطي الذي علىٰ صلة بهذه العمليات، وبهذا يطمح الأوروبيون إلىٰ تنفيذ منظومة مضادة تحمل

شعار «إنقاذ النفس الضالة» بواسطة وسائل تربوية واجتماعية يتم نسجها مباشرة مع هذا الشخص الضال[1].

إن الفروق بين النظريتين عائد بالأساس إلىٰ الفرق بين الأعداد الكبيرة للطوائف الإسلامية في البلدان الأوروبية وتأثيرهم علىٰ الحياة الاجتماعية والاقتصادية بها مقابل العدد القليل نسبيًّا للمسلمين في الولايات المتحدة وحقيقة أنهم بشكل عام لا يتشكلون داخل طوائف محددة بالولايات المتحدة، لذلك فإن تأثيرهم علىٰ سائر المجتمع الأمريكي قليل.

إن فعالية السياسات الخاصة بمكافحة الإرهاب والعناصر الإرهابية من الداخل ليست ذات نتيجة واحدة في كل مكان، ففي الوقت الذي تتحقق فيه نجاحات تنفيذية بشكل عام، فإن تيارًا محددًا من العناصر الإرهابية الغربية يستمر في طريقه نحو العديد من ساحات الجهاد بهدف التدريب واكتساب الخبرة، وهي العناصر المتورطة في الهجمات مثل الهجوم علىٰ مركز التسوق في ويست جيت في كينيا في سبتمبر ٢٠١٣، والذي قتل فيه أكثر من ٧٠ شخصًا ونفذه أشخاص يحملون الجنسية الأمريكية والنرويجية والكينية، وهم ممن عملوا مع التنظيم الإرهابي الصومالي حركة الشباب المجاهدين.

وصل نجاح المنظومة القتالية العالمية ضد الإرهاب إلىٰ ذروته مع تصفيه بن لادن، وذلك من خلال استخدام منظومة الإحباط المتقدمة الأمريكية، فقد كان اختباء بن لادن في باكستان لمدة خمس سنوات مما قلل كثيرًا من إمكانية تواصله مع عناصر تنظيمه الذين اتخذوا من منطقة وزيرستان قاعدة لهم، الأمر الذي فرض عليه إدارة التنظيم عن بعد.

رغم هذه الصعوبات؛ فإنه بمساعدة الخطابات التي تركها بن لادن في مقر إقامته في أبوت آباد وتم نشرها بعد موته، يتضح لنا أن بن لادن استمر طوال فترة اختبائه

---

(١) المقصود إرسال عملاء غير معروفين لهذا الشخص وإغرائه لتنفيذ هجمات من خلال استخدام عبوات ناسفة أو وسائل قتالية يتم نقلها إليه، لكن في لحظة محاولته تنفيذ هذا الهجوم يتم اعتقاله، ويمثل أمام القضاء يوحكم عليه بالسجن.

زعيمًا للتنظيم، وكان الأكثر تأثيرًا علىٰ جميع أنشطته. فقد اعتمد بن لادن علىٰ الرجال المخلصين له لنقل أوامره لجيمع قادة التنظيم، كما يظهر أن بن لادن ظل يشرف بنفسه علىٰ إدارة التنظيم وتخطيط استراتيجياته وتوجيه قادته علىٰ الأرض، وكذلك تقديم المشورة لقادته حول كيفية عملهم.

وقد اشتملت الموضوعات التي تدخل فيها بن لادن بما يخص التنظيم، علىٰ موضوعات: التعيينات[(١)]، والسياسات الإعلامية[(٢)]، والتوصية فيما يتعلق بسياسات الهجمات المطلوب تنفيذها من القاعدة وشركائها، كتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية[(٣)]، وحركة الشباب الصومالي[(٤)]، كما تدخل بن لادن فيما يتعلق بتخطيط

---

(١) رؤساء الطوائف المتعاونين مع عناصر الأمن، يتوجهون لأسرة هذا الشخص، بما فيهم أشخاص ينتمون لطبقات رفيعة بالمجتمع وأحيانًا يجعلونه يقابل رجال دين إسلامي معتدلين.

(٢) انظر تعيين نائبين لسكرتير التنظيم عطية عبد الرحمن، في أكتوبر ٢٠١٠:

Retrieved from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011, Combating Terrorism Center at West Point, http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-0000015-Trans.pdf.

أو تعيين الشيخ يونس الموريتاني مسؤولا عن تنفيذ العمليات الخارجية للقاعدة في أفريقيا وغرب آسيا.

Document retrieved from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011, Combating Terrorism Center at West Point, http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-0000019-Trans.pdf

(٣) انظر توجيهات بن لادن لإقامة جهاز خاص بالإعلام.

from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011, Combating Terrorism Center at West Point, http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-0000019-Trans.pdf;

انظر أيضًا التوجيهات الدقيقية من بن لادن إلىٰ أحد أعضاء لجنة الإعلام للتنظيم في الولايات المتحدة وهو أدم جادان فيما يتعلق بأنشطة التنظيم المطلوبة لاحياء الذكرىٰ العاشرة لأحداث ١١ سبتمبر.

Document retrieved from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011 Combating Terrorism Center at West Point

(٤) انظر التوجهات العامة لبن لادن فيما يتعلق بسياسات الهجمات والتي تم نقلها كأوامر للشيخ عطية كي ينقلها لعناصر التنظيم،

Document retrieved from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011, Combating Terrorism Center at West Point =

الأنشطة الدعائية النفسية ومنها ما يتعلق بإحياء الذكرىٰ العاشرة للهجمات الإرهابية علىٰ الولايات المتحدة[١].

وفي الأول من مايو عام ٢٠١١ قبيل أربعة شهور من إحياء الذكرىٰ العاشرة لهجمات الإرهاب في الولايات المتحدة، وبعد سنة من عمليات متابعة من قبل رجال المخابرات الأمريكية، تمكن رجال الكوماندوز البحري الأمريكي من تحديد مكان اختباء أسامة بن لادن، العدو الأكبر للولايات المتحدة خلال العقود الماضية، وفي عملية هجومية قتل بن لادن وإحدىٰ زوجاته وأحد أبنائه وأيضًا حراسه، وأخذت جثته، وبعد أن خضعت للفحص وطقوس الدفن تم دفنها في قلب البحر.

ورغم عدم توافر معلومات تؤكد من هو القائد الذي يختبئ في بآبوت اباد؛ قرر الرئيس الأمريكي أوباما الهجوم علىٰ المكان، وبهذا خاطر الرئيس الأمريكي بسبب احتمالية أن يؤدي انتهاك السيادة الباكستانية نتيجة هذا الهجوم المباغت إلىٰ توتر العلاقات بين البلدين، لاسيما فيما يتعلق بالتعاون الحيوي بينهما في محاربة الإرهاب. لكن يبدو أن حسم الرئيس أوباما عكس كم كانت العملية ضرورية وأن الحسم فيها كان ضروريًا، وأن الكشف عنها لقادة المخابرات الباكستانية من شأنه أن يؤدي إلىٰ هروب المطلوب رقم واحد للولايات المتحدة.

= http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-0000015-Trans.pdf

وكذلك توجيهات بن لادن المفصلة للشيخ أبو بصير اليمين زعيم AQAP

Document retrieved from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011, Combating Terrorism Center at West Point,

http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-000016-Trans.pdf

(١) انظر توجيهات بن لادن فيما يتعلق بالصومال:

Document retrieved from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011, Combating Terrorism Center at West Point,

http://www.ctc.usma.edu£wpÙcontent£uploads/2012/05/SOCOM-2012-0000005-Trans.pdf

http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-20120000004-Trans.pdf

مثلت عملية تصفية بن لادن صدمة بالنسبة للقاعدة، خاصة بسبب الدور المركزي لبن لادن داخل التنظيم، والذي ترأسه منذ تأسيسه لأكثر من عشرين عامًا، فقد اعتبر التخلص من رمز وصورة القوة في أعين رجال القاعدة ومناصري الجهاد العالمي، بمثابة تحدٍّ عملي ذو أهمية قوية علىٰ أرض الواقع، وذلك في إطار المجهودات المستمرة لتقليل الخطر المتجسد في بن لادن وحركته علىٰ أمن العالم، ومن هنا نبعت الأهمية البالغة لعملية تصفية بن لادن.



الفصل الثالث

القاعدة والجهاد العالمي: إلى أين المصير؟

أدىٰ مقتل بن لادن والضربات القوية التي وجهها التحالف الدولي ضد تنظيم القاعدة منذ الحرب علىٰ أفغانستان، إلىٰ ظهور تقديرات مختلفة ومتنوعة حول مدىٰ التهديد الذي يمثله القاعدة. إضافة إلىٰ عدد من الآراء والتفسيرات المتنوعة حول خطط التنظيم وقدراته، إضافة إلىٰ أن تطور عمليات الجهاد العالمي كان لها تأثير علىٰ المعركة الانتخابية في الولايات المتحدة عام ٢٠١٢، فكبار رجال الإدارة الأمريكية والرئيس أوباما الذي ترشح لفترة رئاسية ثانية قالوا إن تنظيم القاعدة تضرر بشكل قوي وإنه علىٰ وشك الهزيمة، وبالتالي فإن حجم التهديد الذي يمثله التنظيم أصبح قليلًا بشكل ملحوظ[١]. في مقابل ذلك فإن مرشح الحزب الجمهوري ميت روماني، فنّد هذه الأقاويل مدعّمًا رأيه بحادث الهجوم علىٰ رجال السفارة الأمريكية في ليبيا بـ ١١ سبتمبر ٢٠١٢ والذي قُتل فيه السفير الأمريكي نفسه. وثمة وجاهة ومصداقية لكلا النظريتين، سواء القائلة بهزيمة القاعدة أو القائلة بإنه مازال تنظيمًا قويًا.

تعرض تنظيم القاعدة بالفعل، كلاعب مركزي في حركة الجهاد العالمي، لضربات قوية خلال العقد الأخير، كما أن قدراته وأنشطته الدولية قلت بشكل ملموس، حتىٰ أن بن لادن نفسه قال في نهاية ٢٠٠١ أن صدىٰ هجمات ١١ سبتمبر سيظل قويًا وساحقًا حتىٰ تفقد وحدة المهام التنفيذية الخاصة في القاعدة أهميتها، نظرًا لأن فريضة الجهاد سيحمل عبأها عناصر أخرىٰ تنضم لهذا الصراع. وبالفعل فإن الفكرة

---

(1) Document retrieved from Osama bin laden hideout in Abotabad at January 2011, Combating Terrorism Center at West Point

http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-000004-Trans.pdf.

التي أقيم باسمها التنظيم ومنها انبثقت بقية أنشطته، بما في ذلك إقامة خلافة إسلامية عن طريق الجهاد القتالي والعنيف، ظلت نقطة جذب رئيسية لاستمرار تنفيذ أنشطة إرهابية واسعة. فخلال السنوات التالية لهجمات سبتمبر تبنت منظمات مشاركة للقاعدة هذه الفكرة وانضموا إلىٰ استراتيجية الصراع وإلىٰ النموذج العملي الذي رسمته القاعدة، في نفس الوقت الذي قلَّتْ فيه نسبة تدخل التنظيم المباشرة في هذه الأنشطة بشكل ملحوظ(١)، ولوحظ تعزز هذا التوجه من خلال حقيقة أنه خلال الأعوام الممتدة فيما بين ٢٠٠١-٢٠٠٥، كان معظم ضحايا الإرهاب الجهادي علىٰ الساحة الدولية نتيجة أعمال تنفيذية تم شنها من داخل تنظيم القاعدة. أما السنوات التي تلت ذلك فإن معظم الهجمات قامت بها تنظيمات مشاركة للقاعدة وعناصر جهاد عالمي أخرىٰ نفذوا معظم الهجمات الدموية في جميع أنحاء العالم(٢).

الأكثر من ذلك؛ فإنه مع الاضطرابات التي أصابت الشرق الأوسط بداية من عام ٢٠١١ والتي أدت إلىٰ انهيار عدد من الأنظمة «الكافرة» -وفقًا لوصف القاعدة- في دول عربية؛ سارع بن لادن ونائبه الظواهري إلىٰ مباركة هذه الأحداث بل إلىٰ محاولة الاستفادة منها لأنشطة التنظيم. فقد دعا الاثنان الجماهير العربية إلىٰ استمرار ثوراتهم حتىٰ إسقاط كل الأنظمة الفاسدة، وبما أن أحداث هذه الثورات لم تتصف بالعنف ولم يشارك بها تنظيم القاعدة أو مناصريه، وكانت تحت شعارات ليبرالية مناقضة للأيديولوجية السلفية الجهادية للتنظيم؛ فقد حض الاثنان الجماهير علىٰ عدم الخضوع لإغراءات الشعارات الليبرالية المناقضة لروح الإسلام، والعمل علىٰ إقامة أنظمة إسلامية تنتهج نهج الشريعة.

إن محاولة بن لادن والظواهري الاستفادة من أحداث الشرق الأوسط لصالح

---

(١) Obama: Core of al-Qaeda on path to defeat, Daily Tribune of USA, http://www.tribuneofusa.com/obamacore-of-al-qaeda-on-path-to-defeat.

(٢) الهجوم الأخير الذي كان خارج الحدود الباكستانية - الأفغانية، والذي نجح التنظيم في تنفيذه كان في وسائل المواصلات بلندن، في يوليو ٢٠٠٥، كل الهجمات الأخرىٰ التي نفذت باسم الجهاد العالمي وقتل فيها الكثير كانت عن طريق شركاء التنظيم سواء عن طريق التنظيمات المحلية أو عن طريق الذئاب المنفردة.

التنظيم، أحبطت وعلىٰ الفور مع بداية الأحداث بسبب مقتل بن لادن، فقد اضطر التنظيم لمواجهة واقع فقدان زعيمه الأسطوري ومؤسس التنظيم. وفي يونيو ٢٠١١، وبعد وقت قصير من مقتل بن لادن، ووفقًا للقواعد المتبعة من أجل استمرار التنظيم في أنشطته حتىٰ في أوقات الطوارئ، تم اختيار نائبه الدكتور أيمن الظواهري لخلافته.

اضطر الظواهري، وعلىٰ خلفيه التراث الأيديولوجي للتنظيم الذي تركه وراءه بن لادن، والذي يقضي بتركيز الجهد العملياتي للتنظيم في الجهاد العالمي[1]، وبالتزامن مع أحداث الشرق الأوسط، اضطر الظواهري الذي يعد من آباء فكرة الجهاد الداخلي، لإعادة توجيه طريق أيديولوجيا التنظيم.

كما واجهت الظواهري تحديات جديدة ومركبة التي أثرت علىٰ مستقبله الشخصي وعلىٰ مستقبل التنظيم، **أولًا**: ضرورة أن يؤسس لقيادته للتنظيم خلفًا لبن لادن، **ثانيًا**: إعادة تنظيم وترتيب صفوف التنظيم وقدراته العملياتية، **ثالثًا**: الحفاظ علىٰ المكانة والهيمنة الخاصة للقاعدة كـ«قائد» في أوساط المنظمات المنخرطة في حركة الجهاد العالمي، **وأخيرًا**: رسم طريق جديد للتنظيم في مواجهة الأحداث والفوضىٰ التي أصابت العالم العربي وما تنطوي عليه من مخاطر ونتائج تتعلق باستكمال مسيرة التنظيم.

كان قرار الظواهري المتعلق بالطريق الجديد المقرر أن يسلكه التنظيم، محفوفًا بالمخاطر والعراقيل التي كان من شأنها أن تؤدي إلىٰ انهيار التنظيم وزعزعة شرعيته في أوساط مناصيره في العالم العربي والإسلامي؛ إذ لم يتمتع الظواهري بكاريزما وشخصية مماثلة لبن لادن، فطوال فترة تواجده بتنظيم القاعدة لم يحظ بن لادن بالصورة المحفوفة بهالة المقاتل الذي شارك في معارك أفغانستان، لكنه استند كثيرًا علىٰ مؤهلاته الفكرية وعلىٰ مساهمته علىٰ الصعيد الأيديولوجي كشخص ذي رأي وصاحب ملكة في التعبير.

وقد نُعت الظواهري بأنه صاحب شخصية انفصامية، وهو الذي تولىٰ منصبه كنائب

---

(١) انظر الوثائق التي عثر عليها في مكان اختباء بن لادن في اوت آباد:

http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-0000015-Trans.pdf;

http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2012/05/SOCOM-2012-0000012-Trans.pdf.

رئيس التنظيم بفعل الاندماج الرسمي عام ٢٠٠١ بين القاعدة وبين تنظيم الجهاد المصري. لكن مع مرور السنوات شهدت مكانة الظواهري تقدمًا ملموسًا داخل التنظيم، فقد تناقضت أفكار بن لادن الداعية لضرورة تركيز أنشطة التنظيم علىٰ الجهاد العالمي والحرب ضد الغرب والولايات المتحدة، مع أفكار الظواهري الذي دعا إلىٰ ضرورة تركيز موارد ومجهودًات التنظيم في الجهاد الداخلي ضد الأنظمة العربية.

ووفقًا لما سبق، فإن استراتيجية التنظيم خلال فترة قيادة الظواهري له، هي استراتجية تنبني علىٰ ضرورة بقاء التنظيم، وتنظيم الصفوف، وتأسيس قيادته الشخصية واستغلال الفرص من أجل إحياء التنظيم وقيادته من جديد من أجل تجسيد الرؤية الإسلامية، ووفقًا لرأي الظواهري فإن الربيع العربي من شأنه أن ينفذها من خلال تفضيل الجهاد الداخلي علىٰ الجهاد الخارجي «العالمي».

أراد الظواهري تأسيس أنظمة إسلامية في دول مركزية بالشرق الأوسط وفقًا للشريعة، وسوريا في وجهة نظره هي الفرصة التاريخية الأولىٰ من أجل تحقيق ذلك، وبالنسبة لمصر فإن عدم استقرار الوضع فيها يعد فرصة من أجل إلهاب حماس الجمهور وإيقاع الانقسام بينه وبين النظام القديم والجديد. فهذا النظام كشف عن وجهه الحقيقي وأسقط الإسلاميين البراجماتيين (محمد مرسي والإخوان المسلمين) عن سدة الحكم، والذين اعتقدوا إمكانية استغلال الطريق الديمقراطي من أجل الوصول لحكم إسلامي، وحينما سقط هذا النظام تعززت وجهة نظر القاعدة بأن الجهاد القتالي ضد الأنظمة المحلية وحلفائها من الغرب وحده القادر علىٰ إعادة التطبيق السلفي للإسلام والعودة لمجده القديم.

ومنذ أن تولىٰ الظواهري منصبه كخليفة لبن لادن، فقد عمل علىٰ إعادة ترميم التنظيم، وذلك من خلال توظيفه الأمثل لإدارته، فقد تمت مساعدته من قبل عدد من النشطاء الكبار الذين لجأوا إلىٰ إيران (وكثير منهم في الواقع تم سجنهم تحت رقابة من السطات الإيرانية) وانضموا في النهاية إلىٰ صفوف التنظيم في وزيرستان بعد أن تم إطلاق سراحهم من إيران[١].

(١) جزء منهم، مثل من كان رئيسًا للجنة العسكرية للتنظيم، سيف العدل عاد إلىٰ ملجهئ في إيران في أعقاب مقتل بن لادن.

بالنسبة لقادة التنظيم الذين قتلوا، فقد تولىٰ مكانهم نشطاء تنفيذيون جدد في قيادة التنظيم، الذين اكتسبوا خبرة وتجارب كثير خلال سنوات القتال، أما بقية اللجان الخاصة بالمهام المختلفة في التنظيم ففيما يبدو ما زالت تحتفظ بعدد من القادة القدامىٰ الذين تم تعيينهم في السابق من طرف مجلس الشورىٰ للتنظيم وتولوا مناصب قيادية قبيل غزو الجيش الأمريكي لأفغانستان، كما أن جهاز «الدعوة» الخاص بالتنظيم نجح في أن يرمم نفسه رغم الضربات القوية التي تلقاها خلال العقد المنصرم.

ورغم أن تعيينه لقيادة التنظيم تم بشكل بيروقراطي تنظيمي، إلا أنه من أجل تدشين قيادته الشخصية الجديدة للتنظيم، عرض الظواهري نفسه لمخاطر شخصية، وذلك بخروجه أكثر من مرة بتصريحات عدوانية شديدة اللهجة تتعلق بموضوعات عربية وإسلامية متعددة. فعلىٰ سبيل المثال، فإن الربيع العربي هو في نظر الظواهري فرصة لتغيير سُلَّم أولويات القاعدة والتركيز علىٰ الجهاد الداخلي من أجل التأثير علىٰ تشكيل الأنظمة القادمة في جميع أنحاء الشرق الأوسط والمغرب العربي، ويكون ذلك وفقًا للنموذج السلفي. وبالفعل فقد واصل الظواهري نشر دعوات دعم وتأييد للثوار في اليمن وليبيا وسوريا، وذلك انطلاقًا من إيمانه أن الفراغ السياسي الناشئ عن انهيار الأنظمة القديمة والصعود الدراماتيكي للأحزاب والعناصر الإسلامية السلفية الأخرىٰ، من شأنه أن يسهل من أنشطة عناصر القاعدة والجهاد العالمي في معاركهم السياسية المقرر أن يخوضوها في العالم الذي سيتكون فيما بعد عصر هذه الثورات في العالم العربي.

فوفقًا لعناصر الجهاد العالمي فإن احتلال مناطق غير مسيطر عليها في أنحاء مختلفة من العالم والتي تمكنهم من حرية الحركة والعمل، وكذلك الحصول علىٰ أسلحة متقدمة تم الاستيلاء عليها من جيوش الأنظمة القديمة، وإخراج نشطاء من السجون إلىٰ ساحات القتال مرة أخرىٰ، كلها تعد فرصًا عظيمة لا يمكن التفريط فيها.

وبفضل توجيه تنظيم القاعدة تمكنت كل هذه العناصر سابقة الذكر من إعادة تنظيم صفوفها والتسلح والعمل بدون أي عراقيل من أجل تأسيس قوتهم والسيطرة علىٰ مناطق متفرقة والاستعداد لشن هجمات إرهابية، فعلىٰ سبيل المثال دعم تنظيم القاعدة

أنشطة عناصر الجهاد العالمي التي نشطت في ليبيا خلال المعركة التي أدت في نهاية المطاف إلىٰ إسقاط القذافي وقتله.

وفي أعقاب هذه المعركة، وعلىٰ خلفية قيام نظام في ليبيا لا ينضوي تحت التيار الجهادي. فقد استمرت في ليبيا أنشطة العناصر الجهادية الهادفة إلىٰ تدشين نظام بها وفق الشريعة الإسلامية، كما أن الساحة الليبية التي تعج بالصراع تحولت إلىٰ مأوىٰ حتىٰ لعناصر الجهاديين الناشطين خارج ليبيا، سوءا بالنسبة لعناصر الجهاد الذين هربوا من سجون نظام القذافي وانضموا للقوات الجهادية، أو المجموعات الجهادية السلفية الناشطة في السودان والصومال وسيناء وقطاع غزة والذين وصل إليهم كميات كبيرة من السلاح الذي تم سرقته من مخازن الجيش الليبي.

كما أن تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية وشركائه استغلوا أحداث الربيع العربي واستولوا بشكل مؤقت علىٰ مدن مهمة في اليمن، خاصة في مقاطعة أبين وعلىٰ طول خليج عدن، وأداروا عمليات إرهاب وقتال ضد قوات الجيش اليمني وزعماء القبائل، كما أن عدم الاستقرار في اليمن تم استغلاله من قبل AQAP التي خططت لشن هجمات إرهابية داخل الدولة استنادًا لدعم من العناصر الانفصالية العاملة بشكل خاص جنوب البلاد(١)، وهذه الأعمال قادت في نهاية الأمر إلىٰ تقسيم البلاد أو السيطرة علىٰ أجزاء منها بهدف إقامة دولة إسلامية وفقًا للشريعة.

وكانت سوريا ساحة أحداث مركزية أيضًا، فعناصر القاعدة يرون أن الحرب ضد النظام العلوي الكافر وتحويل سوريا إلىٰ دولة إسلامية وفقًا للشريعة هدفًا مُهِمًّا. فالظواهري الذي نشر في عام ٢٠٠٥ خطة مرحلية ذكر فيها سوريا كساحة مركزية للأنشطة المستقبلية للقاعدة في الشرق الأوسط(٢). فقد أعلن سوريا كساحة جهاد مركزية(٣).

---

(١) عمل عدد من عناصر التنظيم لعدة سنوات علىٰ انفصال جنوب اليمن، انظر حول الدعم العلني الذي أعطاه قادة AQAP للمعركة الدائرة بالجنوب

Open Source Center, Report on Al-Qaida's New Tactics in Yemeñ Al-Sharq al-Awsat Online in Arabic, 22 July, 2009, Document ID#GMP20090722825002. http://www.memrijttm.org/content/en/report.htm?report = 5760&param = APT.

(٢) انظر خطاب الظواهري لأبي مصعب الزرقاوي من يونيو ٢٠٠٥:

http://www.ctc.usma.edu/wp-: content/uploads/201008/CTC-Zawahiri Letter-10-05.pdf.

(٣) Jason Burke, Al-Qaida leader Zawahiri urges Muslim support for Syrian uprising, The

ويبدو أن المعركة الدائرة بين نظام الأسد العلوي وبين مجموعات من المتمردين، أوقفت إمكانية حدوث تعاون بينه وبين تنظيم القاعدة وقت الغزو الأمريكي للعراق مثال نقل عناصر جهاد عالمي من سوريا إلىٰ العراق باعتبار الأخيرة ساحة جهاد.

وبمساعدة الظواهري وبفضل البنية الأساسية اللوجيستية التي ساعدت علىٰ هروب الآف العناصر من الجهاد العالمي للعراق، انخرط تنظيم الدولة الإسلامية ISI بالعراق إلىٰ الصراع. وهذا التنظيم عبارة عن ائتلاف من المنظمات السلفية الجهادية بالعراق، والعنصر المركزي به هو تنظيم القاعدة في العراق AQI الذي يعمل علىٰ تدريب وتجنيد وتأهيل وإطلاق العناصر الجهادية العالمية من بلدان مختلفة إلىٰ سوريا من أجل المساعدة في قتال النظام.

أما العنصر الأكثر فعالية وتأثيرًا وقوة من بين عناصر المتمردين والجهاد العالمي والنشطاء في سوريا الذين يقدر عددهم بعدة آلاف هو التنظيم السلفي الجهادي السوري «جبهة النصرة»، وهو التنظيم الذي له أنواع من الأنشطة التي راجت في القتال في العراق وسوريا، بما فيها تكتيكات العمليات الانتحارية، وكان مسؤولا عن غالبية العمليات الانتحارية التي نفذت منذ أن بدأت الحرب الأهلية (حتىٰ كتابة هذه السطور).

علاوة علىٰ ماسبق، فإن سوريا تحولت بالنسبة للقاعدة إلىٰ ساحة مهمة لتربية كوادر جديدة لنشطاء الإرهاب من ذوي الخبرات القتالية ومن ذوي الارتباط الوثيق بأيديولوجيا الجهاد المعولم، فالقاعدة مهتمة جدًا بضم جزء من هؤلاء النشطاء إلىٰ صفوفها، وإلىٰ القتال في ساحات قتالية توجد بها مواجهات علىٰ خلفية صراع إثني- ديني. في حين أنها سعت إلىٰ أن يستخدم الجزء الآخر منهم لتكوين خلايا وشبكات إرهابية أو استخدامهم كذئاب منفردة في دول مختلفة بما فيها الدول الغربية.

استغلت حركة الإخوان المسلمين، إزاحة الرئيس مبارك عن الحكم في مصر والفراغ السلطوي الذي حدث بعد الثورات العربية، فقد فاز ممثل هذه الحركة محمد مرسي في الانتخابات الرئاسية في مصر وتم اختيارة رئيسًا للجمهورية. وبعد ذلك بعام

---

170 Guardian, February 12, 2012, http://www.theguardian.com/world/2012/feb/12/alqaidaIzawahirisupportsyrian-uprising

وفي يونيو ٢٠١٣ تمت الإطاحة بمرسي من سدة الحكم، علىٰ يد قيادات الجيش المصري، الذي تولىٰ رسميًا وبشكل مؤقت الصلاحيات الرسمية في الدولة. وقد أدت «الثورة المضادة» للجيش المصري إلىٰ الكثير من المواجهات الدامية في شوارع القاهرة والأسكندرية بين أنصار مرسي ومعارضيه، والتي قتل وأصيب فيها الكثير خاصة من أنصار مرسي من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين. وبسبب البناء التكاملي لمصر والتراث التاريخي لها؛ فقد بدا أنها -أي مصر- لن تنجر نحو حرب أهلية مثل التي وقعت في سوريا، وهذا التقدير يعتمد كذلك علىٰ المكانة الأخلاقية لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، والتي ترفع شعار الإقناع والتقريب بين النفوس والقلوب من خلال استخدام التعبير عن الرأي والوسائل الاجتماعية، وبعيدًا عن أية صورة من صور العنف علىٰ الساحة الداخلية. مع ذلك فإن الإطاحة بممثلهم من سدة الحكم وما اعتبروه انقلابًا عسكريًا، مع الأخذ في الاعتبار أيديولوجيا العناصر التي ورثت وجهات نظر العناصر السلفية الجهادية المصرية والجماعة الإسلامية، فإنه من الممكن أن يتم اختيار طريق الإرهاب كرد فعل للخطوات القمعية التي اتخذها الجيش، وإذا حدث ذلك فإنه من المتوقع أن تركز الأنشطة الإرهابية الهجمات بشكل عام علىٰ داخل مصر، وإصابة أهداف سياحية وهجمات ضد عناصر في السلطة وعلىٰ رأسهم قيادات الجيش وقيادات وطنية بارزة.

توجد البنية الأساسية لهذه المنظمات الناشطة في مصر التي تعززت مكانتها بسبب هروب عدد من عناصرها وقيادتها من السجون مستغلة الاضطرابات التي وقعت بداية الثورات، في منطقة «مصر العليا» وفي منطقة شبه جزيرة سيناء. وتنشط هذه العناصر في سيناء منذ عقد تقريبًا، وظهرت أكثر بعد سقوط نظام مبارك، وهي عناصر محلية تحظىٰ بدعم وتأييد من تنظيم القاعدة. فعلىٰ سبيل المثال أعلن الظواهري تأييده للأنشطة الإرهابية التي أدت إلىٰ تفجير أنبوب الغاز الذي ينقل الغاز من سيناء إلىٰ إسرائيل والأردن، وأدىٰ ذلك إلىٰ توقف تصدير الغاز لهما، وهو ما يعني أن تنظيم القاعدة يركز اهتمامه في هذه المنطقة علىٰ توفير البنية الأساسية اللوجيستية والتنفيذية لهذه الجماعات التي يتم بناؤها في سيناء. وفي هذه المنطقة تعمل الكثير من الجماعات التي تنسب إلىٰ القاعدة والجهاد العالمي ويبرز من بينها جماعة «أنصار

بيت المقدس» المرتبطة مع عناصر من الجهاد العالمي خارج سيناء[1]، وأنشطته حظيت بالمباركة العلنية والشخصية من الظواهري[2].

تحظىٰ هذه الجماعات بدعم من القاعدة هي وجماعات من البدو التي تبنت الأيديولوجيا السلفية الجهادية، وهؤلاء يتعاونون مع عناصر الجهاد العالمي في قطاع غزة، من مثل جماعات «التوحيد والجهاد» و«جيش الإسلام» و«أنصار السنة» و«جند أنصار الله»، والتي اتحدت فيما بينها في يونيو ٢٠١٢ في منظمة واحدة حملت اسم «مجلس شورىٰ المجاهدين بأكناف بيت المقدس»[3]، إضافة إلىٰ ما تسمىٰ بلجان المقاومة الشعبية وغيرها.

مكن هذا التعاون بين قطاع غزة وسيناء من حرية الحركة لنشطاء الجهاد فيما بين المنطقتين، والحصول علىٰ دعم لوجيتسي وتنفيذي من النشطاء الفلسطينيين، وبهذا توفر لديهم حرية نسبية لتلقي تدريبات في سيناء وتنفيذ هجمات إرهابية ضد إسرائيل انطلاقًا من هذه المنطقة.

---

(١) المتحدث باسم التنظيم الذي ظهر صوته بالشريط ليس مصريًا أو بدويًا وفقًا للهجته وربما يكون ناشطًا فلسطينيًا أو من أصول عراقية:

,x]]]']xn, https://archive.org/details/Odna012 Internet Archiv

(٢) انظر مباركة أيمن الظواهري بصوته للهجوم الذي شنته جماعة أنصار بيت المقدس علىٰ أنبوب الغاز من مصر لإسرائيل:

http://www.youtube.com/watch?v = MwQqmsjanHQ&feature = plcp http://arabian-sword.wordpress.com/2012/03/13/% D9%82%D8%A8%D9%84-%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%84-%D9%85%D8%B1%D8%A9-%D8%A3%D8%AE%D8%B1%D9%89-%D8%B6%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%A8%D8%AE%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%B2-%D8%A7/ http://www.youtube.com/watch?v = bFXOJHidñME.

(٣) مجلس شورىٰ المجاهدين في أكناف بيت المقدس، هو تنظيم إرهابي في قطاع غزة ينتمي إلىٰ الجهاد العالمي، وقد برز في الآونة الأخيرة دوره في إطلاق القذائف علىٰ إسرائيل من سيناء ومن غزة، مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب باسم اللواء مائير عاميت، ٢٢ أبريل ٢٠١٣:

http://www.terrorism-info.org.il/he/article/20504

استمر الظواهري بالتوازي مع دعمه لمنظمات محلية في جميع أنحاء الشرق الأوسط، بمحاولاته تأسيس قيادته الشخصية للقاعدة وذلك بضم العديد من عناصر الجهاد العالمي إلىٰ القاعدة. وفي إطار ذلك نجح الظواهري في إحداث توحد بين القاعدة وتنظيم شباب المجاهدين الصومالي[(١)]. وفي ابريل ٢٠١٣ ظهر للظواهري مكانة أخرىٰ كـ «مُحكّم» في الخلاف الذي نشب بين أبو بكر البغدادي زعيم تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق ISI وبين محمد الجولاني زعيم جبهة النصرة الناشطة في سوريا. فالأول أعلن عن توحد بين التنظيمين بدون استشارة نظيره في سوريا[(٢)]، وذلك رغم أن تنظيم القاعدة في العراق كان ولايزال الراعي لأنشطة جبهة النصرة، وهو ما دفع محمد الجولاني زعيم جبهة النصرة إلىٰ رفض هذا الاتحاد وفضل أن يظل مواليًا في العلن للظواهري[(٣)].

واجه الظواهري تحديًا مركزيًّا آخر، وهو تحديث الأنشطة التنفيذية للتنظيم وشن هجمات كبيرة في الدول الغربية. فمنذ الهجوم في لندن ٢٠٠٥ وعلىٰ الرغم من تسجيل الكثير من محاولات الهجمات للقاعدة، فإن التنظيم لم ينجح في شن هجمات علىٰ الغرب، وحتىٰ الآن فشل في الانتقام لمقتل بن لادن. ورغم ذلك الفشل فإنه يمكن تقدير أن التنظيم يحاول شن هجمات كبيرة علىٰ دول غربية وعلىٰ رأسها هجمات انتقامية ضد الولايات المتحدة[(٤)]. وقد دلت تقارير من جهات أمنية غربية

---

(١) Al-Shabaab joining al-Qaeda, monitor group says, CNN, 9 February, 2012, http://articles.cnn.com/2012-02-09/africa/world_africa_somaliashabaab-qaeda_1_al-zawahiri-qaedasomaliamericans?-s=PM:AFRICA.

(٢) روعي كياس: متمردون متفرقون، الجهاد: الأنا والإكراه الديني، YNET، ٢٢ سبتمبر ٢٠١٣
http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4432291,00.html

(٣) التنظيم الإرهابي جبهة النصرة أعلن ولائه للقاعدة Ynet ١٠ أبريل ٢٠١٣.
http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4366434,00.html

(٤) بالتحقيق مع عدد من القادة الكبار بالتنظيم، تم الحصول علىٰ معلومات وفقًا لها أعد التنظيم تجهيزات لشن هجوم انتقامي في حال وقوع تصفية محتملة لزعيم التنظيم بن لادن، فقد وضع القاعدة يده علىٰ منشأة نووية صغيرة حصل عليها من خلال جهات نووية باكستانية واستعد التنظيم لشن هجوم انتقامي في الولايات المتحدة. وقد اتضح من خلال التحقيقات أنه خلال عام ٢٠٠٤ عمل التنظيم علىٰ نقل هذه المنشأة النووية من بريطانيا إلىٰ الولايات المتحدة (وفيما يبدو أن ذلك بهدف الاستعداد لشن هذا =

فيما بين عامي ٢٠٠٩-٢٠١٠ أن المئات من العناصر من مواطني الدول الغربية Home Grown Cells أنهوا تدريباتهم التنفيذية الخاصة الهادفة لتنفيذ هجمات علىٰ أهداف في الغرب، وتم إرسالهم لبلدانهم الأصلية في الغرب للاستعداد لتنفيذ هذه الهجمات(١).

ووجدت خلال الأعوام الأخيرة الكثير من هذه المجموعات التي عملت علىٰ الاستعداد لتنفيذ هجمات، كما يوجد عدد آخر غير قليل تم اعتقالهم، إلا أن المهام التي كلفوا بها ماتزال مفعّلة وقد تنفذ في أي وقت من قبل عناصر أخرىٰ.

علاوة علىٰ ما سبق، فإن بنك الأهداف الخاص بالقاعدة فيما يتعلق بالهجمات علىٰ الغرب يزداد ويعاد بناؤه من جديد بالاعتماد علىٰ عناصر راديكالية من طوائف إسلامية في جميع أنحاء العالم، التي تطالب بأن يكون لها دور في الجهاد ضد القوات الأجنبية، ويصلون إلىٰ ساحات القتال التقليدية ومن بينها أفغانستان والعراق والشيشيان والصومال وكذلك إلىٰ ساحات القتال الجديدة في الشرق الأوسط وأطراف الصحراء. وهذه المناطق تمكن هذه العناصر الناشطة بها لشن هجمات تجريبية قبيل التوجه لممارسة أنشطهم التي كلفتهم بها القاعدة في بلدانهم الأصلية.

وتجتذب ساحات القتال الجديد في الشرق الأوسط التي نشأت في أعقاب

= الهجوم)، والذين تم التحقيق معهم واستخلاص هذه المعلومات هم أبو فرج الليبي الذي كان رئيسًا للجنة الأمنية للقاعدة خلال أعوام ٢٠٠٣-٢٠٠٥. وشريف المصري وهو قائد كبير بهذه اللجنة، وقد تم نشر ملخصات التحقيقات معهما علىٰ شبكة الإنترنت من خلال الوثائق التي سربها ويكيليكس في أبريل ٢٠١١. انظر:

Memorandum for Commander United States Southern Command, 3511 NW 9lst Avenue, Miami, FL 33172 Subject: Recommendation for Continued Detention Under DOD Control (CD) for Guantanamo

Detainee, ISN US9LY-010017 (Abu Faraj Al-Libi) DP (S), p. 9.

(١) Is Al-Qaeda on the brink of conducting new wave of attacks in the West? 178 *Al-Qaeda's External Operations Unit Update, Rehabilitating, Functioning, Training and Plotting*, CeifiT Special Report, September 6, 2009.

الفوضىٰ التي أحدثها «الربيع العربي» مثل ليبيا ومالي[١] وخاصة سوريا، تجتذب إليها نشطاء الجهاد من جميع أنحاء العالم. فعلىٰ سبيل المثال تم الإعلان أنه يوجد في سوريا المئات من النشطاء من مواطني دول غربية مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا وهولندا وبلجيكا وبلدان اسكندنافية وأستراليا والولايات المتحدة وكندا. ويبرهن علىٰ ذلك أن الكثير من الهجمات التي يتم تنفيذها ومن بينها الهجمات الانتحارية يقوم بها متطوعون من الغرب[٢]. وفي تلك البلدان التي تم ذكرها تزداد المخاوف الأمنية من ذلك التهديد المتوقع لو عاد هؤلاء النشطاء إلىٰ بلدانهم الأصلية[٣].

لقد أثارت هذه التوجهات المخاوف بشدة من أن تستمر مجهودات القاعدة وعناصر الجهاد العالمي نحو تنفيذ هجمات قوية سواء بساحات القتال التقليدية أو بساحات القتال الجديدة وفي الغرب، كما من المتوقع وقوع هجمات إرهابية علىٰ أيدي «الذئاب المنفردة» أو «خلايا الإرهاب المحلي» في إطار الإرهاب من الداخل وبتوجيه من نظرية «التخفيضات الألف»، ومثل هذه الأنماط من الأنشطة الإرهابية حصلت -بطبيعة الحال- علىٰ مباركة ودعم من الظواهري ووعاظ آخرين مثل أنور العولقي ومن شابهه، وحصلت علىٰ دعم كذلك من وسائل إعلامية جهادية مثال مجلة inspire[٤].

---

(١) نجحت عناصر الجهاد العالمي في الصحراء للسيطرة علىٰ مناطق واسعة في شمال مالي، وفي بداية عام ٢٠١٣ وبناء علىٰ طلب من رئيس مالي شرعت القوات الفرنسية في شن هجمات واسعة المدىٰ علىٰ المتمردين الإسلاميين في هذه المنطقة وبهذا تحولت منطقة شمال مالي إلىٰ ساحة جهاد جديدة، وحينها بدأ كل المتطوعين الإسلاميين من جميع أنحاء العالم في القدوم إلىٰ مالي وانضموا للقتال ضد الفرنسيين.

(٢) Aaron Zelin, Evan Kohlman, Laith Al-Khouri, Convoy of Martyrs in the Levant, June 18, http://azelin.files.wordpress.com/2013/06/convoy-of-martyrs-in-the-levant-a-jointstudy-charting-the-evolving-role-of-sunni-foreign-fighters-in-the-armed-uprising-against-the-assad-regime-in-syria2.pdf.

(٣) انظر علىٰ سبيل المثال مقالًا حول المقاتلين في سوريا الذين يصلون من هولندا:
Ronald Sandeẽ Dutch fighters in Syria, http://www.kronosadvisory.com/Kronos_DUTCH.FIGHTERS.IN.SYRIA.pdf.

(٤) صحيفة يصدرها تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية AQAP وبها دعاية ومعلومات حول استخدام الأسلحة من قبل عناصر الجهاد العالمي.

من المتوقع أن تتم مثل هذه الهجمات من القاعدة مباشرة أو شركائه، سواء عن طريق إعطاء دعم أيديولوجي لهذه العمليات، أو إعطائها تأهيلًا تدريبيًا لمن يقوم بها في الدول الغربية من دون توجيه مباشرة من القاعدة.

ويبدو أنه في ظل انخفاض مستوىٰ الهجمات التي تقوم بشنها القاعدة بشكل مباشر فإنه من المتوقع أن يحدث ارتفاع في عدد الهجمات التي يشنها التنظيمات الشريكة له، فعلىٰ سبيل المثال من المحتمل أن تستمر أنشطة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية AQAP خارج نطاق الجزيرة العربية، وهو التنظيم الذي كان مسؤولا منذ العام ٢٠٠٩ عن عدة محاولات لإسقاط طائرات غربية بواسطة انتحاريين وبواسطة عبوات ناسفة، كما أن تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي AQIM كان مسؤولا خلال عامي ٢٠١٢-٢٠١٣ عن اختطاف مواطنين غربيين وعن هجمات إرهابية كبيرة علىٰ أهداف غربية، وكان آخرها ذلك الهجوم المزدوج الذي تم شنه علىٰ حقل نفط كبير في الجزائر والذي تضمن احتجاز رهائن وتسبب في مقتل بضع عشرات من المواطنين الغربيين.

إن استمرار أعمال هذه المنظمات في ساحات القتال التقليدية لهم ضد أهداف غربية[١] نظرًا لأنهم يحظون باستقلالية ذاتية في مجال الدعم اللوجيستي، من المتوقع أن تعزز من مكانتهم كنقاط جذب أساسية بالنسبة للعناصر الإرهابية الجهادية في الغرب من أجل تدريبهم وتأهيلهم وتمويلهم وتوجيههم نحو المزيد من العمليات التنفيذية علىٰ أراضي البلدان الغربية. ومن المتوقع أن يكون جزءًا من أنشطتهم علىٰ هيئة عمليات انتحارية وفقًا للاستراتيجية التي أورثتها القاعدة لمؤيديها وشركائها، وجزء منها من الممكن أن يكون علىٰ شكل هجمات مسلحة متزامنة تهدف إلىٰ إيقاع عدد كبير من القتلىٰ، ليس بهدف الضغط علىٰ السلطات المحلية الحاكمة ولكن بهدف إحداث تأثير كبير ورد فعل قوي في وسائل الإعلام العالمية نتيجة إسقاط عدد كبير من القتلىٰ.

---

(١) يمكن تقدير أن المرشحين المركزيين للعمل في السنوات القليلة القادمة ضد أهداف غربية هم «القاعدة في شبه الجزيرة العربية» AQAP، والقاعدة في المغرب الإسلامي AQIM وشباب المجاهدين الصومالي وبوكو حرام النيجري وكتائب عبدالله عزام بفروعهم في السعودية ولبنان، واتحاد الجهاد الإسلامي الأوزبكي IJU وجماعة عسكر طيبة LeT الباكستانية.

من الممكن كذلك توقع أن غالبية عناصر الجهاد العالمي ستركز أنشطتها ضد أهداف رخوة، تتضمن عددًا كبير من المواطنين، ومن بين هذه الأهداف وسائل المواصلات مثل الطائرات والمطارات، والقطارات ومحطات القطارات، والحافلات، والسفن والموانئ والمرافئ. أما الأهداف المحتملة الأخرىٰ فمن الممكن أن تكون مراكز ثقافية ورياضية، مسارح، فعاليات رياضية عامة وملاعب كرة قدم، ومراكز سياحية وترفيهية، ومراكز تسوق وفنادق وأندية، وكذلك أحداثًا ثقافية مثل المهرجانات والحفلات الموسيقية والمعارض الكبرىٰ. وإذا لم تُحدث الهجمات ضد هذه الأهداف الأضرار اللازمة فإنه من المتوقع أن يُشن «القتال الاقتصادي» الموجهة مباشرة ضد الغرب وذلك باستهداف مراكز الطاقة والغاز والنفط والناقلات النفطية، ومحاولة شن هجمات تهدف لإغلاق المضائق المائية، إذ أن إلحاق أضرار بمثل هذه الأهداف من شأنها التسبب في ارتفاع ملحوظ بأسعار الطاقة وتعطيل التجارة العالمية. إذ أن هدف عناصر الجهاد العالمي هو إحداث معادلة اقتصادية غير متوازنة تلحق ضررًا بالدول الغربية وتستنزف الحكومات بشكل يدفعها إلىٰ إعادة التفكير مرة أخرىٰ حول استعداداها لإبقاء قواتها العسكرية في البلدان الإسلامية واستثمار الكثير من الموارد الاقتصادية في المعركة العالمية ضد الإرهاب التي أُعلن عنها في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر.

إن اشتراك عناصر الجهاد العالمي في القتال في الدول التي توجد بها أسلحة غير تقليدية وخاصة الدول التي ضعف فيها الحكم المركزي في أعقاب أحداث الربيع العربي مثل سوريا وليبيا، من الممكن أن يساهم في أن تصل مثل هذه الأسلحة لهذه العناصر، إذا كانوا جادين بالفعل في الحصول علىٰ مثل هذه الأنواع من الأسلحة. ومع ذلك فإن استخدام مثل هذه الأسلحة ليس أمرًا سهلًا إطلاقًا خاصة وأنه يتسبب في إحداث عدد كبير جدًا من القتلىٰ، علاوة علىٰ أنه رغم وجود فتاوىٰ تبيح استخدام مثل هذه الأسلحة ضد الكفرة من أعداء الإسلام، فإن استخدامها لا يمثل جزءًا من أجندة غالبية منظمات الجهاد المعولم.

وتليخصًا لما جاء في هذا الفصل من الدراسة، يمكن القول إن القاعدة كتنظيم قد أصابه الضعف بشكل ملحوظ عقب الحرب العالمية ضده، ووضعه الآن صار أسوأ

مما عليه قبيل الهجمات على الولايات المتحدة. ومع ذلك فإن شركاء التنظيم قد تعززت قوتهم وانضم إليهم المزيد من المتطوعين والمناصرين لهم الذين ينشطون في بلدانهم، كما يبدو كذلك أن القاعدة عاد مرة أخرى إلى تلك الأنماط القتالية التي كان ينتهجها خلال السنوات الأولى لظهوره، وأن التنظيم يقدم الدعم من وراء الكواليس بواسطة وسائل لوجيستية وتأهيلية وتدريبية، للعديد من التنظيمات والشبكات والعناصر الإرهابية التي انضمت إلى أفكاره في الدول العربية والغربية.

علاوة على ماسبق، فإن مكانة التنظيم وقيادة الظواهري له التي تستند إلى سمعة التنظيم ونجاحه في شن هجمات داخل مدن العدو بواسطة الإرهاب، مكنته من توجيه معركة الجهاد العالمي بفضل مكانته والصلاحيات التي يتمتع بها لدى التنظيمات الإرهابية. وهو الأسلوب الذي فضل القاعدة بقيادة الظواهري العمل به بسبب الهجمات المستمرة التي قادتها الولايات المتحدة والناتو ضده في أفغانستان وباكستان وأدت إلى إضعافه، فقد انتظر بفارغ الصبر إزالة الضغط الممارس عليه مع انسحاب القوات الأمريكية من أفغانتسان خلال عام ٢٠١٤ وحينها سيحاول العودة مرة أخرى لشن هجمات إرهابية عالمية، وبالفعل فإن ترك القوات الدولية لأفغانستان خلال عام ٢٠١٤ من شأنها أن تمكن التنظيم أن يستعيد قوته مرة أخرى وأن يستفيق من تلك الضربات القوية التي تلقاها خلال السنوات الأخيرة.

ويبدو -حتى الآن- أن عناصر الجهاد العالمي تركز أنشطتها في دول الشرق الأوسط، والمغرب، وغرب أفريقيا وشرقها والدول الغربية، وفي قلب هذه الأنشطة تقع الساحة السورية لتكون بؤرة مركزية لأنشطة عناصر الجهاد العالمي بدعم وتشجيع من تنظيم القاعدة. كما من المتوقع أن يكون لنتائج المعركة في سوريا تأثير مركزي على استقرار الدول المجاورة لها.

ما سبق ذكره، يدل على أنه طالما ظَلَّ قادة تنظيم القاعدة نشطين لتنفيذ رؤية تنظيمهم، فإن ذلك سيمنح الظواهري مزيدًا من القادة المتمرسين العاملين وفقًا لاستراتيجية التنظيم التي ترى في الغرب والولايات المتحدة ساحة مركزية للإرهاب الدامي، كما أن التنظيم سيظل مصدرًا وراعيًا للعمليات العسكرية الإرهابية التي تهدف إلى نشر الفوضى المستمرة في الشرق الأوسط، والمغرب وأفريقيا، علاوة على أنه من المتوقع أن يستمر تنظيم القاعدة يمثل تهديدًا فعالا لمنظومة العلاقات الدولية.

الفصل الرابع

إسرائيل واليهود .. وتهديد الجهاد العالمي

إن غالبية الهجمات التي شنتها القاعدة وعناصر الجهاد العالمي المختلفة كانت موجهة ضد أهداف لدول التحالف الدولي التي حاربت ضد القاعدة، ومن بينها دولًا غربية ودولًا عربية ودولًا آسيوية، وعلىٰ رأسها أهداف في الولايات المتحدة وبريطانيا. فهاتان الدولتان اعتبرتا بمثابة القائدتين للهجوم الدولي ضد حركة الجهاد العالمي بما فيها القاعدة، وتحولا بسبب ذلك إلىٰ هدف للهجمات الإرهابية كجزء من القتال ضد جنود الائتلاف الدولي في العراق وأفغانستان، وكجزء من معارك إرهابية دولية. وفي نفس الوقت حدث ارتفاع ملحوظ في الهجمات ومحاولات الهجمات من عناصر القاعدة والجهاد العالمي ضد أهداف إسرائيلية ويهودية داخل إسرائيل وخارجها.

يذكر من بين الأحداث التي تم التخطيط لها ومحاولة تنفيذها داخل إسرائيل حادثة ريتشارد كوليين ريد أو «هجوم الأحذية»، والذي حاول في ديسمبر ٢٠٠١ تفجير طائرة أمريكية فوق المحيط الأطلسي، وفي صيف نفس العام أرسل لتجميع معلومات حول المطار في إسرائيل وطائرات العالم ومدن إسرائيل. وكذلك نذكر الهجوم الانتحاري الذي قتل فيه ٣ إسرائيليين وأصيب أكثر من خمسين شخصًا ونفذه اثنان من نشطاء الجهاد العالمي من بريطانيا وهما محمد شريف ويوسف حنيف في ابريل ٢٠٠٣ عند مدخل بار «ميكس بليس» علىٰ شاطئ البحر بتل أبيب. وكذلك الكشف عن خلية إرهابية في ضواحي مدينة الناصرة كان أعضاؤها من عرب إسرائيل، وقتل أعضاء هذه الخلية سائق تاكسي إسرائيلي وحاولا قتل آخرين، وقد ألقي القبض علىٰ اثنين من أعضاء الخلية علىٰ الحدود بين كينيا والصومال في طريقهم للتدريب بمعسكرات التنظيم الصومالي شباب المجاهدين. كما قامت عناصر من الجهاد العالمي

بمحاولات إطلاق نار من أراضي بلدان مجاورة لإسرائيل علىٰ مناطق داخل إسرائيل.

في مقابل الارتفاع النسبي الذي طرأ خلال العقد الماضي في عدد الهجمات ومحاولات الهجمات ضد أهداف يهودية وإسرائيلية علىٰ الساحة الدولية؛ فإن غالبية الهجمات التي تم شنها علىٰ حدود إسرائيل أو داخلها لم تنجح، وذلك راجع إلىٰ فعالية قوات الأمن الإسرائيلية، كما أن الدول المجاورة لإسرائيل كان لها دور في عرقلة هذه الهجمات، وغالبًا ما تكون معظم محاولات التسلل إلىٰ إسرائيل عبر حدودها ويتم عرقلتها عن طريق «حزام الدفاع» الذي يلتف حول إسرائيل وأنشأه شركاؤها في العالم والعربي وعلىٰ رأسهم مصر والأردن، وحتىٰ أعداؤها مثل سوريا ومنظمة حزب الله في لبنان، إذ أن المصالح الأمنية الداخلية لهذه الدول، وكذلك الخوف من حدوث مواجهة مع إسرائيل في حال وقوع هجوم علىٰ مواطنيها من خلال أراضي هذه الدول المجاورة لها؛ أدىٰ إلىٰ إفشال محاولات الهجوم التي تم التخطيط لها من قبل عناصر الجهاد العالمي ضد إسرائيل.

في أعقاب الفشل في التسلل إلىٰ داخل إسرائيل وتنفيذ هجمات إرهابية بها، توجه مجهود عناصر الجهاد العالمي، خاصة عقب الهجمات الإرهابية ضد الولايات المتحدة، نحو تنفيذ هجمات ضد أهداف إسرائيلية ويهودية خارج إسرائيل، وأدَّىٰ ذلك إلىٰ الإضرار بعشرات اليهود والإسرائيليين في هجمات نفذتها عناصر الجهاد العالمي في تونس وكينيا وتركيا ومصر وسيناء والهند والولايات المتحدة وفرنسا، كما تم التخطيط لهجمات كبيرة لم تنفذ ضد إسرائيليين ويهود في الولايات المتحدة وتايلاند وسنغافورة والمغرب وتركيا والأردن وكندا وسويسرا وموريتانيا وأوزباكستان وغيرها من الأماكن.

ودل الهجوم الذي تم منعه جزئيا في مومباسا بكينيا علىٰ مدىٰ حجم القتل والضرر الذي كان سيحدث للإسرائيليين لو تم تنفيذ مخطط القاعدة ورجال الجهاد العالمي بشكل كامل. فخلية «القرن الأفريقي» التابعة للقاعدة، والتي تكونت من مجموعتين عملتا في وقت متزامن، هاجمت فندق كان به سائحين إسرائيلين وقتلت خمسة عشر شخصًا كان من بنيهم ٣ إسرائيلين، وفي نفس الوقت أطلقت عناصر الخلية صاروخًا تجاه طائرة كانت تقلع من المطار الدولي للمدينة وكان بها مئات من المسافرين

الإسرائيليين، ومنعت الكارثة بسبب عطل فني حدث للصواريخ عن طريق الخطأ.

علاوة علىٰ المحاولات المستمرة لتنفيذ هجمات ضد أهداف إسرائيلية ويهودية في إسرائيل وخارجها؛ فإن تنظيم القاعدة مستمر في الدعوة لحرب جهاد ضد إسرائيل واليهود، ففي ٣١ يوليو ٢٠١٣ نشر شريط فيديو حديث من داخل منزل أيمن الظواهري وتم نشره في جميع مواقع الإنترنت التابعة للقاعدة وعناصر الجهاد العالمي، وتم تخصيص هذا الشريط لإحياء الذكرىٰ الأربعين لـ «نكسة» النظام العلماني لعبد الناصر في مصر والنظام البعثي في سوريا علىٰ أيدي إسرائيل عام ١٩٦٧. وفي هذا الشريط هاجم الظواهري بشدة الولايات المتحدة المسؤولة وفقًا لوجهة نظره عن الكثير من الجرائم الكبيرة في العالم ووصف الحرب في سوريا بـ «حرب الجهاد».

ودعا الظواهري في هذا الشريط المسلمين في سوريا والعراق وفلسطين وشبه الجزيرة العربية والصومال وعدد من البلدان الإسلامية الأخرىٰ للاستمرار في جهادها ضد الولايات المتحدة من أجل إعادة نظام الخلافة الإسلامية، وأنه هو حكم العدل الوحيد القادر علىٰ تحرير المسجد الأقصىٰ وبلدان الإسلام المحتلة[(١)].

وتندمج دعوة الظواهري مع وجهة النظر التي تعود لمنتصف العقد الماضي، والتي وفقًا لها أنه يجب العمل بكل قوة لدفع القوات الأمريكية للانسحاب من العراق، وبعد ذلك توجيه الجهاد إلىٰ دول الخليج الفارسي وإلىٰ الدول المجاورة للعراق، وفي النهاية تركيز الجهاد في فلسطين[(٢)]. وقد خرجت هذه الدعوة علىٰ خلفية أحداث الربيع العربي التي فتحت المجال أمام القاعدة وشركائها للتوجه نحو حدود إسرائيل وشن معركة جهادية ضدها من خلال حدودها وبداخل أراضيها، وهو ما زاد من قوة رؤية زعيم التنظيم حول الجهاد في النهاية ضد إسرائيل مباشرة. فمع نشوب أحداث الربيع العربي في عام ٢٠١٠ حدثت فوضىٰ بالحدود والأنظمة في مصر وسوريا، وتلقت قوات الأمن فيهما ضربات قوية، حدت من قوتهما في مواجهة تحدي حركات الجهاد المعولم. وليس من المحتمل أن تصل أحداث الاضطرابات في العالم العربي

(١) أيمن الظواهري، ٤٦ عاما علىٰ هزيمة جيوش العرب بحرب ١٩٦٧، ٣١ يوليو ٢٠١٣.

(٢) نائب بن لادن: إسرائيل مستهدفة، Ynet، ١١ سبتمبر ٢٠٠٦.

إلىٰ الأردن، نظرًا لأن أنشطة القاعدة وشركائها ضد الأنظمة العربية ذات سيادة، وكذلك قتل الكثير من المسلمين؛ لم يعد يحظىٰ بالشرعية في أعين الكثير من جمهور العالمين العربي والإسلامي. أما أعمال الإرهاب والهجمات من أجل الإضرار بإسرائيل ومواطنيها، التي تحتل فلسطين وتقتل مواطنيها، هي أعمال من شأنها أن تحظىٰ بالشرعية الكبيرة في أوساط كثيرة من العالمين العربي والإسلامي.

كما أن القرب الجغرافي من حدود إسرائيل هو أمر مدمج جديًا في استراتيجية الخطط والعمل لدىٰ القاعدة وشركائها، والتي ترىٰ أن العمل في منطقة الحدود مع العدو وهو «الرباط[1]» يمثل مرحلة ضرورية من الجهاد لتحرير الأراضي الإسلامية من الحكم «الكافر».

ساحة سوريا:

قال الظواهري في شريط آخر بثه بمناسبة الذكرىٰ الخامسة والستين لقيام إسرائيل، إن الجهاد ضد إسرائيل هو فرض علىٰ كل مسلم، سواء كان فلسطينيًا أو غير فلسطيني، وأنه بعد تحرير فلسطين فإنه يفترض علىٰ كل المسلمين أن يقيموا في فلسطين «ثيوقراطية إسلامية» دستورها هو الشريعة الإسلامية[2]. ووفقًا لرأي الظواهري فإنه من أجل تنفيذ ذلك، يجب علىٰ المسلمين جميعًا التجمع في سوريا، والتي ستكون منطلقًا لأعمال الجهاد ضد إسرائيل.

وشرح الظواهري بشكل تفصيلي أنه يرىٰ في سوريا ساحة الإعداد للجهاد ضد إسرائيل، فوفقًا لرأيه فإنه في اللحظة التي سيسقط فيها نظام الأسد ستكون الظروف مواتية لإقامة دولة إسلامية في سوريا، والتي ستكون مكان جذب قوي جدًا لكل المسلمين الذين يطمحون للاشتراك في الجهاد ضد إسرائيل. ووفقًا لرؤيته فإن هذه

---

(١) وفقًا للتراث الإسلامي فإنه توجد مراحل كثيرة لخوض الحرب المقدسة «الجهاد»؛ أولًا: مرحلة الاستعداد الأساسية وهي التي تسبق مرحلة إعلان الجهاد والخروج للمعركة، وهو ما يسمىٰ بمرحلة «الرباط» ففي ساحات سوريا وسيناء تعمل حركات إسلامية تضم بينها الكثير من العناصر والتنظيمات الإسلامية علىٰ طول الحدود مع العدو كمرحلة استعداد أساسية لشن الجهاد، أنظر: مليح، وشاي، من كأبول إلىٰ أورشيلم، صفحات ١٠٩-١١٥.

(٢) ٦٥ عامًا علىٰ إقامة دولة إسرائيل المحتلة، الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله، ٦ يونيو ٢٠١٣، http://www.youtube.com/watch?v§D9kaHWF-2ds.

الدولة الإسلامية التي ستقام ستتلقىٰ دعمًا لوجيستيًا واقتصاديًا وعسكريًا من فرع القاعدة بالعراق.

واستمر الظواهري في دعواته للجادين في سوريا لعدم إلقاء السلاح حتىٰ تتحول سوريا إلىٰ ثيوقراطية إسلامية تقيم من جديد مؤسسة الخلافة، وتجتث نظام الأسد الفاسد من جذوره، وتحرر فلسطين كلها، وهذا يفسر أنه من الممكن الإعلان عن الجولان وسيناء كساحات رباط رسمية وتتم دعوة عناصر الجهاد العالمي للإقامة بها علىٰ طول الحدود مع إسرائيل وتنفيذ هجمات ضدها وداخل أراضيها، من خلال استغلال ضعف الحكم المحلي بهذه المناطق.

من المتوقع أن تزداد مستقبلًا إمكانية أن تتحول المناطق الحدودية مع إسرائيل إلىٰ مناطق «رباط» خاصة لو أعلن الظواهري أن إسرائيل هي ساحة الجهاد المستقبلية، وذلك بالتزامن مع التدفق القوي للوسائل القتالية المتنوعة إلىٰ سيناء وسوريا وتحول المناطق الحدودية بها مع إسرائيل إلىٰ مناطق نشاط لعناصر الجهاد العالمي الذين تم استدعاؤهم لهذه المناطق للاستعداد للمعركة ضد إسرائيل.

ووفقًا لخطة الظواهري فإن الجهاد المركز ضد إسرائيل من المتوقع أن يحدث في أعقاب المرحلة الحالية التي توجه فيها كل المجهودات نحو الصراع من أجل إقامة دولة إسلامية في سوريا. ووفقًا لذلك فإن مرحلة الجهاد ضد إسرائيل لن يعلن عنها رسميًا حتىٰ تُستكمل مهمة إسقاط الأسد، ومع ذلك فإن الجهاد ضد إسرائيل موجود علىٰ أجندة جماعات الجهاد الناشطة في البلدان المجاورة لها، فتجدر الإشارة إلىٰ بعض المحاولات المنفصلة السابقة التي تدل علىٰ أنه في حال تهيؤ الظروف فإن هذه المجموعات ستستغلها لشن هجمات منفردة ضد إسرائيل حتىٰ لو كان من خلال قتالها ضد الحكومات العربية[1].

---

(١) علىٰ سبيل المثال من زاوية أخرىٰ، الهجوم الذي وقع في ١٨ ونيو ٢٠١٢ علىٰ الحدود المصرية -الإسرائيلية وقتل به مواطن إسرائيلي والذي قام به انتحاريان مصري وسعودي وصلا إلىٰ سيناء كمحطة لهما في إطار «رحلة الجهاد» بعد أن قاما بدورهما في القتال ضد نظام معمر القذافي في ليبيا. انظر«شبه جزيرة سيناء كساحة قتال للإرهاب الإسلامي» مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب علىٰ اسم اللواء الوف مائير عاميت،

http://www.terrorism-info.org.il/he/article/2038113.8.2012

إن المشكلة فيما يتعلق بالساحة السورية معقدة ومركبة لاسيما في ظل غياب عوامل تكبح جماح العناصر الجهادية العالمية الناشطة بها؛ فهذه العناصر لا تكبح جماح عملها مثلما تفعل المنظمات الإرهابية الأخرىٰ التي عملت برعاية بعض الدول وانتهجت أن تضع لنفسها حدودًا وفق مصالح هذه الدول التي استضافتهم علىٰ أراضيها ومكنتهم من العمل. علاوة علىٰ ذلك فإن هذه العناصر تعمل وفق عقيدة تعصبية ليس بها مكانًا للحلول الوسط ووفق رؤية إلهية وعقيدة مسيحانية (لفظة مسيحانية، هي لفظة تستخدم في الديانتين اليهودية والنصرانية وتشير إلىٰ الاعتقاد في انتظار مسيح مخلص موفد من الله، وهي لفظة تحمل الكثير من المعاني اللاهوتية الدينية في اليهودية تحديدًا لكنها تتلخص في الاعتقاد برؤية أصولية تعتمد علىٰ معتقدات دينية أخروية مثالية، بمعنىٰ أن من يعتنقون الأفكار المسيحانية هم أشخاص مثاليون من الناحية الدينية «المترجم»)، وهم لا يترددون كذلك حتىٰ في الإضرار بجنود ومواطنين مسلمين وعرب.

هناك عدد من المجموعات المتمردة التي تنشط حاليًا في سوريا ضد الأسد، والخط الأيديولوجي لهذه المجموعات كبير جدًا، فمن جانب هناك عناصر وطنية سورية وعلىٰ رأسها الجيش السوري الحر والمجلس العسكري التابع له والذين يسعون لإسقاط الحكم الديكتاتوري للأسد وإقامة دولة سورية علمانية تعددية التي توحد كل الطوائف والتيارات التي تتشكل منها الدولة السورية. وعلىٰ الجانب الآخر من هذا الخط تعمل بسوريا منظمتان سلفيتان جهاديتان وهما جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام ISIS - Islamic State in Iraq and Al- Sham[1] المرتبطان بالقاعدة واللذان يريان في القتال بسوريا جزءًا من الصراع العام لإقامة الخلافة الإسلامية وسيطرة شرعة الإسلام علىٰ الشرق الأوسط. وبين هذين الخطين تعمل مجموعات أخرىٰ مختلفة من المتمردين مرتبطة أيدلوجيًا بمجموعة أو بأخرىٰ من هاتين المجموعتين، (انظر: خارطة المنظمات الناشطة بسوريا)، وذلك علىٰ الرغم من الخلافات في الآراء فيما بينهم حول بعض الأمور الداخلية مثل مستقبل الحكم في

---

(١) هو التنظيم الذي تم الإعلان عنه من طرف واحد وهو أبو بكر البغدادي، زعيم ISI بالعراق، وتم رفضه من قبل زعيم تنظيم جبهة النصرة، محمد الجولاني.

سوريا عقب إسقاط الأسد ونظامه[١]. فمنظمات المتمردين في سوريا ترىٰ في إسقاط نظام الأسد هدفًا مشتركًا وذا أولوية بالنسبة لها، وهذا يقودهم أحيانًا للتعاون اللوجيستي والعملياتي فيما بينهم.

مع ذلك فإنه لا يمكن أن نرىٰ في المستقبل المنظور أي تعاون سني/ شيعي يمكن أن يتبلور ضد عدو واضح وبارز وهو إسرائيل، وذلك في ظل أن الصراع الدائر في سوريا يدور تحت كنف صراع واسع جدًا يشتد حاليًا في العالم العربي بين السنة والشيعة وهو الصراع الذي زادت حدته بعد أن أحل القرضاوي، الذي يُعد واحدًا من كبار علماء المسلمين المعاصرين، دماء الشيعة[٢].

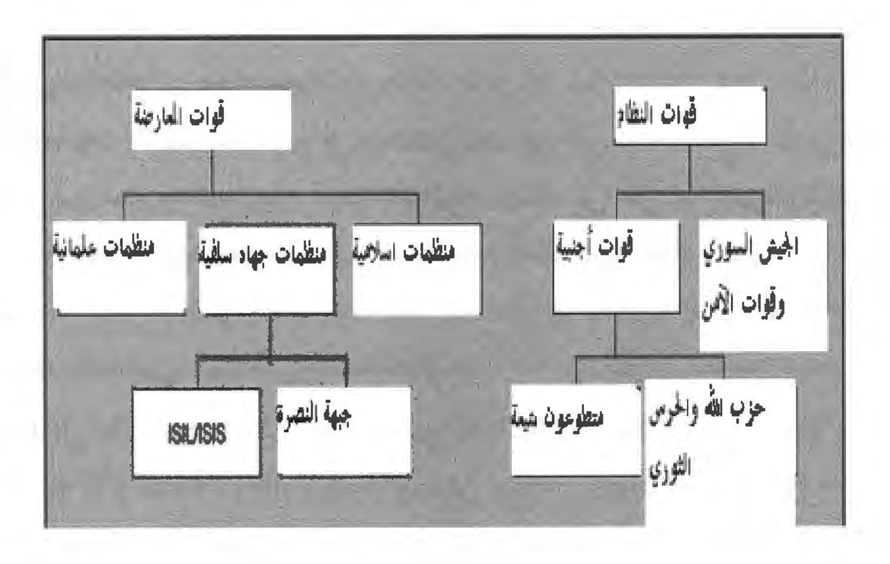
في مقابل هذا الوضع علىٰ الحدود بين إسرائيل وسنياء، والذي نفذت به عدة هجمات فإنه لاتزال هناك محاولات مباشرة من عناصر الجهاد العالمي لشن هجمات داخل إسرائيل باستثناء بعض حالات إطلاق النار المنفصلة تجاه جنود ومواقع للجيش الإسرائيلي في هضبة الجولان. ومن غير الواضح إذا كانت هذه العمليات نفذت بشكل مقصود وما إذا كان متورطًا بها عناصر من الجهاد العالمي أم لا. لكن من الواضح حتىٰ وقت كتابة هذه السطور أن المنظمات المعارضة لنظام الأسد ومن بينها عناصر الجهاد العالمي مثال جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ISIS ومنظمات أخرىٰ تركز عملها ضد نظام الأسد وأنصاره، ومع ذلك ورغم التركيز علىٰ قتال الأسد فإن التواجد المتزايد لعناصر الجهاد العالمي الذين يمتلكون أسلحة متنوعة ومختلفة وأيديولوجيتهم قائمة علىٰ التصريحات العلنية للظواهري فيما يتعلق بأن المعركة في سوريا تعد مرحلة من مراحل تحرير الجولان والقدس، لذلك فإن نيتهم للهجوم علىٰ إسرائيل «واضحة».

---

(١) يورام شفيتسر وجل توران، معركة الجهاد العالمي في سوريا: ساحة للجدل إلىٰ جانب وحدة الهدف، نظرة عليا، العدد ٤١٩، ١٧ أبريل ٢٠١٣.

(٢) خبير: الحرب في سوريا هي جزء من رؤية سنية هدفها تدمير إسرائيل Ynet، ١١ يونيو ٢٠١٣.

شكل رقم ٣: القوات المنخرطة في الحرب الأهلية بسوريا



لقد وصلت الحرب الأهلية في سوريا وخاصة الصراع السني/ الشيعي بها حتىٰ إلىٰ لبنان، فعناصر الجهاد العالمي الغاضبة من مساندة حزب الله اللبناني العلني إلىٰ نظام الأسد واشتراكه في عمليات القمع ضد المعارضة السورية، يطلقون انتقادات حادة ضد حزب الله وإيران التي ترعاه ويهددونه بشكل مباشر وعلني. وتم تنفيذ هذه التهديدات بشكل عملي بداية من صيف ٢٠١٣ من خلال شن هجمات انتحارية وزرع عبوات ناسفة بسيارات وإطلاق قاذفات بتجاه أهداف لحزب الله ببيروت والبقاع، وهذا التصعيد من شأنه أن يتسع وأن يتجه علىٰ أيدي عناصر الجهاد العالمي نحو إسرائيل من أجل جر حزب الله، ومعه لبنان كلها نحو، مواجهة مسلحة مع إسرائيل. وفيما يتعلق بذلك؛ فتجدر الإشارة إلىٰ أن قادة القاعدة حاولوا في الماضي استغلال لبنان كمنطلق للعمل ضد إسرائيل لكن تم عرقلتهم من قبل قوات الأمن اللبنانية.

ساحة مصر وسيناء:

يحاول نشطاء الجهاد العالمي في سيناء، وعلىٰ رأسهم تنظيم أنصار بيت المقدس، جر إسرائيل إلىٰ مواجهة عسكرية مباشرة مع مصر. فهدفهم هو جر إسرائيل للعمل ضدهم من خلال المسّ بسيادة مصر في سيناء، وبهذا يحدث احتكاك عسكري بين مصر وإسرائيل، ولهذا فإن طموحهم يفوق مجرد الإضرار بإسرائيل، وسياساتهم هذه

خلقت تحديًا أمنيًّا بالنسبة لإسرائيل خاصة في الحالات التي يكون مطلوبًا من إسرائيل استخدام قواتها بسرعة في أعقاب تسلل عناصر مخربة من سيناء إلىٰ أراضيها، في حين أن قصر الزمن يجعل من الصعب التعاون الأمني السريع مع مصر بهدف عرقلة المتسللين ومطاردة الهاربين منهم في المناطق التي تقع تحت سيادة مصر. في حين أن عدم الاستقرار السائد في مصر يزيد من المخاوف والحساسيات لدىٰ إسرائيل فيما يتعلق بمثل هذه الأمور خاصة وأن النظام المصري الحالي يتعرض لانتقادات كبيرة من المعارضة، لاسيما من الإخوان المسلمين والسلفيين الذين يتربصون أية فرصة لإدانته بسبب علاقاته الأمنية مع إسرائيل.

يصاحب ذلك مشكلة أخرىٰ وهي التعاون بين نشطاء الجهاد العالمي في سيناء وشركائهم في قطاع غزة. وهو التعاون الذي يمثل تحديًا أمنيًّا حتىٰ بالنسبة لحماس في قطاع غزة الواقعة تحت سيادتها منذ صيف ٢٠٠٧، فرغم أن حماس تقيم سلطانها في غزة عن طريق نسج علاقات مع عناصر سلفية جهادية، لكن في بعض الأحيان تستخدم ضدهم القوة بسبب عملياتهم التي قد تؤدي إلىٰ مواجهة مع مصر أو إسرائيل، أو بسبب تهديدهم المباشر لحكم حماس في غزة. وفي أحيان أخرىٰ تضم حماس هذه المجموعات من أجل العمل لصالحها وتغض الطرف عن نشاطهم علىٰ محور سيناء/ غزة، وبهذا تلتف علىٰ خطر المواجهة المباشرة مع إسرائيل وفي نفس الوقت تحافظ علىٰ وجودها العملياتي في القطاع.

والتنظيم الوحيد الذي مقره قطاع غزة لكنه ينشط أيضًا علىٰ الساحة السيناوية، هو مجلس شورىٰ المجاهدين بأكناف بيت المقدس، وهو «تنظيم فوقي» (شامل) يجمع عدة تنظيمات أخرىٰ صغيرة تنشط في غزة منذ منتصف العقد الماضي[1]. وأقيم في يونيو ٢٠١٢ ويقوم بشن هجمات منفصلة علىٰ طول الحدود المصرية الإسرائيلية.

---

(١) المقصود «جند أنصار الله» الذي نشأ عام ٢٠٠٧ وبدأ يظهر بوسائل الإعلام بعد محاولته تنفيذ هجوم ضد الجيش الإسرائيلي من خلال وسائل بدائية ك «الخيول المتفجرة» في يونيو ٢٠٠٩، و«جيش الإسلام» بزعامة ممتاز دغمش، الذي كان متورطًا باختطاف الجندي جلعاد شاليط من قطاع غزة في يونيو ٢٠٠٦. و«التوحيد والجهاد» بزعامة هشام السعدني والذي تم تصفيته من جانب الجيش الإسرائيلي في أكتوبر ٢٠١٢. و«أنصار السنة» بزعامة أبوحمزة المقدسي.

إن خلاصة ما يهم إسرائيل من كل ما سبق؛ هو ضرورة أن تكون مستعدة لمعركة محتملة من الإرهاب ضد جنودها ومواطنيها علىٰ حدودها في الجنوب والشمال. وبالتوازي مع ذلك هناك ضرورة للابتعاد عن أية استفزازات محتملة من عناصر الجهاد العالمي الناشطين بالقرب من حدودها. فهذا هو التوقيت المناسب لأن تاخذ إسرائيل في اعتبارها هذه التهديدات لعمل منظومات وخطوات دفاعية، ومنها: إقامة منظومة جدران مدعومة تكنولوجيًا، ومنظومة دوريات لوحدات عالية الكفاءة وذات خبرة أمنية، ونشر منظومة القبة الحديدية، والتأهب لأية متغيرات أخرىٰ[1]. ومع ذلك تبدو الحاجة إلىٰ زيادة الغطاء الاستخباراتي حول العناصر التي تهدد إسرائيل بشكل يشمل القاعدة وشركائها وجميع الفصائل التي تتأهب للعمل مباشرة ضد إسرائيل من الأراضي المصرية والسورية. كذلك من الضروري الاستعداد للتهديد المتبلور ضد إسرائيل علىٰ حدود لبنان، وحتىٰ من حدود الأردن.

يبقىٰ مع ما سبق التهديد الذي يمثله تنظيم القاعدة وشركاؤه علىٰ الساحة الدولية قائمًا ومتوقعًا، فتنظيم القاعدة لم يتخل عن أهدافه في العمل ضد أعدائه خارج حدود الشرق الأوسط، بما في ذلك الأهداف الإسرائيلية واليهودية. فالانسحاب المخطط للولايات المتحدة من أفغانستان عام ٢٠١٤ سيمكن جهاز العمليات الخارجية في التنظيم من عمل إعادة هيكلة، وكذا شن هجمات أخرىٰ من خلال الاعتماد علىٰ مجندين جدد، بعضهم ذو خبرة قتالية عملياتية اكتسبها من ساحات قتالية مختلفة في أنحاء العالم، كما أن من بينهم نشطاء غربيين. إن المنظمات الشريكة للقاعدة، ومن بينها منظمات نفذت هجمات إرهابية خارج ساحات نشاطها، من الممكن أن تعود للعمل بنفسها أو من خلال تفعيل نشطاء تم تدريبهم علىٰ أيديها من أجل تنفيذ هجمات ضد أهداف إسرائيلية ويهودية، والإجماع منعقد وواسع في العالم الإسلامي علىٰ كون هذه الأهداف أهدافًا شرعية لشن هجمات ضدها.

---

(١) علىٰ سبيل المثال: إحراق مهبط الطائرات المدنية بمطار إيلات.

الخلاصة والتوصيات

تناولنا في هذه الدراسة بالوصف والتحليل الأسس الفكرية ومراحل تطور حركة الجهاد العالمي بقيادة تنظيم القاعدة، وبقية التنيظمات الأخرىٰ المرتبطة به أيديولوجيًا وعمليًا، كما عرضنا قائمة التهديدات التي تمثلها العناصر الإرهابية وذلك في محاولة للإشارة إلىٰ الأهداف المستقبلية لتنظيم القاعدة وشركائه خلال السنوات القادمة، وكذلك بهدف تحديد عدد من التوصيات والنتائج المتعلقة بمواجهة التنظيم وشركائه.

إن عملية تحول تنظيم القاعدة من تنظيم صغير مكون من عدد من النشطاء والأشخاص الذين يحملون رؤية معينة حتىٰ وصل إلىٰ وضعه العالمي الحالي؛ مرت بمسيرة استغرقت خمسة وعشرين عامًا، واشتملت علىٰ ثلاث مراحل أساسية.

ووفقًا للتحليل الوارد في هذه الدراسة، وبخلاف تحليلات أخرىٰ سُمعت مؤخرًا بأن التنظيم قد مني بهزيمة قوية وأبدية وأنها قضت عليه؛ فإن التنظيم تمكن من استغلال التطورات السلبية في المنطقة وعلىٰ رأسها الأوضاع السياسية المتردية في البلدان العربية، وذلك بغرض تحقيق أهدافه، كما تمكن التنظيم من توسيع منظومة شركائه الأيديولوجيين والتنظيميين في الشرق الأوسط والمغرب، وهؤلاء يساعدونه علىٰ مواصلة أعماله العنيفة وتحقيق رؤيته المحلية والعالمية.

علاوة علىٰ ما سبق؛ فإن الضغط علىٰ التنظيم قد خَفَّ في الآونة الأخيرة بعد انسحاب قوات الولايات المتحدة والناتو من مناطق ذات أهمية استراتيجية، مثل العراق وأفغانستان، إضافة إلىٰ عدة عوامل مثَّلت ظهور فرص جديدة للتنظيم ولشركائه للتمدد والنمو، منها عدم الاستقرار في الشرق الأوسط والمغرب العربي، ومنها أيديولوجية التنظيم التي لا تعرف مرونة أو حلولًا وسطًا، وبقاء حكام قدامىٰ كانوا من ضمن المستهدفين وفق أيديولوجية بن لادن، إضافة إلىٰ ظهور زعماء جدد شنوا محاولات قتالية جديدة بالمنطقة.

ووفقًا لما تم تفصيله في الفصل الثالث من الدراسة؛ فإن الهدف الاستراتيجي لأيمن الظواهري، الزعيم الجديد للتنظيم، هو الحفاظ علىٰ التنظيم وترتيب صفوفه، وإرساء زعامته الشخصية له، واستغلال الفرصة لإعادة إحياء التنظيم وقيادته مرة أخرىٰ، وبلورة رؤيته وفق مفهومه الاستراتيجي.

يحاول الظواهري استغلال «الربيع العربي» وتحويله إلىٰ «ربيع إسلامي» من خلال إعطاء أولوية خلال هذه المرحلة للجهاد الداخلي علىٰ الجهاد العالمي، والهدف من ذلك هو تأسيس أنظمة حاكمة إسلامية شرعية في دول مركزية في الشرق الأوسط، ومن المتوقع أن تساعد المنظمات الشريكة للقاعدة في مناطق مختلفة من الشرق الأوسط وأفريقيا، بما في ذلك المنظمات المنتمية لحركة الجهاد العالمي، في تحقيق هدف تنظيم القاعدة، وسيحاول تنظيم القاعدة من جانبه استغلال ذلك لإثارة عدم الاستقرار داخل دول ذات سيادة من أجل أن يؤسس بداخلها مناطق تسيطر عليها عناصر سلفية جهادية، وهو ما يقوم به حتىٰ الآن.

كما لا يمكن إغفال وجود قوىٰ جديدة صاعدة في المناطق الملتهبة ومسارح العمليات في أفغانستان وباكستان، وفي الشرق الأوسط، وفي المغرب العربي ودول أفريقيا، والتي تتكون من عناصر قتالية ذات خبرة، ما من من شأنه أن يزيد من مخزون المقاتلين الذي يمتلكه التنظيم وحركة الجهاد العالمي، يضاف إلىٰ هؤلاء مقاتلين من دول غربية ممن سيتسخدمهم التنظيم وشركاؤه كبنية أساسية لتنفيذ هجمات إرهابية بأنحاء مختلفة بالعالم.

تمثل الحرب في سوريا فرصة تاريخية كبيرة بالنسبة للتنظيم، وكذلك حالة عدم الاستقرار في مصر؛ إذ أن تغيير النظام بها أدىٰ إلىٰ وجود شرخ شاسع بين السكان المحليين ما بين مؤيد ومعارض للنظام الجديد والقديم، فالنظام الحالي قام بتنحية حكم الإخوان المسلمين (البراجماتيين) الذين اعتقدوا أن بإمكانهم استغلال الديمقراطية من أجل الوصول لسدة الحكم، إلا أن تنحيتهم عززت من وجهة نظر القاعدة القائلة بأن الجهاد العسكري وحده ضد النظم المحلية الفاسدة الشريكة للغرب سيحقق عزة الإسلام ويرسي قواعد النوذج الإسلامي السلفي.

أما في الحالة السورية؛ فمن المتوقع أن تمثل الساحة السورية نقطة انطلاقة مركزية

لأنشطه عناصر الجهاد العالمي بتشجيع وتأييد من عناصر القاعدة، وذلك بواسطة شركائها المحليين والإقليميين والمتطوعين العرب والغربيين الذين يتدفقون علىٰ سوريا من جميع أنحاء العالم، إلا أن نتائج المعركة بسوريا ستؤثر علىٰ وضع الدول المجاورة لها، فسوريا تستخدم من جانب القاعدة كساحة لتنمية كوادر جديدة ذات خبرة قتالية عالية وذات انتماء كبير لفكر التنظيم، ويعتزم التنظيم ضم جزء منهم لأعماله وجزء آخر للقتال في ساحات قتالية بها صراعات دائرة علىٰ خلفيات دينية وإثنية، في حين أن جزءًا منهم سيتسخدم لتكوين خلايا وشبكات إرهابية، أو لأنشطة أخرىٰ منفصلة في دول مختلفة ومن أهمها دول الغرب.

فيما يخص الساحة الدولية والدول الغربية؛ فقد تعثرت جهود مكافحة العمليات الإرهابية فيها، خاصة التي تدار من دول عربية وإسلامية، بسبب مشاكل تشريعية، فالسلطات في الغرب تضطر إلىٰ خوض حربها ضد الإرهاب وفق قواعد ديمقراطية وقانونية ضد عناصر تنتمي لأقليات مهمشة تعيش وسط طوائف إسلامية كبيرة بدون ممارسة التمييز ضد غالبية المسلمين الذين يعيشون مسالمين وملتزمين بالقانون. وتتسبب تلك الإجراءات ضد الإرهاب، والتي تركز علىٰ الأقليات الإسلامية في الغرب في بعض الأحيان، في نمو مشاعر الظلم والقهر والتمييز علىٰ أساس عرقي- ديني في أوساط الشباب، وهو ما يؤدي إلىٰ نمو مشاعر التطرف بين الطوائف الإسلامية، وبالتالي يتحول هذا الوضع لورقة تلعب بها حركات الجهاد الإسلامي. إضافة إلىٰ ذلك؛ فإن الدول الغربية (باستثناء الولايات المتحدة)، والتي تعيش بها طوائف إسلامية كبيرة، تلزم الأشخاص القائمين علىٰ مكافحة الإرهاب فيها علىٰ التفكير بعيدًا عن حدود الأمن الضيقة والأخذ في الاعتبار الآثار التي قد تترتب علىٰ أعمال مكافحة الإرهاب، والتي ينظر إليها من جانب الطوائف الإسلامية علىٰ أنها مبالغ فيها وعنيفة.

لقد اتضح للغرب، نتيجة التطورات الملحوظة في تنظيم القاعدة، أن التهديد الكبير الذي يواجههم هو عودة التنظيم وشركائه لشن هجمات إرهابية دامية خاصة في دول غربية، لاسيما ضد أهداف استراتيجية، وإذا حدث ذلك بالفعل فإن هذا من شأنه أن يعيد إلىٰ المواطنين في الغرب مشاعر الخوف والضيق التي رافقتهم خلال النصف

الأول من سنوات العقد الأول للألفية الحالية، وكذا الخوف من أن ينطلق تنظيم القاعدة والجهاد العالمي مرة أخرىٰ إلىٰ الواجهة العالمية، وأن يعزز من وضع الإرهاب العالمي كلاعب مركزي في منظومة العلاقات الدولية.

لكن مع ذلك؛ فإن الأحداث السياسية والاقتصادية الدائرة علىٰ الساحة العالمية تؤثر علىٰ تنظيم القاعدة وشركائه، وعلىٰ اتخاذ القرارات من قبل من يديرون هذه التنظيمات، لذلك فإن المجتمع الدولي يسعىٰ من أجل أن يواجه ظاهرة الجهاد العالمي في تحييد شعار وأيديولوجية التنظيم التي يعرضها للجمهور، والمتلعقة بعدم استقرار الأوضاع في الشرق الأوسط، وعليه فسيلزمهم السعي لمنع تحول المناطق المهمشة التي ينشط فيها التنظيم في السنوات الأخرىٰ إلىٰ قواعد دعم ونمو للتنظيم، كما يجب منعهم أيضًا من عمل انقلابات في الدول التي يتواجدون فيها، وبالتالي الحيلولة دون تدشين نظام إسلامي شرعي بها علىٰ غرار نموذج طالبان.

من الواضح أن مواجهة ظاهرة الجهاد العالمي يجب أن تستمر وأن يتم الإضرار بقيادته التي تمثل المحرك الأساسي لفكر الجهاد والإرهاب العالميين، والأمر يحتاج مواصلة مطاردة رؤوس التنظيم وقادته الميدانيين، لكن العائق الوحيد لذلك هو المقابل الدموي الذي يدفع في مقابل ذلك، لاسيما ما يثيره ذلك من ضغوط من الرأي العام داخل الولايات المتحدة وحلفائها، والذين يدفعون ثمن ذلك في بلدان ذات أغلبية إسلامية، فجنود هذه الدول ينظر إليهم علىٰ أنهم محتلون وأنهم مسؤولون بشكل مباشر عن أعمال العنف التي يعاني منها المواطنون في الدول الإسلامية، وهو ما يزيد من العداء بين المواطنين والقوات الأجنبية بهذه الدول، وتستغل القاعدة وشركاؤها ذلك لعرض الولايات المتحدة وحلفائها كسبب لكل أعمال الشر في البلدان الإسلامية وفي العالم كله، ولذلك فإن انسحاب الولايات المتحدة والقوات الأجنبية من أفغانستان في صيف ٢٠١٤ أمر كان له «ثقل كبير»، ففي إطار الاتفاق بين الولايات المتحدة والقوات متعددة الجنسيات مع النظام الحاكم في أفغانستان ومع باكستان، فإنه توجب علىٰ باكستان وأفغانستان منع أو تقليل قدرة القاعدة علىٰ اتخاذ المناطق الأفغانية منطلقًا للتخطيط لهجمات ضد أهداف غربية.

من الضروري أن تكفل هذه الاتفاقات للولايات المتحدة وحلفائها حرية العمل

التي تمكنها من أن تحبط بنفسها أية هجمات إرهابية محتملة في مناطق ينشط فيها التنظيم، وأن تطارد قادته في أفغانستان وباكستان، وبالتالي ستمكن حرية العمل هذه الولايات المتحدة من إحباط أية هجمات قد تتعرض لها علىٰ أراضيها أو ضد قواتها المنتشرة في مناطق عديدة من العالم. ورغم وجود اعتراضات جماهيرية علىٰ ذلك داخل باكستان وأفغانستان، وأحيانًا داخل الدول الغربية نفسها، فإنه من الضروري أن تستمر الولايات المتحدة في مطاردة تنظيم القاعدة وقادته الميدانيين وعلىٰ رأسهم أيمن الظواهري وعدد من كبار قادة التنظيم، الأمر الذي سيتطلب بشكل مهم تطوير قدرات إحباط الهجمات عن بعد لدىٰ الولايات المتحدة وكذلك قدرات القتال البرية للوحدات الخاصة التابعة لها، والتي تستخدم لمطاردة واعتقال قادة القاعدة بالدول والمناطق التي تنشط فيها، حتىٰ إذا تتطلب ذلك انتهاكًا لسيادة هذه الدول، وعلىٰ الرغم من أنه سيكون من الملائم أن يتم التنسيق في هذا الأمر مع السلطات المحلية بهذه الدول مثلما حدث في الصومال وليبيا واليمن، وأيضًا في بعض الحالات مثلما حدث خلال تصفية بن لادن؛ إلا أنه بشكل عام يجب علىٰ الولايات المتحدة وتحالفها عدم التردد مطلقًا في العمل والتحرك بدون موافقة مسبقة من السلطات بهذه الدول.

هناك طريقة أخرىٰ لتقليل التوتر مع سكان الدول التي ينشط فيها تنظيم القاعدة من جانب، ولتسريع عملية تصفية قادة التنظيم من جانب آخر؛ وهي تطوير القدرات القتالية والعسكرية للجيش المحلي وعناصر الأمن التابعة للأنظمة بهذه الدول التي ينشط بها التنظيم، وذلك بدلًا من استمرار بقاء قوات عسكرية تابعة للدول الغربية فيها. كما يجب استثمار الكثير من الموارد من أجل إعادة تأهيل وتدريب قوات الأمن بهذه الدول والارتقاء بمستواها القتالي بشكل يمكنها من مكافحة الإرهاب، ومن الملائم مساعدة هذه الدول علىٰ تطوير وحدات قتالية خاصة لمكافحة الإرهاب وتجهيزها لمواجهة القدرات القتالية للإرهاب.

أما فيما يتعلق بالدول الغربية نفسها؛ فإن التحدي الأكبر الذي يواجه الأجهزة الأمنية بداخلها هو التعرف علىٰ الأشخاص السائرين في طريقهم إلىٰ التطرف ومنه إلىٰ منظومة الجهاد المعولم. بالنسبة لعناصر مكافحة الإرهاب في الغرب فإنهم من

الممكن أن يحددوا من خلال رصد ودراسة علامات التحول إلىٰ التطوف والراديكالية علامات هذا التحول وبالتالي إيقافة مبكرًا ومن دون كثير عناء. وبالتالي فإن توصيتنا فيما يتعلق بمكافحة الإرهاب المحلي home-grown terrorism في الدول الغربية هي الاستمرار في التواصل والتعاون مع الطوائف الإسلامية في الغرب، ولاسيما مع العناصر ذات التاثير فيها (رجال الدين، المعلمين، القادة ... إلخ) والتي ترفض أنشطة العناصر الراديكالية التي تفسد روح الدين وعقيدته.

تواجه المنظومة الدولية معضلة حقيقية في التعامل مع الأنظمة التي توجد بها فوضىٰ سياسية مثلما الحال في مصر وسوريا وبقية دول الشرق الأوسط والمغرب، فهي أنظمة لا توجد بها نماذج للديمقراطية الغربية، فعلىٰ سبيل المثال: كيف يمكن التعامل مع نظام الأسد المدعوم من محور الشر الراديكالي بقيادة إيران وحزب الله في حربه ضد المتمردين عليه من أبناء شعبه؟

وإجابة هذا السؤال مركبة وذات أبعاد كثيرة، إذ أنه من ضمن معارضي الأسد حركات تنتمي للجهاد العالمي ومدعومة علنًا من القاعدة، ووفقًا لتقديرنا فإنه علىٰ الولايات المتحدة وبقية حلفائها العمل علىٰ إسقاط نظام الأسد من دون اتخاذ خطوات عسكرية ولكن باستخدام وسائل دبلوماسية فقط، وبالتعاون مع روسيا، وهي المجهودات التي نجحت في نزع السلاح الكيماوي السوري، والهدف من ذلك هو الحفاظ علىٰ وحدة سوريا وتحقيق استقرارها، ومنع سيطرة جماعات مسلحة جهادية عليها من تلك المدعومة من الجهاد العالمي وحلفاء القاعدة، وبالتالي تحويل سوريا إلىٰ قاعدة أو معبر للأعمال الإرهابية وتحقيق أهداف حركات الجهاد المعولم، وبالتوازي مع ذلك فإن التدخل العسكري الغربي من شأنه أن يتيح الفرصة لهذه العناصر الجهادية للسيطرة علىٰ الأراضي السورية أو علىٰ أجزاء منها.

بالنسبة لمصر؛ فإنه علىٰ الرغم من النقد الذي وجه إليها من قبل عناصر رفيعة المستوىٰ بالإدارة الأمريكية، والوقف المؤقت للمساعدات العسكرية الأمريكية لها عقب أن أطاح الجيش برجل الإخوان المسلمين الرئيس المتنخب «محمد مرسي»؛ فإن ذلك يعني منع استقرار النظام الحاكم الحالي في مصر بما من شأنه مساعدة عناصر الإرهاب العالمي توسيع أنشطتهم في مصر وشبه جزيرة سيناء. علمًا بأن المجهودات

المصرية لإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية، إلىٰ جانب شن حرب شرسة ضد عناصر الإرهاب بشبه جزيرة سيناء، والتحاور مع زعماء القبائل بها، وتطوير البنية الأساسية التي أُهملت في هذه المناطق علىٰ مدار عشرات السنين؛ كل ذلك من شأنه أن يعرقل نوايا القاعدة وشركائها لاستغلال عدم الاستقرار في النظام السياسي المركزي بهذه الدولة واتخاذ سيناء منطلقًا وقاعدة لهم.

إن ميدان المعركة المركزي ضد القاعدة وشركائها من عناصر الجهاد العالمي يستوجب محاربة الأيديولوجيا السلفية الجهادية التي تعد المحرك الأساسي لها، وبالتالي يجب العمل علىٰ تطوير منظومة علنية وسرية في آن وأحد هدفها نزع الشرعية عن الأيديولوجية الخاصة بالقاعدة وكل أفكارها. وعلىٰ الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة العمل علىٰ نزع التوتر القائم في منظومة العلاقات الدولية بين دول الغرب والبلدان الإسلامية والعربية. فهذا «التوتر» هو بمثابة وقود دائم للأيديولوجيا السلفية الجهادية، وتستخدمه القاعدة وشركائها من أجل إضفاء شرعية علىٰ أفعالها في نظر أجزاء من السكان المسلمين بشتىٰ أنحاء العالم، وهو مصدر أساسي لاستمرار أعمالهم وتجنيد الكثير من عناصرهم والمتعاطفين معهم.

إن العمل علىٰ تهدئة التوترات في أماكن الصراعات الإقليمية في دول إسلامية عديدة مثل الصراع في الشيشان، وكشمير، والصراع الإسرائيلي- الفلسطيني؛ من شأنه أن يساعد علىٰ تهدئة هذا التوتر القائم بشكل يصعّب علىٰ القاعدة وعناصر الجهاد العالمي الحصول علىٰ تأييد كبير في العالم الإسلامي.

إن الطرق التي ستختارها الأسرة الدولية للاستمرار في مواجهة القاعدة وحركات الجهاد العالمي هي التي ستحسم إجابة السؤال المهم؛ هل من الممكن الإعلان عن هزيمة فعلية للتنظيم أم أن التنظيم وبقية التنظيمات الإرهابية العالمية ستعود مرة أخرىٰ وترفع رأسها وتستمر في مزاولة أنشطتها؟

الملحق

هجمات بارزة ومحاولات هجمات مركزة لعناصر الجهاد العالمي ضد أهداف غربية من سبتمبر ٢٠٠١ وحتىٰ نوفمبر ٢٠١٣.

تنظيم القاعدة:

* ديسمبر ٢٠٠١: محاولة هجوم تم إحباطها لتحطيم طائرتين أمريكيتين باستخدام عناصر انتحارية، وتم إخراج المواد المتفجرة من أحذيتهم، وكان أحد العناصر الانتحارية قد تراجع عن القيام بالعملية في اللحظات الأخيرة، في حين أن آخر وهو ريتشارد رياض تم إحباط قيامه بالعملية عن طريق وسائل تقنية تكنولوجية بعد أن صعد للطائرة.

* ديسمبر ٢٠٠١، تم إحباط عملية برعاية تنظيم القاعدة بالاشتراك مع الذراع السنغافوري للتنظيم الذي يدعىٰ «الجماعة الإسلامية»، وهدفت العملية لتفجير أهداف غربية في سنغافورة باستخدام مواد متفجرة وكان من ضمن هذه الأهداف سفارات الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا وإسرائيل في سنغافورة.

* ديسمبر ٢٠٠١- ديسمبر ٢٠٠٣، خططت وحدة الهجمات الخارجية بالقاعدة تحت قيادة خالد شيخ محمد لشن هجمات داخل الولايات المتحدة علىٰ غرار هجمات ١١ سبتمبر، وتم الكشف عن التخطيط لشن هذه الهجمات علىٰ الشاطئ الغربي للولايات المتحدة علىٰ غرار ما حدث في ١١ سبتمبر، كما أن الخلية السعودية للتنظيم خططت لاختطاف طائرات من دول أوروبا الشرقية وتحطيمها في أهداف في بريطانيا، كما أن التنظيم خطط إلىٰ استخدام عناصر من الجماعة الإسلامية من أجل تنفيذ هجمات مماثلة لهجمات ١١ سبتمبر لكن في منطقة الشرق الأقصىٰ، كما تم إحباط مخطط القاعدة لشن هجمات بنفس طريقة هجمات ١١ سبتمبر علىٰ حقل النفط العملاق في بورت رشيد بالإمارات العربية المتحدة.

* ربيع ٢٠٠٢، خططت وحدة الهجمات الخارجية بالتنظيم لشن هجمات متماثلة في كل من نيويورك وواشنطن، وشملت الخطة تدمير جسر بروكلين في نيويورك عن طريق حزمة من المتفجرات يتم ربطها به، وتنفيذ هجوم علىٰ حافلة ركاب في واشنطن وشن هجوم مسلح علىٰ مركز تسوق بالعاصمة أيضًا.

* أبريل ٢٠٠٢، إحباط محاولة لتنفيذ هجوم كيماوي باسخدام «قنبلة قذرة» من خلال استخدام مواطن أمريكي فاعل بالتنظيم.

* ربيع ٢٠٠٢: إحباط تنفيذ هجوم انتحاري علىٰ سفينتين أمريكية وبريطانية تعبران مضيق جبل طارق.

* يونيو ٢٠٠٢، تفجير سيارتين مفخختين بالقرب من سفينة النفط الفرنسية ليمبروج في خليج عدن.

* خريف ٢٠٠٢، محاولة خلية تابعة للقاعدة في البحرين سبق له أن عملت في نيويورك، الهجوم علىٰ مترو الأنفاق في نيويورك باستخدام غاز السيانيد.

* نوفمبر ٢٠٠٢، شن هجوم مزدوج في مومباسا بكينيا: فقد تم تفجير بهو فندق به عدد من السياح الإسرائيليين حيث تم قتل ١٥ شخصًا من بينهم ٣ إسرائيليين، إضافة إلىٰ إطلاق صواريخ أرض- جو أخطأت هدفها نحو طائرة أقلعت من مطار المدينة.

* سنة ٢٠٠٢، إحباط محاولة هجوم علىٰ فندق بإيلات عن طريق تحطيم طائرة مقاتلة سعودية به، يتم اختطافها وقيادتها علىٰ أيدي أحد نشطاء المنظمة السعوديين.

* سنة ٢٠٠٢، أحطبت هيئة الأمن الأمريكية محاولة الإضرار بأنابيب غاز ومحطات وقود في الولايات المتحدة.

* نوفمبر ٢٠٠٣، هجوم انتحاري مزدوج عن طريق تفجير ناقلات مفخخة في معابد يهودية وأهداف بريطانية في استانبول، وقتل بها أكثر من ٥٠ شخصًا.

* صيف ٢٠٠٤: إحباط هجوم إشعاعي في لندن (عرفت بعملية كرفيتس).

* صيف ٢٠٠٤: إحباط محاولة هجوم علىٰ أهداف اقتصادية في نيويورك.

* يوليو ٢٠٠٥: شن هجوم مزدوج بشبكة المواصلات البلدية بمدينة لندن علىٰ أيدي أربعة انتحاريين من مواطني بريطانيا، الذين فجروا أنفسهم في ثلاث عربات

مترو أنفاق وفي أتوبيس نقل عام وتسببوا في مقتل أكثر من خمسين مواطن بريطاني.

* صيف ٢٠٠٦ إحباط محاولة هجوم تهدف إلىٰ تفجير ما بين ٧ إلىٰ ١٢ طائرة أمريكية وبريطانية خلال طيرانهم فوق المحيط الأطلسي.

* يونيو ٢٠٠٨: هجوم علىٰ سفارة الدنمارك في إسلام اباد عن طريق سيارة مفخخة يقودها انتحاري.

* سبتمبر ٢٠٠٨: هجوم كبير بفندق ماريوت في إسلام اباد عن طريق ناقلة مفخخة، وقتل بالهجوم المئات من قاطني الفندق.

* مطلع ٢٠٠٩: إحباط محاولة هجوم انتحارية بحافلة مسافرين في منطقة لونج إيلاند بنيويورك.

* ربيع ٢٠٠٩: إحباط محاولات هجمات في مراكز تسوق كبيرة في ليفربول ومانشيستر.

* نهاية ٢٠٠٩: إحباط محاولة هجوم انتحاري بإحدىٰ محطات مترو الأنفاق بنيويورك.

* ربيع ٢٠١٠: إحباط محاولة هجوم بالنرويج.

هجمات ومحاولات هجمات لشركاء تنظيم القاعدة (Affilated Groups)

* يناير ٢٠٠٢: اختطاف وقتل دانيال بيريل الصحفي بوول ستريت جورنال في كراتشي علىٰ أيدي عناصر إرهابية باكستانية تابعة لخالد شيخ محمد.

* أكتوبر ٢٠٠٢: نفذت منظمة الجماعة الإسلامية هجمات انتحارية في منتجع بالي بأندونيسيا.

* ربيع ٢٠٠٣: اختطف تنظيم «عسكر طيبة» بمساعدة مواطن فرنسي اسمه يفلي بريدجيت، طائرة بدون طيارة لتنفيذ هجوم بها علىٰ مفاعل نووي للأغراض المدنية في ضواحي سيدني.

* مايو ٢٠٠٣: نفذت خلية إرهابية تابعة لجمعية المستقيم في المغرب، هجومًا انتحاريًّا في مدينة الدار البيضاء.

* يونيو ٢٠٠٣: إحباط محاولة تنظيم الجماعة الإسلامية الهجوم علىٰ طائرة تابعة

لـ «العال» والهجوم على مؤتمر الآسيان في بانكوك.

* أغسطس ٢٠٠٣: نفذت الجماعة الإسلامية هجومًا انتحاريًا في فندق ماريوت بجاكرتا.

* يوليو ٢٠٠٤: نفذ التنظيم الأوزبكي اتحاد الجهاد الإسلامي (IJU; ISLAMIC JIHAD UNION)، هجومًا انتحاريًا مزدوجًا في أهداف غربية ومن بينها سفارة إسرائيل بطشقند عاصمة أوزباكستان.

* سبتمبر ٢٠٠٤: إحباط محاولة هجوم لتنظيم أبو سياف على سفارتي الولايات المتحدة وإسرائيل في مانيلا.

* أكتوبر ٢٠٠٤: نفذت الجماعة الإسلامية هجومًا انتحاريًا بواسطة سيارة مفخخة في مبنى السفارة الإسترالية في جاكرتا.

* ٢٠٠٥: إحباط هجوم لجماعة عسكر طيبة والتنظيم الباكستاني حركة الجهاد العالمي (HUJA) على أهداف بالدنمارك.

* أكتوبر ٢٠٠٥: نفذ تنظيم الجماعة الإسلامية هجومًا انتحاريًا بأهداف سياحية في بالي.

* فبراير ٢٠٠٦: هاجم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) منشآت تكرير النفط في فكيك بالسعودية والتي تعد الأكبر في العالم، عن طريق أربعة انتحاريين وسيارتين مفخختين. لكن الهجوم تم إحباطه عن طريق حراس المنشآت.

* ديسمبر ٢٠٠٧: نفذ تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي (AQIM) عن طريق سيارة مفخخة على مكتب الأمم المتحدة ومقر المحكمة العليا في الجزائر.

* فبراير ٢٠٠٨: إطلاق نار على سفارة إسرائيل بنواكشوط عاصمة موريتانيا.

* أبريل ٢٠٠٨: هاجم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) مبنى تابع للسفارة الأمريكية في صنعاء عاصمة اليمن.

* سبتمبر ٢٠٠٨: هاجم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) مبنى السفارة الأمريكية في صنعاء عاصمة اليمن.

* نوفمبر ٢٠٠٨: نفذ تنظيم عسكر طيبة الكشميري هجومًا فدائيًا مزدوجًا في

مومباي بالهند راح ضحيته أكثر من ١٥٠ شخصًا من جنسيات مختلفة، ومن بينهم ستة إسرائيليين.

* يونيو ٢٠٠٩: نفذت الخلية اللبنانية لكتائب عبد الله عزام هجومًا صاروخيًا علىٰ مدينة نهاريا شمالي إسرائيل.

* يوليو ٢٠٠٩: نفذ تنظيم الجماعة الإسلامية هجومًا مزدوجًا بواسطة انتحاريين علىٰ فندق ماريوت ورتش كارلتون في جاكرتا.

* ديسمبر ٢٠٠٩: حاول تنظيم (AQAP) تفجير طائرة ركاب أمريكية في الجو بواسطة الانتحاري «فاروق المطلب»، المواطن النيجري الذي درس الاقتصاد في لندن.

* أبريل ٢٠١٠: محاولة هجوم من جانب (AQAP) علىٰ موكب السفير البريطاني في اليمن.

* يوليو ٢٠١٠: نفذ تنظيم شباب المجاهدين الصومالي هجومًا انتحاريًّا علىٰ مقهىٰ في كامبلا بأوغندا في توقيت انتهاء مباراة نهائي تصفيات كأس العالم، وقتل ٦٧ شخصًا.

* أغسطس ٢٠١٠: نفذ الذراع السعودي لكتائب عبد الله عزام هجومًا بناقلة نفط يابانية في مضائق هورموز.

* أكتوبر ٢٠١٠: إحباط محاولة هجوم لتنظيم (IJU) بمطارات عالمية مختلفة في ألمانيا.

* أكتوبر ٢٠١٠: إحباط محاولة تنظيم (AQAP) تفجير طائرات شحن أمريكية عن طريق مواد متفجرة، وفي إطار الكشف عن هذه العملية أعلن التنظيم عن مسؤوليته عن تحطيم طائرة نقل أمريكية قبل شهرين من تاريخ تنفيذ هذه العملية فوق الخليج الفارسي، والتي كان قد أعلن أن سقوطها كان لسبب تقني.

* أغسطس ٢٠١١، فجر تنظيم بوكو حرام الإرهابي مقرًا للأمم المتحدة بأبوجا عاصمة نيجريا، وقتل في العملية ٢٣ شخصًا.

* يناير ٢٠١٣: قتل أربعون أجنبيًا خلال عملية سطيرة بالقوة لمنظمة إرهابية

متشددة علىٰ عدد من منشآت تكرير الغاز في منطقة الصحراء، والتي تقوم بتشغيلها شركات نفط نرويجية وبريطانية.

* يوليو ٢٠١٣: إطلاق كتائب عبد الله عزام صواريخ علىٰ شمالي إسرائيل.

* سبتنمبر ٢٠١٣: شن هجوم من جانب تنظيم شباب المجاهدين الصوماليين علىٰ مركز تسوق في نيروبي (westgate)، وقتل في الهجوم ٦٧ مواطنًا علىٰ الأقل.

* نوفمبر ٢٠١٣: هجوم كتائب عبد الله عزام علىٰ سفارة إيران في قلب معقل حزب الله في بيروت بواسطة اثنين من الانتحاريين، وقتل في الهجوم ٢٥ شخصًا.

هجمات محلية لمجموعات وأفراد معتنقين لأيديولوجيا إسلامية متطرفة ومن دون دعم خارجي:

* يوليو ٢٠٠٢: أطلق مواطن مصري النار في محل تفتيش ركاب إحدىٰ طائرات «العال» في مطار لوس أنجلوس الامريكي.

* يناير ٢٠٠٣: إحباط محاولة هجوم كيماوي من مواطن بريطاني في لندن، وخلال عملية اعتقاله قُتل شرطي بريطاني، وبتفتيش شقته تم العثور علىٰ كميات كبيرة من المواد الكيماوية والسامة والتي تشبه في تركيبها وتكونيها غاز «السيانيد»

* مارس ٢٠٠٤: قامت خلية إرهابية غير مرتبطة بأي تنظيم إرهابي بتفجير عبوات ناسفة بعربات مسافرين في مدريد، وقتل ١٩٢ شخصًا.

* أغسطس ٢٠٠٤: إحباط محاولة اثنين من المواطنين الأمريكيين الهجوم علىٰ مترو الأنفاق في مانهاتن.

* أكتوبر ٢٠٠٤: نفذت مجموعة إرهابية هجمات علىٰ أهداف سياحية إسرائيلية بشبه جزيرة سيناء.

* نوفمبر ٢٠٠٤: قتل محمد بوياري عضو خلية إرهابية ناشطة في أمستردام، ثياو فان جوخ وهو رجل اتصالات هولندي.

* ٢١ يوليو ٢٠٠٥: إحباط محاولة أربعة مواطنين بريطانيين شن هجمات انتحارية علىٰ محطات مترو أنفاق وأتوبيس نقل عام في لندن في محاولة منهم لتكرار الهجوم الذي نفذ قبل أسابيع.

* ٢٢ يوليو ٢٠٠٥: هجوم ثلاثي على فنادق في شرم الشيخ بسيناء.

* ديسمبر ٢٠٠٥: أطلقت خلية إرهابية تم تكونيها بإحدى مساجد زيوريخ صواريخ على طائرة تابعة لخطوط العال بمطار جنيف، إلا أن قوات الأمن السويسرية RBG أحبطت الهجوم.

* يناير ٢٠٠٦: إحباط محاولة هجوم في مطار كيندي بنيويورك.

* أبريل ٢٠٠٦: هجوم ثلاثي في سيناء، حيث تم تفجير سيارت مفخخة في أهداف مختلفة بمنتجع دهب.

* يوليو ٢٠٠٦: أطلق مواطن أمريكي من أصل باكستاني النار في مركز الفيدرالية اليهودية بسياتل.

* يونيو ٢٠٠٧: أحبطت قوات الأمن الأمريكية هجومًا على الطريق السيار الرابط بين نيويورك ونيوجيرسي تحت نهر هاديسون.

* ٢٠٠٧-٢٠٠٨: إحباط محاولة هجوم من خلية إرهابية في كاليفورنيا الشمالية على أهداف في إسرائيل والولايات المتحدة

* يناير ٢٠٠٨: أحبطت السلطات الأمنية الاسبانية محاولة هجوم لخلية إرهابية على مترو الأنفاق في برشلونه.

* يونيو ٢٠٠٩: أطلق مواطن أمريكي النار على مكتب تجنيد تابع للجيش الأمريكي في ليتل روك أركانسو.

* نوفمبر ٢٠٠٩: قتل نضال مالك حسن الضابط برتبة رائد بالجيش الأمريكي، ١٣ جنديًا في قاعدة فورت هود في الولايات المتحدة.

* ٢٠١٠: إحباط محاولة هجوم مواطن بريطاني من أصل باكستاني في مطار هيثرو بلندن.

* مايو ٢٠١٠: طعنت المواطنة البريطانية روشانا تشودرهي، عضوًا سابقًا في الحكومة البريطانية.

* مارس ٢٠١١: أطلق اللاجئ من كوسوفو نديل أولاك، النار على أتوبيس تابع للولايات المتحدة في مطار فرانكفورت.

* مارس ٢٠١٢: أطلق المواطن الفرنسي محمدماراح، النار علىٰ سبعة أشخاص فقتلهم جميعًا وكان من بينهم معلم وثلاثة تلاميذ يهود.

* أبريل ٢٠١٣: زرع مواطنان من أصول شيشانية في مدينة بوسطن، عبوة ناسفة في مفترق طرق خاص بمارثون للجري وتسبب ذلك في مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة المئات.

* مايو ٢٠١٣: ذبح مواطنان بريطانيان جنديًّا بريطانيًّا جنوبي لندن.

تصدير الإرهاب من ساحات الجهاد:

أفغانستان:

* يونيو ٢٠١١: هاجمت مجموعة مخربين من طالبان وجماعة حقاني، تلقت مساعدات من القاعدة وجماعة أجر الطيبة، فندق انتركونتيننتال قبيل يوم من افتتاح مؤتمر به يناقش قضية تواجد القوات الأجنبية بالبلاد، وقتل في الهجوم خمسة مسؤوليين أفغان وعدد من ضيوف المؤتمر.

المنطقة القبائلية في باكستان:

* مايو ٢٠١٠: وضع المواطن الأمريكي ذو الأصول الباكستانية فيصل شيخ زاده، بتوجيه من منظمة TTP الباكستاني، سيارة مفخخة مملوءة بمئات الكيلوجرامات من المواد المتفجرة في ميدان تايم في قلب مانهاتن بنيويورك، ولم تنفجر السيارة بسبب عطل تقني في أجهزة التشغيل.

العراق AQI /ISI:

* أبريل ٢٠٠٤: حجز عدد من الناقلات المفخخة المليئة بالمتفجرات والأسلحة القتالية في معبر حدودي بين العراق والأردن. وبالتحقيق في الأمر تم الكشف عن أن منظمة أبومصعب الزرقاوي خططت لشن هجمات قوية علىٰ أهداف حكومية داخل العاصمة عمان ومن بينها مبنىٰ البرلمان، وقصر الملك ومبنىٰ المخابرات في المملكة، وفي نفس الوقت الهجوم علىٰ أهداف غربية ومن بينها سفارتي الولايات المتحدة وإسرائيل بالأردن، ووفقًا لتقديرات عناصر الأمن الأردني وبناء علىٰ ما تم

العثور عليه من كميات لأسلحة كيماوية فإنه لو كان وقع هذا الحادث لكان قتل العشرات من الآلاف من المواطنين.

* أغسطس ٢٠٠٥: إلقاء القبض في تركيا علىٰ مجموعة تابعة للقاعدة تم إطلاقها علىٰ أيدي أبومصعب الزرقاوي، وذلك خلال إعدادها المراحل الأخيرة لهجوم تنوي القيام به علىٰ سفينة سياحية إسرائيلية في البحر المتوسط، وخلال إلقاء القبض علىٰ هذه المجموعة بإحدىٰ الشقق وجد معهم كميات كبيرة من المواد المتفجرة كانت ستستخدم في الهجوم.

* أغسطس ٢٠٠٥، نجحت خلية إرهابية تابعة لأبي مصعب الزرقاوي في التسلل إلىٰ الأردن وإطلاق صواريخ من العقبة بتجاه إسرائيل وأصابت مدمرة أمريكية في البحر وأهدافًا في مدينة إيلات.

* نوفمبر ٢٠٠٥: نفذت خلية تابعة لأبي مصعب الزرقاوي في العراق هجومًا انتحاريًا علىٰ ثلاثة فنادق في عمان عاصمة الأردن، كان بهم مواطنون أجانب، وقتل في الهجوم أكثر من ٧٠ شخصًا أكثرهم أردنيون.

* يوليو ٢٠٠٨: الكشف عن سيارة مفخخة ومتفجرات تم إبطالها في منطقة ملاهي ليلية في لندن، وبعد ذلك بيوم وأحد تم تفجير سيارة مفخخة في مطار جالزيجو في اسكتلاندا، وأعلن أبو أيوب المصري زعيم تنظيم القاعدة بالعراق أن تنظيمه المسؤول عن هذه الهجمات.

* ديسمبر ٢٠١٠: نفذ مواطن سويدي من أصل عراقي، هجومًا انتحاريًا وسط العاصمة السويدية استوكهلوم بدون أن يسفر الهجوم عن وقوع أية إصابات، وبالتحقيق في الهجوم تبين أن الانتحاري تلقىٰ تدريبات في معسكر تابع للقاعدة بالعراق (AQI).

ليبيا:

* سبتمبر ٢٠١٢: مقتل أربعة دبلوماسيين أمريكيين من بينهم السفير كريستوفر ستيفانس، في هجوم نفذته عناصر إسلامية متشددة علىٰ القنصلية الأمريكية في بني غازي.



(١٢)

مقالان من مجلة دابق التي تصدرها داعش

من الهجرة إلى الخلافة[١]

(١) ترجمة لمقال نشر في العدد الأول من مجلة دابق الصادرة عن الدولة الإسلامية باللغة الإنجليزية بعنوان: *From Hijrah to Khilafah.*



لطالما كان هدف تأسيس الخلافة هدفًا يحتل مكانة في قلوب المجاهدين منذ إعادة إحياء الجهاد في هذا القرن.

وقد كان المجاهدون واثقين من تحقيق ذلك الهدف؛ إذ إن رسول الله ﷺ وعدهم بذلك، فقال: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعُهَا. ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فِي كَوْنِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**». [مسند أحمد].

وقد روي أيضًا أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**إِنَّهَا نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ عَضُوضٌ، ثُمَّ جَبْرِيَّةٌ، ثُمَّ طَوَاغِيتُ**». [السنن الواردة في الفتن - أبو عمرو الداني].

لكن السؤال الذي شغل بعض المجاهدين كان عن كيفية تحقيق هدفهم، فأثناء الجهاد في أفغانستان ضد الشيوعيين، وجد الكثير من المهاجرين أنفسهم يقاتلون في حرب مشابهة لتلك الحرب القائمة الآن في الشام.

كان أحزاب من خلفيات مختلفة يقاتلون عدوًا «مشتركًا»، متجاهلين كل الأمور التي تميز فيما بينهم، حتىٰ ولو كانت تلك الأمور تمثل عقبة في طريق السعي إلىٰ الخلافة. كان أكبر تلك العوامل المميزة هو القومية التي صبغت كثيرًا من الرايات والأحزاب في أفغانستان، إضافة إلىٰ البدع الخطيرة التي كانت تدمر العقيدة والجسم الصحيح للجماعة المسلمة الضرورية لإعادة إحياء الخلافة.

غير أن الله ﷻ بارك الجهاد، ومضىٰ الكثير من قادته وجنوده ليصبحوا فيما بعد الجسور التي يعبر عليها الجهاد نحو الخلافة المنتظرة.

وكان أحد هذه الجسور المهمة هو جسر المجدد أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله. متعلمًا من الدروس التي اكتسبها من أفغانستان وغيرها من البلاد، عرف الزرقاوي أن الخلافة لا يمكن أن تؤسس إلا من خلال جماعة تجتمع علىٰ الكتاب والسنة بفهم السلف، نقية من صور تطرف المرجئة أو الخوارج. وسيكون الهدف الأهم لتلك الجماعة هو إحياء التوحيد خاصة في الأمور المهملة أو المهجورة من قبل الأحزاب «الإسلامية»

في زمننا هذا - أمور تتعلق بالولاء والبراء والحكم والتشريع.

وستستخدم الجماعة فريضة الجهاد الغائبة كوسيلتها الأساسية للتغيير، ممتثلة لأمر الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وسيكون جهاد هذه الجماعة قائمًا علىٰ الهجرة والبيعة والسمع والطاعة والإعداد، مؤديًا إلىٰ الرباط والقتال ثم الخلافة أو الشهادة.

لقد كانت الهجرة ركيزة متأصلة في الجهاد، خاصة في الأزمنة الخالية من دار الإسلام. قال رسول الله ﷺ: «**إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد**» [مسند أحمد]، وقال في رواية أخرىٰ: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» [النسائي]. وحيث إنه لم يكن ثمة ملاذات آمنة علىٰ الأرض باقية للمجاهدين، كانت الأرض المثالية للهجرة هي مكانًا يمكنهم فيه أن يعملوا دون خطر وجود دولة بوليسية قوية. ففي حالة أبي مصعب الزرقاوي، اختار أفغانستان ثم لا حقًا كردستان كقاعدة لتكوين جماعة التوحيد والجهاد.

الحمد لله، توجد الآن أراضٍ أخرىٰ كثيرة ذات ظروف تدعم الجهاد، مثل اليمن ومالي والصومال وشبه جزيرة سيناء ووزيرستان وليبيا والشيشان ونيجيريا إضافة إلىٰ أجزاء من تونس والجزائر وإندونيسيا والفلبين. لقد نفذ الشيخ أبو مصعب رحمه الله استراتيجية وسعىٰ للقيام بتكتيكات لتحقيق هدف الخلافة دون تردد.

باختصار، لقد كافح ليصنع أكبر قدر ممكن من الفوضىٰ باستخدام الوسائل الجائزة في الشريعة باستخدام هجمات يطلق عليها أحيانًا عمليات «النكاية» التي تركز علىٰ إلحاق القتل والإصابة والتلف بالأعداء.

باستخدام الفوضىٰ، كان يهدف إلىٰ منع أي نظام طاغوتي أبدًا من تحقيق درجة من الاستقرار تسمح له بالوصول إلىٰ وضع يشابه تلك الأوضاع الموجودة في الأراضي المسلمة التي يحكمها الطواغيت منذ عقود. إن مثل ذلك الوضع -المكون من وكالات استخبارات وأمن قوية- قد سمح للطواغيت بسحق أي حركة إسلامية حاولت أن ترفع رأسها قليلًا وتجهر بعقيدتها.

ولتحقيق الدرجة القصوىٰ من الفوضىٰ، ركز الشيخ علىٰ ما في ترسانة المجاهدين من الأسلحة الأكثر تأثيرًا لصنع الفوضىٰ - العربات المفخخة والعبوات الناسفة

والاستشهاديين. كان يأمر بتنفيذ عمليات نكاية عشرات المرات في عشرات المناطق يوميًا، والتي تستهدف وتقتل أحيانًا المئات من المرتدين من قوات الشرطة والرافضة.

إضافة إلىٰ ذلك، كان الزرقاوي يحاول أن يدفع كل مجموعة من المرتدين موجودة في العراق إلىٰ حرب شاملة مع أهل السنة. لذا استهدف الزرقاوي القوات العراقية المرتدة (الجيش والشرطة والاستخبارات)، والشيعة (الأسواق والمعابد والميليشيات الشيعية) والعلمانيين الأكراد (المتحزبين للبرزاني والطلباني).

وفي خطبته المعروفة بعنوان: «هذا بيان للناس ولينذروا به»، هدد الزرقاوي بشن الحرب علىٰ أي قبيلة أو حزب أو تجمع سني يدعم الصليبيين.

ثم بعد ذلك، وعندما دخل بعض من يسمون بـ«الإسلاميين» إلىٰ العملية السياسية الديمقراطية -متجاهلين ما تنطوي عليه من الشرك الأكبر البين- أعلن رسميًا الحرب عليهم في خطبته المعروفة بعنوان: «ولتستبين سبيل المجرمين».

وبذلك، ومن خلال استخدام طرق تؤدي إلىٰ أقصىٰ درجة من الفوضىٰ، واستهداف المرتدين من جميع الخلفيات، استطاع المجاهدون أن يحافظوا علىٰ العراق في حالة دائمة من عدم الاستقرار والحرب، مانعين أبدًا أي جماعة مرتدة من الاستمتاع بلحظة من الأمن.

وكان كل ذلك بينما شنَّ المجاهدون عمليات يومية ضد القوات الصليبية في العراق والتي كان هدفها الرئيس هو إنشاء نظام مرتد عبارة عن ألعوبة موالية لهم.

وبالتأكيد، لم تستهدف عمليات المجاهدين أبدًا الأماكن العامة والتجمعات السُّنِّيَّة، بخلاف ما تزعمه وسائل الإعلام الصليبية والمرتدة. كانت تلك الجرائم ترتكب من قِبل الميليشيات الرافضية التي تسعىٰ إلىٰ الانتقام من أهل السُّنَّة ومن قبل المرتزقة الصليبيين الذين يحاولون تشويه الصورة الحقيقية للمجاهدين.

وقد خطط الشيخ أبو مصعب لكي يتم لاحقًا تنفيذ هجمات أكثر تعقيدًا وعلىٰ مستوىٰ أكبر يشار إليها في بعض الأحيان بعمليات التمكين، والتي كان الغرض منها هو تمهيد الطريق للسيطرة علىٰ الأرض، وقد أدىٰ كل ذلك إلىٰ الانهيار التدريجي لأي سلطة في المناطق التي يشير إليها الصليبيون بتعبير «المثلث السني».

وقد تلىٰ الانهيار الدخول السريع للمجاهدين إلىٰ الفراغ المتروك لإعلان وتأسيس

دولة الإسلام في العراق بقيادة أمير المؤمنين أبي عمر الحسيني البغدادي ﵀، وهي لحظة بارزة في تاريخ الأمة.

لقد كانت تلك أول دولة في الأزمنة «الحديثة» تؤسس بشكل حصري من قبل المجاهدين -المشاركين النشطين في الجهاد- في قلب العالم الإسلامي علىٰ بعد مرمىٰ حجر من مكة والمدينة وبيت المقدس.

باختصار؛ تتكون تلك المراحل من الهجرة إلىٰ أرض ذات سلطة مركزية ضعيفة لاستخدامها كقاعدة يمكن فيها للجماعة أن تتكون وتجند أعضاءها وتدربهم، وإذا لم تكن تلك الأرض موجودة أو كانت الهجرة غير ممكنة، فيمكن تكوين المكان من خلال حملات طويلة من هجمات النكاية تقوم بها الخلايا السِّرِّية للمجاهدين.

ستجبر هذه الهجمات القوات الكافرة علىٰ الانسحاب الجزئي من الأراضي الريفية وإعادة التجمع في المناطق الحضرية الكبرىٰ، وستستغل الجماعة الموقف بعد ذلك من خلال زيادة الفوضىٰ إلىٰ الحد الذي يؤدي إلىٰ الانهيار التام لنظام الطاغوت في مناطق كاملة، وهو موقف يشير البعض إليه بوصف «التوحش»، وستكون الخطوة التالية بملء الفراغ من خلال إدارة الظروف إلىٰ حد التطور إلىٰ دولة كاملة، والاستمرار في التوسع في الأرض التي لا تزال تحت سيطرة الطاغوت.

لقد كانت هذه هي خارطة الطريق نحو الخلافة بالنسبة إلىٰ المجاهدين علىٰ الدوام.

ومع الأسف؛ فإنَّهم الآن يعارضون من قبل القيادات الحالية لجماعات الجهاد المشهورة التي أصبحت متجمدة في طور هجمات النكاية، وغدت تكاد تنظر إلىٰ الحصول علىٰ السلطة باعتباره أمرًا محرمًا (تابو) أومدمرًا. وبدلًا من ائتمان المجاهدين المتقين علىٰ شؤون الأمة، يصر القادة الحاليون لتلك الجماعات علىٰ ترك الأمر متاحًا بحيث يمكن لأي منافق أن يمد يده ويصل إلىٰ قيادة الأمة فقط ليدمرها . . . والله المستعان.

بل إن ما يجعل الأمور أسوأ هو أن القيادة الجديدة لتلك الجماعات استغلت فرصة استشهاد القيادة القديمة لتبدأ في نشر منهج منحرف بات مكبوتًا حتىٰ هذه اللحظة،

منهج أدىٰ في النهاية إلىٰ اعتبار الطواغيت -من أمثال مرسي وهنية- أملًا جديدًا للأمة.

إن المنهج الضعيف للإرجاء هو منهج لا يمكن أن يقوم بتدعيم قافلة الجهاد في طريقها نحو الخلافة، بل الأحرىٰ به أنٰ يحقق التردد والخوف فقط، مؤديًا إلىٰ تدمير قدرة القافلة علىٰ المواصلة، ومالئًا الطريق، بسذاجة، بالعقبات التي تعمل فقط علىٰ خدمة الطاغوت.

باختصار، لقد قدمت تلك الجماعات الشعبية والعقلنة علىٰ إرضاء الله والتوكل عليه وحده، لقد غدوا يخجلون من الإقرار بالأصول الشرعية التي لا يمكن جحدها مثل تكفير الطواغيت والمرتدين الظاهر كفرهم. عندما أعلن عن إقامة دولة الإسلام في العراق -بعد المرور بتلك المراحل من الحرب- كان لها تأثير إظهار كل مدعي الجهاد في العراق، مقسمة إياهم إلىٰ معسكرين، وسارعت كل جماعة وفرد ممن لديهم الإيمان والإخلاص إلىٰ مبايعة قائد الدولة الإسلامية؛ إذ لم يكن أحد أبدًا قد اتخذ خطوة متسمة بالإيثار تجاه الجهاد سوىٰ الدولة الإسلامية باعتباره هدفهم النهائي، وأما أولئك الذين قاوموا الدولة الوليدة؛ فقد فعلوا ذلك لأحد سببين: المناهج المنحرفة، والشهوات الفاسدة للشهرة والثروة والقوة.

وبناءً علىٰ ذلك؛ فقد سبب ذلك الإعلان أن يطفو بعض من انحرافهم الخفي علىٰ السطح، وأما الفساد المكبوت المنتظر بضيق ليخرج فقد فعل ذلك أخيرًا وخرج أيضًا. لقد سمح بعض من يحملون الفساد في قلوبهم بسرعة للكبر والحسد أن يتملكهم، دافعًا إياهم إلىٰ الدخول في تحالفات خفية ومعلنة مع الصليبيين والنظام المرتد الجديد والطواغيت المجاورين ضد الدولة الإسلامية الوليدة، منشئين بذلك صحوة، مصطلح صاغه بيادق الأمريكيين لتجميل ردتهم وخيانتهم.

وقد تلقت الصحوة الدعم المالي والسياسي و«العلمي» من آل سعود والإخوان بل وحتىٰ من أمريكا.

ثم امتحن الله ﷻ المجاهدين كما فعل بعباده من قبل في مكة (قبل الهجرة) وأحد (حينما عصىٰ الرماة وتركوا مواقعهم) وحنين (حين أعجبت المسلمين الجدد كثرتهم) وفي جزيرة العرب (في حروب الردة).

لقد كان ذلك امتحانًا كتبه الله ﷻ ليرىٰ المجاهدين الصابرين وليطرد ذوي القلوب الضعيفة من بين صفوفهم وبذلك يقوي الدولة الإسلامية الوليدة ويعدها لمسؤوليات أكبر. كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ مرة: «لا يمكن المرء حتىٰ يبتلىٰ».

وخلال تلك الفترة، أجبرت الدولة الإسلامية علىٰ الانسحاب غالبًا إلىٰ المناطق الصحراوية في الأنبار، حيث أعاد جنودها التجمع والتخطيط والتدريب.

ومن الصحراء، واصلوا تنفيذ الهجمات ضد الصليبيين والمرتدين الخونة بالتنسيق مع عمليات نفذت من قبل الوحدات الخفية في المناطق الحضرية.

وعندما نال أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ الشهادة برفقة أبي حمزة المهاجر رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ، لم تتوان الدولة الإسلامية، بل أجمعت قيادتها علىٰ مبايعة أمير المؤمنين أبي بكر البغدادي حفظه الله، مستمرة علىٰ الطريق نحو خلافة واحدة توحد الأمة.

ثم بدأت أحداث الشام تتجلىٰ للعيان وأسرعت الدولة الإسلامية إلىٰ المشاركة مستجيبة لصيحات الضعفاء والمستضعفين من المسلمين من خلال إرسال بعثة من العراق لتنشيط وحداتها في الشام ثم إتباع ذلك بإعلان توسعها الرسمي.

ومرة أخرىٰ، أدىٰ الكبر والحسد والقومية والبدع إلىٰ أحداث مشابهة لتلك التي وقعت في العراق. تكونت صحوات جديدة بنفس الدعم المالي والسياسي و«العلمي»، وراحوا يكررون أخطاء أسلافهم في العراق وقرروا الدخول في حرب مع الدولة الإسلامية، لكن الله ﷻ منَّ علىٰ المجاهدين هنا بصورة لا تكون في أرض الشام، بحيث كشفت خيانة الصحوة سريعًا وتم تدميرها. ثم، بفضل الله، أحرز المجاهدون السيطرة علىٰ أراضٍ أكبر في المساحة من كثير من الدول التي تزعم كونها «شرعية» اليوم، أراضٍ كانت من قبل خاضعة لسيطرة الخلافتين التاريخيتين الأموية في الشام والعباسية في العراق.

وبعدئذٍ، أصبحت آمال الخلافة حقيقة لا يمكن جحدها، حقيقة لم تُبْقِ مجالًا لأي شخص يزعم وجود أي عذر لمقاومة سلطة الإمام سوىٰ أن يتعامل معه بشرع الله الحاسم. لقد ساعدت الانتصارات في نينوىٰ والأنبار وصلاح الدين والخير والبركة

وغيرها من المناطق، ساعدت علىٰ إعلان الدولة الإسلامية في الأول من رمضان عام ١٤٣٥ للهجرة، وهو الذي أعلن فيه رسميًا عن الخلافة.

إن هذا الوضع الجديد يفتح الطريق لتوحد جميع الشعوب والأراضي الإسلامية تحت السلطة الواحدة للخليفة.

كما أنه يؤكد علىٰ ضرورة طاعة النبي ﷺ في أمره: «**مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، يُرِيدُ تَفْرِيقَ جَمَاعَتِكُمْ؛ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ**» [صحيح مسلم].

لقد أصبحت الفريضة الآن أوضح من أي وقت مضىٰ لرفع الأصوات ومبايعة إمام المسلمين وأمير المؤمنين -الخليفة- أبي بكر الحسيني البغدادي أعز الله أولياءه وأذل أعداءه. نسأل الله أن يحمي دولة الخلافة هذه وأن يديم هدايتها حتىٰ تحارب جحافلها جيوش الصليبيين التي ستجتمع بالقرب من دابق.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قاعدة الظواهري والهراري والنظاري والحكمة اليمانية المفقودة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتّقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال الصادق المصدوق ﷺ: «**جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**» [**رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة** رضي الله عنه].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«**تأمّل قول النبي** ﷺ: «**الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**» قاله في مدح أهل اليمن وفضلهم، فشهد لهم بالفقه والإيمان، ونسبها إليهم لبلوغهم الغاية في الفقه والإيمان والحكمة، ولا نعلم طائفة من علماء المسلمين أقل كلامًا من أهل اليمن، ولا أقل جدلًا منهم، سلفًا وخلفًا، فدل علىٰ أن العلم والفقه الممدوح في لسان الشارع هو العلم بالله المؤدي إلىٰ حبّه ومحبته، وإجلاله وتعظيمه، وهما مع العلم بما يحتاج إليه من أوامره ونواهيه، كما كان عليه علماء أهل اليمن قديمًا، مثل: أبي موسىٰ الأشعري، وأبي مسلم الخولاني، وأويس، وغيرهم، دون ما زاد علىٰ ذلك، من ضرب أقوال الناس بعضها ببعض، وكثرة التفتيش عن عوراتهم وزلاتهم، [...] وكذلك كثرة البحث عن فضول علوم لا تنفع في الدين وتشغل عن الله والاشتغال به، وتقسي القلب عن ذكره، وتوجب لأهلها حب العلو والرئاسة علىٰ الخلق، فكل هذا غير محمود، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من علم لا ينفع [رواه مسلم عن زيد]، وفي حديث عنه أنه قال: «**سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع**» [رواه ابن ماجه عن جابر]، وفي حديث عنه: «**إن من العلم جهلًا**» [رواه

أبو داود عن بريدة]. وكان ﷺ يكره إطالة القول وكثرة تشقيق الكلام، ويحب التجوز في القول، وفي ذلك عنه أحاديث كثيرة يطول ذكرها» [مجموع رسائل ابن رجب].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقال ابن مسعود أيضًا: «إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه»، فمن كثر علمه وقلّ قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم، وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه، وأهلُ اليمن أقل الناس كلامًا وتوسعًا في العلوم؛ لأنَّ علمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبّرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك، وهذا هو الفقه والعلم النافع» [فضل علم السلف].

بعد قراءة «**فضل علم السلف علىٰ علم الخلف**» للحافظ ابن رجب (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، علِق قوله «أهل اليمن أقلّ الناس كلامًا»، في ذهني سنوات، ثمّ شاهدته واقعًا وعيانًا في البيعات المعلنة من مجاهدي جزيرة العرب واليمن وسيناء وليبيا والجزائر، فأقصر الكلمات الخمس هي كلمة مجاهدي اليمن، وفيها حكمة وفقه وإيمان، وعبّروا بها عن يقينهم بإيجاز واختصار، أسأل الله أن يثبّتهم علىٰ عهدهم حتىٰ يلقوا الله وهو عنهم راض.

قال مجاهدو اليمن:

«ولقد بشّرنا رسول الله ﷺ بخلافة علىٰ منهاج النبوّة، ولقد -والله- رأيناها خلافة علىٰ منهاج النبوّة، وعندما سمعنا أبواق اليهود والنصارىٰ، الذين هم الدعاة علىٰ أبواب جهنّم، استجبنا لأمر رسول الله بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . . .» الحديث، وفيه: «هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة علىٰ أبواب جهنّم، من أجابهم إليه قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا، ويتكلّمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك، قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» [رواه البخاري ومسلم]».

فعلموا الداء -الفرقة والاختلاف-، وعرفوا الدواء الوحدة والاجتماع، وفقهوا أن الاجتماع المقصود هو بلزوم جماعة المسلمين (الخلافة) وإمامهم (الخليفة)،

لا الاجتماع علىٰ التحزّب والحزبية، فنطقوا بالحكمة النبوية، وقالوا سمعنا وأطعنا، دون تردد أو تنطّع أو تكبّر.

وقال غيرهم: سمعنا وعصينا وأُشربوا في قلوبهم عجل الحزبية بكبرهم . . . وتنطّعوا بكثرة الكلام كما تنطّع بنو إسرائيل لمَّا أُمروا بذبح بقرة، واحتالوا علىٰ الأمر والنهي فجعلوا الحزبية هي حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به، وجعلوا الخلافة هي التفرّق الذي نُهينا عنه!

وهكذا كان ردّ حارث النظاري علىٰ جند الدولة الإسلامية في اليمن وعلىٰ إمام المسلمين الخليفة إبراهيم -حفظه الله، وصوّب رأيه، وسدّد رميه، وكسر به شوكة المرتدّين والصليبيين والمبتدعة والبغاة-، فقلّد النظاريُّ الجولانيَّ بمديحه الماكر، والهراريَّ بغمزه ولمزه (أي قبل إظهارهما للحقد والحسد والعداوة والبغضاء علنًا)، وأبا عبد الله الشامي بكثرة كلامه وإطالة قوله وتقسيماته وفلسفته وحقده، والظواهريَّ بتناقضاته[١] . . .

فلم يشبه النظاري جند اليمن، بل أطال في بيانه الأجوف وحمل كلام الخليفة علىٰ أسوأ احتمال، فكان الجزء من كلمة أمير المؤمنين المتعلّق بحلّ الجماعات وواقع اليمن لا يتجاوز الدقيقة، وكان ردّ حارث النظاري بكلمة طولها نصف ساعة، علىٰ سنّة أبي عبد الله الشامي الذي أخذ كتاب «الكبائر» وجعل أبوابه عناوين في بياناته المناصرة للصحوات ضد الدولة الإسلامية، هكذا: أولًا، ثانيًا، ثالثًا . . . الثامن عشر . . . أولًا، ثانيًا، ثالثًا . . . أولًا، ثانيًا، ثالثًا . . . إلخ . . .

والمؤسف أن بعض عباراته تقطر دمًا وتنبئ بالسوء وتُبطن الشرّ، ومنها قوله:

«ونحملهم مسؤولية ما قد ينتج عن التعصب للآراء والتوسّع في الاجتهادات من سفك للدماء المحرمة بحجة التمدد وبسط سلطان الدولة، ونؤكد أننا لا نبدأ مسلما بعدوان ولا بقتال، ولا نستبيح الأعراض ولا الأموال!».

قلت: وكأنه يقول: «الدولة تستبيح أعراض المسلمين»! فعجبًا لمن فرح من

---

(١) الظواهري يدعو إلىٰ بيعة الدولة الإسلامية منذ قيامها في العراق، والآن هو من أشدّ المخالفين لها: البيعة وحقيقة الصراع

http://justpaste.it/exdo

المغفّلين بقوله: «الشيخ المكرّم حفظه الله»، وغير ذلك، ونسوا أن الجولاني بدأ كلمته الأولىٰ بعد إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام بمديح ماكر في حقّ أمير المؤمنين وجنده ودولته دون هذا الحقد الظاهر، ومما قاله الجولاني:

«ثمّ شرّفني الله ﷻ بالتعرّف علىٰ الشيخ البغدادي، ذلك الشيخ الجليل الذي وفّىٰ لأهل الشام حقّهم، وردّ الدين مضاعفًا».

فإذا كانت بداية النظاري بكلمات تقطر دمًا، فلا يظنّنّ ظانّ أن نهاية النظاري ستكون أفضل من نهاية الجولاني، إلا أن يرحمه الله، نسأله جلّ وعلا أن يهديه وأصحابه إلىٰ الاعتصام بالإمام.

ووقع النظاري في تناقض عجيب، حيث أصرّ علىٰ انتمائه لأميره الظواهري الذي لا يكفّر الرافضة أصلًا، واذا فكّر الظواهري في تكفيرهم لم «يكفّرهم» إلّا بعلّة واحدة: إعانة أمريكا في الاعتداء علىٰ المسلمين؛ قال الظواهري:

«موقفي من عوام الشيعة هو موقف علماء أهل السنة، وهو أنهم معذورون بجهلهم. أما من شارك منهم زعماءهم في التعاون مع الصليبيين والاعتداء علىٰ المسلمين فحكمهم حينئذٍ حكم الطوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام[1]. أما عوامهم الذين لم

---

(١) **فائدة**: بعض «الجهاديين» القدامىٰ كانوا لا يحكمون بردة الطائفة الممتنعة عن أصل الشريعة (الحاكمية) فضلًا عن الطائفة الممتنعة عن شريعة من الشرائع (حكم من الأحكام)! ومنهم قادة «الجماعة الإسلامية بمصر» الذين وصفهم الظواهري بعد أن دخلوافي العملية الديمقراطية بـ«الإخوة الكرام ... إخوة المنهج والعقيدة والمحنة » ... ويبدو من كلام الظواهري الآتي أنَّه يُكفِّر نوع الطائفة الممتنعة عن أصل الشريعة لا أعيانها؛ أمَّا رأيه في الطائفة الممتنعة عن بعض الشرائع، فالمستنبط من مجموع آرائه في التكفير أنَّه لا يكّفرها ... ومذهب السلف واضحٌ بيِّن؛ فإنَّ الصحابة أجمعوا علىٰ تكفير مانعي الزكاة. والزكاة من الشرائع وقاتلوهم علىٰ ردّتهم ... قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «والصحابة لم يقولوا: «أأنت مقر لوجوبها أو جاحدٌ لها؟» هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة، بل لقد قال الصديق لعمر ـ رضىٰ الله عنه ـ: «والله لو منعوني عقالًا أو عناقًا كانوا يؤدونها إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها»، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب، وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرّون بالوجوب، لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعًا سيرة واحدة، وهي قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة علىٰ قتلاهم بالنار، وسموهم جميعًا أهل الردة». [**«الدرر السنية»**: (ج/ ٩)، (ص/ ٤١٨)].

=

يشاركوا في العدوان علىٰ المسلمين، ولم يقاتلوا تحت لواء الصليبية العالمية، فهؤلاء سبيلنا معهم الدعوة وكشف الحقائق، وتبيين مدىٰ الجرائم التي ارتكبها زعماؤهم ضد الإسلام والمسلمين» [«اللقاء المفتوح الحلقة الأولىٰ»].

ولا يكفّر الظواهري من أنصار الطواغيت إلا الضباط المعذّبين للمسلمين في بعض فروع أمن الدولة، حيث قال:

«ضباط أمن الدولة فرع مكافحة النشاط الديني الذين يحقق ونفي القضايا الإسلامية ويعذبون المسلمين أراهم كفارًا علىٰ التعيين، فهم يعلمون عن الحركات الإسلامية أكثر مما يعرفه كثيرٌ من أعضائها عنها، ويجوز قتل ضباط أمن الدولة وسائر أفراد الشرطة سواء كفرتهم علىٰ التعيين أو كفرتهم علىٰ العموم، إذا كان ذلك ضمن حملةٍ قتاليةٍ اتخذت من قنصهم وسيلة للنكاية فيهم لمصلحة الجهاد؛ لأن الطائفة المرتدة الممتنعة تقاتل قتالًا واحدًا، ويجوز قتل مدبرهم والإجهاز علىٰ جريحهم، وهذا قتلٌ لفردٍ لم يعلمْ حاله عينًا، ولأن تبين الحال هو في المقدور عليه، وهؤلاء غير مقدورٍ عليهم، فلا يعطل جهاد الدفع المتعين من أجل تبين حالهم» [«اللقاء المفتوح»، الحلقة الأولىٰ].

وقال:

«تكفير الجيوش وأجهزة الأمن فيه تفصيل، فالذي أراه أن ضباط مباحث أمن الدولة فرع مكافحة النشاط الديني وأمثالهم الذين يحققون مع المسلمين ويعذبونهم كفار علىٰ التعيين، وحاصل الخلاف في المسألة قليل جدًّا، وينحصر في الأحكام الشخصية كالزواج والميراث، أما من الناحية العملية فليس هناك فرق بين القولين في قتالهم، والخلاف في المسألة فيه سعة» [«اللقاء المفتوح»، الحلقة الأولىٰ].

= وقال: «وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم علىٰ قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة، فلهذا كانوا مرتدّين وهم يقاتلون علىٰ منعها، وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله» [«الفتاوىٰ الكبرىٰ»: (ج/ ٣)، (ص/ ٥٤١)].

وقال: «وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون، ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلًا للمسلمين».

[«الفتاوىٰ الكبرىٰ»: (ج/ ٣)، (ص/ ٥٤٨)].

فعبادة القباب ونصرة القانون -عند الظواهري- لا تكفّر المرء، وأما تعذيب المسلمين والاعتداء عليهم إعانةً للصليبيين أو انتسابًا لـ «فرع مكافحة النشاط الديني»، فأمر مختلف . . .

فكيف يكفّر النظاري الرافضة والعسكر دون تفصيل ظواهري[1]؟ هل يعصي أميره الذي «دافع» عنه زاعمًا عدم انحرافه[2]! وكيف يدعو إلىٰ محاربة الحوثة وذلك خلاف التوجيهات الظواهرية التي أُمر بالتزامها والتي بسببها استفحل شرُّ الحوثة والطاغوت الجديد في اليمن!

---

(١) الظواهري يفرق بين الطائفة وأعيانها في اسم الكفر وبعض أحكامه، وهذا التفريق مخالف لإجماع السلف في حقّ الطوائف التي اجتمعت علىٰ كفر، كنصرة القباب والقانون؛ قال الشيخ أبو جندل الأزدي (فكّ الله أسره): «أجمع الصحابة ﷺ علىٰ كفر أتباع وأنصار كل من مسيلمة الكذّاب وطليحة الأسدي، وكذلك أجمعوا علىٰ كفر من امتنع عن أداء الزكاة وساروا فيه مسيرة واحدة، فقد غنموا أموالهم وسبوا نساءهم وشهدوا علىٰ قتلاهم بأنهم في النار، وهذا تكفير منهم لهم علىٰ التعيين».
[**«الآيات والأحاديث الغزيرة علىٰ كفر قوات درع الجزيرة»**].
فالمعيّن من الطائفة «نحكم عليه بأنّه كافر بعينه، ونُجري عليه جميع أحكام الكفر من وجوب البراءة منه، وتحريم ابتدائه بالسلام، وحرمة إنكاحِه المسلمة، وعدم الصلاة عليه إذا مات، ومنع دفنه في مقابر المسلمين، وإباحة دمه سواء في المعركة أو خارجها» (قاله الشيخ عبد العزيز الطويلعي . فكّ الله أسره)، والفرق العملي بين رأي الظواهري وقول الدولة الإسلامية يظهر في الغلظة والشدّة المتبّعة في سياسة الحرب ووسائلها.
أما إذا كانت الردّة طارئة علىٰ رأس طائفة مسلمة اجتمعت في الأصل علىٰ عمل شرعي كالجهاد في سبيل الله، فالتفريق قد يكون له وجه صحيح ابتداء حتىٰ تُقام الحجّة علىٰ الأتباع (الجاهلين بحال القيادة بعد أن بدّلت)، لكنهم يُقاتَلون بمجموعهم لامتناعهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

(٢) الظواهري لا يكفر الاستسلاميين البرلمانيين ولا الرافضة المجوس؛ انظر:
«بين منهجين (١) محمد مرسي نموذجًا الجزء الأول» -https://justpaste.it/eiij
«بين منهجين (٢) محمد مرسي نموذجًا الجزءالثاني» -https://justpaste.it/ej2l
«بين منهجين (٣) الرافضة طائفة مرتدة محاربة الجزءالأول»
https://justpaste.it/bayn-manhajayn
«بين منهجين (٤) الرافضة طائفة مرتدة محاربة الجزء الثاني»
http://justpaste.it/bayn-manhajayn4
«بين منهجين (٥) الرافضة طائفة مرتدة محاربة الجزء الثالث»
http://justpaste.it/bayn-manhajaynç
«بين العدناني والظواهري وخربشة الرويبضات» - https://justpaste.it/f9jw

والحقيقة أنّ السياسة المتبّعة في «توجيهات عامة للعمل الجهادي» (تأليف الظواهري) مبنية علىٰ هذا التفريق بين نوع الطائفة وأعيانها رغم زعمه أنه لا فرق عملي بين القولين، فإن المرء إذا كان يقدّر وجود «مسلمين» في صفوف الطائفة، ويوسِّع لهم دائرة العذر ليشمل الجهل بأصل الدين، فسيضطر من حيث يشعر أو لا يشعر عاجلًا أو آجلًا إلىٰ أن «يتورَّع» و«يحتاط»، فلا يستهدف المرتدين خشية أن يقتل «مسلمين متأوِّلين»، وهذا واضح في بعض عباراته وكلماته، ومنها قوله:

«وإذا تورطت جماعة تنتسب للإسلام في المشاركة في القتال مع العدو الكافر، فيرد عليها بأقل قدر يكف عدوانها، سدًّا لباب الفتنة بين المسلمين، أو الإضرار بمن لم يشارك العدو». [«توجيهات عامة للعمل الجهادي»].

فهذه العقيدة -التي كانت ابتداءً لا ترىٰ فرقًا بين تكفير نوع الطائفة وتكفير أعيانها- ظهرت آثارها عمليًا في سياسة الحرب، لا كما يظنّ بعض المغفّلين أن سياسة التنظيم مجرّد استراتيجية عسكرية بحتة، بل الحقيقة أنهم يتورعون عن قتل من يخشىٰ أنهم من المسلمين: عسكر الطاغوت ورافضة المجوس!

وبلغني عن الثقات في اليمن، أن النظاري كان يجادل عن الحوثيين ولا يجزم بتكفيرهم؛ لأنهم «زيدية»، ثم مع كثرة الاعتراض، بدأ يقول: إنهم «طائفة ممتنعة» دون تكفيرها، ثم قال بتكفيرها -دون أعيانها- بامتناعها لا بنفس الشرك الأكبر وتكفير الصحابة؛ لاحتمال جهل أعيانها! وهذا قول أكثر «الشرعيين الكبار» عند التنظيم في اليمن، لذا كانوا يتجنَّبون استهداف الحوثة إلا بعد أن استفحل شرّهم مؤخّرًا وسيطروا علىٰ البلاد وسفكوا دماء العباد؛ وعساكر صالح وعبد ربّه عندهم بين متأوّل ومكره . . . ومرتد . . . ولايُقاتلونهم بعلّة نصرة الطاغوت الحاكم بالقوانين الوضعية، بل لمظاهرة الصليبيين علىٰ المسلمين فقط، زاعمين أن الشبهة في العلة الثانية أضعف، وذلك علىٰ طريقة الظواهري: تعذيب المسلمين وإعانة الصليبيين كفر لا يُعذر (وفي «توجيهاته»، يُعذر إذا كانت الجماعة تنتسب للإسلام!)، أما عبادة الأموات ونصرة الطاغوت فكفر وجهل يُعذر، وبسبب هذه الانحرافات لا مانع لديهم أبدًا في التعاون مع عصابات «صحوجية» «إصلاحية» و«حجورية» ضد الحوثة . . . في سبيل الله! زعموا . . . والتوسّع في هذا التعاون أوقع جبهة الجولاني في ما آل إليه

حالهم، حيث تطوّر تعاونهم إلىٰ الركون والودّ والمداهنة ثمّ إلىٰ مظاهرة الصحوات السلولية والائتلافية علىٰ الدولة الإسلامية . . .

ومما بلغني عن الثقات في اليمن أيضًا أنَّ «أنصار الشريعة» في«محافظة» الجوف يقاتلون جنبًا إلىٰ جنب مع الجيش المرتدّ (جيش «الربيع العربي» جيش عبد ربّه) والإخوان المفلسين ضد الحوثة، ويتم نقل المقاتلين من بين خطوط القتال بآليات الجيش المرتدّ ومدرّعاته، بل إن تموينهم من الذخيرة والطعام من معسكرات الجيش المرتدّ . . . والله المستعان . . . (وبلغني عن الثقات في اليمن أيضًا أنّ قيادة التنظيم في اليمن نادمة علىٰ فترة التمكين التي أداروا فيها مناطق سيطروا عليها في أبين وغيرها لما يقرب من عام، حتىٰ قال بعضهم: «لو وفّرنا المال والجهد الذي بُذل لإدارة هذه المناطق في التجنيد وشراء السلاح لكان أصلح لنا»، فسقطوا في وهم المصادمة بين جهاد الدفع والتمكين الجزئي الذي يمنّ الله به علىٰ المجاهدين لتحكيم شرعه).

عودة إلىٰ النظاري الذي أعماه حقده، فلم يفهم المراد بعبارة أمير المؤمنين (حفظه الله):

«إنّ الروافض أمّة مخذولة، ولو وجد هؤلاء من الموحّدين من يقارعهم لما استفحل شرّهم».

فأقول، مستعينًا بالله، المقصود، لو وجد هؤلاء الروافض من الموحّدين من يقاتلهم ابتداءً غير ملتزمين بسياسة «توجيهات عامّة للعمل الجهادي» لما استفحل شرّهم، ولم ينفِ وجود القتال من قبل بشكل «ظواهري» يعامل الحوثة علىٰ أنهم طائفة مسلمة يقاتلون بأقل قدر يكف عدوانهم، أي: بدفع مجرّد لا شدّة ولا غلظة فيه، فلا يُتبع مدبرهم ولا يجهز علىٰ جريحهم ولا يُقتل أسيرهم، ودون الإغارة علىٰ جموعهم . . . والله المستعان.

ولمّا خرج النظاري وكفّر الحوثة كان دافعه الأكبر سياسيًا، واضطر إلىٰ مخالفة أميره الظواهري بذلك التكفير، فإنّ الجند لن يتبّعوه إن أصرّ علىٰ آراء باطلة أدّت إلىٰ استفحال شرّ الروافض وشيوع العلمانية . . .

وإن أتىٰ معترض بأقوال قديمة لبعض قادتهم أو كلمات لبعض فضلائهم الشهداء، أو ذكر عمليات قديمة ضدّ المرتدّين نُفّذت علىٰ طريقة الدولة والتي أُوقفت فجأةً حتّىٰ

تمكّن المرتدّون من الحكم في اليمن (وبلغني عن الثقات في اليمن أنّ بعض هذه العمليات الجريئة كانت اجتهادات فردية دون رضىٰ القيادة، وعُزّر من أمر بها، لكن اضطر التنظيم في اليمن إلىٰ تبنّيها)، فأقول: بعد انطلاق «الرّبيع العربي» واستشهاد الفضلاء، خرجت توجيهات وسياسات لا حكيمة من الظواهري والأمريكي والباشا وحسام عبد الرؤوف (صاحب كتاب «لو كنت مكان مرسي وقعدت علىٰ الكرسي»!)[1] في خراسان، وأظهر النظاري وأمثاله في اليمن ما أخفوه في قلوبهم طيلة هذه السنوات من الهوىٰ، فوافق شنّ طبقة، وطُبقت توجيهات الظواهري بحذافيرها، إلىٰ أن جعلت اليمن تحت أقدام الرافضة والطاغوت الجديد، والله المستعان.

وللعلم، إنّما خرجت بيانات قاعدة اليمن «المناصرة» للدولة الإسلامية بسبب كثرة اعتراض الجنود والأمراء (دون الصفّ الأوّل) علىٰ «حياد» قاعدة اليمن و«ظواهريّتها»، ولمّا شُكّلت الولاية بتنسيق مع الدولة وكان ذلك قبل الإعلان عن الولاية رسميًا وبعلم التنظيم في اليمن حيث أُخبر بمشروع التمدّد، سارع أهل المنهج إلىٰ مبايعة الدولة، ثم أراد بعض المذبذبين خلع بيعة الدولة لغاية في أنفسهم، لكن بشرط أن يبرّئ تنظيم اليمن الدولة من تهمة الغلو ويناصرها في حربها مع الصليبيين ويقرّ بشرعيتها حتّىٰ لا يقعوا في حرج أمام مريديهم، فكتبت قيادة التنظيم في اليمن البيان «المناصر» الأخير (قبل كلمة النظاري)، وإلا كانت البيانات السابقة تتجاهل وجود الدولة الإسلامية في أحداث العراق والشام العظام، وفي بعضها انتقاد لناطقها الرسمي الشيخ العدناني باللمز والغمز دون التصريح بعد أن بيّن الشيخ انحراف منهج الظواهري، وفي بعضها الترحّم علىٰ مرتدي الصحوات السلولية (قادة أحرار الشام)، فهلّا ترحّم التنظيم علىٰ أبي عبد الرحمن البيلاوي وأبي بكر العراقي وأبي أسامة المغربي رحمهم الله؟

---

(١) حسام عبد الرؤوف . من القاعدة الجدد لتنظيم القاعدة؛ راجع:

«القيادة الجديدة لتنظيم القاعدة»: (١). https://justpaste.it/f0wy -

«القيادة الجديدة لتنظيم القاعدة»: (٢). https://justpaste.it/f2bz -

«القيادة الجديدة لتنظيم القاعدة»: (٣). https://justpaste.it/f4uk -

«القيادة الجديدة لتنظيم القاعدة»: (٤). https://justpaste.it/f83r -

وأخيرًا، لا بارك الله في بيعة قاعدية مزعومة للملا عمر، فهل الملا عمر الذي دعا لحمد وتميم آل ثاني و«نصح» «الحكّام المسلمين» (الطواغيت) بلسانه ولسان إمارته[1] . . . هل سمح لهم بالعمل خارج حدود أفغانستان الحديثة ضد «الحكّام المسلمين» و«دولالجوار» و«دول المنطقة»، و«دول العالم»[2]، أو أنّه ينكر أي مشروع

(١) **قالت الإمارة:** «إمارة أفغانستان الإسلامية تطالب من الحكام المسلمين لهذه الدول بالانضمام في تحالف إسلامي دفاعا عن المسجد الأقصىٰ بدل الدفاع عن المصالح الأمريكية، وحمل مسئوليتهم الإسلامية والأخلاقية في سبيل صد اعتداءات اليهود علىٰ قبلة المسلمين الأولىٰ. علىٰ حكام الدول الإسلامية بترك الاختلافات فيما بينهم، وتحمل مسئولية الدفاع عن المسجد الأقصىٰ».
[**«بيان إمارة أفغانستان الإسلامية حول اعتداء الاحتلال الصهيوني علىٰ المسجد الأقصىٰ»**].
وقال الملا عمر: «كما نشكر بهذا الخصوص فخامة أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد بن خليفة آل ثاني، حيث بذل جهودًا مخلصة، ودور الوسيط الناجح، في سبيل الإفراج عن القادة المذكورين والاستضافة لهم، أسأل الله لفخامته البدل الجميل في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة. كما أسأل العلي القدير أن يفك أسر جميع سجنائنا المواطنين المظلومين مثل هؤلاء القادة، الذين سجنوا في سبيل تحرير الوطن، وخدمة الدين».
[**«رسالة تهنئة حول إفراج القادة الجهاديين من معتقل غوانتانامو»**].
وقالت الإمارة: «وجدير بالذكر، أنّنا نقدم الشكر والتقدير لدولة قطر الشقيقة ولسمو أميرها الموقر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني - حفظه الله - لما وافق علىٰ فتح مكتب سياسي للإمارة الإسلامية في بلاده، وتفضل بتوفير التسهيلات المتعلقة به». [**«بيان حول افتتاح مكتب سياسي لإمارة أفغانستان في دولة قطر»**].

(٢) الملا عمر ينفي أي نيّة للعمل أو التوسّع خارج حدود أفغانستان الحديثة التي رسمها الصليبيون، فدعوىٰ فروع القاعدة البيعة له من أبطل الباطل؛ راجع:
«خلافة علىٰ منهاج النبوة أم خلافة قُطْرية» - https://justpaste.it/gb3i
«رد علىٰ الفتان المفتون وراء الكواليس» - https://justpaste.it/g84l
ومما قاله الملا عمر: «ترغب الإمارة الإسلامية في إقامة العلاقات المتبادلة مع العالم وبالأخصّ العالم الإسلامي ودول الجوار في جوٍّ من الاحترام المتبادل والمصالح المتبادلة في ضوء تعاليم الإسلام ومصالحنا الوطنية، ولا ترغب في التدّخل في شؤون الآخرين، كما لا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها، والإمارة الإسلامية تطمئن العالم بأنّها لا تسمح لأحد باستخدام أراضيها ضدّ الآخرين، وكذلك تُعلن للجميع أنها تحترم جميع القوانين والمواثيق العالمية في ضوء تعاليم الدين الإسلامي ومصالحنا الوطنية. نهنّئ حكومات ما بعد الثورات والشعوب العربية بحياتها وأوضاعها الجديدة، وندعو لها بالتقدّم والمستقبل الزاهر ومراعات التعاليم الإسلامية في حياتها» [**«بيان بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك لعام ١٤٣٣ هـ»**]. =

للعمل خارج أفغانستان مرارًا وتكرارًا تطمينًا لـ«المجتمع الدولي»؟ ثم كيف تدعو الإمارة إلىٰ علاقات ثنائية من الاحترام المتبادل وحسن جوار مع الهند ويأتي الظواهري ويعلن عن فرع تنظيم القاعدة في الهند[1]؟ وتدعو إمارته الأفغانية إلىٰ علاقات حسنة مع إيران الرافضة، ويدعو النظاري إلىٰ قتال الرافضة[2]؟ هل دعوىٰ

= وقالت الإمارة: «إن الإمارة الإسلامية من واقع التعاون الثنائي والاحترام المتبادل تطلب التعامل مع دول العالم ودول المنطقة، ولم تضر الإمارة الإسلامية أحدًا من ذي قبل، ولا تضرر أحد الآن ولا مستقبلًا، كما لا تسمح لأحد أن يستخدم أرض الأفغان ضد أي أحد».
[«متن موقف إمارة أفغانستان المعلن في المؤتمر البحثي المنعقد في فرنسا»].

(١) **قال المتحدّث الرسمي لإمارته**: «في الآونة الأخيرة أظهرت بعض دول المنطقة. الهند، الصين، وروسيا -قلقها إذا ما انسحبت القوات الأمريكية من أفغانستان وتترك المنطقة، فستواجه المنطقة حالة من عدم الثبات، وستواجه دول المنطقة تهديدات من أفغانستان. نحن نعتبر هذا النوع من القلق أثرًا للدعاية السالبة لوسائل الإعلام الاستخباراتية الغربية، ونأمل من دول المنطقة أن تستبين الحقائق لأنفسها وتطلق التصريحات في ضوء الحقائق والواقعيات العينية. الإمارة الإسلامية بصفتها الجهة ذات المسؤولية تطمئن الجميع بأنه لن يحصل ضرر من أفغانستان إلىٰ أي بلد من بلدان المنطقة أو بلد مجاور، نحن نطلب الأمن لبلدنا والمنطقة» [**«تصريحات المتحدث باسم الإمارة الإسلامية حول قلق بعض دول المنطقة»**].

(٢) **قالت الإمارة**: «فمن هذا المنطلق، قامت الإمارة الإسلامية في ضوء سياستها الخارجية المعقولة والمتوازنة، بإقامة علاقات دبلوماسية مبنية علىٰ أصول الاحترام المتقابل، والمساواة، وعدم التدخل في الأمور الداخلية مع دول المنطقة والعالم المختلفة، وتسعىٰ أن توسع نطاق علاقاتها السياسية، وتمدها إلىٰ بقية الدول كذلك، وإنَّ علاقتنا مع دولة إيران الإسلامية حلقة من هذه السلسلة. طلب إيران ودعوتها، وسفر مسؤول المكتب السياسي بالإمارة الإسلامية مع الوفد المرافق له، واللقاءات الإيجابية مع المسؤولين الإيرانيين، كلها تشهد بوضوح علىٰ السياسة الخارجية المعقولة والسالمة والمستقلة والمتوازنة للإمارة الإسلامية، وبما أن الوفد سعىٰ في تحسين العلاقات الثنائية، وناقش مسألة المهاجرين الأفغان ومشاكلهم؛ فإنَّ ذلك يثبت أن الهدف الرئيس والأساسي من إقامة العلاقات مع دول العالم هو استكمال مطالب الشعب الأفغاني ومقاصده، وتحقيق المصالح العليا للبلد وتأمينها فقط ليس غير. إن إيران دولة إسلامية، ولها حدود مشتركة مع أفغانستان، ويسكن هناك أكثر من ميلوني مهاجر أفغاني، وهي غنية بالنفط، وتتمتع باقتصاد جيد، ولها ساحل مع البحر، وهي دولة مهمة علىٰ مستوىٰ المنطقة والعالم، هذه هي تلك الوجوهات التي تقرب بين الدولتين بل وتجبر كلتا الدولتين أن تكون بينها معاملات حسنة في إطار المصالح الشعبية وحسن الجوار، وأن تكون لهما علاقات سياسية واجتماعية واقتصادية». [**«السياسة الخارجية للإمارة الإسلامية تمثل المصالح العليا للبلد»**].

وقالت الإمارة: «نشرت صحيفة فارس الإيرانية خبرًا كشفت فيه عن سفر وفد الإمارة الإسلامية إلىٰ جمهورية إيران الإسلامية، وأن الإمارة الإسلامية تُؤكِّد ذلك وتؤيده، فقبل مدة، قام وفد برئاسة زعيم =

البيعة له من الحكمة اليمانية أو من الحزبية الجاهلية؟ فليدعوها فإنها منتنة . . .

وإلا -والله- سيكونون كالملأ من بني إسرائيل، فلقد جاءتهم خلافة علىٰ منهاج النبوّة ومعها النزّاع من القبائل -المهاجرون إلىٰ مهاجَر إبراهيم- تبسط الملائكة أجنحتها لهم وعلىٰ دولتهم . . . فعارضوها . . . ماضين في طريقهم إلىٰ مزبلة التاريخ . . . إلّا أن يشاء الله . . .

والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوّة إلا به، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه أبو ميسرة الشامي

غفر الله له

= المكتب السياسي بالإمارة الإسلامية بزيارة لمدة ثلاثة أيام إلىٰ مدينة طهران عاصمة إيران، وقد تمت الزيارة لمناقشة العلاقات الثنائية بين الطرفين، ورجع الوفد بعد مناقشة الموضوعات المذكورة آنفا [...]، هذه الزيارة التي تمَّت بدعوة رسمية من قبل الحكومة الإيرانية، فقد تمكن وفد الإمارة الإسلامية من خلالها أن يبلغوا صوت الشعب والمجاهدين ومتطلباتهم إلىٰ أذان وفود دول العالم المختلفة، وأفادوهم بمعلومات حول الأوضاع المستمرة، كما قاموا بمحادثات إيجابية مع كبار مسؤولي جمهورية إيران الإسلامية حول موضوعات مختلفة [...]، وعلينا أن نقول بأن الإمارة الإسلامية سعت دائمًا لرعاية العلاقات مع دول المنطقة والعالم، في إطار الاحترام المتقابل، ولم تنقطع بعد محاولاتها في هذا السبيل». [**«تصريحات القاري محمد يوسف أحمد يحو لسفر وفد الإمارة إلىٰ جمهورية إيران»**].

وقال الملا عمر: «يجب علىٰ جميع المسلمين أن يسدوا جميع الدسائس اللئيمة للعدو الماكر، وألا يعطوا الفرصة له ليشعل نيران الاختلاف بين المسلمين، جزء كبير من السياسة الأمريكية هو تصنيف المسلمين في العراق باسم أهل التشيع وأهل السنة، وفي أفغانستان باسم البشتون، والطاجيك، والهزارة، والأوزبك، حتىٰ تقلل من شدَّة وقوَّة الانتفاضات الشعبية والمقاومة المسلحة مقابلها [...]، وهكذا إني أرجو من الإخوة العراقيين بأن يتركوا الاختلافات باسم أهل التشيع، وأهل السنة إلىٰ الوراء، وأن يقاوموا متَّحدين ضد العدو المحتل؛ لأنَّ النصر غير ممكن دون الاتحاد». [**«رسالة إلىٰ الشعب الأفغاني والعراقي المجاهدين»**].

* **تنبيه**: أخبرني بعض قدامىٰ المهاجرين الخراسانيين أنَّ هناك قادة كبار في أفغانستان ووزيرستان يشكُّون في حياة الملا عمر ويرجِّحون قتله أو أسره، حيث لم يره أحد منهم منذ بدء الحملة الصليبية المعاصرة علىٰ أفغانستان، ونقلوا عن ابن الملا عمر أنَّه لم يره منذ ١٢ سنة؛ فمن المحتمل أنَّ هذه العبارات التي فيها انحراف واضح عن الحقِّ جاءت من غيره، وإن كان المتابع يرىٰ في الأقوال المنسوبة إليه أخيرًا أصلًا في رسائله القديمة، ولكن ليس بالدرجة التي نراها اليوم، والله المستعان.

إصدارات مركز نمـــاء للبحــوث والدراســات

م	اسـم الكتــاب	اسـم المؤلــف	السعر (بالدولار)
	دراسـات شرعيــة		
١	نظرية التجديد الأصولي	د. الحسان شهيد	٨
٢	إشكالية الإعذار بالجهل في البحث العقدي	سلطان بن عبدالرحمن العميري	١٢
٣	مبدأ اعتبار المآل في البحث الفقهي	د.يوسف بن عبدالله حميتو	١٢
٤	إشكالية الحيل في البحث الفقهي	عبدالله بن مرزوق القرشي	١٤
٥	الخلاف العقدي في باب القدر	د. عبدالله بن محمد القرني	٥
٦	علاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق	وائل بن سلطان الحارثي	١٤
٧	مرتبة العفو.. قراءة أصولية تحليلية في ضوء موافقات الشاطبي	جميلة تلوت	٨
٨	معالم منهج البحث الفقهي عند ابن دقيق العيد	د. عادل بن عبد القادر قوته	١١
٩	تقييد المباح.. دراسة أصولية	د. الحسين الموس	١٢
١٠	نظرية الإلزام.. إلزامات ابن حزم للفقهاء	د. فؤاد بن يحيى الهاشمي	١٢
١١	المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج التاريخية	د. عبد الرحمن بن نويفع السُلمي	٩
١٢	التفسير المصلحي لنصوص القرآن بين مدرستي الأحناف والمالكية	منير بن رابح يوسف	١٥
١٣	استثمار النص الشرعي بين الظاهرية والمتقصدة	أحمد ذيب	١٤
١٤	فقه التنزيل.. دراسة أصولية تطبيقية	أحمد مرعي حسن أحمد المعماري	٢٢
١٥	رسالات الأنبياء دين واحد وشرائع عدة (دراسة قرآنية)	عبد الرحمن حللي	١١
١٦	نظرات في تقنين الفقه الإسلامي.. تاريخه - فقهه - ضوابطه	رافع ليث سعود جاسم القيسي	١٢
١٧	تكفير أهل الشهادتين.. موانعه ومناطاته .. دراسة تأصيلية	أ.د. الشريف حاتم العوني	٤
١٨	إشكالية التأصيل في مقاصد الشريعة	عراك جبر شلال	١٥
	دراسات فكرية		
١	فلسفة الثورات العربية	سلمان أبو نعمان	٦
٢	الإسلاميون والربيع العربي	بلال التليدي	٨
٣	صناعة الواقع.. الإعلام وضبط المجتمع	محمد علي فرح	١٢
٤	ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان	عبد الله بن سعيد الشهري	١١
٥	مشكلات الديمقراطية	خالد العبيوي	١٠
٦	الإلحاد.. وثوقية التوهم وخواء العدم	حسام الدين حامد	٩
	دراسات الاختلاف والحوار والتعايش		
١	تجربة الحوار الثقافي مع الغرب.. قراءة تقويمية ونموذج مقترح	د. محمد جبرون	٦
٢	صناعة الآخر.. المسلم في الفكر الغربي المعاصر	د. المبروك الشيباني المنصوري	١١
٣	التعددية الدينية والإثنية في مصر	د. محمد توفيق توفيق	١١
٤	فلسفة الاجتماع في الشريعة الإسلامية.. دراسة تأصيلية	ماهر بن محمد القرشي	١١
٥	صناعة الحوار	حمد عبد الله السيف	١٢
٦	إدارة التنوع والاختلاف	صدقة محمد محمود	٧
	تكويــــــن		
١	تكوين ملكة التفسير.. خطوات عملية لتكوين عقل المفسر	أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني	٧
٢	تكوين ملكة المقاصد	د. يوسف بن عبد الله حميتو	٧
٣	مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي	سامي بن إبراهيم السويلم	٨
٤	الدفاع عن الأفكار.. تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري	د. محمد بن سعد الدكان	٩

م	اســم الكتــاب	اســم المؤلــف	السعر (بالدولار)
٥	فهم كلام أهل العلم.. نحو ضوابط منهجية	أ.د/ الشريف حاتم بن عارف العوني	٤
٦	فقه تاريخ الفقه	د. هيثم بن فهد الرومي	٧
٧	مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي	عبد الرحمن العضراوي	١١
٨	تكوين الملكة اللغوية	البشير عصام	٦
	تجــــارب		
١	التجربة اليابانية.. دراسة في أسس النموذج النهضوي	سلمان بونعمان	٦
٢	التجربة النهضوية التركية	محمد زاهد جول	٦
٣	التجربة النهضوية الألمانية	د. عبد الجليل أميم	٧
٤	التجربة النهضوية البرازيلية	صدقة محمد محمود	١٢
٥	من التجزئة إلى الوحدة.. قراءة في التجارب الغربية والعربية	د. خالد شيات	١١
٦	حكاية التنمية	ترجمة/ د. أبو بكر أحمد باقادر	٨
٧	التجربة الهندية	أيمن يوسف / وائل أبو حسن	١٠
٨	الإسلام وتكوين الدولة الحديثة	عبد العلي حامي الدين	١٤
	ترجمــــات		
١	حاوي الثورة المصرية	والتر أرمبرست، ترجمة: طارق عثمان	٤
٢	إسلام السوق	باتريك هايني/ ترجمة: عومرية سلطاني	٧
٣	حركة كولن	هيلين روز ايبّو ترجمة: مروة يوسف/ أحمد العزبي	١٢
٤	شبكات الاعتدال الإسلامي	شيريل بينارد وآخرون	١٢
٥	صعود الإسلام السياسي في تركيا	أنجيل راباسا واف/ ستيفن لا رابي ترجمة: إبراهيم عوض/ أحمد العزبي	٧
٦	الإسلام الديموقراطي المدني (الشركاء والموارد والاستريجيات)	شريل بينارد ، ترجمة: إبراهيم عوض	٦
٧	دراسات في الفقه الإسلامي.. وائل حلاق ومجادلوه	وائل حلاّق - ديفيد ستيفن باورز ترجمة وتنسيق: د. أبو بكر باقادر تدقيق ومراجعة: طاهرة عامر	١٢
٨	وصف تاريخي لتحريف نصين مهمين من الكتاب المقدس: التثليث والتجسد	ترجمة: هيثم سمير، هبة حداد، أحمد شاكر	٦
	تاريخ الفكر الفلسفي الغربي.. قراءة نقدية		
١	في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة	د. الطيب بوعزة	١٠
٢	الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية	د. الطيب بوعزة	١٣
٣	فيثاغور والفيثاغورية.. بين سحر الرياضيات ولغز الوجود	د. الطيب بوعزة	١٣
٤	هيراقليط.. فيلسوف اللوغوس	د. الطيب بوعزة	١١
	تســــاؤلات		
١	أسئلة دولة الربيع العربي	سلمان بو نعمان	١١
٢	سؤال التنمية في الوطن العربي.. مداخل عملية ورؤى نقدية	هشام المكي وآخرون	١٠
٤	سؤال القيم بصيغ متعددة	هشام المكي وآخرون	٨
٥	أسئلة المنهج في العلوم الاجتماعية والإنسانية	سلمان بونعمان وآخرون	١٢
	مراجعات في الفكر العربي المعاصر		
١	إمكان النهوض الإسلامي	د. محمد جبرون	٧
٢	القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي.. مقدمات في الخطاب والمنهج	عبد الولي بن عبد الواحد الشلفي	١٤

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر (بالدولار)
٣	العلمانيون في تونس	د. محمد الرحموني	٨
٤	النقد الذاتي في الفكر العربي	د. محمد الرحموني	٧
٥	الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر	د. عبد الرحمن اليعقوبي	١٢
٦	النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني.. في نقد الاستعمار الجديد	سلمان بونعمان	١٠
٧	مع الإصلاحية العربية في تمحلاتها.. مراجعات نقدية	د. امحمد جبرون	٧
٨	قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر.. الحجاب أنموذجًا	ملاك إبراهيم الجهني	١٤
٩	القومية العربية.. نظرات في الفكر والمسار	فيصل الأمين البقالي	٨
١٠	في مدارات الماركسية والماركسية العربية	رشيد مصطفى الراضي	٩
	دراسات في الحالة الإسلامية		
١	اختلاف الإسلاميين	أحمد سالم	١٤
٢	مراجعات الاسلاميين.. دراسة في تحولات النسق السياسي	بلال التليدي	١١
٣	جدل الإسلاميين	د. عبد القدوس أنحاس	٩
٤	الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية.. دراسة في أزمة النموذج المعرفي	بلال التليدي	١١
٥	التكفير عند جماعات العنف المعاصرة.. نقد المقولات التأسيسية	إبراهيم بن صالح العايد	١٣
٦	صورة الإسلاميين على الشاشة	أحمد سالم	١٢
٧	الإسلاميون ومركز راند.. قراءة في مشاريع الاعتدال الأمريكي	بلال التليدي وعادل الموساوي	٥
٨	النقد الذاتي عند الإسلاميين.. (١) التيارات القتالية	محمد توفيق	٦
	دراسات صناعة البحث العلمي		
١	مراكز البحث العلمي في الوطن العربي (الإطار المفاهيمي- الأدوار)	خالد وليد محمود	٥
٢	مراكز البحث العلمي في إسرائيل	د. عدنان عبدالرحمن أبو عامر	٦
٣	مراكز البحث الأمريكية ودراسات الشرق الاوسط بعد ١١ سبتمبر	د. هشام القروي	٦
٤	مراكز الفكر والأبحاث والدراسات في الهند (دراسة تقويمية)	د. أيمن طلال / د. وائل أبو حسن	٧
٥	التعليم والبحث العلمي ومراكز التفكير الاستراتيجي في تركيا	علي حسن باكير	٤
	قراءات في الخطاب الشرعي		
١	الخطاب المقاصدي المعاصر.. مراجعة وتقويم	د. الحسان شهيد	٨
٢	الأبعاد النفسية والاجتماعية في النظر الفقهي	د. إلهام عبد الله باجنيد	٥
٣	إصلاح الفقيه.. فصول في الإصلاح الفقهي	د. هيثم بن فهد الرومي	٨
٤	حجاب الرؤية.. قراءة في المؤثرات الخفية على الخطاب الفقهي	عبدالله بن رفود السفياني	٦
٥	الإسلام الممكن	ماهر بن محمد القرشي	٨
٦	حركة التصحيح الفقهي	ياسر بن ماطر المطرفي	١٦
٧	النظر الفقهي في المعاملات المعاصرة	عبدالله بن مرزوق القرشي	٨
٨	تجديد فقه السياسة الشرعية	د. خالد بن عبد الله المزيني	٥
٩	الفقه الارتيادي.. نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل	د. هاني بن عبد الله الجبير	٤
١٠	الخطاب الوعظي.. مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه	د. عبد الله بن رفود السفياني	١٢
١١	ما بعد السلفية.. قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر	أحمد سالم - عمرو بسيوني	٢٥
١٢	الدرس العقدي المعاصر	عمرو بسيوني	١٦
	حوارات نماء		
١	حوارات ما بعد الثورة	مركز نماء للبحوث والدراسات	٦
٢	التشيع في أفريقيا	لجنة تقصي الحقائق (اتحاد علماء المسلمين)	١٨

مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتماء